

المحكمة

١٣١٥

بوقفي المحكمة من يتأسس من إوقات المحكمة هذا رتي
جرا كتيوا ويدا لسكر بالا اولو الالالب

فهم جادى الذين يستون القول فيلعلوا حسنة
أولئك الذين جدا هم أفة وأرافك هم أولو الالالب

سخط قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام موى و « منارا » كشار الطريق

(مصر - الأحد ٣٠ المحرم ١٣٢٧ - ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩)

فاتحة السنة الثانية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ولا
جعل علينا فيما شرعه لنا من الدين حرجاً ، بل جعل مع السرير آ وممع
الشدة فرجاً ، ومن يتق الله بإقامة سنته يجعل له مخرجاً ، ان الله بالغ
أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً

والصلاة والسلام على من بعت الى الايض والأحر ، وقام بأمر
ربه ١٥ : ١٤ فأصنع بما تؤمر ، فكل به قومه ليثبتوه أو يقتلوه أو
يخرجوه ، فهاجر من وطنه ووطنهم فقبوه وحاربوه ، حتى شجروا

رأسه ، وكسروا سانه ، وعذبوا من اتبعه من ضملاء المؤمنين ، فصبر وصبروا
حتى كانت العاقبة للحقنين ، ٣٧ : ١١٦ . وَصَرَّكَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْقَالِينَ .
وبعد فإنا نقص في قائمة منار هذه السنة وهي الثانية عشرة له ،
بأ من تأريخه الصريح ، الذي كنا نشير اليه بالتلويح ، تذكيراً وتقصيلاً
للقراء الساجدين ، وهبة للقراء اللاحقين ، وأخص الثمانيين الذين طالما
ارتفعت فرائضهم عند ذكر المنار ، حتى وبما كفى عنه عبوه بلفظ المنار ،
أنشئ المنار في أواخر شوال سنة ١٣١٥ وكان صحيفة ذات ثمان
صفحات ، وقد يفت في العدد الأول منه الترض من انشاءه ، ومذهبه
في الإصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان مناجه في
الإصلاح السياسي ، مع التصريح بنزعه الثمانية ، وخدمته للدولة الطيبة ،
وانما أسكتني عن ذلك الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى)
قد حكمت استشرته في انشاءه ، وقرأت له تلك القائمة قبل طبعها ،
وكان فيها ان من مقاصده بيان حقوق الامة على الامام ، وحقوق الامام
على الامة ، فاستحسن كل ما أودعته تلك القائمة الا هذه الكلمة ،
فاقترح علي ان أحذفها ، ولم يراجعني في شيء غيرها ، وكان مما قاله في
ذلك : « ان المسلمين ليس لهم امام في هذا العصر غير القرآن » ، وان الخوض
في السياسة الثمانية فتنة يفتني ضررها ولا يرجى نفعها ، وان الناس ههنا
لا يحبون ان يسموا في السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها
سياسة ، والمسلمون لا يهتمون الا بالترقية والتطعيم ، فلا تخط السياسة بمقاصدك
الإصلاحية لئلا تفسدها عليك ، فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدت
هذامني ما قاله ، وقد حذفت تلك الكلمة استجابة له ، وليت

السياسة تركتني كما تركتها ، أو سألتي كما سألتها ، ولكن أبي طيها
 الخرق والفتور ، الا ان تجاهد مني غير عدو ، فأذنتي بالحرب ، وأذنتي
 في الأهل والصحب ، حتى ألتأني اعتداؤهما على حقيقتي ، الى التضي
 في استعراف ظلمها لامتي ، ثم الى الدخول في زمر المجاهدين ، لوؤا سائها
 واعوانها الظالمين ، ٥٥:٥١ ، فما استطاعوا من قيام وما كانوا مقتصرين
 جئت مصر وأنا أحسن الظن بالسلطان ، دون من يحيط به من
 الوزراء والقرناء والخصيان ، وأسئ الظن بطلاب الإصلاح من الاحراء
 واعتقد أنهم أتما يطلبون الرتب والالوسمة والدينار ، وقد كنت أصرح
 بهذا وذلك في السنة الاولى مع المطالبة بالاصلاح ، والشكوى من ماقبة
 الظلم والافساد ، وما كنت لا قول الا ما اعتقد ، وأبث الا ما أعظم وأجد ،
 منع رشيد بك والي بيروت (أحد أركان الافساد في حكومة
 الاستبداد) توزيع المدد الثاني من السنة الاولى وأرسل البرقيات الى
 جميع أمحاء الولاية بوجوب جمع ما وزع منه واحراقه ، ولم يكن فيه
 شيء مما كانت تفكره الحكومة في ذلك الوقت ، واما فعل ذلك سرخاة
 للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي ، الذي كان يعلم اني من حزب السيد
 جمال الدين الأفغاني ، فهو الذي أوعز الى الوالي بأن يصادر المنار ، كما أوعز
 بذلك الى بدرية باشا متصرف طرابلس الشام ، فصار كل منهما يمنع
 بمض الاعداد ، التي يؤذن بتوزيعها في الاستانة وغيرها من البلاد ، حتى
 هبطت الارادة السنية ، وصدرت الاوامر الملية ، بمنع من جميع الولايات
 العثمانية ، وذلك قبل ان يتم له نصف سنة !
 لم يشف هذا غيظ أبي الهدى أفندي فأوعز الى بدري باشا واحرقه

بأن يؤذوا والدي واخوتي ، وينذروا عشيرتي وذوي مودتي ، ولما رأي
 بشري بأنا أن مجلس إدارة اللواء ، لا يوافق على ما يقصد من الإيداع ،
 وإن الإيداع يغير يد الحكومة ، لا يشجع تلك النفس الضارية المهومة ،
 بشري هو وشيمته لمسيد الوالد (رحمه الله تعالى) نواجز الشر ، ثم أشخصوه
 إلى مصر ، ليحفظني على مشايمة أبي الهدي ، وعدم المبالاة بمن دونه من
 الوري ، وبعد طول المذاكرة رضي مني بأن اكتب اليه كتابا مني أبين
 به فيه أنه ليس من قصدي الطعن فيه وانني لا أريد الا الإصلاح ما
 استطعت ، وكتب هو اليه كتابا آخر ، فاعلم أن جاء نامنه الجواب
 وهذا نص ما كتبه لي بخطه :

الحمد لله وحده

من الفقير اليه تعالى محمد أبو الهدي الصيادي الرفاعي عني عنه الى
 صاحب الادب الكاتب الشيخ رشيد رضا أفندي كان الله لنا وله والمسلمين .
 وصلي قبل كتابكم وفي هذه المرة أخذت كتابا من والدكم وكتبت له
 الجواب في بريد اليوم فكن راض الخاطر طيب البال نعم اني أرى جريدتك
 طاعة لثلاثين المائتين جمال الدين الملقبة وقد تدرجت به الى الحسينية
 التي كان يزعمها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة رسما أنه ما زندياني من
 من الجراف الشبهة بعد الخبارة مع سفارة ايران بدار السعادة والسفارة
 الحسينية في إيران وهو حي وما قدر على الدفاع ، وهو ارق من الدين كما
 سمع من سهم من الرمية ، وراك تملأ جريدتك كل يوم باتقاد الصوفية
 بالبحث عنها ما هي من طريقهم وكذا أولتها وفي بعضها أنت عني بلاشبهة
 لا انك تسير ان العلماء الآن ما هم كالشافعي وأبي حنيفة وعظماء السلف

تمسكاً بالشرع ولا عامة الأمة كالعادة الأولى فلو انصفت وخدمت دينك
بغير هذه المواضع وإذا أنزمت طورك وقلبك بالتطرق فهناك تقتصد
أعمال الأمم السائرة فمن غير الإسلام اعتقاداً عقلياً يستميل لك القلوب ويرغبي
عنك ربك لكان أولى، ولما طالب قلبنا لك نصحتك والموعود الله في كل غاية
والسلام م ١٩ رجب سنة ١٦

ومن هذا الكتاب يعلم أن ما كان يؤله من المنار محصور في أمرين
أحدهما التنويه بالسيد جمال الدين الأفطاني وذكره بقلب «السيد» ولم
أكن أمنح أبا الهدى هذا القبول لأنني لا أعتقد شرفه... وثانيهما اعتقاد
خرافات أهل الطريق التي جعلها أساس عبده، ولكنه كان يرمي السلطان
أن المنار لم ينشأ إلا لأجل الطمن فيه كما يعلم مما يأتي. فكتبته إليه كتاباً يفت
فيه أنني لم أكتب ولا أكتب إلا ما أعتقد أنه نافع وذكرت له رأيي في
السيد جمال الدين فلم يلبث أن أجابني بهذا الكتاب بخطه:

ولنا الروحاني الأديب الأريب الفاضل الشيخ محمد رشيد أفندي
آل رضا المحترم

أدعوا لكم ولوالدكم بالخير والعافية ودوام التوفيق، ووجدت عسرت ممنوناً من
تحرير أتم المرسلة والمأمول من عناية الله وفضله أن يديم لكم التوفيقات فيما
يرضيه وقد حصل الآن قيد رؤس أدركه من مراتب العلمية الشريفة لك
فهي إن شاء الله أول القيوضات ولا يجنحن لبالك أن ذلك انموذج هذه الدنيا
بل أنني أعجبني قولك واطمأن قلبي لصداقتك ولبراءتك وارجو الله إصلاح
شأنك في الله كما هو مطوي في كل من له للجناب الرفيع نسبة. وأوصي
رفيقك بالثبات والاستقامة على ما يبض الوجه حالة القدوم على الله

ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم^(١) وبحوله تعالى عند عيشكم بنا واتقاكم
 عن هذه العوارض الحاضرة الزائدة التي لا تنطبق على مجد النسبة نوعاً ما
 وإن كان تصدكم حسناً فهناك تبليج فيكم أنوار نسبتكم بالتمسك في
 الطريق الأقوم تحت فطر سرّ الوجود صلى الله عليه وسلم وتكون إذن
 خدمتكم للدين والمسلمين على التبع الشرعي الصحيح الأمين ومنى لكم
 الدعاء وهو المطلوب منكم والسلام

كتبه محمد أبو الهدى

١٦ شعبان سنة ١٦

عني عنه

قرأت هذا فبادرت إلى إرسال كتاب إليه جزمته فيه بأي لا أنبل
 الرتبة العلمية التي طلبها لي والتي من الدين برفضها عن الرتب والوسمة
 فيجب الرجوع عن طلبها والتي لا استبدل بخدمة المنار للخدمة أخرى
 مهما كان مظهرها وقائمتها والتي لا اطلب من الأستاذة إلا الاذن بدخول
 المنار لسوريا وغيرها من ولايات الدولة . واعدته في هذا الكتاب وفيما قبله
 بترك التنويه بالسيد جمال الدين مادام المنار مأذونا له بدخول بلاد الدولة .
 وسكت على ذلك وسكتا

وبعد ثلاثة أشهر وأيام من هذه الكتابة كتب ناظر خارجية انكلترا
 إلى لورد كرومر عميد دولته في مصر يقول ان سفيرهم في الاسكندرية كتب
 إليه يخبره ان رئيس كتاب السلطان جاءه وقال له ان في مصر جريدتين
 معاديتان لشخص السلطان وهما المنار والقانون الاساسي وان الحديوي وعقار

(١) يزيد في عبد الحليم حلمي اقصي مراد وكان يومئذ مديراً لاشغال المنار

وكان سافر إلى الاسكندرية قبل ذلك وبلغني انه اجتمع بالي الهدى ولم أدر ماذا كان بينهما
 ولم يكن ذلك السفر علاقة بالمنار

باشا التنازي يساعدنا وان السلطان يرغب اليه بأن يسمي لدى حكومته بإبطال
هاتين الجريدتين ويتخذ ذلك بدايكاته السلطان عليا ١١ فأخبر اللورد
الامير بذلك فحبب أشد الحبب لانه لم يكن هو ولا مختار باشا بمساعد
للتناز ولا القانون الاساسي بل لم يكن يعرف من مشرب التناز الا ما أخبره
الاستاذ الامام من أنه جريدة دينية أدبية.

سألني الامير عن ذلك سرا في يوم عيد الانصبي (سنة ١٣١٦) عند
ما أردت الخروج مع الطاء من مقابلة التهمة له باليد وأمرني بأن أذهب
الى مقابلة أحمد شفيق بك وكان رئيس القلم التركي (وهو اليوم احمد شفيق
باشا رئيس الديوان الخديوي) فذهبت من حضرة الامير الى غرفته وكان
يقرا التناز ويعلم انه ليس فيه تحمل على السلطان بل لا يخلو من مدح له،
ورأيت جازما بأن أبا الهدى هو الذي سعى ضد السلطان هذه الساية وضرب
سهامه فيها الى عدوين من أعدائه : الامير ومختار باشا التنازي. فأخبرته
بأن يني وبين أبي الهدى سلاو ذكرت له هذين الكتابين فطلبهما مني لأجل ان
يجمع بهما قلت له ان الرسالة بالامانة واتي لا اجيز نفسي ان أظهرهما
مادمت أعلم أن اظهرهما يؤذي به بغير السلطان عليه، واستدلا بهما على خيائته
له، اذ يجمل ترسا يدافع به عن نفسه. وأما اللورد فقد جرى في السألة على
ما تعود من المحافظة على حرية الصحافة ولكن بمدا البحث ومعرفة الحقيقة
كرّاحوان أبي الهدى على أهلي كرة ثانية وكانت الدولة دولتهم
فصبروا احدا خوفي وهو خارج من طرابلس الى القلقون ليلا وسرورا فرسا
لنا وحاولوا اخذ مسجدا منا وأغروا جريدة طرابلس الشام بالطنن في
الطراز والتسوا لنا المساعدة من كل من يكتب في طرابلس حتى اصعدتني

فاضطرت الى كتابة مقال عنوانه « مؤاخذه العلماء » (٢٩٩ ص ١٩٧)
استكتبها به عن الهادي في الطمن ، ولكن المستعم لم تسكت عن السب
واللعن ، الا بعد ان أدلى بهم ، وسخفت بشوكتهم وذهبت ويهمهم ، وخرج
بصري باشا من طرابلس منذ ما ندموا ، وبدلنا به عبد القوي باشا المابدو كان لنا
وليا حبيبا ، بل غلب هو فذهرت باشا المابدو على هوذا الشيخ ابي الهادي في جميع
البلاد السورية ، فازداد انتشار النار فيها وان لم يرسل الا في البرد الاجبية ، وأمن
الاهل والقراء على انفسهم طائفة من الزمان ، حتى كان منذ اربع سنين ما كان ،
ذلك ما كان في السنة الاولى والثانية من سني النار . وفي أواخر الثانية
وأول الثالثة صار يتردد علينا بعض جواسيس ممدوح باشا ناظر الداخلية في
الاستانة ويعرض علينا الرتب والوظائف اللاتقة اذا نحن تركنا النار ،
وقادروا هذه الديار ، فلو شئت ان اكون يومئذ قاضيا أو مفتيا في الشام
أو بيروت أو آخذ مرتبا شهريا عظيما من الدولة لقبلت ، وقد قبل عبد الحليم
افندي حلبي أن يترك مصر ويكون معاونا لناظر النفوس في بيروت بمرتب
كترتب الناظر فقال ذلك على انه لم يكن كاتبيا ولا سياسيا ولا ذا شأن في
النار وقد بلغني وقتئذ أن ذلك الجاسوس اخذ من ممدوح باشا ٨٠٠ ليرة
عمانية سهاها ثلثا لطبعة النار ولم يكن النار يومئذ مطبعة تساوي ٨٥٠ قرشا
وفي أثناء السنة الرابعة غضب علي أمير هذه البلاد وأذنتي صديقي
حسن باشا حاصم (وكان معه الله يومئذ رئيس التشريعات) بأنه لا يرضى ان
أقايه بعد وكان يقول لي قبل ذلك انك ان تجيء الي في قصر عابدين
أو قصر القبة متى شئت . وكان غضب أيضا على الاستاذ الامام وكما
اشتد غضبه على أحدنا يشتد على الآخر ولا أحب ان اذكر الآن شيئا

مما سمعته او علمته من آثار هذا القصب الاما قيل من مزمه على اخراجي
 من مصر فقد قال مصطفى كامل باشا للاستاذ الامام صرة ان افندينا يريد
 ان ينفي صاحب المنار من مصر ويطلب منك ان تسكت على ذلك ولا
 تحمل لورد كرومر على المارضة فيه . . . وسمعت مثل هذا الخبر بعد
 وفاة الاستاذ الامام . وقال لي أحد معارفي في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٢٦
 ان السرغورست على وفاق مع الخديو وهو لا يمارضه في الانتقام ممن
 يفضض عليه ولا سيما اذا كان عثمانيا لانه ليس كلورد كرومر في المحافظة
 على الحرية الشخصية وقد علمت أن الخديو غضبان عليك فيجب ان تسمى
 في استرضائه لتلايفيك من هذه الديار وانه ربما يفعل ذلك . قلت له
 انني لا أكتب في هذه السنين شيئا عنه ولا أعلم ان في المنار شيئا يسوءه
 فإذا ينقم مني ؟ قال دوام الثناء على الشيخ محمد عبده . قلت ليس في المنار
 ثناء ، وانما هي اقوال عنه وآراءه ، ولا يمكن أن يخلو المنار من ذكره ، وان مصر
 لا منزلة لمساخندي الحرية العلم والصحافة والحرية الشخصية فاذا كان
 الخديو ينفي منها من كره وجوده فيها ، فلماذا أحرص أنا على الاقامة بها ،
 أو آسى على البعد عنها ؟ انني اذا أظنن الى الهند ، وانني لأعلم انه يكون لي
 فيها مقام كريم لا اجد مثله في مصر . وهذا وان مثل هذا الخبر ليس برها
 يقينا على صحة ما قيل عن الامير برأه الله وحماه مما لا يليق به ، وان كان
 عند بعض الكبراء ونظار الحكومة نبأ منه ،

وفي السنة الخامسة نشرت «سجل جمعية أم القرى» في المنار ومقالات
 «الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة» فتضاعف قراء المنار في القطر المصري

واشتدت الحكومة العثمانية في المراقبة عليه والبحث عن قرائنه ولا سيما في القطر السوري ،

وفي السنة السادسة شرعت في نشر رسالة في مالية الدولة العثمانية فرغب اليّ الأستاذ الامام أن لا أنمها فوافقت ورغبته ولكنني ضقت ذوعا بسوء حالنا السياسية فصرت أكثر في تفسير القرآن الحكيم من السياسة وهو يجيز ذلك لانه أنما ينهي عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم

وفي السنة السابعة كثرت ديب عقارب السعاية من جواسيس المايين بمصر ونوازل التقارير في الأستاذ الامام وفي صاحب المنار، وكان الذي يُلغها السلطان هو عزت باشا العابد الذي كان بينه وبين الأستاذودة سابقة مذ كانا في سورية ولم يحدث بينهما ما يوجب هذا الانقلاب الا صنعة عزت الجديدة في المايين وعلاقته بمصر وكان حزب الشيطان الذي يدبر هذه السمايات والمقاسد قد زوّر رسائل بتوقيع (محمد عبده) وأرسلها الى الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد العربية تشتمل على الدعوة الى الخلافة العربية وهو يعلم انها تقع في الايدي التي توصلها الى المايين فاشتد خوف السلطان من الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد عبده لا علم له بما يكتب في شأنه ولا ما يكتب عن لسانه مما هو مخالف لرأيه واعتقاده حتى انه هو الذي ارجع بعض المستشرقين عن السعي لانشاء دولة عربية لاعتقاده ان التنريق بين الترك والعرب يصفق الفريقين ويسهل على الدول العظيمة محو الدولة الاسلامية من الارض وانني ما وقفت على اكثر ما اشرت اليه هنا الا بعد موته

ومادخلت السنة الثامنة الا وقد صار النفور والخلاف بين الامير والاستاذ على اشد هما كما ان السماية الى السلطان فيه قد بلغت غايتها ، وقد اشتد المرض على الاستاذ حتى كان يمجد بنفسه في الاسكندرية والحكومة العثمانية تبحث عنه في سواحل بيروت لان الجواسيس قد بلغوا المايين انه سافر الى بيروت متكرراً ليؤسس الخلافة العربية في سورية : الا قاتل الله اولئك التحوت الاشرار ما كان اشد عبثهم بالسلطان وخيائهم له وللدولة والامة . وفي هاتين السنتين كان الاستبداد قد شد الخناق على محبي العلم والاضطهاد لمقتي الكتب ومنيت بيروت بخليل باشا واليا ، وطرا بس بحسن بك متصرفا ، وكأنا من شر اعداء الاستبداد والمخاضين له فيا يحاول من الظلم والافساد ، فأسرفا في تفتيش البيوت ، واخذ الكتب والاوراق منها ، والمواخذة على اقتنائها ، حتى صار الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم بالنار ، ومنهم من كان يدفعها بل يهدمها كما تهد الجاهلية البنايا ، حتى احرق في سنة واحدة عشرات الآلاف من المجلدات :

كيف لا وقد كانت الكتب والجرائد تعد من الهرائر ، منها الصفائر ومنها الكبار ، وكان اقتناء المنار او ما طبع بمطبعة المنار ، هو اعظم الذنوب وأثقل الاوزار ، وكان الحكم على مجرمي الكتب بالهوى لا بالشرع ولا القانون ، لا تأخذ الحاكم فيهم رافة ، ولا تقبل منهم شفاعة ولا عدل ولا هم يصرون ، على أن أولئك الولاة ومن دونهم من المستبدين ، لم يستعملوا بأس الحكومة الا في منع كتب العلم واضطهاد المتعلمين ، دون سفك الدم وافساد الأمن ، واهلاك الحرث والنسل ، فاذا كان حقنا من حكمهم ؟ دسروا المنار ، واجتاحوا الكتب والاسفار ، وحبسوا من وجدوا

من الاخوة ، وحصروا الوالد المريض مع النساء ، ووضعوا على دله
الحراس والخمراء ، فكان ذلك الشيخ الجليل ، والسيد الشريف ، يجر
بنفسه ، وينتظر أمر ربه ، وبناءه مع أمن امام سريره يطلقن المبرات ،
ويصمدن الزفرات ، فقد عن طيبن ، وعظم المصاب في قلوبهن ، أن
حيل بينه وبين أولاده الابرار ، في وقت توديعه لهذه الدار ، فمنهم القريب
الذي هو في حكم المبعد ، والسجين الذي هو في حكم المستبعد ، وهذا
والجنود السلطانية تحيط بهن ، وتطوف حول منزلهن ، شاكية السلاح ،
مستعدة للكفاح ، تدل بيأسها وشدها ، وتمثل قوة « الخلافة الحميدية »
وعظمتها ، يعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عمرية في
قرية القلمون ، وهكذا قضى الوالد محبة فانا لله وإنا اليه راجعون ،

ثم كان من ظلم الحكومة المستبدة لنا أن ولت على مسجدنا رجلا
آخر بغير حق واطمعت في الاستيلاء على تقاراتنا بدعوى أنها وقف كما
اطمعت غيره من أشقياء طرابلس فنهوا ما وجدوا في الدار من الثياب
والعالي والماعون وغير ذلك ، وقد أسقط الله حكومة الاستبداد ، ولما
تكونت حكومة الدستور ، فحقوقنا لا تزال مهضومة لفساد الحكام ،
واختلال الامن العام ، فهذا بجمل من خبر ظلم الحكومة لنا ، وهو قليل
من كثير فظلمنا لغيرنا ، ممن أجرموا كاجرامنا ، فشكوا من الظلم والجور ،
ودعوا الى الدلم والمدل ،

كان يصل إلينا قليل من أخبار الاستبداد ، ووقائع القتل والافساد ،
وبعد وفاة الاستاذ الامام صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا نبجسه
فيه الى مجالسة اخواننا الثمانين المقيمين في القاهرة فازدأ علما بسوء

الحال ، وخطر المال ، فأسسنا جمعية الشورى العثمانية لاجل جمع كلمة
العثمانيين ، على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ، علمنا بأن جمعية
الاتحاد والترقي خاصة بالمسلمين ، وأن العثمانيين ما داموا مشرقين شيعة ،
ومتقطعين مثلاً وأحماً ، فحكمهم هي السفلى ، وكلمة الاستبداد هي العليا ،
فأنلفت الجمعية من المسلمين صرهم وتركهم وألباهم واكرادهم ، ومن
النصارى عربهم وزومهم وأدمنهم ، ودعي إليها بعض اليهود ولكن لم يكن
في مجلس ادارتها أحد منهم ، وقد انتخب هذا الماجن (صاحب هذه المجلة)
رئيساً لمجلس ادارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية وكانت ترسل جريدتها
ومشوراتها السرية ، الى الروماني والناطول بل والاستانة العلية ،

اهتم الساطن بهذه الجمعية حتى هجر النوم مضجعه ثلاث ليال ، كما
علمنا من رواية المارفين الثقات ، فقد كان - وأقر الله بالدستور عنه ،
ولا سهد في عهد الحرية جفنه - كثيراً ما يشارك أحرار أمته في أرتهم ،
ويساهمهم في قلقهم ، وإن كانا في هذا الامر ، كضيف عمرو وعمرهوا ،
وصار للجمعية لسان صدق عند جميع أحرار العثمانيين ، فكانت مبدأ
ما كان من وحدتهم بمدحهم ، وقدم أحمد رضا بك من باريس الى مصر
فرغب اليها ان نضم جفيتها الى جمعية الاتحاد والترقي فأبى مجلس الادارة
فلك عليه ، وكان مما قلته له ان تصدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد
لا يمد تفرقا ولا يحدث ضغفا ، واتنا نرى انه لا نجاح للعثمانيين الا باتفاق
عناصرهم على المطالبة بالدستور ، قال ان قانون جفيتنا لا يمنع قبول غير
المسلمين فيها ، قلت نعم واتنا لا نشكو من القانون ولكن من عدم تنفيذه
فما قانونكم - وليس في جفيتكم رومي ولا أرمني ولا سوري نصراني - الا

كقوانين السلطنة « جبر على ورق » ولو قد سلطان قوانين الدولة على
 علامتها لما طالبناه بمجلس المبعوثان لاشراك الامة معه في الاحكام
 هذا ملخص تاريخنا السياسي في السنين الخالية : سالتنا السياسة
 مساووت ووائت ، وأسلسنا لها جمعت وتفتحت ، وكناهم بها في بعض
 الاحيان ، فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام ، ولم نل منها ما نعواده الا بعد
 ان اصطفاه الله ، وليس للمناظر حظ في السياسة العملية ، وإنما هم أنس
 يكون حرا فيما فرض عليه من الخدمة المليّة ، واذا كان (كسائر الصحف)
 قد أمن على حريته واستقلاله من استبداد الدولة ، فقد بقي عليه أن يجاهد
 مع غيره استبداد الامة . فان في الامة أعداء للحرية والاستقلال ، في
 العلوم والافكار والاعمال ، يحبون ان تكون الصحف كما يرون لا كما
 يرى أصحابها ، وان ينشر فيها ما يعتمدون لا ما يعتمد كتابها ، وما كتاب
 الصحف الا مملون ومرشدون ، وهل يعلم الاستاذ تلاميذه ما يعلمون
 ويرى المرشد مريديه كما يريدون ؟! وقد جرى على هذا كثير من أصحاب
 الصحف المصرية وما كانوا مصلحين ، ويجري عليه الآن بعض أصحاب
 الصحف العثمانية وما هم عثمانيون ، وسيدى المناظر على صراطه لا يالي بالخالفين ،
 نعم ان المناظر يستقبل جهادا جديدا في البلاد العثمانية ، وقد فرغ من مثله
 فيما عداها من مصر وسائر البلاد الاسلامية ، فأكثر المسلمين العثمانيين ،
 لم يأنفوا حرية البحث في السياسة والعلم والدين ، ينظر اغلب الباحثين
 الى القائلين دون الاقوال ، وينصرون للتقليد على الاستقلال ، ولكن
 يوجد في كل بلد أفراد سلمت فطرتهم ، وانفارت إلهق بصيرتهم ،
 يشعرون بشدة الحاجة الى اصلاح حالنا الاجتماعية والدينية ، ويعلمون

انه يوقف على استقلال الفكر والحرية ، وان هؤلاء على قلمهم ، لينبون أولئك على كثرتهم ، وسيرزون لهم بعد استقرار الدستور مجادلين لا مجالدين ، يتلون (٢ : ٧٤٩) من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فهذه الفئة هي التي يشد المناد أزرها ويشد بها أزرها ، وينصرها في جهادها ويتقاضاها نصره ، ٧٧ : ٤٠ وليتضرع الله من نصره ان الله لتؤي عزير *

سيقول الصفهاء من الناس ، وأهل الارجاف والوسواس ، ان هذا المنار يدعو الى الفوضى في الدين ، يترك مذاهب الائمة المجتهدين ، وينصر مذهب الوهابية ، على مذهب السنة أي الحشوية ، ويبطل القول بالكرامات ، بأنحائه على الدجل والخرافات ، وحجة انصار المنار على هؤلاء ، ومن يقلدهم من الدهماء ، الذي ثبت انه يجرى الحق والصواب ، ولا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، دون التعصب لمذهب على مذهب ، هي قبوله انتقاد المتقدمين ، في مسائل الدنيا والدين ، اذا أبدت الاولى بالعلم والعقل ، والثانية بما صح من النقل ، مع التزام النزاهة والآداب ، واجتباب الحشو والاطناب ، فن زعم ان في المنار باطلا فليكتب اليه ، دون أن يمعي الله بغيته والطمع عليه ، ولحق السلطان على الباطل (٢١ : ١٨) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ١٣ : ١٩ فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)
منشئ المنار وعمره

محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ خطاب صاحب المنار ﴾

على طلاب الكلية الأمريكية المسلمين في بيروت

أيها الأخوة الكرام:

أنكم أنتم محل رجاء البلاد بترقيتكم وما تملكون من العلوم المالية لتلك أحسب في هذا الوقت القصير أن أذكركم بما ينبغي لطالب العلم أن يكون عليه ليتحقق رسالته فيه أن العلوم تطلب لفرضين صحيحين : أحدهما تكميل النفس وترقية العقل وثانيهما العمل بالعلم والعمل به مسلحاً أحدهما جعله حرة ومستقلة للعامل والآخـر جعله وسيلة لترقية الأمة وعلـاء شأنها ويمكن الجمع بينهما

الفرض الأول لا بد منه لكل عاقل وهو العون الأكبر على الفرض الثاني فإن من استثار عقله بالعلوم وصار صحيح الحكم فيها تعاونته ويكون جديراً بالاحسان في العمل والاتقان للصنع فيجب إذاً أن يكون هو أول شيء تنوجه إليه همته وقظم فيه رغبتكم يظن بعض ضفراء العقول وصغار النفوس أن طلب العلم لأجل ترقية شأن الأمة به ينافي ما أودع في الفرائض من كون منفعة الإنسان لنفسه هي العلة الغائية لكل عمل من أعماله وإن من توجه إلى ذلك وجعله همه من حياته تفوته مصالحه ومنافعه التي لا بد له منها تلك خديعة الطبع اللئيم ووسوسة شيطان الخسة والصغار لصغارهم فقد رأينا بأعيننا وسمعنا وروينا عن التاريخ أن الذين يقفون حياتهم على خضعة أممهم لا يوزهم الطعام واللباس اللائق بهم بل كانوا يفضلون عيشتهم على كل عيشة سواها فالمهم من الكرامة ورفعة الذكـر أن لم يكن في بداية أمرهم ففي نهايته

إن من يسلك في طلب العلوم مسلك الاحتراف ويكون قصده منه أن يجعله دكاناً يجر به أو مستاناً يستقله ليعيش منه لا يرتفع به إلى ما هو أعلى من هذا القصد فإن قيمته في الوجود لا تعاونه فيه من اصحاب الحرف والصناعات العملية كالنجارة والحداذة والزراعة . لا أقول أن هؤلاء لا قيمة لهم وكيف أقول ذلك وأعمالهم لا بد منها للمجتمع الإنساني وإنما أقول أن هؤلاء هم أهل الطبقات الدنيا من الناس الذين لم يرقوا في افق الإنسانية ويسهل على طلاب العلوم لأجل الكسب والاحتراف

ان يكونوا في افق اعلى من افقهم بان يوجهوا نفوسهم الى اعلا شأن الامة بكسبهم واعمالهم ايها الاخوة : ان استعداد البشر للكمال لاحد له يعرف ، ولا طرف له يوقف عنده ، وان الانسان قد فطر على طلب الكمال فلا يصل الى شيء منه الا ويطلب ما فوقه ، وان افراده يتفاوتون في ذلك تفاوتاً لا نظير له في غيره من المخلوقات فبهم من يكون وجوده بقدر عيط جسمه لا يكاد يهيمه شيء وراء توفيقه مطالبه كيمض الحيوانات الدنيا ومنهم من يتسع وجوده حتى يملأ بلداً كبيراً أو مملكة عظيمة ، وربما عملوا ببعض الناس هتهم الى جعل وجودهم المنوي سارياً في أمم كبرى ماثلت للارض التي يعيش فيها الانسان . ولا تكلم فيهم الا انسان ولستشتم الله لاهل رداء ذلك من عالم الغيب اذا كان فضل الانسان وسعة وجوده الانساني على قدر نفسه بطله وعمله فلا شك ان من تتوجه نفسه الى فتح جميع البشر يكون افضل واكمل ممن لا يتوجه الا الى ضم أمة واحدة أو شعب واحد ولكن كيف يتأق للفرد من الناس ان يخدم امما كثيرة ؟ الجواب عن هذا السؤال يعرف من القاعدة المحقولة التي جاء بها الحديث النبوي وسجى عليها الشرع الاسلامي وهي « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول : الاقرب فالأقرب » وقد قال قهواؤنا ان من وجد من القوت زيادة عن كفايته قدمه للاقرب اليه من ولد وزوج الخ فان وجد فضلاً افق منه على غير الاقربين من ذوي الحاجات حتى قالوا انه يجب على المسلم ان ينفق على المضطر من غير المسلمين ما لم يكن محارباً لنا وانه يقدم الجار على غيره فربه افعلى هذا يجب علينا ان نبداً بنشر العلم والقيام بالأعمال النافعة في امتنا ومملكتنا وان يقدم أهل كل بلدة خدمة بلدهم الذي يقيمون فيه على غيره من بلادهم ثم يفيض بعد ذلك من علومنا وأعمالنا النافعة على غيرنا من الامم على الوجه الذي سبقتنا اليه الامم الحية في هذا العصر وامامكم العبرة في المدرسة التي تعلمون فيها

أليس منشؤ هذه المدرسة يقصدون بها جعل العلم الذي ينفع الناس وسيلة لنشر لغتهم و بث تعاليم مذهبهم الديني في نفوس من يملكونهم ؟ بل وان في عالم هذه العبرة لنا يجب علينا ان نعتبر بها وان نرفع انفسنا لتكون أولى بهذه المنفعة منهم

يجب عليكم ان تتعاونوا وتعضموا بهوة الاجتماع وانكم بما تفقون كيدوا و احراجا لتسندوا وتشكروا جادة الاعتدال في استمساكم بدينكم وحرصكم على الاجتماع والتعاون

(المآزج ١) (٣) (المجلد الثاني عشر)

فيجب ان تنسج صدوركم جميع ما تبتكرون من معاملة من معكم وان تقابلوهم بالادب في القول والفعل لان الادب من الفضيلة وهي مطلوبة لذاتها ولئلا يكون علم عليكم حجة بعد ان ثبتت لكم الحجة عند دولتكم ودولتهم

انكم لم تصعدوا بما كان منكم الا ارضا ضايركم والمطابقة بين عقائدكم واعمالكم فحسبكم ان يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب. وانني ارجوكم عن قصد العناد لروايتكم واستائدتكم او الجحوش للاستعلاء بالفخر لذاته

وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو مفردين في حجر اتيكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على ارض حديدة المدوسة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم « جعلت لي الارض مسجدا وتربها طهورا »

انكم ثم بواجبي ديني سلمي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماح تعاليم دين غير دينكم فليكن بهذا الفصل الايجابي الذي هو عماد الدين « واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »

﴿ المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية ﴾

المدسة الكلية الامريكانية

المدسة الكلية الأمريكية في بيروت كسائر مدارس الجمعيات النصرانية في الشرق غرض مؤسسيها منها جعل العلم وسيلة الى الدين، وبعضها غرض سياسي ايضا فهي طريق من طرق الدعوة الى مذاهب مؤسسيها في دينهم. ولهم وسائل أخرى كالمستشفيات والمكتبات وحجرات القراءة يشرون فيها دعوتهم، وينشرون بها مذهبهم، الا أن المدارس الأمريكية أحسن من غيرها تعلما وأعلى تأديا وأشد استقلالا وأقل تمسكا على الخافقين في الدين والسياسة، اذ ليس لأمریکا مطامع سياسية في هذه البلاد ولكن قد تويد هذه المدارس سياسة أكثرنا

إن عقلاء المسلمين يقدرون غير مؤسسي هذه الجمعيات الدينية حق قدرها ويرفون مقدار المستخدمين فيها لتشر دينهم والتوسل اليه بالوسائل النافعة للناس في أجسامهم وعقولهم، ويتمنون لو يوجد في أمتهم الاسلامية اسخياء اجواد يذبلون المال لتشر الاسلام مع العلم النافع الذي هو أساس بنيانه، والعمل الصالح (كالمستشفيات) الذي هو أقوى أركانه،

وان عامة المسلمين يشعرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويطعون بما فيها من الضرر لآ ولادهم في الدين ، فاعلم يقتضي الإقبال عليها ، والخوف على عقائد النشء الجديد يمنع من الثقة بها ، والجهور يخشون في الترجيح بين المانم والمنقضي

فمنهم من يرجح المنقضي من غير تفكير في عواقب المانم لأن الشعور بالحاجة الى العلم قد استحوذت على فكره ، حتى حال بينه وبين سلطان قلبه ، ومن يرجحه لاحتماده ان المسلم لا يكون نصرانيا لأن الدين قد سار على سنة الارتقاء تبعاً لاستعداد البشر فكان الاسلام متعياً ارتقاؤه وهو الدين المعروف تاريخه ، المتواركاته ، المحفوظ سند سته ، ومن وصل الى الدرجة العليا في شيء لا يرضى لنفسه ان يهبط الى مادونها ، ولذلك ينذل دعاة النصرانية الألوف المكررة من الدنانير في دعوة المسلمين الى دينهم بالاساليب الحكيمة وبفضول السنين الكثيرة في البلد من بلادهم ولا ينجحون باستمالة رجل واحد وإرجاعه عن الاسلام ، وان كانوا يوهمون جمعياتهم التي تقدمهم بالمال فيكتبون اليها في كل عام انه قد تنصر في هذه السنة على أيدينا فلان وفلان ، ويذكرون اسماء سموها بأقلامهم لم يعرف مسمياتها الزمان ، ولكن الاسلام يجذب الى رحابه الفسيح في كل سنة ألوفاً من الناس بغير دعوة ولا رغب كترغب دعاة الانكليز والامريكان ، ولا يرهيب كترهب دعاة الروس في بلادهم

فمن ربما يهدف الفقر في كل حقبة من الزمن برجل من المسلمين جنسية لا حقيقة فيلقه في ، احاً من ملاجئهم أو فناء من أفتيتهم فيسهل له العوز اتصال اسم من اسمائهم ، أو لقب من ألقابهم وربما أغراه المال بأن يكون داعياً من دعايتهم ، كالفصل د أوميا الحزين ، الذي استجاب لورقيتهم بمصر ثم فضحهم وهو يشتر لم في الجزائر ، اذ كتب مقالات في المؤيد يتن فيها انهم يتعرون في كل بلد اسلامي بحاج دعوتهم في غيره ، ويدعون في قمارهم التي يرسلونها الى جمعياتهم انهم ناجحون في كل بلد ، والغالب فيمن ينجح لهم ان يعود الى الاسلام ولو بعد حين

وقال السيد جمال الدين الافغاني في بيان سبب إخفاق دعوة البشرين بين مسلمي الهند : ان المسلم لا يمكن ان يكون نصرانيا لأن الاسلام نصرانية وزيادة

فإنه يقرر الإيمان ببسبي وبما جاء به من عند الله تعالى دون ما زاده التلو على ذلك
 ويزيد على ذلك الإيمان بمحمد (عليهما الصلاة والسلام) وبما جاء به مصداقاً قبله.
 وحديثي شاكرك الذي كان رئيساً للجزء بطرابلس الشام من بضع عشرة
 سنة انه كان في بلدة ليس فيها مدرسة للبنات الأجنبية للرايات فوضع بنته فيها قرأتها
 أما يوماً ترسم شكل الصليب على وجهها أو صدرها فوجئت وامتنعت، وشكت
 وبكت، وقالت لا بد من إخراجها من هذه المدرسة. قال فهوت عليها الأم وركبت
 أقول لها: جنم ان ابن المسلم لا يكون نصرانياً أبداً ولم أقبل توسلها الي بإخراجها وقد
 تملت حتى أتت قلبها عند الرايات وهي الآن تقرأ القرآن الشريف وتصلي
 ونصوم ولم يضرها حرص الرايات على تصيرها

هنا ما يراه بعض الذين يطمون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية. ومنهم من
 يرجح المانع على المقتضي كاهو المقتصد في المسألة عند أهل الأصول كما أشار الى ذلك الشاعر

بقوله قالوا فلان عالم فاضل فأكرموه مثلاً يرتقي

قلت لا لم يكن عاملاً فعارض المانع والمقتضي

ومبلغ حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تخطر على المسلم المتمكن في دينه
 ان يدخل مع النصارى وغيرهم من المخالفين لنا في أصل الدين مما يهدم بهيتهم
 الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم
 صار مرتداً وان بقي متميزاً عنهم بحيث لا يشبه بهم لا يكون مرتداً الا اذا قال أو
 فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة. ويقولون ان
 من اخطأ على دين غير المتمكنين في دينهم كالأولاد الذين يوضعون في هذه
 المدارس ان يسمح لهم بهذه الأعمال التي يغلب ان تكون عندنا ككثرة ورادة
 وأهمونها ان تكون مصيبة فإذا علق النوع الأول في ذهن التلميذ متاومات قبل ان
 يصحح اعتقاده بمعاشره المسلمين العاقلين أو مراجعة العلماء الراسخين مات مرتداً
 لا نره ولا نعامله معاملة موتانا اذا كنا عالمين بحاله واذا مات أبوه أو أمه أو غيرها
 من الأقربين في حياته لا يرث هو منهم شيئاً. ويقولون أيضاً ان بعض قهاتنا
 صرح بأن الرضى بالكفر كفر فإذا رضىنا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضاً

(المارچ ۱۶) الكلية الامريكانية . إلزامها المسلمين بدخول الكنيسة ٢١

وهذا الذي يخوفونه على دينهم ليس بعيد عن مدارس الكاثوليك والأرثوذكس ولا سيما مدارس الجزويت كما أننا من معاذير كثيرة نصل الى درجة التواتر المنوي من انهم يلزمون أولاد المسلمين بجميع تعاليمهم الدينية حتى تعظم الصور والتماثيل والاستغاثاة بالقدسين وذلك في حكم الاسلام شرك فنحنأهنا على النصرانية بعد المسيح عليه السلام وحواريه عليهم الرضوان بصفة قرون . وان كان القرآن لا يدخلهم في لقب المشركين ولا نحن نخطبهم بل انهم يتبرؤن منه ويتأذون به وإلذاؤهم محرم علينا سواء كانوا ذميين أو مباحدين وقد بينا ذلك في المرات أكثر من مرة . أما ما ذكرناه في هذا المقال فيان لا يستفاد المتساهلون وغير المتساهلين منا نرجو ان يكون سبباً لحسن التفاهم بيننا وبين القتلاء المستلدين منهم كعمدة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت قد قلنا في أول المقال ان مدارس الامريكان أقل تعصبا على المخالفين وقد جرى بيني وبين أحد أساتذة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت حديث في الخلاف الذي جرى بين تلاميذ المسلمين وعمدة المدرسة على دخول الكنيسة لسماع الوعظ الديني اذ اعتم التلاميذ من الدخول بعد ما صارت الحكومة اللبنانية دستورية حرة وأصرت المدرسة على إلزامهم أحد الأمرين إما الاستمرار على دخول الكنيسة كما كان الأمر على عهد الحكومة الاستبدادية وإما الخروج من المدرسة وترك العلم فيها ، فاجتمعوا وقاسموا لثنتين على رأينا : لا ندخل ولا نخرج . حتى رفع الأمر الى الاساتذة وبعد مراجعة حكومتنا هناك لسفير الولايات المتحدة قرر وضعها مابسته فظاهرة الداخلية لوالي بيروت وهو انه لا يلزم المسلمون دخول الكنيسة بل يجب ان يبنى لهم مسجد يصلون فيه . وان السفير بلغ مقصد (قصل) حكومته في بيروت ذلك ليلته المدرسة الكلية . وقد كان الحديث بيني وبين ذلك الأستاذ قبل ورود هذا البلاغ من الاساتذة وحضره جماعة من فضلاء النصارى

قال الأستاذ ما معناه : ان المدرسة الكلية لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقرها بعض مذاهب النصرانية ولا تعلم في أديانهم ولا مذاهبهم التي يخالف مذاهب مومسيها وأما فقي عليهم مواظبة عامة تتفق مع كل دين وان كانت من الكتاب المقدس لأجل ان قمرس في قمرسهم قوى الله وحبه القضية

وتبذلهم عن الابداد والتعطيل فان المؤمنين لما من أهل الدين والحفاظة عليه
أهم مقاصدهم . وان المكان الذي تقف فيه المواظف الدينية ليس كنيسته مؤسسة
لأجل العبادة بل هو مكان تقف فيه انما طلب العلم والادوية وغيرها وعرف
اللسان فيه بالآلات الموسيقية . (قال) فهل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين
دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟

قلت ان المسلمين فريقان منهم من يأخذ بالدليل ومنهم من يتبع قهبا مذهبهم والمشهور
عن قهبا المذاهب التي عليها هؤلاء التلاميذ ان الدخول الى مآب المحققين لنا في الدين
ومشاركتهم فيها هو خاص بهم من أمور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرم وإما كفر
في تفصيل لم في ذلك فلهل تلاميذك يعتقدون ان دخول المكان الذي ذكرته
من هذا القبيل وحينئذ يجب احترام اعتقادهم وان كان لا يقوم دليل في الاسلام على
تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس مبدءا دينيا ولا يقف فيه شيء مخالف للاسلام
(ثم قلت) ان احترام النظام في المدارس والبيوت وكل مكان ركن عظيم
من اركان التربية ومن لم يترب على احترام النظام والتزامه لا يكون رجلا عظيما
نافعا لأمته ووطنه . ولكن احترام الاعتقاد والضمير أقدس وأعلى من احترام النظام
فان من لا يحترم اعتقاد نفسه يكون منافقا لا يوثق به في شيء من الاشياء . وان
أكراه التليذ على ذلك أشد إفسادا لأخلاقه من كل ما يخطر في البال انه يفسد
الأخلاق اذ لا يرجى ممن لا يحترم اعتقاده ان يحترم أسرته ولا أمته فضلا عن
احترامه لمن لا يتصل به في وشيجة رسم ولا مصلحة وطن

(قلت) اتني اذا رأيت إنسانا يعتقد بأن هذه البلاطة من الرخام (واشرت الى
بلاطة في الأرض) تنفع وتضر ورأته يعبدها ويحترمها فأتني لا أجزع لنفسي أن
أكراهه على دوسها والوطأ عليها ولأن أمره بذلك الا بعد أن أقنه بطلان اعتقاده
فيها . وقد وقع لي واقعة في ذلك : وهي ان رجلا أخبرني بأن خصامي في محاكمة شرعية
حمله كتابا الى آخر وسائل ماذا يفعل فيه وأنا اعلم انه يطعنني في كل ما أمره به وان في
الكتاب حجة لي على خصمي تصلح فصلا للنزاع وتوفر عليّ وقتا طويلا ونفقة كثيرة ولو
شئت لأخذت الكتاب فان حامله لا يخالف أمري ومع هذا لم استعمل أن أمره بالحياة

ولما حدث مشكلة القضاء الشرعي بمصر من زهاء عشر سنين وعزم الانكليز على إلزام الخديو بعزل القاضي المولى من السلطان وتولية قاضٍ مصري مكانه كره الخديو ذلك ولكنه لم يمتد إلى المخرج منه فطلب أن يجيء الأستاذ الأمام من القاهرة إلى الاسكندرية (وكان الخديو في مصطافه فيها) فجاء (رحمه الله) ليلا وقابل الأمير في الصباح فقال له انني طلبتك لسان البرق لاستشيرك في مشكلة القاضي وبعد خروجك من هنا سيدخل لورد كرومر لأجل ان يكتلني في وجوب عزل جمال الدين أفندي وتولية احد علماء مصر منصب قضاء مصر الشرعي وسيجتمع بعد ذهابه مجلس النظارة لتقرير ذلك فهاذا أدفع اللورد بحسب رأيك فقال الأستاذ ان الانكليز من أشد خلق الله احتراما لحرية الضمير والاعتقاد حتى انهم ربما ذكروا ذلك في قوانينهم فانهم لما وضعوا قانون التلقيح للوقاية من الجدري كان من مواده انه يجبر عليه كل أحد الا من يقول إن ضميره لا يبيح ذلك . فاذا كنتم تعتقدون ان تولية القاضي من حقوق السلطان وانه لا يجوز لكم ان تعينوا القاضي من قبلكم فيكنفي في إقناع اللورد بالرجوع عن طلبه ان يقول له افنديا ان ضميري لا يسمح لي بذلك لأنني اعتقد ان هذا حق السلطان وحده . فمضى سمح هذا الجواب يذعن له ولا يمكن لئول لورد كرومر في تريته الانكليزية العالية ان يقول لكم خالفوا ضميركم وقد كان الامر كما قال الأستاذ وبذلك انحلت المشكلة بعد ان كان عزل قاضي السلطان قد صار في الأمر المقضي الذي لا مراجعة فيه حتى ان جمال الدين أفندي باع داره ونشأ للسفر من مصر الى الاسكندرية هذا ما أجبت به احدا سائدا المدرسة الكلية وقد استعسسه من سمعوا واعتبروا بأن من افساد الاخلاق ان يؤمر الانسان بفعل ما يعتقد انه قبيح او محرم عليه ، ثم جاني بعض تلاميذ الكلية من المسلمين وسألوني عن رأيي في سألهم وسألهم عن سببها وعلتها فاستفدت من المراجعة ما يأتي

- (١) ان التلاميذ يلزمون الدخول كل يوم الكنيسة (Chapel) والمكث وربع او ثلث ساعة لسماع نبذة من العهد الجديد او العهد القديم يتحم بالدعاء الذي يهرون عنه بالصلاة ، وكل يوم احد ثلاث مرات يمشون كل مرة زهاء ساعة ونصف (٢) انه يوجد في المدرسة جمعية ارمينية لتلاميذ الأرمن وجمعية يونانية

اليونانيين وجمعية للمصريين من المسلمين والنصارى وجمعية مسيحية تسمى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية لليهود

(٣) طلب التلاميذ المسلمون إنشاء جمعية إسلامية تبحث في ترقى المسلمين مع عدم الخوض في السياسة فرفض عليهم

(٤) طلبوا ان يهتموا بآلة المواصلات لئلا يفتقر في سبب الاحتفال في مثل ذلك اليوم وما يفسد فيه فنصروا . فهذا هو السبب لتألب المسلمين . وذكري عجلوات شاذة في الوطن في الاسلام نصريها او تلويحها سقطت من بعض رجال المدرسة الأمريكانين حاجت النفوس وأعدتها للحركة التي ظهرت بعد ذلك عند ما جاء وقتها ولا نذكرها في هذا المقال لانها ليست من نظام المدرسة ولا من اعمالها المطردة بعد هذا كله نقول ان مؤسسي المدرسة بأموالهم ومديري شؤونها والمعلمين فيها كلهم من أهل الفضل والخير والطم بطائع الأمم واخلق البشر وأحوال الاجتماع فهم يعلمون ان الظلم (ومنه منع المسلمين من الاجتماع كاليهود بكلمة النصارى) ينتج في المستقبل ضد مايراد منه في الحال ، وان الأمم لا ترهق في زمن الدستور والحرية ، بما كانت ترهقه في زمن الاستبداد والعبودية ، فكان عليهم ان يتذكروا هذا فيلنوا ويشابهوا مع التلاميذ المسلمين عند امتناعهم عن دخول الكنيسة ثم يستلزم إلى احترام المدرسة بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم من الملل والشعوب في تأليف الجمعيات بأن يأذنوا لهم بتأليف جمعية إسلامية فان الرئيس الذي لا يميل لا يطاق بالاحترام ، وكيف يطالب بالنظام من يتعصب ويحايي في النظام ، ثم يجعلون تلك المواظبة خالية مما يخالف الاسلام ويأرضه ويقنعون أولئك التلاميذ بأن حضورهم بهذه الصفة لا يضره الاسلام فيكون فاقا — وما أسهل ذلك عليهم اذا جازوه من إياه ان جميع من في المدرسة الكلية من الرؤساء والمعلمين يعلمون أن مايلقى فيها من المواظبة عادة لا يرد المسلم من الاسلام الى النصرانية ولكنه لا يخلو من نوع من الآلة والمودة وقريب الطوائف بعضها من بعض ، وهذا المقصد العالي الذي يسعى اليه الحكماء الذين يهتمون بالإنسانية خدمة خالصة من شوائب السياسة والطمع . فاذا كان رؤساء المدرسة يرمون الى هذا الغرض فليعلم ان يتذكروا ان الرمي اليه

(المارج ١ م ١٢) كلية الأمر يمكن . كيف نُحل مشكل الاعتصاب ٢٥

من قوس العزة والإذلال ، والإكراه والإذلال ، هو الذي يعلّش سببه ، ويغضي الى ضد ما يراد منه وأن الحب لا يكون بالعتصب ، وإنما العجب داهية الحب ، بلقي أنهم يقولون ان المدرسة مسيحية انشأت بالالمسيحيين لأجل بث الدين المسيحي فن لم يرض بدخول الكنيسة وتلقي التعليم المسيحي فيها فلا يدخل مدرستها وهذا القول على مخالفته لضموى ما سمعته من أحد معلمي المدرسة يمكن ان يقوله بعض رؤساء المدرسة احتجاجا واتصافا لأنفسهم وما أظن ان جميع أولي الشأن في المدرسة يرضون بأن يكون فصل الخطاب في السألة حرمان المسلمين من المدرسة أو إختصاصهم لما سبق بيانه من العمالة التي تنفر القلوب وتودث العداوة والبغضاء والعصب النعيب

وصفوة الكلام في هذا المقام أنه يتمرد على المدرسة الآن الزام من فيا من المسلمين ما ذكروا بعد ما اجتمعوا وقاسموا واتفقت حكومة الاسانة مع سفارة الولايات المتحدة على عدم جواز ذلك . وان أمامها في السنة الآتية أحد امرين : إما التساهل والتسامح في قبول التلاميذ المسلمين لتأليف النفوس وجذب القلوب بمضيا الى بعض والا كضاء من الخدمة الدينية بهذا المقدار مع رقية القول بالسلم والنفوس بالترية الادوية الاجتماعية ، وإما عدم قبول المسلمين في مدرستهم وهم أحرار يختارون في ذلك

فان اختاروا الأمر الأول حدم المسلمون وحملتهم الإنسانية وكانوا أقرب الى مقصد الدين الحقيقي الذي لاخلاف فيه بين المسيحية والاسلامية وهي خير البشر وتألفهم ، وان اختاروا الأمر الثاني فانهم يطمون المسلمين درسا جديدا قد يضرهم ويضر من يبش معهم من جهة تباعد القلوب وقوة العصب الذي يشكو منه محبو التأليف والتوفيق ولكنه ينعهم من جهة أخرى بما ينمض من همهم ويرفع من نفوسهم ويدفعها الى الاعتماد على ذاتها ومباراتهم في تأليف الجماعات الدينية لإ إنشاء أمثال هذه المدارس لأنفسهم

سيقولون ان المسلمين لا يستطيعون الآن إنشاء مدارس كالمدرسة الكلية بل

كثيرا ما قالوا . ولكن هذا القول لاحجة له الا ما يهدون من بخل اغنياء المسلمين بالمال في سبيل العلم والدين . وهذا عرض لا يسوم فيها نحن اولاء نرى اخواننا المصريين قد بدأوا يذبلون الالوف من الدنانير لا لنشاء المدارس وقد سبقهم الى ذلك مسلمو الهند ومسلمو روسيا . وقد دبت الحياة في المملكة العثمانية فيرجى ان تسبق غيرها في هذا المضمار لمكانتها العالية من سائر بلاد المسلمين

ان مسلمي العثمانيين لا بد ان يشعروا في هذا العصر من عقالمهم ويطلبوا ان التعليم الاجنبي الخفض منها عظم نفعه لا يؤمن ضرره ، فانه ان خلا من الطعن في الاسلام أو تفضيل غيره عليه فانه لا يخلو من اضماف للمعاطفة الملية ، وحل للرابطة القومية ، فانه يحول مجاري الفكر في العلوم ومهاب أهواء النفوس في الاخلاق والآداب الى جهة المعلمين والمربين من الاجانب فيجعل عقولنا تبثنا وقلوبها ملكا لهم أو وقفنا عليهم أو مجذوبة اليهم أو منفصلة عنهم على غير ما وبذلك ينقص من مقومات أممتنا ومن احترامها في نفوسنا تبثنا بمقدار ما يزيد في نفوسها من عظمتهم فلا نطمع في مجاراتهم ومباراتهم ، فضلا عن مساقتهم ومقاومتهم ، بل نكون دائما عيالا عليهم . ناهيك بما في العلوم من الشبهات على الدين التي يسهل دفعها عن الاسلام لو كان المعلمون عارفين بحقيقتها ، وارين عين شريفة

فهذه العلوم التي تؤخذ من هذه المدارس لا تكون حياة حقيقية لأمتنا الا بعد ان يصير زمام التعليم والثرية في أيدينا . فيجب على تلاميذنا في المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت وعلى امثالهم في غيرها ان يهدوا انفسهم ليكونوا عوننا لناعلي ذلك باقتان اساليب التعليم ونقل العلوم الى لغتنا ، وسيرون من الامة نهضة مباركة في إمدادهم بالمال ، وان لا يكرهوا ما يرون من هضم حقوقهم وعدم مساواتهم برفاقهم من ابناء الملل الاخرى فان هذه المعاملة هي التي تحرك غيرتهم وتجمع كلمتهم فليقبلوها بسعة الصدر ، وإطالة الفكر وحسن المعاملة وكثرة الجمالة وطاعة النظام ، ولين الكلام ، والتواصي بالحق والصبر ، حتى تكون حجتهم هي الناهضة وعاقبتهم هي الحسني « وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

الإصلاح الأهم المقدم في السلطنة العثمانية

كثير حديث الناس في الحكومة العثمانية الجديدة وما ينتظر منها من الإصلاح بعد أن قضى أحرار الأمة وجيشها على الحكم الشخصي الاستبدادي ، وأدالوا منه حكم الشورى الدستوري ، وكثرت أقوال المبرزين في ذلك ، ولكننا نرى أكثر الحديث في الأمور المالية التي لا يكون إصلاحها إلا في السنين الطوال كالمالية والمعارف والحرية والبحرية والعديلة (الخفائية) والزراعة ، ولما نرى أحدا يذكر أهم المهمات الذي يجب تقديمه على كل شيء بلا استثناء ، ألا وهو تنظيم الشرطة (الضابطه والبوليس) لأجل حفظ الأمن العام وتنفيذ الشرع والقوانين بالعدل والمساواة أعلن الدستور وأعيد القانون الأساسي فصاح الصالحون بالناس في كل بلد أن يحتفلوا به واحتفلوا ، وقيل لهم اخطبوا واهتفوا وخطبوا واهتفوا ، وقام الأحرار والمستعدون للحرية في وجوه أعوان الاستبداد والعبودية ، فأنزلوا أناسا عن مراتبهم ، وعزلوا أفرادا من مناصبهم ، وأنفذوا آخرين بلا يحمل بهم ، وبشروا العامة بالخير القريب ، والعز الشديد ، والنعيم المقيم ، فذهبت النفوس في فهم ذلك مذاهب ، ووردت منه مشارب ، حتى فسره بعضهم بإباحة الحقوق وإلغاء الاتاوات والضرائب ، وقد انقسم الناس في فهم الدستور إلى أقسام ليس من غرضنا بيانها في هذه المقالة ، وإنما نقول إنه يوجد في البلاد العثمانية كثير من المستخدمين في الحكومة والذين عزلوا بعد الدستور أو استقالوا ومن أصحاب النفوذ والجاه — يقعون الحكومة الحاضرة ويخونون إلى الاستبداد السابق لا اعتقادهم أنه ينبغي مالهم ويوسع دائرة جاههم لأنهم يتبعون هوى رؤسائهم مهما كان فيه من خراب ذمتهم ودينهم وخراب بيوت معظم الأمة والقضاء الحاجل على الدولة . هؤلاء يؤسسون للعامة : ماذا استفدنا من الدستور والحرية ؟ كان يستبد بنا في البلد رجل واحد فصار يستبد بنا جميع الأشقياء ومثل

هذا الكلام بروج عند العامة التي تنتظر الراحة والسعادة من الحكومة الجديدة اذا لم تكذبه هذه الحكومة بالمثل في اقرب وقت

ماذا يجب على الحكومة قبل كل شيء ؟ الجواب عن هذا السؤال بديهي وهو ان الواجب قبل كل شيء حفظ الأمن العام والحرية الشخصية ولا يتم هذا على وجهه الا بتنظيم الشرطة (الضباط) ولذلك نرى الولاة والمتصرفين يتعلمون من كثرة الاعتداء بالضرب والقتل فاذا طوبوا بترية المجرمين يقولون اننا ننتظر التطبيلات الجديدة في اصلاح الشرطة من الامتانة في أول السنة المالية القادمة

هكذا قالوا لنا عندما تكلمنا معهم ورايناهم يطمون كما نطم ان من في البلاد من الشحنة والشرطة قد افسد اكثرهم حكم الاستبداد الماضي فصاروا اعوانا للاشقياء والمجرمين ، وقد اقترحنا عليهم ان يستبدلوا شرطة لواء بشرطة لواء آخر فاعتذروا عن ذلك بقلة الرواتب وقالوا ان من ينقل من بلد الى بلد يحتاج الى نفقات جديدة لا يفي بها راتبه ويزداد الرواتب في اول العام القابل فينتسر قتل هؤلاء الى بلاد لا صلة لهم بأشقيائنا ويكونون تحت مراقبة شديدة

هذا ما ينتظره والي الشام وجميع ولاه المملكة لأجل حفظ الأمن وحماية الحرية الشخصية ومحسبهم الجمهور غير مباين بما يقع حيناً بعد آخر من الجنايات والمظاهرات التي تنبئ بأحقار العامة للحكومة

ولاً أن الاجل المضروب للبدء بالإصلاح المطلوب قريب نخشينا ان يفضي إحمال الحكومة للعامة الى القوضى وان كان أكثر أهالي بلادنا لا يزالون على حظ عظيم من حب السلامة وحسن الاخلاق على ما أفسد الاستبداد من أخلاقهم ، فقد رأينا مثال ذلك في مصر قاتل الجنايات واهلاك الحرث والنسل في القطر المصري أشد وأكثر مما هو في القطر السوري على كون الحكومة المصرية أرقى من الحكومة النيبانية . والسبب في ذلك ما أعطته الحرية العامة من احتقار الحكومة والأمن من سطوتها الا ان تثبت تهمة على متهم في الحاكم مع جهل أكثر الأهالي وإفساد الاستبداد السابق لأخلاقهم ولا تزال الحكومة المصرية في حيرة من أمر

الأمن العام على كثرة مجتها وبحث أصحاب الجرائد وغيرهم من الكتاب وأهل الاختبار في وسائل ذلك منذ سنين

لو أخذ ولائنا بالحزم في أوائل العهد بإعلان الدستور وساعدهم جمعية الاتحاد والائتلاف التي أخذت يدها صولجان السلطة عدة أشهر لدى حكومة الاستانة بأمرها قصبوا على كل من يرتكب جريمة ويخطوا بمجازاته حتى بالقتل ان قتل لأزواجهم أنفسهم وأزواجهم الأئمة في الحال مما تشكوه والحكومة في المستقبل مما سوف تشكوه إذا كانت تريد ان تبقى على سياسة الرقة والطف (النزاهة) التي اتبعها منذ أعلن الدستور إلى اليوم وتعيد الحكم بظواهر أفتاظ القوانين

رأى زعماء سياسة الرقة والطف اننا قد أخذنا الدستور نطقا غير مألوف بالدم فيجب ان تنهي سفك الدم في دور الانقلاب ونداري المفسدين والمجرمين الى ان يستقر الدستور في نصابه وهو على نفاذته . ولكن هذا الرأي إنما يصح في بلاد يخشى فيها من الفتن والثورات الداخلية إذا فوجئ أهلها بما يكرهون كبلاد الحجاز لا في بر الشام الذي ليس فيه استعداد للثورة ولا خطر في بال أحد من أشقيائه انه يمكنه ان يقف في وجه الحكومة بنفسه أو بمصهبة اذا هي حاولت ان تسلط العدل على الأخذ بناصيته !!

ألا إن أكثر زعماء سياستنا ليجنون حال الأئمة في جميع الولايات ويولون عليها من الولاة والمتصرفين من لا يعرف لهم على حقيقة حالها حتى انني أحسب ان ناظم باشا لا يزال غير محيط علما بحال ولايتي بيروت وسورية على ذكائه واختباره لما في سني الاستبداد وشهور الدستور فما ظن القاري بأدم بك والي بيروت الجديد الذي كان عائشا في أوروبا فانتقل منها بعد الدستور الى الاستانة في بيروت ؟ ثم يمثل متصرف طرابلس جاويد بك ؟ وقد يز على هذا المتصرف وذلك الوالي ان يعرف حال البلاد وأهلها في زمن قريب لبلتين فيها : عدم التكلم بالعريية ، والعزلة ، فإنها يكادان لا يكلمان أحدا في غير أمور الحكومة الرسمية في دار الحكومة ، ومن كان هذا شأنه كيف يقف على حقيقة حال البلاد ، ومن لا يقف على حقيقة حالها كيف يوسعها على وجه الحكمة والعدل ؟ !!

يظن امثال هؤلاء أنه لا يطلب من والي او المتصرف الدستوري الا ان يكون حفيظا مستقيما مراعيًا في سيرته القوانين وقائما ان معرفة حال الناس الذين وضع القانون لاجل إصلاح شأنهم مقدمة على معرفة القانون والعرض على تفهيمه لان العدل في التنفيذ لا يكون الا بتطبيق المواد على الوقائع وهذا التطبيق يتوقف على معرفة حال المتلبسين بالوقائع التي تطبق عليها تلك المواد . وان وراء ذلك من الاجتهاد في حسن الادارة مالا تقني عنه القوانين وان فذت بالعدل

يتوهم بعض الولاة والمتصرفين أن للاشقياء الذين اشتدت جرائمهم في عهد الدستور عصابات تشد أزورهم وان الحكومة لا تقدر على تزييتهم الا بمقتضى تنظيم الشرطة وانها اذا حاولت الآن ان تقبض على المشهورين منهم أو تظلم الشراذم الذين صارتون عليها حدم وتحتفظ هيئتها في نفوسهم ثورون عليها ويقاومونها بقوة السلاح وان تركهم على ما هم عليه هو الواجب الآن عملا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين وهذا وهم باطل بالنسبة الى ولايتي بيروت وسورية فان هذه البلاد وان سادت حالها وكثر اختلالها في أواخر عهد الاستبداد فهي لم تصل في الشر والهمجية الى هذا الحد الذي قد يتوهمه بعض حكامها

هذا التوهم هو الذي كف أيدي الحكومة الجديدة عن تزييت الجرمين فامتدت ايديهم الى ما لم تكن تمتد اليه في عهد الاستبداد حتى صار القلاء يخشون ان يفضي احتقار الاشقياء للحكومة الى التوضي ، وهم لا ينفذون الولاة على إهمالهم ولا يعرفون سبب هذا الإهمال اذ لو عرفوه لاجتهدوا في إقناعهم بأن البلاد ليس فيها عصابات ذات قوة ولا جماعات سرية وان والي اذا شاء ان يقبض على مجرم وينفذ القانون على أي معتد فعل الا ان يفر الشقي الذي تأمر الحكومة بالقبض عليه قبل ان ته ل يدها اليه ، وأنه لا يوجد في مدن سورية كلها شقي فحده نفسه بأن يصعي على الحكومة مجررا ، او يضري الاهالي بمصائبها سرا ، على ان إقناع هذا والي بيروت لأجل حمله على القيام بعمل لحفظ الأمن قديمة من البعث فانه لا يتوجه الى عمل ما في ذلك إلا بعد ورود ما ينتظر من تنظيم الشرطة والشحنة في أول السنة المالية القادمة وما هي بغيره

يجب ان يعدّ الولاة ومن دونهم من رجال الادارة لهذا الإصلاح عدته فانه هو الإصلاح الذي يتوقف عليه كل إصلاح . يجب ان يستخرجوا من المحاكم أسماء المحكوم عليهم بالأعدام وما دونه من المقربات وينفذوا ذلك كله بمسعى الجهد والحزم ثم يمنحوا الاقتتات على الحكومة بالمظاهرات التي لا يبيحها القانون أو يطلب بها ما لا يبيحه القانون ومن أصرّ على غيّه يؤخذ منه بالعين .

ويجب على الاستانة ان لا تعيد الولاة بقبود كثيرة وان لا تجعلهم حبالا على نظارة الداخلية في كل شيء . ولا في أكثر الأشياء بل فيما لا بد منه ولا غنى عنه من الأمور الإجمالية . يجب ان يباح لرؤساء المحاكم من الولاة وغيرهم الاجتهاد في فهم القوانين وتنفيذها بالمشاورة كل فيما يختص به مع تشديد التبعية (المسئولية) عليهم وجعلهم تحت مراقبة المجالس العمومية التي يجب توسيع اختصاصها وكذا اختصاص مجالس الادارة . واذا أعيد التفتيش على الولايات يكون للأمة أربعة أنواع من الضمان الذي يحول دون استبداد الولاة ومن دونهم من رؤساء الادارة : مجالس الادارة في كل لواء ومركز وناحية ، والمجلس العمومي في الولاية ، والتفتيش ، وشدة التبعية يضاف إليها من قبل الأمة نفسها انتقادات الجرائد وما وراءه من إثارة سخط الرأي العام ، وكذا يقال في المحاكم مع ما يجب من استقلال القضاء وجعل المحاكم الشرعية المولفة من عدة أعضاء يحكم فيها بالاتفاق أو أكثر الآراء وإيجاد محاكم استئنافية شرعية في كل ولاية .

هذا ما عنّا ان نكتبه الآن ، ونقلب على ظننا ان حكومتنا تحتاج في تنظيم الشرطة والشحنة الى الاستعانة بالأجانب كما تحتاج الى ذلك في كثير من الأعمال فان الرجال القادرين على الإصلاح عندنا قليلون كما سيظهر بالعمل وندعو الله ان يوفق مجلس الأمة الى خير الإصلاح المنتظر

تبيين الجرائد السورية

الى الاعتبار بتاريخ الجرائد المصرية *

اذا كانت رؤية الاختلاف فتا من ادق الفنون وهو لا يبلغ درجة الكمال على
هناية العلماء والفلاسفة به فاذا قول في تربية الام ؟

يوجد الوف كثيرة من المريات والمربين في كل امة من الامم المتحدة ولكن
الذين يربون الامم قليلون في كل امة وكل زمان

ان للامم اطوارا كما ان للأفراد اطوارا ولا يحتاج المربي للأفراد في طور من
اطوارهم الى العلم الواسع والخبرة الدقيقة والناية العظيمة كطور الانتقال من المراهقة
الى البلوغ او من التقليد والالزام الى الرشد والاستقلال، وان المربي للامم يكون عند
انتقالها من حكم الاستبداد والعبودية الى حكم الشورى والحرية اخرج من مربي
الأفراد الى العلم والخبرة والبصيرة والحكمة

ان خطباء الامم والقائمين على تربيتها بالارشاد والتعليم وانتقاد الحاكمين والعاملين
هم اصحاب الجرائد ، وقد كانت الجرائد العثمانية في مآزق لا نستطيع فيه حراكا ،
فخرجت الى مجال فسيح وميدان واسع ، ولكن الجولان في هذا المجال والجري في هذا
الميدان لا ينبغي الا للفرسان المهرة ، فان الارض على رحبها غير مهيمة ، والطرق على
سعتها غير مصيدة ، فامام من يريد الجولان عواثر يخشى عليه من التردى فيها ، وخيبات
يصعب اقتحامها ، واعلام مشبهة لا يؤمن الضلال بينها

فنون الكلام في الجرائد كثيرة ، والانتقاد ادقها سلكا واصعبها مركبا واشدها على
النفوس وقها واكثرها ضررا وقعا ، فن وقائف الجرائد قد الحكم والاحكام ، وقد
العمل والاعمال ، وقد العلماء وكتب العلوم ، فالتشي : الا وهو معرض لتقديم ، فان احسن
كتّابها لقد كانوا خير العون على الاصلاح ، وان اسوا كانوا من عوامل الفساد
(*) نشرناها اولاً في جريدة «ابابيل» اليهودية وقلنا فيها جريدة الانتقاد العالي

والافساد ، لا سيما في مثل الطور الذي دخلت فيه الامة العثمانية الآن لا يعرف أحد كنه تأثير الجرائد في مثل هذا الطور كما يعرفه أهل البصرة الذين خبروا بأنفسهم أمة كان الاستبداد يسومها سوء العذاب ، فانتقلت الى الحرية فجأة ووجد فيها جرائد كثيرة «رخية العنان مطلقة من القيود ورأوا بأعينهم ما كان لها من التأثير في تلك الامة . وان هذا الوصف ليصدق على بعض العثمانيين الذين اقاموا في القطر المصري زمنا طويلا موجهين عنايتهم الى اكتناه احواله الاجتماعية فاذا اشتغل هؤلاء بالصحافة العثمانية وجونا ان يفيدوا الامة جميعا

لقد نعت الجرائد في مصر كثيرا واضرت كثيرا ، واذا كر على سبيل العبرة للجرائد السورية مثلا من نفعها ومثالا من ضررها :

ان للجرائد المصرية احسن الاثر في النهضة العلمية في القطر المصري حيث صار الموسرون يتبارون في دفع الوف من الجنبات لانشاء المدارس ، ويقفون عليها وعلى الجمعيات التي تقوم بادارتها الاواصي الواسعة ذات الربيع العظيم ، وقد كانت اشترك الجمعية الخيرية الاسلامية لا يخرج من كيس الفتي الكبير منهم الا تكديبا بد مطالبات كثيرة ، وما ذلك الا شترك الاجنبان أو اربعة جنبات في العام ا

لم يكن الحث على انشاء المدارس والدعوة الى الترية والتعليم غرضا خاصا بل يريده من تلك الجرائد ، ومذهبها ملتزما تدعو اليه وتجعلهم مدارا لنهضة الامة وسعادتها الا مجلة المثار التي صرح في فاتحة العدد الاول منها بهذه الكلمة : « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » ثم كنا نستطرد من كل موضوع يكتب فيها الى الحث على الترية والتعليم ولا أريد بهذا الاستثناء ان انيط بالثمار ما ذكرت من النهضة العلمية فادعي انه هو روحها الذي به حياتها ونماؤها ، بل لا أنكر ان الجرائد اليومية أعم تأثيرا منه في ذلك ، ناهيك بنشرها لاسماء المتبرعين بما قل أو أكثر مع الحمد والثناء ، ولو انها جعلت الدعوة الى ذلك مذهبها متبعها ، ورودا لكان النفع أعظم ، ولكن شغلها السياسة عن ذلك وهو أنفع لهم في سياستهم

فهل للجرائد العثمانية ان تعتبر بهذا فتجعل الدعوة الى الترية والتعليم ديدنها

والحث على التبرع لذلك وتأسيس الجمعيات لاجله مذهبا الذي توجه الى نشره
جل عنايتها ؟ فاذا كان للجرائد المصرية بمض العذر في جعل جل هها في السياسة
فان جرائد سورية لا نصيب لها من هذا العذر ، لا نه ليس في بلادها سلطان متعارضتان
احداها اجنية يدها الحل والمقد بالفعل ، والاخرى رسمية لها الاسم ومالا يعارض
سياسة الاولى من الفعل . على اننا قد نهنا اصحاب الجرائد السورية الى تصيير
الجرائد المصرية في الدعوة الى الترية والتعلم على الوجه الذي هو ارجى
لتكوين الامة وجعلها امة عزيزة مستقلة في نفسها استقلالا يفضي الى استقلالها في
احكامها وسياستها

هذا ؛ واما المثال لضرر الجرائد المصرية فهو طريق انتقادها ولاسيما للحكومة ، قد
ملك اكثرها فيه مسلكا اسقط هية الحكومة من النفوس بعد ما كان لها من هياكل
العظمة في كل خيال ، وشعور الخشية والبأس في كل قلب ، فوثبت الجرائد بالشعب
المصري من طرف الى طرف ، من غير ان نمر به على الوسط او ما يقرب من الوسط .
ذلك المسلك هو اتهام الحكومة بمشايمة الانكليز على ما يريدون من سوء
بالبلاد ، فكان اولئك الكتاب ينحون بقدهم وطعنهم على الوزارة « مجلس النظار »
في الجملة وعلى رئيسها وافرادها وعلى المديرين وغيرهم من رؤساء الاعمال في
التفصيل ، فذلك الانتقاد او الطعن كان الغرض منه تأييد سياستهم في مقاومة الاحتلال
والقنفي من الانكليز ويان ان الامر كله في ايديهم وتبعته عليهم ، وان النظار وسائر
الموظفين المصريين آلات صماء ، تحركها هذه الايدي كما تشاء ، ولكن فيما بضر البلاد
ولا ينفعها وفيما يسلب السلطة الشرعية من أميرها ، وهو الذي يريد لها الخير لولا
انه عاجز عنه . وكان يقوم في وجه هذه الجرائد الكثيرة جريدة أو جريدتان أو
ثلاث تندد بالامير وبطائته ، وتلمز ذلك المقام بما يخفض من قدره — فبذلك كله زالت
هية الامير وحكومته الرسمية من النفوس ، فتجرأ الاشقياء على السلب والنهب ،
واهلاك الحرث والنسل ، وكثرت الجنايات في الارياف حتى ان الحكومة لا تنزال في
حيرة من حفظ الامن الى هذا اليوم

نم انه قد استقر في اذهان جميع المصريين ان الامر كله للانكليز ، وأنهم

يستطيعون ان يفعلوا ما أرادوا من حيث لا تستطيع الحكومة المصرية من دونهم شيئاً ، ولكنهم علموا مع هذا أن الانكليز لا يحفلون بالمسائل الجزئية التي تتعلق بأفراد الاهالي وانما يكون الامر فيها إلى الحكومة المصرية تنظر فيها بحسب القوانين ، فلا يستطيع المأمور ولا المدير ولا رئيس النيابة (المدعي العمومي) ولا القاضي ان يعاقب جانياً الا اذا ثبتت جنايته في المحكمة ، وقلاً يقدم الجناة على عملهم الا وهم آمنون من ثبوته عليهم ! فاختلال الامن في القطر المصري نشأ من سقوط هيبة الحكومة من نفوس العامة ، والتطرف في الحرية والانتقال من حكومة استبدادية عرفية ، الى حكومة قانونية حرفية ، اي يجري فيها الحكم على ظواهر الفاظ القانون من غير تطبيق على المصلحة العامة التي وضع لاجلها القانون . وما كان لا كثر الجرائد من عمل في ذلك الا ما ذكرناه ، فما كان من خطأ يقع كانوا يعملونه على سوء النية من الحكومة ، وما كان من صواب يسكتون عنه او يعملونه على غير محله ، حتى كانوا ربما يطعنون في أنفع الاعمال كانشاء الخزان في اسوان — فلماذا ونغيره من الخطأ الذي لا يتسع هذا المقال لشرحه كان الاستاذ الامام يقول « جرائدنا احدى بلاياتنا »

فيجب ان تعتبر الجرائد السورية بخطأ الجرائد المصرية التي سبقتها في الاستقلال والحرية كما تعتبر بصوابها ، فكما يجب عليها ان تتخذها مذاهب في الاصلاح الاجتماعي لا تشغلها عنه السياسة يجب عليها أن تتخذها اسلوباً حكيمياً في انتقاد الحكومة يرجي نفعه ولا يبخس ضرره ، ويجمع بين حفظ هيبتها في نفوس العامة من حيث هي امينة على مصالحها ومنفذة لشرعيتها وقوانينها التي اقرها نوابها ووكلاؤها ، وبين تكريم الامة واعلاء شأنها وغرس مبادئ الحكم الذاتي في نفوسها .

كيف تنتقد الحكومة

تنتقد اعمال الحكومة لفرضين شريطين : أحدهما وهو الاصل صيانة الحقوق وحمل الحكماء على العدل واداء الأمانة بالتزام الشريعة وتطبيق القانون على المصلحة العامة . وثانيهما عرضي تمس اليه حاجة الامة أو ضرورتها في مثل الطور الذي نحن فيه الآن في بلاد الدولة عامة والقطر المصري خاصة ، وهو بث مبادئ الحكم الذاتي في نفوس الامة (أي حكم نفسها بنفسها)

اما الأول فطريقه ان يبحث الكتاب عن الاعمال والاحكام ، وبينون ما يجب يانه في انطباقها على الشرع والقوانين وعدمه من غير بدء ولا استعلاء ولا طعن يسقط المابة وبذهب باحترام الحكومة من نفوس العامة . وانما نفى بالاعمال اعمال الحكومة دون الاعمال الشخصية التي لا دخل لها ولا تأثير في المصالح العامة .

ومن كان مختصا في انتقاده يتحرى الحق فيه ، فاذا ظهر له انه اخطأ فيما كتبه رجع عنه وجوعا صريحا وبين سبب خطاه الاول ومشرق انصلاح الصواب له وبذلك يكون كلامه موعظا في القلوب ذا سلطان على النفوس فيقدره قدره الحاكم ، فاذا لم يرجع به المسي عن غير آخذ رؤسائه على سوء فعله ومن آيات الاخلاص ان يسعى مرید الانتقاد ان تبسر له كأن يراجع الحاكم فيما يرى انه يسي أو يجهل فيه ، فان تم له ذلك والجا إلى الانتقاد

وينبغي ان يبدأ بالرمز والتاويج ، ثم يترقى في سلاليم التصريح ، فاذا استقام الجائر ، وعزل الظالم ، وجب ان يقف الناقد عند الدرجة التي ارتقى اليها في تقدمه ثم يثني على العمل الذي يستحق الثناء

وما يتحتم مراعاته ان تكون الفقرة التي ينتقد بها القضاة ورؤساء الادارة بحيث يضمنها الخاصة دون العامة ، كأن تورد بضرر من الجواز والاستعارة وتستعمل فيها الالفاظ القرينة لئلا نزول مابة الحكومة من نفوس العوام وتقل ثقتهم بالقضاء ويمتقدوا انه لا سبيل الى قضاء مصالحهم الا بالرشوة ، ويعطع المبطلون منهم بهضم الحقوق ويضري الاشياء ، بالتعدي على الضعفاء ، اعتمادا على ضعف الحكام أو ظلمهم وإنما يجب مراعاة ما ذكر في انتقاد من يسي ، مستخفيا ، واما من يجهل بالسوء ويعرف عنه الظلم فأولئك هم الذين لا تحفظ لهم حرمة ، ولا ترقب فيهم ذمته ، فيجبر الكتاب بانتقادهم ، ويمحزون الامة على الشكوى منهم ، اذا لم يبادر رؤسائهم والمفتشون عليهم الى النظر في أمرهم ، ولكن الشكوى الى المجالس العمومية في الولايات ثم الى مجلس المبعوثين في الامة بعد مراعاة ما اشترطه القانون الاساسي في ذلك اما الطعن في الحكومة على الاطلاق فضرره عظيم جدا في مثل بلادنا ولا سيما

في أول العهد بالانقلاب كهذا الزمن . مثال ذلك طعن المثمقرين أو الرجسين (على الخلاف بين كتاب العرب وكتاب الترك في لقبهم) في حكومة الشورى الحاضرة من حيث شكلها والاستبدلال على ذلك بالخلل والفساد الذي أظهرته الحرية في الأمة والحكومة جميعا بزعمهم ، وما هو إلا من رزايا الحكومة السابقة التي يتعذر تطهير الارض من تقنها في بضعة شهور أو بضع سنين ومن أمثله استبقاء كثير من المحيين للحكومة الحاضرة لأعمال مجلس الأمة وإظهارهم قلة الثقة به وشكهم في أنفسهم وتشكيكهم للناس في قدرته على القيام بما عهد اليه من اصلاح حال الدولة ، وترقية شؤون الأمة ، وما ذلك إلا لجهلهم بحاله وبحال الحكومة التي ينظر في أمر اصلاحها

ان مثل مبعوثينا ونوابنا في مجلسهم كمثل مهندس كلف وضع رسم أو رسوم لبناء بلد كسيني « لا مسينا كما تضبطه الجرائد » قد دمرته الزلازل وان يستحضر البنائين لاعادة بنائه على أحسن مما كان عليه ، ويراغب علمهم الى ان يتم ثم يكون أمينا عليه حافظا له فأراد ان يشرع في العمل فوجد معظم اهواض البلد معقودة قد تلف بعضها وصرق بعض ولم يجد من البنائين المهرة والصناع والتجارين عسدا كافيا للاسراع في المهارة !! فهل يلام المهندس ويرى بالتقصير وحده وينسى ذلك الزلزال الذي دمر البلد وأولئك الاوصوص الأذنياء الذين كانوا ينهبون اناضه وما يبيأ لبناته !!؟

ألا ان عذر مبعوثينا أظهر من عذر ذلك المهندس ، فان زلزال الاستبداد قد توالى على المملكة العثمانية من زهاء ثلاثة اجيال ، وقد اشتد في عهدنا هذا من أول هذا القرن الهجري حتى كاد يجهل المملكة أثرا بعد عين . وقد كان أكثر رجال حكومتنا في ذلك الدور كأولئك التحوث الذين اقرصوا زلزال (مسيني) فسارعوا الى نهب كل ما وصلت اليه أيديهم الانجية من أموال المالكين والمشرفين على الهلاك فإذا عسى ان يفعل نوابنا في أيام أو شهور ؟

قال أماي بعض هؤلاء المستعدين الطيبة قلوبهم بالثمة عقولهم أو القليل اخبارهم : ان بعض المبعوثين يسأل في المجلس أسئلة سخيفة تدل على ان مجلسنا في سن

الطفولية ! قلت هل كان فيها أسخف من سؤال بعض نواب الانكليز في مجلسهم الذي هو أعلى وأرقى مجلس نيابي في الأرض عن الكنف (المراحض) في القاهرة وكونها قليلة أو غير موجودة في الاحياء الوطنية ! !

ومن أمثلة الانتقاد المطلق في الحكومة الحاضرة ما يلج به الناس من جميع الطبقات في جميع البلاد من قصبرها في حفظ الامن وارسالها جبال الاشقياء على غواربهم ! وهذا الانتقاد واقع ماله من دافع لظهور موجه لكل أحد ، وهو هو علة الانتقاد الذي ذكر قبله ، ولأمر ما كان كلام الجرائد فيه دون كلام الناس في أنديةهم وسبائهم ويوتهم وسائر مجامعهم وفي الطرق والاسواق ! .

وإذا طال العهد على هذا الاهال فأنتي اخشى ان يتعاقم امره ويستشري شره ، وقد كلمت فيه والي بيروت قبلاً « والي سورية الآن » والي بيروت الآن والمدعي العمومي لولاية بيروت ومتصرف طرابلس فرأيتهم ينتظرون أول السنة المالية التي قربت خطواتها لاصلاح حال الشحنة والشرطة والدخول على حفظ الامن من باب ان عذر الولاة والمتصرفين في القصير في حفظ الامن محصور في ظهم انه لا يمكن بطريقة قانونية لا استبداد فيها ولا ظلم الا بعد تنظيم الشرطة وابعاد قوة عسكرية كافية ثلاثا في ما ربما يحدث من الثورات الداخلية ! وهو عذر مبني على عدم اختبار حال البلاد في مثل ولاية بيروت فقاسوها على مثل ولاية الموصل وعلى حوران من ولاية سورية ، ويسر علينا إقناعهم بان هذه البلاد لم تصل الى هذه الدرجة من الشر والفساد ، وانه لا يوجد فيها احد من الاشقياء يفكر في مقاومة الحكومة قط ، وان اي وال أو متصرف أخذ بالحزم يسهل عليه ان يحفظ الأمن . على ان من يمنع منهم بذلك لا يتجرأ على الاقدام عليه وتحمل تبعته في عهد هذه الحكومة ولا سيما مع بقاء الاسلحة مستأجرة بالسلطة العليا ومقيدة لسلطة الولاة بله المتصرفين فن دونهم ! اذا طال العهد على الحال التي نحن عليها - وما هو بالذي يطول ان شاء الله - يتقوض بناء مهابة الحكومة من نفوس العامة فلا يبقى منه شيء وتصير البلاد فوضى ، ولولا ان سلامة القلوب ومحاسن الاخلاق لا تزال ذات السلطان الطالب في بلادنا فكانت بضعة شهور كافية لانتشار الفوضى وطمع الاشقياء في الخروج على

الحكومة ولكن شيئا من ذلك لم يكن ولن يكون ان شاء الله تعالى
ان الحكومة قادرة الآن على التكيل بالاشقياء فكيف بها بعد التنظيم الذي
اخذنا زمانه وادركنا ابانه . وان ما حصل طبيعي في طور الانقلاب فاهو بالامر الغريب
الذي يبيع للناس ولا للمرائد الوطن في الحكومة على الاطلاق
اذا وأينا بعد استقرار الحكومة الجديدة واقامة النظام المنتظر عجزا عن حفظ
الامن في ناحية سوء ادارة مديرها او في قضاء لمجل القاتق اوف في لواء لضعف
المصرف او في ولاية لعله في الوالي . فاننا نسي لدى مرجع كل واحد من هؤلاء
لاستبداله ، اذا عوزنا اصلاح حاله ، ولا نطقن في الحكومة طعنا مطلقا يذهب بتهمة
العامة بها ، ولا تهمةا بالخيانة والفساد ، ولا نزمها بالعجز والضعف ، فان ذلك كله
نسوه عاقبة على كونه لا يمكن أن يكون صحيحا على اطلاقه

حسبنا هذه الكلمات في بيان الفرض الاول من غرضي الانتقاد الصحيحين
فان المخاطب بها هم الكتاب الالباء والليب تكفيه الاشارة

واما الفرض الثاني من ذيتك الفرضين وهو قوية روح الحكم الذاتي في
الامة فقد يحتاج اليه في البلاد المصرية اكثر مما يحتاج اليه في البلاد السورية ، لمكان
الظنة في استئثار الانكليز بالسلطة وجعل المصريين الآن في أيديهم . ومع ذلك
نرى الجرائد المصرية قد قصرت فيما يجب عليها من الرمي الى غرض نفوذ الامة
فكان معظم نضالها أو جميعه دون نفوذ الامبر نفسه ، أي لقوية الحكومة الشخصية
والانتقال من استبداد أجنبي محدود إلى استبداد شخصي وطني لاحد له . الا انه
قد كثر خوض هذه الجرائد في هذه السنين الاخيرة في طلب المجلس النيابي لمصر
وكون ذلك مواثقا لرغبة الامبر في رأي بعضها . ولكن الصحيفة المصرية التي
اتخذت قوية سلطة الامة نفسها مذهبها تراعيه في انتقادها على الحكومة هي (الجريدة)
التي أسسها جماعة من الوجاء وأهل الرأي تنفيذ لما كان دعاهم اليه الاستاذ الامام
في آخر حياته . وبعلم الله ان هذا ما كنت اقترحه عليه من بضع سنين حتى اتني
كنت قد اخترت له المحررين ووضعت له الميزانية بعد المذاكرة الطويلة معه في
المذهب السياسي — وهو سلطة الامة وفي المتهاج الاجتماعي الأدبي وجعله في

انتقاد الاخلاق والعادات . فهل للجرائد السورية ان تنكر في هذا وتهدده حق قدره ؟ ان الجرائد العثمانية كلها تحتاج الى انتقاد الحكومة فيما يخص سلطة الامة عند وضع بعض القوانين التي تهوي سيطرة الحاكم وتضع الثرات في سبيل الامة كقانون المطبوعات وقانون الجزاء (العقوبات) وقانون المعارف ولوائها ونظام مدارسها بل يجب ان تنتقد مجلس الامة اذا لم يجعل تنقيح القانون الاساسي مقيدا للحكم الشخصي ، مطلقا لحكم الشورى من تلك القيود المرفوعة ، واذا نازعته الحكومة فيما يهوي به سلطة الامة وجب على الجرائد ان تحمل عليها حملة شعواء ، وان لا ترضي اقلامها بما دون الطعنة النجلاء .

كذلك يجب على الجرائد في كل ولاية ان تنتقد الولاة اذا هم حاولوا الاستبداد في امر المجالس العمومية ومجالس الادارة او اظهروا التعصب لجنسهم كتعصب التركي للترك والعربي للعرب فان التعصبية الجنسية من الحكام تضعف الجامعة العثمانية وتحدث فيها الاحداث والمفاسد .

ولا يجوز بحال من الاحوال ان تنهم الحكومة في جعلها بهضم حقوق الامة وكراهة حكمها الذي هو حكم الشورى ، وان كان الكثيرون من الوجهاء والرؤساء السابقين قد قل انتفاعهم ونقص ما لهم وجاههم في عهد الحكومة العاصرة ، فهم يحنون الى الاستبداد ويتمنون الرجوع اليه حتي صارت جرائد الاستانة تسميهم الرجعيين . فمن بقي في الحكومة من هؤلاء ومن يدخل فيها على عهد الدستور للجهل بحكامهم او للحاجة اليهم على عوجهم لا يألون جهدا في الاستبداد إذا وجدوا منفذا من المنافع ، وأمنوا المراقب والمؤاخذ .

فمن أقدس وظائف الجرائد وواجباتها ان تنبذ عوارهم وتعلم انظارهم وتنبذ انتصارهم ، مع مراعاة ما أشرنا اليه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي أحسن كما أشرنا الذكر الحكيم . وليكن الاخلاص رائدنا ، وإيثار المصلحة العامة غايقتنا ، فلا شيء انفع وأرفع من العمل بخير الناس ، ولا مرشد إلى ذلك اهدى من الاخلاص .

باب المراسلة والمناظرة

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وما قيل فيه ﴾

غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار المنير بمصر

سلام الله عليكم ورحمته ولا زلتم في نعيم مقم

سيدي: من السج انكم لم تعرضوا لما قاله ابن حجر الفقيه في فتاويه الخديشية من الطعن على ابن تيمية بالتفصيل الشافي المصمود من حضرتكم ومحكمة ابن حجر فيما قاله حتي يتبين الرشد من الغي . . . وهنا نجد اكثر الجاهلدين من اصحاب المائم يتمكنون بتفجير البسطاء عن مطالعة المنار لكونه ينقل عن ابن تيمية وان المنار يلعبه بشيخ الاسلام ناسياً ما قاله ابن حجر في فتاويه حيث يقول « عبدخذه الله تعالى واضله واعماه واصمه وأذله »

وتجدد محب المنار الغير المطالع على اقوال ابن تيمية التي اوجبت خذلانه وانحرافه عن الطريقة الجادة يلتجئ الى السكوت . نعم ربما انه سبق لحضرتكم كلام في بعض أجزاء المنار السابقة بخصوص هذه المسألة . « لان مثل هذا مما لا يحسن سكوت حضرتكم عنه كل هذه المدة »

ولكن يتجدد قراء كثيرون في المنار في كل عام وكثير منهم لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم للاطلاع وذلك يلجئكم ان توضحوا المسألة ثانياً . وقد بلغني أن كثيراً من العلماء العظام اتقدوا كلام ابن حجر . فهل لسيدي نقل بعض اقوالهم ؟ ولكم من الله جزيل الفضل ومنا الشكر .

ع . س (دلي — سمطرا)

(المنار) لا غرابة ولا عجب في عدم تعرضنا لما ذكرتم قبل ان نسأل عنه ، على اننا كنا

(المجلد الثاني عشر)

(٩)

(المار ج ١)

عازمين على كتابة ترجمة لابن تيمية بعد إتمام ترجمة الفزالي . ويفلب على ظننا ان الفقيه ابن حجر المهيتمي رحمه الله تعالى لم يطالع على كتب ابن تيمية وانما رأى ما انتقدته عليه بعض معاصريه كالشيخ تقي الدين السبكي وغيره فانكر ذلك عليه ولا يبعد ان يكون بعض المفسدين قد دس في كلام ابن حجر ذلك السباب والشتم الذي يحمل مثله عن مثله وذلك مما حدث كثيرا كما بينه الشراني في كتاب البواقيت والجواهر وغيره حتى ذكر ان بعض كتبه نسخ في عصره ودست فيه ضلالات كثيرة ولم يقتنع العلماء بأن تلك الضلالات من دسائس المفسدين الا بعد أن أبرز لهم ما كتبه بخطه . ويظهر انه لم يطالع أيضا على ما قاله حفاظ الحديث والعلماء والمؤرخون في الثناء على ابن تيمية بما لم يشوا بمثله على أحد حتى شهد له معاصروه ومناظره بالوصول الى رتبة الاجتهاد المطلق ومن كان كذلك لا بد ان يخالف غيره من المجتهدين في بعض المسائل . وبمعز على الفقهاء المقلدين ان يوجد في عصرهم من يخالف أئمتهم بل من دون أئمتهم ممن يحملون من الميتين حتى كأن الموت يجعل العالم معصوما . ولذلك ترى ان سبب قيام الشيخ كمال الدين الزمלקاني والشيخ نصر بن المنجي علي ابن تيمية هو إنكاره على الشيخ محيي الدين بن عربي ، وسبب قيام ابي حيان عليه هو إنكاره على سيدييه وتخطئته له . فهو لا ا الثلاثة والشيخ تقي الدين السبكي هم اعظم العلماء الذين انكروا عليه في عصره ومن اسباب حقهم عليه تشدده في الانكار عليهم هم فيما انتصروا به لابن عربي وسيدييه ولكن كل واحد منهم قد اثنى عليه ثناء عظيما قبل وقوع النفور بينهم كما سيأتي

وقد ألف بعض العلماء كتباً خاصة في الثناء على ابن تيمية والاتصاف له ، منها (القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) للعلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس . ومنها (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) اي احمد بن تيمية واحمد بن حجر واننا نقل عن كل منهما طاقة من القول عن العلماء في ترجمة ابن تيمية ، قال صاحب القول الجلي في أول كتابه ما نصه :

« ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وست مئة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستمل وهو دون البلوغ ، وبرع في التفسير وأقوي ودرس وله

نحو العشرين ، وصف الصانيف وصار من اكابر العلماء في حياة شيخه ، ولما المصنفات الكبار التي سارت بها الركان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين . وكان يؤخذ كذا . وسمع من الحديث أكثره ، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه . وأما نقله للفقهاء ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيراً ، ويدري جملة صالحة من الأئمة ، وعريته قوية جداً ومعرفته بالتفسير والتاريخ فعجب عجب . انتهى ملخصاً من كلام شيخ الاسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

قال الحافظ الذهبي الدمشقي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر هو من أهل الاستقرار التام في تقده الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين : ابن تيمية أكبر من أن ينبه مثلي على نموته فلو خلعت بين الركن والمقام خلعت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في فتاواه في حديث « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وفي حديث « كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين ونأهيك به اطلاقاً وحفظاً أقرله بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا

وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد للتمون وعزوها منه وكانت السنة بين عينه وعلى طرف لسانه بعبارة وشيقة وعين مفتوحة وقال حافظ الاسلام الخبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ الحديث جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الركن عبد الرحمن المزي الشافعي فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين : ما رأيت مثله يعني ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لها منه . اهـ وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه ونأهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي

وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن ان الله تعالى ما بقي يخلق مثلك . وقال أيضا : رأيت رجلاً معلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد . ذكره الحافظ المذكور وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء وعمن يخطئ ، ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كنقطة في بحر لجي وخطؤه أيضا مغفور له لما صحح في صحيح البخاري « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم . وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور رتبة حجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات الى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني . نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذي بسببه ومع انه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسير فافهم

(فان قلت) ما ذكره الامام الحافظ ابن كثير مبني على ان الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأنى له بهذه المرتبة وقد اتقطع الاجتهاد من زمان طويل !! (قلت) وقد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الامام أبو عبد الله الذهبي فيما ذكره ابن ناصر والحافظ ابن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسئلة منكورة قط وان كان قد خالف الائمة الأربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن اشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله ابن بطة الحنبلي في الابانة الصغرى وسنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام الحافظ الهام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي مانصه : ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكرها عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أتى برزقه ولا أتى بسفك

دمه مع شدة المتصيين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى جلس بالقاهرة ثم
 بالاسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وورعه وزهده ووصفه بالسقاء
 والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام والدعاء الى الله في السر والعلانية
 فكيف لا ينكر على من أطلق عليه انه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الاسلام
 الكفر وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فانه شيخ الاسلام بلا ريب والمسائل التي
 أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصير على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناده
 وهذه تصانيفه طائفة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ عنه ومع ذلك فهو بشر
 يخطئ ويصيب ، فالذي أصاب فيه وهو الاكثر يستفاد منه ويترجم عليه بسببه ، والذي
 أخطأ فيه لا يقد في أي كمسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لان أمته عصره شهدوا
 بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتصيين عليه والقائمين في إيصال
 الشريعة وهو الشيخ كمال الدين الزمكاني يشهد له بذلك ، وكذا الشيخ صدر الدين
 ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره . ومن أعجب العجب ان هذا الرجل كان
 اعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والخوالية والامخادية وتصانيفه في ذلك
 كثيرة شهيرة وقفاؤه فيهم لا تدخل تحت الحصر ، فياقرا أعينهم اذا سمعوا تكفيره
 ويسروهم اذا رأوا من يكفر من لا يكفره . فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له
 عقل ان يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أو من السنة من يوثق به من
 أهل القل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قدر قصد النصح ويثني
 عليه بقضائه فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء ، ولو لم يكن للشيخ هي الدين
 من المناقب الا تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف
 النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظمته
 منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أمته عصره
 من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة . فالذي يطلق عليه مع هذه الاشياء الكفر أو
 على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يقول في هذا المقام عليه بل يجب ردعا
 عن ذلك الى أن يراجع الحق ويدعن التمسوا به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
 حسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخ الاسلام صالح ابن شيخ الاسلام عمر البلقيني رحمه الله تعالى فيما كتبه على الكتاب المذكور - : ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي في ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزني لم يكتب لفظة شيخ الاسلام الا لأبيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابي عمر فلولا ان ابن تيمية في غاية العلوي العالم والعمل ماقرن ابن السبكي أباه معه في هذه المقتبة التي تعلقها ولو كان ابن تيمية مبتدعا أو زنديقا مازعي أن يكون أبوه قريئنا له . نعم وقد ينسب الشيخ تقي الدين لاشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب الرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألي الزيارة والطلاق وأفرد كلا منهما بتصنيف وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلا « وكل أحد يؤخذ من قوله أو يترك الا صاحب هذا القبر » (١) والسعيد من عدت غلطاته ، والمحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر ذلك تهورا وعدوانا ، حاشى الله بل لعله لرأي رآه وأقام عليه برهانا ، ولم تقف الى الآن بعد التروي والفحص على شيء يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما وقفت على ما رده على أهل البدع والاهواء أو غير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلى مرتبته في العلم والدين . وتوقير العلماء والكار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا - وفي رواية --- حق كبيرنا » وكيف يجوز ان يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى

قلت وسند كر ان شاء الله تعالى قريا ما يكون صريحا في تنزيهه عما نسب اليه .
من التشبيه والتجسيم

وقال قاضي القضاة عبدالله التهتي الحنفي عامله الله بلفظه الحنفي فيما كتبه على الكتاب المذكور : ان الشيخ تقي الدين كان على ما نقل الينا من الذين عاشروه وما اطلما عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي صارت تصانيفه في الآفاق عالما متفيا مقللا من الدنيا معرضا عنها متمكنا من إقامة الأدلة على الحصوصوم وحافظا

(١) حكاية لكلمة الامام مالك التي كان يقولها في الحرم المدني ويشير الى

القبر الشريف

للسنة عارفا بطرقها عارفا بالأصاين أصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط في تخرج المعاني لا يلومه (لهه لا تأخذه) في الله أومة لأهم على أهل البدع المحسنة والحولية والمعتزلة والروافض وغيرهم (قال) فمن كان متصفا بهذه الاوصاف كيف لا يقب بشيخ الاسلام بأي معنى أو يدمنه!! (قال) وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه شهوده . والمسألان المذكوران ليستمن أصول الأديان وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على ان الخطي فيها مجتهد يثاب لا يكفر ولا يفسق . الخ ما قال

وقال شيخ الاسلام العيني الحنفي فيما كتب على الكتاب المذكور: وما هم أي المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى الا صلقع بلقع سلقع ، والمكفر منهم صلعة بن قلمة وهيان بن بيان وهي بن بية وضل ابن ضل وضلال ابن التلال . ومن الشائع المستفيض ان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شتم عرايين الافاضل ، ومن حمّ براهين الامائل ، (قال) وهو الذاب عن الدين ، طعن الزنادقة والملحدنين ، والناقد للرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال انه كفر فهو كافر حقيق ، ومن نسب الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزنغ والشقاق ، ولكن بحثه فيما صدر عنه في مسألي الزيارة والطلاق ، عن اجتهاد سائح بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب ، (قال) ولا ريب انه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من قهواء الأنام ، فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخا للمسلمين يكون شيخا للاسلام .

وقال شيخ الاسلام البساطي المالكي . واما قول من قال انه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال في حقه انه شيخ الاسلام كافر فهذه مقالة تقشعر لسماعها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك ابليس العين بها ويشتم ، وتشرح بها أفئدة الخالفين ونسبت ، ثم يقال كيف لو فرضنا انك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني وكيف تصح لك هذه الكلمة المتناولة لمن سبقك ولن

هوأت بعدك إلى يوم القيامة ؟ وهل يمكنك ان تدعي ان الكل اطلعوا على ما اطلعت انت عليه ؟ وهل هذا الا استخفاف بالحكام ، وعدم مبالاة بني الايام ، والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجهه لا يخرج به شرعا عن العهدة بأن كان واسيا برج به تبريجا يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين . اهـ

(قلت) فأمّل رعاك الله كلام هؤلاء الاعلام ، في مدح هذا الامام ، فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم أو يعاب بشي ، غير ذلك أو يلام ! »

(المار) هذا ما أورده الشيخ صفي الدين الحنفي البخاري في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أول كتابه (القول الخلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) ويليّه فصل في عقيدته التي هي عقيدة سلف الأمة أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم . واما السيد نعمان خير الدين الآكوسي فقد جاء في كتابه (جلاء العيين . في محاكمة الأحمدين) بترجمة أوسع وأكثر نقلا عن كبار العلماء والحفاظ في الشاء عليه والاعتراف له بمشيخة الاسلام .

قال بعد ترجمة بليغة ملخصة من كلام طائفة من الحفاظ والمؤرخين مانصه :
« قال الذهبي وما ابعد ان نصائبه الى الآن تبلغ خمسة مجلد . وترجه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله : شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعا وذكاء وتنويرا إلهيا وكرما ونصحا للامة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال ، وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال ميال ، واستنبط منها اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه قل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، واثق العربية اصولا وفروعا ، ونظر في العقليات وعرف افعال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذى في ذات الله من المخالفين ، واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله

تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكبت أعداءه ، وهدي به رجالا كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الاتقياء له غالبا وعلى طاعته ، وأحيا به الشام ، بل الإسلام ، بعد أن كاد ينتم خصوصاً في كائنة التار وهو أكبر من أن يذبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام أنني ما رأيت بعيني مثله وإنه ما رأى مثل نفسه لما حثت اه

وقال الحافظ ابن كثير : وفي رجب سنة سبع مئة وأربع راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد التاريخ وأمر أصحابه وتلاميذه بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار ويندرها بقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأراح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما . وهذا وأمثاله ابرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه . ففسد وعودي ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكرهه وأكثر ما نالوا منه الجلس مع انه لم يقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لم عليه ما يشين وإنما اخذوه وحبسوه بالجاه . اه

قيل من جملة اسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الامارة ففقي عليه أعداؤه طريقا من ذلك ، فحسنوا للأمراء حبسه لسد تلك المسالك . وكذب الشيخ كمال الدين الزملكاني : كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهبتهم منه اشياء ولا يعرف انه ناظر احدا فاقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان ممن علم الشرع او غيره الا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها (قلت) ورأيت في ثمر الدر الذائب ، في الأفراد والغرائب من كتاب الاشياء

والنظائر النحوية للإمام السيوطي عليه الرحمة ما نصه : جواب سؤال سائل عن « لو » سيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة امام الأئمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين او حد علماء الدين بركة الاسلام حجة الاعلام برهان المتكلمين قانع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ودامت به على أعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه الحجة تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني اعلى الله تعالى مناره وشيد من الدين اركانه

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيتنا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنواره اربّت على الفجر

قلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : بسم الله الرحمن الرحيم ، قلت من خط الحافظ علم الدين البرازلي قال سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة القدوة الحافظ الزاهد العابد الورع امام الأئمة خير الأئمة مفتي الفرق علامة الهدى ترجمان القرآن حسنة الزمان عددة الحفاظ فارس المعاني والالفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ناصر السنة قاعم البدعة تقي الدين ابو العباس احمد ابن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ادام الله تعالى بركته ورفع درجته : الحمد لله الذي علم القرائن خالق الانسان علمه البيان ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الباهر البرهان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الانس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يرضى به الرحمن ، سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف « لو » وكيف يتخرج قول عمر رضي الله عنه « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يصبه » على معناها المعروف وذكرت ان الناس يضطربون في ذلك واقتضيت الجواب اقتضاءً أوجب أن اكتب في ذلك ما حضرني الساعة مع بعد عمدي بما بانتي مما قاله الناس في ذلك وانه لا يحضرني الساعة ما ارجعه في ذلك فأقول : اه بحر وفه . ثم ساق الامام السيوطي آخر الجواب الى نهايته ، وافر المترجم على ترجمته ، فان اردته فارجع الى الاشباه والنظائر ، فان فيه جلاء الابصار والبصائر ، (هـ)

وكتب الحافظ ابن سيد الناس : ألفيته ممن ادرك العلوم حظاً ، وكان يستوعب (هـ) وفي مناشئ الكتاب عند هذه العلامة مانصه : وكذا المدقق ابن هشام في شرح الشذور نقل عنه بعض الاقوال النحوية معبرا عنه بالامام العلامة وكذا غيرها ممن سلس له الامامة

السنن والآثار حفظاً ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وان اقبى في الفقه فهو مدرك غايته ، او بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولأرفع من درايته ، برز في كل علم على أبناء جنسه ، ولا رأيت عيني مثل نفسه ،

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه : وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرهم وتديلمهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لثبوتها الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بمحدث ، ولكن الا حاطة لله تعالى . غير انه يقترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يقترفون من السواقي . وأما التفسير فسلم اليه . وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير اه من الفقه او من الأصول او من الرد على الفلاسفة نحواً من أربعة كراريس . وله التأليف العظيمة في كثير من العلوم وما يعد ان تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد . وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل ان يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة وصف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة . وفي سنين بقي بما قام (عليه) الدليل عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية . وكان دائم الاتهام لكثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش ، له اوراد واذا كار يديهما لا يداهن ولا يحايي ، محبوباً عند العلماء والصلحاء والأمراء والتجار والبراء . وصار بينه وبين معاصرة وقعات مصرية وشامية بعض مسائل اقبى فيها بما قامت عنده الأدلة الشرعية : واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك المقتل وتكلم معه بكلام خشن ولم يبهيه ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ، ودعاه نصف ا كثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه اه ملخصاً واطال في ترجمته

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل بالغناه : « فوالله ثم والله لم يرتحت ادبهم السوء مثل شيخكم ابن تيمية علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلاً وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرمانه . أصدق الناس عقداً وأصحبهم علماً وعزماً وافتخاراً واعلاماً في انتصار الحق وقيامه همة ، واستغفار كفاً

وأكلهم اتباعا لتيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله الا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة . اهـ

وقل في الشذرات عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقدمت عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته ؟ قال « رأيت رجلا سائر العلوم بين عينه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء » فقيل له فلم لا تتناظران ؟ قال « لانه يحب الكلام وأحب السكوت »

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي الى الحفاظ الذهبي في امر الشيخ تقي الدين بن تيمية ما نصه : « فالملوك يتحقق قدره وزخاره بحره وتوسمته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ في ذلك كل المبلغ الذي يتجاوز الوصف . والملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقائم فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالماخذ الا وفي وغرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان » اهـ

وقال الحفاظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطبوعة : ان الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته تعصب له القاضي الحنفي ونصره وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه . وكان من اعظم القاءين عليه الشيخ نصر بن المنجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه تعصب لابن عربي فكذب بعاتبه على ذلك فذا أعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن عربي وتكفيره فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري (به) بيرس الجاسكبر وكان بيرس يفرط في محبة ويعظمه . وانتق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الخريزي انتصر للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضرا بانشاء عليه بالعلم والفهم وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطرا من جهتها « انه منذ ثلاث مئة ما رأى الناس مثله » اهـ

وتقول الاسام المستقلاني ايضا عن الحفاظ الذهبي انه قال حضر عند شيخنا ابو

حيان المفسر قتل ما رأيت عياني مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر انه نظمها
بديهة وأنشده إياها وهي :

لما أتانا بقي الدين لاح لنا داعٍ الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الألى صعبوا خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً بحر تقاذف من امواجه الدور
قام ابن تيمية في نصر شرعنا مقام سيد تيم اذ مضت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره اندرست وأخذ الشر اذ طارت له شرر
يا من يحدث عن علم الكتاب أصح هذا الامام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا الى انه المجدد . وقد صرح بذلك ايضا الهادي الواسطي . ثم دار
بينهما كلام فخرى ذكر سيدي به فأغظ الشخ ابن تيمية القول في سيويه فانظره ابو
حيان بسببه ثم عاد دأماً له وصير ذلك ذنباً لا يغفر (وقال) ان ابن تيمية قال له :
ما كان سيويه نبي النحو ولا معصوما بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً ما
تفهمها انت . فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء
وكذا في مختصره النهر اه

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة واثنوا عليه
بالثناء الحسن وذكروا نه كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات والمبادات وتجنبها
عن البدع وشدة اتباع لاسنن وطريق السلف الصالح وانه لم يتزوج حتي مات
وكان ايضاً اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة اذنيه
عيانه لسانان ناطقان ، ربة من الرجال بعيد ما بين الشكين جهوري الصوت .
وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين
في طبقاته ، وفصل ايضاً سيرته واحواله والثناء عليه

وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة
الحرام في السجن ! فأخرج الى جامع دمشق فصاوا عليه فكان يوماً مشهوداً لم يعهد
بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء شديداً وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه
ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلاوا عليه مراراً . وحزر من حضر جنازته بمئتي الف

ومن النساء بخسة عشر الفا وختمت له ختمات كثيرة ورثي بقصائد بليغة (المنازع) بعد ان اورد المؤلف هنا مرثية الشيخ عمر ابن الوردى احدى تلك

المراثي التي يشع فيها على من آذوه وحبسوه قال :

(قلت) وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يبتلون في الله تعالى ويصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون وأهل الخبر في الامم السابقة يقتلون ويحرقون وينشر احدهم بالمشار وهو ثابت على دينه ولولا كراهة التطويل لذكرت من ذلك ما يطول : وقد سمّ ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسمّ الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وطلب حبيب ابن عدي . وقتل الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن جبير وغيرهما . وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربع مئة سوط ثم قتله ، وسعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مئة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ وألبس جبة صوف ، وحبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة سوط ، وذلك انه حدث عن النبي صل الله عليه وسلم انه قال « اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا » فكان عمر اذا قيل « أبشر » قال « كيف بخبيب على الطريق » وابو عمرو ابن العلاء ضربه بنو أمية خمس مئة سوط ، والامام موسى الكاظم سجنه هارون حتى مات ، والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد أن ضرب وقيل او جر سماً ، والامام مالك بن أنس ضربه المنصور ايضا سبعين سوطا في عيين المكرة وكان مالك يقول لا يلزمه اليمن . والامام احمد امتحن وسجن وضرب في أيام نبي العباس ، والشيخ ابن تيمية في هؤلاء الأئمة أسوة . ولو اردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من الثناء عليه وبيان سيرته ومفضل أحواله لأفضى بنا إلى الطول ، والقلم - لاملت - ملول ، ويكفي من القلادة ما احاط بالجد .

(المنازع) وعقد بعد هذا فصلا في تبرئة الشيخ مما نسب اليه ، وثنا المحققين المتأخرين عليه . فقل عن صوفى الفقهاء وفقه الصوفية الشيخ ابراهيم الكوراني المدني الشافعي وعن علامة العراق الشيخ علي السويدي البغدادي الشافعي ، وعن والده

السيد محمد الآكوسي المقي ، وعن عالم بلد الله الحرام الملا علي المروزي ، وعن أمير العلماء وعالم الأمراء أبي الطيب حسن صديق خان الحسيني البخاري . ثم عقد فصولاً أخرى ذكر فيها كل ما قاله العلامة ابن حجر الهيتمي وبين الحق فيه فليراجعه من شاء . فمن أشبه في مسألة معينة من المسائل التي انتقدت على ابن تيمية ولم يتمكن من مراجعتها في كتاب جلاء الصينين أو راجعها وبقي في نفسه شبهة منها فله ان يسألنا عنها إن أحب . وانا كنا نعتقد ان ابن تيمية وصل الى درجة الاجتهاد المطلق قبل ان نطلع على قول العلماء في ذلك بل نعتقد انه لا نظير له في علماء الاسلام قط الا تلميذه ووارث علومه ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى وفتح المسلمين بعلمهما

الحجاز بعد الدستور (*)

بعث الدستور بعد ان قبر ، وبذلك كذب الله اعداء الاسلام الزاعمين ان الشورى غير ملائمة لروح الاسلام ، فهل سبق ان رأوا أمة قد أكل عليها الاستبداد وشرب زمنا طويلا ، فساهي الا عشية أوضعاها حتى استباحات الصبأ فاصبح افرادها بحمد الله اخوانا ، لا فضل لاجر على اسود إلا بقوى الله ، قد ألف الله بين قلوبهم ، لو انققت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم

كذب الله بقيام الدستور زعم اولئك كما ايد به قول القائلين بسداد نيه مولانا السلطان وفائق حكمته ووافر عقله وقوة ادراكه زاده الله توفيقا اذ لم يكن من احد من قادة الامم ما كان منه فله الشكر والدعاء اذ صان كيان الامه ودماءها وأموالها وشرفها فالملكمة مدينة له بما فعل

وقد شرق الاعداء بما رأوا من اتحاد عناصر الملكمة ، ولم يرق في اعينهم مقاموا بما قاموا به ، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وابتد ظليها الناقاء ، ومانعني صدورهم اكبر . قل موتوا بغيظكم .

(* لا أحد فضلاء المسلمين في ستغافوره (س . س . ي))

ولكن قل لي اين هم اصدقاء الاسلام ؟ اين ما قاموا به ؟ اين مواساتهم في هذه الازمة ؟ اين من مد لنا يده في طور انتقالنا الخفيف ؟ هل نخس منهم من أحد أو نسمع لهم زكرا ؟

شاهت الوجوه ، وقبح اللكم ومن يرجوه ، نعم قد سمعنا عن الانكليز جعجة ولم ترطعنا ، فشكرا لهم على ذلك ان لم يك استدرجا ومكرا ، ولقد كانت نعمة الدستور عامة على كل الممالك العثمانية ، وكان حظ الحجاز منها غير قليل ، لولم يكن غير تعهيره من ذلك الطاغية وبالسنه فكيف وغير ذلك كثير ؟ ولكن الحجاز لكونه اول ولاية عثمانية ، وهو قبة المسلمين كلهم ومحل نسكهم ، ولطول عهده بالخراب والدمار والاستبداد يحتاج الى اكثر مما صار ، وهو أحق بلاد الله بالاصلاح والمصلحين ، واصلاحه يفيد الدولة فائدة عظلى وهو اوجب عليها من اصلاح غيره بحكم الشرع والعقل . ولست احتاج الى إقامة الدليل الشرعي لبدايته ولكي اشير الى العقلي السياسي : وذلك ان الحجاز هو المكان الذي تحشر فيه وفود المسلمين وجلهم في هذه العصور تخكوم بالاجانب ، وقل من يقصد منهم من بلاد المسلمين غير الحجاز ، فاذا لقوا فيه اصناف الشقاء وانواع التماسه مع ما يعملون له من المكانة الدينية والسياسية وكونه النموذج المعروف لو فود كل الامم ، وكون السلطان حفظه الله ينعت كل جمعة على كل منبر في الدنيا افتخارا بخادم الحرمين الشريفين وحاميهما ، فاذا كانت حاله كما هي الآن فكيف يكون الحكم على باقي المملكة وعلى ساستها ؟

لو قلت لا يجد اعداء الدولة معولاً يهدمون به نفوذها في المسلمين ، وصاونا يفسلون به حبها من قلوب الامم ، وحجة يقيمونها للأمم على ان الترك اعداء الانسانية والاسلام والحرب خصوصا ... اكبر وأوضح من الحال التي كان بها الحجاز ونرجو ان لا يعود الى ما يقاومها — لو قلت هذا لم يفد قولى عاقل عالم منصف إن الاصلاحات التي يجب إجراؤها في الحجاز كثيرة جدا ولتدع ما كان منها فنيا او قانونيا لمن هو أقرب عدا منابها واوسع اطلاعا منا ، ولكننا نلجأ إلى شيء قليل مما لا يجوز السكوت عنه :

إن الحرم الشريف وهو المسجد الوحيد المشترك بين أكثر من ثلاث مئة وأربعين مليوناً من البشر على حال يتألف منها العقلاء، قد أحاطت به بيوت يسمونها المدارس يسكنها الوف من الناس وكلها فيها كنف (مراحيض) ذات بلايم في الأرض تحتفن بها الاقدار، فإذاسالت السيول امتلاً الحرم تلك النجاسات وبقي عناء عدة أسابيع وقد تكرر وقوع ذلك - وإذا نزلت الأمطار تشرتها الأرض فيتصاعد حيثئذ منها بخار ممتن من كل أرض المسجد، فلا يقدر أحد أن يضع جبهته للسجود إلا كما غافسه كأنه واضع انفه على ثقب كنيف مسدود، ولو كان نحن سجادته شبرا ! هذا امر عرفته بنفسى ويعرفه كل من أقام هناك، مع أن تلك المدارس (البيوت) واجب ازلها إذ هي قائمة على أرض لا يجوز تملكها البتة ولكن أقامها الجور ودعمتها الرشوة ! ثم إن المياه التي تشرها الأرض تنحدر إلى المنخفضات، ولا ريب بأنه يصيب بئر زمزم حظ من تلك النجاسات السائلة، فلذلك صار ماؤها كثير الديدان والجراثيم الضارة ! فإذا كنا لا نقوم بتطهير ما يقارب تلك البئر المقدسة ولا نبعد عنها السوائل النجسة القذرة السامة ولا نعيد الحرم كما كان في العصور الصالحة كامل النظافة إذ كانت مواضع الاقدار بعيدة عنه وعلى ظهر الأرض - فأى حجة لنا على الأجانب إذا حكموا بأراقة ما تزوده الحجاج من ذلك الماء المبارك كما تراق المستقدرات ! ومنعوا إدخاله إلى بلادهم حرصاً على حفظ الصحة !!!

إننا لو قمنا بالنظافة المطلوبة التي هي من الإيمان، وطهرنا ما جاور البيت من الانجاس والادرن، لكان لنا من ماء زمزم المبارك مورد عظيم، ولوجدنا مئات الشهادات من نفس الأطباء فيما له من الخواص العجيبة الحسية فضلاً عن الخواص المعنوية، وإذ ذاك يمكننا أن نبين منه في اقطار العالم ملايين من القوارير فتمى نرى تلك الأراضي المغتصبة من المسجد الحرام ومن حواشى المسمى قد أعيدت؟ ولو أرادت الحكومة أن تبذل لأصحابها الظالمين بدل تلك البنايات الغير محترمة فإنها تجد من كرام المسلمين تلبية تسرها يذل الأموال حياً في تطهير الحرم الطاهر من آثار الاستبداد والجور

نم انه لا بد من ازالة الحرم الشريف بالنور الكهربائي لوفور ضوئه وحسنه وبهائته، وبذلك يتوفر أكثر من نصف ما يصرف الآن عبثا للاسراج بتلك القناديل الوسخة التي لا يتجاوز نورها زجاجها ! ويستقى عن جيوش السرايين . ويمكنهم استخدام تلك الآلات نهارا في جلب الماء من زمزم واجرائه في مواسير الى خارج المسجد فيسلم من بلل قرب السقاين المحرقة ونحو ذلك

ولا غناء عن هدم مقامات الأئمة لأنها مبتدعة فيكفى بإمام واحد يرضي فضله وعلمه ودينه، ولينزه البيت وصحنه من خدمة الأعوات الذين هم تركة المصور المظلمة الظالمة وخدمة الجبابرة من الملوك الذين لجهلهم بالدين أجبروا ان يجعلوا خدمة الكعبة وحجرة النبي (ص) من جنس ما يستخدمون في بيوتهم ! وهبئات هيبات، ويمكن ان يوظف بدلهم نحو ثلث عددهم من الأخيار الأتقياء الحسني السيرة المعروفين لدى الدول، ولا شك بأنه يكفي لمن ذكرنا قليل مما يذهب ضياعا مع أولئك الأعوات .

انتي كنت في بعض جهات أوروبا فرغم بعضهم ان الخصاص ما يأمر به الاسلام ! وانه من الحتم عند المسلمين ان لا يخدم السلطان ولا يعمل في الكعبة ولا يتولى مدانة الحجرة المنيفة الاخصيان ! وقد أفدت محمدي بتحريم الشريعة المحمدية للخصاء وبراءتها من تلك البربرية فلم يقتنع ولم تكن له حجة الا هذه النقطة المحزنة المسيئة لسمعة الاسلام، ولعمر الحق ان التقالي في اثمانهم لما يفرى النخاسين الطاعين قالوا جب حسم الداء من أصله

وأرى ان يمنع من رمي الجبوب للحمام حتى تضطر إلى مفارقة الحرم بمحدوده وهناك نقص، فقد جلبت كثرتها أذية المسلمين وتنجيسا وتوسيعا للمسجد، ونشأ عن ذرقها الكثير أمراض ضارة، ولكثرة الحمام يسهل اقتناصه على الحررة فتأكل بعضه وتدع البعض يتعفن فتنبعث منه أمراض كثيرة الى نحو ذلك

ومن الواجب طرد الكلاب من الحرم كله ثم تسميتها بعد ذلك، فقد صح أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها إلا ما استثنى، والموجود بمكة جلده من المرضى

المجرحة فيقع عليها الذباب الكثير ينقل عنها مواد التقيح لجلطة امراض الى بني
الانسان صفارا وكبارا

ويمكن ان يصرف لطلبة العلم الشريف جميع ما يصرف الآن على الحمام
والكلاب فان ذلك خير وأبقى

ونحن نرغب إلى مشايخنا الأجلاء ان لا يجعلونا مضغة في الافواه وهزوا
لدى العقلاء، وان لا يلصقوا بديننا النقي ما برأه الله منه من القنص والفساف
وعلى الله الاعتماد وحده

هذه أمور نلفت اليها انظار رجال الدولة واعضاء مجلسي الأمة والشورى ومولانا
الشريف الحسين وصاحب الدولة والي الحجاز كاظم باشا ليعملوا ما يرونه أقرب للتقوى

اتحاد المسلمين

العام الهجري الجديد (*)

﴿ سنة ١٣٢٧ ﴾

اطل على الاكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا
فجلى لهم في صورة زاد حسنها على الدهر حسنا انها تتكرر
فبشرهم من وجهه وجينه وغرته والناظرين مبشر
واذ كرمهم يوما اغر محجلا به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع الى الهدى يحف به من قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسعي وراءه ملائكة توعى خطاهه وتحفر

(*) احتفل المصريون بدخول العام الهجري الجديد، وقررت الحكومة جعل أول
يوم منه عيداً رسمياً تقبل فيه دواوينها وتغسل اعمالها، ولقد نظم الشعراء القصائد في
ذلك، فأثرنا ان نثبت منها هذه القصيدة

يسرا بهرمان من الله ساطع هدى ويمناه الكتاب المطهر
فكانت على ابواب مكة ركة وفي يثرب اناره تنفجر

مضى العام ميمون الشهور مباركا تسدد آثار له وتسطر
مضى غير مذموم فان يذكروا له هتات قطع الدهر يصفو ويكدر
وان قيل أودى بالآلوف اجابهم بحبيب لقد احيا للملايين فانظروا
اذا قيس احسان امرىء باساة فارى عليها فالاساة تفتر
ففيه افلق النائمون وقد أتت عليهم كأهل الكهف في النوم اعصر
وفي عالم الاسلام في كل بقعة له أثر باقى وذكر معطر
سلوا الترك عما ادركوا فيه من منى وما بدلوا في السرفين وعبروا
وان لم يقيم الا (نيازي) و(أنور) فقد ملأ الدنيا نيازي وانور
تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجبى سيوفا وجدوا جدتهم وتدبروا
فسادوا وشادوا لللال منازل على هامها سعد الكواكب ينثر
نجلى بها عبد الحميد بوجهه على شعبة والشاه خزائن ينظر
سلام على عبد الحميد وجيشه وامته ما قام في الشرق منبر

سلوا الفرس عن ذكرى ايامه عندهم فقد كان فيه الفرس عينا فابصروا
جلا لهم وجه الحياة فشاquem فباتوا على أربابها ونجمهروا
ينادون: أن منى علينا بنظرة واحي قلوبا أوشكت تنفطر
كلانا مشوق والسبيل مهمد الى الوصل نود ذلك المتفشم
اطلني علينا لانتخاني فانا بسرك أوفى منه حولا واقدر
سلام عليكم امة الفرس انكم خليقون ان تحيوا كراما وتفخروا
ولا اقرئ انشاء السلام فانه يريق دماء المصلحين ويهدر

وفيه هوى عبد العزيز وعرشه واخفى عليه الدهر والامر مدبر

ولا عجب إن ثل عرش ملك قوائمه عود ودف ومزهر
فألقى إلى عبد الحفيظ بتاجه ومرت على دراجة يتعشرا
وقام بأمر المسلمين موفق على عهده مؤرا كش محضر

* * *

وفي دولة الافغان كانت شهوره وایامه بالسعد والین ترهر
أقام بها والعود ربات أخضر وفارقها والعود فینان مشر
وعوذها بالله من شر طامع إذا ما رمى (أورد) أورا ش قیصر

* * *

وفيه تمت في الهند العلم نهضة أرى تحتها سرا خفيا سيظها
فتجري الى العلياء والمجد شوطها ويخصب فيها كل جذب وينضز
وفيه بدت في أفق «جاوة» لمعة أضاعت لأهلها السيل فبكروا
وباليتة أولى الجزائر منة تفك بها تلك القبود وتكسر
وفي تونس الخضراء باليتة نى له أثرا في لوحة الدهر يذكر

* * *

وفيه سرت في مصر روح جديدة مباركة من غيرة تشهر
خبث زعنا حتى توهمت انها تخافت عن الأبراء لولا كروم
نصلى فأورعنا وهيات ان يرى سبيلنا الى أحداها وهي تزفر
مسي زعن التتويج باليل والنسي ففي مصر أبقا على مصر نسر
وقد كن «مورخين» الدعاء بخدا فأصبح في أعصابنا يتخدر
شعرا بحاجات الخيانة فان ورت من لنا عن ليها سكيف نلنر
شمرنا وأحسنا ذات فوسنا من الجيش إلا في ذرى العز اسخر
إذا نكح أحبة من ردها الى الموت فها ولا متجير
رجال الفرس النمل في حاسة في قاعة الجيش وشعب مصر
رجال الفرس النمل في حاسة الى مصليح يدعو ويداع يذكر
رجال الفرس النمل في حاسة الى حكمة نلي وسكف تهر

رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول لا تركوا غدا
رجال الفد المأمول انت بلادكم
عليكم حقوق للبلاد أجلاها
قصارى منى أوطانكم ان ترى لكم
فكونوا رجالا عاملين أعزة
ويطالبي الدستور لا تسكنوا ولا
اعدوا له صدر المكان فاتي
ولا تنطقوا الا صواباً فاتي
فما ضاع حق لم يتم عنه أهله
لقد ظفر الأتراك عدلاً بسوءهم
هم لهم العام القديم مقدر
ثقوا بالامير القائم اليوم انه
فلا زال محروس الارىكة جالساً
الى عالم يدري وعلم يقدر
اليكم فسدوا النقص فينا وشعروا
بمر مرور الأئس والعيش أغبر
تناشدكم بالله انت تذكروا
تعهد روض العلم فالروض مقدر
يدا تبني مجدا ورأساً يفكر
وصونوا حتى أوطانكم وتحرروا
تبنوا على يأس ولا ترضجروا
أراه على أبوابكم يتخطر
أخاف عليكم انت يقال تهوروا
وما ناله في العالمين مقصر
ونحن على الآثار لا شك نظفر
ونحن لنا العام الجديد مقدر
بكم وبما ترجون أدري وأخبروا
على عرش وادي النيل ينهي ويأمر
محمد حافظ ابراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة السلطان *

﴿ في ضيافته للمبعوثين ﴾

أيها المبعوثون الافندية

لاني اصبحت في الحقيقة ممنونا جدا لتناولي الطعام هذه الليلة مع سائر وكلاء أممي
الغمانية ورعيتي الشاهانية فكأنني مع جميع افراد أممي العزيزة !! زاد حضرة الحق تعالى
عددنا وسعادتنا حالها . ان هذه الليلة المباركة وسعيدة وأظن أنها اول ليلة من نوعها في تاريخ
دولتنا العلية ولذلك فاني ابارك عليها وأسأل الله ان يشرفنا جميعا بدوام وقوع أمثالها .
ان هذا الاجتماع المسعود هو مبدأ دليل الآثار الفياضة التي منحها القانون الاسامي لدولتنا
وامتنا ووطننا والتي سيمتدحها في المستقبل الى ما شاء الله تعالى . فهو اذا جدير بالتبجيل

أيها المبعوثون الافندية

كونوا على علم بأن الله هو حامي حقوق السلطنة والمملكة والدولة أولا ، ثم الامة
ومجلس نوابها لذلك كانت وظيفتكم هامة ومقدسة ، وغاية مطلوبي ان يحملوا اسميكم
وغيرتكم وقصدكم وينتكم بنسبة تلك المكانة الهامة وهذه القدسية . واني اؤكد لكم بأني
نصبت نفسي بعناية الكرم للمحافظة على أحكام القانون الاسامي الضامن والكافل

﴿ ادب السلطان للمبعوثين مأدبة حضرها معظم المبعوثين ، وتخلف فريق
منهم عن حضورها ، وكانت أعدت خطبة سلطانية للترحيب بالمبعوثين لازالة
فلك الاثر السيء الذي علق بأذهانهم من خطابه في افتتاح مجلسهم ﴾ (راجع ص

لهذه الحقوق المقدسة - وأؤكد لكم بأنه اذا وجد من يخالفه فأني سأكون أول خصم وأول عدوه أيا كان بصفتي خليفكم وسلطانكم
فصرع إلى الله تعالى أن يكون ممينا وظهيرا لنا في سعينا وغيرتنا في سبيل دولتنا وأمتنا وسلامة وطننا المقدس (١)



جواب رئيس مجلس المبعوثان عن خطبة السلطان

إن التاريخ الذي ينقل الوقائع الماضية للخلف لم يسجل إلى الآن في حياتنا السياسية يوما عظيماً بهذا المقدار . إن السلطان والأمة اللذين كان يتحسر أحدهما على رؤية الآخر من زمن طويل يأكلان اليوم على مائدة واحدة ويشربان من إناء واحد . ولم يعرف مثل هذا الائتلاف والاتحاد إلا في عصر السعادة (٢)
موت ثلاثة عشر قرناً والشرق محروم من رؤية السلطان مع الأمة وجوداً واحداً . إن العرب قد أظهروا للوجود مدنية عظيمة وكذلك العثمانيون سيكونون متمدنين قلباً وقالباً مع سلطانهم ، وبذلك يكونون موقفين لأعلاء شأن الوطن والتوفر على حفظه وصيانته ويكسبون موقعا ممتازا في عالم المدنية . ونواب الأمة يرضون لذاتكم السلطانية تعظيمهم واحترامهم لقاء ما نالوه في هذه الليلة من حالاتكم من الاعزاز والاتفات

(١) بعد أن أتم جواد بك رئيس كتاب المايين هذه الخطبة التفت السلطان إلى احمد بك وضار رئيس المبعوثين قائلا : اني لا اذكر دقيقة واحدة من عمري كنت سعيدا فيها بهذا المقدار ! »

(٢) يريد بذلك عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين الذي كان الخليفة فيه لا ميزة له على أحد من أفراد الأمة . ذلك العصر الذي كان يجرأ فيه رجل من آحاد اليهود أن يمد يده إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممسكا بثوبه مخاطباياه بقوله : انكم يا بني عبد المطلب قوم منطل ! انه لعصر جدير بأن يسمى عصر السعادة

نهضة الازهرين

عسير على المفكر أن يجعل علما بكل ما يقع تحت نظره ، وعزيز عليه أن يجمل اسباب أمر واقع ، ولهذا كان الفكر كثير الدأب والتجوال ، لا يقر له قرار حتى يكون له إدراك صحيح لما يرى ويشاهد ، وإذا ذاك يرى أنه إذا حكم على شيء ، كان ذلك الحكم مدعماً بالاستقراء ، ناتجاً عن مقدمات لا تنتج غيره .

ان فيما يتفق عليه جمهور المفكرين كثيراً مما يكون موضعاً للشبهة والأفكار فيه مسارح ومذاهب ، عليموس معاملة ونظام كتبه ، ولذلك لم يتحقق الإجماع على ما لا يد من البديهيات الاقياً ندر وقل ، وان مما اتفق عليه العلماء استحالة وقوف عمل ما عند حد محدود ، لا يتنزل الى هبوط ولا يتوغل الى صعود ،

لا يبعد ان ينهب قصار النظر الى إمكان ذلك ، واتي لا اوجه كلاماً الى هؤلاء ، بل اخاطب بهار باب العقل ، وأريدهم أولئك الذين لا يهلون أمر الفكر ، بل يستعملونه فيما خلق له ، ولكل وجهة ومنهج

تأمل في أي عمل من الاعمال تأمل نافذ البصر ثاقب البصيرة ، ثم اوجع الى نفسك ، وأنا صيغ بأنك تحكم إما بترويه واما بتدليه ولا وسط بينهما

كل هذا مما أثبتته المشاهدات ، واستفاضت بتفصيله النظريات ، حتى بات من المقررات ، التي راع فيها بين من يعقل ويفكر ، ولذلك كان في حال الأزهر وبقائه في نقطة محدودة لا يتجاوزها قيد شبر لمن ينظر اليه بادي الرأي حيرة للعقول ومضلة للافهام ، افرغ ذلك العاقل الحكيم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده جهده في سبيل اصلاح الازهر وقضى دأباً على ذلك سنين لو أمضاها في التأليف والكتابة للأخراة حكمة وعرفانا صاح بالازهرين صيحة صمت منها آذان وتمتعت بصائر ، فأصاخ قوم لقوله ، وثار آخرون بنبروته بالقلب ، وبعرقاؤن مساعيه المظلمة ، فريق منهم عانده عن غي وجهل ، وآخرون كانوا يحنون ويوعدون ، وكثيرون منهم حملوا على ذلك وهم

كارهون ١١ ولكن الامام كان في أول الامر موهبدا من الامير فلم تؤثر في عمله صيحاتهم ، ولم تصدف به عن سعيه سعائتهم ، فأسس للأزهر مجلس ادارة على نمط ديمقراطي لا يدع لكبير نفوذ فيه ، ولا لامير سلطة عليه ، وفتح روح الاستقلال في رجاله ، بما كان يريهم من جلائل اعماله ، وجلس من الطلاب مجلس مفيض الحكمة على العقول ، ومربي الاخلاق والنفوس

لم تكن العقبات والعوائير الأولى صادرة له عما اتدب له وصمم عليه ، بل كان لا يابه لها - وذلك شأن أرباب النفوس الكيرة - الى ان ظهرت له بشكل جديد ، يهددها نفوذ قوي ، ويؤيدها مقام علي ، فتكرها كما تنكرت له ، وواثها حينما كما واثبته ، حتى كانت تلك الوقفة المشهورة للامير ، وفيها نطق بما كان اكنه ، واطهر ما اخفاه واجنه ، قال :

« ولقد كنت اود ان يكون هذا شأن الأزهر والأزهرين دائما ولكن من الاسف رأيت انه وجد فيه من يخلطون الشغب بالعلم ومساءل الشخصيات بالدين ويذكرون لذلك من اسباب القلاقل حتى انه لما بدا شيء من بعض المغاربة المجاورين فيه عند اسكانهم في المحال التي خصصت لهم في الاروقة التي عرت حديثا على نفقة ديون الاوقف كان من اهل الأزهر نفسه من يهددهم بالعساكر ويتوعددهم بالنفي ويستغف نفوسهم بمثل ذلك للقبل والقال والاضطراب والهياج الى ان قال :

« وأول شيء اطلبه انا وحكومتي ان يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشتغل علماءه وطلبة الا يتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن رين العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء »

انطق الامير بخطته تلك ففهم الامام من بواطنها أكثر مما فهم الناس من ظاهرها ، فاستيقن أن العراقل التي تقف في سبيله إن لم تقدر على زحزحته عن طريقه ، فانها كفيلة بتعطيل عمله واصلاحه ، فخرج من حفرة الامير والاسف لتشمل على نفسه ، ورأى ان الخروج من مكان أراد ان يجعله كعبة للاصلاح ، فاجاب ما يريد - أصبح واجبا محتما ، فاستقال من ادارة الأزهر هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سلان ، ولقد كان تركها الأزهر اضطرابا وحزن

شاركت مصرفه سائر أنحاء العالم الاسلامي ، لان الرجاء بالاصلاح الاسلامي كان معقوداً بهذين الرجلين الزعيمين به . ثم مضى الامام إلى ربه ولسانك يتلجلج بقوله : ولكنه دين أردت صلاحه . أحاذر أن تقضي عليه الهام

استحوذ اليأس على النفوس من إصلاح الأزهر بعد ذلك ، وحكم الناس بأنه يصير طلابادوا ، لان طريقين يسير الناس فيهما في هذه الدنيا : فإما فناء وإما ارتقاء ، ولا ثالث لهما ، ولا وسط بينهما كما مر من قبل ، واجمع الكثيرون على ان الأزهر سائر في الطريق الأولى ، وصادف عن الأخرى ، وكان أناس في حيرة من أمر الأزهر ، فأنين انه واقف ساكن لا يسير الى تدل ولا إلى رقي !! وهذا هو الحال بعينه . وقد كان الأستاذ الامام يقول : يستحيل ان يبقى الأزهر في هذا العصر على ما هو عليه فان لم يمر ويرتق فلا بد أن يخرب ويزل

رأي الأمير بعد ذلك ان يصرف عنايته في سبيل إصلاح الأزهر ، ونشر رأيه في حظ الحكومة منه وادخال العلوم الجديدة عليه ، حتى أصبح يراهم من الفروض الختمة ، فألف له مجلساً عالياً هو رئيسه في بعض الأحيان ، فقرر المجلس وضع نظام جديد للأزهر ، ودأب اعضاؤه يجمعون نظامات المدارس الأميرية وما كان وضعه المرحوم الأستاذ الامام ، وخلصوا من كل ذلك نظاماً جديداً وضعوه ليسير عليه الأزهر ، فكان من عيوبه الكثيرة ان الاساتذة أنفسهم لا يستطيعون السير عليه ، فقد وضعوا فيه علوماً جديدة أوجبوا على الطلاب ممارستها ، وأكثروا فيه من العلوم والفنون التي يستحيل على طالب لم يتوفر على تحصيلها من قبل ان يلم بها ، وحثموا على من أوشكوا ان ينتهوا من الامتحان تأدية الامتحان فيها ، مع علمهم بأن هذا من الازهاق الذي لا يستطيع حمله ، فان الطالب الذي بلغ الثلاثين أو ما فوقها يمسر عليه أن يرجع إلى مداورة كتب السنة الأولى وبينه وبين الامتحان سنة أو سنتان !! على انه لا يوجد من الاساتذة من يحسن تدريسه بل لا يوجد من ألم بها أو زاولها !

سأني أستاذ عهده انه يدرس تاريخ آداب اللغة ماذا أفضل من التواريخ لإقرئها ؟ ابن خلدون أم ابن الأثير !! وجاني أستاذ آخر يسمي نفسه المحاضرات ؟ وربما كان الساتون الغيري أكثر ، على أنهم يسألون عن موضوعات

ليست غريبة عنهم فإياك يا معلم الطبيعة والرياضة ونحوها ؟
جاء البرنامج الذي وضعه حاويا أكثر من عشرين فاما بين قديم وجديد ،
وأوجبوا على طلاب السنة الثانية عشرة ان يمتحنوا فيها فكانتهم بهذا فرضوا عليهم
أن يعودوا الى السنة الأولى ! ووزعوا العلوم على من لا يحفظ حتى أسماءها ! فمن
ذلك أنهم فرضوا على ضرير ان يقوم بتعليم الاملاء ! وأرادوا على تدريس الرياضة
من لا يحسن القواعد الأربع ! وهكذا كانت توزيع سائر العلوم على المدرسين
فكانوا كلما ترقوا في تطبيق النظام ازداد التهوريش والاضطراب

ورأى الطلاب انهم مسوقون في طريق غير معبدة وتجه غير سوي ، فاستيقظوا
أن النهاية ستكون شرا من البداية ، وكان كثيرون منهم عن حضروا دروس الأستاذ
الامام عرفوا منها ان للانسان أملا في هذه الدنيا يسمى اليه ، وغاية قصدها بطله وعمله ،
ورأوا أنفسهم انهم ليسوا من ذلك في غير ولا فقير ، فاضطربت أفتنتهم وحرزنت نفوسهم ،
اطلوا على مستقبل مظلم ، مسبوق بالتكد والارهاق ، ووأوا الأهواء ، تصرفهم ،
وبؤس العيش يؤذيهم ، فهبوا من رقبتهم ، واستيقظوا من غفوتهم ، وتمضوا نهضة
من نهضت فيه نسمة من الحياة كانت ساكنة ولا تحرك لها فحركها حرارة هذا
النظام وبرودة تفنيده من جهة فصارت ريحا عاصفا

ولا يقيم على ضيق يراد به إلا الاذلان غير الحلي والوتد
من ذا الذي كان يظن ان طلاب الأزهر سيخرجون من الأزهر بقضيم
وقضيمهم وهم بضمة آلاف ليطنوا للاملا ان ما هم فيه لا يرضى به من كان إنسانا ؟
وان ما أوتوه من النظام الجديد انما هو نتيجة افكار نستطيع ان نحشر الموتلف
والمختلف معا ، ولكنها لا تحسن النظام بل لا تعرف طريقه ؟

خرج الطلاب من أذهرم حذر ما أريدوا عليه ، وابتناء الوصول الى خير
منه ، فطوفوا في الشوارع ، وذهبوا الى الجزيرة فخطبوا ، وكان مظهرهم من أجل
ما تقع عليه العين ، وكان أحسن ما هم فيه نظامهم وأتاتهم ، فقد كانت صفوفهم
متوازية ، وأبصارهم خاشعة ، تأدبا بأدب الدين ، وتحلقا بأخلاق حملة العلم .
سر الناس بهذا المظهر الجميل أو المظاهرة كما يقول الكتاب ، وارتاحت نفوسهم

إلى الأزهريين بعد أن حكموا عليهم بالموت الزؤام ، ولكن القيمين عليهم من المدرسين والمتقنين ريموا وغضبوا ، وصوروا الحال للأمير بعكس ماوقع ، فأمرهم أن فريقاً أو أفراداً محبين « وكلتهم الحقيقية : هلافت ١ » قاموا بصحبتهم ، ويصبحون ، وأن تأديبهم من السهولة بمكان ، فلم يحفل الأمير بتأديبهم ، ولم يستجب لقولهم ، ولكن ظهر بعد ذلك غشهم لأنفسهم وللأمير ، ورأوا من اتحاد الأزهريين وصدق عزيمتهم أكثر مما عندهم من القسوة والصلف ، وإن الأمر واقع ماله من دافع ، فلم يزدحم ذلك إلا تشدداً وعتاً ، ظانهم أن الشدة تفرق جمعهم ، وتحل عرى اتحادهم ، فجاءهم رجال الشرطة وركبناها ، فأحاطوا بالأزهر من كل جهة ، وسدوا من دون طلابه كل منفذ ، حتى أن فريقاً منهم لم يرض بما دون التعرش بقاله وأعماله ، فابن من هذا تهديد المغاربة الذي عده الأمير بدعاً ؟ ولكنهم ألفوا الطلاب مدرّعين بالثأر والصبر ، معتمدين بحياة التوادة والسكينة ، فما استطاعوا حلهم على ما يكره من مثلهم ، ولا إرادتهم على غير ما أرادوا أنفسهم عليه ، لم تقف الحكومة موقف الحكمة أمام حركة الأزهريين ، بل وقفت شائخة يصورها كن تعرض أمامه أنواع من الصور المتحركة ! ولم تحفل بمطالب الأزهريين الذين اضطربوا عن حضور دروسهم رجاء نيلها ، على أنه لم يكن من العسير اجابتهم إلى بعضها ، ولو أنهم اجابوا لرضوا وشكروا ، وتنازلوا عن المطالب الأخرى واعتذروا طلبوا المساواة بين المعاهد الدينية في حقوق الطلاب ورواتب المدرسين حتى لا يكون راتب المدرس في الأزهر مئة قرش وراتب ضريعه في الاسكندرية ثمان مئة قرش كما هي الحال الآن مع أن الأزهر رأس المعاهد الدينية - فمن ذا الذي لا يقول أنهم طلبوا حقاً وتمسوا بمساواة وعدلاً ؟

طلبوا مدرسين من أرباب الكفاة والاضطلاع ولا سيما الذين يعهد إليهم تدريس العلوم الجديدة التي لا يقدر غير الضليع بها على تدريسها ، وأن تلقى إليهم على نحو قائما في المدارس النظامية ، وأن ينفذ النظام الذي وضع لهم بالتدريج ابتاعاً لسنة لارتقاء الطبعي ، لا أن يدفعوا به في صدورهم مرة واحدة ويحتملوا على الجري عليه كلمة كلمة ، افلسوا بهذا المطلب محققين ، و به جذرين ؟

طلبوا أن يكون لرحلة الشهادة الابتدائية والثانوية منهم حظ من الاستخدام في المحاكم الشرعية والأوقاف والخطابة والوعظ وغير ذلك من الوظائف الحقبية .
فهل هم بذلك مخطئون بما طلبوا ؟

طلبوا أن لا يحمل الطالب الذي يؤدى الامتحان في هذا العام على تأدية الامتحان في العلوم الجديدة التي لم يدرسها ولم يعرف من امرها شيئاً ، لأن حمله على اداء الامتحان فيها من الارهاق والظلم الين فهل اساءوا وظلموا !

طلبوا ان يكون لهم احترام امام ذوي السلطة ، وأن يسمح لهم بالسفر بنصف اجرة في السكك الحديدية ولشيوخهم من دون اجرة مساواة لهم برؤساء الاديان الأخرى ، فهل كانوا بذلك بدعا ، ام اتوا امراً إدا ؟

تلك معظم مطالب الأزهريين فأى منصف بل اى محقق يبيع نفسه الادعاء بأنهم ليسوا احق بها واهلها وأوا أنهم هضموا وظلموا ، واعطى اخوانهم في الاسكندرية فوق ما سألوا ، فطلبوا المساواة بهم . ورأوا أن العلوم وزعت على مدرسين لم يحيطوا بها علماً ، بل لم يعرفوا لها حدا ولا رسماً ، وقد مر على القارىء ان الإماء عهد في تدريسهم الى اعمى ، والراضة الى من لا يعرف لها معنى ، فكيف مع هذا لا يكونون محققين في طلب المدرسين الا كفاء ، والعلماء الفضلاء . رأوا ان الحامل منهم للشهادة الابتدائية اسوأ حظاً من حجاب المحاكم ، وغيرهم من مزاولي ما هو دون مهنتهم . فطلبوا ان يكون لمن يحملها نصيب في بعض الوظائف الحقبية ، فهل هم بذلك ظالمون ؟ وأوا أنهم متمنون مزدورون وان واحدهم اذل من قيسي بجمص ، وان أندادهم واقائلهم من ارباب الديانات الأخرى لهم من الاحترام عند رجال الحكومة ومن الميزة في بعض الشؤون ما حلهم على الطلب بأن يعاملوا مثلبهم ، فهل يعد هذا من الاقيات ! وهنا لك مطالب أخرى ما كان لهم أن يطلبوها وان كانت حقاً وعدلاً ، كطلب تعيين شيخ الجامع الأزهر بالانتخاب وغير ذلك ورجا يكونون طلبوا كل ذلك ليجابوا الى بعضه ، على ان الحكومة تهزأت بهم وسخرت منهم ، فكان ذلك داعية لصدور حكم المجلس العالي للآزهر عليهم وهذا هو حكمه بعد ذكر الأسباب :

« قرر المجلس ما يأتي : حرمان طلاب العلم بجامعة الأزهر من المرتبات

والجرايات والامتيازات الحائزين عليها بحسب تبعيتهم للأزهر ويمنون من دخوله!! الخ»
جوزي الأزهريون بهذا الحكم لطلبهم تلك المطالب، وسب حفظه التاريخ الذي
لا ينسى شيئا، ويكون لمن بعدنا حكم عليه واي حكم!!

لم أرفها رأيت في هذه البلاد أمرا عنت به الأمة واضطربت له غايتها
واضطرابها بأمر الأزهرين، وليس لهذا من سبب إلا الشعور العام بأنهم مضطرون
مضطهدون، فكان اندفاع الأمة في الرغبة إلى الحكومة والالتماس من الأمير
بمعاملة الأزهرين بالرفق والحسنى، وإجابتهم إلى ما طلبوه بحق وعدل - كانت
ذلك سببا لتهضة النظار ورغبتهم إلى الأمير أن يصفح عما عده ذنبا للأزهرين، وقد
كان ذلك وقرر إرجاع الأزهر إلى قانون سنة ١٣١٤

سكنت نائرة الأزهرين وأرتاحت نفوسهم إلى هذا القرار، وأفرخ روع الأمة
بعد القلق والاضطراب، ولكن قام فريق من أصحاب الجرائد وكتابها الذين يتكلمون
بغير وجدانهم، ويكتبون بموثرات كاذبة يتخفون بها لأنفسهم - يصيحون ويصخبون
متملين من هذه الخبة، متبرمين من سوء النتيجة، ناعين على جرائد أخرى كانت
تشذّر الأزهرين لأنها كانت تؤيدهم ذلك التأيد، وذلك ليهووا الأمة
أن الرجوع إلى ذلك القانون خسرا من ١١

للم يكن في الرجوع إلى ذلك القانون إلا حصر سلطة الأزهر في مجلس إدارته لهذا
هذا وحده غنا واي غنم، على أن نظام القانون القديم الدرامي كان وضعه على نمط
يحمل للطلاب حظا من العلوم الجديدة من دون أن يرهقوا أو يحملوا على ما لا يستطيعون،
فقد كان القانون يخول لمن كان في السنة السادسة الاختيار في الامتحان في العلوم
الجديدة، فله أن يمتحن فيها إذا شاء ويكون إذا ذلك مقدما على غير المتحن فيها، وإذا حظ
من الجوائز المالية التي كانت خصصت لمن يبرز فيها - فأين هذا من القانون الجديد
الذي يقضي حتى على من كان في آخر سني الدراسة أن يمتحن في تلك العلوم كلها؟
ليس من يملك على ما لا يستطيع حمله بالسر كن يسوقك إلى صنع المستطاع
الهنين بما في وسعه من أنواع الترغيب والتحييب، وهذا ما جعل الطلاب يتقنون القانون
القديم بالرغبة والجدل، وحملهم على التفرد من الجديد بالكره والسخط، وذلك

أمر متظر والمثل يقول « ان دمت ان تطاع فسل ما يستطاع »
يقول المتفكرون الاغطون ان تقور الأزهرين من النظام الجديد دليل على
جهودهم ، وأنا أقول إنه دليل على استقلالهم ونهضتهم ، وحجة أولئك زعمهم ان
الأزهرين لم يرتضوه لانفسهم لانه يحملهم على ممارسة العلوم الجديدة وهم لا يشاءون
ان يضربوا بسهم فيها ! ، وسأطاني انهم رفضوه لكونه مشوها مضطربا لا يمكن السير
عليه ، وقد مر على القارىء الاماع إلى شيء من مساوئه ، أما العلوم الجديدة فانهم
عرفوها أيام كان كثيرون من واضعي النظام يحاربونها ، ويرمون مزاويلها بالتضليل
والتكفير ، فالريضة والهندسة والهيئة والميقات وتقويم البلدان والتاريخ — كان يدرسها
الأزهريون ولكنها كانت تدرس لمن لم يتجاوز السنة الرابعة الدراسية ، لا كإحدى النظام
الجديد بإرغام جميع الطلاب عليها !

الغرض الأول من الأزهر تخرج الاختصاصيين في علوم الشرع ، ومن الضروري
ان يكون العالم الشرعي ذا إلمام بالعلوم الجديدة لأن الجاهل بها في هذا العصر هو
والأعمى شرعاً ، ولكن من الرعونة والبلاهة ان يراد من العالم الشرعي ان يكون إخصائياً
في الرياضة والطبيعة والهندسة وغير ذلك ،

ألا ان الإصلاح الحقيقي لا يكون بزيادة العلوم ووضع القوانين ، وإنما يكون
بالرجال الأكفاء الصليحين الذين يزنون الأشياء بميزانها ويضعون كل شيء في موضعه
اذا كان لديهم المال الذي يقتضيه ذلك الإصلاح . وإن بين ظهرائنا كثيرين من
هؤلاء ، وهم من متخرجي الأزهر وموظفي الحكومة ، فإذا على الحكومة لو عهدت الى
هؤلاء لإصلاح الأزهر ، وهم القادرون وحدهم على ذلك — اذا كانت تريد الإصلاح !
واحسن ما نلتهم به هذه المقالة الثناء على الشيخ حسونه النواوي الذي ظهر من
استقلال فكره وكمال رجوليته ما ذكرنا بكلمة الاستاذ الامام فيه « انه افضل من يليق
لمشيخة الأزهر » بل ما حمله على الاستقالة لأنه لم يجب الى مطالب الأزهرين اذ
سألها ، فكان ضيقنا بكرامته ان تهاون ، وبارادته أن تتلاعب بها الأهواء ، وهذا هو
الرجل الفذا كثر الله فينا من أمثاله
حسين وصفي رضا

ندوة العلماء الهندية

﴿ تأسيسها داراً للعلوم ﴾

ان لندوة العلماء في الهند مساعي في خدمة الدين الخفيف جلية، وسمياً في خير النوع الانساني مبروراً، وقد اتيه عزمها الى انشاء مدرسة كبرى للعلوم (جامعة) دعيتها (دار العلوم) واحتفلت في أول شهر ذي القعدة الماضي بوضع الحجر الأول من اساسها، وقد قالت في ذلك مجلة البيان التي تصدر في مدينة لكنؤ (الهند) :

« عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنؤ فاما المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجاء، وكانت الحفلة بهيجة لم ير الناس مثلاً في حسن انتظامها و بلاغة ما ألقى فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف وإعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملى واصلاح ذات الدين وتوطيد الاخاء والوئام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم، ونمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب أو بشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء.

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والمشرود وكان بين المسامين اهل السنة وعلاؤهم والشيعه ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفية والاسانف والوهابية والمتفرجة. وهو أول اجتماع ديني حفل أهل المدن المختلفة كأنما هو مظافة رياحين مختلفة نفاحتها والرائها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالى السرجون هويت وقرينته فاستقبلهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما لجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا اقرارى آيات من القرآن الحكيم، وقدمت الى الوالى عريضة الحلال فأجاب بخاتمة مسهية اثني فيها على الخطه التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام

ونشر المعارف الحديثة من وجهة باوم الدين وعد أعضاء الندوة من مخلصي دولته وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر أساس المدرسة »
وهذا نص العريضة التي قدمت الى الوالي نقلها عن المجلة الخاصة التي تصدرها الندوة باسمها :

مولاي الاكرم : نحن أعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الولاية ونشكركم على اجابكم دعوتنا لوضع حجر أساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قدر شبر من الارض الا وفيه انصار الندوة وحماها وقد استبان بهذا ما للدولة من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملاك الحكومة وعمودها فان الندوة ليست إلا جمعية دينية

مولاي الاكرم : نحن نستدعي من حضرتم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجلية دار علومنا هذه

مولاي الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم ترزل فيهم طائفة تقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في أمور الدين واحكامه والامة كانت تقف أثرهم وتتبع هداهم في كل ما لمس بالدين ولو في أمور الدنيا وكانوا نموذجاً لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقه . والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تقوم به جنسية المسلمين ليست خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الأسرة كما هي للام الأخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبة على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبده . ولما لم يكن للمسلمين حزب يختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا يحدوا عن قصد المحجة . وهذا الامر دعا الى أن نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الأخرى ومن مزية امة الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرمى وغاية ... وما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع له والتفاني امر لا تشارك فيه امة حتى ان الرؤوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع لها كرامة . والحق ان تأخر الامة ما كان الا بعد ما قُضت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من

المكانة عند القوم وحينئذ حُرمت الأئمة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الأمور وبلغ الحال إلى أن رفعت الشكاوى إلى الحاكم السلطانية فقام حينئذ حزب من العلماء لصد الخلل وإقامة معالم الإصلاح وكان من أول مظاهره هذه الجمعية المسماة بالندوة، انعقدت حفلتها الأولى في كانفور سنة ١٨٩٣ م وفي سنة ١٨٩٨ م صادقت الحكومة عليها رسمياً وبلغت حفلتها اثني عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف أهوائهم وأذواقهم - أمامطالب الندوة فحصر مهماتها في أربعة أمور :

(١) ترقية المدارس العربية وإصلاحها (٢) رفع الخصاصات الدينية (٣) إصلاح أمور المباشرة والأخلاق (٤) نشر الإسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية في بدء الأمر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الأمة كافة فتوسعت حينئذ مطالبها وكان من أول مساعيها أنها اجتمعت في رفع الخصام الحادث في أحزاب الأئمة وإصلاح ذات الين وفازت في ذلك إلى حد لا يستهان به، وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم لم يذهب ادراج الرياح، ثم إن الندوة أقامت دار الافتاء في لكنؤ، ومحلا للإيتام في كانفور ولكن كان أهم مطالبها أمر التعليم فأصلح ما فسد منه ليكون سبباً لوجود شذمة تهدي الناس في الأمور الدينية

ومن الدين أن التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الأمة وحجزها عن سبيل رقيها ونظرا إلى ذلك استست الندوة في سنة ١٨٩٨ م مدرسة ستمها بدار العلوم كانت في أول الأمر مدرسة ابتدائية ثم تحولت إلى كلية في سنة ١٩٠١ م وصارت كأنها أساس جامعة دينية ولما كان أمر التربية أعظم خطراً من التعليم استست دار إقامة للطلبة ولكن كان من شؤم الحظ أن الأئمة لم تقدر مسعى الندوة حتى قدره فالفئة القديمة أساءت الظن أن ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهناً في الدين، حتى ألفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة، ووفق ذلك أن الناشئة الجديدة أيضاً كانت تتقاعد عن الأخذ بناصرنا فأنها كانت تحسب أن الندوة قيد حرية الأفكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع إحياء العلوم العربية أصلاً ومع أن الندوة كانت هدفاً لسهام كلتا الطائفتين لم تزل لها قدم ولزمت محبتها واختارت

لنفسها جادة وسطا فترت نصابا جديدا رجح فيه جانب الادب والعلوم الدينية، ومع ان دار العلوم لم يمس عليها ربح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق له مثل ! وكان يمدار نادرا في ارباب الحكومة الاسلامية ايضا وقد اضفنا الى نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد وكفرا في المدارس القديمة، وما زاد الطين بلة أنا أدخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزوما، فكان من ثمرته حرمان التدوة من بعض المساعدات المالية حتى أن بعضا منهم استرجع ارضا كان وقفها على دار العلوم ! ولم نأل جهدا في الاستفادة مما لأهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية وخزائنها تحتوي على أكثر ما كسبه المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح أن تكون زينا لكل متحف علمي، وتلاميذنا لهم مزيد شغف في الاستفادة من تلك الخزانة، ويوجد فيهم من يكسب في مجلة التدوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا أن ننشيء لجنة يكون اعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة - وبناء على ما توارثنا من آباءنا لا تأخذ للتعليم اجرة، ونريد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن أهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيازة عن المدارس الدولية لأجل التعصب الديني أو لأجل عدم الثروة لا ينجحون الا الى مثل التعليم الذي اختارته التدوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجترى، على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص، فانهم ابعديلا عن التقشف وبراء من الفعخصة الفاسدة - ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظيف في اعمال الدواة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشيء رجالا يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد احما سيطرة الخلق والمخلوق معا - رجالا يكون من شيمتهم الاستكانة للا كابر والمواضعة للجار والتواضع العامة وفوق كل ذلك : الاتقياد للحكومة والخضوع فمدرستنا تنفخ في طلبها روح المساحة الدينية التي فتحت أبوابها لكل حزب، فلم يعن طلبتنا ولا اساتذتهم بالمساحرات التي حدثت اليوم بين المتبين العقابيين من المسلمين وعلماء

بلجئنا لايرون يدعون الناس الى الخير والصلاح فخرجوا من دار علمونا والمدارس التي تتبع سبلها انها تخرج طلبة سيودون الامة وعلكون ازمها مرة اخرى ويحسمون الشقاق ويشقون عصا النفاق، ويصبجون لتوسمهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطة موصلة بين الفضة الناشئة وحزب القهقر العتيق، ونحن على يقين من ان المسلمين كما سلم ادعائهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة واثباتا للحكومة. والآن تقدم الى جنابكم ازكي التكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدوستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعدتهم الى هذا الحد ونخص من بينهم أولا سمو النظام أمير (حيدرآباد) الذي نستغرف من جود امارته من نعمة أظفارنا وان لم نرزق زيارته حتى الآن، وبعد ذلك نوّدي مقترض الولاء الى سمو الملكة اميرة بوقال التي تمنحنا وظيفة اعانة سنوية ونبت ايادي اماره ههاو بالفور التي رفدت اميرتها غير ما تسمح به امارتها سنويا بمنحة تساوي خمسين الف روبية، هيأتنا لنشرف بان نضع ساداتكم حجر اساس كليتنا ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكراء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر عبد المجيد خان وزير خارجية اماره بلياله ونحن نشكر المستر أي -ال- ساندروس - والمستراس ايج بطارسي -اي - اي والمسترال ام جابلتلك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي اقصم بها علينا. وفي الختام نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا بما نقيم البنا من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرا الذي قدمه الى جنابكم حيث قلتم ان تضعوا يديكم الكريمة حجر الاساس. والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يقى على كر الدهر.

﴿ لقب حاكم المسلمين ﴾

لصاحب الامضاء

رايت في بعض جرائد الاستانة كلاما عن الخلافة واتهام خديو مصر بالسمي في التلقب بها الى نحو ذلك ولا أدري أي عقل صياني قبل تلك المقتريات الباردة ان لقب الخلافة لقب شريف وله شروط والخلفاء الحقيقيون الذين هم خلفاء بدون شك قد مضوا ورحمهم الله تعالى كما في الحديث المشهور الخلافة بمدي

ثلاثون ثم يكون ملكا عضوضا » وفي رواية « ملكا وجبرية » انتهى باللفظ أو بالمعنى فمن كان بعد ذلك من علوج أمية أو فساق بني العباس فليسوا خلفاء بل هم ملوك ولم يستثن إلا من استقام على الطريقة المثلى ولم تكن عنهم قرشيتهم شيئا ولا دليتهم ثم ماذا جني المسلمون من لقب الخلافة؟ إنهم لم يجنوا غير الاقتراق والقتال ومنذ استشرى سلاطين آل عثمان لهذا اللقب فتحوا على أنفسهم أبوابا من التعصب بدون مقابل « قل لي أي فائدة حازوها بهذا الاسم الضخم؟ أي مملكة اقتسحوها بهذا اللقب؟ أي حق استحقوا بهذا المنصب؟ التي لا أعرف شيئا وما أراهم استفادوا غير فرة بجانين الملوك وزيادة التفريق الذي أودى بنا . السلطان مفروضة طاعته في المعروف ، حرام الخروج عليه لغير سبب مسوغ . كل هذا معلوم فإذا يجب غير هذا له لو كان خليفة مستكمل الشروط؟ اننا لو اردنا أن نقتصر لأقل ملوك المسلمين الآن على ما كان لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم شكوا في استحقاقهم له وارجعوه لم يقبل أحد منهم ذلك مع أن اعلامهم كلها لا يقوم للمسلمين بشئ معشار ما قاما به . لا أقول ان ذلك الاوان مساو للوقت الحاضر يكفي فيه ما كفى في ذلك لا بل أقول بعد مراعاة الأئمة والاحوال

إذا يجب النصيح والمساعدة لسلطان المسلمين على كل أحد منهم بما قدر عليه سواء سماه أمير المؤمنين أو الخليفة أو السلطان أو سلطان كذا أو امبراطورا أو ملكا أو فلان بن فلان بلافرق . ومن المحسوس أنه ليس للمسلمين سلطان أخق وأولى بالاعتبار من السلطان عبد الحميد خان زاده الله توفيقا فالنصح له بعد النصيح لله وكتابه واجب وكذا الدعاء له لكن لا على نحو ما يفعله الجبهة وخطباء المنابر في الدعاء أو بان يقدموا امامه ما يكون سببا لعدم قبوله من المبالغات والنعوت الكاذبة وما يدل على الخيال والابهة والكبرياء فكل ذلك بدعة ووجها الوسواس الخناس عليهم وعمل بها علماء السوء عباد الدرهم والدينار . والتواضع والخضوع والصدق في الدعاء والاتباع فيه لما جاء عن سيد المرسلين من أعظم أسباب قبوله . هذه آرائي أعرضها للتمحيص واقترح على خطباء المنابر أن لا يزيدوا على قولهم عبدك الفقير اليك فلان وكأني بهم اذا عملوا باخلاص وقد رأوا علامات الاجابة والله الهادي سنفاوره س . س . س . ي

(٣) جمل اللغة العربية محتمة في جميع مدارس الحكومة وإنشاء مدارس
مطبخين ومدارس زراعة

﴿ ذيل لكشف الظنون ﴾

كنت شرعت منذ ست عشرة سنة بتأليف ذيل لكتاب (كشف الظنون
عن اسماء الكتب والفنون) تصنيف الملامة منسلا كاتب جلبي المعروف بحاجي
خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ جمعت فيه ما فاتته ذكره من اسماء الكتب والمصنفات مع
اسماء المؤلفات التي حدثت بعد عصره في اللغات الثلاث الشرقية الى يومنا هذا .
وجعت في ذلك الى كتب التراجم وفهارس المكاتب العمومية وبعض المكاتب
الخصوصية وضمنت الى ذلك الكتب التي وقفت على اسمائها في أثناء مطالعتي لكتب
شئ مختلفة المواضيع واسماء كتب كثيرة دخلت في يدي مع ما وقفت عليه من اسماء
المؤلفات التي اطلت الجرائد والمجلات طبعها وقد احييت انت اطلع هذا الذيل
الحافل اجزاء متتابعة كل جزء مائة صحيفة بقطع الاصل بحيث يصدر في كل شهرين
جزء منها . وبما اني قد ذكرت في كتابي هذا كثيرا من مؤلفات المعاصرين
احيت ان لا يفوتني ذكر كثير منها مما لم اطلع عليه لتعذر الاطاحة فارجو من
فضلاء العصر وكتابه وادبائه ان يتحفوني في مدة شهرين ونصف باسماء مؤلفاتهم
ومؤلفات اسلافهم كآبائهم واقربائهم مع ذكر شئ من خطبة الكتاب ونبذة من ترجمة
مؤلفه وتاريخ ولادته وان كان متوفى فتاريخ وفاته وحل طبع الكتاب ان كان مطبوعا
وسنة طبعه . وبما اني رقيت هذا الذيل على حروف المعجم كالاصل فاذا أخرج أحد
ارسال اسماء مؤلفاته الى ما بعد الاجل المعين وكان فيها كتاب يدخل في الحرف الذي تم
طبعه فاتني ذكر ذلك الكتاب . وأرجو أيضا من أصحاب الجرائد والمجلات ان
يتحفوني باسماء جرائدهم ومجلاتهم وتاريخ انشائها وبيان وصفها إجمالاً حيث اجل
ذكرها والتتويه شأنها خاتمة للكتاب وانني اسلف كل من فضل عليّ بآثاره كل
شكر جزيل وثناء جميل .

يغايبرني من شاء . هذا العنوان : (بحاسب المعارف في بيروت جميل العظم)

بإثبات الحكم من شاهدين وثبت الحكم قضاءً وهي
غير كافية وإنما يصحح الأمر بالآلة

المحكمة
١٣١٥

غير عبادي الذين يستعملون القول فيتمون أحسن
أولئك الذين عداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاثنين ٢٩ صفر ١٣٢٧ — ٢٢ مارث (آذار) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م ﴾

فَتَاوَى الْمَبَانِي

فتعنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرسل إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا ورمقا قد منامتخرا لسبب كهاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لثقل هذا ، وإن بعضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صريح لأثقاله

﴿ أوراق اليانصيب وسندات المصارف ﴾

(س ١) من بورت سودان لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام وفيلسوف الانام مربى الأمة ومرشدها وغرة عصرها وعالمها
عبدني المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نفني الله بعلمه آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد جمعتي وجماعة من بقاء بورت
سودان وفضلائها مجلس انعقد بمنزل فضيلة قاضها الشرعي لسباع درس التوحيد
وبعد أخذنا تتجاذب اطراف الحديث الذي وصل بنا إلى تحليل أو تحريم أوراق
اليانصيب وطال الجدل في هذا الموضوع وانقسمنا إلى قسمين

قسم منا حرما من أولها لآخرها سواء في ذلك سندات سكة حديد تركيا
(الروملي) والبنك العقاري جديدها وقديما

واقسم الآخر فصل في الموضوع حيث حرم كل الأوراق ما عدا سندات
البنك العقاري وسكة حديد تركيا فقال بالحل فيها إلا أنه لم يحزم بهذا القول
واشترط في أوراق البنك العقاري عدم أخذ (الكبون) أي الرجب السنوي

وبالنسبة لكوننا لم نوفق في الفصل في هذا الموضوع نهائيا قرر القراء على الاستعلام
في سبيلهم في هذا الموضوع للاهتمام بهديكم وكلفوني أن أسألكم
عن هذا الموضوع بكم أخلاقكم جئت اليكم بهذا إراجيا لإرشادنا في هذا

الموضوع أرشدكم الله والفصل فيه ليحق الحق ويبطل الباطل ان الباطل كان زهوقا
كما اني أرجوكم إن كان سبق لسيادتكم التكلم عنه في مجلدات غابرة ان
تجيئوني عليه وأكون ممنونا لو تفضلتم بالإجابة في أول عدد لأهيمته عندنا والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته
كاتبه

أحمد كرم
أحد قراء المنار

(ج) افيتنا في المنار من قبل (ص ٤٧ م ١٠) بأن اليانصيب من القمار المحرم لما
فيه من الضرر الظاهر فان المقامر يضع ماله لتوهم الربح وقد فصلنا القول في ضرر الميسر في
تفسير قوله تعالى « ٢١٩: ٢ » بسألوكم عن الحمر والميسر » فراجع في (ص ٣٢٩ ج ٢)
من التفسير . واما مثل سندات البنك المقاري فهي نفسها ليست من « اليانصيب »
وان كان يعمل لها « يانصيب » بل هي ضرب من ضروب التجارة لأن لها أثمانا
كأثمان سهام الشركات المالية تزيد وتقص وتشبه من جهة أخرى الدين برجح قابل
لأن صاحب المال يأخذ عليه كل سنو بجا « كوپون Coupon » ولكنها خالية من ضرر
القمار لأنه ليس فيها إضاعة مال محقق لربح متوهم ومن ضرر الربا المبرر عنه بقوله
تعالى في خاتمة آيات الربا « لا تظلمون ولا تظلمون » وهي مع ذلك مشكلة والظاهر
من اقوال الفقهاء وقواعدهم انها غير جائزة لذاتها ولكن بعضهم يحيز ذلك في غير
دار الاسلام أو مع الحريين لأن التزام العقود الاسلامية إنما يجب في البلاد التي
يحكم فيها الاسلام ولهم في ذلك تفصيلات كثيرة (راجع ص ٦٣٩ م ٧ وص ٢٦٨
و ٢٩١ و ٨٥٩)

ثم ان الفقهاء قد جعلوا الشرع العملي قسما من عبادات ومعاملات فالمعاملات
ليس فيها امور تصدية بل كلها معقولة المعنى منطبقه على مصالح الناس ومنافعهم ودفع
الضرر عنهم فلا يحرم منها الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره وما يترضى به الناس من
المعاملات من غير غش فلا يحرم عليهم الا انه اذا كان من شأنه ان يضر لا يلزم
الغش ما كانوا راضوا به اذا هم اختلفوا بهد ذلك وتجاوزوا اليه ولا يقبهم المقتي بوجوبه
شرعا فقد جاء في الآثار الصحيحة عند البخاري وغيره ان المقترض اذا أعطى الفضل لما

أخذ أي كيفاً أو كماً فلا بأس بذلك ما لم يشترط ذلك أي يجعل حقا شرعياً - وهذا في الربا الذي هو أغلظ المحرمات المتعلقة بالمعاملات المالية فإذا أعطى صاحب سندات البنك العقاري مالا من البنك قدر يحبه بالسحب برضى أصحاب البنك فإنه لا يظهر لي أن أخذه محرم عليه ولا سيما إذا كان أصحاب البنك من الأجانب الذين لا يلتزمون أحكام شريعتنا من أنفسهم ولا توجد حكومة إسلامية تلزمهم العمل بها ولا يظهر لي أن هذا من القمار إلا بالنسبة لمن يشتري أوراق السحب التي تباع في الأسواق والشوارع لأن هو لا يضعهم أموالهم على التوهم وأما أصحاب السندات فإن أموالهم محفوظة لهم لا يضع منها شيء، والله أعلم وأحكم

﴿ دين المستقبل وهل يكفر من له رأي فيه ﴾

(س ٢) من بغداد لصاحب التوقيع الذي عهد الينا بكتان اسمه

حضرة سيدي المحترم محمد رشيد رضا افتدي أدام الله مجده

أما بعد فقد جئت طالبا من فضلكم نشر سؤالي هذا على صفحات (المنار)
الأغر وسرد جوابه بما يراهي لكم لأن الأمر أشكل في بغداد والاقوال تضاربت
فجئت طالبا فتواكم ولكم الأجر

إن أحد الكتاب نشر مقالة في جريدة بغداد في عددها الأول وقل فيها :
إن حضرة السيد البكري قهيب أشرف مصر قال سألت الشيخ جمال الدين
الافغانى عن دين البشر في المستقبل فأجابني بقوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) فقام بعض المدعين للعلم وقال

(١) المنار : سمعنا هذه المسألة من البكري وقال أمانا إن السيد قال له اتقشوا

هذه الآية على هرم الجزيرة إلى أن يجي المستقبل فيفسرها . وليراجع في المنار ما قاله
لاستاذ الإمام في تفسيرها

ان هذا الناقل الذي نشر المقالة قد كفر وخرج من دين الاسلام وطلب من الحكومة مجازاته وهو القتل كفراً لا حداً والى الله باله ثم وكل الأمر الى أربعة من المدسسين وهذا المكفر معهم خامس فاما أحدهم فقال إن الرجل ناقل وليس عليه شيء من دون ان يعنى البحث في أصل الموضوع فرفضوا قوله واجتمع الأربعة على انه يجب تميز هذا الناقل تميزاً شديداً وقدموا قرارهم هذا العدلية ولا ندرى ما سيكون منه فندرجوكم تدقيق هذا البحث باطرافه بحق قائله وناقله والحاكين فيه ليتضح الحال خدمة للوطن والدين والامة دامت أفضالكم الامضاء

غيور اغثار الدين

(ج) لا وجه للقول بكفر هذا الناقل ، ولا ذلك القائل ، ولا تعزير من يرى ذلك الرأي سواء كان خطأ ام صوابا والظاهر أن أولئك العلماء لم يفهموا معنى سوال البكري ولا جواب الافغاني لأنهم لم يفكروا في مثل هذا البحث ولا في سببه لا لبلادة في أذهانهم ولا لجهلهم باللغة التي عبر بها القائل والناقل . نعم ان المشتغلين منا بالفتيات ، الجامدين على التقاليد والعادات ، كثيرا ما يتجهون على التكفير ، بشير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، واضن ان من ذكرتم من علماء بغداد ، لو فهموا معنى السؤال والجواب ، لما خطر في بالهم ان يمدوا القول به ذنباً ، فضلا عن ان يمدوه كفراً .

يقول كثير من علماء الاجتماع إن البشر في مجموعهم يسيرون الى الكفر والإلحاد عاما بعد عام وان هذا السير ينتهي بترك الأمم كلها للدين بعد قرون كثيرة اوقيلة ومن هؤلاء القائلين بهذا الرأي من هو متدين بالاسلام ومنهم من هو متدين بشيره ومنهم من هو ملحد لا يدين بدين

ويقول آخرون ان البشر لا يمكن ان يستقنوا عن الدين ولا عبرة بما نراه في هذا الوقت من كثرة الكافرين فلا بد ان يبقى الناس متدينين وان يقوا مختلفين في الدين ويذهب آخرون الى انه لا بد ان يسود في المستقبل دين يكون عليه أكثر البشر وهل يكون ذلك دينا جديدا ام أحد الأديان الحاضرة بمد تنقيحه وتطيقه على حال الناس في المدينة المستقبلية ؟ انهم مختلفون في هذا وسمعت الاستاذ الامام

يقول أكثر من مرة اتقي اعتقد منذ عشرين سنة ان دين المستقبل هو الاسلام ولي على ذلك أدلة اجتماعية وأدلة عقلية كالإعود الإلهية بإظهاره على الدين كله وهو عندي في مرتبة اليقين . ولا يخفى ان أصول الدين الإلهي الحق التي دعا إليها جميع رسل الله هي الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح . والكتاب والسنة تفصيل لهذه الأصول . وعبرة السيد جمال الدين مجمل فلا يدري رأيه كأي تفصيله الأستاذ الامام ويريد بالأصول المجمل في الآية ما هو مفصل في غيرها من الآيات أم يريد ان البشر لا يتفقون على تفصيل الاسلام ولا غيره وإنما يستقر رأيهم على تلك الأصول المتفق عليها ويتركون لكل فرد رأيه واجتهاده في تفصيلها؟ الله اعلم بتفصيل وأيه ولكن الذي يجب الجزم به انه لا يجوز ان نكفّر ولا أن نفقه برأيه لأنه لا علاقة بين مثل هذا الرأي وبين قوة الإيمان وصحة الاسلام بل لا يجوز ان نقول بكفر من يرى ان الشرع يترك كل دين ولا يعزّره اولونه على ذلك . فليق الله علوانا في المسلمين وليعلموا أن عاقبة هذا التشديد والجراة مغفرة عن الاسلام وانها يوشك ان تفضي الى ما لا يحبون لانفسهم ولا لدينهم

أما المدلية فلا أدري ما هي علاقتها بأراء الناس وافكارهم فاذا كان رجال المدلية في بغداد كمن ذكّرهم من العلماء فهما لهذه المسألة وكان رأيهم في العقوبات القانونية ، كأي أولئك الفقهاء في العقوبات الشرعية ، فاحسرة على بغداد ، فانها لا تزال ترسف في قيود الجهل والاستبداد ،

﴿ تعدد صلاة الجماعة في وقت واحد ﴾

(س ٣) من بغداد لصاحب التوقيع

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار دام فضله

اتقمت أقوال العلماء على أن لا فرق بين أقوال الأئمة الأربعة المجتهدين رضوان الله عليهم وانهم نجمهم السنة والجماعة ولكن مع الأسف نرى في أغلب جوامع بغداد قام للصلاة جماعتان حنفية وشافعية في آن واحد وكل يصلي بصلاته بحيث

لا يكاد يميز السامع بين تكبير إمام وآخرهما القول في ذلك ؟ واغرب منه ان يقوم مع وجود الامامين إمام ثالث حنفي ويصلي بالناس مع ان صف الجماعة المقتدين به متصل كمال الاتصال بصف المصلين خلف الشافعي بحيث لا يمكن معرفة الحد الفاصل بين الجماعتين قط . و بعد تمام صلاتهما تقام جماعة حنفية أخرى ! فاما القول في الامامين الاولين على ان الشافعي راتب والحنفي فضولي والحنفي الذي يصلي أخيرا راتب ؟ أوجوكم دفع هذا الالتباس ولستم الاجر الامضاء .

مسلم لا يحب تفرقة الاسلام

(ج) ان تعدد الجماعة في وقت واحد بدعة مذمومة لاسبب لها فيما نعلم إلا جعلها وسيلة للمرتبات التي يأخذها أئمة المساجد من الاوقاف أجرة على الامامة وفي هذه الاجرة ما فيها . ولا التباس في المسألة فنحتاج إلى إزالته لان هؤلاء المفرقين لا يقولون ان إقامة جماعتين فأكثر في مسجد واحد في وقت واحد مشروع فردد عليهم . ولا يرجي ان يترك هؤلاء الأئمة ذلك باختيارهم الا بأحد أسباب ثلاثة (١) علم أولئك الأئمة بالسنة والحرص على اتباعها (٢) رغبة المأمومين عن التعدد كأن يقبض الله لهم من علمهم ان أمنا أمة واحدة وديننا واحد حرم الله علينا التفرق فيه بمثل قوله « أقيموا الدين ولا تفرقوا » وان سلفنا الصالحين ما كانوا يقيمون جماعتين أو جماعات في وقت واحد مع مخالفة بعضهم لبعض في بعض الفروع الاجتهادية كما عليه الشافعية والحنفية وغيرهم ، وأن هؤلاء الخلف ما تفرقوا عن الجماعة إلا لاجل الدنيا . فاذا علم العامة ذلك لا ياثرون ان يصلوا مع الجماعة الاولى في كل وقت ، ولكن هذا أبعد مما قبله لان علماءنا أهملوا تعليم العامة دينهم وصار أكثرهم يكفي من خدمة الدين بتكفير من يخالف رأيه أو هواه من المسلمين ، فحسبنا الله وفهم الوكيل . (٣) أن يصير المسلمين رياسة دينية محترمة عند الحكومة وعند الناس يوكل اليها الفصل في أمثال هذه المسائل كأن يجعل ذلك من شأن المفتي ، فان قيل إن الدين الاسلامي لا رياسة فيه كثيره من الاديان قلنا لا نعمي ان يكون له روماء يسطرون على الناس في دينهم بل روماء يحترمون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أمر الدين المتفق عليه ،

﴿ منع غير المسلمين من سكنى الحجاز ﴾

(س ٤) من الخواجة إلياس لطف الله بوسليان بينوغستا (الأرجين)

حضرة العلامة العامل والأستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا أدامه الله
بخصوخ واحترام أقدم كامل الواجبات لشخصكم الشريف وارجو من
سيادتكم الافادة إذا كان منع غير المسلمين من الدخول إلى أرض الحجاز
المقدسة هو أمر ديني مقرر في الكتب الشريفة المنزلة أو في الحديث الشريف أم
هذه عادة وفي الحالين ارجوكم إذا لم يكن من مانع ان تكرموا بالايضاح في احد
اعداد عنارك المير ولكم جزيل الفضل والمعروف . قال سعادة الشيخ علي يوسف
صاحب الموقيد الاغر في عدد ٥٥٦٧ ما معناه ان المهندسين العثمانيين في مسكة
حديد الحجاز انفردوا بالعمل كله من العلا إلى المدينة لعدم جواز دخول غير المسلم
ارض الحجاز . اتم بتكرار رجائي والله يديمكم مرجعا في جميع الامور كي تستبشروكم
ومن مناركم الموم سيدي

(ج) روى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال اشتد برسول
الله صلى الله عليه وسلم وجهه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث « اخرجوا
المشركين من جزيرة العرب » وأحيزوا الوفد بنحو ما كنت أحيزهم » ونسبت الثالثة .
والذي نسي الثالثة هو سليمان الاحول وهي النهي عن اتخاذ قبره وثنا أو تجهيز
جيش أسامة

وروى أحمد ومسلم والترمذي وصححه عن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول « لا تخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها لإسلاما »
وروى أحمد من حديث عائشة قالت : آخر ما عهد به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لا يترك بجزيرة العرب دينان . وروى أحمد أيضا والبيهقي من حديث أبي

عبيدة ابن الجراح قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب»

وذكر الخافظ ابن حجر في كتاب الجهاد من شرحه للبغاري ان الجمهور على ان الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة قال وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على ان الذين لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب . أقول قال في القاموس : جزيرة العرب ما أحاط بها بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أئين إلى اطراف الشام طولا ومن جدة إلى ريف العراق عرضا . والذي جرى عليه العمل هو إخراج غير المسلمين من الحجاز ففي صحيح البخاري ان عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز . وذكر يهود خيبر فقال أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء . وجعل بعضهم حديث أبي عبيدة مخصصا لتصرُّفه فقط «أهل الحجاز» وقال بعضهم انه لا يصلح مخصصا

وليس من غرضنا هنا تحقيق الخلاف وتحرير الدلالة وإنما نقول ان الحجاز هو الذي نفذ فيه الأمر وجرى عليه العمل فهو عند المسلمين كالمسجد ولا يشاركهم في مساجدهم الا من دان بدينهم وشاركهم في عبادتهم . وهذا التخصيص على كونه دينيا يتعلق بسياسة الاسلام فانه لما فيه من التساهل مع المخالفين لا يستغني أهله عن بقعة خاصة بهم لا يزاحمهم فيها غيرهم يأرزون اليها عند إجماع الحوادث ومطاردة الكواثر . وليس الحجاز مما يصلح لكسب الدنيا والتمتع بزيارتها فاما منع غير المسلمين الا من مكان لاحظ لتبني المسلم فيه الا ان يريد مزاحمته أو الاقيبات عليه في خاصة دينه . وقد بين المحققون ان حكم الاسلام في مكة انها وقف للمسلمين عامة . قال ابن القيم : وأما مكة فان فيها شيئا آخر يمنع قسمها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى (اي التي تفتح عنوة) وهي انها لا تملك فانها دار النسك ومتعبد الخلق وحرم الرب تعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ففيه وقف الله على العالمين وهم فيه سواء ومنى مناخ من سبق قال تعالى «٢٢:٦٥» ان الذين كفروا ويصدون

عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء المالك فيه والباد — الى ان قال — فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسمى ومنى وعرفة ومزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتبدهم فهي مسجد من الله وقفه ووضعته تعلقه « الخ
ثم ان لما تراض الحرمين احكاما خاصة فلا يحل صيدها ولا يحتل خلاها فمن هنا يعلم ان منع غير المسلمين من سكني بلاد الحجاز ليس هو الحكم الذي يختص به وحده هذه البلاد . واما دخولها لغبر السكنى ففيه أقوال اصحها عندي قول الشافعي انه لا يمكن غير المسلم من دخول ارض الحرم الا باذن الامام لمصلحة المسلمين . على ان المشهور في مذهبه أنه يجوز لتغير المسلم دخول مساجد المسلمين باذن اي مسلم لا يختص بالامام الاعظم ولا يقيد بالمصلحة العامة . وقال بعض العلماء يجوز دخولهم ما عدا المسجد الحرام والحجاز

(الزكاة في القراطيس المالية « الانواط »)

(س ٥) من الشيخ محمد بسيوني في (سمبس برنو)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء متعني بوجوده أمين .

وبعد أهديكم ازكى التحية والاحترام أرجو من فضيلة سيدي الجواب عن هذا السؤال . لا زلت مشكورين .

ما قولكم في الانواط هل تجب فيها الزكاة أم لا ؟ وما الصلة في وجوبها أو عدمه افتوني سيدي بالقول الصحيح المقيد مأجورين .

(ج) ينال في الفتوى ٢٨ من المجلد العاشر (ص ٥٣٩) ان القراطيس المالية التي تسمى (بنك نوت وانواط) من قبيل النقود الذهبية . وفي الفتوى الاولى من المجلد الخامس كلام في الخلاف فيها واعتماد كونها من قبيل النقد لا عروض التجارة وكون الزكاة تجب فيها والربا يحصل بها فليرجع الى ذلك ولو قلنا ان الزكاة لا تجب

في هذه القراطيس لا يمكن للغني الذي يملك ألوف الألوف من الذهب أن لا يودي زكاة قط ولا يبيع الربا بسهولة في أكثر معاملات المصارف (البنوك)

﴿ حديث من آذى ذميا ﴾

(س ٦) من محمد افندي احمد شمس الاسكندرية

ملخص السؤال انه اطلع على خطبة للشيخ بشير القرني العالم الحلبي الشهير فرأى حديثا لم يطرق سمعه وهو « من آذى ذميا فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وسأل عن تخريج لياهي بتساهل الاسلام فيه

(ج) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى معجم الطبراني الاوسط وأشار الى انه حديث حسن . وفي معناه أحاديث أخرى في الوصية بالذميين والمعاهدين منها حديث عبد الله بن عمرو عند احمد والبخاري والنسائي وابن ماجه « من قتل معاهدا لم يرحم رائحة الجنة وان رجحها ليجد من مسيرة اربعين عاما » وحديث علي عند الحاكم « منغني ربي ان أظلم معاهدا ولا غيره » والاسلام يأمر بأكثر من ذلك فقد قالوا انه يجب على المسلمين اطعام الذمي عند الضرورة ويستحب مع غير الضرورة كما يجب حمايتهم والدفاع عنهم ولو بمحاربة المعتدي عليهم

﴿ شرب الدخان في مجلس القرآن ﴾

(س ٧) من الشيخ ابراهيم حسين بهواره عدلان (الفيوم)

حضرة العلامة الكامل والاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الفراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي ومولاي : جرى الخلاف بين طائفة من أهل العلم في حكم التدخين أي شرب الدخان في مجلس تلاوة القرآن الشريف فمنهم من حرّمه ومنهم من جوزه مع الكراهة مراعاة للآداب ولم يذعن احد الطرفين

قول الآخر وحيث ان سيدي من يرجع اليه في فصل الخلاف فقد حررت هذا
لفضيلتكم راجيا التفضل بالجواب مبسوطا في العدد الآتي في مجلتكم مؤيدا بالمطبع
الافاقية بدون احوالة على ما نشرتموه سابقا في المجلة لاجاله ولصعوبة الشرح عليه الآن
على مثلنا ولفضيلتكم جزيل الشكر

(ج) قد بسطنا الكلام على هذه المسألة في الفتوى ٧١ من المجلد
السابع (ص ٥٣٧) وحاصل رأينا فيها أن شرب الدخان في مجلس القرآن يعد عفوفا إذا
كان العرف العام ينده من إساءة الأدب والأوجب على كل امرئ مراعاة ما يستقده
وتطمئن اليه نفسه مع الاحتياط في التزام الادب . وان الجرأة على التحريم من
أكبر الجنايات على الدين إذا لم يكن الدليل عن الشارع واضحا نصا أو دلالته لا
نص في مسائلنا ولا دليل إلا ما يقال في مسألة الادب وهو شيء يتقطن إما بالعرف
وإما باعتقاد الشخص وهو ما اعتمدنا عليه من قبل وما نقوله الآن والله أعلم

— (استعمال ساعة الذهب وليس خاتمه) —

(من ٨) من كتاب الشيخ عبد اللطيف أبي عوف بدقه (السودان)

أرجوكم إفادتي بوجه السرعة على صفحات مجلتكم الفراء عن حكم لبس الساعة
التي داخلها شيء من الذهب وكذا الخاتم ومقدار ذلك الذهب أعني سيار ١٢ او
اقل ولكم الشكر

(ج) في الفتوى ٥٧ من فتاوى المجلد السابع (ص ٤١٩) تفصيل لمسألة
التحلي بالذهب واستعماله ومنه بعد ذكر الأحاديث الواردة في المسألة والبحث
فيها «وجهة القول انه ثبت في الصحيح النهي عن الأكل والشرب في أواني
الذهب والفضة مع الوعيد والنهي عن التختم بالذهب وفي حديث مسلم انه شبهه
بجمر من نار ولم أره في المتن . واما مذاهب العلماء فيها فقد حمل الاقوال النهي
على التنزيه دون التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب في أواني النحاس والباحة
ما عداها من أنواع الاستعمال وقاس كثير من الفقهاء غير الأكل والشرب عليها

حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني وان لم تستعمل « ثم بحثنا في علة ذلك واختلافها باختلاف الزمان . وذكرنا في آخر الفتوى ان الاحتياط أن يجتنب المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيما وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص . وراجع التفصيل ان شئت (في ص ٢٩١ - ٢٩٤ م ٧) والظاهر ان المراد بالذهب في النهي ما يعم التبر الخالص والمزيج من الذهب وغيره ما سمي ذهباً ويحتمل ان يقاس الذهب على الحرير عند من يقولون ان الثوب المحرم منه هو ما كان ابريساً خالصاً أو ما كان الابريس هو الغالب فيه وزناً أو نسيجاً . واتي أعتقد ان استعمال الساعة الذهبية انما تحرم إذا كان فيها إسراف أو مخيلة وكذا غيرها مما لا نص في النهي عنه والا فهو مباح او مكروه في الاكثر والله أعلم

﴿ رابطة النقشبندية ﴾

(س ٩) من ع . ب . ح في ستافوره

حضرة الفاضل صاحب المنار بمصر

نحن معاشر اهل الطريقة بهذه الجهات قد عثرنا على فتواكم في رابطة اهل الطريقة فحمدنا الله على صنيعكم وما ابدتم طريقنا بقولكم (يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحيل شيخه الى أن قلتم - فقل هذا لا بعد مشركا شيخه مع ربه » ونحن فإله الحمد عرفنا بعقيدة الاسلام وان احضارنا صورة شيوخنا عند ذكر الله لانه من أكد الآداب والاستمداد منه هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم وقله بجاذبي نعم بنا الى صاحب الطرق نبينا محمد (ص) وقله (ص) دائمه التوجه الى الحضرة الالهية كما هو مقرر في كتب الطريقة وقد عمل بالرابطة ابناء الله الصالحين ونحن من متسبيح وتسبيح النبي (ص) وسلسلة طريقنا متصلة اليهم وإلى حضرة النبي (ص) فنبش قول شيوخنا بستمادهم ان الرابطة بدعة لم يعمل بها النبي ولا اصحابه ولا التابعين بل قال الرجل ان اختراع الرابطة لم يكن في زمن الانبياء بل في زمن الخلفاء الجليلين قبل يتصور ان

في دينهم لا بعد حكمنا دينيا يطالب به الناس على انه دين لان شارع الدين هو الله تعالى على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ولا شرع بعد انقطاع الوحي وختم الرسالة ثم اعلم ان عمل بعض الصالحين بالرابطة لا يدل على انها من الدين لانه لم يقل أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم ان عمل الصالحين حجة في الدين وقد وقع كثير من الصالحين في البدع أو المعاصي عن جهل بالحكم الشرعي ويجوز عقلا ان يخطئ بعض أولئك الصالحين في مسألة ويصيب فيها مثل صاحب مجلة الامام من المعاصرين . ولو شئت لأفشيت سر الطريقة وزدت يانا ولكن لا محل لذلك هنا ولا حاجة اليه وجملته القول ان صاحب مجلة الامام قد أصاب في قوله ان الرابطة ليست من الدين ولكن يظهر لي انه بالغ في الإنكار حتى جعل الدين محرما لها لذاتها وان لم يترتب عليها محظور أو نجس شرعا ودينا كما بالغ المنتسبون الى الطريقة فجعلوها دينا كأنه وقع بها التكليف من رب العالمين على جميع المسلمين حتى صار المنكرها كالمنكر بعض ما ورد في الكتاب والسنة من أمور الدين . وهذا مما نكره على الفريقين . وأوصي أهل الطريقة بترك المراء والجدل والنز بالآلقاب وأن لا يجعلوا ذلك سببا للتفرق او الخلاف في الدين فان ذلك يخرج صاحبه من حظيرة الدين (١٠٥: ٣) ولا تكونوا كالذين فارقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليقات وأولئك لهم عذاب عظيم)

تدکیر مجلس المبعوثان

﴿ بعض شؤون الإصلاح ﴾^(۱)

المحاكم الشرعية

مازل حفظ المحاكم الشرعية في البلاد العثمانية دون حفظ المحاكم النظامية وسائر دواوين الحكومة ومصالحها فإننا لم نسمع حتى الآن صوتاً قوياً من المبعوثين في مجلس الأمانة بطلب ما يجب من إصلاحها فهل تهيب حكومتنا لإصلاح هذه المحاكم أو تتعاس عنها كما فعلت الحكومة المصرية ؟

ان الحرك للحكومة المصرية والمرسل لها إلى الإصلاح أو المسك لها عنه انما هو الاحتلال الانكليزي وكان الرؤساء من الانكليز يقولون اننا لا نفس الامور الدينية لانها لا تقبل الإصلاح أو لأن المسلمين لا يريدون اصلاحها أو يتهموننا فيها تهمة نحن في غنى عن الترض لها ثم محاولة تبرئة أنفسنا منها . وقد ضج مسلمو مصر منذ ذلك بطلب إصلاح هذه المحاكم فكانوا مع الانكليز كالذي ينقرب بالاسمع الإلعاء ونداء .

ان المحاكم الشرعية في القطر المصري أمثل منها في سائر الولايات العثمانية من بعض الوجوه على ان اختصاص هذه أوسع من اختصاص تلك وليس لمجلس الأمانة في الاستانة ان يتدخل بمثل ما يتدخل به الانكليز عند مطالبتهم بإصلاح هذه المحاكم فتمنى نسمع صيحة أهل العلم المحيين للإصلاح في المجلس ببيان ما يجب من إصلاحها ؟

أينسى أولئك المبعوثون أصحاب الفيرة على الشرع ان هذه المحاكم كادت تكون حجة على الاسلام وقتة للمسلمين ؟ أينسى أولئك الاحرار الواقفون للاستبداد

(۱) نشرناها في جريدة المقيد ببيروت

بالمرصاد انه لا يوجد مصدر من معاهد الحكومة يباح فيه الاستبداد بغير تبعة ولا مسؤلية إلا في المحاكم الشرعية حيث يحكم القاضي برأيه بلا مشاورة في الامر ولا مشاركة في الرأي ولا معرفة للمتقاضين بالمسائل التي يجب بها الحكم . ١١ . فهل يرضى مجلس الامة ان تبقى هذه المحاكم على هذه الحال وهي المنسوبة إلى الشرع الذي نبي على الشورى وأمر الرسول المصوم بالمشاورة (صلى الله عليه وسلم) وجرى الخلفاء الراشدون على الحكم بها ؟

ألا يعلم نوابنا الكرام ان فساد هذه المحاكم مفسد لكثير من البيوت (العائلات) التي هي مرجعها في مسائل الطلاق والنفقات وغير ذلك من أمور الزوجية ؟ أيسهونون بأمر الاوقاف وما لها من العلاقة بالامور الدينية والاعمال الخيرية التي لها شأن كبير في صلاح الامة وفسادها ؟

أول شيء يجب الالتفات اليه في إصلاح هذه المحاكم هو إدخال الشورى فيها بجعلها مؤلفة من اعضاء يحكمون بأكثر الآراء كما هو الشأن في المحاكم النظامية حتى ما يحكم فيها بالشرع الشريف كما حكم المحققون التي يحكم فيها بالمجلة . وقد سبقت مصر إلى هذا الإصلاح في محكمة القاهرة التي يرأسها القاضي الأكبر الذي يرسل اليها من دار السلطنة العثمانية . فإقامة هذا الركن الاسلامي في المحاكم الشرعية يعطل استبداد القضاة في الاحكام ويقلل ارتكابهم لجريمة الرشوة ويجعل القضية سريعة الانجاز فيصل الناس إلى حقوقهم في وقت أقرب مما يصلون فيه الآن ان وصلوا . ١ .

يلي هذا الركن وضع كتاب في الاحكام التي تختص بها هذه المحاكم ككتاب بحجة الاحكام المدنية في سهولته وترتيبه وتقسيمه إلى مواد معدودة ومسائل معدودة تنظم الحكم بها وبيان عدد المسألة التي يستند في الحكم اليها . ولا حاجة إلى التذكير بفوائد هذا الكتاب التي (منها) كون المتقاضين يعلمون منه الاحكام التي يحكم بها في دعاويهم فيطبقونها عليها ويطالبون الحكم بها . (ومنها) توحيد الاحكام في الدعاوي التي موضوعها واحد لا يقع الآن كثير من حكم المحاكم المختلفة بل المحكمة الواحدة في مثل هذه القضايا باحكام مختلفة يؤخذ فيها مرة بقول فلان ومرة بقول غيره ، ناهيك بما في

كسب قه الحنفية من الخلاف في التصحيح والترجيح وما يكون في هذه الاحكام المتعارضة من الفساح وضعف الثقة بالدين واهله (ومنها) سهولة تناول الحكم وتضييق مسائل الخلاف فيه بين اعضاء المحكمة . وبوجود مثل هذا الكتاب تتحقق قاعدة كون الجدل ليس بضر . وانه ليسر الآن على من زاول كتب الفقه عدة سنين أن يعرف الحكم الذي يحكم به القاضي الشرعي في قضية ما فإيا بالك بمن لم يزاول هذه الكتب واكثر المسلمين لا يستطيعون ذلك

ولا بد من تميز هذين الركنين بثالث وهو وضع نظام لسير هذه المحاكم في اعمالها وكتبها وسجلاتها ويجب ان تغل فيه يد رئيسها عن الاستبداد في الاعمال كهرل الكتاب ومتولي الاوقاف وموظفي المساجد واستبداد غيرهم بهم أو تقديم بعض القضايا على بعض بل يجب ان يكون كتابة المحكمة كسائر عمال الحكومة لا يملون الا بمحاكمة ثبت فيها عليهم ما يوجب عزلهم . وانا لننظر من حكومتنا الجديدة قانونا عادلا لمجالس أو محاكم التأديب التي يحاكم فيها جميع عاملها اما الرسوم التي تؤخذ في هذه المحاكم وتقسّم بين القاضي والكتابة فيغلب على ظني أن المالية تبطلها ان لم تكن قررت ابطالها بالفعل في الميزانية الجديدة وحددت مرتبات القضاة ورؤساء الكتاب وسائر الكتابة فان في أخذ المحكمة للرسوم مفساد كثيرة لا تخفى على اولى الامر وما هم لها بمهملين

الركن الرابع من اركان الاصلاح جعل هذه المحاكم ابتدائية واستئنافية في كل ولاية كالمحاكم النظامية وابقاء التمييز في الاستانة ما بهي تمييز الاحكام المدنية فيها وان كان في ذلك مشقة على أهل الولايات البعيدة وتعبق للاحكام النهائية يرجى ان تلافاهها الحكومة أو يتلافاهها مجلس الامة

وأقترح على باب المشيخة الاسلامية وعلى مجلس الامة ان يهدها الى اللجنة التي تنظر في اصلاح المحاكم الشرعية بمطالبة تقرير الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الذي قدمه لظارة الحفانية في شأن محاكم القطر المصري وما يلزم لاصلاحها ومطالبة لائحة محاكم ذلك القطر القديمة والنظام الجديد الذي وضع اخيرا فان في ذلك عوننا كبيرا والله الموفق

خطبة

﴿ على أعضاء المجلس العمومي ببيروت ﴾

دعا كامل بك الاسعد كبير عشائر جبل عامل رفاته أعضاء المجلس العمومي بولاية بيروت الى داره فيها وأعتد لهم مأدبة حضرها صاحب هذه المجلة وبعض وجهاء بيروت. وبعد الفراغ من الطعام وقف دعاس افندي حريس أحد الاعضاء وأثنى على رب الدار، وأطرى صاحب المنار، وأشار الى رغبة الحاضرين في استماع شي منه في موضوع المجلس العمومي ورأيت الانظار موجهة الي تنظر الاجابة فشكرت وقلت بعد مقدمة فكاهية ماملخصه :

ان للمجلس العمومي قائدين فائدة اجتماعية وقائدة عملية أما الفائدة الاجتماعية فهي تنشئة الامة وتربيتها على الحكم النيابي اعني حكمها لنفسها بنفسها
ان أمر هذه المجالس العمومية من أفضل ما في القانون الاساسي من الاصلاح فلولا يكن الامة أحد من قبلها ينظر في مصالحها إلا المبعوثون في عاصمة السلطنة لأمكن ان يبقى أهل الولايات ولا سيما البعيدة عن العاصمة جاهلين لمعنى مشاركة الامة للحكومة في ادارة مصالحها ولكن وجود أفراد من كل قضاء بكل ولاية في مجلس قريب منهم يشرف على اعمال حكومتهم وينظر في مصالحهم ومنافعهم هو الذي يعلهم بالعمل معنى الحكومة الديمقراطية ويجعلهم واثقين بان حكاهم عمال مخلصون لاسادة قاهرون وانهم لا يستطيعون ان يستبدوا فيهم أو يظلموهم الا اذا ظلموا هم انفسهم
ان المبعوثين يشغلون بأمور الدولة الكلية فصالح الاهالي لاتعلق بهم مباشرة وانما تتعلق بحكومتهم المحلية فذلك المجلس ينظر في القوانين العامة ولكنه لا ينظر في كيفية العمل بها في كل قضاء بحسب حاجته ولكن هذه المجالس العمومية هي التي تنظر في ذلك فتقرر اصلاح كذا من الطرق وانشاء كذا من المكاتب والمدارس في الاماكن التي تعينها والاهاالي يرون ذلك بأعينهم ويعلمون انهم نالوه برأي نوابهم ونفوذهم في

حكومتهم فبذلك يتربون على الحكم الياني ويمرفون قيمته فلا يرجعون عنه ولا يرضون بالحكم الشخصي بعده

ان مجلسكم هذا صورة مصغرة لمجلس المبعوثان فاذا اقيم باعحد اليكم كما يرجى من غيركم وخبرتم فانكم تكونون أولى من غيركم بالترجيح في الانتخابات القابلة لأن الاهالي يكونون قدوة لكم عن تجربة وخبرة كما يكونون أكثر رعاية بالانتخاب وأكبر أملا في المنتخبين

ان ما ذكرته في معنى تربية الامة على الحكم الياني أمر عظيم يجب ان يكون نصب أمينكم فان له علاقة عظيمة بمستقبل البلاد وعظمة الدولة . ان الدولة لا تكون دولة دستورية الا اذا استقر الحكم الدستوري في كل ولاية من ولاياتها وعمرت به البلاد وارتقى أهلها

ان كل ولاية من الولايات تعد عضوا من أعضاء جسم الدولة ولا يمكن ان يكون الجسم حيا قويا سويا اذا كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها مصابا بالفالج .
تم اني أذكركم بما لا تنسونه من ان في الامة حزبا يرى وجوب استقلال كل ولاية من ولايات الدولة في ادارتها الداخلية كالولايات الالمانية أو الولايات المتحدة فاذا كانت البلاد العثمانية غير مستعدة لذلك الآن واذا كان هذا الحزب الآن ضعيفا لا يستطيع تنفيذ رأيه فما يدرينا ماذا يكون في المستقبل البعيد أو القريب من أمره وأمر البلاد ؟ ألا يجوز ان يقوى بعد وان تكون الوزارة في يوم ما من أعضائه والرأي الغالب في مجلس الامة هو رأيه ؟ (يجوز يجوز) اذا كيف يكون حال ولايتنا هذه وسائر الولايات العربية التي هي دونها ودون سائر ولايات الدولة في الاستعداد للاستقلال الاداري ؟ . اتنا نعترف باننا عاجزون الآن عن ادارة شؤون ولايتنا بدون استعانة باخواننا من الترك مع ان ولايتنا أرقى الولايات العربية وقد قلت من قبل وكثرت في المشارق الولايات السورية تعد وسطا في الاستعداد والارتقاء بين ولايات الرميلى وبين ولايات الاناطول وبين سائر الولايات العربية كالمراق والحجاز واليمن . فيجب ان نرقى انفسنا وان نكون مصدرا أو عونا لسائر الولايات العربية على الاستقلال . فقول ان اخواننا الترك الذين نعترف لهم بانهم أرقى منا لا يستفنون الآن

عن الاستئانة بالاجانب لرقية ولاياتهم كما نحتاج نحن اليهم والى الاجانب وهذا الرأي عندي قديم وقد كاشفت به متصرف طرابلس والوالي ايضا فن الحتم ان توجه جل عناقينا للحكم الذاتي والاستئانة بانفسنا عن الاجانب ايها الاعضاء الكرام : ان هذا الغرض الذي تطالبون به عظيم ولكن قوة الإرادة في الانسان تنصرف كل عظيم وتسهل كل عسير فاذا وجهتم عزائمكم الى ذلك بالاخلاص فانكم تصلون الى الغاية باذن الله

وقل من جدد في امر يحاوله واستعمل الصبر الاقاز بالظفر يرى بعض الفلاسفة ان الانسان لا يجزم ارادته بامر ممكن الا وينفذ وكان الاستاذ الامام على هذا الرأي وقد قال أكثر من مرة انه لم يجزم ارادته بطلب شيء جزما تاما لا تردد فيه الا وحصل وقد كان حكما الصوفية على هذا الرأي وعبر عنه بعضهم بقوله « ان لله عبادا اذا ارادوا اراد » اي اذا صح توجه ارادتهم الى شيء تعلقت به ارادة الله وما تعلقت به ارادة الله نفذ حتما فعلى الانسان ان يعرف قيمة نعمة الارادة فيوجهها الى خدمة وطنه جازما بانه اهل لأن يرقيه وهو بهذا يكون اهلا له مما كانت معارفه فان تفاضل الناس بالإرادة فوق تفاضلهم بالمعرفة فأكبر عالم ينفع وكل من اراد ان ينفع فانه ينفع على قدر استعداده

هذا ما أحسيت ان اذكر به من أمر الفائدة الاجتماعية في المجالس العمومية واما الفائدة العملية فهي قسمان مادية وأهمها إصلاح الزراعة وتسهيل المواصلات وتعديل الاموال الاميرية . ومعنوية وهي التربية والتعليم والبحث في هذه المسائل يطول وأنتم أعلم بحاجة البلاد وطرق عمرانها من رجل مثلي ليس له مثل اختباركم ولكنني أذكركم بثلاثة أمور تتعلق بالتعليم هي أهم المسائل في رأيي : مراقبة التعليم والتربية في المدارس ، وإنشاء مدرسة للمعلمين ، وإحياء لغة البلاد

ان مدارس الحكومة ليس فيها تربية ولا تعليم نافع بل ربما كان ضررها أكبر من نفعها وانما كان حظ الحكومة المستبدة السابقة منها هو التمتع بصورة الملك دون التربية التي تكون النفوس الفاضلة والتعليم الذي يربي العقول الكبيرة ان الدول تؤلف في هذا العصر من عدة وزارات منها وزارة المعارف وهذه

الوزارة لا تكون بغير مدارس فكان بقاء المكاتب والمدارس في عهد الاستبداد الماضي لدولتنا لاجل استكمال صورة الملك والتمتع بها فان التمتع بالمظاهر الصورية له لذة كما ترون في تمثيل القمص والا فان الاستبداد كان يحارب العلم حرباً عواناً فان أردتم ان يكون التعليم نافعا في مدارس الحكومة فيجب ان تبدأوا بالامر الأول وهو مراقبة التعليم بان تطلبوا تعيين مفتشين من يرضى الاهالي معرفتهم وغيرتهم وصدقهم يتعهدون هذه المدارس ويراقبوت سيرة مديرها ومعلميها في التربية والتعليم . ثم ان فساد التعليم في الزمن الماضي قضى بان يكون المعلمون الاكفاء فينا اندر من الكبريت الأحمر فالاصلاح الحقيقي للتعليم يتوقف على إنشاء مدارس لتخرج المعلمين القادرين على التربية والتعليم بالطرق العصرية القرية . يجب ان يكون الاستاذ المعلم على علمه بالفن الذي يعلمه مهذباً ليكون قدوة للمعلمين في الفضيلة فان قاعد الشيء لا يعطيه . ويجب ان يكون مع ذلك عارفاً بطرق التربية والتعليم فما كل مهذب يعرف كيف تكون ملكات الفضائل في النفوس ولا كل عالم يعلم كيف ترسم مسائل العلوم في الأذهان فلا بد من إنشاء مدرسة للمعلمين في مركز الولاية واما احياء لغة البلاد واعني بها اللغة العربية فالذي نطالب به الحكومة من وسائله هو جعل تعليمها في مدارسها كلها الزامياً كأنتم التركية وجعل دراسة العلوم في الولايات العربية بلغة أهلها وفي سائر الولايات بالتركية كما كان بحسب القانون والذي يقره هذا هو مجلس الامة في الاستانة وانما على المجالس العمومية المطالبة به لا يقال ان هذا يفتح علينا باب نصب الجنسيات في الدولة واتنا في أشد الحاجة إلى الاخلاق والتسامح الاجناس فان الفرق بين العرب وبين ما عدا الترك من الاجناس واضح جداً

ان الشعب العربي يعدّ نحواً من ثلثي قوس الدولة ويقبل فيه من يعرف التركية وأما سائر الاجناس : الالبانيين والاكراد والارمن والروم فكلهم يعرفون اللغة التركية فلا يحتاج الحكام والموظفون فيهم إلى معرفة لغاتهم ليحسنوا القيام باعمال الحكومة فيهم بل ان أكثرهم ليس لهم لغات عليّة ذات فنون ومطامير تصلح للتعليم فالارمن قريو عهد بتدوين لغتهم وجعلها تعليمية والألبان والاكراد

لما نيم لم ذلك بل قرأنا في بعض جرائد هذا الشهر ان الالبان قد عزموا على اختيار الحروف العربية لفتحهم التي يشتغلون بتدوينها ومن المقرر ان غرض الحكومة الأولى من مداوسها هو تخريج الموظفين الأكفاء فإذا كان المخرجون فيها جاهلين باللغة العربية التي هي لغة أكثر العثمانيين يتعذر عليهم ان يقوموا بوظائفهم كما يجب في أكثر بلاد الدولة فإن من يحول لغة قوم يتعلمو عليه ان يعرف حقيقة حالهم وما ينبغي لهم وما يتطلعون منه . ولا يقول عاقل انهم يستغنون بالترجمين لما في ذلك من العسر والتعقبات وأين يتعلم المترجمون ؟ على أن العربية ركن للتركية فتعلمها يزيد التعلم كمالا فيها اما جعل اللغة العربية هي لغة العلوم والاكتفاء من التركية في بلادنا بالقرأة والكتابة فذلك ان الامة التي لا تتقني العلوم بلغتها لا تكون امة علم وانما يكون ملها من العلم أن يوجد فيها بعض المترجمين لبعض ما يقرره العلماء المستقلون ولا يوجد فيها المحققون والمخترعون والمكتشفون

ان لغة الامة صفة مقرمة لها واللغات التي يتعلمها بعض افرادها اعراض تعرض لها وتفارقها فاذا تلقت العلم بلغتها يصير صفة لهاحية بجعلها نامية بنائها واذا تلقت بلغة اجنبية فقصاراه أن يكون زينة عارضة لبعض افرادها ولا ارتقاء للام في هذا العصر الا بالعلم فيجب علينا أن نبذل جل عنايتنا في تحصيل العلوم العصرية ونقلها الى لغتنا ولا حياة لنا بغير ذلك واننا في عملنا هذا لا نبتعد عن اخواننا الترك بل نكون اخوة متساوين في المزايا والمحقوق كما يجب أن يكون الاخوة . والمساواة الحقيقية لا تكون مع التفاوت في العلم والعرفان (فليس سواء عالم وجهول)

ارجو ان قد اعطت عليكم عقب الاكل ووقت طلب الراحة فان خلطت في الكلام فربما كان سبب ذلك الخلط في الطعام ، وتوجه اكثر الدم الى المعدة واقبله الى الدماغ والسلام

الحرية واستقلال الفكر

آخر خطبة لي بيروت

دعيت الى حضور الاجتماع الشهري لجمعية الجامعة اللبنانية في بيروت في أوائل هذا الشهر (آذار) فاقترح علي رئيسها ان أخطب فيهم بما يفتح الله به حاكيا عن رغبة الجمهورهمت وقلت ما ملخصه بحسب ما أتذكر

أيها الاخوان الكرام

إن المسائل التي نحتاج الى البحث فيها واستجلاء غوامضها كثيرة جدا فمن الناس من اذا اقترح عليه ان يخاطب يادر الى الكلام في الموضوع الذي يتبادر الى ذهنه سواء كان مطابقا لمقتضى السال يرجى ان يستفيد منه السامعون ما يصحح أفكارهم أو يقوم أعمالهم أم لا. ومنهم من يرى هذه الطريقة متقدمة وانه لا بد ان يخاطب الناس بما يتعلق بمجالهم وما ينبغي ان يكونوا عليه في أفكارهم وأعمالهم فلا يخفهم على ما سبيل اليه ولا يقر لهم ما لا يفهمون حقيقة

مثال من ذلك : ان بعض الخطباء يقف فيقول أيها اللبنانيون عليكم ، بالاتحاد عليكم بالاتلاف ان الاتحاد هو مقيض العمران ورفق الأوطان ورافع شأن الإنسان. ويكتفي بمثل هذه الخطبايات المجلجلة التي لا يعلم السامعون كيف يمكن العمل بها فان اتحاد المختلفين في التربية والتعليم والفقائد والأفكار والأخلاق والتقاليد والعادات من الأمور لا يمكن ان تحصل بمجرد الحث عليها ومنحها وإنما يجب بيان ما يترك فيه من يراد منهم على الاتحاد واقناعهم بأن منافهم ومصالحهم مرتبطة به وانها إنما تحفظ وتقوم بانحادهم واتفاقهم وتذهب أو تضعف بتخاذلهم وتفرقهم

أما أنا فأقول ان كل كلام صحيح المعنى لا يتخلو من فائدة والفكرة الاجمالية لا تخرج الى حيز التفصيل إلا بابرارها بالقول أو بالكتابة ومن لم يستند اليوم من الكلام

الصحيح فائدة تامة يرجي أن يستفيد غدا فليقل كل أحد ما يرى أنه حق نافع وليقدم
الاهم على غيره وهو ما كانت حاجة الناس اليه أكثر - وإذا قيل لئلا ما هم ما يحتاج
اليه الآن ؟ قلنا أننا محتاجون الى اشياء كثيرة من العلوم والاعمال لاجل ان نهض
لما نكون به أمة عزيزة ولكن نهوضنا يتوقف على أمر عظيم لا يحصل بدون - فما هو
هذا الامر الذي هو شرط للارتقاء في كل علم وكل عمل بحيث يلزم من عدمه العدم ؟
الا إنه هو الحرية الشخصية واستقلال الفكر

قد قلت في بعض الخطب التي تكلمت فيها عن الحرية ان استعداد البشر
للارتقاء ليس له حد يعرف ولا غاية محددة فاذا عاشوا ملايين من السنين يمكن أن
يكونوا في ارقاء مستمر لا ينقطع اذا كانت حريتهم في العلم والعمل مصونة من عبث
المستبدين فكيف ترتقي الامم على قدر صيانتها واحترامها لحرية وتختلف عن الارتقاء
بل ترجع الى الوراء على قدر عبثها بالحرية وبحكمها في الباحثين والماملين

مضت سنة الله في البشر بأن الفكر يسبق العمل فاذا كانت أفكار العقلاء
والادكياء مضغوطة ممنوعة من الحركة والنمو فإنها لا تكون مستقلة والامة لا تخطو خطوة
واحدة الى الأمام الا اذا أطلقنا العنان لحياد الافكار لنحول في ميادين الكتابة والخطابة
بلا حرج ولا ضغط لا فرق في ذلك بين المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها
يجب علينا أن نحترم رأي من يخالفنا كما نحترم رأي من يوافقنا لأن الفلاح
متوقف على ظهور الحقائق وظهورها يتوقف على استقلال الأفكار وحرية البحث
والكتابة والخطابة ولا يخاف على دينه من حرية البحث إلا من لا ثقة له بدينه ومن
كان واثقا بأنه على الحق فانه يعلم أن مخالفته فيه لا تزيد الا قوة وظهورا فقد نطق
الكتاب العزيز بما هو ثابت عقلا واختبارا من أن الحق يعلو ولا يعلو ولا يعلو
الحق والباطل الا وصرع الأول الثاني « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه فاذا
هو زاهق » وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

علينا أن نبحت بعد هذا عن أنفسنا لنعلم هل نحن نحترم استقلال الفكر وحرية
القول والمعمل ؟ هل فتننا بحق هذا الشرط الذي يتوقف عليه كل مقومات الحياة
الاجتماعية والسياسية واسبابها ؟ إن حكومتنا تركت الضغط على عقولنا وافكارنا

والحجر على ألسنتنا وأقلنا لنكون أحراراً في أقوالنا وأعمالنا فهل صرنا أحراراً بالفعل؟
نعم أن الحكومة تركت الاستبداد والاستعباد وأباحت لنا الحرية طوعاً أو كرهاً
ولكننا ما قبلناها فإن الأفكار لا تزال مضبوطة محجوراً عليها أن تبرز من مضيق الدماغ
إلى فضاء الوجود الخارجي والحرية الشخصية مهددة لا من الحكومة بل منا أنفسنا
في البلد حوادث حيوية كثيرة لا يكتب أحد من أصحاب الجرائد رأيها فيها
بالحرية. ولماذا؟ يخاف من « المراقب » أن يرجعها له؟ لا إن الجرائد لا تفرض
الآن على المراقبين كما كانت تفرض في زمن استبداد الحكومة ولكن ما سقط
مراقب الحكومة إلا وتقامم مثل عمله من لا يخصص من دهاء الأمة يقاتلون على
أصحاب الجرائد وكتابها وعلى الحكومة نفسها وربما كان هذا الاستبداد أشد وطأة
وأثقل ضغطاً من استبداد الحكومة

إن جرائد يبروت كان لها مدير واحد لسياستها هو المراقب وكانت نسبة
أصحابها ومحرريها إليه كنسبة محرري الجرائد الكبيرة في البلاد الحرة إلى رئيس
التحرير أو مدير السياسة. فكأنوا إذا أرادوا كتابة شيء يتحرون أن يكون بحيث
يرضيه وقد عرفوا ما يرضيه ويميزه فلم تكن مراعاته متعذرة عليهم ولكن يتعذرون عليهم
الآن أن يسرفوا ما يرضي هؤلاء المراقبين الذين حلوا محلهم لأن عقولهم وآراءهم
ليس لها قاعدة ترجع إليها ولا ميزان توزن به. فهل يمكن أن ترقى الصحافة أو
الأفكار في بلاد يقاتل على حملة الأقلام وأرباب الأفكار فيها كل أحد حتى
البطار والتمال و بأشخص القول !!

أنا قد تفتينا باسم الحرية في أيام إعلان الدستور وألقينا الخطب الكثيرة في
وصفها، واشتدنا قصائد المدينة في مدحها والتغزل بها، وكان هتاف الجماهير للخطباء
والشعراء يعلو في الجو حتى يبلغ عنان السماء، وكتبنا ذلك الاسم الجميل « الحرية »
بخطوط الجميلة وزينا به البيوت والمعاهد العامة والخاصة والحدائق فظهرنا العاشق
الولغان لهذه الحرية الجميلة ولستكني اخشى أن نكون في عشقنا لها كعاشق أم عمرو؟
ولعل بعض الحاضرين لا يعرف خبر هذا العاشق فاذكره إعلاماً له وتذكيراً لغيره
مر بعض الناس بصديق له مرة فراه على غير ما يهتد: رأته قلنا مضطرباً فقلناه

عن حاله فقال إني عاشق وإني لا يقر لي قرار ، ولا يليب لي اضطراب ، ولا يهنا لي طعام ، ولا يزور جفني منام ، قال له صاحبه من عشقت ؟ قال عشقت أم عمرو ، أجل نساء المصر ، قال من هي أم عمرو ومنى رأيت وجهها المديح ، فبرح بك هذا التبريح ، قال لا أدري من هي ولا لحتها عيني وإنما سمعت رجلا ينشد في الطريق :
يا أم عمرو جزاك الله مكرمة وذني علي فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه أبيع النساء جمالا وحسنا ، وأوفرهن من القسامة قسما ، لما قال الشاعر فيها هذا القول فحشمتها

وقد طال على هذا الماشق الاحق عشق تلك المشوقة المجهولة حتى مر به صاحبه يوما فإذا هو يكي ويتدب قد ساورتها الاحزان ، وواثقتة الاشجان ، فسأله مادهاك ؟ فصاح أواه واويلاه ، لقد بليت بأشد المصائب وأعظم النوائب فقد ماتت أم عمرو ، وغلبه النسيج وأخذ في النجيب ، ولما سكنت عنه الروع قال له ومن أخبرك بموتها فهل رأيتها وعرقها ؟ قال لا ولكنني سمعت الشاعر ينشد في الطريق :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجح الحمار

فقلت لولا أنها ماتت لرجعت ولما قال الشاعر هذا القول

نعم انني أخشى ان تكون حريتنا المشوقة ، هي أم عمرو المجهولة ، فان الحرية الحقيقية قد تعرفت إلينا فتكرناها ، ورغبت فينا فرغبنا عنها ، وأحبت القرب منا فاختارنا البعد عنها ، وبالأفلا بالكثيرين منا ، يسلطون العامة على من ييدي رأيا يخالف رأيتهم أو هو أنفسهم ، يهدونه ويهينونه ، وإذا لم يوجد له عصمة تحميه منهم فانه يضر بونه ، ومنى كانت الحكومة السبذة تضطهد حرية الفكر والعلم أشد من هذا الاضطهاد ، وتحاول استعبادنا أقبح من هذا الاستعباد ، أي الصودين اذل ، أكمودية الحكومة أم الصودية للعامة ؟ كان الخطاء والشعراء يقولون في أيام عيد الحرية في مدح الأمة فنحوا أيمانهم قولونه في مدح الحرية نفسها لإظهار التناسب بينهما ولا يزال كثيرون منهم يسمعوننا مدح أنفسنا ، ويشيدون بفضلنا وفضل سلفنا ، ويمثلون بقول شاعرنا : بني كما كانت أوائلنا الخ أما أخوكم هذا فيقول ان ما كان يقال في أيام عيد الحرية لا ينبغي أن يقال اليوم ولا في كل يوم . ان الأعياد في عرف الناس هي أيام السور والابتهاج فيحسن ان

يتنامي فيها ما يسوء ويتجرى فيها ما يسر، وهذه أيام الجد والعمل فيجب ان نعرف فيها ما نحتاج اليه في هذا العصر لتجاري الامم العزيرة القوية، الراتمة في بحبوحة المدنية، لان أن غني النفس بالأقوال التي يلذ سماعها وتترك السنن التي ترقى باتباعها، يا قوم اننا مرضى ومن كتم داءه قتله، اننا مرضى ويجب علينا ان ندوي أنفسنا، ان الادوية لا يقصد بها اللذة، بل يقصد بها المنفعة، هل سمعتم ان الأطباء يداوون المريض المذنب باطعامه الاحمر المجالحة بالقول والافاوية والكنافة والبقلاوة والاشربة المثبوحة؟ لالا انهم يداوونه بالمسهلات البشعة الطعم والكثيرة المرة ورماد اووه بالسكين بنال شيئا من بدنه. وكذلك تكون أدوية الامراض النفسية. وانه ليسوني ان اصرح لكم بما يولمكم ولكنها الحقيقة لا بد منها وان كانت مرة كالادوية «أخولكم من صدقك لا من صدقك» ان من فضل الحرية علينا ان صرنا قادرين على البحث عن مرضنا وعلى الاجتهاد في معالجته فيجب ان نعرف قيمة هذه النعمة وان نشكر الله تعالى عليها بالعمل الذي نستفيد به منها

أعود فأقول اننا لا يجوز لنا ان ندعي اننا عرفنا الحرية وانا نقدرها قدرها الا اذا كنا نحترم استقلال الفكر فلا نعارض أحدا في إبداء رأيه واظهار علمه باللسان أو القلم ولا يمكن ان نخطو خطوة واحدة الى الامام بدون هذا فليكن أيها الفضلاء المحبون لخير أمتكم وتقدم بلادكم أن تنصروا الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية وأن تبدلوا جهد المستطاع في بث هذا الفكر في طبقات الأمة وتقصوا أولئك الذين نسمع أخبار افتياتهم على الكتاب وأصحاب الجرائد بأن علمهم هذا ضار ببلادهم وان الذين يفرونهم بذلك هم اهل الاهواء الذين يتبعون حظوظ أنفسهم ولو فيما يضر ببلادهم

انصروا حرية البحث والطباعة لكي تتجلى للأمة الحقائق فتعرف ما يضرها وما ينفعها ولكي تتربى فيها العقول الكبيرة بمد رفع الضغط عنها. ان تعلموا هذا فخدموا بلادكم أحل خدمة. وأراني اطلت عليكم في هذا الكلام الحار مع حرارة الجو بكثرة الانواء وازدحام الناس فحسبي هذا والسلام

خوارق العادات

﴿ في الاسلام ﴾

اطوار البشر والمميزات - المعجزات العقلية والحسية - علم الفيب - التنويم المغناطيسي
استحضار الارواح - الكهانة - الاحلام - السنن الكونية والمعجزات
جرائم الامم والافراد والمقويات الالهية عليها

أتى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولية ، فسادت
الآوهام والخرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون ،
والسحرة والمشمذون ، وملكوا نواحي الناس بافكهم وكذبهم ، وصاوا يتصرفون في
جميع أمورهم ، فما كان أحديهم على عمل ما إلا بعد مشاورتهم ، والاسترشاد برأيهم ،
فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا : عقول فاسدة ، وآراء كاسدة ،
وأفهام ساذجة ، وبصائر قاصرة ، وجهل وآوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقدمهم ،
وتفرحهم وتحزنهم ، وتخفيهم وتزعجهم ، فاذا برق برق من السماء ارتجفوا واضطربوا ،
وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتعبوا ، وإذا أصابهم مرض ما علقوا لدفعه
الاوراق ، أو استنجدوا براق ، وإذا نظر إلى بينهم ناظر حوطلهم بالثم ، وأطلقوا
حوطهم بخور المباخر ، وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا المدفوف
وقرعوا الطبول لإرضاء أكفئهم على ما يزعمون - إلى غير ذلك من الآوهام والباطيل .
هذا كان شأن الجماهير إلا من شذ منهم وتدر ، وأضاء الله عقله بشيء من نور
العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من جميع زهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الأمم في هذا الطور سير الأب الحكيم مع أبنائه في
طفوليتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والأنبياء والمرسلين فأكثروا من وعظهم
ونصحهم وانذارهم ووعدهم ووعدهم . وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من

﴿ بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي الطييب بسجن طره

السحرة والمشعوذين بما أجراه الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهره لهم من الآيات
اليناث ، التي تركت السحرة مفلوبين في أمورهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات
لما قدر الأنبياء على تخلص أممهم من حياثل الدجالين والمختالين ، بل الأبالسة
والشياطين ، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وحيرت الأذهان
وأعجزت السحرة وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لهيبة من ظهرت على أيديهم
فيؤمنون له ويتبعونه ، ويطيعونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تنويعاً) ثم
يأخذ الله الماندين الذين خالفوا ضمائرهم وكابروا عقولهم وأبصارهم ولم يعيزوا بين
الغالب والمغلوب ، والصادق والكذوب ، بأنواع من المقربات تناسب أحوالهم جزاء
لهم وعبرة لغيرهم لعلمهم يرشدون

مضت الأيام والأعوام ، وتوالت القرون والأجيال ، وانتقل البشر من حال
إلى حال ، وارتقوا من طور إلى طور . فأخذت العقول تستنير ، والأفكار تضيء
والسحر يضمحل ، والأنبياء من بينهم قتل ، حتى ختمت النبوة بعشه سيد الأنبياء
 والمرسلين . وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولة إلى سن الرشد
فأصبحت لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الأولى وقبل
فيهم تأثير المختالين والدجالين والسحرة والمشعوذين . وصاروا يرجون الهداية من
طريقها ، فساعدهم الإسلام على ذلك ونهج بهم منهجا لم يسبقه به دين من قبل ، فجعل
الحجج العلمية والدلائل العقلية رائدة في جميع دعاويه وعليها معتمده في كل ما بينه ،
وقل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لا تكون عقبة في رقي عقل
الإنسان في مستقبل الزمان (وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل
كتاب . يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة
المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وأنها لا علاقة بينها وبين دعوى
النبوة ، وأنها لا يسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع الماهرين ،
وأنها إن أقنعت تلك العقول القديمة وأوهبت تلك النفوس وهي صغيرة وحملت على
الايان فأنها أصبحت لا تقني العقل قتيلا ولا تزيد الأمور إلا تعقيدا . وأن الدليل

إن لم يكن له من القل أكبر نصير فهو أضعف ضعف. ومن كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعنات والاعجاز ، والسخرية والاستهزاء ، وإلا فإن أمامه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة القول (أولم يكنهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري قوم يؤمنون) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به إلا إغرام المعاندين المستهزئين ، والزيادة في تثبيت عصفاء المهتدين . وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعوته على القرآن وحده . كما يتضح ذلك من تدبر آياته . فإنه هو المعجزة التي تلتئم مع الدعوة ، وتعلو بالقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتناسب حال الاجيال من بعده فلا تقف عقبة في سبيل نظرياتهم ومفكرتهم ، ومملو ماتهم واختراعاتهم ، ولا تلبس عليهم بحيل الدجالين وتدليس المحتالين ، ولا يكذب اقصاصهم وافك الراوين ، وتغيب الواهين واختراع الكاذبين ، بل تساعد على البحث وتفحصهم على التذكير والقدر والتفحص والاستدلال والاستنتاج

فبيعة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر المعجائب والفرائب وبدأ عصر العلم والقل فهو الحد بين العصرين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذلك وكان أجليا وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسبا لزمه عليه السلام ولكل ما أتى وأتى بعده من الازمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الحكاية فكان الله تعالى في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصارهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصائرهم في العصر الأول كانت ضعيفة لصرها فلا تحمل أن تراه فلذا كان يظهر لأبصارهم بأنبيائه ورسله الكثرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسترقون السمع من الملاء الأعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لآب الأب مع أطفاله يكثر التكلم معهم وتأديتهم وتهذيبهم ورفقيهم وكرههم ومكافأهم بالماديات أو معاقبتهم على حسب ما يسدو منهم فاذا صاروا رجالا كف عن ذلك

واكتفى بإبداء بعض تعاليمه العامة وإرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستملون عقولهم فيأبرونه صالحا لهم كذلك فعل الله تعالى (وله المثل الأعلى) بعد أن بلغ الإنسان رشده أعطاه الشريعة العامة وقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الأمور بحسب ما يرشده إليه عقله فبعد أن كان يوحى للأئم السابقة كبنى إسرائيل مثلا في كل جزئية من جزئيات الأمور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والأصول الثابتة فانها مع ما يوحى إلينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الأمور بعد أن بلغنا رشدا

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والكهانة وأخبرنا بذلك كله صريحا في الكتاب العزيز فلم يبق لمحتال علينا حيلة ولا لمشعوذ أدنى وسيلة وبذلك خلص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضحا لا يحجب عنه حاجب ولا يقف أمامه فيه واقف . ولكي لا يبقى هناك ثلثة في نفس أحد من المؤمنين يصل إليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصا صريحا لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو وأن الأمور كلها بيد الله يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها مجاملة أحد من عباده فقال محاطا برسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير أقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب أن يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم إذا كن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله فما بال التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح والأحلام الصادقة تكشف كثيرا من الغيب وكانت الكهانة تكشف كثيرا منه من قبل ؟

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المغناطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئا لما لم يوجد فلا يمكنه أن يطالع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئا لما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المحصورة وغاية الأمر أنه لا يحجب عن رؤيا بعض الموجودات حاجب لصفاء وجهه عن كدورة المادة إذ ذاك ومن هنا تتسع دائرة معرفته عن بعض

الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالأمراض التي تنصيه مثلا بعد وقوفه على حالته الجسمية كما يخبر الطبيب عن بعض الأشياء المرضية قبل حصولها لمعرفة الأمراض وأسبابها ومسبباتها وأعراضها وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعهما أي إن الشيء إذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا أو استنباطا من موجود وإلا فالغيب (وهو ما غاب عن الإنسان لعدم وجوده مطلقا أو لعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه إلا هو ولا يعلمه أحد من عباده إلا إذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويقشور بين الناس كما أطلع الله رسله (الملائكة والأنبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملأ الأعلى فيخبرون به بعض البشر فيخبر الناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلة بينهم وبين عالم الأرواح وإن كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . ولنا الآن في مسألة استحضار الأرواح دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم الكهنة) بالعالم الأخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) وبذلك يمكن البشر الاطلاع على بعض المغيبات من هذا الطريق كما يمكنهم أن يطلعوا على بعضها في طريق الأحلام الصادقة، فاتها من بقايا الوحي إلى بعض النفوس الصافية، وفيها يرى الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون بأرادته كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبل وليس البشر في معرفة شيء من ذلك اختيار بل هو شيء يفعله الله متى شاء وكيف شاء

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) فغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله القائل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء، وكما شامود دعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لأحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا لما يخبر به فلا يمكن إلا اتفاقا ما لم يكن موحى به

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكرناه أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فإن الغيب أمر اعتباري فما غاب عني لا يغيب عني

غيرك وما لم تعرفه لجهلك بشي . ما يعرفه غيرك من علم هذا الشيء .
 أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة
 بيمان . نعم إن سنن الله تعالى في هذا العالم لا تبدل ولا تتغير كما نطق به القرآن
 الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق المادة ليس خرقا للسنن فإن سنن الله
 إيجاد الشواذ في كثير من الأشياء المعتادة إذا اقتضت حكمته ذلك . ولذلك
 نشاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (الفئات الطبيعية)
 ما يصعب حصره وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس
 الوجود وإن كانت خارقة للمعتاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية
 خلقها لمجوزا عن الجواب . أما نحن فنقول إن الحكمة في وجود مثل هذه الأشياء
 الشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئا من مبالغ قدرته وعظمته وأن قدرته
 تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها مداركنا وأما
 كيفية خلق هذه الشواذ والعلل المباشرة لتوليدها فإنا نجهلها الآن كالجهل وربما
 علمنا عنها شيئا في المستقبل . كذلك نحن نعلم حكمة إيجاد الله تعالى للمعجزات وهي
 أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحياء بالانبياء فيستلقون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم
 فصلاح حالهم . وتفهم من أعمال السحرة والمشعوذين وتبعدهم عنهم . ولكننا إلى
 الآن لا يمكننا أن نفهم كيفية إيجادها ولا الأسباب التي تنشأها وغاية ما نقول إنه
 هكذا أوجدتها القدرة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ هكذا وجدت وإن
 كان عقله لا يدرك كيفية وجودها .

قد يقول قائل إن هناك فرقا عظيما بين المعجزات وبين هذه الشواذ
 الطبيعية التي اتخذتها مثلا لما فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ
 فإنها تشاهد كل يوم فإن كانت المعجزات حقيقة وجارية على سنن الكون
 فلم انقطعت الآن ؟؟ ونقول أما انقطاع المعجزات فهو لا قضاء زمن الانبياء .
 ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيرا من الشواذ في العالم الطبيعي
 قد انقرضت الآن لاقرض الحيوانات والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكأن
 سنة الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات تظهر

ولو وجدت بعض الانواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوحد فيها من الشواذ
 المحصورة في خلقها وكيفية معيشتها ما يدعشنا الآن ويعد من العجائب والغرائب وقد
 كانت الاحياء فى مبدأ أمرها تتولد من الجمادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتى)
 وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه مطلقاً فلم لا ينكره
 المنكرون لا قضاء عبده الآن كما نقضى زمن المسجرات ؟ إن هذا الامر عجائب ١١
 بقيت كلمة واحدة تمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ما مضاه إن الله
 تعالى كان يؤدب الأمم السابقة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالطيف والمسخ
 والقصط فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟
 الجواب - إن ما يفهم من القرآن الشريف هو أن ما يقع بالأمم من المصائب
 المهلكة هو عقوبة لهم على أعمالهم (وما كان وملك مهلك تقرى بظلم وأهلها مصلحون)
 وكذلك ما يصيب الأشخاص من المصائب هو فى الغالب جزاء لهم على ذنب
 ارتكبوه (إن وملك بالمرواد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ولكن
 لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الانسان بل إن ذلك
 بحسب الغالب . فان الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العموم فانه يخصص
 بمثل قوله تعالى (ولنبأونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
 والثروات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو غيره لا العقوبة
 كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في إفادة
 السلبية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية . فالله تعالى لم يترك البشر في هذا
 الطور (طور العلم والعقل) بدون مراقبة ومجازاة لهم على أعمالهم كلا ! بل هو أرحم من
 الأب الحكيم لا يترك أبنائه إذا كبروا بدون تأديب لهم إذا كثرت إجرامهم بل قد
 يتدخل في أمورهم ويعاقبهم على ما يجرمون . فلا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون
 (النار) اتبع الدكتور فيما ذكر من ترقى الدين رسالة التوحيد وهذا هو الاصل
 في نسخ الشرائع الذي يحتاج به عليه الشيخ صالح الياضي في الرسالة التي بعد هذه
 وهو لا ينكره . ويرد عليه ان الخوارق لم تقطع ولكنها لم تعد حجة للدين في هذا
 المصير كالمصور الأول

باب المراسلة والمناظرة

حـ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين ^(١)

١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا آله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (ص) وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الى يوم الدين

أما بعد فاني قد وقفت على الكلمات التي كتبها في الرد على حضرة العلامة والمفضل الفهامة الدكتور محمد توفيق صدقي وفقنا الله وإياه لهداية والتوفيق آمين وحيث إنني وأيتي لم يأت بدليل جديد وإنما كرر كتابة ما قد بينت للقارئين فساد في رسالتي السابقة أردت اختيار السكوت وإن أفوض الى قراء المار وغيرهم من علماء الاسلام تولى ترجيح أحد القولين والحكم بتخطئة أحد الخصمين بعد الفحص عن أدلة الطرفين. ولكن ألح علي في كتابة جواب الجواب من يمز علي من أهل البيت الاطهار نخبة الاخيار سيدي احمد بن حسين المطاس باعلوي سلمه الله وحفظه وكذلك كثير من حزب الله المفلحين المصلحين الصادقين محبي المار الأغر فاخترت الله واستعنته على كتابة هذه الجملة المختصرة لأنني أخانا الغاضل على أن ما كتبه في

(١) جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح اليافعي رد بها على الدكتور محمد توفيق صدقي ثانية فأثبتناها على طولها ليأخذ الموضوع حقه من البحث فانه من أهم المسائل الدينية في هذا العصر

هذا الرد هو نفس ما كتبه سابقا مما قد ينال الحمد خطؤه وايضا هو لم يبتل شيئا مما كتبناه في رده لا بنص تقلي ولا بدليل عقلي

واما ما ذكر من شبهات غير المسلمين فهي ممالا قيمة لها اذا عرضها الفاحصون على معيار التحقيق وغاية محصلها أن تكون من اضعف الشبهات التي ربما تعرض وتعلق بخيالات غير الواقفين على حقيقة دين الاسلام - وما أنا ذا أقدم الواقفين بيان قيمة كل شبهة اوردوها العلامة الممدوح عنهم ووجه دلائلها ثم اتبع ذلك بردها والنفس من حضرة سيدنا شيخ الاسلام ومرشد الانام مولانا السيد محمد رشيد رضا منشي النار أن يصلح ما فيها من القصور والخطل وان ينزه أحدنا على زلته ، ويدله على محل عثرته، ولولا أن بذل النصيحة في الدين واجب لم اكتب ولا حرفا واحدا ولكن امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم «تناصحوا في العلم فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانه في ماله وان الله مسائلكم» ولنشرع في المقصود بعون الجواد المعبود فاقول: قال العلامة الفاضل سلمه الله ووفقنا وإياه له جواب «الكلمة الاولى في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة النسخ في القرآن» الى آخر ما نقل عنهم وحاصله أنهم اعترضوا على صحة دين الاسلام ورسالته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود النسخ الذي يسلمه المسلمون في القرآن لانه أي النسخ لا يكون الا اذا كان المنسوخ ناقصا ومعييا إما في مفزاه أي غاياته أو معناه أي مدلول لفظه أو بلاغته الخلل باعجازه أو ان الحكم لا يرضاه الناس أو أنه لا يفهم أو انه قد يضر بمصلحتهم

فحصل ما ذكره ان النسخ لا يكون الا لذلك وكأنهم يريدون ان صدور ذلك من الرب واجب الوجود محال واستنتجوا من ذلك استحالة أن يكون دين الاسلام منزلا من الرب أي لوقوع ذلك فيه واعتذروا عن قبول العقلاء لذلك بأن سببه كمال محمد (ص) في الدهاء والتحليل بحيث صار يلعب بمقول اصحابه وذكر عنهم ما ملخصه وحاصله ان محمد (ص) لم يتم له ما أراد من التشريع الا بعد اصلاح ما وقع في دينه من العيب والنقص وابدال ما تقدمه عليه المتقدرون أو عارضه المعارضون أو عرف انه يكون كذلك ولو بعد حين ولذلك تعلق بدهائه الى اخفاء عيبه وعيب دينه بتجوير وترويج مسألة النسخ في قرآنه ونقل عنهم انهم قالوا وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به

من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وكأنهم يريدون بذلك انه كما انه يستحيل بزعمهم ان يكون القرآن منزلا من الله فهو أيضا غير محفوظ ولم ينقل اليها كله ودعوى المسلمين ان ذلك مما نسخ الله لفظه بحكم غير مقبول، اذ لم يقدّر المسلمون على تحليل ذلك بلمة مفقولة... وهل عنهم أيضا انهم يزعمون ان ما بقي من القرآن في أحكامه شطط وان عباراته متناقضة مختلفة... وذكر عنهم اعتراضا على بعض أجوبة المسلمين التي ذكرناها في رسالتنا السابقة لتسوية نسخ لفظ القرآن حيث قلنا ما أدى وظيفته لا يلزم بقاءه فقل عنهم في معارضة ذلك ان القرآن مشتمل على مسائل خاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه قال فاذا صحح عند المسلمين نسخ الفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ الفاظ مثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها وما حكمة آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين !! انتهى

أقول والكلام على ما أورده عنهم من رجوه

(أحدها) ان يقول ان بعض هذه الشبهات كقولهم وما بقي من القرآن بعد هذا التصحيح والتفحيح نجد شططا في كثير من أحكامه فضلا عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات الى آخره لا ترد علينا ولا على من يقول ان القرآن الموجود فيه ناسخ ومنسوخ وانما ترد على خصوص مذهب الدكتور وهو لا ينفصل عن هذه الإبرادات ولا يستقيم مذهبه الا اذا سلك مسلك التأويل المناقض لظاهر الدلالات في هذه المواضع، والتأويل اذا صار لا يصبح الا بحيث يكون المعنى المؤول اليه انما يدل عليه الفاظ غير ما عبر الله به عنه فهو يكون لا محالة من باب التبديل والتعريف للذين ذم الله أهلها ونهى عنها وكما انت مثل هذا التأويل مردود عند أهل الحق من المسلمين وغير المسلمين أيضا لا يقتضون به وهو أعظم منفر لم عن الاسلام، لجواز ان يعتقدوا ان ذلك لإصلاح خلل وتكميل قص في القرآن والدين - فاعتراضاتهم السابقة على النسخ هي واردة على مثل هذا التأويل وقبولهم تكذيب ما نقله المسلمون فيما تقدم ضرب من الحال،

أما نحن القائلون بجواز النسخ في الأديان ووقوعه في القرآن فلا ترد علينا هذه

الشبهات لا في الدين ولا في خصوص القرآن ، وإنما يلزمنا الاستدلال على جواز النسخ عقلا ويحسن منا إذا بنا حسنه وحكمته في المرددين ومن قصر عن إدراك ذلك فلا يضره ذلك ولا يضر الدين أيضا — لأن جهلنا بالشيء لا يستلزم عدمه في الواقع — وإنما يضر لو كان بعض ما علمنا أنه من الدين مخالفا للحقيقة في نفس الأمر وليس في الإسلام شيء من ذلك — وفصلا عن الإيرادات والشبهات الواردة على دين أو مذهب مؤلف من هذه التأويلات المنفردة لمن يريد انتحاله التي لو أردنا إيرادها لطال بها الكلام فإن مدلول النسخ الذي يمكن أن ينكر وقوعه المنازعون أو يورد الشبهات عليه الزائفون والتأويل الذي يؤقل القرآن إليه حضرة الفاضل الدكتور متحد لا فرق بينهما إلا أن هذا الأخير يكون من الرب الذي يفعل ويأمر بالحكمة والمعدل فليتأمل الناظرين ولينصنا لغونا الدكتور الفاضل — ثم ليدلنا على مورد شبهات غير المسلمين الصحيح — أهو على من يقول بوقوع النسخ في القرآن المصلحة الراجحة والحكمة العادلة أم على من يعترف بصحة شبهاتهم ثم يبدل إلى التأويل المذموم الذي لم يأذن الله به ولا دل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم

وليعلم القراء الكرام أن ما اعترض به علينا في نسخ الأحكام غير المسلمين هو وإن كان فاسدا كما سيأتي إلا أنه وارد عليه أيضا لأنه قائل بوقوع ذلك في السنة بل السنة القولية منسوخة عنده كما صرح بذلك مرات وناسخ ذلك احتمال تقدير سبب من جملة احتمالات لحديث أبي سعيد (رض) اختلف في رفعه ووقته المعارض بما هو أصح وأصرح منه ومتأخر عنه كل ذلك مع ترك العلة والسبب المنصوص في ذلك كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على وجوب العمل بالسنة القولية النبوية فانتظروه —

فاذا عرفت ذلك لم يبق مما ذكر من شبهات غير المسلمين ما يخصنا الجواب عنه دونه إلا ما يورد على نسخ اللفظ فقط

(الوجه الثاني) أن مثل هذه الشبهات فاسدة في نفسها لا يصح أن يوردها إلا من كان لا يجوز النسخ في الشرائع مطلقا أي ولا يجوز نسخ شريعة نبي متأخر

لشريعة نبي متقدم عنه مطلقا حتى ولا من بعض الوجوه في حكم من الاحكام لان
من جواز ذلك في شيء مخصوص لزمه تجويزه فيما سواه اذا وجدت الملة أو نظيرها
وبالاولى فيها هي به أولى . فاذا جاز نسخ شريعة نبي لشريعة نبي قبله فن باب
أولى جواز نسخ بعض شريعة لبعضها الآخر . لأن نسخ دين النبي المتقدم وشريعته
الثابتة المقررة عند أمته وأتباعه أشق وأبعد من كل بهسد عن معتقداتهم الموروثة
لأنها اذا كان قد تدبر بها أنبياء كثيرون لان ما جاء به العدد الكثير قد تسبب
بعض العقول نسخه بما جاء به الواحد - فما يسلمه الدكتور الفاضل من النسخ هو
أولى بأيراد الشبهات مما ينكره - ولما كان نسخ بعض الشريعة لبعضها الآخر يكون
منوطا بمناصفة الاحكام لافراد مقتبها المعينين - كان كلما كثروا تجدد الاحكام
وتعدل على الحد الوسط المشترك بين أكثر مجموع الأمة ليكون الدين شريعة عامة
فلهذا ونحوه كان النسخ في الشريعة الواحدة لطفا حسنا وعليه فالنسخ في شريعة
أي نبي من الانبياء حين حياته أبعد عن اعتراض المتراضين عليه منه فيما بعد نبوتها
فثبت ان حكم نسخ شريعة لشريعة أو بعضها لبعضها سيان مطلقا ان لم يقل جواز
ذلك في الاخير أظهر والله أعلم

ثم نقول ان لا يجوز النسخ مطلقا انا لا نسلم ان النسخ لا يكون الانقاص أو
عيب في المنسوخ بحيث يستلزم نقص الشارع ومماذا الله من ذلك لا نقول إن
النسخ في الأديان لازم ومساوق لتلقي نوع الانسان فلنا ترق ديني وترق طبيعي
ولا يكون الاول الاحكام ومصلحة راجحة ، فالحكم الثاني النسخ يوجد عند
ما تكون الأمة مستعدة له وتخطو إلى التقدم من المقام الاول الذي يحسن ان تنتهي
مدة الحكم المنسوخ بجوارها له - لان ما يناسب البشر في أول نشأتهم قد لا يناسبهم
بل قد يجب ان لا يكفوه في أوان كالم وما كانت الأمم السالفة محجورة عنه
لمصلحة سد الذريعة قد يجب في هذه الازمان رفع حجرهم عنه إذ لو كلف الجهال
ونحوهم ما يتسع له العلماء لازم وضع الشيء في غير موضعه المناسب له وهذا من
لازمة قلب الحقائق ولو حجر على العقلاء البحث في الحقائق المستعدين لادراكها

وقد برها قدرها لكان في ذلك الظلم المنزه ربنا عنه ولو كلف الضعيف عقلا أو جسما ما لا يطيقه هو أو ما لا يطيقه إلا من هو أكمل منه لكان كذلك وإذا استحال كل ذلك فلا شك ان حالات الامم السالفة واستعداداتهم تخالف حالات الأمم واستعداداتهم اليوم فتكليف نبي الانساب اليوم بشرائع أولئك أو العكس اقل حالاته ان يكون تكليفا بما لا يناسب الفسوء الفطري والترقي التعليمي وحينئذ لو كان ذلك تكون احكام الدين من باب تكليف ما لا يطاق أو من باب الحجر على المستعد عما هو مستعد له فيكون الدين سدا دون العلوم والمعارف - ولو أطلق الاولين الحرية واذن لهم بولوج ابواب هي بمجولة لديهم او لم يستعدوا لمعرفتها لكان ذكر تقريرهم وتكليفهم لئلا يطيقونه وما كان كذلك فانه لا يرضى بقاء بل لا بد من تغيير وتبديل فيه مساوئين لترقي معارف البشر وهذا هو حقيقة النسخ وما ذكرناه هو سببه وحكمته في الشرائع فالنسخ لا يكون لعب وقص في المنسوخ ولا لجمل الشارع تعالى عما يقول الظالمون بل يكون لاستعداد المكلفين لما هو خير لهم في الحال أو الاستقبال ونحو ذلك مما لا يخلو عن زيادة الخيرية التي ذكر الله انه لا بد منها في النسخ فالنسخ يكون قبل فحش التفاوت في مناسبة المنسوخ لحالة المكلفين كما ذكرنا ذلك في رسالتنا السابقة

فثبت بما ذكرناه وما لم نذكره من الحجج اليقينية أن النسخ في الشرائع لازم ومستحسن عقلا وكذلك هو واقع فعلا وثبت ذلك نقلا فان كثيرا من شرائع الانبياء قد نسخت واندثرت وأنسيت بشرائع انبياء بعدهم وذلك ظاهر لا فطنيل يذكره وان أبي المعترضون لزهمهم فوق ما قدمناه من المحالات ان تكون شرائع الله المحككة المحتم على البشر قبولها وامثالها والابمان بها متضاربة متناقضة ، وذلك بأن يجب على الشخص الواحد المؤمن بجميعها فعل الشيء الواحد وتركه في آن واحد وهو محال من الله وعلى المباد

والاديان والشرائع قبيل الاسلام وقع فيها كثير من الخلط والقلب - اما التكليف والصعوبات الشاقة والكلمات الموهمة بخلاف الواقع والحكايات المستمدة في كتبهم الدينية فما أوجب على العقلاء منهم ومن غيرهم الجرم بان تلك الكتب

قد وقع فيها من التحريف والتبديل ما أوجب أن يحكم بعدم الوثوق بها وما كان كذلك فمن اللازم ان لا يبقى ديننا للبشر الى آخر الدهر - ولذا ونحوه قال نبينا صلى عليه وسلم « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » الحديث افليس من اللازم ان يبدل الله بهذه الشرائع شريعة عادلة محكمة مخوفة عن تغيير المبطلين وعبث العابثين ؟ ان تلك الكتب وشرائعها لا تصح وهي بالمالة التي عرفت حجة لله على عباده فلو سل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات اليبينات فما من دليل يستدل به على رسالة رسول من الانبياء والرسل السابقين الا وقد ايد نبينا (ص) بثله وأظهر وأوضح منه وصح لدينا قسلا لا يعثر به شك باسناد صحيحة متواترة متصلة . ولو لا شهادة الله في كتابه القرآن وشهادة رسوله محمد (ص) في خطابه بصحة معجزات الرسل السابقين لم تبلغ تلك النقول والقصاص فيها الى مرتبة الظن فضلا عن اليقين لأنها لو وزنت بميزان التحقيق في شرائط القبل لم يتحصل منها ما يصح اعتباره مستندا متصلا عن الثقة المبروفين بشرائط الرواية

وبناء على ما ذكرناه قول اذا كان وجود النسخ في تلك الشرائع غير قاطع فيها لكونها قد ايدت بالمعجزات - فكذا وجود النسخ في الاسلام أو في القرآن لا يصح أن يكون قاطعا في صحته عن الله تعالى لما عرفت . وايضا فن قدس بذلك في دين الاسلام ورسالة محمد (ص) يكون في الحقيقة قاطعا في صحة دين من تقدمه

من الانبياء عليهم السلام من حيث يعلم أولا يعلم رضي ام أبي
وقول في الجواب أيضا (الوجه الرابع) ما يدري هؤلاء المشككين ان النسخ الواقع في شريعة الاسلام أو في القرآن قد كان سببه تلك التهم التي أوردوها ؟ فهل عندهم نقل يؤيدها ويصححها أو دلالة عقل تبين على ما ذكره أم هو احتمال فرضوه وأوهام توهموها أو عماراة أو معاندة انتجتها الاحقاد الموروثة ؟ وهل هذا الاحتمال متبين فالدليل عليه وهل يصح ان يقوم مقامه احتمال غيره يقضى مزعمكم أم لا لا وحينئذ لا يصح ان يدفع اثبات ويرد باحتمال من احتمالات هذا حالها . واذا كان النسخ في التشريع والاديان لازما عقلا وواقعا حتما يكون مستحسنا

كذلك قلا وكانت رسالة نبينا (ص) ثابتة بالحجج اليقينة بأصح ما يمكن ان تثبت بها رسالة أي رسول — فتمين ذلك الاحتمال والوهم وحاله ما عرفت مع وجود ما يدفعه ويكذبه باطل لا يجوز لما قل ان يلتفت اليه أو يقتضي بإيراده

أما قولهم ان محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء أن صار يلعب بعقول اصحابه فيضلهم يقولون منه ما لا يقبل من غيره فالجواب عنه ان محمدا (ص) بأبي هو وأمي لم يكن من أهل الخيل والدهاء وإنما كان من الانبياء الاقبياء وقد عرف بالصدق والوفاء حتى صار ذلك وصفه الثابت حتى عند أعدائه أما اصحابه فقد عرفوا صدقه وصحة دينه بالدلائل الصحيحة الثابتة وهم لم يصدقوه فيما جاء من النسخ وغيره لضعف في عقولهم وهو ما جاء بما في دينه من النسخ بدعا مما جاء به المرسلون قبله وإذا كان كذلك فمن البت ان يقال ان اصحابه صاروا يصدقون ويقولون منه ما لا يقبل من غيره لأن قول هو (ص) لم يأت الا بما يأتي به المرسلون ولم يقبل عنه اصحابه الا ما يقبل عن المرسلين والالات قلب الامر وكان النسخ في الشرائع محالا وقد تمت فسادة عقلا وشرعا

فما ذكرناه يعرف الناظر فساد تلك الشبهة وانما هي غير محلها وانها لا يتعين ورودها على شريعة دون غيرها من الشرائع — بل لو صح إيرادها على بعض الشرائع السابقة لركاكة ما عرف من تلك الشرائع وعدم صلاحيتها لتدين جميع البشر الى آخر الابد وللوهم في ثقلها وضبطها — فان صحة توجبها على الاسلام ضرب من المحال ونقص عن الكمال لا في القرآن من الدلائل والبراهين على صحة كل احكامه وشرائعه وما كان فيه من منسوخ وناسخ موجود فقد ذكر سببه وحكمته بالصراحة تارة وبالتضمن والالتزام أخرى يعرف ذلك بطرق يعرفها من تلقى فيه عن أنزل عليه (ص) فيها ان يذكر الحكم الاول مقرونا بسببه أو بفائدته وغايته أو غير ذلك بما يصح ان تدرك به علة هذا الحكم فاذا نسخه بأن انزل بعده حكما يناقضه بوجه من الوجوه فهو يترك سببه أو غايته أو غير ذلك كذلك بما تعرف به الحكمة في النسخ وهذا بخلاف الشرائع السالفة فانها وان كان فيها أشياء من الاستدلال الصحيح الا انه لا يوجد في كل شيء ومم ذلك هو لم يبلغ بالاستدلال فيها الى المراتب الكاملة في التحقيق كما هي في القرآن ودين الاسلام ومع ذلك كله نحن لانحصل ذلك على

نقص فيها كما يقول هؤلاء المعترضون وإنما قول إن تلك قد سبقت فيها الشرائع على طريقة تناسب عقول البشر واستعدادهم إذ ذاك وهي غير مؤيدة فتناسب أن تكون كذلك حتى يترقى الإنسان إلى أعلامقاماته مما تطوح به اليه خلقته وفطرته المخصوصة وحينئذ يناسب أن يشرع له دين بالغ في التحقيق أقصى غاياته فكان الأمر كذلك بدين محمد (ص) وشرعه

(لها بنية)

أنا علميكية

التربية والامهات

أنشدنا الشيخ معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه بيروت في الحرم

سنة ١٣٢٧

هي الاخلاق ثبتت كالنبات	إذا منعت بقاء المكرمات
تقوم إذا تعدها المرئي	على ساق الفضيلة ثمرات
وتسمو للكوارم باتساق	كما اتسقت أنابيب القناة
وتتمش من صميم المجدروحا	بازهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محل	يهدبها كخضن الامهات
فخضن الأم مدرسة تسامت	بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا	بأخلاق النساء والوالدات
وليس ريب عالية المزايا	كمثل ريب سافلة الصفات
وليس البت يثبت في جوان	كمثل البت يثبت في الغلاة
فيا صدر الفتاة رحبت صدرا	فأنت مقرأسي العاطفات
نراك إذا ضمت الطفل لوحا	يفوق جميع الواح الحياة
إذا استند الوليد عليك لاحت	أصاوير الختان مصورات

لاخلق الصبي بك انكاسر، كما انعكس الخيال على المرآة
وماضربات قلبك غير درس لتلقين الخصال الفاضلات
فاقول درس تهذيب السجيا يكون عليك يا صدر الفتاة
فكيف نظن بالابناء خيرا اذا نشأوا بحضن الجاهلات
وهل يرجي لاطفال كمال اذا ارنضوا ثدي الناقصات
فما للامهات جهلن حتى اتين بكل طيش الحصاة
حشون على الرضيع بغير علم فضاع حنو تلك المرضعات

* * *

أأم المؤمنين اليك نشكو مصيبتنا بجهل المومنات
فتلك مصيبة يا أم منها «نكاد نقص بالماء الفرات»
نخذنا بعندك العادات دينا فاشقى المسلمون المسلمين
فقد صدكوا بين سبيل خسر وصدوهن عن سبل الحياة
بحيث لزمهن قعر اليت حتى نزلن به بمنزلة الاداة
وعدوهن اضغف من ذباب بلا جنح واهون من شذاة
وقالوا شرعة الاسلام تقضي بتفضيل الذين على اللواتي
وقالوا ان معنى العلم شيء تضيق به صدور الفانيات
وقالوا الجاهلات اعف نفسا عن الفحشاء من المتعلات
لقد كذبوا على الاسلام كذبا رول الشتم منه مزلزلات
انيس العلم في الاسلام فرضا على ابنته وعلى البنات
وكانت اما في العلم همرا تحول لسانها المشكلات
وعلمها التي اسفل علم فكانت من اسفل العالمات
لقد قل ارجعوا ابنا اليها بناتي دينكم ذي البنات
وكان العلم قلبينا فامسى يحصل بالترتيب المدرسات
والتقرير من كتب ضخم لم يزل المدد من الدواة
لم يرف في الحسان الفيد قبل اوانس كتابات شعرات

وقد كانت نساء القوم قدما
يرحن الى الحروب مع الفزاة
يكن لهم على الاعداء عونا
ويضمدن الجروح الداميات
وكم منهن من اسرت وذقت
عذاب الهون في اسر العداة

فإذا اليوم ضر لو القتنا
فهم ساروا بنهج هدى وسرنا
نرى جهل الفتاة لما عفاها
بمناهج التفوق والشتات
وتحقر الحسائل لا لجرم
كأن الجبل حصن قمتاه
ولزمن قمر البيت قهرا
فنؤذين أنواع الأداة
لئن وأدوا النبات فقد قبرنا
ونحسبن فيه من المئات
حجبناهن عن طلب المعالي
ولو عذمت طابع القوم لو ما
ففسن بمجهلن مبتكات
وتبذيب الرجال أجل شرط
لما غدت النساء محجبات
وما ضر العفيفة كشف وجه
لجل نطلم متعذبات
قدى لخلائق الاعراب نفسي
حواسر غير ما متريات
ير مع الجدابة والمهابة
ولو لا الجبل ثم قلت مرحى
لن أفوا البداة في الغلاة

تقرير المطبوعات الجديلة

﴿ نظام القرآن وتأويل القرآن بالقرآن ﴾

اهدانا الملم عبد الحميد الفراهي (من العلماء في الهند) بضع رسائل في تفسير سور
متفرقة من القرآن العزيز سماها بما ذكر في العنوان . وهي سورة التحريم والقيامة والشمس
والنصر والكافرون والاسد أو « تبت » وقد أقمنا على بعض هذه الرسائل لمحة من

النظر فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى
المطاني من حيث هي هداية إلهية ، دون المباحث الفنية العربية ، ولكنه لا يضر كل
آيات السورة وكلماتها ولا يتكلم على ما يفسره بالترتيب وإنما يتكلم عن المسائل الكلية
والمقاصد التي تهدي إليها الآيات كلاما عاما مبسوطا مفصلا معدودا بالأرقام . فمن
فصول تفسير سورة التحريم : (١) نظام السورة وموقع آياتها (٢) سنة الله في
الاحتساب (٣) عمود السورة هو الاحتساب والتشهير له (٤) دين الفطرة هو
الاعتدال بين الفسق والزهانية (٥) الفرق الفسق والزهانية (٦) نزول القرآن
حسب أحسن المواقع (٧) شأن نزول هذه السورة حسب الكليات (٨) شأن
نزول آيتين ١ - ٢ حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست -
الح وان للمؤلف فيها ثاقبا في القرآن وان له فيه مذاهب في البيان وطرائق في
الاستطراد منها القريب والبعيد وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى موارد هاء الصدور عنها
ويان من شواهدنا فقد كتب في تفسير كلمة « صفت » من قوله تعالى « ان تنوبا
إلى الله فقد صفت قلوبكم » أكثر من صفحة على انه قد صنف كتابا في مذاهب
القرآن كما فعل الراغب الاصفهاني . وإن أدري أفسر القرآن كله على هذا الوجه .
هو يشغل بذلك الآن ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها . وقد رأيت فيما قرأت
ذكر كتب أخرى له في القرآن والذين كالفردات وتاريخ القرآن والأمثال الإلهية وأصول
الشرائع فحسب أن يتفضل بإخبارنا عنها أمي تامة أم لا ، أطبع منها شيء أم لا ؟
هذا وقد أرسل إلينا عدة نسخ من تفسير بعض السور لأجل بيعها عندنا وهي
مطبوعة طبعا حجرى عن خط فارسي حسن فمن أحب ان يطبع عليها فيطلبها من إدارة
المنار ومن تفسير سورة التحريم قرشان وماعداه فتمنه قرش او قرش ونصف

❦ رحلة الحبشة ❦

هذه الرحلة من أحسن الرحلات أسلوبا وقائدة وفكاهة أنها بالتركية صادق
باشا المؤيد المظفرى الأول بالجيش العثماني السلطان عبد الحميد بأمره وهو الذي
أرسله إلى نجاشي الحبش بكتاب منه فكتب ماراه وشاهده في طريقه وفي البلاد

والمواقع التي نزل بها لاسباب الصومال وما رآه واستنطقه من المسائل العسكرية والاجتماعية ومعالجه من التقاليد والعادات مع شيء من التاريخ القديم والحديث عن الحبشة فجاءت وحدة جاسمة لكثير من الفوائد المنسوعة من كل فن وذكر في آخرها الوقائع الحربية بين ايطاليا والحبشة مفصلة وختمها بذكر من نال شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الحبش رجالا ونساء . وقد ترجمها بالعربية رفیق بك العظم وحقي بك العظم وطبعتها شركة طبع الكتب العربية على النسق الذي طبعت به في التركية مزينة بالصور والرسوم ومنها صورة النجاشي بلباسه الرسمي ومتصلا بها خريتان احدهما رسم فيها الطريق الذي مر به والثانية رسمت فيها بلاد الحبش . وقد زادت صفحات هذه الرحلة على ٣٢٠ وثمنها اثني عشر قرشا صحيحا

وانا نقل شيئا من كلامه عن مسلي الصومال وتعلقهم بالدولة العلية . قال في سياق كلامه عن جيبوتي حاضرة مستعمرة الصومال الفرنسية مانصه

«ومند خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يقضون علينا أفواجا مرحين بنا بهارات الاحترام والتمظيم ولم يكنوا بذلك بل انظرونا بينما كنا عند الرالي وه أتو يوسف» خارج المحل وعند ما خرجنا رافقونا مهلين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج برافقونا من محل الى آخر ويتهمزون كل فرصة لاطهار سروهم العظيم من ورودنا ثغرهم فاذا طلبنا مركبة يجري العشرات منهم لاحضارها واذا سأناهم الطريق يقدم مئات انفسهم للقيام بخدمة وما كنا نحتاج لهم لأن الوالي كان عقيب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهاندارا) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكرًا انسانيته واكتفت بمجنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا

« وبعد قليل من وصولنا الفندق تكأنا المسلمون بعضهم على بعض في الردة الكاثانة امام الفندق وأخذ يزاد عددهم كثيرا فكانوا لا يقنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون أن يروه كثيرا على قدر استطاعتهم واستمر الزحام على هذا المتوال امام المنزل الى ما بعد العشاء

ثم ذكر انه قبل السفر من جيبوتي آذنه خادم الفندق بقدوم رؤساء بعض القبائل لزيارة الوفد السلطاني . قال

« هذا وقد غاب الخادم قليلا ثم جاء ومعه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلتي عيسا ودانجالي وهم سمر الوجوه لون البض منهم عيل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء تجلهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض فيصا طويلا وعلى رأسه طاقية والبض ليس عليه سوى (فوطه) وهو مكشوف الرأس . وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه الهامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهما طويلا مصنوعا أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الفريات قطعتهن على شعورهن . ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول أصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيدا والباقيون لا يعرفون منها إلا قليلا

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام الحضرة العلية السلطانية وابلغني انه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القرية من جيبوتي للتسليم على الوفد السلطاني . ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاساتذة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفرها اليها

« وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جدا والبض منهم حافي القدمين والبض يلبس في رجله نعلما مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشمر بهيئتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . سمات الشجاعة والإسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلا منهم شبه قتال للحرب والكفاح صنع من (البرونز)

« بينما كنا تتجاذب اطراف الحديث اذ جاء الموسيو بنوهر والي الصومال الفرنسية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون اوردتهم الرسمية وكان يمشي أمام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة فلما رأى الوالي الموما اليه رؤساء القبائل الصومالية هش في وجوههم وصاغهم جميعا يدايد وسأل عن أحوالهم وصحتهم ولم يرض قليل من وصول الوالي حتي جاء أيضا (آه يوسف) فنصّل الحشبة في جيبوتي وبعد ان

مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكرا إياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أعدها اكراما للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعائي ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا الى جيوتي »
ثم قال بعد كلام في حال البلد وشؤونها

« وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت انفاما وأصواتا آتية من بعيد وبينما أنا أفكر في ما عسى أن يكون ذلك إذ أخبرت بورود وفد قبائل عسا فخرجت إلى شرفة الفندق فرأيت جمهورا من الناس نحو من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيرى الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والمراوات ويكبرون مرة وينشدون الأناشيد الحربية مرة أخرى وجاهير الناس عشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق أخذوا يسلمون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام تحلقوا وصاروا يضنون ويرقصون والبعض منهم كانوا يقارزون داخل تلك الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة وبأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة مما يدل على انهم اقوام حريون أولو بأس شديد وميل للحرب والطمان . وبعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الداناليين وبهدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي لحضور المأدبة التي دعينا اليها » اه المراد

وفيه من العبارة ان للدولة العلية وسلطانها نفوذا معنويا في نفوس جميع المسلمين لم تحسن الانتفاع منه ولا النفع به في الماضي فحسب أن تتنفع به في هذا العهد الجديد الذي دخلنا فيه وهو آخر الرجاء في حياة هذه الدولة فحسب ان لا يقطعها أصحاب النفوذ بالمتازعات الجنسية والأهواء الشخصية . وفيه أيضا ان الوالي الفرنسي يعامل أولئك الناس الذين يهدم متوحشين بالاحترام ليؤنسهم بحكمه ويأمن جانبهم ويكسب مودتهم ودولتنا تحترق أمثالهم في اليمن والحجاز والعراق فينبذل جيبهم لها بفضا وميلهم اليها نفورا وإعراضا فحسب ان لا تعود إلى ذلك في هذا الزمان وقد اتفقنا على الرحلة ذكر الشهر الذي سافر فيه المؤلف (وهو نيسان) كون

ذكر السنة في أولها وجريانه على ذلك في اثنتائها حتى انتهت في ١٢ تموز (يوليو) ولكن يعرف القارىء أن الرحلة كانت سنة ١٨٩٦ م من ترجمة براءة الوسام الذي اهداءه النجاشي الى صادق باشا وترجمة المكتوبات التي ارسلها اليه نظار النجاشي وآل بيته

﴿ عقود الجواهر . في تراجم من لهم ٥٥ تصنيفاً فثمة فاكثر ﴾

نشرنا في آخر الجزء الماضي اعلانا لجميل بك العظم محاسب المعارف ببيروت عنوانه «ذيل لكشف الظنون» علم منه انه يفتى منذ ١٦ سنة بجمع ما فات صاحب كشف الظنون من اسماء الكتب وما حدث بعده منها . وقد استحسن في اثناء بحثه ان يضع كتابا في تراجم المكثرين من التصنيف الذين لهم خمسونا مصنفات فاكثروا وقد أتم الجزء الأول من هذا الكتاب وسماه «عقود الجواهر» وطبعه وهو يد كالعالم ترجمة مختصرة ثم يذكروا مصنفاته مرتبة على حروف المعجم فجراه الله خيرا . وقد اقترحت عليه في بيروت أن يجعل الذيل وأساقيو لف كتابا مستقلا في اسماء الكتب والفنون ففسي أن يلقى من المساعدة ما يرجع ذلك عنده

﴿ الاشتقاق والتعريب ﴾

قد علم قراء المنار في العام الماضي ما كان من أعضاء نادي دارالعلوم من المناظرات في مسألة التعريب . وقد عني الشيخ عبدالقادر افندي المغربي أحد محرري جريدة المونيد في أننا ذلك بوضع كتاب مستقل في المسألة وطبعه في هذا العام فبلغ زهاء ١٥٠ صفحة بقطع كتاب الاسلام والنصرانية . وقد ترجم المؤلف كتابه بقوله فيه «يبحث في ما يمرض اللغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطتي الاشتقاق والتعريب» وأن هذا الأخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات ، وان استعمال العرب لا يحيط من قدر فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك » فهو اذا مؤيد للرأي القائلين بجواز التعريب والتصرف في اللغة بحسب الحاجة بل توسع في ذلك بما لا يوقعونه كلهم عليه فيما نظن

ودعم كلامه بضروب من الأمثلة والشواهد والدلائل لم يسبقه إليها الباحثون وقال في أواخر الكتاب ما نصه :

نتائج وملاحظات

قد تمحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة ويتعلق بها المتكلمون بتلك اللغة — فهذهان قسم عربي محض وقسم دخيل . والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام كستندس وإبريق . ويسمى في الاصطلاح معربا . ومنه ما أدخله المولدون في صدر الإسلام ويسمى مولدا . ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثا أو عاميا . والطريقة في أحداث النوعين الأخيرين المولد والعامي — قد تكون الاشتقاق : كالمصرية والبارود والفسقية . وقد تكون التعريب : كالبوس والباذر والماهية وقد تكون التصرف في الاستعمال : بأن تستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب : كقلمر والقماط . والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحيط من قدر الكلام العربي إذا وقع فيه وإن كان في أصله غير عربي لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب . والأدلة المذكورة تصلح أن تكون مقدمات منطقية نبيجتها « أن الكلمات العربية المأخوذة عريية أو بقوة العربية » حتى لا يكون ثم فرق في صحة الاستعمال بينها وبين تلك التي تكون عريية الأصل : بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة « درصاص » الأجنبية المأخوذة في كل موضع تستعمل فيه كلمة « صرقان » العربية . وما يدرينا أن صرقان وأمثالها من اللفاظ القديمة التي نحسبها عريية والتي لارائحة فيها للاشتقاق من لغة عريية — غير عريية في أصلها وإنما هي دخيلة .

ولقد ذكرنا في جملة تلك الأدلة دليلا لانتزاع في صدق دلالاته : وهو أن علماء اللغة لم ينسبوا حصروا شروط فصاحة المفرد في ثلاثة أمور : خلوصه من تنافر التعريب ومن اشتراكه مع مختلف القياس ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عرييا بل لا شائبة فيه للمجمل .

ولمست في الكلمة الدخيلة التي تودعها كلامك خلوصها عما ذكره علماء

البلاغة كان كلامك فصيح المفردات . وعليك بعد ذلك ان تراعي سائر ما شرطه أولئك العلماء في فصاحة الكلام و بلاغته . حتى إذا فطنت كان كلامك فصيحاً بليغاً .
لا يكون كلامك فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية ما كان غريباً عن افهام المخاطبين أو ما تنبؤ عنه أذواقهم وتنجافي طباعهم مثل أن تقول « وكأب الطهارة يعرفون ألوان الطعام بالفشليل » والفشليل كلمة معربة عن قنيلز الأعجمية . ومعناها المرفقة — كما لا يكون فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول « أننا مختالا في مشيتي . منفشلالا لحيته » تعني منفشلا لها . أو تقول « حلاه الله من وجل عفتجش » أي فطج جاني الطباع . ومن هذا القليل الكلمات الانكليزية أو الالمانية مثلاً التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نهد مثلاً في مخارج لغتنا . حتى إذا اضطررنا إلى ادخال كلمة من هذا الصنف في لغتنا كانت علينا حينئذ ان نلغنها ونهذبها ونوفق بينها وبين أوزان لغتنا ما استطعنا الى ذلك سبيلاً . كي تواتينا ويسهل علينا النطق بها . والا كان علينا أن نهجرها ونهد الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما اذا تضمن كلمة متنافرة مثلاً من الكلمات العربية الأصل كالمصمخ وهو اسم نبات . قيل لأعرابي أين تركت ناقحك؟ قال تركتها رعى المصمخ . وكأن يقول لا آخر : اياك أن تنزج البهيمة بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة . تعني الخمالة الورداء . (١)
واعلم أن الكلمات الدخيلة في لغتنا ما كان أصلها ترجع إلى قسمين : قسم مدلوله الجواهر والاعيان مثل نرجس وجام . وقسم مدلوله المعاني والاحداث مثل البوس : فكلمات القسم الاول إذا شاعت بيننا . وحلت في اسمائنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة . وتفرغت عن أن تكون من « الفاظ السفلة » كما سيجي .

(١) المنار : ان بعض ما مثل به من الغريب ليس مما يثقل على اللسان كنفشل ولكنه غير مألف لنسم صقله بالاستعمال فهو لا ينافي الفصاحة . وما كانت ثقبلا كالمصمخ الذي يذكره في كتب البلاغة انما ينافي مثله الفصاحة ويكره استعماله اذا كان له مرادف يقوم مقامه والاحسن استعماله عند الحاجة اليه ورأيت أكثر ادباء عصرنا غافلين عن هذا وذلك

(المتروك ٢ م ١٢) قياسية الدخيل في أسماء الاجناس لا المعاني ١٤٣

في قول ابن المقفع — ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وادماجها في كلامنا: لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما أن لا يكون لها مرادف في لغتنا أو لها مرادف محجور وحفظ يكون الوجه في استعمالها ظاهرا . وعذرنا فيه مقبولا . وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور فيكون لنا الحق في أن نستعملها أيضا اقتداء بأهل اللغة انفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية الى مرادفاتهما من الكلمات المعربة الدخيلة مثال ذلك كلمة «كوسج» الاعجمية فانهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها . وقلنا تراهم يستعملون كلمة الاضط العربية . بل اذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج . لكننا أشهر منها وعلقى بأذهان الناس كما يفسر شراح الحديث كلمتي «الدرج» و«اللياء» العريتين بكلمة اللوياء الاعجمية المعربة

وقد كثر استعمال الدخيل والاعراض عن الاصيل في كلامهم كثرة تشمر بأن هذا الصنيع طبعي في اللغة وضرورة لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسيا لأهل اللغة من ورائه غاية محمودة : هي توسيع نطاق لغتهم وتسهيل أمرها على ممارستها هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والاعيان . اما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والاحداث كاللبوس فهذا ربما ضر الاستكثار منه فيما أظن : اذ يكون مدرجة اضياع اللغة ومسحها وتحويلها عن اصالتها . وقلنا تعجب العرب نقلوا إلى لغتهم فعلا أو مصدرا أو اسلوبا خاصا من أساليب كلام الاعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها وان كان شيء من ذلك فهو قليل جدا ككلمتي «الهرج . والناقض» الحبشيتين . (١)

واكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في زمن الجاهلية فقله لم يتخط القبايل التي عاشت مع الاعاجم وكثر امتزاجها بهم كفسان ونخم وجدام . ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام . نعم أن اللغة بمجموعها جواهر واحداثا محمولة عن لغة اعجمية كما اثبتناه

(١) المتار : الكلمتان عريتان ومعنى الأولى الفتنة التي يحدث فيها تداخل واضطراب وقتل وقول ابي موسى ان المهرج في لسان الحبشة القتل لا يدل على ان العرب اخذت من الحبشة وبما كان العكس . والثانية مشتقة من الناقض (راجع ص ١١٨٨)

في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التريب . والذي كان يحصل على السنة العرب بعد أن قامت لفهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم أذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني إلى الاستئانة بلفات غيرهم . وإنما يرجعون إلى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لفهم . فهم يضمنون أو يشتقون للمعاني التي تحول في نفوسهم من الكلمات ما يفهم عن الطفل في ذلك على سواهم . أما الجواهر والأعيان . فقد يتعلموا أو يتسرع عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد أن ضرب المستضعفون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيلار والالويا والباذنجان والكوب والابريق والمسك والبفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والذائق والدرهم والدينار والربون إلى غير ذلك أسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الأسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا إلى أن يرجعوا بها ويلقوا حبلها على غاربها . اه المراد منه وثمن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِلْهَامِ

نصيحة

﴿ مسلمي بيروت هامة ، وقيانهم الشجمان خاصة ﴾

اتني في كلامي عن البلاد السورية قد فضلكم على غيركم ، ووجوت منكم نظير البلاد مالم أرجه من سواكم ، وإنما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تشيظاً للامالين ، وتنبهاً للخاملين ، ذلك بأنني رأيت من احترام الحرية عندكم مالم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرها من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والتربية لم أر نظيرها على ضفتها - في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحدثكم .

ثم انني أقمت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ، فأخبرت أن أفصح لكم فيه كتابة كما فصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة ، عسى أن تكون الكتابة أعم وأفع ، ولا أقول ان هذا الامر المتقدم خاص بكم وإنما أرجو ان ترجعوا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تتمكن الحكومة الجديدة وتستقر قريتهم عنه بالقوة القاهرة أن لم يرجعوا خوفا منها .

ذلك الانحر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب أقيته في نادي الجامعة الميانية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لاسما حرية أصحاب الصحف . وقد حمدكم المقلد لاستنكاركم حادثة الشام وحللكم على المفسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في فهمه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الاقلاب ؟

كاد بقه الخضم بل الالتحام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطاننا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم: ان جريمة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود الى ذلك . ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الانكار بعض الشبان فاندبرى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من أبناء حبه فساهل الاولون وانتهى الكلام بالتدابير لرجلين لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر وللاجابة لسؤال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقتضها بأن الإهانة لا تكون لا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن بعمل عمله يصبر به مرتدا لا عاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وإنما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح ربانية مؤثرة ينفع بها القارئ . وقلت لما ان جميع جرائد المسلمين (المجلد الثاني عشر) (١٩) (الملاح ٢)

في مصر وفي بيروت وغيرها من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناولت من جرائد كانت بجانب نسخة من الموبد فأطلعهم على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية . وما زلت بهما حتى خرجا مقتنعين بأن من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبلا يدي بعدان كانا أحديهما ممي حديث الخضم مع الخضم فدل ذلك على حسن ذمتهم

ثم ان صاحب جريدة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالتربية والتعليم وما تقتضيه حال مصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخطائهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار . فوسوس شيطان التفريق الى بعض الفتيان المتحمسين قال ان صاحب جريدة كذا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من بانث تلك الجريدة فزقوها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل إهانته بعضهم بالفعل ، وطاف آخرون على بعض المشتركين بالجريدة فرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رأيته استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تبني وسألني عما كتبه عن المسلمين فقلت له كتب كيت وكيت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلمها وعلى تحصيل الثروة ليكونوا من أغنى الناس واعزهم . وأقنعت به أنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين بهان بهوانهم ويعتز بهزتهم ويشرف بشرفهم من غير أن يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو رجاء من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مقاسد هذا الشقاق الذي يلقيه بعض أهل الاهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم . فأنشئ مقتضا شاكر

هذا ما تركت عليه بيروت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي إليها صليت الجمعة في أحد المساجد فإذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه مامنه : انكم قد تركتم الاسلام وأبى الدليل على إسلامكم وأنتم تصلون كذا وكذا حتى قال وتشبهت نساؤكم بالعاهرات . فقلت في نفسي لو كان

هذا الخطيب في يبروت لا نزله عن المنبر بالقوة ومنعه من إتمام خطبه مع هذا كله أقول الآن كما قلت من قبل أن مسلي يبروت أقرب إلى الخير والاعتدال للفرق من غيرهم وأبعد عن الفتن التي تحول دون الأعمال النافعة وأكثر ما يفتقد عليهم مما ذكر فيهم بحسن النية غالباً لا أعرف فيهم غير رجل واحد يحب إثارة الفتن بسوء نية ولله يندر أن يوجد له أقتال ونظراء في ذلك

فألذي تنصح به لم ولغيرهم هو أن يطلوا أنه لا شيء أضمر على الأمم من التفرق والشقاق لأجل الخلاف في الفهم والرأي سواء كان في أمر الدين أو أمر الدنيا فضرراً كبير الكبار — كالقتل والزنا وشهادة الزور — هو دون ضرر التفرق والشقاق في الأمة لأن هذا الجرم هو المانع من وحدة الأمة وعزتها وقوتها وهي متى قويت تقدر على منع سائر الجرائم ومتى كانت ضعيفة بالتخاذل لا تقدر على منع شيء من المفاسد ولا على إقامة شيء من المصالح . ولذلك توعده الله تعالى على التفرق والخلاف بما لم يتوعد على غيره بل جعل المتفرقين في الدين برأء من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه فقال (٦ : ١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأنزل يوم تلاحى نفر من الأوس والخزرج وذكروا ما كان من مشقة بينهم لبعض يوم بعث (٣ : ١٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا قصة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ٩٠٤ ولكنكم منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليقين وأولئك لهم عذاب عظيم)

فالتدبر للقرآن يرى أنه تعالى ينهانا ويحظر علينا التفرق والخلاف ويحتم علينا أن نكون أخوة متحابين ويفرض علينا مع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أهان أخاه واحقره أو آذاه لأنه قال أو كتب ما يخالف رأيه لا يكون آمراً بالمعروف وهل يوجد أحد من الناس يقول إن الإهانة والابذاء من المعروف ؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بأن يجادل المشركين بالتي هي أحسن فهل يرضى

منا ان نجداد إخواننا المؤمنين بالي هي أسوأ أقيح؟ أما ما قال الله عز وجل (١٢:٥١٦) أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أما قال مع ذلك (٢١:٣٣) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ؟ ان الله تعالى ما ذكر فريضة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع النهي عن التفرق والاختلاف إلا لأن هذه الفريضة هي سياج وحدة الأمة وحفاظها فأقامتها بمنع التفرق كما قال الاستاذ الامام فاذا جعلنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببا للتفرق والخلاف والعداوة بين المسلمين نكون قد قلنا مقصد الدين وقهضنا ميثاقه وقطعنا مأمور الله به ان يوصل وافسدنا في الأرض (٢٥:١٣) والذين يتقصون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط وآداب فصلناها في التفسير المنشور في الجزئين الثامن والتاسع من مجلد المنازع العاشر ولا يصلح لها على الإطلاق إلا أهل العلم والعرفان . فأني إفساد في الدين والدنيا شر من إغراء العامة بالافتيات على أهل العلم وحملة الأقالام والتصدي لأمرهم ونهيهم . بل وجد من شياطين الإفساد والتفريق من أغرى العامة بمنع بعض خطباء المساجد من خطبة الجمعة !! حدثني بذلك بعض شبان بيروت فقلت له ان الخطبة فريضة دينية كالصلاة فهل يجوز لنا ان نمنع مسلما من اداء الصلاة لأننا غضبنا منه بحق أو ياطل ؟ إذا جاز لنا هذا جاز لنا ان نمنع كل من اذنب ذنبا من اداء الصلاة والصيام والزكاة والحج وأن نشترط العصمة في كل طاعة من الطاعات . ولا يبيح لنا ديننا ان نقول بعصمة أحد بعد الانبياء وقد ختمهم الله تعالى بعثته نبيا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم ولم يقل احد من المسلمين الذين يعتقد أحد من بعده الاما قاله الامامية من الشيعة في الأئمة الاثنى عشر من آل بيت النبي باسلامهم بعصمة عليه وعليهم السلام

فلم مما يناه أن التصدي لإهانة الناس الذين يظن أو يعلم انهم اخطأوا هو من المفسد المحرمة شرعا والقيحة عقلا وكل من يري بها فهو شيطان رجيم يجب

عصيانة والبعد عنه والاستعانة بالله من شره . والاجتماع لأجل هذه الجريمة والتعاون عليها يزيد في قبحها وإثمها قال الله تعالى (٢ : ٥) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب

بعد هذا كله أقول لفتيان يروت الذين يعرفون بقب «الأبضايات» انكم أيها الشجعان البواسل قد عطرتم الأرجاء بمحمدة عظيمة ظهرت منكم في أيام إعلان الدستور ولا تزالون تحافظون عليها حتى اثني عليكم القلاء في غير بلادكم بما لم ينشأ به على سواكم ألا وهي محاسبة خطائكم وعشرانكم في وطنكم من المشاركين لكم فيما عدا الدين من شؤون الحياة . فهل يليق بكم بعد فضيلة مسالمة هؤلاء ان تتلوثوا برذيلة معاداة من يشارككم في كل شيء حتى في الدين فتكونوا كن نزل فيهم قوله تعالى (٥٩ : ١٤) بأسهم ينهمر عليهم شديد يذهبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ؟ حاشاكم ان ترضوا بذلك عالمين به وانما يفشك الفاشون فلا تكونوا آلة لهم في اهوائهم

لا أقول انه ينبغي ان نخدموا بلدكم باتقان كل واحد منهم لصلته فقط فانكم تستطيعون أكثر من ذلك . انكم تستطيعون ان تتعاونوا دائما على منع العدوان حتى يصير نادرا وتتعاونوا على إصلاح ذات الدين عند ما يقع شقاق أو خصام بين اثنين أو جماعتين ولكنكم لا تقدررون على المهينة على العلماء والسياسيين والمراقبة على انطباطا والمحربين وفتح الامة بإيقاف هؤلاء عند حدود لا يتعدونها . وانكم اذا تصديتم لذلك تضرون الامة ضررا عظيما . ولا تستقلوا ما قلت انكم لا تستطيعونه فانه أمر عظيم مقدم على كل أمر لأنه يتعلق بالامن والراحة العمومية وهو أول شيء تطالب به الحكومة فاذا قمتم في يروت بعمل لا تزال الحكومة مقصرة فيه في كثير من البلاد فانكم تستحقون من الناس الثناء الجليل ومن الله الثواب الجزيل

رحلة صاحب المجلد

﴿ في سورية ﴾

٤

حمص. وحالها الاجتماعية

سافرت في اليوم الثاني من شوال من بعلبك الى حمص والمسافة بينهما في القطار الحديدي ثلاث ساعات وقد وصل القطار الى محطة حمص الساعة ٨ و٤٥ دقيقة مساء فاذا بالصديق الكريم والولي الحميم السيد عبد الحيد افندي الزهراوي ينتظري فيها مع طائفة من أهل العلم وكرام البلد في مقدمتهم الشيخ احمد زهران الذي حبيه البنا على البعد ما يمي التنا من عقله واخلاقه وجهه للإصلاح مع علمه وحسن سيرته أقمت في حمص أربع ليال وثلاثة أيام في دار الزهراوي ولقيت فيها أكثر أهل العلم والمكانة من المسلمين والنصارى اذ كانت المدارس خاصة بهم ليلا ونهارا وقد رأيت في هذه البلد من الوفاق بين الفريقين وحسن الألفة ما لم أراه نظيرا في سائر البلاد السورية ولا يروت فان جل مامدحاه من أهل يروت هو ترك القتاتل والتسافك ولا يزال كل فريق فيها بعيد عن الآخر في المعاشرة والمعاملة الا ما يخلو منه مكن بحكم طبيعة الاجتماع وحاجة بعض الناس الى بعض حتى انني قلت لكثيرين منهم انني أرى الوفاق الذي حمدناه لكم على البعد سلبيا لا إيجابيا وصرحت بذلك في نادي الجامعة الصمانية ودعوت الناس في خطبة خطبتها في ذلك الى التزاور والتعامل وغير ذلك من اعمال الوفاق الايجابي

وقد كنا توهمنا ونحن بمصر ان الشقاق بين مسلمي حمص ونصارها شديد لمادة جرت في الاحتفال بعيد الحرية كبرتها الجرائد فوجدنا الأمر على ضد ما كتب في ذلك فقتي ما رأيت في بيت من بيت ضرابلس ولا يروت مثلا رأيت في بيت الزهراوي من اجتماع الفريقين كل ليلة من ليالي الشتاء للسمر ومبادلة الآراء .

ثم اتيت لم أرى في حمص ما رأيت في غيرها من الاضطراب والاعتصاب والاضطرابات على الحكام والتبسم من جمعية الاتحاد والترقي . ومن أسباب ذلك ان اعضاء لجنة الجمعية المركزية كانت مؤلفة من أناس موثقلين متعارفين لا يقيم الناس منهم شيئاً ولا يشكون منهم إهانة ولا شذوذاً وقليلاً اتفق هذا للجنة أخرى كما يعلم مما نكتبه بعد عن الجمعية

فهم انه ينتقد على أهل حمص ما ينتقد على أهل طرابلس من الخمول والسكون فهم لم يشعروا في عمل مفيد للبلاد . وقد حثت طائفة من الوجهاء على تأليف جمعية خيرية إسلامية لأجل إنشاء المدارس الأهلية ومساعدة الفقراء على تربية أولادهم وتعليمهم فألفت منهم ارتباطاً واستحساناً وقد مرت الشهور ولم يشعروا في العمل ولكننا لم نأس من همتهم وغيرتهم فمسي ان يسمع منهم عن قريب ما نهر به المين هذا وان عمران حمص ينمو نمواً عظيماً والزراعة والصناعة تقدم فيها تقدماً مديناً ولكنها مختلفة عن طرابلس في ترف الحضارة وان كانت سابقة لها في مضمار العمران بل هي وسط في التأتق في الاطعمة بين مثل طرابلس ويروت ودمشق وبين القرى الكبيرة التي يوجد فيها أغنياء يعيشون في بلنية فالظاهر ان التأتق في حمص خاص ببعض أهل السعة والبيوت المطروقة وان الفقير في طرابلس ليتنوق في طعامه ما لا يتنوق الاغنياء في كبر من المدن ، واني لأعلم ان المصري المقيم في القاهرة نفسه الذي يزيد دخله في الشهر على دخل الطرابلسي في السنة لا يأكل من الحلوى في السنة كلها بقدر ما يأكل الطرابلسي منها في شهر واحد . فقلة التنوق في الأطعمة بمحمص محدودة لها عتدي إذا كانت تحفظ ثروتها من التلف في غير ذلك من ضروب السرف وتجهل حظاً منها عظيماً للتعليم والترقية

طرابلس أيضاً

سافرتنا من حمص قبيل الفجر من يوم السبت سادس شوال (٣١ أكتوبر) في مركبة من مركبات «شركة الشوسه» فوصلنا إلى طرابلس بعدالمصر وطفقت أنهيأ للسفر إلى مصر ، وكنت عازماً على السفر في يوم السبت التالي لهذا السبت (١٣ شوال و ٧ نوفمبر) ولكن عرض ما حال دون ذلك

جمعية خيرية اسلامية بطرابلس

في يوم الاربعاء (١٠ شوال) رغبت إلى مقبي طرابلس أن يقوم بتأليف جمعية خيرية اسلامية كالجمعية التي بمصر وذكرت له موضوعها وأعمالها ووجوه الحاجة إلى مثلها في طرابلس وأنها لإنشاء المدارس لتعليم أولاد الفقراء على فقه الجمعية وأولاد الاغنياء بالأجرة . فأجاب بأنه مستعد لذلك بماله وحاله واستحسن أن أدعو الوجاه والاغنياء إلى ذلك فقلت له انت كبير البلد وزعيمها وأنا قدصرت غريبا أو كالفريب لاني مسافر بعد ثلاث فإذا لم تقوم أنت بهذا العمل لا ينجح . ثم رضي بأن يكون هو الداعي لهم إلى الاجتماع على انهم متى اجتمعوا أخطب فيهم فان أجابوا الدعوة فلي أوضاعهم وأبين وجه الحاجة اليها كان هو أول العاملين والمساعدين في التنفيذ

وأقول ههنا ان رشيد افندي كرامي مقبي طرابلس على كونه سيد بلده وأوسع أهلها روية وجاها هو أقرب وجاها وأغنياها إلى الخير وأبعدهم عن كل شر وأطينهم فضاوأبسطهم مع القصد والروية كما يظهر ذلك لمن يشاره خلافا لما عليه أكثر الاغنياء في بلادنا فهو لا يدع لطالب الاصلاح في العلم أو العمل حجة عليه بل يجيب كل داع إلى خير كعبد الرحمن باشا اليوسف في دمشق ولكن لا يقدم واحد منهما على ابتكار العمل والتهوض به بل يقولان مثلما كان يقول هنا حسن باشا عاصم (رحمه الله تعالى) أوجدوا العمل وطالبوني بالمساعدة أجيبكم اليها . وإنما كان هذا يساعد بالعمل وذالك يساعدان بالمال فهما خير أغنياء بلادها

كان عند حسن باشا عاصم في عدم الاقدام على الابتكار وإيجاد «المشروعات» هو عدم الثقة بأجابه الناس وثباتهم على العمل ولا بن اليوسف في دمشق وابن كرامي في طرابلس مع مثل هذا العذر أعذار أخرى ككثرة أعمالها وما لا حاجة إلى يانه الآن من حال البلاد وغير ذلك

ذهبت في ذلك اليوم (الاربعاء) إلى القطنون فهيات ثيابي وحاجتي وأرسلتها إلى المينا في يوم الجمعة وعدت إلى طرابلس مع كثرة الأمطار مساء لان المقبي كان وعذني يجمع الوجاه ليلة السبت لاجل تأسيس الجمعية الخيرية فألقيته قد أوجأ

دعوتهم الاشتغال بانتخاب المبعوث عن طرابلس لأن الولاية أمرت بإتمام الانتخاب يوم السبت ولكن كثرة الأمطار التي كان يظن أنها تحول دون عودتي من القاهرون على قرب المسافة وقال ان أقرب وقت يمكن ان يجتمعوا فيه إذا نحن دعوناهم بعد انتخاب المبعوث غداً هو ليلة الثلاثاء فوأيستدان أرجى السفر أسبوعاً لأجل إتمام هذا العمل الشريف

ملخص خطبته

وفي ليلة الثلاثاء اجتمع في دار عمر باشا المحمد نحو من عشرين رجلاً لإجابة الدعوة المقتضية منهم من وجهاء لواء طرابلس لاللمدينة نفسها فقط فخطبت فيهم خطبة بينت فيها فوائد الجمعيات وأنواعها وتأثيرها في ترقية البشر في المصالح والأعمال الدينية والدنيوية وكون الخيرية منها من الضروريات التي لا يخلو منها بلد من البلاد المرتقبة حتى ان الرجل الأفريقي إذا مر في سياحته على بلد وأراد أن يذل شيئاً من ماله لمساعدة فقراء أهله فإنه إنما يرسله إلى الجمعية الخيرية في ذلك البلد وربما وضع أحدهم حوالة مائة في كتاب وكتب عليه « الجمعية الخيرية » ووضع في صندوق البريد من غير أن يسأل هل يوجد في هذا البلد جمعية خيرية أم لا كأن الجمعيات الخيرية من الأمور الضرورية التي لا يمكن ان يخلو بلد منها . وذكرت ذلك المشهود الذي جاء القاهرة وأراد بعد ان رجع بأهله فيها ربما عظميا أن يخصص ليلة بمجمل دخلها للجمعية الخيرية الإسلامية فيها فكان ذلك سبب تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية ثم قلت: أما البسدة ان حكومتكم قد دخلت في طور جديد فصارتم ديمقراطية أمرها بيد الشعب بدلاً من كانت استبدادية شبه الأرستقراطية بالأغنياء والشرقاء من انفقوا فيها - واعلموا ان كثيراً من الأحرار الذين اقبلت السلطة الاستبدادية بسببهم متطرفون في الدين، غلبة وان معظم الأحكام ستكون في أيديهم عاجلاً أو آجلاً وأن الشعب سيشرع بهذا الباب اليه كراهة الكبراء والأغنياء فيكرههم وتفتخ فيه روح الاشتراكية فيبيع عليهم بالعمل فإذا جاء طرابلس متصرف متطرف من الديمقراطيين الذين أشرت إليهم بركن والي لولاية منهم أيضاً فاعلموا ان طاعة هؤلاء من

(المنار ج ٢) (٢٥٠) (المجلد الثاني عشر)

الجاه والكرامة في وطنكم لا يبقى لكم الا اذا كان الشعب يحكم بتجيبكم اليه قبل ذلك والا دهوركم واسقطكم كما فعلت قبله الشعوب الافريقية بأولئك النبلاء الذين كانوا يملكون أوربا ويتصرفون فيها تصرفا لم تصلوا الى مثله من كونت ودوق ومركز ثم يقوم من طبقات الشعب الدينامي يتولى الزعامة في البلاد بحق أو بغير حق . وما أظن ان صلوركم تشرح تلك الحال ولا ان اعينكم بفتح بروته . واني أحب ان تكونوا أنتم زعماء بلدكم في زمن الحرية وتحت ظل الدستور بأن تحبوا الى الشعب مذيالوم بنشر التربية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله انني لا أحب الاستقرارية وان كنت من بيت شريف ، واني ما زلت من دعاة الديمقراطية بلسان السياسة ولسان الدين ، وانما أميل الى بقاء زعامة وعلمي في وجهاته وإياكم أعني لاعتقادي انه لا يوجد في دمهائه من يصلح للزعامة كما وجد في فرنسا عند ما صارت ديمقراطية

الفرق بيننا وبين فرنسا بعيد ، انت فرنسا كانت قبل ثورتها المشهورة قد استعدت ما لم نستعد بمثله نحن اليوم حتى نفع فيها من دمهائه الشعب من يصلحون للزعامة بهلومهم وأعمالهم وآرائهم وأخلاقهم انني لعلمي بهذا الفرق ولا رأيت في بلاد مصر التي تمتعت بالحرية قبل بلادنا من العبر وهبوط قوم وصعود آخرين أقول ما أقول عن خبرة وبصيرة وأحب ان نستبر نحن العنانيين بحال الأمة الانكليزية التي هي أعرق الأمم في الحرية وأكثرهن استفادة منها فهي الأمة التي حافظت على كرامة النبلاء وحرمة البيوتات فيها بعد الديمقراطية الراسخة واستفادت من ذلك كثيرا . وأرى ان إسقاط الشعب لكرامة أصحاب البيوتات منا ونساق أفراد الطبقات الدنيا للزعامة فينا مع ما هم عليه من الجبل يقف في طريق نهضتنا وأن عناية وجهائنا بحفظ كرامتهم وحرصهم على ان يكونوا هم زعماء الشعب يكون أسرع في تقدمه إذا هم أثروا البيوت من أبوابها وتمسم في الغالب على شيء من الاخلاق والملم أو الاختبار

ثم قلت ان خدمة الأمة والتعجب اليها انما يكونان بالتعاون على تربية أولادها وتعليمهم ما به قوام حياتهم ومواساة المنكوبين والمعوزين من فقرائها وذلك لا يتيسر

الآباء جميعية خيرية يجمل معظم رعايا لائحة المدارس و باقي لإقامة المتكويين
والمعوزين وهذا ما أدعوكم إلى الأكتاب في بيان قضية المتقي العربس على هذا
أصل المبرور الرافض في هذا السبي المشكور وسيجتمكم في ليلة أخرى لأجل المذاكرة
في القانون الذي يوضع ثالث وانتخاب الاعضاء الطاعين . ثم شرعنا في الأكتاب
وانتمتة المتقي في ورقة كتبت في أعلاها ما نصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« وسأولوننا على البر والنعوى »

هذا بيان ما تبرع به الذوات المذكورة أساءوا هم بخطوطهم إني أنه تأسيس جمعية
خيرية إسلامية في طرابلس الشام نشر التعليم الديني والنيوي على الطريقة العصرية
ولإطائه المنصين والمتكويين المعوزين بمقتضى قانون مجري العمل بحرية بعد إقرار
المكتئين له في اجتماع خاص وقد جرى هذا في ليلة ١٦ شوال سنة ١٣٣٢
هجرة الشريعة .

﴿ أسماء المكتئين لتأسيس جمعية خيرية إسلامية بطرابلس الشام ﴾

ونذكر أسماء المكتئين مع الألقاب وهم كتبوها بمجرد كما هي العاشقون بها
على حسب قيمة الأكتاب

أية عناية

- ١٠٠ مقي اللواء رشيد أفندي كراي
- ١٠٠ عمر باشا الحميد من أعيان اللواء
- ٥٣٠ عثمان باشا الحميد
- ٥٢٠ علي باشا الحميد
- ٥٢٠ مصطفى أفندي عز الدين من كبار التجار
- ٥١٠ عبد القادر باشا الملا ويس شركة الترام والنسوة
- ٥٥٥ إبراهيم بك الأحمد من الأعيان

ليرة عثمانية

- ٥٥٥ احمد افندي سلطان وكيل الدعاوى (الحالي)
٥٥٥ تاجر الذين يأت من غيره من كبار التجار
٥٥٥ عبد النبي افندي الملك من الوجوه
٥٥٥ عبد القادر افندي القبايلي يروي الشير (وكان في طرابلس)
٥٥٥ عبد القادر افندي الشرق من كبار التجار
٥٥٥ محمد فؤاد افندي المديق
٥٥٥ محمد مجددي (مير قلم تكملي في الولاية) الذي كانه كل التصرفات
٥٥٥ محمد كامل بك البحري صاحب حريضة طرابلس
٥٥٣ عبد الطيف افندي الفلاحي وكيل الدعاوى
٥٥٣ حمود افندي السداد من التجار
٥٥٢ الشيخ اسماعيل افندي المحافظ رئيس كتاب المحكمة الشرعية
٥٥٢ عبيد بك شريف
٥٥١ محمد ابراهيم افندي اديب من التجار

٣٣٦ المخرج

وقد وعدني بعض هؤلاء بأن يدفعوا أكثر مما كانوا منهم مصطفى افندي
هو الذين والشيخ اسماعيل افندي المحافظ لما وعد بعض من حضروا كتب اسمه ولم
يعلن سابقا كتب الله افندي الذين من كبار الوجوه أصحاب النفوذ الأجنبي في اللواء
وعضو مجلس الإدارة الآن

هذا وإن الذين ألبوا الدعوة وحضروا الاجتماع هم زهاء خمس من دعام
التي . وقد أتى حضورها بعض المتخزين بأجد الشيد الذين يرون أنهم يستحقون
به عن الجهد الطريف ومنهم من صار يسمى بعد ذلك في إبطال العمل ويشتبه عنه
وكان لتعظيم هذا تأخير أوقف التليد إلى أبعد ولولا ذلك لما ذكرت من أمر
هذه الجمعية إلا أن جماعة من أهل الفضل في طرابلس أنشأوا جمعية خيرية
إسلامية فقام الشكر والثناء

يوجد في كل بلد أفراد مجردون من حب الخير ويرون أنهم أهل لأن يوصفوا بكل خير ويؤمنهم منظر الخير في غيرهم لأنه يعمل على إعازهم وأعجزهم فهم يقدمون بكل طريق من طرق الخير يصدون عنها ويفوتونها عوجاً . لأجل هؤلاء أحب مقبي طرابلس أن لا تؤسس الجمعية الخيرية إلا بعد دعوة جميع الوجاء حتى لا يقتدر بعد ذلك أعداء الخير بأنهم لا يساعدون هذا العمل لأنهم لم يدعوا إليه عند التأسيس ونعم ما أحب وما رأي

على أن بعض من دعي ولم يجب عن ذكرنا وصفهم اتدبوا لإحباط العمل والتشيط عنه حتى إن منهم من لم يستج من مخاطبة المفتي نفسه بذلك ولما لم يجد وجهاً وجهاً للتشيط قل له أنه لا ينبغي لسياحكم أن تقوموا بهذه الجمعية عن دعوة فلان فأجابته المفتي جواب العاقل الفاضل فقال أولاً أن هذا العمل خير لا ريب في فضه وثانيته فسواء كان من دعائي إليه دوني أو مثلي أو فوقي لا فرق في ذلك وثانياً إن الداعي إلى ذلك هو واحد منا ومن أهل العلم والشرف فينا وليس له منفعة شخصية ولا غرض ذاتي حمله عليه ولا هو يريد الإقامة في هذه البلاد فتقول أنه يفرد بشرف العمل فيه حبا بالشهرة الخ

لأني لما علمت بمثل هذا القول الذي قيل المفتي ولغيره كفت عن السعي فيما كنت أخذ فيه من تأليف لجنة مؤقتة لإدارة العمل والدعوة إليه إلى أن يشترك في الجمعية عدد كبير تتألف منه الجمعية العمومية التي تنظر في القانون وتنتخب من أفرادها أعضاء الإدارة . وكنت أسمى إلى من أظن فيهم الخير في بيوتهم ومحل عملهم . وإنما كفت لأزري ماذا يصنع المعذرون أو المشطون هل يتفقون مع المفتي وينهضون بالعمل أم يتركونه إلى السكوت عنه لأنه هو المأمور لهم بالذات ؟ فبين بعد ذلك أنهم لا يريدون إلا إحباط العمل لأنهم لا يعاونون الخير ولا يحبون أن يعمل غيرهم وقد كتبت في مذكري في أوائل شهر ذي القعدة مانصه : ذكر لي غير واحد من الوجاء أن نجاح الجمعية الخيرية الإسلامية بطرابلس لا يرجي وإن الذين اكتبوا دعا استجوابي رغم لا يعتقدون أنهم يدفعون شيئاً بل قالوا إن المفتي نفسه يسير في مسارية ويسير إلى سينتجبه وهو يعتقد أن التمهيد سيظهر من غيره . وألح علي (فلان) ..

بأن أترك التشبث بالجمعية . وظهر لي انه يرى ان ذلك يفراق قوم مني من حيث لا أستفيد مما أريد شيئا » الخ ما كتبه في شأن افراد معينين ، من قاتل ومقول فيه
أ كتب هذا ليعلم أصحاب النية الصالحة في طرابلس كالمفتي وغيره السبب في
اكتفائي بعد ذلك باتقاء نفر من برجي نجتهم لإدارة الجمعية وقتا وبإيدان المفتي بذلك في
يوم الاربعاء ٢٣ ذي القعدة (١٦ ديسمبر ١٩٠٦) بعد دعوة كل واحد منهم على
حدته ووعده لي ببذل الجهد في ذلك الا واحدا منهم (وهو محمود افندي الملا) قال
انه لا يدخل في العمل إلا بعد ان يشعروا فيه بالفعل ، وان لي رجاء قواني في همة المفتي
وغيرته وهمة أولئك الأجداد بأن ينضموا بهذه الجمعية نهضة صالحة بعد هذا الاضطراب
الذي أحدثه ضعف الحكومة الجديدة والاستواء على حال ثابتة ، وانني اساعدهم بالقلم
من هنا وكون عوننا لهم على اللبائسين الذين لم اكتب ما كتبت الآن الا ليعلموا ان
كيدهم في تضليل «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

حقوقنا المهضومة ونائب طرابلس الشرعي

لقد علم القاضي والداني من عثمانى وغير عثمانى أن حكومة الاستبداد الماضية قد
أسرفت في الجور على بيتنا وظلم أهلنا انتقاما مني (راجع فاتحة السنة الثانية عشرة
في الجزء الماضي) وكان من ذلك الظلم انه لما توفي والدنا نعمده الله برحمته صرت أنا
المستحق بعده للتولية على جامع القلمون الذي جدده فيها جدنا الثالث بحسب نظام
التوجيهات الناطق وفقا للشرع بأن يوجه ما ينحل عن الوالد من الوظائف المتقدمة
بالاوقاف الى أكبر أولاده ولكن حكومة الرشوة والاستبداد وجهت تولية مسجدا
على رجل آخر اسمه عثمان النصري واشتهر انه اعطى القاضي (نوري افندي) على
ذلك اربعين ليرة . ثم اعطاه رجل آخر اسمه الشيخ محمود حسن . على مائة وذاق -
سبعين أو ثمانين ليرة فغزل عثمان النصري بعد دعوى مائة ووجه التولية على محمود حسن
فلما أردت السفر من طرابلس الى مصر قدمت دعوى الى المحكمة الشرعية
ملخصها ان تولية محمود حسن على جامع القلمون غير صحيحة ، وانني أنا صاحب الحق
في هذه التولية فأطلب توجيهها علي عملا بالنظام ، اذا فرضنا أن وليته صحيحة فاني
أثبت حياته بترك معاهد الوقف عرضة للخراب وترك عمارة ما حارب منها في زمن

تولته والزيادة في التفات والتقص من الريع ووكالت عني وكلمين شرعين ثم تبيأت
للسفر فحدث ما ذكر أعلاه من التشوش بتأسيس جمعية غيرية ثم جأنا بآبائي بأن يباه
طرابلس (أي قضاءها الشرقي) وجئت إلى عبد المجيد أفندي الجعفري وأنه يجافر
من الاستانة فأخذا طرابلس ثم لم يلبث أن حضر

عرضت الدعوى على هذا النائب فقال لي أنني أقول لك وإن كان لا ينبغي للقاضي
أن يصرح برأيه قبل الحكم إن كانت الظاهر وأنتي صاحبها فكيف بعد استيفاء ما طامعنا الشرعية
وإذا كنت على ثقة من ظهور هذا الحق استندت أن الدعوى تنتمي في أسبوع أو أسبوعين
عاجلت السفر وتابست سير الدعوى بنفسي وأنا أظن في كل أسبوع أنني أفرغ فيه من
الدعوى وأسافر في الذي بعده وكنت عازما على الإقامة في سورية خمسة أسابيع فقط
لكنه شغل في مصر فألفت ستة أشهر والدعوى على حالها يزيد هذا النائب كل يوم اهتماما
أنني لم أكد أنجالس هذا القاضي مرتين أو ثلاثا إلا وقد جرت بأنته سببا في
طرابلس بهاتفه لم يبق لنا ظهير فكنت حريصا على إيجاز قضيتي قبل ظهور حقيقة
حاله التي تقتضي مغرفته بالقراسة وكاشفت به غير واسط. ولكن هذا القاضي لا يجيز
علما بأن يعتمد مشي في نيل حقه على أنه حقيق وقادر على إثبات حقه

أننا هذا القاضي وجل جلسات الدعوى ويبحث وكلي الخصمين على كتابة ما شأنا
في جريدتها ويأطّل في قرائتها ما كتبنا وقد ثبت لديه أن تولية المدي على غير صحبة
وأنه خاش تارك للمادة الواجبة شرعا كما تبين بالكشف عن قبل المحكمة وشهادة الشهود
ومع هذا لم يحكم بشيء حتى آن الأوان وفتح الألف من القاضي المذكوري منه وأجتمعا
عند المحكمة وهم أرفق بأحدون فليست القاضي بطلان المركب وشكوا أروء الشيعة
الاسلامية فطرت بالتحقيق وهم يشكون منه أمورا كثيرة ذكرت في جريدت طرابلس الحال
وطويرها منها التطويل في المرافعات وعدم الحكم فيها بعد انتهائها كما حدث بمطاني استمع
الوكلاء (الحامون) عن الجلي إلى المحكمة ومنها أنه قد يحكم ثم يرجع بحكمه بعد كتابته
ومنها كراهته للحكومة المستور وهو اعزازه بكونه من جمعية «هذا كان ملت» وقد
علنا بعد ذلك أنه كان تابيا في ميديا فأحدث فيها قتله حربي ببلدان كان شأنا
في كل بلد كان فيها حاكما

في قانون المطبوعات، وتجهيز الصحافة بمصر

لم تكن تعتبر قديماً بمصر بمذاهبنا من مودة في التوسيع الانساني
 هذا التوسيع مني صنف مناسباتنا من الحكومة على العمل في قانون المطبوعات الذي
 وضعه نائب الوزارة المرافية لئلا يبعد الطوائف ذلك التوسيع مودة الأولى ثم من
 ان هذا قانون من اتفاق بين الإدارة المصرية والحكومة الانتدابية وان نظام الحكومة
 المصرية لم يكن لهم من علم الا ان يكون لديهم جلد في علم من انشا قانوني ولهم
 عندما جرت اطلب من ذلك القانون ابرأ وقصوا الاستقالة على ذلك وروى بعض
 غير الدلائل لجهة ان هذا انشا وتعليقناظر المعارف ومحمد سعيد انشا ناظر الداخلية هما
 اللذان عارضا وكما يستحيلان تم اقتضا لم يستبلا وان الوزارة لم تكن احيانا تقضي
 ذلك القانون الا بعد تعديل ماوافق على عدم التصديق به على المطبوعات ولا المالية
 على الكتب التي تطبع ولا المطابع التي تطبعها وما يخص المراقبة الجارية فيها من
 الاسراف في المصروفات والجهل الذي لم يطره الامير ولا رجل الحكومة فضلا عن
 نهمهم ومن تيسير القس على الاستعمال التي قد تحدث لانصراف وتغير السخط العام
 على الحكومة ولقد كان وفي لنا هذا القانون ايا شديدا على رجال الصحافة وغيرهم
 ويخشون ان يكون هذا الأمر اعظم منه الامن هم على رأي السلطة التي اعادته

كان الادارة الانتخابية في مصر من زمان خليفته لا يزعج غيما ويوزن
 الكشورون انه يكن حيا من مزيقها الا وهما يسر البلاد الذي وسرية الطابعة وقد
 نهبت المسرة الثانية منسدين الدرية الأولى وكانت الكتلرا قادة على قوتها كما
 فرجت عسرة أمريكا التي هي اعظم منها بكثير من الاضداد فاذنالت المزية الثانية
 بقانون المطبوعات تعديم تحديد قاته مودة تشاريهم في مصر شؤونها على البلاد يعاقرون
 بالاشهر وكلا الأمرين حادثة عند مطابقة زود (روم) لمصر وهو الذي ان صاحب
 المراتب من ان المراتب الوطني وهو الله في كثر الجرائد لاشرى ومنها المريد لادوا
 يعصرون شكواهم من الامتلاك في شخصه فصاروا كثرهم اليوم تحت فيقول الشاعر
 رب يوم يبعث الله قوما
 ميراث في غيره يبعث عليه

بؤني الحكيم من عظمى من يؤمن بالحكمة
خير كثيرا وما يصحرا لا يؤمن الا بلي

المجلد

١٣١٥

فيهم عبادي الذين يستمرون اقول بيقوموا
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناوا » كانوا الطريق

(مصر - الاربعاء ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٧ - ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م)

فَتَاوَا الْمُبْتَائِنَ

فتحنا هذه الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشرط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعا قد منامت اخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه ورماعا اجابا غير مشترك لفضل هذا ، ولمن ينفى على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر وصحيح لا غفاله

﴿ مسألة خلق القرآن وقدمه ﴾

(س ١٠) من جدة (الحجاز) لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام بحر العلوم العقلية والنقلية تاج رأس السنية سيدي محمد رشيد
رضا افندي منشي مجلة المنار الفراء لا زال في مقام كريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - من العجب اني لم أعثر في مجلدات المنار
على بحث في القرآن المجيد المكتوب في المصاحف الخ تكونون كتبتموه أو سئتم

(المجلد ١٢٣) من الفرق والمذاهب والاعتقاد بالقرآن ١٨٣

عن نفسي من أن نستظم قروم من غيركم على الدين الإسلامي أن تفتنونا بما هو الحق الذي يجب اعتقاده في مسألة القرآن الواقع فيها الخلاف بين المتأخرين وأما الخفية والمذاهب والاشاعرية الآن بالبيان الثاني الكافي بأدلة القرعين ورجوع أي المعتادين على الآخر لأنكم قد قدح الحق في هذا القول ولم الأجر والشكر في الدنيا والآخرة محمد حسين

(ج) أعلم يا أخي قبل كل شيء أنه ما أنصر الإسلام والمسلمين شيء كخلاف والفرق فيه إلى شيء ومذاهب يوجه كل باحث منهم فواء إلى تأييد القول بلهجه القوي ينسب إليه وتنفيد كل ما يخالفه ولذلك وجدت الآيات والأحاديث الشرعية في نظر الخلاف والتفريع على المختلفين حتى قال هرّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (١ : ١٩٩) أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست عنهم في شيء) وقال للمسلمين (٣ : ١٠٥) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليقين وأولئك لهم عذاب عظيم) ولعل الجمل بمسألة من المسائل مع الوقوف والاجتماع يكون أمينا خيرا من العلم بما مع الخلاف فيها والفرق ولذلك كان الذي (ح) يريد أن يبين شيئا فيترك يانه لأجل خلاف المسلمين في الحاجة إليه كما فعل يوم أراد أن يكتب لهم كتابا أن يضربوا به أبدا كما في صحيح البخاري . وقريب من ذلك ما كان حين أراد أن يبين لم يلة القدر كافي الصحيح أيضا وقرضا من هذا تذكر المسائل الكريمة بأنه لا ينبغي له ولا لغيره أن يسأل عن شيء لأجل تأييد ما يراه عرويه ويان خطا الخالف له من المسلمين

واعلم يا أخي ثانيا أن المحاكمة بين المذاهب لأجل ترجيح بعضها على بعض هي من أقوى أسباب الحل على تعصب أهل كل مذهب للمذهب وسلاحه الخالفين لهم ومبادئهم وثقا يوجد تنسب إلى مذهب ينظر في قول الخالف وفي دلائله نظر المستعطي للمصلحة بل ينظر إليه بين التردد والبحث عن مواضع الضعف ولو في التعبير ليحكم عليه من موضع ضعه فيضع بيناه وبين بطلانه

أدخلت هذا وذلك وأنت تعلم أن المتر أنشي الجمع والفرق لا لفضل والفرق بين لك وجه القدر في عدم الإجابة إلى ذكر أدلة المذاهب في المسألة

والجميع بينها مكتفيا ببيان الحق فيها وهو ما كان عليه السلف الصالح من غير جدال ولا تفصيل ، ولا ما كره لنا الله من القيل والقال

ان هذا القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور الخلود بالألحقة هو كلام الله المنزل على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والرسول المبلغ له من الله تعالى ليس فيه صنع ولا عمل . والقول بأنه مخلوق على الاطلاق أو باعتبار قراءته أو كتابته من البدع المذمومة التي لم يأذن بها الله ولا قال بها رسوله ولا أصحاب رسوله ولا التابعون لهم في هدايتهم ولا هي مما يحتاج اليه الامة في حفظ دينها ولا معالجة دنياها . ومن البدع ايضا ان يقال ان حرفه مخفوفة وان قرائه له مخفوفة . ويرى بما كان ذريته الى ما هو شر منه مع عدم الحاجة اليه وضرر إضاعة الوقت في مثله

اننا لم نقض في مسألة الخلاف في خلق القرآن اتباعا للسلف ، ولكننا بينا في تفسير أول آية من الجزء الثالث من القرآن معنى كلام الله وتكليفه وكون كلامه عز وجل شأنا من شؤونه قلبيا بقدومه . واتباع مذهب السلف بضمان المتوفى في الخلاف فتعين نعين الحق الذي تقتله وتدين الله به ونشهد اليه ولا نزيده . على ذلك . وقد كان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى كسب في رسالة التوحيد حجة في مسألة هذا الخلاف ثم اعترف بأنه أنشأ مذهب السلف في ذلك وأمر بحذف تلك الجملة من الرسالة في الطبعة الثانية ولما وقعنا لطبع الرسالة ثانية مصححة تصحيحه حذفنا تلك الجملة منها

ومن المعلوم ان فئة اهل الحق القرآن حدثت في أول القرن الثالث خيرة الناس لجهلها نسيا مقبلا ونكون في ذلك كأهل القرن الأول والثاني . فان قيل كان يكون هذا حسنا او رضي الناس به وجروا عليه ولكن المسألة لا تزال تهرأ في الكتب فتلقى شيعة الشيعة ببعض الأذهان فوجب إبطال تلك الشيعة التي يرمي أصحابها انهم جاؤا بالحقائق الفلسفية اذ جعلوا القرآن مضمين مع كلام فاسي وكلام لغوي وقالوا هذا جاد من ذلك قديم . قلنا ان الاتحادات العقلية هي تلك المفاهيم الفلسفية وانما يسميها بالديني عنها عنها ويان الحق الذي كان عليه السلف لا يرى غير ذلك والله التوفيق

﴿ جعل الدية على العاقلة وحكمة ذلك ﴾

(س ١١) من بيروت لصاحب الامضاء

حضرة العالم الفاضل والفيروز الصانع معتمد الامة الاسلامية السيد محمد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار الاعرج

هل قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة الجاني (كما ثبت في
الصححين) جناية على الانسانية ، واجتفاف لحقوق المدنية ، كما يظهر ذلك من
مقالة سطوت في جريدة - لبنان - الصادرة في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٦
عدد ٧٧٧ تحت عنوان (مجلس الادارة وجريدة لبنان) أم هو نهاية في العدالة
ومحض خير للامة ، وغاية في حفظ دماء البشر ، وتعليم للناس ليعين بعضهم بعضا
إذا أخطأ ، وزية لهم حتى لا يمكن أحدهم ابن حيه باللعب بمسدس مثلا ، أفيدونا
الجواب ، ولكم من الله الثواب ،

سبب المقالة فيما يظهر ان بعض اللبنانيين يود انتخاب أناس من مجلس الادارة
وبعضهم يروم انتخابهم من مشايخ الصلح ومنهم صاحب الجريدة - حجة الفريق
الاول ان بعض مشايخ الصلح أخطأ في أمر ما فلزم لهذا الاعراض عنهم وتيمم رجال
مجلس الادارة لذلك قال كاتب المقالة ما نصه (بلا زيادة حرف)

« على انه إذا صح لنا تبديل النظام ونزع ذلك الحق من أيدي مشايخ الصلح
خطأ ارتكبه واحد منهم صح استبدال نظام كل حكومة عند ما يرتكب أحد رجالها
جريمة من الجرائم ومجازاة كل مأموريها . وكانت مثلهم مثل العاقلة في الشرع
الشريف . فانه إذا قتل أحد الصاغة مثلا في قرية وما أمكن معرفة قاتله وجبت
الدية على جميع ابناء حرقته وهكذا مشايخ صلح وجب بحسب تلك القاعدة إلقاءهم
جميعا تحت تبعة ما يرتكبه أحدهم » اه ثم رد على من ينتهي الانتخاب من مجلس
الادارة اللبنانية وحض على الانتخاب من مشايخ الصلح اه كامل الفلاني

(ج) جعل الدية على العاقلة وهي عصبة المشيرة (العائلة) خاص بقتل الخطأ وحكمه تكافل المشيرة وتعاونها في المصيبة فهو من قبيل إيجاب العقبة للمعسر من الأقربين على الموسرين منهم على ما في هذا وذلك من التفصيل والخلاف . وهذا يرد زعم بعض الجاهلين بالشريعة أن الاسلام لم يقرر في امر العائلات شيئا كأن الدية لا وجود لها في الاسلام على انه لا يوجد في شريعة الهية ولا وضعية من اقدم الشرائع الى أحدثها مثل ما يوجد في الشريعة الاسلامية الفراء من احكام روابط القرابة ووشيجة الرحم من الاحكام والآداب ومن أهمها مسائل النفقات ومسألة جمل دية قتل الخطأ على عاقلة القاتل (وربما كان لفظ العائلة محرفا عن العقلة) لأنه لما كان معذورا بخطأه وكانت الدية ربما تذهب بثروته لاسيما اذا تكرر الخطأ منه جعلها الشريعة في عاقلة يتعاونون عليها وقد تقدم في التفسير من هذا الجزء . وفي غيره كلام في تكافل الامة فما بالك بتكافل المشيرة

وحكم العاقلة ورد في الحديث لا في القرآن وقال العلماء في شرح بعض الاحاديث الواردة في ذلك انه يخالف لظاهر قوله تعالى (١٨:٣٥) ولا تزر وازرة وزر أخرى) وأجابوا عن ذلك بجمل الاحاديث الواردة في ذلك مخصصة لعموم الآية بناء على قول جمهور أهل الأصول بتخصيص القرآن بأحاديث الآحاد وتجاوزا عن بعض العلماء والمذاهب خلافا فيها

قال في نيل الاطار : وعاقلة الرجل عشيرته فيبدأ بفخذ الأذى فان عجزوا صد اليهم الأقرب فالأقرب المكلف الذكر اخر من عصبة النسب ثم السب ثم في بيت المال . وقال الناصر انها تجب على العصبة ثم على أهل الديوان يعني جنده السلطان . وقال ابو حنيفة انها تجب على أهل الديوان دون أهل المبرات ولم ينكر هكذا في البحر . ولا يخفى ما في ذلك من مخالفة للاحاديث الصحيحة سواء جئنا في البحر عن الأصحاب ومن علمة واكثر العلم ان دية الخطأ في مال القاتل ولا يلزم العاقلة وسكني عن عاتمة وابن أبي ليلى وابن شبرمة وابن أبي شيبة ان الذي يلزم العاقلة هو الخطأ المقتضى ومحمد الخطأ في مال القاتل ام

أقول ورد في بعض الاحاديث المتأخرة ما يظهر منه ان العاقلة تكفرت عن

الاحقر من انه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فقال رسول الله (ص)
 « لا يجزيك حتى الا على نفسك لا يجزيك والله على رءوف ولا مؤبد على والده » ورواه
 احمد وابو داود والترمذي وصححه وابن ماجة . وحديث أبي هريرة قال خرجت مع
 أبي بن كعب فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت برأسه دمع ماء وقال لا يجزي
 « هذا اجلك » قال نعم قل « اما انه لا يجزي عليك ولا يجزي عليه » ورواه رسول الله
 (ص) « ولا تزوروا ديرة وزر اخرى » ورواه احمد وابو داود والترمذي والبيهقي
 وصححه وصححه وابن خزيمة وابن الجوزي والطحاكي وفيه روايات اخرى وحديث
 الرجل من بني يربوع قال اتينا رسول الله (ص) وهو يكلم الناس فقالوا يا رسول
 الله هؤلاء بنو فلان كفرا فلانا فقال رسول الله (ص) « لا يجزي نفس عن نفس »
 ورواه احمد بن حنبل ورجال الصحيح والترمذي . وقد ادخل الفقهاء الاحاديث في
 باب التخصيص فخرجوا الى القول من العاقلة والنيق فيها نظير ولكن العمل جرى
 على الاحتكام . وكذا أن العاقلة مخالفة لظاهر الآية التي استدلت بها الرسول في
 الحديث السابق في مخالفة القياس ايضا وقد أسبغ الفقهاء من الاول بما عرفت
 من التخصيص وتحصل الجواب من الاسمين الامام ابن القيم في كتابه اعلام
 التوفيق قال

(فصل) ومن هذا الباب قول القائل هل العاقلة النية عن الجاني على خلاف
 القياس وهذا لا تحصل التمسك ولا العبد ولا في الصلح ولا الاعتراف ولا ما دون
 الثلاث ولا تحصل جماعة الاموال ولو كانت على وثق القياس لحلت ذلك كله
 والجواب أن يقال لا ريب أن من اتلف مضمرة كان ضمانه عليه « ولا تزوروا ديرة
 وزر اخرى » ولا يخرج نفس اخرى عنها وهذا جاء شرح الشبهة وجزاؤه وحل
 الشبهة النية غير متناقص شيء من هذا كما سبقته والناس متنازعون في العلم هل
 تحصله العاقلة ابتداء أو حصل على قولين كما تنازعوا في صدقة الفطر التي يجب
 ادائها عن الغير كالزوجة والولد هل يجب ابتداء أو تحصل على قولين وعلى ذلك ينبغي
 بالآخر بما من تحملت عن نفسه غير أن التمسك لما في قال هي واجبة عليه ابتداء
 قال لا يجزي بل هي كأداء الزكاة عن الغير وكذلك القاتل اذا لم تكن له عاقلة

على تعجب الذية في ذمة القاتل أولا بناء على هذا الأصل والسئل فارق غيره من الحقوق في أسباب اقتضت انتصاب الحكم وذلك أن ذمة القاتل مال كثير والمظنة إنما تجعل المظنة لا فعل المبدأ بالذات ولا شبهة على التسليم وإنما جعل ذمة القاتل من غير ضمان بالحكمة في إضراره بأولاده يومئذ فلا بد من إيجاب بدله فكل من كان من محاسن التسمية وتيقنا بمصالح أمينا أن أو يجب بدله على من عليهم موالاة القاتل فبصرفه لأوجب عليهم إعادته على ذلك وهذا كإيجاب الثقات على الأثام ولو كسرتهم وكنا مسكنهم وإعانتهم إذا طلبوا النكاح وكما يجب كذلك الأسم من بدله الموقوف على هذا أسير بالذية التي لم يصب لمصيب وجبرها ولا وجبت باختيار مستحقها كالقرض والسبع وبست قليلة فالتأني في التأني لا يفتقر على سلبها وهذا بخلاف المبدأ فإن الظاني ظالم مستحق العقوبة ليس أهلا أن يحصل عنه بدل القاتل وبخلاف شبه المبدأ لأنه لا بد للمبدأ الجناية بقصد ما هو أسمى مقصد وبخلاف بدل المظنة من الأموال فإنه قليل في التأني لا يكاد يختلف بغيره من حله وشأن القرض غير شأن الأمان وهذا لم يجعل المظنة مادون الثلث عند الإتمام أحد بملك قلته واستعمل حله وعند أبي حنيفة لا تعدل مادون أقل القدر كأرض الموضوعة وتعدل ما هو به وعند الشافعي تعدل القليل والكثير عدا القياس ونحو هذا كونها لا تعدل المبدأ فإنه سلامة من الصلح والمال من الأموال فهو حلت بدله لحلت بدل الحيوان والنكاح وأما الصلح والاعتراق فما رخص هذه الحكمة فيها معنى آخر وهو أن المامحى والعصى عليه قد يوافقان عن الإقرار بالجناية ويشتركان فيها بصلها الماثل ويتصلحان على تبريم الماثلة فلا يسرى القراء ولا صلحه فلا يجوز اقراءه في مثل الماثلة ولا يقبل قوله فيما يجب عليها من الدرامة وهذا هو القياس الصحيح فإن الصلح والاعتراق يتضمن اقراء ودعواه على الماثلة بوجوب المال عليها فلا يقبل ذلك في حقهم ويقبل بالنسبة إلى المختلف كقوله

فحين أن إيجاب الذية على الماثلة من جنس ما أوجبه الشارع من الإحسان إلى المحتاجين كأبناء السبيل والقراء والمساكين وهذا من تمام الحكمة التي بها قيام مصلحة

العالم فإن الله سبحانه وتعالى قسم خلقه الى غني وفقير ولا تتم مصالحهم إلا بسد خلة
 الفقير فأوجب سبحانه في فضول أموال الأغنياء ما يسد خلة الفقراء وحرّم الربا الذي
 يضر بالمحتاج فكان أمره بالصدقة ونهيه عن الربا أخوين شقيقين ولذا جمع الله بينهما
 في قوله (يعحق الله الربا ويربي الصدقات) وقوله (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال
 الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)
 وذکر سبحانه أحكام الناس في الأموال في آخر سورة البقرة وهي ثلاثة عدل وظلم
 وفضل فالعدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذکر ثوابهم وذم
 المرايين وذکر عقابهم وأباح البيع والتداين إلى أجل مسمى والقصد أن حل الدية
 من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض العباد على بعض كحق المملوك والزوجة والأقارب
 والضعف ليست من باب عقوبة الانسان بمجناية غيره فهذه لون وذالك لون والله الموفق اه
 فتبين مما تقدم كله أن جعل الدية على العاقلة بشروطه هو من باب إعانة من
 يقع في مصيبة وتلزمه غرامة لم يتعد سببها وإنه من أسباب تكافل الأسر والعشائر
 (العائلات) وتضامنها وإحكام روابط المودة وتقوية وشائج الرحم بينهما وان من كتب
 ما كتب في جريدة لبنان لم يفهمه مني كون الدية على العاقلة جملة ولا تضابلا فكيف يفهم حكمته
 وهكذا نرى شأن الذين يتقنون احكام الاسلام تصرّحاً أو تلوّحاً يقولون
 ما لا يعلمون، ويبرفون بما لا يعرفون، فيجنون على العلم من جهة ويؤرثون الاضغان
 الدينية من جهة أخرى وما كان أغناهم من الخالين اذا لم يكونوا متعمدين للافساد
 كما هو شأن الكثيرين منهم

﴿ القضاء والقدر ﴾

(س ۱۲) من مشترك بالسودان

جناب مدير المنار الأغر

بمد التحية، ذكرتم في صحيفة ۷۲۳ (ج ۱۰ م ۱) كلمة بخصوص مسألة القضاء
 والقدر. ولما كان المنار هو المجلة الوحيدة في العالم الاسلامي التي يهتم بالبحث في فلسفة

ضروب السخرية وتقيم رواية ليس لها نتيجة... ونكون كما قال (ابن تيمية) وحكمة العليا اقتضت ماقتضت من الـ فروق يعلم ثم أيد ورحمة يسوق أولي التذويب بالسبب الذي يقدره نحو العقاب بعزة ويهدي أولي التعميم نحو نصيهم بأعمال صدق في خشوع وخشية وما دامت الاسباب التي هي حجة للتأنيح مقدرة حتمية... فالتأنيح بالطبع تابعة لهذا الإلزام... وعليه فالتقاضى والحساب في الآخرة ليس إلا لتعيم رواية كلامية وإذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الأمم الإسلامية الماضية وما كانت فيه من الأضغلال... ولا داعي لاستخراج تأنيح فلسفية أو عمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقى والحرب من القديم... ولا عيب على حكومات الاستبداد... ولا مانع من البقاء في الجهل... الخ... إذ إن الداعين للزوم تغيير المناهج لتغيير معها التأنيح ليسوا إلا معترفين بلزوم التسلط وتحرير القدر الإلهي القابض على الاسباب بيد حديدية

وعلى هذا... هل أقول مع (المنار) لـ الذين يعتقدون من غير المسلمين أن عقيدة القضاء والقدر بهذا الشكل هي السبب في تأخر المسلمين: (إن ما ينتقد هل المسلمين من ذلك لا يرجع منه شيء إلى الإسلام الخالص فما قدره فهو الحق الواقع في نفسه الذي لا يمكن لمؤمن ولا ملحد إنكاره)؟ أم ماذا نقول إذا كان ما سبق هو ما يريد المنار وتقريره؟ وأشكركم سلفاً

(ج) لكل مقام مقال فتحرير النزاع ولرد الشبه مقال غير مقال التذكير بأمر مقرر، واعتقاد محرر، وقد كان ما ذكر في ص ٧٢٣ ج ١٠ م ١١ من المنار من القسم الأخير ونحن اتباعاً لهداية القرآن نكرر المسائل المهمة لا سيما في التفسير فنذكرها تارة بالأيجاز وتارة بالأطباق وما اشترتم إليه هو قول الأستاذ الامام والفرض منه التذكير بأن الإنسان ليس مستقلاً في عمله تمام الاستقلال لجهله وعجزه والنظريات التي ذكرتموها لا تنقض شيئاً من قوله بل تؤيده وحكم القضايا الممكنة، غير حكم التقاضيا المطلقة، كما هو مقرر في المنطق فقولك إنه كان في إمكان ولي عهد ألمانيا أن يتجنب أسباب المرض لو علم بها وإذا لا تأخذ الترتيب الذي وضعه لسفره فسأله

إصابته بذلك المرض لم تكن محزنة له من الأزل الخ قول ظاهر البطالان - لأن قضية مرضه جعلتها الإطلاق لوقوعها بالفضل والامكان لا يناقض الإطلاق - وبسبب عارها : انه كان لابد من مرضه بدليل وقوته ولكن ذلك لجهله بأسباب المرض - على ان هناك أمراضا لا تعرف أسبابها كالسرطان وأمراضا تعرف أسبابها وقد يتعذر اجتنابها كالحسل نكتفي بهذه الإشارة ولا نضيع الوقت في المناقشة الطويلة بينا بطالان كل نظرية من النظريات الباطلة التي أوردناها قولا أو رأيا وهي مشهورة لأن الإطالة في ذلك لازيد المسألة لا تعقيدا كما حرجنا بذلك منذ سنين فقد قلنا في الدوس الرابع عشر من الأثالي الدينية التي كنا نلقيها بمصر الذي نشرناه في جزء المنار الذي صدر في غرة جمادي الثانية سنة ١٣١٨

هذه المسألة من توابع البحث في العلم والارادة وهي الفتنة التي ابتليت بها الأمم فوقوا في بحار الحيرة تدافعهم أوج الشكوك وتلقاهم آذي الشبهات (أي موجهها) حتى غرق فيها أكثر الخائضين ونجوا الأقلون ومن عجب أمرها ان العلامة أعلم بها من الخاصة وان الاميين أقرب الى اليقين بها من الكتابيين ، وان شئت قل ان الجهل بمحقيتها ، تابع لسعة العلم بمباحثها ، فكما زاد الانسان نظرا فيها ، زاد عماه فيها ، لأن الخفاء كما يكون من شدة البعد ، يكون من شدة القرب ، الخ ما قلناه تمهيدا للقول « بأن المسألة في نفسها بديهية عوملت معاملة النظريات والبيديهي كلما زاد البحث فيه بصدق الأدراك ، الخ

لقد قن علماء اللاهوت من النصارى في هذه المسألة كما قن المسلمون ، وقد صنف المسلمون فيها مصنفات خاصة فأنعت عنهم من شيء - وكانت تعدمت المشكلات الثقيلة فألبسها أهل هذا الزمان ثوب المشكلات الاجتماعية وزعموا انها بسبب ضعف المسلمين ولاستاذ الامام مقالة طويلة في ابطال هذا الزعم ويان ان هذه العقيدة من أسباب التفسم والارقاء تطلب من المنار (ص ٢٦٥ م ١٣ ومن الجزء الثاني من تاريخه (ص ٢٦٣)

إن الناس يأخذون من دينهم في كل عصر من الاعصار ما يناسب حالهم الاجتماعية حتى ان العقيدة الواحدة تكون في الامة الواحدة مصدرا لآثار متناقضة في زمنين

مخافتين كقيدة القدر كانت في زمن من الأزمان مصدر الشجاعة والاقدام والفتح
والعمران والكسب للمسلمين وفي زمن آخر مصدر الجبن والكل والتواني والتواكل
والإهمال . وأكثر الذين يتكلمون في ضعف المسلمين واسبابه غافلون عن
هذه القاعدة وجاهلون حقيقة الدين فهم يجعلون المسلمين حجة على دينهم والدين
حجة عليهم بدليل أثره في سلفهم أيام كانوا بدينهم سادات العالم في كل علم وكل عمل
ومن اليديهي أن الناس يتمسكون بالدين في أول ظهوره أشد مما يتمسكون به بعد أن
يعطول عليهم الأعداء وتكون معرفتهم بحقيقته في أول العهد به أصح وأقوى منها بعد ذلك
أن السائل أو المتقيد لم يطعم فيما يظهر لنا على ما كتبناه في هذه المسألة بقصد إيضاحها
في السنين الأولى للنار وإننا وإن اطلنا القول فيها من قبل نذكر فيها الآن جملا
وجيزة تنجلي بها الحق لمن يطلب الحق بذاته لذاته بعد الاعراض عن النظريات
الفلسفية المشهورة في المسألة وهناك ما تريد بيانه الآن

(١ - القضاء) كان السلف يسمي هذه المسألة (مسألة القدر) ثم صار الناس يقولون
مسألة القضاء والقدر . وقد ورد لفظ القضاء ولفظ القدر في الكتاب العزيز بثمان
مختلفة لأنهم آمنوا بالفاظ المشتركة في اللغة العربية

ورد القضاء بمعنى الفصل والحكم في الشيء ، قولاً أو فعلاً وبمعنى الاعلام به وبمعنى
إتمام الشيء وإنهائه قال تعالى (١٧ : ٢٣) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه أي حكم
بذلك قولاً في الكتاب المنزل على رسوله . وقال (١٠ : ٩٣) أن ربك يقضي بينهم يوم
القيامة أي يحكم ويفصل بالفعل وقال (١٧ : ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب
لتفقدن في الأرض مرتين) الخ وقال (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين) وكلها بمعنى الإعلام بذلك والأخبار بوقوعه وقال (٤١ : ١٢) قضاهن
سبع سموات في يومين) أي أتم خلقهن . وقال (٢٨ : ٢٩) فلما قضى موسى الأجل
أي أتمه وأكتم ما ورد من هذا اللفظ قد جاء بهذا المعنى

ولم يرد في القرآن لفظ في القضاء يظهر فيه معنى المشيئة ويكون أصلاً فيما نحن فيه
الأقوله (٢ : ١١٧) بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن

فيكون — ٤٧:٣ قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) ومثله في ٣٩: ١٩ و ٤٠: ٦٨ قَالَا يَا أَوَّلَىٰ فِي مَقَامِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ فِي مَقَامِ خَلْقِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالرَّابِعَةِ فِي مَقَامِ ذِكْرِ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ . وقد ورد هذا المعنى نفسه بنفسه بإضافة قال تعالى (٨١: ٣٦) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ ٨٢ إنما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون (والمعنى في التمييزين واحد وهو ما لم يختلف فيه الايمان فاليهود الذين سأل سائلهم المسلمين مستشكلا معنى القضاء بتلك الايات التي أوتها

أيا علماء الدين ذمي دينكم تخير ودوه بأوضح حجة
اذا ما قضى ربي بكفري بزعكم ولم يرضه مني فأوجه حيلتي

يقولون بذلك . وقد أجبتنا عن سو' الله في (ص ٣٥١٢) وأجاب قبلنا غير واحد منهم ابن تيمية الذي أورد السائل بعض آياته . وكذا التصاري الذين منهم الاوربيون لا ينكرون كون الله تعالى اذا قضى أمرا وأراد ان يفذه بقدرته محالا كما هو مفهوم العبارة (و راجع تفسير هافي المناج وفي ص ٣١٩ ج ٣ تفسير) لأنه لو عجز عن إيجاد ما يريد لم يكن إلهوا والا إشكال في مسألة القضاء الإلهي فرع الايمان بوجود الله اذ لا معنى للبحث في الفرع مع إنكار الاصل . فحاصل معنى القضاء في هذا المقام ان الله تعالى اذا أراد شيئا أو أفذه وأتمه فانما يكون ذلك على نحو ان تقول للشيء كن فيكون بلا إمهال ولا تمكث . ولا إشكال في هذا عند من يؤمن بالله مهما كان دينه

(٢ - القدر) القدر (بفتح الدال وسكونها) والمقدار والتقدير

الفاظ وردت في القرآن بمعنى جعل الشيء بقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معلومة فهي داخله في معنى النظام والترتيب قال تعالى (٢٣ : ١٨) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ (أي بمقدار معين له نظام يتعلق بنشبع الجو بالبخار ودرجة برودة الهواء كما قال (١٣ : ١٧) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) أي بمقدار ما يسعه كل واد من الماء . وقال بعد ان ذكر بروج السماء وكواكبها والارض ورواسيها وإنباته فيها « من كل شيء موزون » وما فيها من أسباب المعاش (١٥ : ٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ أَلَعْتُمْ تَخْلُقُهُ لَنُخْلُقَنَّهُ مِثْلَهُ

(القدر معلوم) وقال (٥٤: ٥٤) : إنا كل شيء خلقناه بقدر) فهذا القدر العام بمعنى ذلك
 القدر الخاص أيضا وقال في العموم بعد ذكر أمور خاصة (١٣: ٨) : الله يعلم ما تحمل كل
 أنثى وما تفيض الأرحام وما ترداد وكل شيء عنده بمقدار) أي أن لكل شيء من
 مخلوقاته سنا ونواميس ومقادير منتظمة كسنته في حل الأناث وعقمها وزيادة علق
 الأرحام وتقصيها ومن أفاضل التقدير في مقام التخصيص قوله عز وجل (٣٩: ٣٩) : والقمر
 قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال في ذلك (١٠: ٥) : هو الذي جعل
 الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقال في
 خلق الإنسان (٨٠: ١٨) : من أي شيء خلقه ١٩ من نقطة خلقه فقدره) وبين
 هذا التقرير بالانتقال من طور إلى طور في أول سورة المؤمنين . وقال في الزمن
 (٧٣: ٢٠) : والله يقدر الليل والنهار) وقال في سرد الدروع وصحتها خطابا لداود عليه
 السلام (٣٤: ٣٤) : أن اعمل سابغات وقدر في السرد) والتقدير في نسج الدرع وسردها
 هو جعل حلقها متساوية ونظاما واحدا . وقال في الطرق وترتيب السير بين قراها في قصة
 سبأ (٣٤: ١٨) : وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير
 سيروافيا ليلي وأياما آمين) وقال في التسميم (٢٥: ٢٠) : وخلق كل شيء بقدره تقديرا)
 فعلم من هذه الشواهد كلها أن عقيدة القدر والمقدار والتقدير في كتاب الله
 الذي هو أصل الإسلام وأساسه هي التي تعلم المؤمنين بهذا الكتاب انت لهذا
 الكون نظاما محكما وسننا مطردة ارتبطت فيها الأسباب بالمسببات وأنه ليس في
 خلق الرحمن خلل ولا تناقض ، ولا فيه قذافات مصادقات ، ولا خلل استبداد ،
 وأنه لا استئفاف في الإيجاد والإمداد ، ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون
 أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات ، وتعرف سنن الله في المخلوقات ، وطلب
 الأشياء من أسبابها ، والجري إليها في سننها ، ولا نعلم أن هذا اليان كان مفصلا
 في البيانات السابقة ولكني أقول أنه لا يقول عاقل شمر رائحة العلم أوداق طعمه
 أن هذا الاعتقاد هو سبب تأخر المسلمين ، كيف وأنه هو الجدير بترقيتهم وإن
 أكثرهم أسسوا جاهلين لهذه الحقائق لأنهم لا يأخذون دينهم من القرآن وإنما
 يأخذونه من كتب بعض الأموات

(٣- التقديرية) كان السلف الصالحون يفهمون التقدير بهذا المعنى ولذلك ضلوا التقديرية الذين أنكروا الأسباب وقالوا « الأمر أنف » أي أن الله تعالى يستأنف ويتبدى ما يريد لإيجاده كل شيء في وقته من غير تقدير ولا نظام سابق تجري عليه سنته فيه ولا أسباب يرتبط بعضها ببعض بل قال قدماءهم من غير علم سبق وإنما يعلم الشيء عند وقوعه وقد كفر هذه الفرقة السلف الصالحون وهي قد حدثت في عصر الصحابة . تلقى بدعتهم هذه معبد الجهني عن سيبويه الجبوسي . فبني صحيح مسلم وكتب السنن الثلاثة أن عبد الله بن عمر (رض) سئل عنهم فقيل له أنه قد ظهر فينا ناس يقرءون القرآن ويتفقدون السلم وذكر (السائل وهو يحيى بن يعمر) من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . فقال ابن عمر إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أي بري، منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم ساق حديث جبريل وفيه « وتؤمن بالقدر خيره وشره » أي أن كلا من الخير والشر يجري في الكون بمقادير وموازين وسنن وأسباب اقتضتها الحكمة البالغة . ومن مذهبهم أن الإنسان إذا فعل شيئاً فإما يفعله أنفاً أيضاً من غير أن يكون لله تعالى علم سابق بذلك أو سنة يجري عمل الإنسان عليها فالإنسان مستقل بذلك تمام الاستقلال . ثم أن المتأخرين منهم اعترفوا بأن الله تعالى علماً أزلياً بالاشياء ولكنهم أنكروا أن يكون له إرادة تتعلق بأفعال العباد مع أن معنى الإرادة هو وقوع الفعل من العالم على حسب علمه

(٤- الجبرية) غلب أولئك فوقوا في طرف وعبدوا الله على حرف فجاء بدمهم آخرون وقفوا على الطرف المقابل لطرفهم وهم الجبرية فقالوا أن الإنسان ليس له عمل ولا قدرة وإنما هو كالرشة المعلقة في الهواء مبحركاً رياح الأقدار، من غير أن يكون لها إرادة ولا اختيار، وأما نرى أكثر الناس لا سيما المتفرجين منهم يظنون أن عقيدة الجبر هي عقيدة القضاء والقدر لأن ألفاظ الجبر راجت في المسلمين بواسطة جملة المتصوفة كما بينا ذلك مراراً كثيرة . آخرها ما في بحث التوكل والأسباب من (ج ١١ م ١١) وقد أوردنا فيه الآيات والأحاديث وأقوال السلف في إثبات

الأسباب وإسناد عمل الإنسان اليه . فإذا قال القائل ان الجبر من اسباب ضعف المسلمين فقط لما يثبتنا هذا القول ولكن الجبر ما جاء المسلمين عن دينهم وإلحاجهم من فلسفتهم التي لونوها بصبغة الدين لا وقعوا في جميع علومهم وأعمالهم الدنيوية وهذه الفلسفة شرع بينهم وبين جميع الأمم حتى الأفنج كما نبينه في المسألة السابقة وكأن السائل صاحب الاشكال لدي هذا وما فيه من تنديد التزغات الجبرية حتى ردنا على الامام الغزالي في بعض ما أورده فيها وتعلق بعبارة الاستاذ الامام المختصرة فألصق بها تلك الشبهات المشهورة في المسألة

(٥ - متأخرو المسلمين) المسلمون في هذه الازمنة الاخيرة قد اختلط عليهم الامر لعموم الجهول وفساد طرق التعليم حيث يوجد ولذلك نرى في كلامهم ما يدل تارة على شيء من عقيدة القدرية وتارة على عقيدة الجبرية وتارة على عقيدة المعتزلة وقد بينا في العدد الثاني من سنة المنار الاولى ان الواحد منهم يجمع بين العقائد المختلفة (لاضطراب اعتقاده وعدم تلقيه عن العارفين فان المسلمين في فوضى دينية وعلمية لأنه ليس لهم رئاسة دينية ولا مدارس منتظمة) وانهم في الغالب يميلون الى الجبرية في المسائل المتعلقة باقامة الدين أو خدمة الأمة والقيام بالمصالح العامة والى عقيدة المعتزلة أو القدرية في المسائل الدنيوية فلا حجة في حاكم على الاسلام بل الاسلام حجة عليهم

(٦ - المتكلمون) ان علماء الكلام سلكوا الطريقة النظرية العقلية في الرد على المخالفين من الملاحدة والمبتدعة ورد الاشكالات وبذلك دخلت مسألة القضاء والقدر في قالب فلسفي نظري وكثر فيها القيل والقال والقرآن فوق ذلك كله لا تمسه الاوهام ولا تنال منه الشبهات كما علمت . وانما هي مباحث فلسفية تتعلق بقسرة الله وارادته وبخلق الإنسان وغرائزه وارتباط أعماله بعلمه وإدراكه وهي مشتركة بين جميع الأمم ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها فلاسفة المسلمين من أهل الكلام والتصوف الا وقد قتل بمثلها غيرهم ويقول بها بعض علماء أوروبا اليوم

(٧ - فلسفة المسلمين والأفنج في الجبر) كان من فلسفة المسلمين في الجبر الذي ألبس ثوب القضاء والقدر أن عمل الانسان أثر طبيعي لاعتقاده بالمنافع

والضار وشعوره بالذات والآلام فهو يتبع علمه بذلك وعلمه صفة من صفاته أو حال من احواله لا يمكن دفعها ولا الانسلاخ منها والعلم قسميه يحرك الارادة والارادة ترعج القدرة الى تحريك الاعضاء العمل وهي سلسلة ضرورية لا يملك الانسان باختياره إبطالها ولا الفصل بين حلقاتها أو منع تحرك احداها بحركة الأخرى . وللغزالي شرح طويل لهذا المعنى أورد له مثالا بليغا وجرى على هذا فلاسفة الافرنج وأيدوا المسألة بمباحثهم الفلسفية والبيكولوجية فقالوا ان أعمال الانسان آثار طبيعية منعسكة عما في مخه من الآثار التي وصلت اليه من طريق الحواس أو ثبتت فيه بتأثير الموراثية والعادات ، فالاعصاب الحساسة تقي ما تململه من ادراك الحواس الى المخ ثم يعود منه إلى الاعضاء العاملة بواسطة الاعصاب المحركة التي تحرك العضلات بالقل . فما في المخ يعكس الى العضلات بواسطة الاعصاب فيحركها بسرعة أو ببطء . فما كان بسرعة لا تشعر بأن ثاقبه اختيارا وما كان ببطء تشعر به فتسمي ذلك اختيارا وهو حكم لا يمكن التفتي منه . وقد سبق البحث في ذلك في المجلد العاشر وغرضنا مما أوردناه الآن ان نبين للسائل ان الافرنج أعرق من المسلمين في هذه العقيدة الجبرية فلا يخافن من تسجيلهم الضعف على المسلمين بمثل ذلك

وإذا قال ان هذا القول لا يخلو من شبهة على الدين قلنا انه ليس على الاسلام وحده بل هو شبهة على النصرانية أيضا وموضوع سوال السائل ان عقيدة القدر عند المسلمين من العقائد المشككة والضارة بمقتديها . وقد بينا ان الامر فيها ليس كذلك . بل ربما كانت الشبهة على الاسلام هنا ضد الشبهة التي هي موضوع السؤال أو تقصدها بأن يقال ان الاسلام يثبت الانسان عملا ومشيئة واختيارا وبذلك جعله مكلفا مطالبا بالاعمال الحسنة وإن فلسفتنا تقول لنا انه لامشيئة له في الحقيقة بل هو مجبور مضطر في جميع ما يصدر عنه بمقتضى ذلك النظام المطرد المنعكس في التأثير والتأثير بين مخه وأعصابه وعضلاته فإذا كان لهذا الوجود وما فيه من النظام مصدر واجب قديم فيجب إسناد الافعال التي هي أثر الانعكاس بين مخه وعضلاته الى ذلك المصدر الواضع هو لنظامه وهو الله سبحانه وإلا قلنا بالضرورة العمياء التي أبدعت هذه العوالم كلها من الهباء (أ رأيت كيف ان باب المباحث العلمية والنظرية

في المسألة واسع جداً حتى انه يمكن كتابة أسفار كثيرة فيه ؟
(٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) إن دين الفطرة لا يكلف الناس عنه هذه الفلسفة ولا يمنهم النظر فيها وإنما يرشدهم الى الاعتقاد الحق الذي لا يضر معه بحث بل يمكن معه الاستفادة من كل بحث وهو ان الله تعالى خلق كل شيء بحكمة ونظام وقدر سابق على الفعل تجري عليه السنن العامة (التواميس) وأن معرفة المخلوقات إنما تكون بالنظر فيها مع التأمل والبصيرة وان منها نوع الانسان الذي يعمل عن علم بما يعمل يرجح به ما يراه صواباً على ما يراه خطأ فيكثر صوابه بمقدار سعة علمه بالواقع وأسبابه ويكثر خطؤه على قدر جهله بالحقائق وسنننا لأنه يسير في ذلك على سنن الله في خلقه وقدره الذي قام به نظام ملكه « وكل شيء عنده بمقدار » وأن عليه ان يتحرى العلم الصحيح بالمصالح والعمل الصالح بحسب ما يشعر به من قدرته وتمكنه من ذلك مهما كانت علة ذلك وفلسفته . ونفني بالعلم هنا ما يستفاد ولو بالمادة والتربية أي ما يعم العلم النظري والعلم الحسي والوجداني والعلم العملي أي الذي يبطه العمل في النفس

(٩ - علم الله بعمل الانسان واختياره) ان سبق علم الله بعمله الانسان وتقديره له ووضع سنن اجتماعية يسير عليها في عمله لا يتنافى شيء من ذلك كونه خلقه داعي لإرادة وعمل فان كونه كذلك هو أمر ثابت في نفسه معانوم بالحس والوجدان ، وهما أقوى أركان البرهان ، ولا يقال إذا كان قد سبق في علمه تعالى ان فلان سيفعل كذا فلا بد أن يفعل فيكون مجبوراً على فعله لأن متعلق العلم الإلهي لا بد ان يكون والا لزم الجهل فانا نقول إنما يصح هذا اذا كان قد سبق في علم الله انه يفعله مجبوراً ولكن إذا سبق في العلم الأزلي انه يفعله مختاراً فلماذا لا نقول انه يجب ان يكون مختاراً في فعله لاذكرتم من الدليل ؟ ويرد مثل هذا في أفعاله تعالى فأنها تقع وتحدث بحسب العلم الأزلي ولا يقال انه تعالى مجبور عليها . كيف وان معنى الاختيار للفعل هو ان يكون تابعاً لعلم الفاعل الذي يرجحه به على غيره سواء كان العلم بذلك ضرورياً أم كسبياً بتدبير أم نظرياً . هذا هو المعنى الذي نسميه اختياراً فان سماه غيرنا اضطراراً أو اسماً آخر فأنما يكون اختلاف بيننا في التسمية ولا مشاحة في الاصطلاح . وهذه المسألة التي تعد من مشكلات عقيدة

القدر ان صح استلزامها الجبر ليست في الحقيقة من عقيدة القدر في شيء ولكنها مجرد
في مباحث العلم والارادة . وقد حللتها كيف كانت

(١٠- حكمة الجزاء على الاعمال) يبقى من المشكلات في هذا الباب مسألة أخرى عدوها
من لوازم عقيدة القدر وهي كيف يجازي الله الناس على أعمال لا مندوحة لهم عنها لأنهم
غير مختارين فيها ؟ ونجيب عنها جواً بغير إثبات الاختيار ومنع الجبر فنقول ان الجزاء على
الاعمال هو أثر طبيعي لها في الدنيا والآخرة وذلك انه ما فرضت علينا طاعة إلا
وهي نافعة لنا في تهذيب نفوسنا وسلامة أبداننا وحفظ حقوقنا وغير ذلك وما حرم
علينا شيء إلا لأنه ضار بنا في أشخاصنا أو في نظامنا الاجتماعي ولذلك قالوا ان
التكليف يقوم بحفظ الكليات الخمس: الدين والعقل والعرض والشخص والمال . ثم ان
كل عمل يعمل به الإنسان يكون له أثر في نفسه إما في تركيها فتفلسخ ونفسه وإما في تدبيرها
وإفسادها فتخب وتثقي (٩١ : ٩٠) قد أفلح من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها)
ويظهر أثر ذلك تاماً كاملاً في الآخرة ولذلك قال (٣ : ١٨٥) وإنما توفون أجوركم
يوم القيامة (تقدم تفسيرها في هذا الجزء) وقد بنا كون الجزاء أثراً لازماً للعمل
بحسب سنة الله تعالى في مواضع كثيرة من التفسير وغير التفسير فلا نطيل فيه
هنا فالبحث فيه ينبغي أن يكون من البحث في نظام العالم وسنن الكون والاجتماع
(١١ - الخلاصة) خلاصة ما تقدم وهو القول الفصل ان الاسلام أمر الناس
بالعلم والعمل لما يجدون في انفسهم من القدرة والاختيار وعلمهم ان الله خلق كل شيء
بقدر ونظام وانه لا يعجزه شيء فاذا قضى أمراً وازاده يقع بلا تخاف ولا بطء ، وان
له سناً ونواميس ينبغي لهم ان يعرفوها وان لأعمالهم جزاء هو أثر طبيعي لما يكون بعضه في
الدنيا وعامه في الآخرة . وقد اتفق المسلمون بهذا ما فهموه ولم تنصهم الا فلسفتهم الخالفة له
هذا ما وسعه المقام لبيان الحق في هذه العقيدة وما يتعلق بها ويضاف اليها وقد
سلكنا سبيل الإيجاز في كل مسألة من المسائل العشر لما سبق لنا من البحث فيها من
قبل ولان باب الفتاوى لا يسع أكثر من ذلك فان اشتبه السائل أو غيره في شيء منها
فليسأل عنه وليختصر في السؤال بقدر الإمكان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - للباقي ﴾

٢

(الوجه الخامس) ان قول ان عدم معرفة حكمة النسخ لاتضر من جهلها بعد أن يعرف صحة رسالة الرسول (ص) وعدم علمنا بالشيء لا يفيء وذلك امر ضروري لكل أحد - ونكتف في الجواب الاجالي عن شبه غير المسلمين بما ذكرناه خوف الاطالة الذي لا تحمله الجلات في نشراتها والا فالقيام بما له وعليه يجمل فيه الاسباب والتعقيب عن انتكات والاسباب على ان ما ذكرناه هو الباب وبه فصل الخطاب لمن يريد الصواب

اما اذا كان المعارضون من غير المسلمين متعصبون لا يريدون الحق ولا يقصدونه فسواء عليك أن تنذرهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون - ومثل هؤلاء اناس كثيرون في هذا الزمان فرحوا وبطروا بما عندهم من العلوم المادية والسياسية والاجتماعية وهؤلاء هم الذين كفروا بالنعم وقابلوا الاحسان بالاساءة اذ لم يدركوا ما اذكروه الا من الانبياء عليهم السلام فوافقوا فيه ما جاء به الانبياء عليهم السلام براه العقلاء صحيحا وما خالفوا فيه الانبياء فهو النقص والخطأ حتى انهم انفسهم صاروا يعرفون ما في هذا الاخير من الولايات والبيانات شيئا فشيئا. هؤلاء المفرورون تارات يستعجلون فيبعضهم قاصرو الهمم وضعفاء العقول او امراء الشهوات فيظنون ان اوضاعهم تقضى عن الشرائع الالهية مع استبعادهم لصحة النبوة والرسالة فهم لا يفرقون بين الانسان والحيوان الا بالصورة الذي هي في زعمهم انتخاب الطبيعة في رقيها غير المقصود بعلم عليم وقدرة قادر واردة مريد ويقولون ما في الانسان وغيره من الاسرار الغرائب والغايات والعجائب انما وجدت قترتب عليها بعد وجودها ما يليق بها بالاستعداد

(المنار ج ٣) (٢٦) (المجلد الثاني عشر)

الطبيعي وبالقياس الثاني من المنفعل بداعي الضرورة ودام ذلك باموس الارث الى غير ذلك من خرافاتهم الذي نخجل ناقلا وحاكيا فضلا عن ان يعتقد صحتها من يوسم بقولهم لم يحصل لهم على ذلك الا زهوهم ببعض العلوم التي ذكرناها من جهلهم بمقتضى تلك المعلومات كما اعترف بذلك كبارهم حيث قالوا انما عرفنا بعض آثار المادة وبعضها لم يرزل محجوبا مستورا عنا وعليه فهم لا يمتازون عن العوام الا بمزيد معرفة في الآثار فقط اما الكنه والحقيقة فلم يدركوها البتة

نحن لا نكر النشوء الطبيعي مطلقا وانما نكر نشوءا مخصوصا ونكر استقلال الطبيعة والمادة بهذا النشوء الذي ليس هو ذاته لها وقد الشيء لا يعطيه على ان هذا النشوء الداروني يقابله الأخطاط وبمجاراتهم على مذهبهم ليس اعتناء الطبيعة باحدها باولى من الآخر الا بمرجح وابطل كل باطل وافسد كل فاسد انكار ان يكون ما في الموجودات كالانسان وغيره من الاسرار والغايات غير مقصودة بالقصد الاول لغاياتها لان قولهم ناطقة بأن القابل الطبيعي لا يجوز ان يتخلف عن وجود ما هو قابل له لان القابل لا يكون قابلا طبعيا الا اذا اندفعت الطبيعة في جراها التكويني اليه فتؤدي وظيفتها الطبيعية التي لا يمكن طبعيا الا منه وبه كالبارود المسدود عليه مثلا في صخرة ونحوها اذا دعر بالبارود مثلا بفجر الصخرة بشق او خرق . ذلك الخرق والشق هو مجرى البارود المتفرع ونتيجة تفرقه الطبيعي ولا يجوز عقلا ان يقدم او يتأخر ذلك الخرق أو الشق عن سببه الطبيعي

فهل آلة الذكورة والأنوثة ونحوها مما اودع في الانسان كانت نتيجة مجري طبيعي حين تكون في الرحم وهل كان هذا الجري مقارنا للتكوين غير متقدم ولا متأخر عنه بان تكون الطبيعة قد أخذت اعمالا طبيعية من تلك الاعضاء في الرحم على نحو ما تنادي بها الاعمال بعد وجود الانسان وان كان عندهم خلاف هذا فليخرجوه لنا والا فقولهم بين الماطلان بنفسه على ما تقتضيه قواعدهم المقررة عندهم — فلا يبقى الا ان يقولوا مثلا ان هذه الاعضاء تكونت بقدرة عالم الغايات مقصودة بالقصد الاول حين التكوين وحينئذ لا يلزم محذور . على ان ما يستدلون به على المذهب الداروني انما هي احتمالات ملفقة وخرص بعيد لا يتعين بها دلالة على خصيص

ما ذهبوا اليه كما أقر بذلك كبيرهم وهي مع ذلك لو أخذت بالأخذ الصحيح لا تنافي
م جاء به المراسلون عليهم السلام في بيان بدء الخلق بل تكون موبدة له

وليس هذا محل الرد عليهم وإنما المقصود تعريف الناظرين واقرء ان مثل
هؤلاء قد يوردون الشبهات على الأديان ولا يريدون الرجوع عنها إذا وقعوا على
الجواب الصواب وإنما قصدتهم التشكيك بما يناسب طريق أهل الأديان فإن لم
يفلحوا في هذا الاقراء زوروا غيره لما عرفت انه ليس في معتقداتهم إلا استحالة
الرسالة والنبوات (١) ونحن نحيب ان شاء الله عن كل ما يذكرون لتلا يظنوا
بأحد من المسلمين قروج عليه شبهاتهم فيخسر الدنيا والآخرة

ولنعد إلى المقصود فتقول ما قدمناه هو الجواب الاجمالي مع غاية الاختصار
وهو كاف واف في رد هذه الشبهات إذ لم ترد على محل معين في واقعة معينة وما
كان منها كذلك فأليك جوابه والله المستعان وعليه التكلان

أما قولهم إن محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء الى آخره . فجوابهم الذي نقوله
ان هذا اختلاق بحت وحيينا رسول الله (ص) سيرته مزبورة وحموة وأخلاقه
وشائانه معروفة مشهورة فهل رأى الرايون أو سمع السامعون ان أحدا ممن عرفه
حتى ولو كان من أعدائه قد رسمه بهذه السمة أو وصفه بمدلول هذه الكلمة ؟
لا وإنما المعروف عن أعدائه قبحهم الله وخذلهم اطلاقهم عليه ضد ذلك فقالوا انه اذُن —
ومنها من قل مجنون ومنهم من قال شاعر وإذا رأوا آية من آيات صدقه وهي المعجزة
قالوا ساحر تريض به ريب المتنون — وهكذا الأعداء اذا عجزوا عن المارضة
وأرادوا الاصرار والتعصب لمذاهبيهم بعد قيام الحجة عليهم . والمؤمنون الذين
صاحبوه وعاشروهم وعرفوهم قد عرفوا صدقه وكاله وانه رحمة للعالمين وعلى خلق
عظيم قد بلغ الرسالة حين كان وحيدا عن الانصار والاعوان ولم تأخذه في الله لومة

(١) ان القائلين برأى دارون لا يقولون باستحالة الرسالة كما قال ولا كلام
يدعي أن النبي (ص) محال ، بل يقول المحققون العارفون بسيرته منهم انه كان
صادقا معتقدا لما يقول وليس هذا المقال بالذي يتسع لبيان آرائهم في ذلك

لأنهم ولو خالف ما جاء به الثقلان فقول هو لا، الذين هم من الناس كقسط المتاع انه اذا أنام بحكم واتضح له بعد التجربة انه لم يرض الناس عدل عنه والتجأ الى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الاحكام الى آخره — نقول في جوابه سبحانه هذا بهتان عظيم والواقع يكذبهم فانه (ص) لم يراع ولم يبال فيما أمره الله بقتلهم أحدا من الناس كائنا من كان ولم يبال بمن لم يرض بذلك وقد آذوه في ذلك أشد الإيذاء قبل احتال في التخلص من إيذائهم له بحيلة ولو مرة واحدة؛ لا والذي أرسله بالحق بل كان يفعل كلما أمره الله به ولا يبال بما نفع فلما نزلت عليه (فاسدع بما تؤمر) جاهرهم بالعداوة حتى حقر آلتهم في المجمع والمحافل علانية وكان بأبي هو وامي اذ ذلك وحيدا عن الاعوان فصبر على مقاساة المصائب ورموه بالحجارة حتى خضبت بالدماء فعلاه (ص) فل يصبغ ان يقال انه كان يعدل عن احكام دينه اذا رأى ان ذلك لا يرضي الناس وهو بالحالة التي عرفت وهو هو (ص) كما انه لا يبال الكفار ولا يصابهم في دين الله كذلك هو في ذلك مع أصحابه لا ياتهم ولا يصابهم في دين الله وقد دل على ذلك وقائع كثيرة صحيحة فمنها صلح الحديبية فانه امضاه بهزم لا يمتريه تردد وقد استاء لذلك أصحابه وكرهوا ذلك غاية الكراهة ولم ينقل انهم استأوا بشيء كاستيائهم بذلك حتى ان بعضهم رض قال له «أأنت رسول الله ألسنا على الحق» فلم يبال باستيائهم في مخالفة ما أمره الله به — هذا ونحوه أعظم برهان وأكبر دافع ومكذب لمثل هذه الشبهة التي هي مخالفة لما هو الواقع في نفس الأمر — فلمبر الحق ان اراد مثل هذه الشبهات لأدل دليل على تعصب هو لا، المعترضين وانهم لم يعدلوا الى اراد مثل هذه الشبهات الواهية الضعيفة الا حيث لم يجدوا غيرها والمسلمون لا يعتبرونها الادليل على سخط عقول قائلها وانهم معاندون للحق والحقيقة وبدلا عن تكون مثل هذه الابرادات شبهات اما تكون بمنزلة الحجج الدالة على صحة رسالة سيدنا ونبينا محمد (ص) فانه ليس بعد ظهور ضلال الخصم الا ثبوت الحق لدينا

ونقول هو لا، انكم لا تستطيعون ان تدعوا على حكم واحد جاء به الاسلام لا منفعة فيه أو انه مضى لا منوطا ولا محكماً بالله العجب أصبح ان يقل ذلك

في دين لم يعرف الحق من عرفه الا من تعالياته ، ولم تبرز أنوار المعارف الا من مشكاته ، ولم تقم ميازين العدل الا بتلاية آياته ، فدين الاسلام لم ينسخ منه شيء لاجل مضرة أو عدم مصلحة وانما يكون ذلك فيه لأجل زيادة في اخير تارة وتسهيل على الأمة أخرى ويكون تارة تشييعا لها وتارة لتوحيد جامتها وتارة لتقويتها في اظهار الحق على الباطل ودمغه ودمغ انصاره مع مراعاة ما يليق ويتناسب الجمهور والا كبر كلما كثر عدد الافراد ومع ملاحظة أحوال الزمان وقوة الأعداء وكثرتهم وما يلزم ان يكونوا عليه بإزاء ذلك معه وبعده فالتعدد القليل : مخالفتون من المسلمين قد تناسب حالهم احكامهم هي أعظم كل خير بالنسبة اليهم أولا يمكنهم الا الاثنيان بها فقط فالعدل ان تكون التكليف والتعالم كذلك بالنسبة اليهم والى ما احتف بهم من الاحوال

ان التشريع والحالة هذه يكون بالنسبة كما يكون بالقرآن لا ينكر ذلك الاسكار واثلك كان النسخ فيها سيئين فاذا كثر المسلمون وكانت قوة الايمان والتصديق فيهم تناسبة متقاربة وضعت بعض ما يحدرون فلا يشك عاقل في حسن ان يشرع لهم احكام تناسب ذلك مع مراعاة المصلحة الرامحة وسواء في ذلك القرآن والسنة — فاذا صاحوا المقاومة الملاح أيضا ما كان وهم بتلك الصفات التي تكاد ان تكون متساوية فلا يبعد ان يكلفوا ما يروونه سهلا في اعتقادهم والواقع ومثال الاول كون الصلاة أول ما فرضت ركعتين بالقداء وركعتين بالعشية فانه يمكن اخفاؤها إذ ذلك مع ضعفهم وقوة العدو . والمثال الثاني إيجاب الحسن حين وقع بعض اختلاف بين الكفار حيث وجد فيهم من يؤمن المسلمين وكان بعضهم عن إبداء المسلمين ومن بقي من الكفار حرصا على الايقاع بهم فاما كان يكون منه السب والضرب بالكف والعصي ونحو ذلك والمسلمون قد زاد عددهم بعض الزيادة فكانوا قادرين على المدافعة في بعض الأحيان ولم يؤمروا بالهجرة ولا القتال فلما أسروا بالهجرة إلى مكة (المدينة المنورة) حين اشتد عصب الكفار مرة أخرى ونظروهم المأزق وفسرهم الأكفاء وكان المسلمون تشابه سفاهتهم في صلاة الدين بالهجرة والمدافعة الدينية — فلا غرو ان يوجب الله لهم قتال الكفار

الظالمين وهذا القتال هو الذي سماه الاسلام والمسلمون بالجهاد وهو قتل أهل الاصلاح لاهل الفساد اندي لا ينكره عقل عاقل لان غايته ان تكون كلمة الله هي العليا والنصارى أنكروا على المسلمين هذا القتال سوليتهم عملوا بما قوا حتى لا يكونوا من الذين يقولون ما لا يفعلون

فرض الجهاد على المسلمين وكان الواجب عليهم اذ ذاك وهم كما عرفت ان لا يفروا من عشرة اضعافهم من المبطين لأن الاستشهاد ونحوه لا يخور به عزائمهم وهم بالخالة التي عرفت ففي هذه الصورة وهي المثال الثالث لا ضرر ولا نقص في هذا الحكم بل لو بقي ابد الآبدين فليس فيه نقص ولا حيف بالنسبة الى كثير من المسلمين . وانما اذا تبدلت الخالة وصار انصار الحق كثيرين أو كان فيهم من يضيف اعتقاده أو يحرص على حياته أو نحو ذلك فلا تشك ان زيادة الخبر تكون في رفع صفة الحكم كالوجوب والازوم ويعوض عنه حكم يناسب صاحب الحق ويميزه عن صاحب الضلال وهو لزوم ان لا يهرب المستبد منسرة الحق عن الاثمين من انصار الباطل لانه ان ضعف مؤيد الحق المستعد عن ذلك تلزم مساواة أثر الحق لأثر الباطل وهذا لا يصح ولا يحسن فالحكم المنسوخ في هذا المثال انما هو الوجوب اللازم لا الإباحة أو التدب لمن يطبق ذلك

فهذه الامثلة يظهر للمنصف حسن النسخ سواء كان في القرآن أم في السنة لان القرآن من حين البهثة لم يزل ينزل بالاحكام ولم يكن زمن مخصوص بالتشريع بالسنة وزمن مخصوص بالتشريع بالقرآن بل القرآن لم يزل ينزل على سيدنا محمد رسول الله (ص) بما يناسب حال المعينين من معتقيه ولم يزالوا يزيدون بالاحكام كذلك ما بين احكام متناهة عند وجود عللها وأسبابها ونسخة من خير الى ما هو أكثر خيرا منه كان ذلك يكون الى ان مكن الله لدينه ودخل الناس فيه اقواما وصارت الامة بحيث يصح ان تكون مثالا لكافة الناس فلما آن اوان اقامة الوحي بتحويل رسوله (ص) الى ادار الباقي اكمل الله شرعه بما يصح ان يكون ديناً لاهل الأرض اجمعين الى يوم الدين

فمثل هذه الحكم كان النسخ - والمسلمون يعرفونها فكيف يقال انهم لم يستطيعوا

ان يملوا ذلك بطل مقبولة - بهم أيضا يعلمون ان كل ذلك كان يكون للاعتراض معترض ولا لانتقاد متقدم - علموا ذلك بالعلم الضروري من سيرة الشارع (ص) ومن نشوء الاسلام ومن زعم غير ذلك فليدين من هو المعترض والمتقدم وعلى أي محل اعترض وانتقد وما هو الاعتراض وأين السند المقبول والا فالسند لا ينظرون الى هذه الايرادات والشبهات الا بين الاستحقاق وبالله العجب هل وجد في كفار العرب من قرش أو غيرهم من عارض شيئا من القرآن معارضة صحيحة ؟ وهل ظفروا بشيء مما قال هو "لا" ان في انشائه شيئا لم يرق له بعد اذاعته ؟ ولم لم يعارضوا ما هذا حاله ؟ أليس لو وقع شيء من ذلك توفرت دواعي الكفار والمسلمين الى نقله اما المسلمون فلا بد ان يوجد عندهم ولو لردّه وتوهمه كما نقلوا عن مسيلة الكذاب وغيره وأما الكفار فهو غاية بغيتهم ومدار حجتهم فلم يوجد فلا يعقل أن يملوه فعدم النقل لما هذا حاله أدل دليل على عدم

فلا يبقى للخصوم الا ان يقولوا ان هذه الشبهات احتمالات مفروضة وقد قدمنا ان فرض ما يتخلف الواقع في مثل هذه الاشياء لا يصح عند من له مسكة من عقل وايضا تجوز مثل هذا الاحتمال الظاهر البطلان يلزمه عدم جواز النسخ الذي عرفت حسنة عقلا وفطرة فلم يجاز اتهام من ثبت نبوته ورسالته بالمعجزات والحجج الدينات بهذه التهمة اوجب ان لا يكون للبشر الا شريعة اول نبي ارسله الله فقط ولما جاز ان يرسل الله رسولا بعد رسول بشريعة تنسخ بالا يناسب احوال الامم المتأخرة وقد عرفت أن هذا يؤهل الى انظار المحال على الله وما استازم المحال فهو مثله محال فينتج ان اتهام نبينا (ص) بعد ثبوت نبوته بتهمة انه ما اجاز النسخ في دينه الا حيلة يتوصل بها الى اصلاح القص والغيب الذي يمكن أن يرى في دينه هو تهمة كاذبة كما قدمنا ذلك وان فرضها محال

فوجب ان يكون نسخ الانظ وإسواؤ في القرآن كنسخ الحكم لمصالح وحكم ونحن وان قصرنا عن ادراكها كلها لاسباب كثيرة لكن نعلم أن الكتب الالهية وبالمخصوص القرآن هي لنا اصل تسليم الدين والنظام الاجتماعي واستمداد الناس متفاوت في التعلم والتعليم ومن لازم ذلك ان تكون مواد التعليم أي كتبه الدراسية

كذلك فلهذه الحكمة وحكم أخرى كثيرة كان القرآن الكريم سورا طولا وقصارا ومتوسطة وقد اشرنا الى ذلك في رسالتنا السابقة فالنسخ والإساءة اللغظي هو معمل بحكم وغايات هي من جنس ما يعال به تعدد السور ومن جنس ما يعال به البلاء ما اختصروه من الكتب البليغة لطوله وقد تكون هناك علل واسباب أخرى وقد صح ان بعض آيات القرآن تتفاوت في الفضل وثواب التلاوة ولا بدع في ذلك فان فضيلة الكلام نابعة لفضل مناه وكثرة فوائد مرماه — فاذا انزل الله آية هي نص في واقعة مخصوصة وهي انساب بالمفاهيم الخاطئين المعينين لاي سبب ثم بعد رسوخهم في الفهم وقبولهم لزيادة التاقي ونحوه بحيث يكونوا قد ترحزحوا من طور الى طور لا يقبح بل يحسن ان يأتي الله بآية بدلا عنها جامعة لما دلت عليه الاولى وزيادة عليه — اذ لو بقيت الاولى الدالة على المعنى المخصوص فقط لجاز ان تكون آيات القرآن إنما تبدل على معاني جزئية ومن لازم ذلك الطول المفرط الذي يمكن ان يقال انه لا يلائم التعاليم ولازم ايضا جواز تعرية القرآن من جوامع الكلم حين استعداد الناس للفهم والقبول

وبما ذكرناه يظهر جليا انه لا فرق يعتد به بين النسخ في الأحكام والنسخ والانساء في الالفاظ لأن ناموس الترقى جار في الامرين بلا عيب ولا نقص ولكل حال ما يناسبه من الافعل والاقوال (٥)

فيا حضرة اخونا الدكتور لا يهولك ما بهذي به المبطلون المتعصبون فانهم على النار تمجبل فقول ان صديقنا الاستاذ الما في لم يأت بحكمة ظاهرة لنسخ وإساءة عبادة القرآن ولغظه تطبق على ما نقل من ذلك لاسيا ما كن معناه محكما ولا يظهر معنى الترقى والاختصار في كلام الخالق الذي هو متعنى الكمال ولو اختصر منه شيء لحذف قصة موسى من بعض السور . وما يأتي قريبا في بيان حكمة نسخ ما روي من آية الرحمن غير ظاهر لاسيا مع بقاء آية الجلاء على اطلاقها . وأذكره بذلك من الآن لعله يشدح زناد فكه ويراجع ذكرته فيما قرأه لعله يجد لذلك حكمة ظاهرة فان معظم الاشاكل عند الدكتور ومثله كثير من المسلمين وغيرهم محصور في هذا وهو قول بأصل النسخ وحكمه بل كتب في ذلك أيضا

غير محجة وليس بأيديهم حجة — ونحن قد اضر بنا عن كثير من الحجج والمسوغات هنا وكفينا بما كتبناه خوف الاطالة ولكن فتحنا الباب للنبي والاباب وفيه الكفاية وفصل الخطاب لمن يريد الصواب

اما قول المشككين ان في القرآن من المسائل الخاصة بمحمد (ص) واهل بيته ولا فائدة فيها لأحد سواه (وقد كذبوا بل فيها من الفوائد ما لا يقدر قدرها إلا من عرفها وقد علم ذلك العالمون من المسلمين واستفادوا منها وما علينا إلا أن نفهم البقرة *) — ما هو أولى بالنسخ قالوا كالأيات الكثيرة من سورة الاحزاب والتحريم وكبعض آيات سورة المجادلات والمجادلة فإذا صح عن المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيقتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيقتها وانقضت زمنها — والجواب ان قول ان هذه الآيات هي محكمة وفيها فوائد تتعلق بالأمة أيضا ونحن لم نقل ولا قال أحد غيرنا ان السبب المخصوص والمخصوص سبب للنسخ بل الأمر عكس ذلك وتقيضه والمسائل والآيات الخاصة بمحمد (ص) واهل بيته هي أجدر بان لا يكون ولا يقع فيها النسخ لأن اتحاد من تتعلق به الاحكام وكذلك تعين أهل البيت الواحد لذلك عهد عن وقوع اتفاقات واختلاف الحالات الذي هي المسوغ الاعظم للنسخ وهذا الخلاف ما يتعلق بالأمة الكثيرة الافراد المختلفة الطبائع باختلاف الزمان والدلائل — فظاهر ان النسخ فيما ذكرنا انه أولى به باطل وان القياس الصحيح لا يجوز النسخ في ذلك وكذلك وقع

أما قولهم انها قد أدت وظيقتها وانقضت زمنها فجوابه انها حين إمكان النسخ والتعديل لم توجد وظيقتها ولم ينقض زمنها وأما بعد وفاة النبي (ص) فقد فات وقت النسخ والمسلمون لا يجوزون الزيادة ولا التقيص ولا يجهلون ولا يدلون في كتب الله يشهدون بعد موتها سواء ما فعل ذلك من بعده الله وغضب عليه ولمنه على الأمة آياته وهذا الاعراض والايراد دليل على ان هؤلاء يقولون ما لا يفهمون

تأليف المصنفين من اضل من يشع الهوى ليصد عن الحق

اما قولهم وما الحكمة في نسخ ألفاظ آية الرجم مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين
فجوابه ان نقول ان مسألة الرجم للزاني المحصن قد أنزلها الله في كتابه القرآن
وهي ثابتة في توراة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فكانت نزولها
لحكمة توافق الكتابين وليعرف المسلمون هذا الحكم العظيم ويتركوا في تقيته
كغيره من القرآن وفرق بين تلقيهم السنة والحديث وتلقيهم للقرآن فان القرآن ينزل
تعبدا في الصلاة وغيرها اجتماعا وافرادا والله جل شأنه شرع هذا الحكم بالعدل
وفق الحكمة فان هذه الفاحشة مفسدة للأثم وأقوى ذائع الخصام مهلكة للأموال
والمولدان، ومنهكة للأبدان ومبيدة لنسل الانسان في أكثر الاحيان، وانا كان حذرها
الاعدام، وأقصى الاحكام، ولما كانت انضرة بما ذكر قد تفاوتت رفع لفظ آيتها حين
لا يخف خفاء الحكم إذا دعت الحاجة والضرورة اليه — وما رفعه الا تسهيل ويسر
ورحمة وستر — ولشلا يظن المسلمون ان الثواب في التقيب والتطلع على الناس
فيتسابقوا الى الشهادة بهذه الجريمة قياسا على فضل تلاوة آيتها فرفع الله لفظ هذه
الآية لهذه الحكمة وانما خصها دون ما سواها من آيات الحدود لانها أشد الحدود
وأغلظها ولان قباحة الزنا من المحصن فوق كل قباحة ففي رفع هذه الآية اشارة
للمسلمين على ترك التجسس للشهادة كما قال تعالى « ولا تجسس » واشارة إلى
ترك الاقرار بذلك والعدول إلى التوبة — ولذلك اشترط في الشهادة بالزنا ما لم
يشترط في غيره حتى عاقب الشاهد الواحد والاثنين والثلاثة بقوبة حد القذف
واشترط في ذلك المعايمة التي لا شبهة فيها والله يحب الستر على عباده — فقال
« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا
والآخرة » وقال (ص) « تعافوا الحدود بينكم فإني بلغني من حد فقد وجب »
فإذا لم ترد شهود في الحدود فلا يبقى الا اقرار فاعلموا بها ورضاء باقامة الحد على
نفسه بان لم يتب ، يرجع عن طلب اقامة الحد على نفسه فلو أقر بذلك وطلب
اقامته ثم رجع وتاب جاز للعاه كم اعفاه من اقامة الحد أو اتاماه بعد الشروع فيه
وهذا هو ما اختاره شيخنا ابن تيمية رحمه الله وهو الحق عندنا الذي دللت عليه السنة
الصحيحة عن رسول الله (ص) وذلك فيما روى بريدة (رض) قال جاء معاذ

بن مالك إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله طهرني فقال «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي (ص) مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله (ص) «فيم أطهرك» قال من الزنا فقال رسول الله بك جنون؛ فأخبر أنه ليس به جنون فقال «أشرب خمرًا» فقام رجل فاستنكه فلم يجد منه ريح خمر فقال (ص) «أزيت قال نعم» الحديث وفيه جاءت امرأة من غامد من الأزد فقالت طهرني فقال «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه» الحديث رواه مسلم وفيه أنها ابت الإقامة الحد على نفسها وكانت حبلى فأبى (ص) أن يقيم عليها الحد حتى تضع مافي بطنها وتكمل رضاعته وبعد ذلك جاءت وأقام عليها حد الرجم وعن أبي هريرة عند الترمذي وابن ماجه أن ماعزاً (رض) فرأى حين وجد من الحجارة ومن الموت فقال رسول الله (ص) «هلاً تركتموه؟» الحديث وفي رواية «هلاً تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه» وهذا نص في أن المقر بالزنا إذا استغفى عن الحد جاز للأمام أن يستقله ولذا وذلك ولأن الحدود تدرك بالشبهات ولا تقام في أرض العدو رفع النسخة آية الرجم وهي حكمة بالغة وقد دل عليها الكتاب والسنة وبقيت آية الرجم ثابتة الحكم بما ذكرناه والسنة الصريحة مقيداً بقبوله كما عرفت وهي مع ذلك كله موجودة في القرآن ظاهرة للعلماء خفية عن العوام قال ابن عباس (رض) الرجم في الكتاب لا يفوض عليه إلا غواص وهو قوله تعالى «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب» الآية وقيل أنها موجودة في غير ذلك أيضاً فظهر بذلك المسكة في رفع آية الرجم مع أن بدلها في القرآن موجود وما ذكرناه من التعليل لا يتأني ماعل به بعضهم قلت وقد رأيت السيوطي (رح) قد أشار بالاختصار إلى ما ذكرته - وصرح بأن القرآن الموجود بين أيدينا الآن في المصحف فيه البديل عن كل ما رفع من هذا النوع وغيره قلت والأمر كذلك

وفوق ذلك كله قول هؤلاء المعترضين زعمهم أن نينا (ص) الصادق الأمين لم ينه له ما تم إلا بعد إصلاح العيب والنقص الذي براه أو يتوقعه في شرعه وكتابه الذي أنزله الله عليه وقد كذبتم وكذبكم الواقع المعروف من سيرته كما قدمنا

ذلك وحالة التشريع وكيفية نزول الوحي عليه (ص) يعلم بها فساد قولكم — أليس انه (ص) كان ينزل الله عليه ما شاء ان ينزل من الاحكام والقرآن حين وقوع الحاجة الى نزوله ويحضر من اصحابه غالبا وقد تنزل عليه (ص) عدة آيات دفعة واحدة والقصة الواحدة كذلك والسورة الكاملة ايضا في بعض الاحيان وبعض ذلك يكون حين وقوع السوأل ووجود السبب الموجب ارتجالا — ومع ذلك كله لم يكن (ص) يعرف الكتابة بل كان يحفظ ذلك ويحفظه اصحابه (ص) وبتأمر عليهم ثم يأمر أحد الكتاب أن يكتب ذلك في سورتته من غير أن يراجع المكتوب الأول منها ويتأمل المناسبة والمناسقة وكان يشهر بين الناس آيات كتاب الله ويعفه الخالص والعام والعدو والصديق فهلا أمكن اعداءه ان يأخذوا عليه شيئا مما ضعف انشاؤه في كتابه وردوه واتوا بمثله ولو بعد حين ؟

ان من يراجع مكتوباته ويتأمل في تأسيس احكامه ليصلح ما فيها من العيب والنقص لا بد وان يكون كاتباً وقارئاً مطلقاً على كتب غيره ليراجع ما فيها من الآراء فيرجع ويضعف حينئذ او يترق بفكره الى احسن مما فيها لكن لا يمكنه ذلك الترقى الطبيعي في الأفكار الا بعد اطلاعه على آراء من تقدمه والا لبطأت سلسلة الترقى الذي يسلمها أكثر الناس واذا كان لا يمكن الرد والقدح والاصلاح والتكيل والتفحيح الا بهذه الاسباب ونحوها غالبا فان حصول علوم جميع اهل الارض لاسما علوم الامم المضمحلة والبائدة والمتباعدة ولا سيما الخفية منها والمهجورة وبالخصوص في ذلك الزمن الذي مضى فيه نبينا محمد (ص) — ان حصول ذلك كله لرجل واحد لا سيما اذا كان من العرب الذين قد عرفوا باعتزالهم علوم سائر الأمم لمن الحال الذي لا تسلم به عقول العقلاء فما بالك بالقيم الأمي (ص) الذي قد عرف منشأه ولم يزل اعداؤه يتر بصون به الدائر حتى وضعوا عليه العيون والرقباء هل يمكن من هذا حاله المراجعة والاصلاح لما هو بمثابة تهذيب علوم أهل الارض وتكامل أخلاقهم اجمعين ؟ فيالقول المتعصبين أين يذهب بها الهوى

قلنا ذلك لا نأرا فينا ما لم تكن نفس عاقلا يقوله : رأينا من على شاة كلة هؤلاء المتعصبين حين يطعنون في الامم لا من يمعنون ما قدروا عليه من اقوال ومذاهب الأمم

الغابرة ثم يبالغون بينها وبين شرائع الاسلام وما فيه من القصص وغيرهاتهم يقولون ان هذا أخذه محمد (ص) عن أوثك ثم يقولون قد ردنا الفرع على أصله وما لم يقدروا أن يجدوا له نظيرا يقولون سيكشف المستقبل حاله ويقولون ان محمدا (ص) قد قد اطلع على ذلك وحفظه وهذه وأصلح فيه حتى ساقه في قوالب كلامه الفصيح البالغ الذي اعجز العرب!! قلت أي واعجزهم ايضا ان يعرفوا جميع مصادره وما أخذه هو لا يريدون أن يطلعوا في صحة الاسلام وما درى المساكين ان ذلك ينقلب عليهم ويصير من اعظم الحجج المؤيدات لصحة دين الاسلام — لأنه اذا بطل قولهم وصح ان محمدا (ص) لم يكن قبل نزول الوحي يعرف شيئا مما ذكره او ان ذلك لا يمكن حصوله لبشر بدون وسائله وان تلك الوسائل لا يمكن تسهرها في ذلك الزمان والمكان لا سيما ان كان مثل محمد (ص) — ثبت باليقين كنسبهم وصحة دين الاسلام وانه وحي الله وامره والله اعلم

انه ما من علم يوجد عند البشر سابقين ومتأخرين الا وقد نبه على بعض مسائله في معرض الاعتبار والانماط ونحوه او الاستدلال وما شابهه يسوق ذلك سوفا يعرف من تأمله وحققه انه كلام مختبر عالم بدقائقه وغوامضه ولذلك تراه يختار من كل شيء صحيحه وحقه لا يلتفت الى سواء وان اجتمع أهل ذلك المصنع على سواء ولم يكتف بذلك حتى اخبرنا بكثير من اخبار الايام الآتية التي قد وقع ووجد مصداق كثير منها عيانا وقد ذكر من ذلك كثيرا مما لأمته به تعلق وهو يذكر ذلك في معرض التنبيه كما انه يذكر من اخبار الايام الماضية ما يذكر كذلك فياهو لا هل يمكن الحصول بدون الوحي ان يطلع على ذلك كله مع اشتغاله بتلك المشاغل وقيامه بتلك الوظائف لا سيما اذا كان يتبا اميا في بلاد قاصية عن الامم المتدنة وبين امة امية؟ فان جوزتم ذلك فهل يمكنكم ان تأثروا بنظيره في كل ما حكياه عنه (ص) والحالة ما ذكرنا لان ما يجري على النواميس الطبيعية لا بد وان يتكرر بل لا بد وان يترق كما هي قاعدة الشوء الطبيعي واذا لم تفعلوا فانهم مقفرون مكابرون وسيلهم الذين ظهروا أي منقلب ينقلبون

قلت وما ذكرناه يظل قولهم ولو وقع وصحة ما دللت عليه الاحاديث تبطل

دعوى أخينا الفاضل المذكور ان أحاديث الآحاد كذا لا تنيد غير الظن مطلقا

ولعمد الى ابطال الشبهات المذكورة على النسخ زيادة على ما ذكرناه سابقا فنقول ان كان اعتراضكم هذا صحيحا وانه لم يتم له (ص) ما تم الا بما ذكرتم فلم يقر في وجهه أعداؤه الى يومنا هذا فيصلحوا أو يكملوا أو ينقضوا ويرموا ويتعاضدوا ويتعاونون فصحاؤهم وخطبائهم وشعراؤهم ليأتوا بمثل قرآنه بزعمكم أو يأتوا بسورة من مثله؟ ألم يفعلوا وهو يناديهم هل من مبارز هل من معارض؟ ويتلو عليهم في كتابه «قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» ويتوفيه «فأتوا بسورة من مثله» — أو — قل فأتوا بعشر سور مثله لو كان الاثنان بالقرآن أو بمثل مما يمكن البشر الواحد ولو بالاصلاح والتهيل كما يقولون فهلا قدر واستطاع ان يجي، بمثل سورة قصيرة منه جميع العرب العرباء والمستمرين والمتمرين جميعا وانفرادا ولو بعد الاصلاح والتكميل المزعوم؟ وحيث استحال ذلك بمضي تلك المدة الطويلة وعجز فطاحل العرب وفصحائهم وفاتوا ولم يخلفهم مثلهم لكن من خلفهم هو أعجز منهم علم فساد قولكم وكذبه وسقوطه

ان نفس التحدي بسورة من القرآن معجزة لانه لا يمكن أحدا من البشر العقلاء ان يدعيها لنفسه من قبل نفسه، ولا يأتي به من عند نفسه ومن يأتي ان يأتي الزمان بمثله أو بأحسن منه واذا لم يكن عنده يقين بذلك فكيف بشر طرصة دعواه عليه ويطبقها بهذا التحدي فما بالك بمن قد صرح بصحة جسده وكمال عقله وتدبيره العدو والمخالف والصادق الموافق. أما لو كان هذا التحدي بغير أمر الله لكان من أبعد كل بعيد وأحل كل محال صدوره من سيدنا محمد (ص)

هذا بعض ما قوله في الجواب عن هذه الشبهات الواهية اضر بنا فيه عن الاطالة وما تركناه أكثر وما عند الكاملين أكثر واعظم وما عند الله خير وأبقى «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»

فقول المذكور الفاضل ومنه ترى ان اعتمادهم قويا (اي في إيراد الشبهات) إنما هو على روايات الآحاد التي يتسلك بها المسلمون الى ان قال ما محصله — فهل اردوا هذه

بدلاً عن أن يقوموا في وجهنا ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طمس في أصول الدين ومثابة نسليم سكاكين للخصم ليقطع بها منهم الوتين انتهى وأقول قد عرفت جوابنا عن هذه الشبهات وانت اذا تأملت عرفت ان قصادها بديهي فلا سكاكين وانما هي شوك مخضود وبذاء من اقول مردود فلا وخز نخافه ولا قطع ونحن لم نرد عليه مكفرين له مع تأويله ولكننا بينا فساد بعض اقوله وضمنا ما وقلنا انه لا حاجة تدبنا اليه وهو حفظه الله انما خاف من غير مخوف وعلى السراب ماء وليس ما نبحت فيه مع الفاضل الممدوح مما يليق بالقلأ ان يقولوا فيه نصيبا وتحيزا ولا تخرا ومما رآه بل هو الدين وارادة الحق وطلبه للفوز برضاء الرب ولذلك قلنا في رسالتنا السابقة ان طالب الحق لا يليق به ان يستدل باقوال الناس وانما يستأنس بها بعد البحث والتفحص وامامنا نقض منها حكم الله في كتابه أو في سنة رسوله (ص) فاننا نضجر منه ونكده ونرفضه لانه من الغلطات التي غايتها ان يفتقر قائمها اذا لم يقصر ومن تتبع الشواذ وقع في الغلطات وانه لولا التأويل بحسن قصد لزم كل غلط لوازم فظيمة مكفرا ولو انزم كل غلط لوازم قوله لفقد الخلاف وبعد الاتفاق ولحكم بكفرا كثر الغالطين ولذلك كان القول الحق ان لازم المذهب ليس بمذهب اما ما ذكره الفاضل في كلمته الثانية من التفصيل فهو وان كنا نعتقد الحق زيادة عليه الا انه قول قد قاله كثير من الأئمة ومع ذلك فله حظ من النظر الا قوله في آخرها « اما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن » الى آخره فاننا لا نسلمه له لا سيما وقد عرفت مما قدمناه عدم مخالفة نسخ وإنشاء لفظ القرآن للحكمة والعقل فاذا صحت الرواية عن الثقات الضابطين بالحفظ والمراجعة أو بالكتابة المصونة بأن آية كذا كانت قرآنا وأنها نسخت أو أنسيت أو رفعت أو نحو ذلك قبلنا ذلك وحيث كان لم يقصد من هذه الروايات اثبات زيادة على القرآن الموجود فهي غير معارضة ولا متناقضة لما ثبت من القرآن بالتواتر حتى على قول من يشترط التواتر في اثبات قرآنية القرآن — وترجيح المتواتر على الآحاد انما هو اذا اتحدت الدلالة من جميع الوجوه حذو النعل بالنعل مع عدم معرفة المتأخر اما اذا لم تتحد تاامام والخاص والمطلق مع المقيد او ما تأخر تاريخه فلا معارضة ولا مناقضة لا شرعاً ولا

عقلا ولأن الآخذ بالدليلين هو المتيين والا للزم اهل احدها - واصل مثلاً
اشتراط التواتر انما هو في الوصف بالقرآنية الذي من احكامها المفرعة عليها التلاوة
في الصلاة ونحوها واثباتها في المصحف الى غير ذلك على خلاف مشهور في ذلك
لاهل العلم والنظر ولذلك نرى الحق عدم جواز نسخ السنة لفظ القرآن المثبت في
المصحف واما حكمه مع بقاء اللفظ فهو محل الخلاف والحق عندنا جواز نسخ الحكم
بالسنة الصحيحة لأن ثبوت الاحكام لا يشترط فيه التواتر كما سيأتي ولأن
اقتضاء الحكم للتكرار امر زائد على مفهوم مجرد الامر وكذلك الاستمرار كلاهما
شئني وخبر الآحاد اقل حالاته اذا كن صحيحا ان يكون ارجح لكن هل ذلك
واقع فعلا ام لا ؟ ولا شك ان من بعد غوره في قسه الدين يعرف ان ذلك لم يقع
وان السنة مينة ومفسرة لما دل القرآن عليه ولو بدلالات خفية او تأتي باحكام يكون
القرآن ساكتا عنها او زيادة على ما فيه وهذا اجمال يدرك النصف ما وراءه من
الفوائد اكتفينا به عن التفصيل والاطالة

تكلم حضرة الدكتور الفاضل في الكلمة الثالثة من رسالته على قوله تعالى « ما
تنسخ من آية أو نسخها نأت بغير منها او مثلها » الآية - وحول ان ثبت ان يكون
المراد بالآية المعجزة وقال انه على حد قوله تعالى « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجاً وذرية وما كن لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ، لكل اجل
كتاب » يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب »

اقول واعلم انه لم يقل أحد ممن يفسر القرآن بالمأثور ان مدلول الآية هي
المعجزة في الموضعين مما او ان معناها واحد كذلك والمعروف عنهم ان
هذه الآية في المعجزة وتلك في آيات الاحكام وسيأتي ان بعضهم حمل الالحاء
على نسخ آيات الاحكام أيضا عكس ما يقوله الدكتور الفاضل وقوله تعالى ما ننسخ
من آية أو نسخها قد عرفناك تفسير السلف لها في رسالتنا السابقة واما قوله تعالى « وما
كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله » فلا شك ان المراد بالآية فيها المعجزة خارقة
العادة فليس الى أي رسول الإتيان بها بل ذلك إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء
وبحكم ما يريد - فقله « لكل أجل كتاب » أي لكل مدة مضروبة كتاب

أي مكتوب « وكل شيء » عنده بمقدار « ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض أن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير » فالمراد بالكتاب ما يعم معلومات الله الكونية والشرعية الدينية بأن جعل لكل مدة مضروبة عنده كتابا — وبعض السلف قدرها بالسنة وقد اختلفوا في الحو والإثبات هل يكون في كل شيء أم في شيء دون شيء فقال بعضهم يمحو الله ما يشاء إلا الشفاء والسعادة والحياة والموت وقيل غير ذلك أيضا والذي دلّت عليه الأحاديث الصحاح أن ذلك كائن في كل شيء . واختلفوا هل هناك كتب وكتاب غير هذا أم لا وليس الاطالة في ذلك من غرضنا هنا فإن شئت ذلك فارجع اليه في مكانه — فهذان قولان في الكتاب ومدته والقول الثالث أن المراد بالكتاب كل كتاب أنزله الله من السماء على رسله وهو قول الضعيف بن مزاحم وكان يقول في قوله « لكل أجل كتاب » أي لكل كتاب أجل « يمحو الله ما يشاء » منها « ويثبت » يعني حتى نسخت كل القرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه . فقول الدكتور الفاضل يمحو الله ما يشاء من الآيات السابقة فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة إلى آخره قول مبتكر لم يدل عليه أثر ولا قاله أحد من السلف ولا ندري كيف أجاز لنفسه القول في كتاب الله برأيه

وقول معجزات الانبياء التي قد اظهرها الله لا يقال إنه محامها او نسخها بل يقال كتبهها وقدرها وفي الواقع اظهرها وأدماها وقد فرغ عنها — والحو انما يكون لما كتبه وقدره قبل وقوعه اذا لم يرقعه وما وقع فاما يقال كتبه وأوقعه طبق ما كتب فالدكتور غلط هنا في مواضع — وحاصله ان الكتاب في هذه الآية ان كان كتاب المقادير والمعلومات فالأحكام فيه لا يكون في المعجزات التي قد اظهرها الله لتأييد انبيائه وان كائن المراد به كتبه التي انزلها على انبيائه لكل أجل ما يناسبه من كتب الاحكام وآياتها فالآية نص في رد ما زعمه حضرته

اما قوله : واعلم ان نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها يعني قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك

ختمت بقوله تعالى «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» الى آخر ما قاله في هذا المعنى وأقول نحن قد ذكرنا تفسير السلف لهذه الآية في رسالتنا السابقة وهم الذين تلقوا عن رسول الله (ص) بيان القرآن وهم الذين شاهدوا الاسباب والوقائع وهم الذين نزل القرآن بلسانهم فتسيرهم للقرآن لا يجوز لنا الخروج عنه بالكلية وما ذكره الدكتور الفاضل واختاره هو لم يختره من أقوال السلف ولم يقل به أحد منهم وهم قد صرحوا بأن هذه الآية إنما نزلت في آيات الأحكام فحمل ذلك على المعجزات إنما هو من باب الخرص والقول بالرأي في كتاب الله وهو لا يجوز (هـ) فتفسير الآية في هذا المقام بالمعجزة فقط متعذر من حيث النقل وسياقها لا يقتضي ذلك وكذلك معناها ومدلولها لا يصح أن يكون هو المعجزة عقلاً

وما ذكر عن الأستاذ الامام شيخ الاسلام الملقب الشيخ محمد عبده رحمه الله فان صح عنه ذلك فعليه قاله من باب الاستنباط والاشارة والأيماء — زيادة على ما يدل عليه الظاهر — ذلك هو الواجب على الصادق في مراتبه . الأستاذ الامام وما أدراك ما مرتبته وفضله ومقداره بحجة أهل الحديث له في جميع الارض كيف لا وهو امامهم وحامل لوائهم الذي هزم الله به المبشرين وكسره به مولته المقلدين الجامدين . نصر الله به السنة وتابعاه وحفظوا به عن ضياعها سميت بعض الناس يقول ان الأستاذ الامام لا يقبل أحاديث الآحاد الصريح — فقلت له كيف علمت ذلك ؟ قال لانه قال في بعض كلامه ان لا يقبل الحديث إلا إذا تحققنا بوجود مكة والمدينة . فقلت له وبجك ما ذا تقول ان الأستاذ الامام رحمه الله يصح أن يتحقق الأحاديث الصحيحة ويخبرها كذلك وإذا اتسع علم الانسان ظهوره ما خفي على غيره وكل أئمة الحديث كذلك رحمه الله (هـ) بقية)

(هـ) المار : تفسير القرآن بالرأي عبارة عن تفسير آية له لا حول فأي رأي يتجمله أو مذهب يتقاده فهو بمعنى تفسيره بالمعنى . وليس معناه تفسيره بما يخالف لما أورد من الأولين ولا يمكن أن يكون هذا هو المراد بحديث انكار التفسير بالرأي على أن الحديث لا يصح والسلف قد فسروا القرآن بفهمهم وخالف فيه بعضهم بعضاً وأكثروا ماورد عنهم من ذلك لا يصح له سند وكلمة الامام احمد فيه مشهورة

الدولة العثمانية بعد الدستور

«جمعية الاتحاد والترقي»

تصريحات كامل باشا في سبب سقوط وزارته

نشر كامل باشا مقالاً طويلاً في سبب إسقاط الجمعية آياه من الصدارة بعد إخراجها هو ناظر الحرية واستقفاء ناظر البحرية من الوزارة وهما من أعضائها .
وانتا نفس ترجمته برمته للبيان في الحال والتاريخ في الاستقبال ، قال
كان يوم السبت الموافق ٣١ كانون ثاني « يناير » في مجلس المبعوثان يوماً عبوساً فظنوا بهبوب اعصار الافكار حتى ان بعض الاعضاء وبلغ عددهم زهاء السبعين تركوا المجلس وانصرفوا خذرا من تأثج هذه الزوبعة التي كانت منحصرة بين جدران دائرة المجلس المذكور وبينما كان الذين يباينهم خبرها في الخارج لا يصدقون بصحة وقوعها كان الذين داخل المجلس في غاية القلق والتأثر من السطوة التي يرونها من بعض الناس كانوا يتخللون صفوفهم وثمان كان يلقي على مسامعهم من ان تسكن هذا الهياج الذي دام نحو ساعتين لا يتأني الا باسقاط الوزارة التي كانت قد ضعفت باستقفاء ثلاثة من أعضائها وهذا لا يكون إلا باقرار المجلس على عدم الثقة بها . فلما رأى الاعضاء الحاضرون ذلك بادروا لحسم الازمة على الوجه الذي أريد منهم وأقروا على عدم الثقة بالوزارة ظنا منهم انهم خدموا بذلك سلامة الوطن والمملكة ولم يكن مبعث هذا الهياج الا المساعي الفظيمة التي بذلت في سبيل احداثه إذ بعث البعثات الخصوصية قبل ذلك الى أدنه وسلايك فاداعوا هناك ان الحكومة تقصد إعادة الحكم الاستبدادي وبذلك حركوا بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث وأهاجوا سخطهم

ثم أرسلوا باسم هؤلاء الضباط وسائل برقية إلى بعض انحاء السلطنة تشير بانهم (أي الضباط) مستعدون الوقوف امام كل حركة تبدر من الحكومة قهراً

بما ارجاع الحكم الاستبدادي كما انهم أوعزوا إلى بعض ضباط الاسطول بارسال رسالة برقية إلى مجلس المبعوثان يطلبون فيها عزل ناظر البحرية الذي تمين بالوكالة ويبلغون المجلس انهم لا يعرفون رئيسا لهم سوى مجلس الامة العثماني وقد تلي هذا التتفراف في المجلس وتم لم بذلك ما يقصدونه وهو اظهار المملكة في حالة فوضى امام الناس لذلك كنت أردت وقتئذ ان أبين ما بالمملكة من الاضرار من جراء هذه الازمة الفتنة والمقصودة قصدا وان أذيع المسائل المهمة والاسرار السياسية التي لا ضرر من افشائها وانما رأيت ان أوجل إيضاح ذلك الى وقت آخر أكثر مناسبة متظرا زوال هياج الافكار المار ذكره وها قد أتيت الآن بالإيضاح الموعود مقرونا بالأدلة الواضحة بقدر ما نسمح لي به الظروف في الحال وما يفرضه علي حسب تجنب المحاذير السياسية :

لا يخفى أنني كنت قد ذهبت بالذات إلى المجلس النيابي في أوائل انعقاده وأوضحت امام الاعضاء برنامج الوزارة السامي الذي حاز وقتئذ قبول الهيئة المحترمة ورضاه وودعت الوزارة بأنها تسير على مبدأ هذا البرنامج مع ان القانون الاساسي لم يصرح بشيء عن دعوة الصدر الاعظم وشيخ الاسلام للاستيضاح منها عن بعض الامور وانما فعلت ذلك بقصد خالص من كل الشوائب تطبيقا لمصالح البلاد على الحكم الشوروي الحقيقي ومراعاة للإدارة الدستورية ولوضع مثال للمستقبل

ولا يؤخذ من ذلك انه يتحتم على الصدر الاعظم ان يحضر الى المجلس في الساعة واليوم اللذين يطلب فيها كما انه لا يفهم من طلب تأخير الصدر مجددا الايضاح بضعة أيام انه يريد بذلك إلغاء هذا الاختصاص الذي أعطاه القانون الاساسي للنظار بناء على حكمة كبيرة والوارد في جميع قوانين الدول الدستورية الاساسية . ان الاصرار في هذا الباب بعد خرقا صريحا لاحكام القانون الاساسي . وقد كنت عزمت عند ما وصلتني رسالة الدعوة من رئاسة مجلس المبعوثان في مساء يوم الخميس الموافق ٢٩ كانون الثاني (يناير) ان أذهب في اليوم المطلوب الى المجلس للاجابة على الاستيضاح حذرا من اخلال الاحوال الموضوعة ولكنه جاء في اليوم التالي (الجمعة) رسول من قبل سفير روسيا يخبرني بأن السفير سيحضر يوم السبت الى

الباب العالي لمقابتي وللمذاكرة معي في المسألة البلغارية حسب تفراف ورد هليه من بطرسبرج وفي الحقيقة حضر السفير المشار اليه في اليوم المذكور - فلجل ذلك ولاشتغالي ببعض مسائل سياسية مهمة كتبت إلى رئيس المجلس بإرجاء موعد الايضاح إلى يوم الثلاثاء المقبل

وبعد عصر يوم السبت المذكور وردت علي رسالة من رئيس مجلس المبعوثان يقول فيها انه بناء على بعض إشاعات وصلت إلى مسامع المجلس هاجت أفكار الأعضاء وهو يرى من الضروري ذهابي في الحال إلى البرلمان لاعطاء الايضاح اللازم فككتبت الى الرئيس جوابا قلت فيه ان الاشاعات التي بلغت المجلس عارية عن الاهمية وان لا أصل للمرة لما قبل من حدوث هياج في المدينة واني سأحضر الى المجلس يوم الاربعاء وكان قصدي من هذا الإرجاء (أولا) ان توصل بما عندنا من الزمن الى ربط المسائل السياسية المهمة الماسة بمرافق الدولة الحيوية بالاصول التي كنا تصورناها الى هذا اليوم (ثانيا) ان أتمكن من إستخراج الوثائق الرسمية من مخافطها (دوسياتها) استعدادا للايضاح أمام المجلس وتقديمها لهُيأة المبعوثان بصورة غير علنية حتى يتقنع الاعضاء بصفة قطعية بما سأقوله :

ورد بعد قليل رسالة ثانية من رئاسة المجلس فأعدت جوابي الاول بايضاح أكثر فلم يأت بفائدة ، بل أرسل أحمد رضا بك بضرورة حضوري الى المجلس لبيان الايضاح المطلوب نظرا لهياج الأمة والمجلس الناشء من تبديل بعض النظار وما عقبه من اشاعة الخلع الكاذبة (أي خلع السلطان) واستعفاء بعض النظار مما جعل سياسة الدولة في الخارج والداخل في حالة غموض وإيهام

فلما رأيت هياج الافكار الذي كان منحصرا فقط في اعضاء المجلس دون الاهالي أي لا أثر له في الخارج باشرت التحقيق في الحال لأقف على الطرق والساعي التي بذلت في سبيل احداث هذا الشغب وعلمت أنه ازداد عدد الحزب المعارض لي في المجلس وما تقرر لديهم من أمر معاملي في حالة ذهابي مما يسبب حدوث أمور غر مرضية تخط بقدر مجلس المبعوثان - فتجنبا لذلك كله كتبت الى الرئيس أعلمه أنني مستعد لتقديم الاستقالة من منصبني الى الحضرة السلطانية اذا لم يراجع

نص المادة ٣٨ من القانون الاساسي ملقيا بتمه ما ينشأ من الاضطراب داخلا وخارجا على عائق الذين كانوا السبب في حدوثها . فليأت الجواب وحصل ما حصل في المجلس من الامور الغريبة . وقد جذبت الاحوال المذكورة انظار الاجانب الذين كانوا موجودين وقتئذ في دائرة المجلس واستوقفت ابصارهم الطرق والوسائل غير القانونية التي اتخذت للوصول الى اجبار الاعضاء على التصويت ضدي واعطاء قرار بعدم الثقة بي كما ان شيوع هذه الامور التي هي بمكان من الترابية قد شغل افكار الجمهور

وزد على هذه الحالة الخلة بالقانون بصفة خصوصية ذهاب رئيس مجلس المبعوثان مساء اليوم المذكور وبرقته بعض اعضاء المجلس الى القصر السلطاني وطلبه من الحضرة السلطانية فصلي من منصبي قبل ان استقبل منه وتعيين خلفي الذي رشحته الجمعية (جمعية الاتحاد والترقي) من قبل ومن الامور التي تستدعي دقة النظر المنشور السلطاني الذي استصدروه بتوجيه منصب الصدارة العظمى على حسين حلي باشا والذي تلي في الباب العالي إذ ورد فيه هذه الجملة بحروفها :

« بناء على انفصال كامل باشا حسب الايجاب من منصب الصدارة » وهو مثل ما كان يحصل في الزمن الاستبدادي عند فصل الصدور من مناصبهم بناء على دسائس اصحاب الاغراض مع انه كان يجب ان ينظر انفصالي على استعفاي وسبب هذا الهياج الذي لم يكن لوجود لو لم يحدئه البعض عن قصده وتعيين ضيا باشا في منصب نظارة المعارف التي كانت شاغرة من قبل وتعيين حسن باشا من امراء الجند البحري في منصب نظارة البحرية بالوكالة بدلا عن عارف باشا الذي استقال وترك الخدمة بصفة رسمية وتعيين علي رضا باشا ناظر الحرية مندوبا ساميا للدولة في القطر المصري نظرا لبعض الايجابيات السياسية الواردة فيما بعد وتعيين ناظم باشا قائد الغنابق الثاني في منصب نظارة الحرية بدلا عنه

ولما كان تأليف الوزارة من حقوق انصدر الاعظم الذي يرفع الى الحضرة السلطانية أسماء من يعتقد قدرتهم وكفايتهم لتولي مناصب النظارات كنت أرى وجوب

الاعتراض على التبديل الذي حصل في الوزارة وقتئذ كما وقع قبله بتبديل نظار الداخلية والمعارف والاوقاف والعدلية ورئيس شوري الدولة حسبما ظهر انه المصلحة ولم يفسد احد بينت شفة اعتراضا على ذلك

وقد ظهر فيما بعد ان سهم الاعتراض في التبدلات الوزارية الاخيرة كان مصوبا بوجه خاص الى تعيين نازم باشا في منصب نظارة الحرية حتى انه في مساء اليوم الذي كان تعيين فيه المشار اليه ناظرا لوزارة الحرب حضر الي رجل يدعى نازم بك من جمعية الاتحاد والترقي وكانت امارات القلق واضطراب البال بادية على وجهه وقال ان الجمعية تستغرب تبديل بعض الوكلاء (النظار) وتستوضح منكم جليلة هذا الامر الذي حدث من غير ان يكون عندها علم به فاجبته بأن ليس في الامر ما يوجب كل هذا الاستغراب. وفي اليوم التالي اجتمع مجلس الوكلاء واشتغلنا برؤية الامور حسب العادة وزدنا عليها المذاكرة في الاحوال المهمة السياسية وافترق أعضاء الوزارة في الساعة ٢ ونصف (بالحساب العربي) وكانهم على اتفاق تام ولم يتصرف الليل الا ووردت استقالة حسين حلمي باشا من نظارة الداخلية وفي اليوم التالي استقال رفيق بك ناظر العدلية وعقبه ورود استقالة حسين فهمي باشا و يظهر ان استعفاء هؤلاء الوزراء من مناصبهم لم يكن نتيجة اتفاق بينهم اذ لا يعقل ان يكونوا اجتمعوا في تلك الليلة ليقعوا على الاستقالة بعد الشقة بين مساكنتهم التي يحول بينها البحر ولكن كان حسب مشورة ونفوذ رجال القيب (أي جمعية الاتحاد والترقي) ولقد بذلت المساعي في حمل توفيق باشا ناظر الخارجية على الاستقالة اسوة بزملائه المستقيلين ولكن الرجل رفض الاستقالة غير متأثر بنفوذ أصحاب هذه المساعي. ويروى ان سبب استعفاء الوزراء المشار اليهم هو تبديل وزيرى الحرب والبحر على ان وزير البحرية استقال من تلقاء نفسه وكتاب الاستعفاء الذي رفعه الى الصدارة محفوظ في قلم الاوراق والذي سمي بدلا عنه لم يبين الا بالوكالة فقط. اذن لاوجه ألبتة القليل والقال في هذه المسئلة. وأما مسألة تعيين علي رضا باشا مندوبا في القطر المصري واقامة نازم باشا ناظرا للحرية بدلا عنه فساوضحها فيما بعد مقرونة بالاسباب التي أوجبت هذا التبديل

وفي الحقيقة انه لم يكن هناك موجب لاستعفاء النظار الثلاثة كل على حدة وهم

خارج المجلس بل لو كان زملائي النظاراتأوا أثناء المذكرات وهم في المجلس ان تبديل
ناظر الحرية بخلاف قواعد الشورى والدستور ومضر بمرافق الدولة لكنك اقدم
استغالي في الحال هربا من الوقوع تحت تبعه التهلكة وانخطر الذين كنت أراهما
يتخللان تيارات الأحوال الحاضرة . ولكن الحقيقة لم تكن كذلك بل كان القصد من
إجبار هؤلاء النظار على الاستقالة (من قبل رجال القيص) انما هو اظهار الحالة الحاضرة
بمظهر الاضطراب وان يعمدوا بذلك وسيلة لاحداث احياس المطلب في مجلس المبعوثان
ولا يضاح الامور التي أوجبت تبديل ناظر الحرية . يجب قبل كل شيء ان
اذكر الحقيقة الآتية :

كان بعض الفتيان أو ذوي الافكار الفنية من المستخدمين المملكين أو الضباط
العسكريين وأصحاب الكلمة النافذة من الذين اتسبوا بعد اعلان القانون الاساسي
الى جمعية الاتحاد التي لها الخدمات المشكورة في إعادة الحسك الدستوري جهسوا
ديندهم وضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة الى أن تتأيد الحكومة الدستورية
وذلك خوفا من عودة الاستبداد على زعمهم . على ان جميع العناصر العثمانية قبلت
أصول الشورى بكمال الحمد والشكران والسرور واثبتوا انه لم يكن لوجود بينهم من
يريد الرجوع الى الحكم الاستبدادي كما ان الجنود العثمانية كلها أقسمت وتعاهدت
على الذود عن أحكام القانون الاساسي فلا موجب والحالة هذه لوضع ادارة
الحكومة تحت السيطرة والمراقبة المار ذكرهما . ومع هذا البداهة كانت المداخلات
باسم الجمعية في شؤون الحكومة تتوالى وهو الامر الذي أدخل بانتظام ادارة الحكومة
وعرقل مساعيها جدا ووضع العقبات في سبيل معاملاتها وأوجب طرء الضعف على القوة
الاجرائية من مداخلات الجمعية التي تألفت في الولايات العثمانية واختل من جراء
ذلك امر الضبط والربط والنظام كما ان اقسام الضباط الذين هم هم القوة الحركية في
الفيلقين الثاني والثالث الى قسمين ووقع خلاف بين الذين ينسبون الى الجمعية
والذين لا ينسبون اليها أدى الى الإخلال بالنظام العسكري

ولا يخفى انه بمقدار ما تراعى فيالقنا النظام العسكري ويكون جنودها يدا واحدة
في اتحادهم بما يشبه الجسم الواحد بمقدار ذلك يكون انتابرها في الاعداء وتنكير

شرتهم وبعكس ذلك يتجراً المدو على تجاوز حده ويتعد ويطلقى ومن جهة ثانية لا يعود في قدرة الجيش قمع الفتن الداخلية فلذلك كله كان الواجب على الضباط ان يتجنبوا الاشتغال بالسياسة وان يعتمدوا عنها وان يراعوا سلسلة المراتب حسب ما نص عليه القانون ولكن بدلا عن ذلك صار الضباط يهقون الخطب السياسية في الملاهي « قونسر » والاجتماعات والمظاهرات وانشأوا يقيمون المناورات الحربية والاستعراضات العسكرية في المراسح فكنت ترى فرق الجند العثماني تمر بأسلحتها وضباطها من امام المتفرجين في مراسح التشخيص وهو مما يحط بالشرف العسكري وكل ذلك كان منشؤه ضعف ارادة علي رضا باشا ناظر الحرية المطلوب منه حسب وظيفته منع كل هاته الامور الخلة بنظام الجيش والذي لم يكن ليقدر على تنفيذ أوامره وتنبهاته بإزاء نفوذ كلمة الضباط المنتمين للجمعية . على اني اشهد أن علي رضا باشا رجل على غاية من الاستقامة والحلم ولكنه غير قادر على الوقوف امام حركة الضباط التي اخلت بنظام الجيش كما مر ذكره آنفا فحفظا لشرف الجيش واعادة النظام والانتظام الى صفوفه تقرر تعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني الذي اثبتت اقدره باصلاح الفيلق المذكور واعادة النظام اليه في مدة لا تزيد عن الشهرين ناظرا لحرية وبودر في الحال لانفاذ هذا القرار وهو الوسيلة الوحيدة لسلامة الامة والوطن ولكن جمعية الاتحاد والترقي التي لا تريد الا استبقاء نفوذها اجبرت زملائي الركلاء « انظلو » على الاستعفاء واخذت مجلس المبعوثان تحت امرها وبذلك اعدت الوسائل اللازمة لاسقاط وزارتي . وهنا يجب ان اسرد بعض امور حدثت قبل سقوطي وكانت مقدمة لإثارة الافكار ضدي فكانت السبب في انفعال الجمعية مني واليك الاسباب

كنت من زمن حدوث الانقلاب اروج بقدر الامكان والزمان اقتراحات من كان رجعي بصفته عضوا في الجمعية واستمر الحال كذلك الى ان حضر ليلة الى منزلي « وذلك قبيل افتتاح مجلس المبعوثان بأسبوعين » البكاشي اسمعيل حقي بخت ومعه رجعي بك الذي يدعي انه قائم مقام الوكيل السياسي عن الجمعية وقال ان

الجمعية لا تدخر وسعا في اكرام اعضاء اللجنة البلقانية الانكليزية المؤسسة في لندره الذين حضروا اخبارا الى الاستانة وانه صار دعوتهم لولية عشاء بحضورها نهار غد في منزلي ١١ فقلت لهم اني اجول وصول هو لا . الاعضاء الى الاستانة ولا اعلم مركزهم ومنزلتهم في بلادهم لعدم ورود شيء يعرفني عن ذلك لامن سفير الدولة في لندره ولا من سفير انكلترا هنا فأستغرب دعوتكم لاشخاص لا معرفة لي بهم ، ولم يسبق المقابلة معهم ، الى تناول العشاء في منزلي من غير ان يكون عندي علم بذلك كأنكم تدعونهم الى فندق وهو أمر لا استصوبه لعدم موافقته للاصول بل يجب ان اتعرف بهم قبل كل شيء واقابلهم وبعد ذلك أعد لهم الولية في يوم معين اتحد اسماعيل حقي بك ورفيقاه من كلاسي هذا وخرجا من المنزل وذهبا في الساعة الرابعة من الليلة المذكورة نفسها الى القصر السلطاني وقابلا احد قراء الحضرة السلطانية وقال له : « اعرض الآن حضرة السلطان ان يسترجع الختم السلطاني من الصدر الاعظم » أي ان يعزله « والا نذهب غداً بالقوة العسكرية الى الباب العالي ونخرجه منها قسرا على أنه قد تقرر أن يعزل في أول اجتماع من مجلس المبعوثان » فقال هذا الكلام القرين فأجابهم قائلا : « وما السبب في ذلك ؟ اني لا استطيع عرض هذه المسألة على جلالتهم في مثل هذا الوقت فلاحسن أن نحضرا غدا لنفهم ما في الامر ونعرضه على الحضرة السلطانية . »

وعلى ذلك ذهبا وعادا في اليوم التالي ويرفقتها ضابط آخر واجتمعت بهم بدعوة خصوصية حسب الارادة السنية الصادرة لي وكانت معنا أحد القراء فسألهم من قبل من أرسلوا ؟ فقالوا انهم حضروا من قبل الجمعية فقلت لهم هل الجمعية راضية عن مراجعتكم للحضرة السلطانية في مثل هذا الطلب ؟ اجابوا نعم ان الجمعية توافق على كل ما نتمسك به عند ذلك أعدت ما قلته لهم في الليل من عدم موافقة اقتراحهم في مسألة الدعوة وزدت عليه ان عزل الصدر الاعظم بلا سبب ودون ان يستقيل هو محل بما نصه القانون الاساسي وان خدمتي الآن في هذا الزمن المحفوف بالمخاطر ليس الانقادياني في حب الوطن وليس لأجل التفاخر ولا لجر منفعة . قلت هذا الكلام بشدة واشتمزاز قداما واقصرقوا من غير ان يفوهوا ولا بكلمة

و بعد ذلك صدرت ادارة سنية تليفها بالواسطة بوجوب دعوة اعضاء اللجنة البلقانية المذكورة الى الشاي بعد حصول التعارف بهم وصادف أن حضر الاعضاء الموما اليهم الى الباب العالي حيث زاروني وكان عددهم اثني عشر بين ذكور واثنا عشر فتدعوهم لتناول العشاء في اليوم التالي عندي حيث حضروا هذه المأدبة كما حضرها ايضا بعض اعضاء جمعية الاتحاد والترقي فكان عدد الجميع ٢٤ مدعوا ما عدا رحبي بك الذي لم يشأ أن يحضرها

واللجنة البلقانية هذه كانت تألفت من بعض وجوه ومعتبري الانكليز بقصد انساني ألا وهو تذكير الحكومة الانكليزية بحماية السكان البلغاريين من أهالي مقدونية من مظالم العثمانيين وقد طاف بعض اعضائها القطر المقدوني بعد الانقلاب ليتحققوا بأنفسهم عما اذا كان البلغاريون لا يزالون في حاجة الى الحماية الأجنبية ثم حضروا الى الاستانة وقد قصدت جمعيتنا باكرام هؤلاء الاعضاء أن تقيم الحجة لهم على الاخوة التي حصلت بين المسلمين والبلغار وان تكسب بذلك رضا اللجنة المذكورة ونحوز بواسطتها انعطاف الامة الانكليزية على ان الامة العثمانية كانت قد اكتسبت حسن نظر وانعطاف الشعب الانكليزي العظيم بما أظهرته عقب انقلابنا السعيد من الاستعداد لادارة دستورية سالمة

وهنا يجب علي أن اترك الحكم الى أرباب الفكر والاذعان في مسئلة الذهاب الى القصر السلطاني وطلب اسقاط الوزارة من أجل اني رفضت طلب دعوة أشخاص الى منزل صدر اعظم بدون اذنه ولم يسبق التعارف بهم بما هو مخالف لأصول وآداب المباشرة ولاي قابلية هذا الطلب الغريب بصورة مقبولة وهذا أمر جدير بتوجيه الانظار اليه

لذلك صرفت الجمعية كثيرا من المساعي لاسقاط الوزارة عقب انعقاد مجلس المبعوثان ولكنها اخفقت امام ميل الرأي العام الطيبعي ولما رأته الجمعية ذلك وعلمت أن لا قبل لها بالوقوف امام الرأي العام أوفدت من قبلها طلعت بك بك وانور بك فحضرا الي ليلة وأبلغاني بأنه تقرر أن يكون السير حسب رأي فشكلهم

على قرارهم هذا وقلت لهم انا كلنا جسم واحد فيجب أن نسمى معا في سبيل خدمة
الامة والدولة .

مضى ١٥ يوما على ذلك فصادف ان احتفلت فرقة الاحرار في عيد مضي ٦١٠
سنوات على استقلال الدولة العثمانية فدعيت الوزارة أيضا الى المادبة التي اقيمت
لأول مرة في (برالاس) فرأيت ان أحضر هذا الاحتفال احتراماً لذلك اليوم
القدس فلم يرق ذلك في نظر الجمعية فأوقفت إلي احمد رضا بك في اليوم التالي
فاشار في كلامه معي الى عدم استحسان ذهابي الى الحفلة المذكورة فقالت له اني
بصفتي رئيس الوكلاء (النظار) يجب علي أن احضر الاحتفالات التي قام من قبل
أي حزب كانت تذكارا لتشل هذه الاعياد الوطنية المقدسة ، وان
هذا أمراً طبعياً . فزاد كلامي هذا في موجدة الجمعية علي وجدد حرازاها وصارت
تنظر الفرصة لاسقاطي حتي تقرر تعيين رجل نشيط نادر المثال مثل ناظم باشا في
منصب نظارة الحرية وعلمت الجمعية ان النظام العسكري سيعود قريبا الى ربوع
الجيش بواسطة الناظر الجديد فلم يرق في نظرها ذلك فأحدثت الهياج المار ذكره .

على ان التدخل من هذه الازمات الخطرة والرجوع الى الحالة الطبيعية مع
توقي الضرر والمهلكة هو من وظائف الحكومة المسؤولة امام المصوم والحيولة بين
الحكومة وبين اداء هذه الوظيفة هو بمعنى الرضا بالمهلكة وقبولها . واذا كانت
الحكومة العثمانية لا تستند الى مجلس نيابي يحوز اعضاؤه على حرية الفكر فانه
لا يمكن الوقوف امام المخاطر والمهلك الآتية . واذا أصرت الجمعية على التمسك
بنيار نفوذها هذا واستمرت في السير معه فالنتيجة تكون بجهولة بسبب مضادة الرأي
العالم للسير على المنوال المذكور وذهاب الضباط وامراء الجند مذاهب شتى

على ان الحكومة العثمانية تهرب شيئا فشيئا من مستلئين سياسيين مهمتين إذا لم تنحسما
بالطرق الحكيمة الضرورية في زمن غير بعيد يخشى من أن تهدد الدولة نفسها أمام
غائلة كبيرة . الاولى مشكلة كريد وقد كانت الحكومة وقتئذ اتخذت الوسائل اللازمة
التي توصل الى حلها حلاً بواقع مصالح الدولة العثمانية واهالي الجزيرة وهو جدير بمهارة

الدول الاربع الحامية لكريد . ولا أدري بالنظر الى الحالة الحاضرة في أي طور ستدخل هذه المسئلة المهمة الآن

واما الثانية وهي المسئلة البلقانية فهي أهم من مسئلة كريد وقد زاد مركزنا اشكالا فيها نظارب المصالح السياسية بين الروسية والنس في هذه الآونة فاذا لم يحكم مركزنا هذا في الوقت اللازم باستعمال الوسائل الرشيدة كانت العاقبة وخيمة جدا علينا ولا ينبغي أن اتقو أساس كل شيء فاذا كان ناظر خارجية إحدى الدول لم يشأ قبول اقتراح سفير دولة أخرى كان من الواجب أن يظهر لمان ٣٠٠ الف حربة وراء ذلك الناظر مستعدة لنصرته كما قاله البرنس ميترنيخ ناظر خارجية النمسا السابق « لرفعت باشا مندوب الدولة العثمانية السامي ولو كان عندنا في شهر اغسطس الماضي قوة مهيأة مجبرة للدفاع عن مراققنا في الروم ايلى لما كانت بلغاريا تجرأت على اعلان استقلالها ولما اقدمت النمسا على ضم البوسنة والهرسك لبلادها وهذا الحلال يمكن تطبيقه في المستقبل فاذا اهلكت قوتنا الحرية كما كانت اهلكت من قبل لا يمكن الدولة من الوقوف في وجه الاعداء وتخرج بلاد الدولة العثمانية قطرا بعد قطر من يدها وهذا ثابت بدليل حدوث أمثاله مرارا لذا رأيت تعيين ناظم باشا المشهور بقدرته على اصلاح جيشنا في بضعة شهور ناظرا للحرية امراضوريا ليتمكن الاصلاح في مدة قليلة قبل فوات الوقت. أفلا بعد الوقوف في سبيل الحكومة لمنها من اصلاح كذا ضارا ومروجا لمقاصد الذين يرجعون اغراضهم الشخصية على مصالح الدولة إن اعلان الدستور الذي كان نتيجة مساع عظيمة صرفت في هذه السبيل اكسب الدولة انعطاف اوربا عليها واطمئنانها اليها والثقة بها فاخذ أصحاب رموس الاموال يوفدون وكلاءهم الى الاسنانة والبعض منهم حضر بنفسه للقيام بالمشروعات المفيدة الاقتصادية النافعة للبلاد مثل انشاء الخطوط الحديدية وارواء الاراضي من الانهار واستثمار المناجم والمعادن وتخفيف المستنقعات والبرك مما يستلزم بذل الملايين في البلاد العثمانية وبذلك يجد المهوزون والفقراء من سكان البلاد الذين كثيرا ما يلجأون بسبب ضيق ذات اليد الى ارتكاب المحرمات شغلا بأجر وقيروفرلم أسباب الميشة ويكفى الحكومة مؤنة الاهتمام بهم وبجرائمهم المضرة بالسكان والبلاد

الناشئة عن الفقر والاحتياج . ولكن اختلال النظام في المملكة المتأني من تغير شكل الحكومة ودخول ادارة السلطنة تحت نفوذ جمعية غير مسئولة مما لم يحصل مثله في الممالك المتشدنة استوجب بكل اسف انسلاب ثقة اوروبا وعدول ارباب دعوس الاموال من القريين عن ارسال ملاينهم الى البلاد العثمانية انتظارا لرجوع المياه الى مجاريها الطبيعية واستتباب الامن في البلاد تحت إدارة حكومة شرعية يرتاح اليها ارباب الاموال وقد كنا آملين ان تساعد زيادة الإيرادات المنتظر حصولها من المشروعات الاقتصادية المار ذكرها ومن احتكار بعض البضائع التجارية الواردة في البروتوكول العثماني النمساوي وتزويد رسم الجمارك على سد العجز الذي في الميزانية العمومية

وأما الآن فان المرء يتساءل كيف يمكن للدولة ان تقوم بادارة حركتها مع قصص الملايين في ميزانيتها ومع عدم وجود الامل في زيادة الإيرادات بالنظر لامتناع ارباب الاموال عن انفاذ المشروعات الاقتصادية في المملكة واخال ان الدول لا ترضى بسبب حالتها هذه بزيادة رسم الجمارك وترويج اقتراح الدولة في مسألة الاحتكار خصوصا وان الحكومة مضطرة لاغاشه اكثر من ٢٥٠ الف جندي في هذا الزمن السلمي ولا نستطيع تخفيض هذا العدد بسبب القلاقل الضاربة اطنابها في المملكة وقدان الامن في انحاءها وعدم مساعدة احوال الدولة المالية لانفاق كل هذه المبالغ بصورة دائمة وليس في الامكان مع الحال الحاضرة ايجاد منابع ايراد لها كل هذا يجعل المرء في حيرة من حالة الدولة وكيفية ادارتها مع ماهي عليه من التضعف المالي . ولو زال هذا الارتباك وحل محله النظام وعادت المياه الى مجاريها الطبيعية لاستتب الامن والراحة في المملكة . ويمكن حينئذ صرف عدد كبير من الجند وادارة ما بقي منه ضمن دائرة الميزانية كما ان الجنود التي لازوم لها تنصرف الى الاشتغال بالزراعة والفلاحة في بلادها فيزيد بذلك المحصول في المملكة ولكن هذه الملاحظات بعيدة جدا على ما أرى عن نظر والامعان كان قد ذكر على الألسن في الايام التي دعيت فيها الى الذهاب لمجلس المبعوثان اشاعة الخلع (أي خلع السلطان) فقد انصل بناخبر من هذا القبيل عند ما كن

ناظر الداخلية ملازما لقراشه من مرض أصابه وقد صار حينئذ اتخاذ كل الطرق اللازمة لمعرفة ما اذا كانت هذه الاشاعة حقيقة أم هي فرية من المقتربات التي نشرت في الجرائد الاوربية وفي ذلك الوقت نفسه أشيعت أوجوة أخرى بأننا نناظم باشا نريد إعادة الحكم الاستبدادي وأرسل بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث رسائل برقية إلى بعض البلاد في المعنى المذكور واستدلوا على ذلك بطلب إعادة توأير الصيادة الى الفيلق الثالث على أن لا أصل البتة لكل ما قيل من هذا القبيل والحقيقة هي أن السكان المسلمين الذين هالم خبر تسليح الحكومة اليونانية للأروام القاطنين قرب الحدود في ولاية يانيا قد طلبوا من الحكومة إرسال أربعة توأير في أسرع ما يمكن كما أنه قد وردت برقيات من أهالي تلك الجهات الى نوابهم في مجلس المعونان في هذا المعنى نفسه وزادوا على ذلك أن أهالي (قاقاندن) تسلحوا واجتمعوا وانهم مستعدون للقيام بما يجب عمله اذا لم تحضر الجنود في الحال

فناء عليه صدر الأمر الى نظارة الحربية بوجوب إرسال أربعة توأير من الفيلق الثالث الى يانيا وأنه اذا لوحظ أن أخذ أربعة توأير من الفيلق المذكور يؤدي الى إضعاف قواه العمومية — خصوصا وأن كثيرا من جنده كان قد أرسل طاشليجه لتقوية الحدود المصرية لقاء هياج المصريين وقتئذ — فلا بأس من إعادة التوأير التابعة للفيلق الثالث والمرابطين الآن في الاستانة. هذا هو الأمر الصادر الى نظارة الحربية وقد أجاب ناظم باشا عليه قائلا أن الفيلق الثالث أجاب بأنه لا يمكن أخذ جند فوق ما أخذ قبل من قوى فوق الفيلق وأن المسألة انحصرت بتدبير أخرى بلا حاجة إلى إرسال الجند الى يانيا

بقي علي أن اشرح بعض تقطفي مسألة رغبتنا في إعادة الحكم الاستبدادي فاقول: إنني عندما كنت صدرا أعظم للمرة الثانية قبل ١٤ سنة وجدت تغيرا عظيما في أصول الادارة ورأيت أن نتيجة شكل الادارة على هذا النمط سيكون وبالاعلى الدولة. فرفعت في الحال تقريرا مفصلا الى الحضرة السلطانية وطلبت من جلالها أن تسلم الادارة لهيئة عمومية تكون مسئولة أمام العوم وأن تستريح من عناء الأعمال فقبلت الحضرة السلطانية كل ما عرضته وصدرت الارادة السنية بتأليف الوزارة

حسبما ورد في التقرير الآنف الذكر . ولكن لم يمض يومان الا وصار فصلي بصورة غريبة من الصدارة بناء على افساد بعض المقررين الذين يرجحون منافهم الشخصية على صوالح الوطن والامة وعينت واليا على حلب بقرار من مجلس الوكلاء (النظار) ثم نفيت الى ازمير فقيت هناك ١٢ سنة وأنا اذوق الامر من من الفسدة الذين سلطوا علي عن قصد . وفي النهاية صدر الامر بنفي الى رودس حسب تسويات اصحاب المآرب

كل هذا يعرفه الجمهور كما يعرف كيفية خلاصي من النفي المؤبد الاخير الى رودس وحضوري الى الاستانة . ولو فدى اخلاقي قليلا من مصالحهم في سبيل صالح الوطن وساروا على الطريق الوطني الذي سمرت عليه أنا لما دامت الادارة السابقة ودام معها تخريب البلاد

وأما اتهام ناظم باشا معي بأنه يريد إعادة الحكم الاستبدادي فيكفي لدحض ما قيل فيه أن أقول إن الرجل نفي الى ارزنجان بسبب طفيف بعد أن جرد من رتبته وألقاه وألقي في غيابة السجن وقضى على هذا الحال سبع سنوات هناك وهو لا يملك بارة واحدة وعائلته واولاده يئنون تحت أثقال الجوع والفقر ولم يعد الى الاستانة الا بعد اعلان الدستور مما ثبت أن ما أشيع في حقنا نحن الاثنين كذب واقترأ شنيع

اني لم أقبل منصب الصدارة الذي استندته الحضرة السلطانية إلي وأنا في هذا السن عقب اعلان الدستور وفي زمن سخط الرأي العام على الادارة السابقة وتوجيه الاهداف الافكار التي بلغت متهى التبعيع والقيام بما يجب على حسب الحية الوطنية من المساعدة على تأسيس الحكم الدستوري مستعينا على ذلك بتوقيعات الله الصمدانية ولم يكن لي ارب في حيازة المناصب قط . واني أتني لأخلفي أن يؤدوا الخدمات النافعة للوطن المقدس والامة والدولة وهم يمدون عن كل تأثير ونفوذ واختم كلامي بتحويل قرار عدم الثقة بي الصادر من مجلس المبعوثان وتهديره على الرأي العام المادلي

الصدر الاعظم السابق

كامل

الدستور وجمعية الاتحاد والترقي

﴿ وسائل الجمعيات ﴾

أعلن الدستور العثماني منذ بضعة أشهر ففتحنا له مع القاتنين ، ورحبنا به مع
المرحبين ، وهما به سرورا وشغفا ، وملأنا ديار مصر وسورية مقالات فيه وخطبا ،
ولكن سرورنا به لم يكن سالما من كل شائبة ، ورجاءنا فيه لم يكن خلوا من كل
غشافة ، فقد أودعنا المقالة الأولى التي أنشأناها في الأسبوع الأول من اعلان الدستور
ترحيبا به هذه الجمل (راجع ص ۱۷ و ۱۱)

۱ — « فالواجب على هذه الجمعيات المدبرة ، والقوى المنفذة ، ان تكفل
الدستور الذي نالته الامة حتى تأمن عليه من دسائس اعوان الاستبداد ، الذين
قاموا بتنظيم حكومة الجواسيس أعظم قيام ، وأول عمل يجب عليها هو السعي لإبعاد
اعوان الاستبداد عن دار السلطنة — لاعن دار السلطان فقط — ومحاكمة من
يمكن ان يسترد منهم العدل ، ما وهبهم الجور والظلم ، وتشكيل وزارة حرة تقوم
بأعباء السلطنة ، وتنقي الولاة والمتصرفين والقضاة ورؤساء العدلية من اخيار
الأحرار ، الذين يرجى ان تصلح بهم الادارة ويستقيم القضاء ، ويحفظ الامن ،
ويستقر العدل ، لتندفع الامة الى الاعمال النافعة في ظل الدستور الظليل ، ثم العناية
بأمر انتخاب النواب الخ ... »

۲ — « إذا نحن كفينا شر المستبدين الأولين ، ونفنا وزارة من الاحرار
المستقلين ، فالواجب علينا ان نقف عند هذا الحد من المطالب في العاصمة وأن نعود
السوف إلى أعمادها ، ونصرف الضباط الى سابق شأنها ، مع احكام الروابط
الخفية ، بينها وبين الجمعيات السياسية ، ويتوجه الاحرار الى اصلاح حال المملكة ،
بجميع الوسائل الممكنة ، والحذر والحذر ، من هواقب نشوة الظفر ، الحذر والحذر

من إهانة شخص السلطان ، والتسليق إلى عرشه بالبغي والعدوان ، فما دام السلطان مستويا على عرشه فهو رئيس الامة ومرجع سلطتها ، ومنفذ قوانينها وشريعتها ، والوزارة هي الواسطة بينها وبينه ، فاعتداء المرسوم على الرئيس بإدلال القوة ، دون القانون والشرعية ، مجلبة للفوضى ومدعاة للخلل ، ويخشى في مثل الحال التي نحن فيها ان يفضي إلى الخطر « الخ

٣ - « ان افصل ما نفاخر به الآن هو اننا نلنا الدستور من غير اوراق للدماء ولا إيقاع للبلاد في فوضى الثورة ، ولا غير ذلك مما يذم ويكره ، فيجب أن نحافظ على هذه الفضيلة ، وان لا نرتكب في طلب الفرع ، ما عصمنا الله في طلب الاصل ، عسى ان يكون تاريخنا في هذا الطور انظف من تاريخ جيراننا فيه »

٤ - « إن اماننا عقبات كثيرة منها ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية التي يرقص لها طالاب الدستور طربا ، ويهيمنون بها شغفا ، ومنها ما هو اقرب الى الوقوع كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصبين والمقلدين ، ومنهمامالة تكون الجنسية العثمانية ، وما يقع في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، »

٥ - « الحق أقول : إنه لا يخشى علينا من سلب الحرية ، وإنما يخشى علينا من سوء استعمال الحرية ، ومن الجهل بطرق المحافظة على الحرية ، : يخشى أن تدفع الحمية بعض الأحرار الظافرين ، الى مثل عمل المستبدين ، وان تهبط العبودية الموروثة بكثير من الجاهلين ، الى ان يكونوا عوناً على انفسهم للحكام الظالمين . » هذا بعض ما كتبناه في حال السرور باعلان الدستور في الاسبوع الأول من إعلانه وقد وقع جميع ما توقعناه وخفناه

اخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها كفالة الدستور وحفظه فألفت لها لجانا وحدثت لها شعبا في جميع بلاد السلطة ، وأبعدت أعوان السلطان عنه وسعت في محاكمة بعض المروفين بالظلم منهم ، وتداخلت في انتفاء الحكام والعمال وانتخاب المبعوثين اتدبت للقيام بكل ما قلنا انه لازم واجب - لا لأننا قلنا بل لأنها تعلم ما قلنا - ولكنها لم تحسن العمل في كل ما تشبثت قيم سرورنا بعمها

سافرنا الى الديار السورية ووزرنا اهم مدن الولايتين ورائنا تصرف جمعية الاتحاد والترقي فيها وما كان من عمل «اللجنة المرحضة» التي ارسلتها من سلايك . فرأينا خلاا وخطلا وسوء تصرف كنا نفتذر عنه للناقين عليها ، حتى انه لم يوجد لها من دافع عنها كما دافعا ، وليس تفصيل تصرفها في سورية من موضوع هذا المقال الذي وضع ليان الحال العامة .

ثم عدنا الى هذه البلاد التي يعرف من فيها ما لا يتيسر عرفانه لن في سورية فسمعنا من كانوا في الاسانة من الصباين الاحرار ومن غيرهم أمورا متقدمة فوق ما كنا فلم بل ورائنا أكثر الصباين لاسيا الترك متقبرين عليها . وانا نذكر مجموع ما ينتقده عليها الناس في مصر وسورية في موضوع مطالبنا التي اشرنا اليها آنأوهو (١) ان سلوك الجمعية مع أعوان الاستبداد لم يكن سلوك من يريد القضاء على الاستبداد بازالة نفوذ أهله وإخضاعهم للدستور بل سلوك من اغتم الفرصة للاستفادة منهم فقد كانت تأخذ المبالغ الكبيرة منهم وتدعمهم وشأنهم اوتضمهم اليها وقد حدثني اثقات من أهل الشام ان اللجنة المرحضة التي ذهبت لاجل التحقيق في الحادثة التي جرت لي في آخر شهر رمضان قد أخذت مبلغا عظيما من النقود باسم الاعانة للجمعية من رؤساء الفتنة وزعماء الاستبداد الذين بلغ من جنونهم في محاربة الدستور أنهم تهدثوا بنصب خليفة في الشام يايهونه ويقاومون به الحكومة الدستورية (٢) انها لم تحسن في اتقاء الصال والحكام فقد ساعدت كثيرين من أعوان الاستبداد حتى على الترتي في الوظائف وأهملت شأن كثير من الأحرار والمجربين . وقد كان اكبر رجا لي في حكومتنا الجديدة الانصاف في اختيار الموظفين من الاكفاء ، لاسيا المجربين في مثل مصر . ويهتمون الجمعية بأنها كانت تبيع الوظائف العالية بالمال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٣) إنها جعلت هم لجانها في جميع البلاد النفوذ في الحكومة لا مجرد المراقبة عليها لئلا تخرج عن القواين ولا مساعدتها على حفظ الأمن الذي اخل به إعلان الدستور في جميع الولايات كل ولاية بحسب درجتها في الاخلاق وحال الاجتماع (٤) - إنها لم تحسن الاتقاء والاختيار في تأليف شعبها ولجانها فأدخلت فيها كثيرا

- من المتقهرين أو الرجعيين وعادت آخرين . وظفر في بعض لحانها التصيب للجنس التركي حتي كان يكون الاعضاء من الترك هم أصحاب الشأن ومن معهم من غيرهم كالآلات . وقد سمعت كثيرا من الشكوى في ذلك فكنت أدافع التي هي أحسن (٥) حمل الضباط في جميع البلاد على الاشتغال بالسياسة وجعل نفوذهم هو الأعلى في لجان الجمعية وهذا خطر على الدولة كان يجب التشديد في منعه ، والا كفاء بأن يكون بين الجمعية وبين الضباط صلة خفية كما قلنا وانصراف كل الى عمله : الضباط الى العمل العسكري المحض الذي لا شائبة فيه للسياسة والجمعية لمراقبة سير الدستور من غير مشاركة للضباط في ذلك . فان ظهرت قوة تسعى لإلغاء الدستور وإبطال مجلس الامة أو الاستبداد والظلم جاز حينئذ استنجد الجمعية بالضباط لمقاومة ذلك . وانه لا يختلف عاقلان من علماء الاجتماع في وجوب منع الضباط من الاشتغال بالسياسة والادارة حتى اذا أورا أخرجوا من الجيش وفي كون الجند الذي يدخل في الثورة يكون خطرا على الامة فاذا لم يتيسر استصلاحه حالا وجب إخراجه من الجندية أو قتله (٦) نصرها مع السلطان . انتقد عليها شي ، منه لا نحب الخوض فيه ولكننا نقول إن الذين يرون ان السلطان هو روح الحركة التي وجهت في هذه الايام الى اسقاط الجمعية يقولون لولا أنها أخرجته لما كان شيء من ذلك
- (٧) سيرتها في حمل الناس على انتخاب المبعوثين : وأيت بصني بعض ذلك في طرابلس الشام وقد كنت أدافع عن الجمعية بقدر الامكان لئلا تشدد الفتنة ويستشري الفساد .
- (٨) طريقة تأييد نفوذ الجمعية في « مجلس المبعوثان » بما كاد يكون مهددا لسائر الاعضاء سائبا لاستقلالهم
- (٩) اتهمت الجمعية أيضا بالتصيب لنفسها التركية ويقالون عنها أمورا كثيرة في ذلك وهو أخوف ما نخافه على مستقبل الدولة وروما شرحنا ذلك في مقال خاص
- (١٠) البحث باستقلال الوزارة بحيث كانت الجمعية مافيه من وجود وزارة مستقلة مسؤولة امام مجلس الامة وحده عن عملها
- (١١) الجلي بمداواة الشعور الديني في الامة فقد أظهر بعض أعضائها

المشهورين أمورا منكرة في نظر الدين جعلت لأعدائها مجالاً واسعاً للتفسير منها. وقد اعترفت هي اليوم بهذا التقصير

(١٢) ظهورها بظهر السلطة المستبدة غير المسؤولة حتى صرت تسمع من العماني الحر والمتقهر ومن الاجني المتطرف والمعتدل هذه الكلمة التي اذاعتها الجرائد: ان جمعية الاتحاد والترقي قد أزالـت استبداد المايين وأدالت منه استبدادها هي . وتفرع عن هذه الكلمة كلام كثير منه قول الكثـيرين ان استبداد السلطان ابن اسـطان ابن السلطان أهون علينا من استبداد أوشاب من الناس لا يعرفون فان السلطان أشرف منهم والذل له أقل عارا من الذل لهم وإرضاءه أسهل من إرضائهم لانه شخص واحد يمكن ان يعرف ما يرضيه ولا يعرف ما يرضي هؤلاء الكثـيرين

هذا مجمل ما خطر في بالنا الآن من أقوال الناس في جمعية الاتحاد والترقي بعد ذلك الاجماع على الثناء عليها في أول العهد باعلان الدستور فهل يعقل ان يكون كله كذبا واختراعا من الجماهير المتفرقين في ولايات وممالك كثيرة ؟ وإلا فما سبب شيعه والهـج به في البلاد والممالك ؟

لم يحصل بعد الدستور شيء من السلطة بحمد الاهداء الاستانة وحسن السير في حل مشكلتي البوسنة والبلغارية كان الفضل الأكبر في ذلك الكامل باشا ولكن الجمعية لم تلبث ان اسقطت كاملا من كرمي السـدارة وغيرت وزارته لانه كان معارضا لنفوذها الفعلي في الحكومة فانتقدت اسـاسة أوربا هذا العمل وعدوه استبداداً من الجمعية في الحكومة وقال بمثل قولهم كثير من في الدولة لانهم لم يصدقوا انه كان معاديا للدستور كما ادعت ثم قتل حسن بك فهمي رئيس محرر جريدة سراسي عليه فهم السواد الاعظم في الاستانة وغيرها ان الجمعية هي التي اسـتانة لانه كان ينتقد اسـاسة قانسـد السـخط عليها وانفجر بركانه وكان يوسـد أعضاء الجمعية بقرع في مجلس الأمة بقرع حرية الطوائع ونشر في أثناء ذلك أن كامل باشا الذي كان في سبيل جامعة الجمعية لم يات بها وما كان من شأنه وقتها قبل ذلك ولم تحسن الجمعية التصرف في أن حادثة قتل حسن فهمي الذي سـد قنالا تـجر في الشخصية واستقلال الفكر كدست لانه على الأمة وكان ادراك الأمة به دفن حسن باشا في قبره فسقطت حرية حسن باشا في

وزارة الجمعية بعد ان أمين لمروره بمركبته من حيث تشيع الجنازة وعدم حضورها تبعاً لزعماء الجمعية الذين لم يحضروها . وفر أعضاء الجمعية هاربين من الاساتذة وقتل كثيرون من البراء وجرح آخرون ودمرت اندية الجمعية وادارات بعض جزائرها واستحوذ الرعب على أهل العاصمة وخافوا من سوء العاقبة

سواء صح ما قيل في الجمعية كله أم صح بعضه فإن حسنتها التي لا ينازعها فيها أحد هي انها هي التي أخذت الدستور باليمين فلا تنهيه بالشمل فهي أحرم على حفظه وبقائه من جميع الممانين . وهو الآن كالطفل يحتاج الى نرية وكفالة، وله أعداء فيحتاج الى دفاع وحماية ، فإذا قيل إن الحكومة المسؤولة ومجلس الامة يقومان بيريته ، فهل يستطيع أحد ان ينكر اختصاص الجمعية بالقدرة على كفالته ، وهل جانتها هذه القدرة إلا من الجيش ؟

إذا لا بد من بقاء الجمعية ولا بد من بقاء صلتها بالجيش ولكن لا يجوز بحال أن تتدخل في أعمال الحكومة ولا ان تعبت بحرية المجلس ولا ان تدفع ضابط الجيش يشغلون بالسياسة ولا ان تقاوم من يخالفها في الرأي بالقوة ولا حاجة بها الى ذلك في حماية الدستور ولكن قد يشتميه رجال من الجمعية لأنه من تمتع القادر المنصور لا يوجد في البلاد قوة يمكن ان تقف في طريق الجمعية إلا قوة السلطان في العاصمة وقوة عصابات الاشقياء في بعض الولايات فاما المضامات فيمكن تذليلها بالقوة ولو بعد حين وأما السلطان فإنه بنفوذه المصنوع بغير الدين وأعرافه الكثيرين وبماله الكثير وبدهائه العظيم يمكنه في كل وقت ان يعمل عملاً كبيراً فهو أخوف ما يخاف على الدستور اذا لم يخلص له الناس فيه ويأتين أعداءه من إزالته من امام الدستور ضرورة فالت خطره دائم بدوامه ، ولا يخفى أنه يمكن أن يورث خطره بأموه ترصيه كلها ترجع الى ان يرى ما صار اليه حينئذ . كل فيه كان له سلطاناً يتأمنه على نفسه ومنصبه ويحامي جرح وحدانه ومع إبعاد رجائه المخلصين عنه يطمئن عنه ولكن الجمعية جرحته جرحاً ثائرة وأخرجت من قسمه خرساً لا يملك أن يطمئن ويظن ان حياته متوقفة عليه . فهل تطالب لها بعد ذلك لنفسه ، أم لا تطالب له ؟ أم لا بد له من الكيد لها ، والسعي للانتقام منها ؟

الجمعية المحمدية

واقفا انباء الاستانة وأنا في سورية بأنه قد ظهر فيها جمعية جديدة سميت بالجمعية المحمدية غرضها المطالبة بالحكم بالشريعة وتطبيق القوانين عليها فاجدتها مرتاحا لهذا التبا على اني قد وقفت نفسي على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والتوفيق بين أحكامه ومصالح البشر في كل طور من أطوارهم مهما ارتقت. وما ذاك الا لأنني خفت أن يكون الغرض الباطن منها محاربة الدستور باسم الدين، وكان نفسي لم تكن مرتاحة لجمعية الاخاء العربي — وأنا من صميم العرب — لأنني خشيت ان تكون مفرقة بين العرب والترك ومحركة للعصية الجنسية التي أخاف على الدولة شرها وكنفت أصرح برأيي بذلك في كل محفل ومقام

سألي الأمير شكيب أرسلان عن رأيي في الجمعية المحمدية ونحن في ملا بادي الاتحاد العثماني بيروت قهلت إن خوفي منها غالب على رجائي فيها فان كانت تطالب مجلس الأمة بأن يأخذوا قوانين الدولة كلها من كتب الخفية بالشروط الممتدة عندهم في القترى فهذا حرج عظيم وما أظن ان مؤسسها في درجة من الارتقاء يطلبون فيها المحافظة على أصول الاسلام الثابتة من الكتاب والسنة والاكتفاء بصم الخروج بالقوانين عنها بل لا أدري انهم يرضون بذلك وانني أقول انه ليس في ديننا شيء ينافي المدنية الحاضرة المتفق على نفسها عند الامم الموقية الا بعض مسائل الربا وانني مستعد للتوفيق بين الاسلام الحقيقي وكل ما يحتاج اليه العثمانيون لترقية دولتهم مما جرب به الافرنج قبلهم وغير ذلك ولكن بشرط ان لا أنزعم مذهبا من المذاهب بل القرآن والسنة الصحيحة. وأرجو أن يكون ذلك مقبولا عند جميع الناصر العثمانية الا المقلدين التحصين لمذاهبهم من المسلمين. فأورد علي بعض الحاضرين مسألة الشهادة فأجبت بما أقمه واقنع غيره من الحاضرين

وقم كما تخاف وأكثروا ظهور هذه الجمعية هي التي قامت بالفتنة الحاضرة في الاستانة حتى انها استمالت اليها العسكر الذي جاءت به جمعية الاتحاد والترقي من سلاطيك لتحافظ به على الدستور، وعسكر الاسطول أيضا، ولا غرو فباسم الدين تقدر ان تستميل جميع عسكر الدولة ان هي أدلت بخراطيمها اليه. وفيد أخبار الاستانة أن

قائدها في هذه الفترة هو مراد بك الداغستاني الشهير الذي كان من زعماء جمعية الاتحاد والترقي من بضع عشرة سنة فاجتمع مع الخائنين وسلم أوراقها للسلطان ورخصي بأن يقاضى منه مالا على ذلك بعد ان كان من أشد المبالغين في الطعن فيه والتحريض عليه . وبعد الاقلاق طلب ان يدخل في الجمعية لما رأى من نفوذها (وهو كالديناميت القائم) فأبى عليه فحاول الانتقام منها وإحاط عملها فكذا يكون الرجال المصلحون !!

جمعية الاحرار

كان جميع ملاب الاصلاح من العثمانيين يلقبون بالاحرار ثم تألف حزب في الامانة سمي بحزب الاحرار وصار له جمعية خاصة به والمشهور ان هذا الحزب على رأي صباح الدين افندي سبط آل عثمان الشهير فيما يبرر عنه بعدم المركزية كما نوهنا بذلك من قبل فهو حزب سياسي لا خطر منه إن كان ظاهره وباطنه سواسية وان كانت ولايات الدولة غير مستعدة الآن لأن تكون على رأيه برمه وكم في أوروبا من حزب يدعو الى رأيه سنين طويلة ولا يضر الامة مخالفته لرأي السواد الاعظم ولسائر الاحزاب فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي تشتد في مقاومة هذا الحزب حتى إنها اتهمت بقتل محرر جريدة سربستي كما علمت وذلك غلو كان من أسباب الفتنة الحاضرة . وهو قد اتهم أيضا بالسعي في إسقاطها ومن الناس من يتهم بعض رجاله بمقاومة الدستور ومالنا ولتهم قدامهم احمد رضا بك بمشايعة الساطران على هدم الدستور أيضا

الثورة العسكرية والفتن الداخلية

بعد كتابة ما تقدم علمنا ان شيطان الاستبداد تمكن من احداث ثورة عسكرية في الامانة غرضها الظاهر إبادة جمعية الاتحاد والترقي ويخشى ان يكون الباطن محو الدستور وإعادة الاستبداد الماضي على ان اسقاطها يبيده بالطبع . وقد فر رجال الجمعية من الامانة ولجأوا الى مركز قوتهم في سلاطنتهم ثم زحفوا بجيشهم على الامانة ليحكموا السيف والمدفع في الأمر ، فنسأل الله لهم التوفيق والنصر ، وان يحفظ الدولة من الخطر وقد ولدت الثورة بالعاصمة فتنة في ولاية اطنه فهب الترك لنزع الأرمين وهو عمل يتبرأ الاسلام منه ومن فاعليه ، ولكنه لا يسلم معه من طعن الامم فيه ، فبجمعية هؤلاء الاقوام صار المسلمون حجة على الاسلام

يقول الحكيم من يتألمس بؤنات الحكمة فقد أدنى
خيراً كثيراً وما يندم على ألا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

يقول جباري الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كتابا الطريق

(مصر - الأربعاء ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ - ١٩ مايو (أيار) سنة ١٢٨٥ - ١٩٠٩ م)

فتاوى المتكاتبين

فتعنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ونشر طر على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمسدة ذلك أن يرز إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإنا نذكر الأسئلة بالتدريج فالأول ما قدمناه تأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولأن بعضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا قدر صعب لا نقاله

﴿ أسئلة من جاوه ﴾

(س ١٣ - ١٦) من صاحب الامضاء في مالاغ (جاوه)

نؤمل من فضلكم مع الله الوجود بوجودكم وأفاض من بحر علومكم وجودكم أن تفيّدونا عن حكم الله ورسوله في نكاح الرجل المسلم المرأة غير المسلمة هل يجوز أم لا إذا وعدته بإسلامها بعد عقد النكاح كما هو جار عندنا لاسيما من الصنفيات فهل يجوز له الهجوم على نكاحها وهي على دين قومها أم لا في إسلامها بعد وهل تستثنى من غير المسلمات الكتابيات ومن هن الكتابيات فهل الإفراج اليوم على اختلاف مذاهبهم في النصرانية عقائدهم وتبديلهم يهدون كتابين ؟ تفضلوا ياسيدي أفيّدونا بحكم الله تعالى في هذه المسألة ففي وإن كانت واضحة لديكم فهي لدينا من المضلات فلا تمهلوها وأخونها لوضوحها لديكم ولعله قد سبق كلام فيها فالأمرول الإعادة لعم الافادة فنحن في قلق حتى يهد إلينا جوابكم الشريف لأن السؤال من الوقائع الحالية عندنا اه ونسألكم أيضا أطال الله بقاءكم عن أجماع علماء الهيئة في هذا العصر على كوروية الأرض ودورانها حول نفسها وغيرها إنني ياسيدي لم أكد أفهم التوفيق بين هذا الأجماع

وبين قول الله سبحانه في قصة ذي القرنين «حتى اذا بلغ مغرب الشمس سوحت اذ ابلغ مطلع الشمس» وأين يكون المطلع والمغرب اذا كان هناك للأرض كروية ودروان؟ واذا قلنا ان المطلع والمغرب هنا بحسب رأى العين لنا فما ينتلج الصدر بهذا لأن المطلع اذا كان بقسبة رأى العين لنا فهو بالنسبة لقوم آخرين هناك يسمى مغربا وكذلك المغرب كيف هذا والاخبار للعموم من غير نسبة لقوم دون آخرين وكروية الارض اظهرها تمنع ان يكون للشمس مطلع أو مغرب في محل مخصوص تفضلوا بينوا الا بنكم الخروج من هذا الاشكال لأنني ياسيدي لسوء فهمي وسقم قريحتي حاولت التوفيق بينهما بنفسي ولم اظفر به وكثيرا ما حصل الخوض بين جماعة عندنا في هذه المسئلة وما استطاعوا الخروج من ربكة الاشكال وكلمهم أشاروا على الخفير برفع هذا السؤال لحضرتكم والمأمول ان نجبروا خاطرنا بالافادة منع الله بكم آمين اه

ونسألکم لازلتم سراجا للمهتدين عن الحضور في معرض ادارة الصور المتحركة للتفرج عليها هل هناك في الشرع الشريف ما يحظر علينا ذلك تفضلوا بينوا لنا حكم الله سبحانه فان عثرتم على ما يهذرننا بين يدي الباري جل وعز في حضورها ينوه لنا وما الاصل فيها التحريم أم الحل بينوا الجميع لنا على صفحات مناركم اه

ونسألکم لا برحتم ملجأ لحل المضلات في الخبر المبالغ بواسطة البرق هل يعتبر به عندنا في الشرع كالصلاة على الغائب المبلغ خبره بواسطة البرق وما يترتب على ذلك في الامور الشرعية كالهلال في الصوم أو الافطار هل يجوز الاخذ بذلك تفضلوا وضحوا لنا الجميع ولكم من الله جزيل الاجر ودمتم محمد بن هاشم بن طاهر

﴿ أجوبة المنار ﴾

زواج المسلم بغير المسلمة وهل الاوريون نصارى

ذهب بعض السلف الى انه لا يجوز المسلم ان يتزوج بغير المسلمة مطلقا ولكن الجمهور من السلف والخلف على حل الزواج بالكتانية وحرمة الزواج بالمشرقة ويريدون من الكتانية اليهودية والنصرانية واحل بعضهم المجوسية أيضا والمشرقة

الوثنية مطلقاً بل عدواً جميع الناس وثنين ماعدا اليهود والنصارى ومن الناس من قال أنهم من المشركين ولكن التحقيق أنهم لا يطلق عليهم لقب المشركين لأن القرآن عندما يذكر أهل الأديان بعد المشركين أو الذين أشركوا صفواً وأهل الكتاب صفواً آخر يعطف أحدهما على الآخر والعطف يقتضي المغايرة كما هو مقروء وكذا الجوس في قول وسيأتي بيان ذلك

والذي كان يقادر إلى الذهن من مفهوم لفظ المشركين في عصر التنزيل مشركو العرب إذ لم يكن لهم كتاب ولا شبهة كتاب بل كانوا أميين والأصل في الخلاف في المسألة آيتان في القرآن أحدهما في سورة البقرة وهي قوله تعالى (٢: ٢٢١) ولا تتكفروا للمشركات حتى يؤمنن الآية والثانية في المائدة وهي قوله عز وجل (٥: ٥) اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقد زعم من حرم الزواج بالكتابيات أن هذه الآية منسوخة بذلك وردوه بأن سورة المائدة نزلت بعد سورة البقرة وليس فيها منسوخ فإن فرضنا أن أهل الكتاب يدخلون في عداد المشركين يجب أن تكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة مستثنية أهل الكتاب من عمومها وإلا فهي نص مستل في جواز الزواج بنسائهم

وقد سكت القرآن عن النص الصريح في حكم الزواج بغير المشركات والكتابيات من أهل المال الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب كالجوس والصابئين ومنهم البوذيون والبراهمة واتباع كونفو شيوس في الصين وقد علمت أن علماءنا الذين حرص بعضهم على إدخال أهل الكتاب في عداد المشركين لا يترددون في إدخال هؤلاء كلهم في عموم المشركين وإن ورد في الكتاب والسنة ما هو صريح في التفرقة والمغايرة فكما غاير القرآن بين المشركين وأهل الكتاب خاصة في مثل قوله (٩٨: ١) لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم اليقينة وقوله (٣: ١٨٦) ولتسمن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وذكر أهل الكتاب بغيرهم في معرض المغايرة في قوله (٥: ٨٢) لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية كذلك ذكر الصابئين
والجوس وعدهم صنفين غير أهل الكتاب والمشركون والمسلمين فقال في سورة
الحج (٢٧ : ١٧) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والجوس
والذين أشركوا إن الله يفضل بينهم يوم اقيامة إن الله على كل شيء شهيد) فهذا
الصف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والجوس
طائفتين مستقتين ليسوا من الصنف الذي يبر عنه الكتاب بالمشركون وبالذين
أشركوا . وذلك ان كلا من الصابئين والجوس عندهم كتب يعتقدون انها إلهية
ولكن بعد المهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لا ولا يبعد أن يكون من جاوا بها من
المسلمين لأن الله تعالى يقول (٣٥ : ٢٤) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن
من أمة الا خلا فيها نذير) وقال (١٣ : ٧) إنا انت منذر ولكل قوم هاد)
ولما قويت فيهم الوثنية بعد المهد بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى
(٥٧ : ١٧) ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا
يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الا مدققست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ودخول نزغات
الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدمهم صفات
آخر كما ان فسق الكثيرين من المسلمين عن هداية القرآن ودخول نزغات الوثنية
في عقائدهم لا يخرجهم من الصنف الذين يطلق عليه لفظ المسلمين ولفظ المؤمنين
وإن كانوا هم الذين يعينهم الخطباء على المنابر بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه »
و يطبق العلماء عليهم حديث الصحيحين « لتدمن سنن من قبلكم شيئا بشيئا وذراعا
بذراع » قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قل « فن » وبهذا يرد قول من حاولوا
ادخال أهل الكتاب في المشركين ونجريم الزوج بناتهم مستدلين بقوله تعالى
بعد ذكر انقاذهم احبارهم ودهبانهم أربابا من دون الله (٩ : ٣١) سبحانه وتعالى عما
يشركون) فان إطلاق اللقب على صنف من أصناف الناس لا يقتضي مشاركة
صنف آخر له فيه إن أسند اليه مثل فعله كما بيناه في تفسير آية (٢ : ٢٢١) ولا
تنكحوا المشركات) لا سيما اذا كان الفعل الذي أسند الى الصنف الآخر ليس

هو اخص صفاته وليس عاماشاملا لأفراذه كأنماذ أهل الكتاب احبارهم ورهبايمهم أربابا يتبعونهم فيما يحلون لم ويحرمون عليهم قالت وصفهم الاخص اتباع الكتاب وان كثيرين منهم يخالفون رؤساءهم في التحليل والتحرير ومنهم الموحدون كأصحاب آريوس عند النصارى وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون بنبوة المسيح بسبب الحرية في أوربا وأمريكا وكانوا قلوا باضطهاد الكنيسة لهم والظاهر ان القرآن ذكر من أهل الملل القديمة الصابئين والمجوس ولم يذكر البراهمة والبوذيين وأتباع كنفو شبوس لأن الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند العرب الذين خوطبوا بالقرآن أولا لمجاورتهم لهم في العراق والبحرين ولم يكونوا يرحلون إلى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخرين والمقصود من الآية حاصل يذكر من ذكر من الملل المعروفة فلا حاجة إلى الإغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون في عصر التنزيل من أهل الملل الأخرى ولا يخفى على المخاطبين بسد ذلك ان الله يفصل بين البراهمة والبوذيين وغيرهم أيضا

ومن المعلوم ان القرآن صرح بقبول الجزية من أهل الكتاب ولم يذكر أنها تؤخذ من غيرهم فكان النبي (ص) والخلفاء (رض) لا يقبلونها من مشركي العرب وقبلوها من المجوس في البحرين وهجر وبلاد فارس كما في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث . وقد روى أخذ النبي الجزية من مجوس هجر أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه شهد لعمر بذلك عند ما استشار الصحابة فيه . وروى مالك والشافعي عنه أنه قال : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وفي مسنده اقطاع واستدل به صاحب المنتقى وغيره على أنهم لا يعدون أهل كتاب وليس بقوي فإن إطلاق كلمة « أهل الكتاب » على طائفتين من الناس لتحقيق أصل كتبها وزيادة خصائصها لا يقتضي انه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم بأن الله بحث في كل أمة رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط كما ان إطلاق لقب « العلماء » على طائفة معينة من الناس لها مزايا مخصوصة لا يقتضي انحصار العلم فيهم وسلبه عن غيرهم

وقد ورد في روايات أخرى التصريح بأنهم كانوا أهل كتاب قال في نيل الأوطار
عند قول صاحب المتن: واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب.
مانصه: لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي «كان
الجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرؤونه فشرب أمبرهم الجر فوقع على أخته فلما
أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال ان آدم كان ينكح أولاده بناته فأطاعوه وقتل
من خالفة فأمرني على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء» وروى
عبد بن حميد في تفسير سورة البروج بإسناد صحيح عن ابن أبيزى لما هم المسلمون
أهل فارس قال عمر اجتمعوا (أي قال للصباغة اجتمعوا للمشاوره كما هي السنة النجفة
والفرصة اللازمة) فقال ان الجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم الجزية ولا من عبدة
الأوثان فنجري عليهم أحكامهم. فقال علي بل هم أهل كتاب «فذكر نحوه لكن
قال فوقع على ابنته وقال في آخره فوضع الاغذود لمن خالفة. فهذه حجة من قال
لهم كتاب. وأما قول ابن بطال لو كان لهم كتاب ورفع حكمه ولما استنتى حل
ذبايحهم ونكاح نسائهم فالجواب ان الاستثناء وقع تبعا للأثر الوارد لأن في ذلك
شبهة تقضي حق الدم بخلاف النكاح فانه يحتاط له. وقال ابن المنذر ليس يحرم
نكاحهم وذبايحهم متفقا عليه ولكن الأكثر من أهل العلم عليه اه

إذا علمت هذا تبين لك ان العلماء لم يجمعوا على أن لفظ المشركين والذين أشركوا
يتناول جميع الذين كفروا بديننا ولم يدخلوا في ديننا ولا جميع من عدا اليهود والنصارى
منهم فهذا نقل صحيح في الجوس ومنه نعلم ان الاجتهاد مجالا لجعل لفظ المشركين
والمشركين والقرآن خاصا بوثني العرب وأن يقاس عليهم من ليس لهم كتاب ولا
شبهة كتاب يقر بهم من الاسلام كما ان أهل الكتاب فيه خاص باليهود والنصارى
ويقاس عليهم من عندهم كتب لا يعرف أصلها ولكنها تقر بهم من الاسلام بما فيها
من الآداب والشرائع كالجوس وغيرهم ممن على شاكلتهم وقد صرح قتادة من
مفسري السلف بأن المراد بالمشركين والمشركات في الآية العرب كما سأتى
وعلى هذا لا يكون قوله تعالى «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» نصا قطعيا

في تحريم نكاح الصنفيات الذي أكثر منه المسلمون في الصين وانتقل الاقتداء بهم فيه الى جاوه او كاد. وقد كان ذلك من اسباب انتشار الاسلام في الصين. ولا أدري مبلغ أثره في ذلك عندكم وبني كونه نصا قاطعا في ذلك لا يكون استحالته كفروا وخروجوا من الاسلام والاسلاغ لنا ان نحكم بكفر من لا يحصى من مسلمي الصين. هذا وان المشهور عند العلماء ان الأصل في النكاح الحرمة وان كان الأصل في سائر الاشياء الاباحة وعلى هذا لا بد من النص في الحل ويمكن ان يقال اذا لم قل بأن هذا يدخل في القاعدة العامة بأن الأصل الاباحة في كل شيء حتى يرد النص بحظره فاننا نرد الأمر الى الكتاب العزيز فتسمعه يقول بهذا النهي عن نكاح أزواج الآباء (٤: ٢٣) حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم او اخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن فان لم تكونوا دخلن بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ، ان الله كان عفورا رحيمًا (٢٤) والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلك ان تبتقوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) الآية

فقول على أصولهم ان قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلك » لا يخلو ان يكون قد نزل بعد ما جاء في البقرة من النهي عن نكاح المشركات وفي سورة النور من تحريم نكاح المشركة والزانية أو قبله ، فان كان نزل بعده صح أن يكون ناسخا له وان كان نزل قبله يكون تحريم نكاح المشركة والزانية مستثنى من عموم « وأحل لكم ما وراء ذلك » بطريق التخصيص سواء سمي نسخا ام لا كما يستثنى منه ما ورد في الحديث من منع الجمع بين البنت وعمتها قياسا على تحريم الجمع بين الاختين او إلحاقا به وجعل ما يحرم من الرضاخ كالذي يحرم من النسب على القول المشهور في الاصول يجوز تخصيص القرآن بالسنة على ان الجمهور أحلوا الزواج بالرانية. وعلى كل حال يكون نكاح الكتايات ومن في حكمهن (كالمجوسيات عند من قال

(الماراج ٤ م ١٢) حل التزوج بالمجوسية ولاشباها في مثل البوذية ٣٦٧

بذلك كما نقل الحافظ ابن المنذر) داخلا في عموم نص « وأحل لكم ماوراء ذلكم »
وأكد حل نكاح الكتابيات في سورة المائدة التي نزلت بعد ما تقدم كله

وخلاصة ما تقدم ان نكاح الكتابيات جائزا لوجه لئله ونكاح المشركات
محرم وكون لفظ المشركات عاما لجميع الوثنيات او خاصا بمشركات العرب
محل اجتهاد وخلاف بين علماء السلف . قال ابن جرير في تفسير (ولا تنكحوا
المشركات) : « وقال آخرون ان نزلت هذه الآية مرادا بمشركات العرب
لم ينسخ منها شيء » وروى ذلك عن قتادة من عدة طرق وعن سعيد ابن جبير
ولكن هذا قال « مشركات أهل الاوثان » ولم يمنع ذلك ابن جرير من عدّه قائلا
بأنها خاصة بمشركات العرب . ثم قل بعد ذكر سائر روايات الخلاف « وأولى هذه
الاقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أنه تعالى ذكره غنى بقوله « ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات وان الآية
عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات
فيها » الخ ما اطال به في بيان حل نكاح الكتابيات

هذا ما يظهر بالبحث في الدليل ولكتنا لم نطالع على قول صريح لأحد من العلماء
في حل التزوج بما عدا الكتابيات والمجوسيات من غير المسلمين قد صرح بحل
المجوسية الإمام أبو ثور صاحب الامام الشافعي الذي تفقه به حتى صار مجتهدا
وصرحوا بأن تردد لا يمد وجها في مذهب الشافعي . فالشافعية لا يبيحون نكاح
المجوسية فضلا عن الوثنية الصينية

ولا يأتي في هذا المقام قول بعض أهل الاصول ان الذي لا يقتضي البطان
في العقود والمعاملات وهو مذهب الحنفية فانهم استثنوا منه النكاح وعلموا ذلك بأنه
عقد موضوع للحل فمقتضى ما وضع له بالذي يقتضي الحرمة كان اطلاقا بخلاف
البيع لأن وضعه لمالك لا يحل بدليل مشروعته في موضع حرمة كالأمة المجوسية
فلذلك كان الذي هو مقتضى اطلاق العقد . فلا يقل عندهم ان
نكاح الصينية يقع بمجوسية ان كان عدما

ولما لم يرد في الأصل اوجعية حكمه الشرعي . بعد في تعالى ذلك في آية الذي

عن التناسخ بين المؤمنين والمشركين في آية البقرة بقوله (أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وقد وضعنا ذلك في تفسير الآية وينا الفرق بين المشرك والكفاية فيه فراجع في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٣٥٧-٣٦١) ومنه ان أهل الكتاب لكونهم اقرب الى المؤمنين شرعت موادتهم لانهم بمعاشرتنا ومعرفة حقيقة الاسلام منا بالتخلق والعمل يظهر لهم ان ديننا هو عين دينهم مع مزيد بيان واصلاح يقتضيه ترقى البشر وإزالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين وما هي من الدين في شيء . واما المشركون فلا صلة بين ديننا ودينهم قط . ولذلك دخل أهل الكتاب في الاسلام مختارين بعد ما انتشر بينهم وعرفوا حقيقته ولو قبلت الجزية من مشركي العرب كما قبلت من أهل الكتاب لما دخلوا في الاسلام كافة ولما قامت لهذا الدين قائمة . ومن افرق بينهما في القرب من الاسلام أو الدعوة الى النار ان أهل الكتاب لم يكونوا يعذبون من يهدرون عليه من المسلمين ليرجع عن دينه كما كان يفعل مشركو العرب

ثم ان للاسلام سياسة خاصة في العرب وبلادهم وهي ان تكون جزيرة العرب حرم الاسلام المحمي وقبه الذي تدفق منه مادة الحياة الى جميع الاطراف وموئله الذي يرجع اليه عند تألب الاعداء عليه ولذلك لم يقبل من مشركي جزيرة العرب الجزية حتى لا يبقى فيها مشرك بل أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يبقى فيها دينان كما بينا ذلك في الفتوى الرابعة المنشورة في الجزء الثاني (ص ٩٧) من هذا المجلد وتدل عليه الاحاديث الواردة في كون الاسلام يأرّز في المستقبل الى الحجاز كما تأرّز الحية الى جحرها . وهذا يؤيد تفسير قتادة المشركين والمشركات في الآية واذ كان الازدواج بين المسلمين والمشركين ينافي هذه السياسة التي هي الاصل الاصيل في انتشار الاسلام وكان تزوج المسلمين بالنسنيات مدعاة لدخولهن في الاسلام كما هو حاصل في بلاد الصين فلا يكون تعليل الآية للحرمة صادقا عليهن وكيف يعطى الضد حكم الضد

وقد حذرنا في التفسير من التزوج بالكفاية اذ خشي أن تجذب المرأة الرجل الى دينها لمعلمها وجمالها وجهه وضمف أخلاقه كما يحصل كثيرا في هذا الزمان في

في تزوج بعض ضملاء المسلمين ببعض الأوريات او غبرهن من الكتابيات فيفتنون بهن وسد الذريعة واجب في الاسلام

كروية الأرض ومطلع الشمس

مطلع الشمس المكان الذي تطلع منه ومغربها المكان الذي تغرب فيه وهو يختلف باختلاف المواقع لكروية الأرض اذ لو كانت سطحاً هندسياً لما حصل هذا الاختلاف في المطلاع والمغارب . ويعبر كل قوم عن مشرقهم ومغربهم بحسب ما يرون وان خالفوا فيه غيرهم فيقول بعضهم إن الشمس تطلع من جبل كذا وتغرب في البحر وبعضهم غير ذلك . واذا رحل أحدهم الى أقصى ذلك المكان من جهة المشرق يقول قد وصلت الى مطلع الشمس . وقد تتعارف ام كثيرة تختلف مواقع بلادهم ومغاربها على تسمية قطعة من الأرض بالمشرق وقطعة بالمغرب مع ان ما يسمونه مشرقاً يكون مغرباً لقوم آخرين وما يسمونه مغرباً يكون مشرقاً لقوم آخرين كما سميت بلاد مراکش بالمغرب الأقصى حتى ان أهل امريكا يعبرون عنهم بذلك وان كانت في جهة المشرق منهم . ومثل ذلك التعبير عن بلاد الدولة العلية مثلاً بالشرق الأدنى وعن بلاد الصين بالشرق الأقصى . ويطلق الافرنج لفظ الشرق على قارتي آسيا وافريقية مع ان بعض بلاد افريقية هي في جهة المغرب من بعض بلادهم

فاذا أريد بمطلع الشمس ومغربها في قصة ذي القرنين ما كان يسمى في بلاده مطلعاً ومغرباً صح ذلك واذا فرضنا انه كان لهم عرف في المطلاع والمغرب كبعض العرف المشهور الآن صح ذلك . والاظهر أن المراد بالمطلع والمغرب في قصته أقصى المشرق وأقصى المغرب الذي تيسر الوصول اليه بأسباب السياحة والسفر التي كانت في عصره وبالنسبة إلى بلاده فكان في سياحته كالذين يحاولون الآن اكتشاف القطبين الشمالي والجنوبي

هذا وان الاشكال الذي هو محل الوقفة عندكم يرد على استعمال لفظ مطلع أو مشرق ومغرب مطلقاً كما أشرتم الى ذلك فاذا كنتم لا تميزون استعمال هذه

الألفاظ الا في حقيقة لا تختلف باختلاف البلاد فقد خطأ جميع البشر في عرفهم واصطلاحهم والخطب سهل والمراد ظاهر ولا مشاحة في الاصطلاح

الصور المتحركة

لا نرى وجها للسؤال عن حل رؤية هذه الصور أو حرمتها فلا يصل الحل . إننا لم نسمع ان أحدا من علماء المسلمين قال ان النظر الى الصور محرم ولا وجه لجعل الحركة سببا للحرم . ويظهر لنا من هذا السؤال انكم لستم جاهلين لا بإباحة رؤية هذه الصور ولكن عندكم أناسا متطاعين يحبون التحكم والاشراف على المسلمين بالأمر والنهي من سماء الدين فيحلون ويحرمون بغير علم وما جراً أمثال هؤلاء في المسلمين على تحكمهم حتى ضيقوا عليهم دائرة دينهم الواسعة الا التقليد الأعمى ويزعم هؤلاء المصمون المقادون ان الاجتهاد هو الذي يضيع على العامة دينهم ويكثر الذين يتمحكون في شرعهم والأمر بالعكس فان الذي لا يقبل منه القول الا بالدليل لا يستطيع أن يتمحك ولا أن يصت كالذي يقبل قوله بلا دليل بدعوى ان طلب الدليل نزوع الى الاجتهاد الممنوع

الاخبار البرقية

هذه الاخبار التي تبلغ بالآلات الكهربائية التي يبرعها بما ذكره والتلفرافات هي قطعة الاداء فكل من تلق بخبره اذا كلك بلسانه تلق بخبره الذي يلقه بالبرق لا يتردد في هذا أحد في العالم المستعمل فيه التلفراف ومنى صدق الناس الخبر تبعه العمل بما يترتب عليه من الاحكام الشرعية لاسيما اذا كان من جهة رسمية يطرد صدق برقياتها وكيف تطيب نفس المسلم ان يفطر في نهار يلقه في ليله خبر برقي بروية هلال رمضان فصدقه تصديقا تاما لا شبهة فيه ولا احتمال (وراجع المبحث في ص ٦٩٧م ٧)

﴿ أسئلة من الجبل الأسود ﴾

(س من ١٧ - ٢٠) من ح . ح . في تفشيك

ما قولكم دام فضلكم ونفع المسلمين بعلمكم

فيه من خطاب بالبرقية في أرض الترك ثم يترجم بعض ألفاظ الخطبة باللسان

التركي ليفهمها الحاضرون لانهم لا يفهمون إلا باللسان التركي ولا سيما بعض الاحكام اللازمة كصدقة الفطر مثلا فهل يمنع من هذه الترجمة المذكورة وادخال الالفاظ التركية خلال الخطبة .

وفمن بقي الناس بجواز الجهر بالتكبير في الاسواق عند تشييع الحجاج في سفرهم الى الحج من بلادهم مع ما يترتب على الجهر المذكور من المفاسد التي منها امنهان الاسم الشريف في محل القاذورات وذلك مناف للتعظيم ومنها انه يكون سبياً لاجتماع النساء والرجال ومنها ضحك الكفار واستهزائهم بذلك الذكر الشريف فيكون سبياً لهذا الاستهزاء وربما وقعت الفتنة بين القيايين بسبب ذلك وهل العامة المسنونة يلزم فيها تغطية جميع الرأس حتى لا يبق من القنلسوة شيء أم السنة هو الوجه المعتاد عند أهل الحرمين وغيرهم من استدارتها على الرأس وترك أعلا القنلسوة من غير تغطية

وهل الاعلان بموت الميت على المابر بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله جائز أم مكروه؟ افتونا مأجورين

✽ أجوبة المنار ✽

ترجمة الخطبة بالانجليزية

لا يمنع الخطيب في مثل الحالة المسؤول عنها من ترجمة أحكام الخطبة لأن الضرورة تلجئ الى ذلك مادام المسلمون مقصرين في تعلم لغة دينهم والا كانت الخطبة عند أولئك الترك واما لهم من الاعاجم مما يصور بالانحصار به الفائدة المقصودة من الخطبة وبعض الاعاجم يحتاج في ترجم الخطبة وشرحها بعد صلاة الجمعة وبلقي انهم يفعلون ذلك في الصين

التكبير عند تشييع الحجاج

التكبير عند تشييع الحجاج ليس مطلوباً شرعاً ولا يمنع اذا لم يتخذ شعاراً دينياً ولم يترتب عليه مفسدة فان اخذه قوم شعاراً دينياً يرون انه لا بد منه شرعاً وترتب عليه مفسدة منع منه . ولو كان مطلوباً شرعاً كما يطلب في الايام المعلومات لما صح ان

يكون من موانئه اجتماع النساء والرجال ولا ضحك الكفار (٢٩: ٨٦) ان الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا بضحكهم ٣٠ واذا مروا بهم يتقاضون (والامتحان لا يتحقق الا في نحو الحانات أو الكنف وما بعد في العرف العام إهانة
 وأما الفتنة وبني بها السائل فيما يظهر اختصاص الذي ربما يؤدي الى الضرب أو القتل ففي محل النظر لافي موضوع السؤال بل في شعار الدين الثابتة كالآذان والصلاة والتكبير في العيد فاذا كان الكفار يؤذون المسلمين قيامهم بشعار الاسلام وفروضة وجب على المسلمين مقاومتهم ولو بالقتال إن قدروا فان لم يقدروا قتلهم وضعتهم وجبت عليهم الهجرة من دار الكفر والنصب الى حيث يكونون في أمان وحرية في دينهم . وقد زده هذه الفائدة في الفتوى عملا بالنسبة من جواب السائل باكثر مما سأل عنه عند الحاجة الى ذلك

العامة المسنونة

العمامة (بكسر العين) هي كما قال بعضهم كل ما يعقد على الرأس سواء كان تحت المنقر أو فوقه أو لا يشد على القلنسوة أو غيرها
 وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبس العمامة فوق القلنسوة تارة ويلبسها بغير قلنسوة تارة أخرى كما لبس القلنسوة بغير عمامة وفي حديث عمرو بن حريث في صحيح مسلم قال « رأيت رسول الله (ص) على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أوتى طرفيها بين كفيه » وفي حديث جابر عنده مسلم ايضا انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، ولم يذكر انه كانت لها ذؤابة بين كفيه قال ابن القيم فدل على ان الذؤابة لم يكن يرخيها دائما . وكان يلتحي بالعمامة تحت الخنك أحيانا ومن فوائده انه يمنع السقوط . ويحصل الغرض من لبسها بأية كيفية كانت وورد في العمامة عدة روايات ضعيفة وأهمية وهي من الماديات لا من أمور الدين ولكنها زينة المسلمين الاولين ومفيدة في حفظ الرأس من الحر

إعلان الموت على المئارة

هذا العمل بدعة لم يأذن بها الله تعالى ولا مضت بها سنة رسول الله عليه وآله وسلم . وإنما قول انه بدعة اذا أتى به على انه مطلوب دينا بهذه الصفة اي جعله

في مكان اداء شميرة الأذان وقرنه بأذكار مخصوصة . أما الإعلام بالموت لأجل ان يسعى من يعلمون به الى تجهيز الميت وتشيعه ودفنه والصلاة عليه فذلك مشروع وان ورد في بعض الاحاديث النهي عن النعي وهو في اللغة الاعلام بالموت وإذاعته فالمراد به في الجاهلية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري إنما نهى عما كان أهل الجاهلية يصنعونه وكانوا يرسلون من يطان بخبر موت الميت على الدور والأسواق . ومن ذلك انهم كانوا يرسلون راجبا فيقول « نفاء فلان » ويطلق النعي على اخذ التأثر فقد كانوا اذا نموا القتل يحرضون على التأثر له . وقال ابن الأثير ان النهي الاعلام بالموت والندب . وقال ابو بكر العربي يؤخذ من مجموع الاحاديث ثلاث حالات (الاولى) إعلام الاهل والاصحاب واهل الصلاح فهذا سنة (الثانية) الدعوة للمفاخرة بالكثرة فهذا مكروه (الثالثة) الاعلام بنوع آخر كالنباحة ونحو ذلك فهذا يحرم اه قل ذلك عنه الشوكاني وقال بعده وبعد تقول أخرى فالاصل ان الاعلام للفضل والتكفين والصلاة والحمل والدفن مخصوص من عموم النهي لأن إعلام من لا تتم هذه الامور الا به مما وقع الاجماع على فعله في زمن النبوة وما بعده وما جاوز هذا المقدار فهو داخل تحت عموم النهي اه فعلى هذا يكون الاعلام المسمول عنه منها عنه فأقل حالاته ان يكون مكروها . وعندى انه يباح للنامس ان يصفوا من لا يتولون ما ذكر من الاعمال ولوللتباهي بكثرة المشيعين والمعزين بشرط ان لا يجمعوا ذلك من الدين

﴿ الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر ﴾

ارسلنا السؤال الآتي من بعض البلاد العربية لتعرضه على علماء الازهر فأقضى فيه من اطلع عليه بما ترى في الجواب وهذا نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما قول العلماء الاعلام السادة الكرام في قوم عوام يجتمعون وينشدون الأشعار بالالحان الحديثة والغرائب ويصفقون بالسبح ويتمايلون بتكرار وثمن همل
(المأرج ٤) (٣٥) (المجلد الثاني عشر)

فعلهم جائز أيضا وإذا قلنا بكمراهة ذلك في أحد المذاهب الأربعة هل يجوز للإنسان التقليد ليرقص مثلهم . وما الحكم في مذهب الإمام مالك بالرقص إذا كان بتكرار وتثنية كرقص الخنثيين هل هو حرام أو مكروه فقط أفيدونا بالجواب الشافعي لاختلاف منكم الديار في جميع الأقطار

الجواب

الحمد لله أما بعد فقد سئل الطرسومي رحمه الله في مثل ذلك فقال مذهب الصوفية أن هذا بطلان وضلالة وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . أن الرقص والتواجد أحدثها أصحاب السامري لما اتخذهم عجلا جسدا له خوار فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، والرقص دين الكفار وعباد الجبل ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على طلبهم . وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم . قال العلامة ابن حجر الشافعي هذا هو الحق وغيره هو الباطل وإن الرقص بتكرار أو تثنية حرام على الرجال والنساء وقال المزني بن عبد السلام أما الرقص والتصفيق فحنفية ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعله إلا أوعن أو متصنع جاهل أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء . وإنما يفعله الجاهل السفلاء . الذين اتبست عليهم الحقائق بالاهواء . وأما نشيد الأشعار بتلك الالفاظ الحديثة والتفاهات المطربة فهو حرام لا يفعله إلا أهل الفسق والضلال . أن هذا من الفناء المنهي عنه . قال القرطبي في نحوه أفتى الإمام مالك بالحرمة وهو مذهب أهل المدينة والتخمي والشمي وسفيان الثوري وأبي حنيفة وأهل الكوفة . ولكل من الشافعي وأحمد قول بمثل ذلك ونص على الحرمة الإمام الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة . وقال الإمام الأذري أني أرجح تحريم النفث الملتعة وسماها . قال عليه الصلاة والسلام أن الفناء ينبت التفاف في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال أبو العباس القرطبي الفناء لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا فعل بمحضته ولا اعتنى بمن يفعله

فليس ذلك من سيرته ولا سيرة خلفائه من بعده ولا من سيرة أصحابه ولا عترته ولا هو من شريعته . بل هو من المحدثات التي هي بدعة وضلالة وقد يتعاضى عن ذلك من غلب عليه الهوى . قال عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ — وإن رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الفناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ثم توعده أن عاد إليه بالضرب الوجع وحلق رأسه ثميلا به تعزيرا وبالتغني عن أهله وبإحلال سلبه لفتيان المدينة . ثم قال عنه وعن أمثاله هؤلاء العصاة . ثم توعدهم بأن من مات منهم بغير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان في الدنيا مخنثا عريانا كلما قام صرع . ومن أدلة التحريم قوله تعالى « واستغفر من استطعت منهم بصوتك » . فسرره بمجاهد بالفناء والمزايير . ومنها قوله تعالى « أفن هذا الحديث تصحون وتضحكون ولا تكونوا مسلمون » أي مفسنون على لغة حمير كما قال عكرمة وابن عباس . وقال بمجاهد هو الفناء بلفظة أهل اليمن . من هذا كله تعلم أن المذاهب كلها على تحريم ما يصنع أمثال هؤلاء وإن قطعهم هذا محقوت عند الله وعند العلماء والعقلاء . وإن مجلسهم مجلس الشيطان لا مجلس الرحمن . ولا يجوز افشاء السلام عليهم لأن بينهم وبين الشريعة حربا عوانا والمحارب لا سلام ولا أمان له . فيترك السلام خوف أن يفتلوا أنهم محقون مكرمون مرضي عنهم . وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقدم في هذه الأباطيل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر كاتبه

عبد الفتحي محمود المالكي بالأزهر حسين والي الشافعي المدرس بالأزهر

العمل المذكور بالسؤال غير مشروع عند الحنفية

كاتبه

عبد الباقي المغربي الحنفي المدرس بالأزهر

(المنار) هذا التشديد في الفناء خاص بمن يفعله على أنه عادة ودين كمض المتصوفة وكذا شدد فيه بعضهم مطلقا وقد فصلنا القول فيه تفصيلا في الجزئين الأولين من المجلد التاسع . وخبر الذي استأذن الرسول بالفناء لا يصح وإنما ذكره تقوية للتنفير

احدى الكبر* وكبرى العبر

خلع عبد الحميد خان • نفيه من دار
السعادة • وضعه تحت المراقبة العسكرية • ضبط
امواله وذاخيره وعقاره • اباحت يلكز الامة • توليته
مولانا السلطان محمد الخامس

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ،
وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ
تَشَاءُ ، يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ •

(سورة آل عمران ٣ : ٢٦)

جلت قلة الله ونفذت مشيئته ، وغلب قدره وعلمت كلمته ، جعل الايام
دولا ، وجعل للدول نواميس وسنناً ، فلا مبدل لسننه ، ولا تحول لنواميس خلقه ،
فلا يفرئك إملأؤه للظالمين ، واستدراجة للفسدين ، « ١٤ : ٤٢ » إنما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رهوسهم لا يرتدؤ إليهم طرفهم وأفئدتهم
هواء ، وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب

لا ينفع من قدره حذر ، ولا ينفذ من محيط سننه سلطان البشر ، فلا يهولئك
ما ترى من رسوخ الاستبداد ، ولا يؤنسك ما تشاهد من غلبة الاستبعاد ، ولا
يفزعك ما ترى من الحصون والاجناد ، فقد مضت سنة الله بأن الشيء إذا جاوز
حدده ، جاورضه ، وإن شدة الضغط توجب شدة الانفجار ، وإن الاعمال بالخواصم ،

١٢٨: ٢٥ والعاقبة للقيمين » ، ١٣٥ : ٢٥ والذين يقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ألا وإن مشيئة الله في إتياء الملك ونزعها ، ونفض الملك ورقعه ، واعتزاز السلطان وإذلاله ، ليست مشيئة استبدادية ، مغيرة لسنة الاجتماعية ، وإنما جعل لكل شيء سبباً ، ولكل أمر مقادير وسنن ، فإما من أمة تفرقت كلمتها ، وغلب عليها الجهل بمحورها ، واعتقاد وجوب القدس لأمراتها وملوكها ، وكثر فيها المناقون ، وقل فيها الصادقون ، إلا واجبت بالمستبددين ، ومنيت بالظالمين ، يسومونها سوء العذاب ، ويقطعون بها الأسباب ، فيأكلون الأموال ، ويستذلون الرجال ، ويميلون الحرائر إماء ، ليمتصوا بالملكات من النساء ، ويعشون بالشريعة والقانون ، ويمجنون على الأخلاق والآداب ، فيذلون أمتهم ، ويضمفون دولتهم ، فإذا استيقظت الأمة من سباتها ، واجتمعت بعد شتاتها ، وعرفت حقوقها ، وغبرت ما بأفئسها من قدس السلاطين ، وأرادت أن تجعل الحكم فيها للشريعة والقوانين ، فإن الله يفسر ما بها من النذل والعبودية ، فتستبدل بها العز والحرية ، من حيث ينزل ظالمها ، ويهلك مذليها ، ١٣٥ : ١١ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ، ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

لقد صدقنا الله وعده ووعديه ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه ، فهذا عبد الحيد خان وأعوانه ، وقرناؤه وخصيانه ، وجواريه وغلانته ، قد بقوا في الأرض ، وتركوا السنة والقرص ، وعطوا الشريعة والقوانين ، واستبدوا بجميع العثمانيين ، وجسوا القناطير المقطوعة من الأموال ، وحشدوا الحائهم الألوف المولثة من الرجال ، وأقاموا حولهم المعاقل والحصون ، لينموا أنفسهم أن يصول عليها المظلومون ، ٥٩ : ٢ وظنوا أنهم ما نصتهم حصونهم من الله فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار

نعم إن في ذلك لكبرى العبر ، لمن يعقل ويتدبر ، ٧٤ : ٣٢ كلا والقمر ٣٣ والليل إذا أدبر ٣٤ والصبح إذا أسفر ٣٥ إنما لا يحصى الكبر ٣٦ فزبراً للبشر ٣٧ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ، فقد أدبر ليل الظلم والاستبداد

وأُسفر صبح الدستور فميز بين الإصلاح والافساد ، وذهب الفتي وجاء «الرشاد» ، وكانت هذه الحركة العنانية إحدى الكبر ، نذراً للمستبدين من البشر ، تعلمهم انه لا يتفق حذر من قدر ، كما تعلم من شاء أن يقدم أو يتأخر من الأمم ، كيف يكون السير في الطريق الأمم ، وانما مدار التقدم والتأخر على العدل والاستبداد ، ورسوخ جذور إحدى الكتفتين في البلاد ، ١٤٥ : ٢٤ ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٢٥ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ٢٦ ثبت الله الذين آمنوا بأهول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء . لقد ذهبت هذه المعبرة بأعداء اليائسين من رُوح الله ، وتعلات القانطين من رحمة الله ، الذين يتركون العمل ، ويتفنون ظلال الكسل ، إذا غلقت في وجوههم الابواب ، ونقطت بهم الأسباب ، جهلاً بناية الله بالإنسان ، وسنة في نظام الأكران ، فها نحن أولاء قد رأينا عبد الحميد خان قد غلق جميع الأبواب التي يتصور التوصل منها الى خلقه ، وقطم جميع الأسباب التي يتخيل انها تقضي الى أخذه ، حتى أنه منع الاجتماع والجمعيات ، وحجر حتى على كثير من الألفاظ والاصطلاحات ، فأبطل من المحاكم الشرعية لفظ الحمر والجنون ، وان يحكم بالحجر على مجنون ، وضع لفظ المحالمة والخلع (١) ، منها وما يطعم من كتب الشرع ، لأنه يذكر بلفظ الخلع ، (بالفتح) كما أبطل من جميع المطبوعات ، امثال هذه الكلمات ، عبد الحميد . سلطان (الاعتد ذكره امراد . رشاد . ثورة . حرية . جمعية ، مبعوثان الخلع وكان لمراقبي الجرائد في ذلك من الأمر والنهي ، والاثبات والمحو ، ما يضحك التكلّي ، ويكيي اليأس الذي جاءته البشرية ، وأمر بحذف دعا القنوت من كتب التعليم ، وكلمة خلق العالمين مما يطبع من (١) الخلع بالضم الطلاق بعوض . وقد دفع الى محكمة التمييز إعلام بحكم شرعي في مخالفة فردته الى المحكمة الابتدائية لاجل تصحيحه بحذف كلمة خلق منه . وقد نبهت على ذلك بالأرقام كقولها (مثلاً) يجب تفسير الكلمة الرابعة من السطر الثاني والعاشر من السطر الثالث وهم جرا

كتب الفقه والحديث ، لئلا يخطر خلمه في البال ، عند ذكر خلع النعال ، او يسبق الى فهم المتعلمين او المصلين ، ان كلمة « ونخلع من بفجرك » في القنوت توجب خلع القمار من السلاطين ، هكذا رأياه قد انتهى كل شيء الا الله ، » ٨١: ٢٨ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله « ٣ : ٢٧٠ و ٣: ١٩٢ وما للظالمين من أنصار . عز عليه ان يسلب بالدستور والحرية ، ما كان يتعوله من صفات الربوبية ، ككونه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا رادة لأمره ، ولا مقب لحكمه ، ولا حدود لأمره ونهيه ، يحمد على السراء والضراء ، » ٢٣: ٢١ لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون » يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويصل ويقطع ، ويفرق ويجمع ، ويخفض ويرفع ، يسلب من يشاء ما شاء ، ويقتل من أوادمتي أواد ، ويعمد من يكره ، ويقرب من يحب ، فرأى بعد الدستور أن أمر الشريعة والدستور فوق أمره ، وان نفوذ جمعية الاتحاد والترقي فوق نفوذه ، وان الالسنه والاقلام التي كانت مكرهة على ترتيب آيات إطرئه ترتبلا ، والتسبيح بحمده بكرة وأصيلا ، صارت تسمي أعماله ووقائع نصره باسمائها ، بعد ان كانت تطلق عليها أسماء اضدادها ، اذ كانت تسمي الظلم عدلا ، والنقص فضلا ، والجلل علما ، والسفاهة حلا ، والباطل حقا ، والكذب صدقا ، والإفساد إصلاحا ، وانظم فلاحا ، والتخريب عمرا ، والاساءة إحسانا ، الى غير ذلك . راعه ان يكون بشرا يوصف بصفات البشر ، وان تكون رعيته من جنسه لا من الغنم والقر ، فضايق بهذا الدستور صدرا ، وعجز عن مبارزته جبراً ، فلبأ الى الكيد والاحتيال ، وفتح ما ادخره لمثل هذا اليوم من كنوز الاموال ، فلف بها الجمعية المحمدية ، وبث دعائها في العاصمة وجميع الولايات العثمانية ، فطقتوا يوسوسون لعامة المسلمين ، ان الدستور مناف للدين ، وان جمعية الاتحاد تريد بث التهلكة والإلحاد ، وتحويل الحكومة الاسلامية الى حكومة أوربية . بل بثوا فتشهم في العيش فشقه نصفين ، ودبروا مكيدة لا يطاق المذايح بين النصيرين ، (المسلمين والنصارى) » ٤٦: ١٤ وقد مزروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » أما لو وقعت الواقعة ، وقرعت الدولة هذه القارة ، لرجت الأرض رجاً .

وبسّئت البلاد بسبب (١) فكانت هباء منبثا (٢) ولكن لطف الله بهذه الأمة ، وأراد انقاذ هذه الدولة ، فانتهك السر ، وانكشف السر ، وظهرت الثورة على الدستور في القسطنطينية ، قبل أن تصل دعايتها الى جميع الولايات العثمانية ، قتل الثائرون بعض أعضاء مجلس النواب ، ودمروا على نادي جمعية الاتحاد ، قُتِلُوا ماعلوا تقيرا ، وكادوا يسرون المهاد تدبرا ، فأرز (٣) أهل التدبير الى سلانيك وهي مصدر الدستور ، ومطلع هذا النور ، واستصرخوا ذلك الجيش المنصور ، فلباهم سيليل الفاروق ، مبادراً الى فتح فروق ، والقضاء الأخير على الاستبداد ، واصطلام آخر برثومة له في البلاد ، والتكيلي بما له من الاحزاب والأقاص ، (١٣: ١٠) سواء منكم من أمر القول ومن جهره ومن هو مستخف بالليل وسارب بالهار (٤)

عباً (محمود) الأمة ، و (شوكة) الملة ، تلك الكتابب الشواء ، وهي كالقضاء المنزل من السماء ، فكان هو منها كما قال شوقي من قبل في مدح جيش عبد الحميد تيمارا لمدسه

يقود صرأها ويحمي لواءها	سديد المرائي في الحروب محرب
يحمي بها حيناً ويرجع مرة	كما تدفع اللجج البحار وتجذب
ويرمي بها كالبحر من كل جانب	فكل خيس لجة تضرب
ويغفدها من كل شعب فتلقني	كما يتلاقى العارض المشعب
ويحصل منها ما لها تنبيري له	كما دار يلقى عقرب السير عقرب
فظلت عيون الحرب حيرى لما ترى	نواظر ما تأتي الليوث وتغرب
تبالغ بالرامي وترهب بما دمي	وتعجب بالقواد والجد أعجب

(١) أي خربت فكانت أجزاء مفتحة ، أوسيق أهلها كما تساق الفم (٢) الهباء الغبار والمنبث المنتثر المتفرق (٣) أي اجتمعوا وانضم بعضهم الى بعض كذا فسر الاصمعي الكلمة في الحديث . وفي اللسان أرز (كجلس) قبض وتجمع وثبت ، ويقال أرز الى المكان اذا كان مأمنه ومنعته (٤) أي ويقال لم سواء منكم أيها الظاهرجون على الدستور من أمر القول الجنود وغيرهم بالحث على الفتنة ومن جهر به الح ، والسارب الظاهر البارز كالولئك الجنود العصاة

أو كما قال اليوم بخاطب هذا الجيش مقتضراً بهمله في أخذ عبد الحميد وخطمه

يا أيها الجيش الذي لا بالدعي ولا الفخور
 يخفى فإن ديم الحى لفت البرية بالظهور
 كاليت يسرف في الفعا ل وليس يسرف في الزئير
 الخاطب العليا بال أرواح غالية المهور
 عند الميعن ماجرى في الحق من دمك الظهور
 يتلو الزمان صحيفة غراء مذهب السطور
 في مدح «أنورك» الجري «وفي» نيازك «الجسور»
 «ياشوت» الإسلام بل يافتم البلد الصير
 وابن الأكارم من بني «عمر» الكريم على «البشير»
 القابضين على الصل ل كجدم وعلى الصرير
 هل كان جدك في ردا لك يوم زحفك والكرو
 فنصت صياد الاسو د وصدت قناص القصور
 وأخذت «يلدز» حنة وملكت عقاء الثغور

نعم كثر الفاروقى بجيشه وشيرون الأمم الأجنبية شاخصة إليه ، وقلوب الشعوب
 الألمانية محومة عليه ، وزحف على الآستانة ، مصوباً مدفعه عمثقا حسامه ، فلقبه
 جنود عبد الحميد ، وكانت الحرب كالسيل يقذف جهوداً بجهود ، فظل الأخ دم
 أخيه ، وخرق القرى بصدور قريه ، فكانت جنودنا كما قال البحري
 إذا اشتجرت يوماً فقاظت دماؤها تذكرت أقرنى فقاظت دموعها
 ولكن شأن ما بين الباعثين ، وما أبعد ما بين الداعين ، ففريق ينصر الملة
 بنصر السورى والدستور ، ويحمي الأمة بحماية مجلس المبعوثين ، وفريق ينصر الاستبداد
 بنصر ذلك الشيخ البال ، والمسررف المال ، والخلون المال ، (٣ : ١٣) والله يؤيد
 بنصره من يشاء إن في ذلك لنبهة لأولى الأبصار

أيده الله الحق على الباطل ، ويمكن جند الدستور من تلك الحصون والمناقل ،

حتى كأن قائده يحمل سيف جده عمر ، الذي كسب الله له النصر والظفر ، فكان هو الفارق الفاصل ، بين العدل والظلم والحق والباطل ، وقد أعجب أهل الحرب في أوربا بسرعة حركته ، وحسن تربيته ، كما أعجب أهل السياسة بإحكامه للنظام ، وحفظه للأمن ، وفرح العثمانيون بنصر الله الدستور على الاستبداد ، وحكم الشورى على حكم الأفراد ، « ٤٠ : ٥١ » إنا لتنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ٥٢ يوم لا يفع الظلمين مفرتهم ولم يلم اللئمة ولم سوء الدار »

سقطت « يلدز » ذات الحصون المشيدة ، والملاجئ المتعددة ، بعد أن حاصرها جيش الدستور ، وقطع عنها الزاد والماء والتور ، وفيها أربعمائة ألف من النساء والفتيان ، والخصيان والأعران ، والحرس الداخلي والخباب ، والخدم والكتاب ، والسواس والحوذية ، والأربيين والبستاني ، كانوا يأكلون كل يوم ما تشييه الأنفس من اصناف الألوان ، ويتمتعون بما أحبوا من نبات الحان ومفقات الدنان ، وقد استمد عبد الحميد فيها لكل شيء ، إلا الحصار فإنه لم يكن في الحسبان ، وسبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، أراد أن يجعلها كجنة الخلد ، فإذا هي في يوم الحصار دون جنة آدم في الأرض ، فقد قال الله لا دم (١١٨ : ٢٠) أن لك أن لا تجوع فيها ولا تهرى ١١٩ وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (وقد جاع وعطش في جنة عبد الحميد حتى القادات ، وصار من فيها كالسوائم يقتاتون بورق اللب ، نعم ذاقوا يلدز طعم الجوع ، بعد أن كانت مئات الموائد توزع من فضلاتها على الجمع ، وتجميع الألوف من الجنود وغير الجنود ، وذاقوا لباس الخوف والرعب ، بعد أن كانت تخيف جميع الشعب ، فصارت عبرة للمعتبرين . ومثلاً للآخرين . « ١٦ : ١١٢ » ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئة يأتياها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ولما ضيق عليها الحصار ارتفع الصراخ والويل ، من قال فيهن شاعر النيل

أبن الأوانس في ذراها من ملائكة وحوار

الترعات من النعيم الراويات من السرور

العائرات من الدلال التاهضات من الفرو

الآمرات على الولاة	الزاهيات على « الصدور »
الناعمات الطليات	العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزمان	بنشوة العيش النضير
المشرقات وما انتقلن	على الممالك والبحور
من كل « بلقيس » على	كرسي عزتها الوثير
أَمْضَى نفوذاً من « زبيدة »	في الامارة والامير
بين الرقارف والمشا	رف والزخارف والحير
في مسكن فوق السماء	وفوق غارات الفير
بين المعازل والقنا	والخيل والجسم النفير
سموه « يلدز » والافو	ل نهاية « النجم » المنير
دارت عليهن الدوائر	في الخادع والخذور
أُسمين في رق القبيل	وبن في أسر العشير
ما يتبين من الصلا	ة ضراعة ومن النذور
يطلبن نصرة ربهن	وربهن بلا نصير

ولماذا صار ربهن عبدالحيد بلا نصير ، ولا ولي ولا ظهير ، الجواب من سورة
الشورى التي كان يفتها (٤٢ : ٨) والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) ومنها
(٣٠) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويفعو عن كثير (٣١) وما أنتم
بمميزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

بعد أن ضيق جيش الدستور على يلدز الحصار ، خيرها بين التسليم وبين
السيف والنار ، فلم ذلك العاهل ، انه جاء الحق وزهق الباطل ، فأمر بالتسليم مدعياً إثار
السلام ، على الحرب والصدام ، وأن المسكر المهاجم كالحرس من أولاده ، لا فرق
بين الداعم والمهادم لاستبداده ، فلم من كان فيما من الجيش سلاحه وذخايره مأسوراً ،
ثم خرج منها مذموماً مدحوراً ، وخرج وراءه رؤساء الموظفين والكتاب والقراء ،
فالخصيان والخدم فالنساء ، فكان عسكر الدستور يخرج كل فريق فيعرف غير النساء
منهم فرداً فرداً ، ويخصبهم بالمقايلة على الجداول التي يده عدا ، ثم يرسلهم محفوظين

إلى المواضع التي أعدها لهم ، إلى أن يصدر الحكم المصري الفاروقي فيهم ، بل ذلك حكم الله وسننه في نظام الاجتماع ، « ٤٠ : ١٨ » ما للظالمين من حرم ولا شفع بطاع ، « وصدق عليهم بعد اباحة يلدز للأمة » ما نزل في فرعون وقومه « ٤٤ : ٢٥ » كم تركوا من جنات وعيون و٢٦ وزروع ومقام كريم ٢٧ ونساء كانوا فيها فاكين ٢٨ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »

وقد وضع الفاروقي فروق تحت الأحكام العرفية ، وشكل فيها الحكم العسكرية ، لحاجة منفذي الفتنة الجديدة ، لإبطال حكومة الشورى الشرعية ، وإعادة الأحكام الشخصية الوثنية ، وهذا أمر لا بد منه ، ولا تقوم المصلحة العامة إلا به ، والقتل بهذه الأحكام العسكرية ، هو من قبيل ما يطلق عليه الفقهاء اسم الأحكام السياسية . وقد صرحوا بأنه يجوز قتل التلث لإصلاح التدين ، فإن قيل إنها أحكام ربما تصيب بعض البراء ، قلنا وقد يقع مثل ذلك في أحكام القضاء ، « ٨ : ٢٥ » وأتوا فتنة لا تصمين الذين ظلموا منكم خاصة وأعلموا أن الله شديد العقاب »

وقد كان من أمر الولايات العثمانية ، عند ما علت بكيد عبد الحميد خان للحكومة الدستورية ، أن كتبت إلى مجلس الأمة بوجوب خطمه ، ونفض اليد من يمينه ، وإعلامه بأن الجنود مستعدة لحاربه ، والأهالي يتطوعون مع الجيش لمساعدته ، فلما أمن المجلس بأس ذلك السلطان ، اجتمع المبعوثون والأعيان ، واستفتوا شيخ الإسلام ، في خطم عبد الحميد وتولية رشاد ، وهذه رجة الاستفتاء والتقوى بالبرية :

« إذا حذف زيد أمير المؤمنين بعض المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع المقدسة ، ومنع ومزق وأحرق الكتب المذكورة ، وبذر وأسرف في بيت المال بدون مسوغ شرعي ، وقتل وسجن وفي رعاياه بدون سبب شرعي ، وتوعد ارتكاب غير ذلك من المظالم الأخرى ، ثم بعد أن أقسم بأن يرجع إلى الإصلاح حث يمينه وأصر على إحداث فتنة عظيمة تزل تمام الأخلاق بانتظام أمور المسلمين وأحوالهم ، وحرص على المذابح ، وإذا كانت الأخبار تتوالى من جميع أنحاء البلاد الإسلامية طالبة خطمه نخلصا من ذلك الجور ، وكان في بقائه ضرر محقق ، وفي نهوالة صلاح ملحوظ ، فهل يجب تنفيذ ما يرجعه أو باب الحل والعقد وأولو

الأمر من إلزامه التنازل عن السلطنة والخلافة أو نفيه ؟

(الجواب) نعم .

كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين

عني عنه

بعد تناول هذه الفتوى من شيخ الاسلام التي هي أصبح قرى صدرت في هذه الأزمان ، رد الشان فيها إلى أولي الأمر كما أمر القرآن ، اختار أول الأمر من الميعرين والاعيان ، ان يخلعوا السلطان عبد الحميد الثاني ، لأنه ثبت لديهم أنه يصدق عليه ما ذكر في الاستفتاء من المظالم والمخازي ، وأن يابعدوا بالخلافة والسلطنة ، محمد رشاد افندي ولي عهد المملكة ، وهذه ترجمة قرار المجلس بالقرية

« في الساعة السادسة ونصف من يوم الثلاثاء وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (مالية) تقرر في جاعة المجلس الوطني العثماني المؤلف من مجلسي الأعيان والمبعوثين خلق السلطان عبد الحميد الثاني وإسناد السلطنة والخلافة إلى ولي العهد محمد رشاد افندي باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختيار الخليفة على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الحلال المينان في الفتوى المذيلة بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي المتأولة في الجلسة »

ثم ان المجلس ارسل وفدين ، لتبايع قواه للسلطانين ، ليما ان الأمر لأولي الأمر ، لا لرجل واحد يسمى ولي الأمر ، لأن الله تعالى اسند في كتابه إلى الجمع ، ولم يسند قط إلى الفرد ، ويكون الأول عبدة للمستبددين الظالمين ، والآخرسلفا ومثالا للدستوريين الآخرين ، فبلغ الوفدان القرارين ولسان الحال ، يرقل قبل الملك المحتمل ، « قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

دخلوا على عبد الحميد الجبار ، الحقوق المستقم اقهار ، وهو نبي مأمته الذي ملأه بالمسدسات ، وجهل فيه الملاحي . والمعارات والمدخلات ، ون في كل حجرة منه تمثال ، يمثله في حال من الاحوال ، فيها التائم على السرر المرفوعة ، ومنها التكي على الأرائك الموضوعة ، ومنها المكبة على كتابه ، ومنها الممثل لقراءته ، يحتاج بذلك لحياة الجنود والأحرار ، وغفلة الرقباء والأرصاد ، حتى اذا ما دمر عليه محتل ، يحاول

الفتك والاعتقال ، واتفق ان اهتدى الى بعض حجراته ، التي يأرز اليها في خلواته ،
يقره التمثال فيهم عليه ، فينفذ رصاص المسدسات الحديدية من بين كنفه ، وان
عبد الحميد لا يخطئ الرمي ، فقد تمرن على الرمي حتى صار كمني ثل أو أرمي -
دخلوا عليه فإوارته عجائبه ، ولا حته مسدساته ، ولا دافعت عنه رجاله ، ولا أغت
عنه أمواله ، بل غلب على هذا الخلو الجبن الطالع ، فإذا هو خاضع خانع ، قد
خرس لسانه ، قاله ، وقرأ لسان حاله ، « ٢٧ : ٦٩ » ياليتها كانت القاضية ، ٢٨ ما أغنى
عني مالي ٢٩ هلك عني سلطانيه ، يمتنى لو كانت مكيدته قضت على الدستور ،
وجعلت زعماء وأنصاره من سكان القبور ، ثم طلب أن يبقوا عليه كما أبقى على أخيه
مراد ، ويحسبوا إليه لأنه بريء مما وقع من الفساد !! وطلق يولك باطل الاذار ،
ولو كان صادقا لما انتهى الى هذا « القرار » ، « ٢٨ : ٣٨ » ام نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار ؟

لماذا خضع ، ذل عبد الحميد ، وهو الجبار العتيق ، لذلك الوفد ، الذي لم يكن
معه غير ثلاثة من ضباط الجند ، أتوا ضاماً كتواضع الخلفاء ، ام هي شمشة الجبناء ، ان
قدروا بفوا وعتوا ، وان عجزوا ذلوا وعنوا ؟ أذا هو السلطان المستبد ، القاسي
الشكير ، الحريص على حياته ، المحافظ بقوة الدولة وما لها على شخصه ، هو بعينه
عبد الحميد ، الذي دخل عليه وفد مجلس الأمة من غيرة وارضة ولافتيش ، فوقف أمامهم
خاضعا ضارعا ، متوسلا خاشعا ، يسألهم الإبقاء عليه . وترك روحه العزيزة بين جنبيه ؟
سبحانك اللهم ما أجل حكمتك ، وما أعدل سنتك ، ما أصدق وعدك ووعيدك ، فقد
يفت لنا أن العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وقالت « ٤٠ : ٢٠ » أولم
يسيروا في الأرض فيظفروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة
وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق »

أين تلك القوة القاهرة ، أين تلك الإرادة النابذة ، أين تلك العظمة والكبرياء ،
أين ذلك الشم والإباء ، أين ذلك المسرف المال ، أين ذلك المعجب الخذل ،
أين السلطان عبد الحميد ، الذي ظن انه يبقى فعلا لما يريد ، فلم يكن يقبل ان يوجد
في المملكة من يقول هذا نافع في السياسة وهذا ضار ، وهذا حلال في تصرف

الادارة وهذا حرام ، أين السلطان عبد الحميد الذي جعل نفسه هو الملك وهو الأمة ، هو القانون وهو الشريعة ، الذي كان يرى ان الملك ملكه ، والزمان ضلما ، والناس عبيده أو عباد ، وان له الحق ان يحرف كتب دينهم ، وان يغير أسفار تاريخهم وتاريخ غيرهم ، وان عليهم ان يقابلوا إساءته بالشكر ، وظله بالرضا والحمد ، أين السلطان عبد الحميد الذي كانت لا ينزل إلى موكب صلاة الجمعة في الأسبوع ، إلا بين صفوف من الجيوش كالبنيان المرصوص ، فيحرم الصلاة على الألف من المسلمين لأجل صلاته ، التي يجعلها عنواناً على خلافته ، فيترلف اليه فيها آيات معية من القرآن ، لا يتجرأ أن يتلو غيرها قارئ ولا خطيب ولا إمام ، ولو قرأ قارئ على مسامحة آية من الآيات التي تندر الظالمين الملاك والدمار ، وتؤذنه بالزوال والوباء ، لأخذ منه باليمين ، وقطع منه الوتين ، أو زجه في ظلمات السجن ، أو نقاه من الأرض ، أين عبد الحميد الذي كانت يزود الخوقة النبوية الشريفة ، تذكيراً للمسلمين بأنه هو الخليفة ، فتحرص له الجنود طريقه إليها طول السنة ، فإذا قرب الموعد أخلت من جانبيها القنادق والدكاكين والأمكنة ، وغلقت الأبواب والنوافذ والكوى ، وحشرت الجنود تملأ ما بين الرجا إلى الرجا ، لئلا يطمع أحد بالدنو اليه ، أو يكون في مكان أعلى منه ، ٢٩ : ١١ : ٢ ما أغنى عنه ماله وما كسب ، ولا وقاه ما أكدى وما وهب ، ولا نفقه رأي ثقائه ، ولا سلاح حماه ، بل سلعت فته الباغية المفروقة ، لفئة الدستور المنصورة ، وذم هو عمل منفذي فتنه وتبرأ منهم ، وزعم انه كره عملهم ولكن عجز عنهم ، ٨ : ٨ : ٤ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفتنان نكص على عقبيه وقال لاني بريتكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب »

بعد اسبوعين من خلع عبد الحميد ، أفتد القاروقى حكم أولي الأمر بنفسه الى سالانيك ، وأخرج معه من دار السعادة اثنان من صغار اولاده ، واحدى عشرة امرأة من جنوايه ونسائه ، وحيى به الى محطة سكة الحديد فحضر مركبة مركبات الجنود . وارسل كذلك مخفورا في قطار مخصوص ، ولما وصل الى محطة سالانيك اختار ركوب إحدى مركبات الاجرة ، الى ان وصل الى الدار التي أعدت له ، وهي دار

اللاتيني بأشاقنا الشرطه ، وقد احضر له ولن معه طعام ذلك المساء من إحد مطاعم السوق ، وطلب تبصرا فاشترت له أيضا من السوق ، وكان في عمة أوقاته كالمف الببال ، كثير المواجس والافكار ، وقد تضرع الى القائد الذي استقبله ، بأن يضمن له حياته ، فبدأ القائد اضطرابه ، وسكن روعه ، ولو كان بجدا لجيد صاحب عزة وإباء ، لما حرص في مثل هذه الحال على البقاء ، ولا أقول لفعل ما فعلت الزبابة ، على ان البعخ والانتحار اذا كان محرما في الاسلام ، فشد الحرس على الحياة ليست من شأن أهل الإيوان ، فقد قال تعالى في في الذين لا يؤمنون (٩٦:٢) ولتجنهم احرص الناس على حياة من الذي اشركوا يود ائدهم لو يُعصم ألف سنة وما هو بمنزلة من العذاب ان يعمر بالله بصير بما يعملون)

اما مولانا السلطان محمد الخامس فقد بويع في ذلك اليوم بنظارة الحرية ، باختيار اولي الأمر ونواب جميع الأمة الثمانية ، فان كان قد قل في حفلة المبايعة اني اول ملك في عهد الدستور والحرية ، فاننا نقول ان مبايعة اول مبايعة جرت على الصورة الشرعية ، فقد كان سلفه يأخذون الملك بمجرد الارث ، وهو قد ناله هو باختيار أهل الحل والعقد ، وقد بويع بالمصافحة كما بويع الخلفاء الراشدون ، لا بلهم الراحة وتقبل الاذيال كما جرى عليه اسلافه المستبدون . وأول من بايحه الشريف حيدر بك من أعضاء مجلس الاعيان ، ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، ثم قبيب الاشراف فريضا مجلسي الاعيان والنواب ، فأعضاء المجلسين فالامراء والضباط ، ثم من حضر من خيار الناس ، وقد صرح مولانا عقب مبايعة ، بأن كل رغبته ورجائه في سعادة امته ، وبعد عدة أيام حلف في نظارة الحرية ، بين التزام الشريعة والدستور والحفاظة على حقوق جميع الأمة الثمانية ، ثم حلف أيضا في مجلس نواب الأمة ، كما استقبلهم على الاخلاص لها وله ، فأقسموا طائفتين ، وأطاعوا مختارين ، ودعوا له مخلصين ، والأمة من ورائهم تقول آمين ، والعاقبة للمتقين ، « ١٣ : ٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »

ونسأله تعالى ان يجعل لسال حال سلطاننا الأواب ، هذه الآية الكريمة من الكتاب « ٤٠ : ٣٨ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد »

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على الفسخ وكون السنة من الدين - لليافي ﴾

٣

تمة بحث النسخ

ولقد الى ما كنا بصدده فقول قد بينا في رسالتنا السابقة بعض حجج ما ذهبنا اليه وسنزيد ذلك ايضا فقول - ان الكلام اذا سبق فانما يساق بمناسبة المتأخر لا تقدمه وابتنى عليه ودونك ما قبل هذه الآية لتعرف دلالة السياق وان الكلام مسوق في أي شيء. أهر في ذكر المعجزات كما قال الدكتور الفاضل ام في ذكر الدين وشرائعه واحكامه ومن هنا تعرف ان ما ذكرناه عن السلف في تفسير هذه الآية هو المناسب لسياقه اقل تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا) للكافرين عذاب ألیم - ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليهم من خبر من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ففي اول هذه الآية حذر المؤمنين من موافقة الكافرين في إطلاق الالفاظ الموهمة كقولهم راعنا ثم اخبرهم في آخرها بشدة عداوة الكفار لهم وانهم يكرهون نزول الخير اليهم وذلك الخير الذي تفضل الله به على عباده المؤمنين هو الشرع التام الكامل (٥) الذي شرعه لنبه محمد (ص) واختصه وامته به والله

(٥) التارخ: الكلام صريح في بيان سبب إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن أهل الكتاب يحسدون العرب فلا يودون ان ينزل الوحي على رجل منهم فهم لذلك ينكرون نبوة محمد (ص) والمشركون ينكرون النبوة من حيث هي فالكلام في النبوة لا في الأحكام الجزئية التي في الوحي وهي أقل ما فيه. والشرع الحمدي عقائد ومعارف إلهية وآداب وعبر وأخلاق كريمة وأحكام عملية. والمقائد هي الاساس والكلام في ركن النبوة منها لأن غيره يبنى عليه فالمناسب ان تكون الآية ما يؤيده

(المجلد الثاني عشر)

(٣٧)

(التارخ ٤)

بمخصص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم — وعلى مناسبة ذلك قال « ما نسخ » من هذا الخبر وهو الشرح الحمدي « من آية او نساها » فليس من باب قنوت او احراءكم بعض هذا الخبر الذي فضلنا به عليكم بل فعل ذلك لتأنيكم بخبر منه اذا نسخناه او بطله اذا قصرتم في حفظه ونسيتوه — أما قوله « الم تعلم ان الله على كل شيء قدير » الى آخره فالما ذكره في عقب هذه الآية كالدليل بالشيء على فظايره وذلك مثل استدلاله جل شأنه على البعث وامكانه بانطلاق الاول وإحيائه الأرض بدموتها وقد ذكرنا في رسالتنا السابقة مناسبات أخرى فارجع اليها وليتأمل الفاضل في هذا المقام وليطه حقه من النظر

وقول ايضا نحن قد قدمنا وقلنا غير مرة انه قد علم من ديننا بالضرورة ان القول بالرأي في الدين وبالاخص تفسير القرآن لا يجوز مطلقا بالآية برأي مخالف لما قاله السلف ولما قاله (١)

ثم قول الحضرة الدكتور الفاضل هب ان السلف لم يتكلموا ولم ينقل عنهم في تفسير هذه الآية شيء أفليس الواجب ان نرد كل لفظ الى اصله ونحمله على معناه الحقيقي ولا تقدم على القول بالمجاز ولا نعدل اليه الا اذا تعين بقرينة فاذا عرفت ذلك نقول قال في القاموس نسخته كمنه ازاله وغيره وابطله وأقام شيئا مقامه والشيء مسخه والكتاب كتبه عن معارضة كأنفسه واستنسخه المقول منه نسخة بالضم وما في انطية حوله الى غيرها انتهى والمصنفان الاخيران لا يصح حمل الآية المتنازع في تفسيرها عليهما اتفاقا فلا يبقى الا الازالة والتغيير والابطال — فاذا كان المراد بالآية في قوله تعالى ما نسخ من آية المعجزة كما يقول حضرة الفاضل فامعنى ازالتها أو ازالة مثلها فانه لا يزال ولا ينقل الا ما كان ثابتا في الخارج واما ما يعدم ويهوت بنوات وانقضاء زمنه فلا يقال ازاله ولا يزيله نعم يقال في مجاز اللغة ازلت حجة بمعنى بنيت كتابها وعدم صحتها فاذا اريد بالآية المعجزة فلا يجوز حملها على

(١) ان من يفسر آية بشير المروي عن واحد ادر ٢ و٣ من السلف لا يسمى مخالفا للسلف لاسيما اذا اختلفوا والا لكان جميع العلماء مخالفين للسلف حتى الائمة المشهورين وإنما مخالفة السلف المذمومة هي مخالفة سنتهم التي جروا عليها في امر الدين والابتداع فيه

مضى الازالة لا حقيقة ولا مجاز ابقى التفسير والابطال والقول فيها كاقول في الازالة وهل يصح ان يقال ان الله غير باطل ومعجزات الانبياء السابقين فاذا قسد التفسير يحمل الآية على المعجزة تبين حملها على آيات الاحكام ونحوها من آيات القرآن لصحة قولنا ازلت حكم كذا واقت مقامه حكما آخر او ازلت الكلمة واقت مقامها كلمة أخرى فاذا ذكرناه في تفسير الآية هو الحقيقة التي لا يصلح ارادة غيرها وبذلك قال السلف كما عرفت ذلك عنهم فيما سلف — واول جوزنا العنود عن الحقيقة الى المجاز بلا قرينة ولا مرجع للعنود وسلمنا ما قل بان النسخ قد يكون بمعنى الترك — فكذلك لا يصح ارادة ما قاله الفاضل ولا يجوز أيضا — لأن ترك الشيء لا يكون الا إذا أمكن فعل ذلك الشيء نفسه والمعجزة الفعلية الذي وقعت وانقضت زمنها كاقولاب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية مثلا لا يمكن ان تعاد نفسها لاسيما مع عدم وجود العصفان قبل المراد مثلها قلنا وهذا مجاز بتوسط تأويل — ولو سلمناه أيضا فانه لا يصح حمل الآية عليه لانه لا يصح الا بعد ان يثبت ان الله قد كتب في الكتاب الذي كتبه لكل مدة مضروبة بأن سيؤيد بمحمد (ص) بمثل تلك المعجزات الماضية مماثلة من كل الوجوه فاذا قدر انه عدل عن ذلك الى ما يماثلها من بعض الوجوه جاز ان يقال ترك هذا المثل لهذا المثل ولا يخفى ان الهجوم على ذلك بلا توقف جراءة واستبداد على الله

فان قيل لا نقول انه ترك ما كتب وقدر انه يؤيده بمحمد (ص) كما ذكرتم قلنا ان تنظير الدكتور للنسخ في هذه الآية بقوله (بحواله ما شاء ويثبت وعنده أم الكتاب) صريح فيما ذكرنا فساد. وقول أيضا ان ما هو نحو المعجزات من الافعال التي مضت وانقضت هي الآن مهدومة فان قيل المراد مثلها الموجود في بعض الاذهان فيجوز تركه قلنا ذلك ممنوع لأن الموجود في الاذهان المذكورة انما هو التصديق بتلك المعجزات ونسخه انما يكون بنقضه وتكذيبه وهو محال وايضا ما في اذهانهم لو أوجده الله في الخارج فهو لا يكون الا نفس المعجزات الماضية التي قد عدت والافعال التي قد وقعت لا يمكن ان تعاد نفسها وما كان كذلك فلا يقال انه تركه وعليه فالنسخ بمعنى الترك لا يمكن ان يفرض الا فيما يماثل من بعض الوجوه

ما حفظه بعض الناس من معجزات الانبياء وحينئذ لا يكون المنسوخ في الآية ما قد وجد ولا مثاله الموجود في اذهانهم بل هو مماثل مثاله من بعض الوجوه وهذا إما هو معدوم لانه غير موجود في الاعيان ولا في الاذهان ومعلوم ان الله لم يرد انه نسخ أو ترك المعدوم المطلق أو انه أبد نبينا (ص) بخبر منه أو مثله لان الخبرية والمثلية لا يوصف بها المعدوم فظهر بذلك ان المعنى الذي حمل الآية عليه خضرة الفاضل لا يصح الا فرضه في المعدوم المطلق وسباق الكلام ومعناه يأبى ذلك والا لزم وصح ان يقال ان كل ما أوجده الله فهو بديل ومثل ومسبب عن ترك معدوم مطلق لم يقدر في كتاب وهذا لم يقله أحد

هذا بعض ما نقوله في المنسوخ الذي ذكره الله في قوله « مانسوخ من آية أو نساها » وقد عرفت انه لا يصح ان يفرض شيئا مما قدمنا بيانه أمام معجزات نبينا (ص) فلا شك انها قد وفقت وقامت بتأييد رسالته (ص) كما قدوة معجزات الانبياء السابقين بتأييد رسالتهم وزيادة لكن اطلاق ان هذا ناسخ لهذا لا يصح في تفسير قوله تعالى (مانسوخ من آية أو نساها) وقوله فكل آية من آيات الانبياء السابقين الى قوله قد أتى الله بمثلها في الاقتاع والهداية أو بخبر منها قال نعم والامر كذلك الا انا قد قدمنا فساد فرض المنسوخ بمعنى المعجزة وعليه فأتى الله ومن به على نبينا من المعجزات فليس بدلا عن معجزات الانبياء السابقين على معنى ان تكون ناسخة لتلك ولو كان كل معجزة لنبى متأخر ناسخة لمعجزات من تقدمه لكانت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لمعجزات عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزات عيسى عليه السلام ناسخة لمعجزات من تقدمه وهم جبرأ وعلية فأتى به محمد من المعجزات لا تكون بدلا لكل معجزات الانبياء السابقين والا لزم نسخ المنسوخ حين هو منسوخ (١)

(١) النار: كل هذه الوازم التي اوردها ممنوعة ويمكن ايراد معنى المائلة من كل الوجوه او بعضها على التفسير المشهور للآية وان من يفسر الآية هنا بما يؤيد الله به الانبياء كأبي مسلم لا يقول اذا زال الله ما يؤيد به بعض رسله من آية في زمن رسول آخر وايداه بغيرها فانه يكون ناسخا للاحقة بل يقولون ان المعنى اذا لم يؤيد الرسول

وقول ايضا يلزم الفاضل المذكور في الادلة المتعددة المختلفة الحقائق على صحة المدلولات الثلاث والمدلول الواحد تصحيح اطلاق ان كل واحد منها ناسخ للتأخر فليأمل الناظر وليحكم بما شاء بشرط الانصاف

اما قول الفاضل المندوح واذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل انى تعالى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثيرا من احكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ واقول قد عرفت انه لا يمكن حل ذلك على غير آيات الاحكام وقول نعم انه قد عوضنا بدل كل آية نسخها ورفعها بما هو مثليا وافضل منها وذلك موجود في هذا القرآن الذي بين ايدينا — أما قوله فكيف نسخ كثير من القرآن بالسنة على قول بعضهم فجوابه انه لم يفضل احد احكام القرآن على احكام السنة لأن الكل من الله والحكم الناسخ سواء كان في القرآن او في السنة هو أكثر خيرا من المنسوخ ولا ضلوت في نفس الحكم الا أن هذا يكون اصح من هذا كما سيأتي بيانه . نعم ألقاها القرآن هي افضل من ألقاها الأحاديث ولم يقل أحد أن لفظ الحديث ناسخ لفظ القرآن فما اراد ابراده غير وارد فتأمل

ونحن قدمنا الكلام في اختلاف العلماء في النسخ فارجع اليه فن يجوز نسخ القرآن بالسنة بعضهم يقول ان ذلك جائز لكنه لم يقع واما من يقول منهم بوقوعه فلمهم أن يفرقوا بين نسخ الآية ونسخ حكمها بأن يقولوا إنه من المعلوم بالضرورة ان الدين كله سواء كان قرآنا او وحيا غير قرآن — وهو السنة — انما عرفناه بتوسط محمد (ص) الذي عرفنا صدقه وصحة نبوته ورسالته فلا يجوز لنا ان قبل بعض ما — التأخر بآية المتقدم بأن ازال تلك الآية وما أراد إعادتها فإنه يؤيده بمثلا او بخير منها في اثبات الرسالة . ويمكن ان يفسر لفظ النسخ على هذا الرأي بما ورد في الآثار من انه بمعنى الابطال في الكتاب ويكون معنى الآية عليه ما ثبت من آية في الكتاب الذي هو القرآن خطأ ومعنى فيصرفها الناس او ننسها الناس بترك الاعلام بها فانتا نأني بخير منها أو منها في تأييد رسالتنا . وبذلك يعطى قول بعض الكافرين (٥: ٢١) فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) وما في معناه مما حكاه الله تعالى عن الماعنين

جاء به وترك البعض الآخر اذلو فلما ذلك لكننا مكذبين له (ص) في ذلك البعض وذلك كفر في دين الله وبه كما قال تعالى «أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» بناء عليه يجوز ان يكون بعض احكام السنة خبيراً من الحكم المنسوخ الذي كان في القرآن - واذا كان المراد بالخيرية ان يأتي بغير منها أي يدل ذي مصاحبة واجبة فلا قباحة في أن يقوم الحديث النبوي بدلا عن لفظ آية وحكمها مما أما الوصية للوالدين والأقربين فالجمهور يقولون ان النسخ لها إنما هي آية المواثيق والسنة مينة وشارحة لذلك النسخ. هذا بعض أجوبتهم وهوامع ودافع لكل ايراد، قلت الأيراد الصحيح في هذه الآية إنما توجه على مذهب حضرة الدكتور الفاضل لأنه إذا منع النسخ في القرآن مطلقا به أو بالنسبة لزمه ان الواجب للوالدين الوصية والنصيب الذي فرضه الله لكل واحد منهما في آية المواثيق - - وحينئذ يتعرض عليه ويقال إنه اما أن يكون ما فرضه لها واقبا بحققها أو ليس يواف بحققها وعلى كل تقدير اما ان يلزم النقص أو الظلم (لا يقال ان الوصية إنما نذب اليها ولم يوجبها لأننا نقول ان الاعتراض وارد على الاستحباب أيضا على ان في قوله تعالى «كتب عليكم» في أول الآية وقوله «حقا على المتقين» في آخرها دلالة ظاهرة لا يمتريها شك ونص في الوجوب فلا اعتراضات الواودة الصحيحة إنما ترد على مذهب الفاضل الدكتور

قال الفاضل وأين البديل للآيات التي نسخ لفظها وحكمها مما كقوله عشر وضعت معلومات يحرمن - الذي نسخ على زعمهم بقوله - خمس رضعات معلومات ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ؟ قلت والجواب من وجود وهو يختلف باختلاف مشارب الناس في هذا الموضع

(الأول) من لم يشترط التواتر في نقل القرآن وهؤلاء يقولون ان آية (١) الحن

« ورد عن علي وابن عباس وهما أعلم السلف بالتفسير ان الآية خاصة بمن لم يرث ويمكن للدكتور ان يقول به وهو ليس بمن ينكر التخصيص وان سمي نمحاً على انه يمكن منع استلزام الظلم والنقص بحمل الوصية خاصة من وجه آخر كأن يكون بعض الورثة فقيرا عاجزا عن الكسب وبعضهم غنيا فيوصي للعاجز الفقير

الرضعات المعلومات هي آية (١) من القرآن الكريم وهي محفوظة بهذه الرواية ونحوها ولما عندهم حكم القرآن المتأخر ومن يقول بذلك فلا يرد عليه اعتراض حضرة الدكتور الفاضل هنا من أصله فإن كان يرد عليهم اعتراضات أخرى فأنهم قد أجابوا عنها .
(الثاني) قول من يقول ان القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وبما سنده لا يكون إلا قرآناً أو سنة كذلك

(الثالث) انا نختار ان نقول لا شك ان العشر الرضعات قد ثبت انهن كن فيما نزل من القرآن وثبت انهن نسخن ونقل النسخ لا يشترط فيه التواتر لان اشتراط التواتر في القرآن انما التزمه من التزمه لان من خالف الاجماع يكون شاذاً مخالفاً لما قلناه جميع الصحابة من حصرهم القرآن المحكم في هذا المصحف الموجود بين أيدينا واذا صرح وقيد الناقل ان ذلك قد نسخ لفظه أو وحكمه فلا شك ان ذلك يخرج من الشذوذ فلا يكون مخالفاً للثبوت عليه من القرآن لجواز ان يكون الصحابة (رض) تركوا نقله لكونه منسوخاً لفظاً

بقي البحث في النسخ وهو الجنس المعلومات ثم هذه الجنس المعلومات هل من قرآن محكم باق لفظه وحكمه أم ليس من قرآن وقد قدمنا قول من لم يشترط التواتر وبعض من يشترط التواتر يقبل الحكم ولا يقبل القرآنية فنقول ان القرآنية المقولة بنقل الواحد ونحوه إذا خالفت المصحف كانت شاذة فخالفة الجمهور اسقطت القرآنية لاحتمال ان يكون الراوي الواحد ونحوه نقل ما كان منسوخاً لفظه ولم يعلم بنسخ لفظه أو انه ظن ان ذلك قرآن اما الحكم المتضمن له تلك الرواية فهو غير معارض بنقل الجمهور للقرآن وباب الحكم غير باب اللفظ والقرآنية فن هنا قالوا بقبول الحكم ورد القرآنية فنكر

وآية عدد الرضعات المرفوعة المنسوخة هي ليست في الحقيقة مما يصح ان يورد عليها ما أورده الفاضل يعرف ذلك بجميع اطراف الرواية ودونك ذلك - روي عن عائشة (رض) انها قالت كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات ميعوم» ثم نسخن بخمس معاومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن رواه مسلم وأبو داود والنسائي - وفي لفظ قالت وهي تذكر الذي يحرم من الرضاعة نزل

في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضا خمس معلومات رواه مسلم وفي لفظ قالت نزل في القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله (ص) والامر على ذلك رواه الترمذي - وفي لفظ كان فيما أنزل الله عز وجل من القرآن ثم سقط لا يحرم الا عشر رضعات أو خمس معلومات رواه ابن ماجه - والنظر يرى ان الصدقة (رض) لم تذكر لا النسخ ولا المنسوخ بلفظه ولا سياقه ولم تبين محله نعم روايتها ظاهرة في ان عدد الرضعات كان قرآنا في الجملة وبعضها ظاهرة في ان العشر نسخا بالخمس ورواية الترمذي هي صحيحة ولا تبين دلالتها على ان الخمس التي هي بدل عن العشر انها كانت قرآنا ولا تدل على ان النسخ وقع بالخمس أيضا وبناء على ما تقدم فقولها (رض) فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن أي ان بعض من لم يلفه النسخ كان يقرأ ذلك وهو مع شذوذه عما قل الجمهور لم يثبت قراءته في المصحف ولعله رجع عن ذلك ثم يحتل كلامها ان من بقي يقرأ كان يقرأ العشر والخمس معا أو انه كان يقرأ الخمس فقط ظانا ان ذلك لم ينسخ وهذا الاحتمال الأخير بعيد . فهذه احتمالات . وأما حديث ابن ماجه عنها فظاهر ان العشر أو الخمس انما هو آية واحدة ودلت هذه الرواية على ان الكل رفع - وبناء على ذلك ان من لازم نسخ العشر ان تنسخ الخمس معها وترفع رفعا لكونها جزءا من آية ولأن الخمس انما هي معطوفات على العامل في العشر فهي منسوخة بالتبع لعدم جواز بقاء لفظها بعد نسخ اول الآية والالبقت غير معاومة المعنى ومثل ذلك لا يجوز بقاءه او وجوده في القرآن فاندفع ما اوردته الدكتور الفاضل - فقوله في حديث مسلم رح ثم نسخ بخمس معلومات أي بقاء حكم جزء الآية المرفوع لفظه بالتبع وهي الخمس المعلومات ناسخ للعشر المقصود رفعا ونسخ حكمها بالاصالة والذات - وبقي بعض من لم يلفه رفعا ونسخها يقرأها هكذا : لا يحرم الا عشر رضعات او خمس معلومات

قلت وقوله تعالى (وامها تكم الا التي ارضعتم) يصح ان تقول انه بدل عن هذا المرفوع ورواية ام المؤمنين (رض) قد اثبتت ان حكم العدد محكم فحرم الالمات المرضعات في هذه الآية وارد في رضاعة معاومة وهي الخمس الرضعات وعائشة (رض)

يعين ان تكون سمعت من رسول الله (ص) ان حكم الخمس باق وقد روت في ذلك
ايضا امره (ص) سائلة امرأة أبي حذيفة ان ترضع سائلا خمس رضعات ومن يشترط
الخمس الرضعات فهو قول ان هذا كله منسوخ حكمه ولفظه وناسخ ذلك الاطلاق
في قوله تعالى «واما انكم الاتاني ارضعكم» فواصل الجوف هو الرضاع المحرم ومنهم من
قال ان الله اطلق تحريم المرضعة والمرجع في ذلك الى السنة وقنودان المصة والمصتين
والرضعة والرضعتين والإملاجة والإملاجين لا تحرم وحديث عائشة (رض) فيه إناطة
التحريم بخمس معلومات فوجب المرجع اليه فيما نفتقد وقدمنا توجيهه، بذلك انفسح
اضراض المذكور الفاضل ايضا وثبت ان الناسخ لذلك هو القرآن ففسرنا المراد
منه بالسنة أو بما له حكم السنة وظهر بما قدمناه ايضا التكة في نسخ لفظ الخمس والله اعلم
وأما آية الرجم فقد قدمنا الجواب عن رفع لفظها وحكمته فلا نعيد واذ قد فرغنا
من جواب كل ايرادات الفاضل في مسألة النسخ فلنشرع في الجواب عما اووده
من الشبهات على وجوب العمل باحاديث الآحاد الصالح فقول (طابقية)

الانقلاب العشائى الميمون

﴿ بخلع عبد الحميد ﴾

(رأى جرائد مسلمى الهند فيه)

أرسل الينا صدقنا مولوي محمد إسماعيل صاحب جريدة «وطن» الفرائدى تصدق
باللغة الاوردية في «لاهور» مقاتلين في الانقلاب احدهما من تلمه نشرها في فاشحة
أول عدد صدر من جريدته بعد العلم بالانقلاب الاخير وخلع عبد الحميد ثم ترجمها
بالعربية والثانية نشرت في جريدة «البرزور» باللغة الانكليزية وسألنا رأينا فيها
فنحن نشرها ثم نبدي رأينا فيها وهذه هي الاولى فنشرها مع إصلاح قليل لبعض
الألفاظ يحدد المعنى ولا يضيع منه شيئا (وعنوانها الانقلاب المشؤم في الدولة العلية)
قد طير البرق البنا اليوم النبا المشؤم الذي قتل الأجداد، وأبلى القلوب ثوب

(المجلد الثاني عشر)

(٣٨)

(المار ج ٤)

الهنداد ، وقد ساد الأسف بمجرد سماعه على العالم الاسلامي في الهند وسائر اقطار
 المعمورة ، ومن التآلم الناشئ منه تنفست الصدور ، وذلك التآلم العظيم الذي آلم العالم
 الاسلامي بأسره هو نبأ عزل جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الخلافة
 والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الامة اجاعا على عزله ولا ادري هل العزل جلالة
 من عند نفسه او اعتزله بجمية الانحد والترقي التي كانت عند اول ظهوره في بدء
 احياء الدستور العثماني اخيراً مظهره عزماً على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء ليكون
 اعضاها من الناقمين من جلالة او الخائفين من ذاته على الدستور . ولكن علنا بعد
 صدور الارادة الشاهانية باعلان الدستور واقلاب الوزارة وتقويض مسند الصدارة
 الى سياحتار (؟) كامل باشا الصدر الاسبق ان المعتدلين والعقلاء من حزب تركيا الفتاة
 لا يرون لزوم عزل جلالة عبد الحميد بعد ان صار محباً للدستور وحلف على حفظه
 وصرح بعزمه على قوية الحزب المذكور لا سيما الجمعية الاتحاد والترقي التي لعبت
 دوراً مهماً في ملء احياء الدستور وترقية البلاد حتى صار جلالة لا يرم امرأ ولا
 يصدر ارادة من غير استشارة الجمعية ويطيع لها في كل الامور وقبل صدارة شرف
 الجمعية وفاء بها علناً . وقد مال بكليته الى الجمعية حتى عاداه حزب الاحرار من
 تركيا الفتاة وغيره بالتخلف عن فرائض الملك الدستوري بوضعه نفسه تحت يد جماعة
 غير مسئولة عن صلاح البلاد والعباد وبعد ما ترك استبداده بالحكومة قد وقع
 نفسه تحت نير الاستبداد الاشأم والاشمر من الاستبداد الاول ولكن كل هذه
 الملاينة والاقبياد لم يجد جلالاته نفعا وصارت الجمعية تظهر وتلعب به كما تلعب الهرة
 بالفأرة التي تريد اقتراسها — وقد أخذت الجمعية تهد السبيل لعزله فأبدت عساكر
 الاسنانة وارسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية المساك الموالية
 للدستور التي جاءت بها من سلاينيك وغيرها ، وطلبت من جلالة السلطان عبد الحميد
 ان يرضى بوضع فيلق الحرس الهايوني ايضا تحت أسرة نظارة الحرية وقد ودجلاته
 هذا الطلاب غير مرة ولكن لا رأى الجمعية ، صرة على ذلك اجاب طلبها (وان كانت
 الاجابة خطأ — كما ظهر الآن) لان جلالاته اراد ان يبرهن للعالم (أصالة) وللجمعية
 تبها حسن نيته وميله الى جهة الدستور

ان جمعية الاتحاد والترقي كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد السالك الموالية للدستور الى الولايات وان كانت نار الفتن الداخلية متأججة في جميع الجهات والضرورة داعية لارسال السالك الى الخارج كي يمكن اتخاذها واعادة النظام الى البلاد - ولما اراد الصدر الاسبق والرجل الحثيث كامل باشا استعادة النظام العسكري والطاعة في الجيش امتنعت الجمعية عن ذلك واتخذت تعرقل مساعي الصدر المدحوح وحكومته في اصلاح المملكة الداخلي فلما منها ان خروج الجيش من يد الجمعية يصفقونها ويخرجون مركزها ويكون خطراً على الدستور - لا قدر الله وصارت الجمعية تأخذ على مجاري أمور الحكومة بالقوة القاهرة كأنها حكومة في حكومة بل وفوقها معتدة على الجيش وقد شوهت الدستور بسيطرتها على الحكومة ومجلس الأمة حتى اتهم حزب تركيا الفتاة الى حزبين حزب الجمعية وحزب الاحرار وتغلب حزب الجمعية بفضل الجيش وكثرة اعضائها في مجلس الأمة وانهمز حزب الاحرار شرهزيمة في عدة مواضع اندفع في انتقاد اعمال الجمعية بصدق اللمجة وكشف الغطاء عن نيتها المشوهة للدستور واتشر بعض الجمعية بين الانام بعد ان كانوا محبين لها لمحبين بشكرها في اعادة الدستور وهاج اهالي الاستانة وعساكر دار الخلافة مشهرين سيف عدائهم في وجه الجمعية وقلوبها ظاهري المحن - وفر جميع انصار الجمعية من اعضاء مجلس الأمة تاركين مراكزهم في الاستانة الى مترمركز الجمعية في سلاطيك واتخذت الجمعية تحشد الجنود لكبح جماح الخارجين عليها والباغين بدعوى المحافظة على الدستور واخيراً قد فازت الجمعية على مخالفيها وأجرت الاحكام العسكرية في دار الخلافة واتخذت تبحث عن الذين سموا في محو الدستور واعادة الحكم الناطق (بزعمها) وكلما تنظر في خلال هذه الحادثة المؤلمة من أولها الى آخرها نجد جلالة السلطان عبد الحميد محافظاً على الدستور وموالياً للأمة - والوطن - لم يتعرض لمجلس الأمة قط بل صرح في مثل هذه الحالة الطرحة أيضاً عند تعيينه لمي كمال بك (كذا) صدراً لمجلس الأمة ان مستقبل البلاد لا يقوم الا بالمحافظة على الدستور وهذا دليل بين وبرهان عظيم على كون جلالاته محباً للدستور - ومحافظاً عليه باراً

بيمينه مجتنباً إراقة دماء الأبرياء وزرى البعثين أو حزب تركيا الفتاة تائبين في تبه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة بأسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور وخاصة عاقبة مثل ذلك الفعل القبيح — لانهم لو تأملوا بمحادث انقلاب السلطنة الأخيرة لوجدوا انه لم يكن لجلالة عبد الحميد يد فيها لأنه كان قادراً على ان لا يسمح بإبعاد حرسه الخاص قبل أسبوعين من تلك السكائرة أو جمع عدد عظيم من الصاكر لحفظ مركزه — وعلى الأقل — حص الصاكر الموجودة في الاستانة الذين بقوا ووطنوا على الجمعية (واغرائهم) بالثبات والاستقلال في الحرب وجنود قصره على عدم قبول طاعة المهاجرين من غير مدافعة — بل وإسلامهم للأعداء — كما صرح ضباطهم عند التسليم دانا نلم أسلحتنا بأمر من جلالة السلطان لأنه أبى إراقة الدماء وقال لنا ان المهاجرين أيضاً من أولاده وهو لا يرضى ان يصيبهم مكروه وغير هذا كان من الممكن لجلالته ان يأخذ لنفسه حماية أقوى دولة من الدول الأجنبية — ولكنه لم يفعل كل ذلك بل سلم نفسه للملة وأثبت للملأ انه محب مخلص للامة والوطن ولا يريد هو الدستور أبداً وإراقة قطرة من دم في سبيل حفظ مركزه على طريق الواجب أيضاً فكان من واجبات الجمعية وحزب تركيا الفتاة ان يحترم عواطف ذلك السلطان الشقيق والسياسي المحنك الذي عند قبضه على صولجان الملك كانت السلطنة في أسوأ الحال من الافلاس — وعظم قوة الحرية — وغلغل نظام الداخلي — وهجمات الأعداء الخارجي — وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم الحديثة منقسمة على نفسها أي اقسام أذى ذلك الاقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها — فشرع على سائق الجند وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق أوروبا لا اعتبار أقوى الدول في العالم — ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات — حتى صار الجيش نفسه اليوم عليه بعد ان كان له ، وكل فصل الجيش في التربية والعدة والعدد من بركات عبد الحميد لا غير فانظر يا أيها القاري كيف اقلب الحال ! ! سعى في اقتناء التعليم والعلوم الحديثة في البلاد وأقنع صداً الجهل عن

مرآة قلوب الساد ، الى ان صاروا يسمون معنى الوطنية والاتفاق والاتحاد ،
فالذين علمهم الوطنية والانحياز صاروا اليوم يرمونه بعدم حبة الوطن ومخالفة الدستور
ان هذا لشيء يراد

قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجهد ويجهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل اعمالا أثرت رفاه
البلاد والسلطنة : عمر الطرق وبنى السكك الحديدية وأجرى الترع والقنوات وأخصب
الغافز والقفار ، وأوصل الاقطار بالاقطار ، حفظ السلطنة من الضياع امام اعداء اشداء
حتى أقر العدو والصديق انه من أهر السياسين في السياسة وداحية العصر في الدهاء
وقار في كل المواقع السياسية المشهورة بهمة الشياء غير مضيع نفسه ومضع مركزه
وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطانا حازما لا يعرف الملل ولا يتعبه الكل -
كان من عادته ان يعمل ثمانى عشرة ساعة في كل يوم ويستغل في مهام السلطنة كأدى
خادم الملك والملة ، لم يكن له شغف بالراحة ولا كان يعرف الاستراحة فبعد ما عانى
من المشاق ما عانى سوجمل اصلاح البلاد ما عانى لما رأى ان غراسه أينعت وأثمرت ،
والملة لحكم الدستوري اشتاقت ، اعطاها هذه النعمة مراتح البال وصار يفنهم بلبان
الافضال يقوم باقامتهم ويقدم باعقادهم كأنه ترك حل القوم على غاربهم ليظهروا
استعدادهم ومعارفهم عادت الامة عليه ورمته بالسعي في إعادة الحكم المطلق من غير
ينة ولا برهان حتى اذا لم يجد مسوغا لتجريحه امتنعت بقوى الشرع من شيوخ
الاسلام وصوبت اليه سهام الملام ، وأنزلته من عرش آياته الكرام ، وهو في هذا الحال
أيضا راض من الامة غير منكسر البال بما فعلت به لانه يعرف ان القوم مخبطون
وهم لا محالة يوما على صنمهم سيندمون .

فأرحم الله بلطفك هذه الامة الخاطئة التي كفرت بنعمتك الجزيلة ولم تعرف
قدر ذلك السلطان الجليل الذي كان خير سلطان لها في مثل هذه الحالة الحرجة والموقع
الصعب وأهداها لهم بجاه نبيلك ان تكافي سيتها بحسنة إعادة السلطان عبد الحميد
على سرير الملك وان لم تفعل ذاك فحفظ حياته وتحترمه احترام ما يليق به وتتعلم من
آرائه ونجار به وحكمته من حيث هو مشير بخلص خير في نظم المملكة وترقية السلطنة
ان لم تتفهم به من حيث سلطان قابض على زمام الملك وتكن يا مولانا له

وخلطه وأنت خير نصير لك على كل شيء قدبر وبالإجابة جدير

حضرة الرصيف الفاضل :

بعد السلام والاحترام نرسل اليكم اليوم مقالنا الافتتاحية التي مطرناها في جريدتنا في أمر عزل السلطان عبد الحميد . ومعها مقالة أخرى المنشورة في جريدة أوبرور - وغرضنا ان نقسروها في جريدتكم الفراء لتعلم الامة العثمانية بأفكار المسلمين الهنديين في ذلك الباب وان كان ما كتبناه عن عدم العلم بالأحوال الموجودة أو خلافا للوقائع فلكم ان تفندوا أقوالنا لتكون على بصيرة في المستقبل فيما نكتب بأمر الدولة العلية ولكم الفضل هذا واقبلوا فائق احتراماتي افنتم - وودتم

كاتبه المخلص محمد إنشاء الله

٦ مايو سنة ١٩٠٩

محرر ومدير جريدة « وطن »

(لاهور - بنجاب) الهند

(المار) وهذه ترجمة جريدة أوبرور وهي مفتحة يفتين لشكسبر شاهر الانكبير

في مصرع يوليوس قيصر الروماني . قال

خلع السلطان عبد الحميد

لقد خلع السلطان النازي عبد الحميد خان الثاني سلطان تركيا وخطبة الاسلام وأمير المؤمنين ونودي بمن يخلطه . ان هذا الحادث المخوف بأعظم الاخطار الممكنة سيؤثر تأثيرا مزمعا في العواطف الاسلامية في العالم بأسره ومن شأنه أن يودي الى قاتل عظيم في جميع الممالك الاسلامية من النيجر في أقصى الغرب الى الصين في أقصى الشرق

ان الزمن القصير الذي مضى على هذا الحادث لا يبيح لنا الحكم بمقدار تأثير خلع عبد الحميد في السياسة العثمانية ومستقبل الاسلام فقد يكون فيه خيرا لتركيا وقد يكون بداية القضاء عليها ولكننا نعلم علم اليقين ان خلع قد ذهب من مرسع العالم السامي بشخص مفود كان له نفوذ عظيم في تكيف التاريخ الأوربي مدة ثلاثين

سنة وقبض في راحته على مفاتيح الاسرار الدولية في الغرب وكان احسانه قبل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحدهم وبأسهم . وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على اتخاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة . إذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية (١) وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطيرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويتمترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حكمه وحكمته فانه لم يسبق للملك آخر سواه من المتقصدمين أو المتأخرين ان لاقى مالاقيه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للقتل المرتبة والبلاغات الأخيرة الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه غبار تلك الحوادث غائرا فائرا بفضل حكمته وحكمته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف محزنة منجمة بعد أن قضى حياته في التعب والعناء تارة في صفاء وطورا في شقاء وهو في الحالتين قد امتلأ بحسن تقديره للواجب الشريف والدأب على العمل لسعادة مملكته

ان التاريخ لم يرو لنا أنكى من هذه الحادثة وأكثر مفاجأة من هذه المفاجئة التي رأينا فيها سلطان الامة الجليل والخليفة الشيخ الذي طالما تولى الأمور بيد قادرة وكانت ارادته نافذة في أمته وكان عاملا نشيطا لوقي وتقدم شمس متأخر . تلك الحالة التي رأينا فيها يهبط من علياء مجده ومكانته على أثر ثورة قام بها « أبناءه » وهو يتوسل اليهم أن يقبوا على حياته وحياة أولاده ويندر أن يأتيها التاريخ برجل حامت حوله الآراء المختلفة كما حامت حول سلطان تركيا الخلع قد نادوا به مقتدا بلاده كما قالوا انه أفسد قومه . وأطروه فقالوا انه موجد الدستور العثماني ومنامحه وأهانوه فقالوا انه أشد خصوم الدستور . وفرحوا به فقالوا انه الذي رفع الامة المتأخرة وأحياها من الممغم ثم أساوا اليه فقالوا انه منبع الانحطاط ومصدر نقاسة الامة العثمانية . جماعه عنوان المفارقة برجل تمكن بدعائه وحكمته من رد مساعي أعداء وطنه . وزعموا أنه ظالم مستبد

ضعيف العقل لاهم له إلا ترويح مصلحته الخاصة . على أن خصومه وأعدائه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وفوزه في افساد مساعي الأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذي لا ينكر للاسلام وجميع ماله علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصيته وأعماله يثني عليه أو يقضي ببدل على الذين دسوا الدسائس لخلعه

على ان الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ووعد ان لا يهجر يلدز ورضي بانطلع المقدر له من أمته ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له ان يقضي بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على انهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجننا في بلاده محروما من جميع مظاهر الابهة معرضا لمعاملة مكذرة لرجل حساس نظيره وهو مع كل ذلك قد تصرف بأفقه اليهودية وصبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به الهيكل النعاني والملك الكبير والرجل الذي صح اسلامه

اتقد قال بورك « يا لها من ثورة » ونحن نقول أي قلب لا يتأزذتأمل في ارتفاع عبد الحميد الى مستوى تزخ فيه الابصار ثم سقوطه الفجائي . من كان يظن وهو ذاهب يوم الجمعة الفائت الى حفلة السلامك محاطا بالهتاف والدعاء ان مثل هذه النكبة تحل به بعد يومين من أمة حوت كثيرا من الشجعان والاشراف والابطال فقد كنا نظن ان عشرة آلاف حسام بل عشرة ملايين حسام تجرد من اغنادها لتنتقم له من نظرة احتقار أو أقل اهانة

ولكن قضت الأقدار غير ذلك ونقل عبد الحميد ليقضي بقية أيام حياته في قصر الالميني الذي كان مسكنا لاجد قواده اه

﴿جواب المناجر﴾

كنا نعلم ان الجرائد الهندية تطري السلطان عبد الحميد وتنوّه به ولكن لم يكن يخطر لنا بال انها تجهل احوال الدولة العثمانية في عهده جهلا مطلقا بحيث لا تدري حقيقة شيء منها ألينة كما ظهر لنا من هاتين المقالتين

كنا نظن ان اصحاب هذه الجرائد يعلمون بعض الحقائق عن الدولة وسلطانها من الجرائد الاوربية التي لم يتمكن عبد الحميد من استئجارها لمدحه، وأنهم يكتمون هذه السيات ويذيعون بعض اماريح الجرائد العثمانية التي كانت مكرهه على المدح بالباطل وبعض الجرائد الاوربية والمصرية المستأجرة أو المخططة في اجتهادها أو المتزقة الطامعة بنوال ذلك السلطان الذي يعطي المطاء الجم من رواتيه ويسمى الى هلاكه من يناويه وكنا نتمنى العذر لمن يحسن الظن فيهم ونعتقد حسن نيتهم كصديقنا صاحب جريدة «وطن» بأنهم لا يحبون ان يبينوا الحقيقة كما هي لتلا يصف تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية التي يودون كاهلها وجميع المسلمين الذين سيطر عليهم الاجانب لو تكون أقوى الدول وأعزها وان تبقى صلتهم بها قوية شديدة كما هي سياسة جرائد مسلمي مصر سواء منهم من كان يستفيد من عبد الحميد ويطمع في المزيد ومن ليس كذلك كنا نعتقد مع القاس هذا العذر ان مدح الجرائد الاسلامية في مصر والهند لعبد الحميد والدفاع عنه ضار بالدولة سواء منه ما كان بحسن نية وما كان عن طمع في ماله أو رتبته وأوسمته لأن ذلك يجعل قلوب الملايين من المسلمين متعلقة بشخصه وهذا شيء يضر (لو كان سلطانا مصلحا فإياك وهو سلطان مفسد مخرب) لأنه يجب أن يكون التعلق بالدولة لا بالشخص ولأن في كل قوة لعبد الحميد إضمارا للأمة العثمانية والدولة العلية اذ اتخذ الأمة عدوة له وجعل الدولة صورا متحركة في يده اذا حاول أحد الوزراء أو المشيرين أو الولاة أو القضاة فن دونهم ان يعمل عملا ما مستقلا فيما بحسب الشرع والقانون يتره من جسم الحكومة بئرا، وكان عاقبة أمره خسرا، فأني سلب للاستقلال واضاف للحكومة يكون شرأ من هذا ومن الشواهد على ذلك ما حدثني به احمد مختار باشا النازي غير مرة من أنه حاول جهده ان يفتح عبد الحميد بجعل القضاء مستقلا دون السياسة والإدارة ليأمن الناس على حقوقهم وانفسهم واستعان على ذلك ببعض كبار الدولة فكان السلطان يفضي لهذا الاقتراح ويرفضه أشد الرفض، وهل تهوم للدول قائمة أو ترقى الامم بغير قضاء مستقل ؟

وكنا نفتقدان ذلك المدح الذي غر المسلمين بالسلطان ضار بأولئك المسلمين انفسهم ايضا لانصرافهم به عن استمدادهم واتكالمهم على من لا ينفعهم وقد كتبت في مقالة نشرت في جزء المنار الذي صدر في ١٧ المحرم سنة ١٣١٧ ما نصه :

« ان أمام المصريين وسائر المسلمين سداً منيعاً من الوهم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقى فاذا استطاعوا ان يظهروه او يتقبوه - ولا أقول ان يذكروه - يتسنى لهم الايجاف والايفاض في ذلك المتعرج الواضح ، والمهيح الواسع ، وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست أغلالاً في اعناقهم وسلاسل في أيديهم وقبواً في أرجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقراً في أعينهم ورياء على قلوبهم ، وكل ما نزل بالمسلمين من بلاء فاعما نزل من صماء عظمتهم واستبدادهم ، وان تعجب فصجب قول من ليس للدولة العثمانية في بلادهم أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا سلطان (١) » ان حياتنا بين يدي المايين وان السعادة ستهبط علينا من أفق الباب العالي « وهم يعلمون ان البلاد الي تحت جناح المايين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها ويتمزق أهلها كل تمزق ولا ينال تلك البلاد وأهلها من المايين والباب العالي الا الاعتراض على من مزق الاشلاء وشرب الدماء

« ماذا جني ويحظى أهل جاوه والهند ومصر من الظهور القولي في حب الدولة العثمانية ؟ لمرك انهم لا يحضون الا الحنظل والزقوم فان هولاندا وانكثرا كلما آنسنا منهم اليها ميلاً ، أو سمعنا منهم فيها قولاً ، نزيدان عليهم الضغط والاضطهاد ، والقهر والاستبداد ، أولا يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ،

« ولا أقول لهؤلاء المسلمين أبفضوا الدولة ولكني أقول اذا احبتموها فاكتموا حبها ولا ترجعوا منها الا ينال واعتمدوا في رقيكم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكردعكم وعملكم فان رأيتم من الدولة نهضة عملية فانهمضوا معها ان كنتم صادقين ، كل عاشق يحذر الضال والرقباء فكيف لا تعجزون ، ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لفظكم بذكرها إلا مثلاً ينالكم من الضغط الأوربي والاضطهاد

(١) كلمة قالتها في تلك الأيام جريدة يومية من جرائد المسلمين بمصر

« نعم ان السلطان يفرح ويسر من خضوعكم له ولحجكم بتداحه ولكن تشعرون
فرح شخص ومروءة بمصالحكم ومصالح الدولة ؟ ؟ أقول هذا وأنا أعتقد انه باب
النصح الذي يوجه علينا ديننا وإخلاصنا لأمتنا ودولتنا ومن بين لنا بالبرهان اننا
مخطئون فانا نرجع الى رأيه ، وإذا كان القول صواباً فلي إخواننا المسلمين أن
يتدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صدهاء المنتظر من الجرائد الهندية التي تفضل
دائماً بترجمة مقالات المار أن تنقله الى لغتها ليحيط به قراؤها علماً ما كتبناه منذ
عشر سنين ولم تكن سيئات عبد الحميد قد ظهرت لنا جلية بل كنا نحسن الظن فيه وندافع عنه
ظلم في هذه الأيام من صدق رأينا أن التقي مدح عبد الحميد كان مضراً بالدولة فانا
نرى أصحاب بعض جرائد المسلمين ومن تلقح برأيها منهم يستنون الظن اليوم بالأمة
العثمانية وبمحاكمة الدولة كلها ويرحمون ان العثمانيين أحرارهم وجهادهم وعسكرهم ونوابهم
كلهم مخطئون كافرون للنعمة جانون على الدولة وان عبد الحميد وحده هو المصيب
وان استواء على عرش السلطنة هو الذي يحفظ الدولة والاسلام وان سقوطه عنه خطر
على الدولة والاسلام ؛ فيالله والمقول كيف كان هذا السلطان مصالها مرقيا للأمة
والدولة وهي بعد ثلث قرن من إصلاحه لا تصلح ان تسوس البلاد وتحفظ كيان
الدولة ولا تعرف قيمة من يمدد على ذلك ؟ وكيف تبقى دولة يتوقف بقاؤها على
وجود شيخ هرم بلغ من الكبر عتياً ، لم يزد فيه إلا كبراً وعتواً
كان من سوء تأثير إطرء الجرائد المصرية لعبد الحميد قريب مما كان في الهند ولما
أعلن الدستور اجتمع جمهور عظيم من المصريين للاحتفال بهذا الطور الجديد للدولة
العلمية ومما كان في الاحتفال من المجائب أنه كان يصيح جمهور عظيم ليحي
السلطان عبد الحميد ولتسقط تركيا الفتاة ؛ وما تركيا الفتاة إلا الأمة العثمانية
الناهضة بالإصلاح والقائمة بأمر حكم الشورى الذي يبر عنه بحكم الامة نفسها
بنفسها - ما أضف البشر الذين يوجد فيهم من يتخيل عبد الحميد في هذا العصر
كما كان يتخيل قداماء المصريين فرعون الذين قال لهم « انا و بكم الاعلى » ثم قال
لهم « ما علمت لكم من اله غيري » فأطاعوه وعبدوه كما عبد كثيرون غيره من الملوك
بعد هذا التمهيد العام أرين للرصيفيين القاضين غاطها فيما كتبنا بالتفصيل الا

ما كان من المداخل الثورية لصعد الحميد وادعاء ان العالم الاسلامي بأسره يبكيه ويحزن نطلعه وحسبنا ان عالمنا الاسلامي العثماني بذلك سرورا لم يسر مثله في حياته . وأبدأ بدعائى صديقي صاحب جريدة وطن ثم اذكر ما انفرد به الآخر فأقول
يقول صديقنا القيود ان عبد الحميد أثبت للعالم حبه للدستور واخلاصه له واستدل على ذلك بأمر (١) إعلانه الدستور عند طلبه من غير سفك دم (٢) تصريحه بذلك عدة مرات (٣) عدم تعرضه لمجلس الأمة بسوء (٤) وضع حرسه تحت أمر نظارة الحرية واخراج حرسه وعساكر الاستانة منها ووضعها تحت حماية عسكر الدستور الذي تجمي به من سلايك وغيرها (٥) أمره أخيرا الحرسه بالتسليم لعسكر الدستور الذي دخل الاستانة عند ما أراد الاستيلاء على « يلدز » قال وكان قادرا على ان لا يسمح بأبعاد حرسه وعلى جمع جيش عظيم لحفظ مركزه وعلى حض العسكر الذي ملقى وبقي على الجمية على الحرب (٦) تركه طلب حماية أقوى دول أوربا وإعنا ترك ذلك حبا في الدستور واخلاصا للمملكة والوطن !!

وقول انه لا يصح من هذه الأدلة شي (١) فاعلانه الدستور لم يكن عن رضى واختيار بل فاجأه هذا الطلب المقرون بانذاره الزحف على الاستانة بالجيش والمكاتب اذا لم يجب اليه فجمع مستشاريه وأعوانه الذين أقهر الدولة لإغنائهم وأذلها لإحزازهم ومن يرجع اليه عند المشكلات من غيرهم وهو سعيد باشا وطفقوا يأمرون الليل بطوله فاجعوا أمرهم في الصباح على ان المقاومة بالقوة غير مستطاعة فان عساكر حصون الاستانة متعبة مع عسكر سلايك فهي تساعدوا تقاوم بل قيل له ان دساتيمهم متصلة بخرسه فصدق ذلك وانهيات باحتياطه وحذره وجنبه واستقنى شيخ الاسلام في عصيان عسكر سلايك ليحاربهم باسم الدين ويوقع النسل فيهم فقال له شيخ الاسلام لا يمكن الافناء بمصيانهم وخروجهم على الخليفة لأنهم يطلبون منه أمرا مشروعا وهو جعل الحكم بالشورى كما أمر الله عز وجل . فلما لم يجد في قوس المقاومة منزعا أمر بالإجابة على كره وعزم على استعمال سلاح المكر والحيلة والكيد الذي فك به الدستور ورجاله أول مرة كما ظهر في الفتنة الأخيرة واضحا جليا كالشمس ليس دونها سحاب ولعل هذا قد علم الآن عند اخواننا الرصفاء في الهند فانهم قد كتبوا ما كتبوا عندما علموا بناب الاقلاب وقبل العلم بالاسباب

٢ — وأما أقواله وتصريحاته بحب الدستور فهي دعوى لا دليل عليها .
ومثله إظهاره الرضا عن جمعية الاتحاد والترقي وكونه منها أو رئيسها وقد كان يستعمل
هذه الصانعة والمراوغة والدهان في أيام جبروته وعنفوان استبداده واتناكره عنه
من ذلك ما لا نود ذكره الآن

٣ — وأما عدم تعرضه لمجلس الأمة فلم نفهم ماذا يعني به الكاتب . أيعني أنه لم
يرسل حرسه لقتل نواب الأمة أم ماذا يعني ؟ هل كان يمكن الترضى لهؤلاء النواب
مباشرة وأقوى جند الدولة بحرسهم والاسطول معه فظهر ؟ كلا ان هذا لم يكن لأتية من له
مسكة من عقل أو إدراك لا نه على فخس قبحه في أعين الامم والدول غير معبد
للاستبداد ما لم تسقط القوة الذي أوجدته فلذلك وجه عبد الحميد كيد وفكره لا يسقط
جمية الاتحاد والترقي بتغيير الأمة منها باسم الدين والى التفريق والشقاق بين
الجيش ليضرب بما يستعمله اليه منه ما يبقى في جانبها وجانب الدستور وإن هلك
بهذه المكيدة الامة وسقطت الدولة

٤ — وأما مسألة تغيير حرسه واستبدال بعض عسكر الدستور بعسكر الاساتنة فقد
راوغ فيه مرارا ثم انفذ بالقوة ولم يكن من سبيل الى المقاومة فيه بعد ان شرعت الحرية
في اعدام الذين يخالفون الاوامر العسكرية بحسب القانون مع علم الحرس وعبد الحميد
ان الاسطول تابع للحكومة وعسكر الدستور لا للملأين وانه يمكنه أن يدمر يلدز عليه
وعلى حرسه تدميرا

٥ — وأما أمره لحرس يلدز بالتسليم عند ما وصل اليهم جيش الدستور بعد
استيلائه على حصون الاساتنة ومواقمها العسكرية بالقوة القاهرة فسيبه يقينه بأن المقاومة
في هذا الوقت تنفي الى تدمير يلدز بالمدايع بعدما كان من حصرها وقطع الماء والزاد
والنور عنها وفي ذلك ذهاب حياته العزيزة الذي جعل الدولة والامة حقاظا لمادة ثلث قرن
٦ — وأما دعواه انه كان يمكن ان ينال عبد الحميد حماية أقوى الدول
الاجنبية ولكنه لم يفعل جافي الدستور فنقول فيها ان هذا لم يكن في استطاعته لاسيما
بعد ان يش من الفوز والظفر بمكيدته الاخيرة

و بالبت شعري كيف يتصور مصفاؤنا في الهند ان يجارب الألوف من عسكر الاساتنة

إخراجهم الذين جاؤا من سلاطنتك لتأييد الدستور إذا لم يكن السلطان هو المحرك لم؟
خرجوا عن طاعة قائدهم وصاحوا في مواقع كثيرة : لئسقط الدستور وليعش السلطان
وحاولوا قتل جميع أعضاء لجنة الاتحاد والترقي ، فعلى أي دعامة كانوا يستندون ؟ وأية
قوة كانوا يعززون ؟ أما أنه لو لم تظهر الدلائل الحسية القاطعة بهذا على أن عبد الحميد
كان هو المدبر لهذه الفتنة والمنفق عليها لكان العقل وحده حاكماً بذلك

وإذا كانت عبد الحميد قد قدر على إفساد الجيش الذي جاءت به الجمعية عليها
ودفعه للتفكيك بها وبالدستور فكيف كان يكون اندفاعه في مكيدته لو كان الحرس
الذي رباه في حجر الرفاهة والدلال بقي عنده ؟ أفلا يدل هذا على أن الصواب
هو ما فعلته الجمعية من إخراج ذلك الحرس الفاسد (الذي لم يطلع نظارة الحرية إلا
بالقوة) من قصر هذا السلطان الذي مرد على الاستبداد حتى أمتزج بلحمه ودمه
وعصبه ؟ أليس هذا الدليل أصبح من دليل صديقنا على كون الرضا باخراج
ذلك الحرس كان خطأ

هذا هو القسم الأول من الكلام وهو ما يتعلق بالدفاع عن سيرة عبد الحميد
في عصر الدستور وأما القسم الآخر منه وهو في سيرته قبل الدستور فيقتل على
عدة دعاوي لم يقترن شيء منها بدليل

١ - قال « انه أصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق
أور بامواريا لا اعتبار أقوى الدول في العالم » وتقول ان هذه الدعوى أغرب ما كتبه
الرصيف الصديق وانت لا أذكر ان أحد من الذين كانوا يطرون عبد الحميد
بالإكراه أو بالأجرة قال ذلك أو ما يقرب منه بل كانوا يطرونه بأمر أخرى
لا تظهر مخالفتها بالحس كذه فقد أفسد عبد الحميد مالية الدولة حتى لم يعد لأحد من أوربا
ولا من غيرها ذرة من الثقة بها ولم يعد أحد يقرض الدولة قرضاً ما الا بضمان يستولي
به على مورد من مواردها بالفعل حتى صارت موارد الدولة الأساسية في يد إدارة
الديون العمومية وغيرها وبهذا صار لبعض الأمور المالية شيء من النظام وحسبك انه لم
يكن للدولة في هذه السنين ميزانية تجري عليها الحكومة بل كان عبد الحميد يفتال
الملايين من الدخل ويسلط عمال الحكومة على الاستماعة عن مرتباتهم التي لا يصل

اليهم منها إلا القليل بسلب الأمة ونهبها بشرط ألف يجعل له كبارهم كالولادة
والتصرفين نصيباً مما ينهبون . وحسبك ان الحكومة قد عجزت الى الآن عن
تقديم الميزانية إلى مجلس الأمة وفر موسيو لوران المالي العظيم الذي جاءت به
الحكومة من فرنسا لينظم ماليتها متسجياً من الخلل الذي وجده معتزلاً بان إصلاحه
من أشق الأمور حتى انه يكاد يكون متعذراً . نعم انه عمر بخراب مالية الدولة
ماليتها الشخصية فكثرت الملايين في صناديق يلسدز وفي مصارف أوروبا وأمريكا
وافقت الملايين على الشهوات والجوايس وهو يعلم ان عسكر الدولة كان يموت
جوعاً وعرياً حتى انهم كانوا يقتاتون في نيجد يئذ الحنظل فقطع أمطاهم والياذ بالله
٢ - قال انه درّب الجيش على قواعد الحرب الحديثة . وقول ان الدولة
العثمانية هي دولة حربية بالطبع وكان السلطان محمد رحمه الله تعالى هو الذي بدأ بجعل
نظام عسكريتها على الطراز الأوروبي وقد سارت الجندية فيها على ناموس الارتقاء
ولكن اعتراضها من سوء سياسة عبد الحميد ما جعل سيرها بطيئاً وعرضة لضروب
من الخلل والفساد منه محل بدور الصناعة البحرية والعسكرية (الترسانة والطرفانة
والبارودخانه) حتى رجعت القهقري ولو سارت على سنة الترقى لاستغنىنا بها عن شراء السلاح
من أوروبا بأثمان غالية كانت من ومائل ملب الملايين للأموال المخصصة للعسكرية
وكم ظهر في ذلك من الخيانات وهذا الضرب من الفساد يجعلنا عالة على أوروبا في
قوتنا الحربية (ومنها) مقاومته للتعليم العسكري في الاسنانة حتى انه حاول غير مرة
إبطال المدرسة الحربية التي زعها بالجوايس (ومنها) ترقية الضباط بالارادة
السنية من غير استحقاق (ومنها) نفيه وإذلاله للضباط المتعلمين البارعين الخ مالا
محل تفصيله هنا . ولو كان المقربون منه جاروه على كل وسواسه في العسكرية لجمعها
أثراً بعد عين ولكن نحمد الله تعالى ان مكنها من القضاء عليه قبل ان يقضي هو عليها
٣ - قال انه سعى في انتشار التعليم وبث العلوم الحديثة . وقول ايضا ان التعليم
من ضروريات كل دولة وكل أمة في هذا العصر وكان من مقتضى سنة الارتقاء ان
تكون فيه مثل اليابان ، إن لم تكن مثل الفرنسيين أو الألمان ، ولكن عبد الحميد حارب العلم
في أمته ودولته اشد الحاربة حتى جعل اكثر مدارسها ملاعب أطفال (راجع ص ١١٠)

و ١١ من مآر هذه السنة) وأبطل امتحان طلاب العلوم الدينية فتركوا الطلب والاشتغال واعترفوا في جميع البلاد بعد إعلان الدستور وصدر الأمر بامتحانهم انهم عاجزون عن الامتحان فاعفاهم مجلس الأمة منه في هذا العام ليستبدوا له . وقد علم العامة كالمطامير في جميع بلاد الدولة أن العلم الديني والديني هو أكبر الجرائم في نظر السلطان عبد الحميد فصاروا يتعامونه وحدثت في السنين الأخيرة من حكمه المشؤم بدعة قهقش الحكومة لبيوت الناس وأخذ الكتب منها ومعاقبة اصحابها فصار الناس يحرقون كتبهم بأيديهم ومنهم من دقها في الأرض حتى أحرق في سورية عشرات الألوف من الاسفار القديمة والحديثة في سنة واحدة . فانظر ما أشد حرص عبد الحميد على العلم وعنايته بنشره وما أكثر المجتهدين والمختبرين المكتشفين في أيامه !!! وقد أقيمت خطبة في رجة القشة العسكرية ببيروت في أواخر رمضان الماضي بينت فيها كيف كان ظلام الجهل ممدودا على البلاد العثمانية وكيف كان الهدم واقعا في ذلك الظلام ببناء الدولة : معارفها وقضاؤها وادارتها ومالياتها وعسكريتها ، وبناء الأمة : ثروتها وآدابها وأخلاقها . ولعلنا نراجع الذائرة فنكتب ما تمليه علينا منه

٤ - قال انه « قضى ثلاثا وثلاثين سنة يمجّد ويمجّده وراء سعادة المملكة والملة » والصواب انه اشقى المملكة شقاء لا نظير له واخواننا مسلمو الهند الذين يقولون هذا القول لم يروا ولم يختبروا ونحن نسمع باذنانا ونرى بأعيننا بل الشقاء وقع على رؤوسنا واحاط بنا من كل جانب بسوء سياسته

٥ - قال انه عمر الطرق وبني السكك الحديدية وحفر الترع والجداول والصواب انه لم يضل من ذلك شيئا للأمة الاسكة حديد الحجاز التي حمله على الرضاء بها وسواسه الذي يخيفه من اقامة خلافة عربية بالحجاز . وما سمح به من امتيازات السكك الحديدية للاجانب فسيب انه كان من مولود ثروته لأنه كان لا يسمح بامتياز الا اذا اخذ لنفسه مغانم عظيمة من المال وكثيراً من سهام الشركة قد كان يبيع مصالح المملكة بذلك ويمال ذلك كان يعطي هذه الشركات من الضمانة الكيلومترية ما لا يعهد له نظير في مملكة أخرى . ونسأل صديقنا الكاتب ان يدلنا على مكان الترع والجداول التي احياها الزراعة ابن هي وماهي الثروة التي تجددت للفلاحين منها ؟؟

٦ - قال انه حفظ الملكة من الضياع . وتقول إنه اضاع بسوء سياسته فلها ولو بقي على عرش استبداده سنة أخرى لأضاع الولايات المكشونة اثلاثة فان جمعية الاتحاد والترقي ما عطلت بهذا الانقلاب قبل ان تتم عذته الالهيا علم اليقين أن الدول انقضت على ذلك وانه لا عاصم منه الا الدستور . وكان كثير من السياسيين يقدرون ان الدولة لا تكاد تعيش مع ذلك الحكم اكثر من خمس سنين وأن سبب تأخر سقوطها هو تنازع الدول فيما بينهم . وقد سمت كلمة من احمد مختار باشا النازي اكبر مشيري الدولة وقواد جندها واعلمهم بحالها سمتها منه مرات كثيرة في السنين الاخيرة من حكم عبدالحمد وهي اكبر شهادة نطق بها لسان وأيدتها وقائع الأحوال وقد صار قها عنه الان جائزاً فلعلى اخواننا مسلمي الهند يفترون بها قل « لو اجتمعت أوربا وافقت على أن تضر بالدولة والاسلام كما أضرت بهما عبدالحمد لمعجزت » هذا ما نرين به خطأ الجريدتين بالايجاز وتزيد كلمة في الرد على ما انفرد به صاحب جريدة الابرزور اذ قال إن الدولة فقدت البلقار والبوسنة والمهرسنت على عهد الحكومة الدستورية . وتقول ان هذا غلط عظيم فان هذه الولايات قد ضاعت منا بمر بنا الاخيرة لروسة وإنما كانت تلك الحرب برأي عبدالحمد ودسائسه ليشتل الامة عن الدستور ويتمكن من إبطاله وقد بذل مدحت باشا (رحمه الله تعالى) جهده في سبيل تلافيها فمعجز ولا يقال انها كانت برأي مجلس الأمة الأول لما هو معلوم وقال إن أعداءه شهدوا له الدهاء والسياسة وتقول اننا لا نترك أن له دهاء ومراوغة في السياسة انطارية كان يستعين عليها برشوة نساء السفراء واهدائهن الجواهر النفيسة ولكن نطلب من الكاتب أن يأتي بشهادة لها قيمة من الأعداء او غير الأعداء بأن عبدالحمد رقى نروة أمته ومالية دولته أو اجري فيها للبل أو نشر العلم أو جرى على طريقة ميكسكو واليابان وقال لا ينكر حبه للاسلام . وتقول اما دين الاسلام نفسه لم ير من ملوكه من عبث مثله بكتب الحديث والمعائد والفقه من منع بعضها وتحريف البعض الآخر ولو كان في غير عصر المطبوعات وكان جميع المسلمين تحت سلطته لما بدد عليه ان يطوع في تحريف القرآن وتغيير آيات الشورى ونحوها فيه . واما أهله فقد كان الاضطهاد

(المآرج ٤) (٤٠) (المجلد الثاني عشر)

عليهم في دينهم شديداً من حيث لا يخطئهم غيرهم كما كان الظلم أشد وطأة عليهم من غيرهم . نعم انه كان ولو عا بإحياء لقب الخلافة والحرص على تنظيم المسلمين الذين تحت سلطة الأجانب له لأجل ان نعتز به دولهم فلا تنقص عليه التمتع باستبداده وأما ما ذكرنا من كثرة عمله فهو على المبالغة فيه عمل ضار في الغالب لأنه نظر في رسائل الجواسيس الذين يشنون ويمحقون رجال الأمة وقد قيل ان هذه الرسائل مهنوطة كلها في « يلدز » وربما عجز واحد عن قراتها في مثل المدة التي جلسها عبد الحميد على كرسي السلطنة . وأما زعمهم انه كان لا يخل بالذات فهو باطل فانه كان يشرب أجود الخمر . وجمع مئة من الفواني الحسان للتمتع والنماء والعزف والرقص والتبديل وغير ذلك . ولعلم اخواننا مسلمو الهند اننا لم نقل ما قلنا إلا عن علم وخبرة وتأيد لا مصلحة العامة بالحق والصدق اذ لسنا من الذين يتوسلون بالشرا الى الخير وبالباطل الى الحق واننا لسنا من المتشيعين لجمية الاتحاد والترقي التي كان لها الاثر العظيم في هذا الانقلاب الميمون فقد رأوا اننا جئنا في الجزء الماضي من انقاد المستعدين عليها ما لم يجمعه كاتب ونحتم الرد بكلمة في الخطر على الدولة فان الكاتين يخافان ان ينزل بالدولة الهلاك بعد عبد الحميد . ونحن نقول لاشك ان عبد الحميد كان يسير بالدولة الى الدمار والهلاك كما مرت الاشارة الى ذلك فان سقطت (لا قدر الله لها الا العلاء والارقاء) فانما يكون هو الذي أسقطها وان نجحت فانما تنجو بالدستور الذي هو آخر سهم في الكنانة

﴿ استغاثة أهل البيت الحرام ﴾ جميع بلاد الاسلام ﴿

جاءتنا الرسالة الآتية من صديقنا الفيور الاستاذ السيد عبدالله بن صالح الزاوي رئيس اللجنة العليا بمكة لجمع الاعانات لتعبر عين زبيده ونشر المعارف في الحرمين الحمد لله وحده

جناب ذي القدر العلي والمفخر السني كريم الشيم علي الهمم حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم محرر المنار الأغر زاده الله مجداً وعلاوا وقر بامن ملك الملوكة ودنوا بهد الابلاغ جزيل السلام وأداء مراسم التعظيم والاحترام نعرض انه لا يخفى على انظاركم السليمة ما هو معلوم لدى جميع أهل هذا الدين القويم أعني ماهذه البلدة السعيدة من خطورة

القدر وسمو المرتبة بكونها موضع بيت الله الملك الرحيم ومسقط رأس النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم منها ظهر الدين ونما حتى برز النمدن منه بأبدع الاشكال واتشعرت اتعالم وكثر العلماء حتى علوا الى أعلى ذروة الفضل والكمال كيف لا وهي تحت ملك الملوك ومقر بيته السميد الذي يخضع لبحاه الملك والصلوك وقد اعتصبت في الأزمان العابرة حقوقها ولم يلتفت أحد من القائمين بإدارة مصالحها من المتولين عليها الى ملاحظة دوام علوها ووقبها بنشر العلم والتعلم ومساعدة المهتمين والمعلمين فذلك قل فيها العلم وأهله وقات الصنائع وعارفوها والآن بحمد الله تعالى تفسير الحال وأملنا ان تعود الى أحسن مآل حيث ان القائمين بإدارة مصالحها الآن أهل همة غلية ونجدة وأريحية عرفوا الحق لاهله قاسوا باسترداد ذلك الجهد وحرصوا العلماء ووعدوهم بالمساعدة وأذنوا لهم بالكتابة الى إخوانهم المسلمين في استحصال كل وسيلة لترقية العلم والصنائع بإنشاء المدارس والسعي في طلب المساعدة من أولي النيرة والحمية في جميع أنحاء العالم من اتصف بصفة الاسلام لان هذه البادة واجب لها الحق على جميع المسلمين الخاص منهم والعام وهذه العلوم والمعارف هي غذاء الأرواح والسبب في جاب الطاعة والخبرات والاقياذ والفوز بجميع المكالم والارباح كما ان الماء للسكان والحجاج وكل ذي روح هو قوام الاشياخ وقد قل وجوده في هذه السنين بسبب الخراب الراقع في العين المنسوبة إلى السيدة زبيدة حتى صار الناس لا يشكون سوى قلته وضاعت مصالح أكثر الفقراء بسببه بحيث لا يحملون الاهمه ونسيت بقية انخاب الممشة في جنب هذا الثعب العظيم خصوصا والخراب في قنوات العين جسم والحاصل ان جلب الماء وتصلح قنواته وارجاع مجد هذه البلدة وترقية سكانها بالعلوم ومعرفة الصنائع والمعارف كل ذلك يحتاج الى المال الخطير وأيدي أهل هذه البلاد خالية من القليل منه والكثير ولكنه بحمد الله تعالى بيد أهل الخير من المسلمين في بقية الاقطار كثير وقطعا لا يخافن بشيء منه ثلى هذه البلاد واصلاحها بتكثير المياه فيها وبناء مدارس لتعلم العلوم والخرف والصنائع لساكنيها حتى يهوزوا غنائم الاجر حيث ان ذلك من أهم المعيلات وأعظم القربات وزيادة خيرت وابهرات وفضل ذلك عظيم وأجره

جسم والدرهم الواحد الذي يصرف في هذه البلدة يقوم بمئة ألف درهم في غيرها وأفضل من نجب اعانتهم جيران بيت الله العظيم القاطنون بواد غير ذي زرع عند بيت الله الكريم وحجاج بيته القادمون اليه من كل فج عميق لاداء الفرض العظيم فساعدوا ساعدوا على اجراء الخيرات وتحويلها الى الله زلفى بفضل المبرات لئلا هذا فيحصل الماسون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقد تشكل مجلس مخصوص لهذا المهم الجليل من أهل العلم والأمانة والديانة والخبرة والحكمة أهالي ومحاورين في رقعة بطي هذا الكتاب مع تعليمات مجلسهم ليعلم منه تين حصول الامن التام ان شاء الله تعالى في صرف ما يتحصل لهم في موضعه لا يتطرق اليه يد غاصبة أصلاً فسأل الله سبحانه لنا ولكم حسن التوفيق الى احرار الفضيلة والمنزلة عنده من أقرب طريق انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير صلى الله على سيدنا محمد سيد الانام وبذر الخاتم ودمتم (المناجاة) هذا هو المنشور الذي طبع وأرسل الى اصحاب الجرائد في الاقطار الاسلامية وقد زاد صديقنا رئيس اللجنة في النسخة التي أرسلها لنا بمجته الذي نرفقه ما يأتي :

دعتم المرجو من عالي همتكم وعنايتكم بالأمور العامة القيام ببذل الجهد لدى المأموم بالشوقيات في هذا العمل الخيري وجمع الاعانة وارسالها لنا اولى بدركيل هذا المجلس في أقرب محل لكم حيث ان المجلس وكلاء في عدة من البلدان منها جده الوكيل بها حضرة الحاج زين العابدين علي رضا وعبد الوكيل بها محمد افندي بن حسن علي وسنتين اسماء الوكلاء أيضاً ونشرها في الجرائد حتى مصر والشام وقد كتبنا الى مصر عدة كتب ولخصوص الخديوي العظيم وحصار إرسال كتاب الخديوي من طرف الولاية الجليلة وتصدق عليه من مقامها وكذلك كتبنا عدة الى الجهات خصوصاً الهند وجاوا وبخارى وقازان وبلدان العرب وأرسلت المقالة الطويلة المنقولة بعنوان (أهل الحجاز يستصرون) وساعدنا في التعاريف جملة من المرابين وغيرهم المقيمين هنا وحيث ان مجلتكم القراء لها الشيوخ في جهات كثيرة فمضى أن تفضلوا دوماً بتعريض المسلمين على المساعدة في هذه الاعمال وتذكروا أمر الحجاز واحتياجه للماء والتعليم ونحسبوا لمن فيه المهمة والقدرة على المساعدة مادياً ومعنوياً بفضل تلك وتفيدونا بالارشاد الى ما ينفع فاننا مقرون بالصبر

وعندنا القابلية لتعلم وبذلك تناولن عظيم الاجر والثواب ودمتم
١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧
رفيس القومسيون

(الختم)

(المار) قد شاع وذاع على الالسنه وفي الجرائد ان الماء قد قل في حرم الله عز وجل حتى بلغ من القرية الضيقة من الماء عدة قروش وكاد القراء يموتون عطشا ومن المسائل المعروفة في الشريعة انه يجب عند الضرورة بذل الماء وكذا الطعام لكل إنسان محترم ولكل حيوان محترم (غير مهذور الدم) وجوب باشر عاصوا . كان الانسان مؤثما او كافرا وسواء كان الحيوان ظاهرا أم نجسا . فاذا قول في جيران بيت الله وعمار حرمه وحجابه المقيمين لشماره وحقوقهم أكد وبرهم أفضل وساعدتهم اكبر أجرا وإعانتهم احسن ذخرا

ان المار يذ كر اللجنة ودولة الشريف أمير مكة بالمال الكثير المتجمع من أوقاف الحرمين بمصر ولا أدري هل كتب الى الخديو بطلب المساعدة أم يطلب هذا المال . ثم ندعو كل من علم بما ذكر لبذل ما تجود به نفسه مما انعم الله عليه لاعانة حرم الله ومن يعمره ويحبه وان اذراة المار تقبل ما يرسل اليها من المساعدات وتطلي به وصلا مطبوعا وتنشر اسم المرسل الا ان ينهاها عن التصريح به فكفي عنه وتكفل ارسال ذلك الى اللجنة في مكة المكرمة زادها الله تكريما ورخاء . وهي لجنة مؤلفة من خيار وعلماء مسلمي الاقطار المجاورين لبيت الله فهي موثوق بها وبهذا نكفي عن ذكر امثالهم . وقد علمتم أيها المسلمون ان سلتكم قد وقفو على الحرمين عقارا كثيرا فلا تكونوا اقل منهم غيرة وعملا للخير (٦٤ : ١٦) فاقوا الله ما استطعتم واسمعوا واعلموا وانفقوا خيرا لانفسكم من بوتي شح نفسه فأولئك المفلحون ١٧ ان ترضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم

ال اخبار والآراء

(خلع السلطان عبد الحميد وتولية مولانا السلطان محمد الخامس)

قد اتهم جميع الممانين بخلع عبد الحميد وتولية هذا السلطان الدستوري

المذهب الاخلاق ما عدا اعوان الأول على نهب البلاد . ولا بشرنا البرق بذلك
اجتمع جمهور من العثمانيين في بعض السيار ودعوا صاحب هذه النحلة للخطابة فخلب
فيهم مصدرا خطبته بقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك » الآية . وبين ان مشيئة
الله في نزع الملك وإيثاره منفذة لسنته الاجتماعية في ذلك ومنها ان إرادة الأمة إذا
اجتمعت لا يارضأ شيء لأن يد الله على الجماعة كما ورد في الحديث . وبين ان
جمهور الأمة كان يظن أو يعتقد ان عبد الحميد أعطى الدستور مختاراً وأنه كما كان يدعي
مخلص له محافظ عليه فلما ظهرت الفتنة الأخيرة وعلم انه المدير لها لإسقاط الدستور
اجتمع رأي السواد الأعظم من الأمة على خلعهم ولا زاد رأي السواد الأعظم إذا اجتمع
ثم احتفل العثمانيون في حديقة الأزبكية بذلك فخطبنا أيضاً في الموضوع فذكرنا
الحاضرين بخليفتنا هناك يوم أعلن الدستور وكيف كان جمهور من المفسرين يصيحون
في وجهنا بالدعاء لعبد الحميد الخ (راجع ٤٦٦ م ١١) وكيف حصصهم الحق وظهر
صدق قولنا . واطنا في بيان سلطة الأمة وسينات الحكم الحميدي وانطباق الدستور
على الشرع . فأبنا من استحسان الناس لهذا الخطاب واطرائنا به ما لم نزله نظائرا
هذا وان كل ما بلغنا من أقوال مولانا محمد الخامس وتصرفه وتواضعه واقتصاده
يشمرنا بأنه سيكون خير سلطان ، جلس على سرير آل عثمان ، حقق الله ذلك

﴿ الدولة العلية الدستورية والدين . ورأي غير العثمانيين من المسلمين ﴾

بري اقاري في باب المناظرة من هذا الجزء رأي جريدين من جرائد مسلمي
الهند بالحكومة الدستورية وحكم عبد الحميد الاستبدادي مع الرذ غايها . وقد
اجتمعنا في هذا الشهر بالأمر الايطالي (نواب بهادر صاحب خان عبد القويم)
من كبار رجال الحكومة الخارجية في (بنشاور) على حدود الهند من جهة الانغرا وقد
سألنا عن حال الدولة الحاضرة فينا له الحقائق فاجابنا ان أهل الهند والافغان
يحبوننا وان اشاع في تلك البلاد بين المسلمين أن حزب تركيا الفتاة يريد ابطال
الحكومة الاسلامية من الديانة وان يجعلها حكومة اوروبية ليس له صفة دينية فانهم
يحبون اصل عهد الحميد ويحبونه في جمعية الاتحاد و ايرقي وقال بعد ان بينا له

الحقائق أنه يحسن أن يجب أن يذهب وفد من الأستانة إلى الهند يطوف فيها و يظفر الحقيقة لأهلها وقد سافروا إلى الأستانة ليعتبر الحال بنفسه . فثمة تبر الجملة وتفكر كثيراً ولا شك أن جيل جرائد مسلمي الهند للحقائق وتشيع اصحاب المبدأ الحميد هو الذي أحدث هذا الضرر القادح أو توأه إذا صح ما يقرأه بعضهم من كون الإنكليز هم الذين يشيرون هذه الإشاعات ليوهموا المسلمين أنه لم يبق في الأرض حكومة إسلامية . إن أصحاب الجرائد المصرية الذين يشيرون على الحكومة الدستورية الجديدة يدعون المسلمين في هذا النقي ويخمدون الأجانب العاكبين على الملايين من المسلمين خدمة عظيمة وهكذا يجد الأجانب من المسلمين الجاهلين أو المستأجرين من يخدم سياستهم ويخذل المسلمين

﴿ الأحكام العرفية في الأستانة ﴾

اعلن القائد محمود شوكت إنشاء الأحكام العرفية في الأستانة لتطهيرها من أعوان عبد الحميد على إعادة الاستبداد فأوجس الناس خيفة من ذلك . وعندي أن فائدة هذه الأحكام لا تقل عن فائدة خلع عبد الحميد وأسرهم ونفيه فإن الطغور من أسفل درك الاستبداد إلى أية درجة من درجات الدستور من الحالات الاجتماعية وإن كان من الممكنات النظرية والقولية ولذلك عجزت الحكومة في العاصمة وفي الولايات عن أن تخطو خطوة واحدة في طريق الحكم الدستوري حتى صار الناس يلجئون في كل مكان بقولهم أن سير الحكومة لم يتغير وإنما لم نستفد من الدستور شيئاً . وإن لكانت هذه السطور في ذلك كلمات صارت تؤثرته في الديار السورية منها « أن الحكومة الاستبدادية سقيلت والحكومة الدستورية ما تكونت » ومنها « أننا أخرج الآن إلى حكومة عرفية منا إلى حكومة دستورية » وقد قلت لتأظم باشا إذ هيته في يروت أول مقدمي إليها في آخر شبان من السنة الماضية : أن الحكومة والأمة في حاجة شديدة إلى رؤساء محنكين قادرين ينفذون فيها الدستور بشئ من الاستبداد الباطن ، المطبق على القانون في الظاهر ، يكونون كن يربي الطفل لكن على الاستقلال ، لا على التقليد والانكال ، (قلت) وأوجو أن تكون أنت منهم مالك من التجربة والاختبار

كان من سبب عجز الحكومة عن تنفيذ الدستور الخوف من سخط الأهالي عليها إذا علمتهم بما لم يتعودوه وكان خوفها من المواطنين أشد فقد كان من سياسة عبد الحميد أن يحصر في كل دائرة من دوائر الحكومة أضاف من يحتاج اليهم العمل فيها ورأت الحكومة الدستورية أنها مستفيدة عن كثير من هؤلاء ولكنها لم تتجراً على إخراجهم لئلا يكثر سواد الناقين منها والساخطين عليها حتى قيل ان موسيو لوران الفردي الذي جئ به لإصلاح خلل نقالة المائة قل ان أهم مبادي الإصلاح إخراج الجمل الفقير من هؤلاء الموظفين الذي لا يعمل لم . فلم يحبه كامل باشا إلى ذلك ، وفي هذه الفرصة فرصة الاحكام العرفية يمكن تنفيذ ذلك وغيره وتكوين حكومة دستورية محترمة فتكون حلقة لانتقال بين الماضي والحاضر

﴿ الشريف امير مكة المكرمة والاصلاح ﴾

جاءنا من أبا الحجاز ان أميره الشريف يبذل قصارى جهده في الإصلاح وحرمان الولاية وحفظ الأمن العام فيها وقد وفق الى تأمين البلاد بدرجة لم يمهدها نظير في السنين المنقطة الماضية وقد وجه همه الى نشر العلم وتأليف أعرب البادية وثأمين سكة الحديد الحجازية . وآخر ما جاءنا من أخباره في ذلك انه اخذ العهد والميثاق على مشايخ حرب ان يتولوا بحراسة الخط الحديدي بدلا من تخريبه وهو قد كفل لهم ان ترض الدولة عليهم ما فاتهم من الانتفاع بنقل الحجاج وتوفيرهم أجورهم وكتب الى لاسانة بذلك فمضى أن تعضي الاسانة له عهده فان هذه الطريقة التي سلكها هي الطريقة المثلى لحفظ الخط وامتداد ذل الأمن ، وأما توهم مقاومة الأعرب بالقوة واستغلال الجرد بحفظ الخط فهو من وسوسة الغرور ونزغات الشياطين التي تجعل حرم الله تعالى في خوف دائم وخلل ملازم ، فنسأل الله ان يوفق هذا الأمير الدستوري الى سائر ما تحتاج له البلاد المقدسة من الإصلاح ويوفق الدولة لتأييده في ذلك

(الامير محمد أرسلان نجل الأمير مصطفى الشهير)

قلت القصة الباغية على الدستور وهذا الأمير وكان مبعوث اللاذقية فامتزت لونه سورية ولبنان ، وورثه فيها كل ذي قلم ولسان ، ونحن نشأركم في ذلك ونعزي الوطن بشجرة والده منه

بوتني الحكي من يتاوس رؤات المسكة قضاوتي
غيرا كثيرا ومايد صكرالا اولو الالبيب

المجلد

١٣١٥

بغير عبادي الذين يستحسن القول فيقول احسنه
أولئك الذين هداهم الله وآه ثلكهم اولو الالبيب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « مناوا » كتاب الطريق

(مصر - الجمعة ٣٠ جمادى الاولى ١٣٢٧ - ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٢٨٥ ١٩٠٦ م)

فَتَنَاتُ الْمُنَانِ

فتننا هذه الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وطيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحرور ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد متنا متاخرا لسبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولأن مضي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا قدر صعب لا فناء

﴿ استعمال الورق النشاف في الاستنجا ، والمقوى في الخفاء ﴾

(س ٢١ و ٢٢) من ص ٠٠ م في كرموس (السودان)

سيدي الفاضل

ترددت كثيرا في كتابه هذا لحضرتكم ولكني اقدمت لعلني انكم تسرون لنشر التعاليم الدينية لهداية المسلمين ووقوفهم على خلاصة الدين الحنيف جعني مجلس مع لفيف من اخواني الضباط وقد لاحظ احدهم اني اضع في هذا في فرشة من الورق المقوى لان به اتساعا فاتفقت علي بقوله ان استعمال الورق مثل هذا الاستعمال يخالف للدين الذي تدن به . وقد تناول كل منا البحث في هذا الموضوع حتى استدرجنا البحث والكلام في (١) هل الورق المخصوص الذي يوضع في البواخر مطهر و(٢) هل يجوز للمسلم استعماله — و(٣) ان كانت جاز للضرورة هل تناد الصلوات التي يكون صلاحها المسلم المسافر في مثل هذه البواخر لأنه يمنع من حمل الماء للمحلات الخلاء و(٤) هل الورق (الذي يسمى ورق النشاف) مطهر لأنه يلتقط ويمتنع السوائل

ووقفت بنا البحث لهذا الحد ولم نجد جوابا شافيا وانتقلنا لمواضيع آخر كما هي عادتنا عند وجود عقبات لا نتجهد في ازالتها

انقض المجلس وانا مشغول في ايجاد نص صريح يحل لي هذه الألتاز ولما لم (المنار ج ٥) (٤٣) (المجلد الثاني عشر)

اجد أمامي غير من أوقف نفسه لمداية العالم الاسلامي طرقت بابكم بهذا التردد الكبير — عشي ان استفيد من حضرتكم لا فيد اخواني ولكم الفضل علينا ومن الله الاجر (ج) استعمال الورق الذي يوضع في مراحيض البواخر والورق الشفاف في الاستنجاء جائز ولو مع وجود الماء وإمكان استعماله فلا يتوقف جوازه على الضرورة ولا تجب إعادة صلاة من استنجى به لأنه احسن تقية من الحجابة التي ورد النص بالاستنجاء بها ومن كل ما في معناها مما ذكر في كتب الفقه وليس هذا محل خلاف يذ كر فلا يكن في صدر أحد منكم حرج منه . ثم ان ما قاله لكم صاحبكم في تحريم وضع القوي في الخذاء خطأ وفيه جرأة على الدين بتحريم ما لم يحرمه الله والاصل في الاشياء الاباحة فلا تقولوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق

﴿ لب الشطرنج ﴾

(س ٢٣٣) من كوفي (السودان) لصاحب الامضاء بتضا

سيدي الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية المسلم لأخيه ، وبصد فراجيك التكرم بالرد على السؤال الآتي على صفحات جريدتكم انفراد :
هل لعبة الشطرنج المعروفة محرمة أو مكروهة في عموم المذاهب الأربعة أو بعضها يقول بالمحرمة أو بالكراهة أو الاباحة مع العلم بأن الشيخ الدرديري ذكر في في الشرح الصغير على أقرب المسالك في باب جمل في الجزء الثاني قال في المتن (والله حرام) وذلك كالقبح بالرد المسمى في مصر بالطاولة فيحرم كأنه بعض أو بدونه لأنه يوقع العداوة ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وكالشطرنج والشعبة والطالب والمنقلة واستظهر بعض كراهة المنقلة والطالب ومعه بدون عوض وأشغال على محرم والا فيحرم اتفاقاً اهـ

ثم قال الشيخ العدوي في حاشيته على الرسالة عند قول المتن في باب جمس خلق على الافعال المحرمة (ومنه القمار) قوله ومنه القمار الخ قال في المصباح قمارته

قارأ منه باب قاتل وقرته قرأ من باب قتل انتهى أي إذ في لعب الشطرنج ونحوه مغالبة
فقوله ونحوه كالبرد والطالب ونحو ذلك فكل ذلك حرام والا بدونه شيء انتهى
فيؤخذ منه ذلك كله انه هذه اللعبة محرمة في مذهب الامام مالك فإذا قُسم
بالحرمة أو بالكراهة فما هو السبب في ذلك وإذا كان السبب كونها تورث العداوة
كما ذكر اعلاه فالمسابقة بالخيال تورث العداوة أيضا مع أنها جائزه في مذهب الامام
مالك أفيدونا على ذلك مأجورين ولكم الشكر

وفي الختام تفصل بقبول تحياتي واحتراماتي
يوز باشي مأمور كورني
عثمان عارف الرقاعي

(ج) صرح الامام مالك في بعض أجوبته بكراهة الشطرنج وأطلق فحمل
أكثر أصحابه ذلك على كراهة التحريم ، وقال الإمام الشافعي فيه : انه لو يشبه
الباطل أكرهه ولا يتبين لي تحريمه . فحمل أصحابه ذلك على كراهة التحريم ،
واشتهر بين الناس ان الشافعي أباح الشطرنج والصواب ما قلنا ، ولا نعرف نصاعن
الشارع في تحريم الشطرنج ولا غيره مما ذكر من اللعب الا الترد (الطاولة) ولنا في ذلك
فتوى مفصلة في المجلد السادس (راجع ص ٣٧٣ - ٣٧٨ منه)

﴿ معاوية بن أبي سفيان ﴾

(ص ٢٤) من سنفافوره

سأل سائل من سنفافوره عن معاوية هل ثبت موته على الايمان وهل يجوز
لعه . وقال ان بعض السادة الحضارمة ألف كتابا ثبت فيه جواز لعه وكتب
وكتب الخ فطعن الناس فيه . وتقول قد سألنا بعض هؤلاء الحضارمة عن مسألة الامن
من قبل فأجبتنا بما نراه . واما مسألة موته فهي مما يفوض الى الله تعالى من جهة لباطن
ونحن لنا الظاهر وهو انه مات مسلما ودفن بين المسلمين . وقد علمنا ان القوم
مختلفون ومتعادون في ذلك فنوصيهم بترك الكلام فيه لأنه يخشى شره ولا ترجى
منه فائدة بخلاف تحقيق فيه على علي كرم الله وجهه فذلك من أهم مسائل تاريخنا

الانقلاب الميمون

﴿ وأر السلطان عبد الحميد في الدولة ومقاومته للدستور ﴾

(استدرارك على المنار)

صديقى الأستاذ الحكيم

نشرتم في العدد الماضي رسالة الفاضل مولوي إنشاء الله ورسالة جريدة ابررور الهندية في الاقلااب العثماني وفيها ما يدل على ان نأ خلع السلطان عبد الحميد أثرناثيرا سيئا في الاقطار النائية الاسلامية وانهم يرون انه قد اقيمت عليه بالخلع لالا من المآثر الكثيرة في الدولة وقد عدد الكاتب تلك المآثر الموهومة وعقبت عليها برأيكم في الخلع وتقيدكم لأقوال الكاتب وبسطم الكلام بسطا وافيالا إلا انه يمكن ان يستدرك عليكم في الأدلة على بيان خطأ الكاتب في الدعاوي التي استخلصتموها من مقاله ورددتم عليها فرأيت ان أكون متبا لمقالكم مع زيادة في الايضاح اقناعا لا اخوانا مسلمي الهند ومن هذا حذوهم في الاعتقاد الحسن بالسلطان عبد الحميد فأقول ان النقط الست الأولى التي تتعلق بسيرة عبد الحميد بعد الدستور لا أريد أن أكتب على كل قطة منها بمفردها زيادة عما كتبه المنار الأغر بل أقول فيها كلها كلمة إجمالية وأكتب على النقط الاخرى التي تتعلق بحياته بعد الدستور كل قطة بمفردها أما كلمتي الإجمالية فهي ان السلطان عبد الحميد لم يكن يوما قط محلصا للدستور والدليل على ذلك انه أعطاه مكرها كما ذكر ذلك المنار الأغر ومن طالع كتاب خواطر نيازي يتضح له ذلك وانه لم يأل وحواشيه جهدا في غضون الحركة الأولى في استنباط الوسائل التي تفت في عضد الأحرار في سلايك لما طالبوه بإعادة ااقانون الأساسي وهددوه بسوق الجيش الى الاستانة فأصر على رفض طلبهم ومقاتلتهم بقوة جنود الاناضول وفعلوا استدعى عدة تواير من رديف أزمير وأسر بسرهم الى سلايك وقبل ان تتحرك هذه الجنود من إزمير اطلعت على كتاب ورد لبعضهم من صديق له ثمة يقول له فيه : إني أسافر متطوعا مع جنود إزمير الى

سلانك لا قتال الجيش المطالب بالحرية بل للانضمام اليه مع جنود ازبكر والتوجه الى الاستانة لإكراه ذلك الجبار على رد حرية الأمة التي سلبها إياها والضيابط هنا في متهى التحمس للوصول الى هذه الغاية فليطعن بالاحرار في مقصر فاستودعكم الله ولا أدري هل أراكم بعد اليوم أم لا :

ولما وطلعت أقدام الجنود أرض سلانك أعلن الضباط في الحال انضمامهم بجنودهم الى جيش الحرية وانفكس هذا الخبر بالسلك البرقي الى الاستانة فسقط في يد السلطان واعوانه وكانوا طلبوا جنودا أخرى من جهات الأناضول فأوقف سفرها ناظر الحرية واقنع السلطان بلزوم المدول عن هذا الرأي لما فيه من الخطر فلم يسمه بعد ذلك الا التسليم بمطالب جيش الحرية لينسج له الوقت في التفكير والتسيير خصوصا في تقريب وحدة الجيش المتواطئ على نصرة الدستور

أخذ بعد ذلك في تدمير المكاييد بث جواسيسه واتباعه بين الجنود المعسكرة في الاستانة يفرونهم بالمال وأنف بواسطة درويش وحدتي جمعة الاتحاد الحمدي وأعطاهما هو واعوانه هذا الاسم الشريف ليكون آية للتصويه على البسطاء والتميز بهم باسم الدين إذ ليس في الأمة فرد واحد يتنقا على الحكومة الدستورية مادامت قائمة باسم العدالة والمساواة فلا يستطيع الساطن واعوانه تخريض الجنود على الاحرار الدستوريين لمطلق انهم اعوان الدستور لذلك جاؤهم من جهة الوتر الحساس فيهم فحسوه باسم الدين وحرضوهم على المطالبة بأحكام الشرع والشرع في عرف العامة هو السلطان والسلطان هو الشرع لأنه الأمر المطلق المطاع فانتيجه بالضرورة هي محو الدستور ومحو كل من يقول به في تركيا وإعادة السلطة الاستبدادية الى السلطان ثبت ذلك بالبيانات القاطعة والادلة المحسوسة وهي النقود الكثيرة التي وجدت مع الجنود الثائرة ثم التقارير الدرية التي وجدت في يلدز من جواسيس السلاطن واعوانه وفيها بيان عن نجاح الخطة الموضوعة لاثارة خواطر الجنود كتقارير علي كمال بك ويلياد بك وغيرها التي نشرتها جرائد الاستانة بالحرف ونشرت مجلة (ثروت فنون) بعضها مصورة بالفوتوغراف اثباتا للحقيقة وقطعا للشبه ثم ثبت ذلك بأقرار كثير من اعوان السلطان وحواشي المقبوض عليهم كجوهراغا وحقي بك ويوسف

سكه زان باشا الذي قبض عليه وهو يعمل قودا تبلغ الاربعين الف جنبه فأقرأه
كان يريد ان يبري بها جنود القليق الثالث وغير هؤلاء كثير من اقروا بتدبير
هذه المكيدة او ثبت عليهم الاشتراك فيها بالأوراق التي وجدت معهم واهم من ذلك
اقرار دويش وحسن صاحب جريدة (ووقان) ومؤسس جمعية الاتحاد الحميدي
فانه اقر بتدبير جريدة (اعتدال) الاذمية لما قبض عليه هناك من عهد قريب اذ
قال له ان السلطان هو الذي دبر هذه المكيدة وان لديه اسراولاً كثيرة سيذكرها
في المجلس العسكري

وزد على هذا ما ظهر من اتساع نطاق هذه المؤامرة بواسطة اشياح السلطان
واتباع صاحب جريدة (ووقان) بحيث كان المراد بها تحريض المسلمين في كل
الولايات على قتل بعضهم بعضا لستوجب ذلك تدخل اوروبا واقتناعها بعدم اعتماد
الأمة العثمانية للحكم الدستوري - بدأت هذه الحركة المشؤمة في ولاية ادرنة واطراف
ولاية حلب ثم ظهرت في ارضروم بين الجنود وظهرت في ديار بكر فأطلقت في الحال
ولم يبق دون شوب هذه النار في كل الولايات العثمانية الا سرعة حركة جيش
الحرية ودخوله الاستانة ثم مبادرته الى خلع السلطان عبد الحميد - ولو نجحت هذه
المؤامرة الخبيثة لما بقي في تركيا حجر قائم على حجر ولدورها السلطان كما دمرت مدينة
ادرنة التي اصبحت اطلالا بالية ولو اردنا ان نأتي على تفصيل هذه الحوادث لاحتجنا
الى مجلد من المنار فهل يقال بعد هذا ان السلطان عبد الحميد كان مخلصا للدستور
وانه اعطاه برضاه وهل وجد في تاريخ العالم ملك تنزع من صدره الرحمة وينزل بنفسه
الامارة بالسوء الى هذا الحد من حب الانتقام لنفسه ولو يتخرب المملكة التي
تأسست على دماء مئات الألوف من المسلمين ثم ياصق مثل هذه الجناية بالاسلام
وشرائع الطاهرة اذ يثير مثل هذه الفتنة باسم الدين الاسلامي وتحت ستار الشريعة؟
انا نقصد ان اخواننا المسلمين في الهند وغيرها ارفع عقولا وابعد عن التصديق
بكل ما كان يقال في جرائم المنافقين عن مزاي هذا السلطان التي تكاد تماثل مزاي
أكله اليونان الواردة في اساطير القوم وانه كان من انصار الدستور مع انه هو الذي
قتل واضعي الدستور مدحت باشا واخوانه وتطاول قانون الاسامي مدة ثلاث وثلاثين

سنة قتل في غضون ثلثين سنة من شأن الأمة المالين إلى الحرية منهم من ماتوا في السجون ومنهم من ماتوا في المنفى لكثرة ما هانوا من شطط الجيش ومنهم من ماتوا إغراقا في البحار وآخر من كادوا يموتون قذفيا في السجن من أولئك الأحرار صديقا الحر القيود حسين بك طوسون وطائفة من أهل أرضروم وفيهم عقيبا الذي مات في السجن شهيد الحرية والأدبانية . ويرجمهم إن حسين بك طوسون الذي قضى أكثر أيام حياته بعيدا عن وطنه مجاهدا في سبيل الحرية ذهب بصفة خفية إلى أرضروم وبث في طائفة من أفاضل أهلها فكرة المطالبة بالقانون الأساسي والتخلص من الاستبداد فاجابوا نداء الضمير والحقيقة وقاموا بالحركة الدستورية التي كانت في أرضروم منذ ستين تقضي عليهم جميعا وجرى بهم إلى الاستانة فجز بهم في سجونها ولولا قيام جيش الحرية في سلاطيك وإعلان الدستور لماتوا في التعذيب عن آخرهم كما مات من قبلهم

وكذلك كان مع الشاب المذهب المرحوم محمود فائز أفندي (١) الذي كان يحرر في جريدتنا (الشورى الضمانية) وسافر إلى إزمير قبل إعلان الدستور بستة شهور مضاعبا حاته في سبيل الحرية قبض عليه وعلى عدد غير قليل من أفاضل أهل إزمير وزج بهم في السجون ولاقوا من أنواع العذاب ما لا يوصف وبدهولاء الخمسة والعشرون الضباط الذين جرى بهم من سلاطيك وسجنوا في الاستانة قبل إعلان القانون الأساسي ببضعة عشر يوما

كل هؤلاء كانوا عرضة للموت في السجون كما مات من قبلهم لولا أن قداركهم الله بقيام الجمعية في سلاطيك وظهور قوتها المتحدة بقوة الجيش وأمرها السلطان عبد الحميد على إعلان القانون الأساسي وخروج هؤلاء المظلومين من غياهب السجن وأمر التعذيب

(١) توفي هذا الشاب شهيد الواجب في الفتنة التي أثارها أعوان السلطان عبد الحميد منذ شهر في أدنه حيث كان يقيم موقعا فأراد أن يصلح بين المتقاتلين من الأرمن والمسلمين ويتصح لم يترك القتال فأطلق عليه أحدهم رصاصة ألقته صريحا يتخبط بدماه رحمه الله

هذامأردت اضافته على ماكتبه المنار الأغر ودأعلى القسم الأول من كلام الكاتبين (١) وأما القسم الثاني والدعاوى الست التي نلخصها المنار الأغر ودعيلها قالوا ولي منها المالية ويكفي ان تضرب له مثلاً أو مثلين على مبلغ نلظها وضمفها في عهد السلطان الماضي اذ وجهه الضعف والخلل مما لا يمكن إحصائه في هذه العجالة فمثل الأول ان الحكومة الدستورية وجدت فيا وجدت من الخلل في المالية عدة ملايين من الجنيئات دينا على الدولة لجهات متعددة لم يجدوا لها قيودا رسمية فسموها الديون السائرة واضطروا ان يطنوا في الجرائد عنها وكلفوا كل من في يده مستند من اصحابها ان يراجع الحكومة في غضون مدة محدودة وعلى هذا فقس كل أحوال المالية وما سبب هذا الخلل فيها الا استنثار السلطان بوارادات الدولة مما لا نستطيع حصره نظارة المالية لتناوله تلك الواردات مباشرة بغير واسطتها ولأجل هذه الغاية كان آلف منذ بضع سنين لجنة في بلدز من حواشيه سماها اللجنة المالية لمراقبة مالية الدولة في الظاهر وسلبها في الباطن فكان أول قاعدة وضعها تلك اللجنة ان لا ينفق قرش واحد من خزائن الولايات الا بعد استئذنها حتى مرتبات المأمورين ونفقات الجنود التي هي طيعية في كل ولاية داخلية في ميزانيتها الخصوصية وكان من ذلك ان صارت هذه اللجنة كلما اجتمع مبلغ من المال في ولاية تطلب ارساله اليها في الحال وهذه تفضي تحت أمر السلطان ينفق ماشاء منه على جواسيسه ومقربيه ومصالح الدولة ويستأثر لنفسه بما شاء حتى تعطلت أمور الولايات الادارية وفشت الرشوة في المأمورين لكي يمتاشوا بما يحصل لهم منها من القود وحتى صارت الفياق العسكرية الى حالة من الفقر والضعف وقد الحاجبت العسكرية لا يمكن ان يصورها كاتب بقلم ولا يصدقها الا من شاهدها بهينه من العثمانيين واليك مثالا منها

لما حدثت مشكلة العقبة ونصدي الانكليز في مصر الى التداخل فيها وورأت الحكومة العثمانية وجوب ارسال الجنود الى العقبة واورزت الى الفيلق الخامس الذي مركزه دمشق بارسال قايورين من المشاة وبطارية مدافع الى العقبة لم يوجد في الفيلق كله عشرون حصاناً لاجل المدافع لان خيل السوارى والطوبجية الخاصة بالفيلق انطامس اقترضت عن آخرها ولم يشر غيرها فاحتج اللايان بها من الاستانة وترتب

على ذلك تأخير الحملة العسكرية وعزل والي سورية ناظم باشا يومئذ لأن قائد الفيلق ألقى عليه قبعة الابطال لعدم تمحيه بدفع قود تكفي لتجهيز خيول هذه الحملة ولوازمها الأخرى مع ان خزينة الولاية كانت خالية من القود

هذه امثال من الامثلة المحسومة التي يحتاج استقصاؤها الى كتاب ضخمة بين ماذا اصاب الدولة من الضئيل المالي والاضطراب الاداري في عصر السلطان الماضي مع نوع الضرائب والجبايات وتوالي طلب الاعانات المستحقة ومنها اعانة التجهيزات العسكرية التي استمرت تسجي من الامة عشر سنين او ازيد وتمشيرة قودها الى الماين ولما اعلن الدستور لم يجدوا لها حسابا مضبوطا ولم يعرفوا وجه الاتفاق التي ذهبت فيها تلك الماين من القود التي جيت باسم الجندي والجندي كانت في احوط دركات العوز والقص في المعدات الحربية كما اثبت ذلك البيان الذي لبس بعده بيان (٢) كونه درب الجندي على قواعد الحرب الحديثة . فانا اضيف على ما كتبه

الماردأ على هذا الزعم ان كل ما صرفه السلطان عبد الحميد من الضريبة بامر الجندي كان مطلاا ظاهره حسن وباطنه قبيح فقد كان يرسل الى ألمانيا بعض الضباط لاجل اتمام تعلم الفنون العسكرية وقلما ضم الى الألبات ضابطا من هؤلاء عند عودته ليستفيد الجنود من معارفه الجديده بل اكثرهم كان يضم الى الماين والدوائر العسكرية الأخرى ليكونوا مغاولي الأيدي عن العمل . وكذلك أتى بضباط الماين كونه باشا وغولس باشا وغيرهما لاجل تنظيم الجيش وتدريبه ولكنه غل ايديهم كما غل أيدي الضباط الضاينين المتعلمين في ألمانيا فنهم من كل عمل يترتب عليه حياة الجيش ونظامه الحربي كما منع عنهم كل مادة من مواد الترفي ومن ذلك انه حظر على الجيش اجراء المناورات الحربية منذ عشرين سنة والمناورات الحربية أس النظام العملي في جيوش الأمم بل زاد في النكايه فنع حتى مايسمونه (ألاي تعليمي) حتى لا يجتمع اربعة تراير في مكان واحد تحت السلاح ولو كانوا في اقصى المملكة وحتى اصبح التعليم العملي مقوداً ألبته في الفائق وكما منع الجيش من التمرن على الفنون العملية منع عنه كل المستحدثات الحربية الحديثة كاللفون والآتومبيل الحربي والبالون

كل هذا توهمنا انه ان جيشه عدو له حتى كان الجيش اشبه بآلة مطعنة (٥) وحتى انسل منه الضباط الالامانيون واجتمعوا الى بلادهم لالم يروا ما يمكنهم من ترقية هذا الجيش المحروم من كل وسائل الترقى الادبية والمادية

وأكبر دليل على ذلك ما بلغه رجال الدولة من الخوف والاضطراب عقب اعلان الدستور وقام الخمسا والبلغار على الدولة: الأولى لأجل البوسنة والهرسك والثانية لأجل الاستقلال ، حتى اضطروهم ذلك الى التجهيل بحمل هاتين المشكلتين فتأديا من الوقوع في الحرب التي كانت خطرا مؤكدا على الدولة لضعف الجيش حتى قدأويت كتابا من أحد المشيرين الكبار بمش به لصديق له في مصر لاول محمد الدستور يقول له فيه : نسأل الله ان يمنع عنا غائلة الحرب مع البلغاريين في هذين الشهرين ربما لم نشعنا والا فتعفن في خطر كبير اذا وقعت الحرب الآن

وأخبرني ضابط كبير برتبة لواء كان في الفليق الثاني (فليق ادرنه) مع ناظم باشا لما تعين قائدا للفليق المذكور عقب اعلان الدستور وفي أثناء المفاوضات مع البلغار فقال : ان القائد الموما اليه مع ما بذل من الجهد في تنظيم الجيش وتدريبه ولم شعثه وتجهيزه بالمعدات اللازمة كان يقول بعد مرور شهر عليه في قيادة هذا الفليق : الآن يمكننا ان نقف اسبوعا واحدا في وجه البلغاريين و بعد شهر آخر يمكننا ان نقف شهرا واحدا و بعد أربعة شهور يمكننا ان نزحف على عاصمة البلغار

فانظر الى ما كان عليه الجيش من الضعف يومئذ وكيف كان أكبر مشيري الدولة وقوادها يتشاءمون من وقوع الحرب مع البلغار حتى بات كل قواد الجيش وضباطه في هم ناصب ودأب على العمل ليل نهار في الستة الشهور الأولى لأجل استرداد ما سلبه السلطان عبد الحميد من قوة الجيش المنوية والمادية في العشرين السنة الأخيرة لحكمه المشؤوم

(٣) اما التعليم فيمكنني ان أقول فيه ان التلمين في تركيا أقل نسبة من

(٥) المار : كان يعتقد ان الجيش اذا اجتمع مسلحا طلب الدستور ولذلك منع الماورات والاجتماع حتى اجتمع في منع حرب اليونان فلم يجد الى ذلك سبيلا

المسلمين في بلغاريا (٥) التي انفصلت عن الدولة في عهد السلطان عبد الحميد فسبقها اشواطا كبيرة في مضمار المعارف والعلوم ولو اطلق السلطان عبد الحميد حرية التعليم في الثلاث والثلاثين سنة التي حكمها لما وجد الى اليوم أي في تركيا مع ان الأمن فيها الآن ربما زاد عددهم عن خمسة وعشرين في المئة والمدارس الموجودة في تركيا قد صارت الى حالة من الخلل خصوصا في الخمسة عشرة سنة الاخيرة من ملك عبد الحميد لا يستطيع وصفها قلم وحسبك ان دار الفنون في الاستانة لما أريد تنظيفها بعد الدستور لم يجدوا في فروع الطبعات منها ولا آلة واحدة من آلات العلوم الطبيعية التي يطبق فيها العلم على الفصل لما انه لا يوجد كتاب رسمي يدرس في مدارس الاستانة في أي فن من الفنون بل ان المعلمين يملون دروسهم املاء وناهيك بمعلم يدرس وهو يحاسب نفسه على الكلمات ويحشي من هفوات اللسان بالفاظ غريبة حرمتها نظارة المعارف بأمر السلطان

اما مصادرة العلماء وتثبيت النضلاء وقتل النابغين أو ابعادهم وإحراق كتب العلم فهذا مما لا يحتاج الى دليل وقد عثروا على تقارير رسمية من دائرة التفتيش في نظارة المعارف مرسلة الى المايين في كيفية إحراق الكتب المصادرة باني بأن ألوفاً من الكتب أحرقت مرة واحدة في موقد حمام شبرلي طاش على ايام متوالية تقاديا من احراقها في نفس النظارة بعد أن ظن الناس ان حريقا وقع فيها لأول يوم بدئ فيه بإحراق الكتب فيها وقد نشرت جرائد الاستانة في الاسبوع الماضي هذه التقارير ليرهن على ما قال العلم وأهل في عصر السلطان عبد الحميد

وهذا قليل من كثير مما اصاب العلم وأهله من المصادرة والاضطهاد في عصره وفيه كفاية للمتبحرين

(٤) اما انه اسعد المملكة بكده مدة حكمة فهذا امر تقنيه يعاول خصوصا لمن ليس هو من هذه المملكة وبعبء عنها ويكفي ان يقال انه ليس في تركيا شركة وطنية من الشركات العامة الصناعية أو التجارية لان السلطان كان يمنع تأليف هذه الشركات الا اذا كانت اجنبية واعطيت اسم العثمانية . وكانت الرشوة متفشية في

(٥) ان ٥٠ في المئة أو نصف الاهالي في البلغار مسلمون

دوائر الحكومة الى حد سلبت منه الامنية على الاموال والارواح واصبحت السيطرة لاهل البغي والفساد وارباب النفوذ. وكان المأمورون مضطرين لماشة هؤلاء ومخاطباتهم أقللة رواتبهم وعدم اخذهم لها واحتياجهم الى المال من غير طرقه المشروعة فليس ثمة عدالة ولا قانون الا هوى النفس واردة الحكام فكيف تكون حالة عملة هذا شأنها واية سعادة ترجى لامة تلك حكومتها؟ تترك الجواب على هذا للكاتبين الفاضلين فانهما علي ما نعتقد من المنصفين

(٥) اما كونه عمر الطرق وأنشأ السكك الحديدية والترع فهذا لا شيء منه في تركيا فان فيها ضريبة تسمى ضريبة العملة المكلفة وهي تلتزم كل مقترن على العمل ان يعمل في اصلاح الطرق بنفسه أو يدفع أجرة عامل للحكومة وهي ريال فأكثر في السنة . وقد قال لي مرة بعض الناقدين ان هذه الضريبة لو أُنقِشت في سبيلها منذ وضعها الى اليوم لا يمكن للدولة ان تمد بها خطوطا بدل الخطوط الحديدية من الفضة على انه لم يعمل بها طريق مرصوص بالحجر صالح لمرور الجنود والركبات الى اليوم أما السكك الحديدية فالحقيقة انها كثرت في زمانه الا انها كلها كما قال المنار الاغر في بد شركات اجنبية وفي مصلحتها دون مصلحة الرعية والدولة ولا يوجد في العالم شركة سكة حديد تتمتع بامتيازات تضر بالرعية والدولة كما يوجد في بلادنا ولنضرب لهم مثلا سكة حديد بغداد التي اخذتها شركة ألمانية فقد اعطيت هذه الشركة الحق بالبحث عن المعادن وتملكها على مسافة عشرين كيلو مترا من جانبي الخط أي من ساحل البحر الابيض في الاساتنة الى مصب دجلة والفرات من البحر المحيط الهندي وفوق هذا قد نحتت الدولة الضمانة الكيلو مترية لهذه الشركة ثلاثة عشر الف فرنك عن كل كيلو مترو ذلك في نظير مبالغ زهيدة أعطيت لامقر بين ورجال الدور الماضي وبعض اسهم استأثر بها السلطان ونفر من اعوانه . فهل توجد أمة في العالم تباع مراقبها وتوهب اراضيها على هذه الصورة ويكون اشد العالمين على جر هذه المضار عليها سلطانها وحكومتها؟

أن الامثلة على مثل هذا كثيرة وان صفحات المنار لتضيق عن جزء منها فانا أكتفي من البيان بما تقدم كما أكتفي بما قاله المنار عن القطة السادسة لان النفس

ضاعت من الاسترسال في هذا الموضوع والفراد اضطرب من ايمان افكر في تلك الظلمة التي كشفها الله عنا بفضل منه فلم يبق في استطاعة القلم تجاوز هذا الحد من البيان لما ساورني من الآلام النفسية التي كانت ملازمة لي ولكل الاحرار الثمانيين مدة ذلك الدور المشؤم وقد خففها الله عنا باقضاء ذلك الدور الماضي وظهور شمس من نور الرجاء في المستقبل كنا نأمل ان تنسينا ما قاتلوا لم يسئنا تلقى اخواننا المسلمين لهذا الانقلاب الحميد بنسب ما تلقاه به الثمانيون نبلوا أذهانهم عن امثال ما ذكرناه من سيرة عبد الحميد فيدعوننا ذلك الى الرجوع لتلك الذكري المنتصبة بما اردنا به رد الشبهة وجلاء الحقيقة لـ اخواننا المسلمين في البلاد النائية. على اننا لا ننسى لم هذا التأثير بأحوال المملكة العثمانية واشجار دولة الخلافة وان كان تأثيرا بضد الواقع فانه محمول منهم على حسن النية وعدم الوقوف على دخائل الأمور في الدولة العلية ولا ريب عندنا في ان اهتمامهم بهذا الانقلاب وخلع السلطان عبد الحميد يدل على اهتمامهم بشؤون اخوانهم المسلمين الثمانيين ورغبتهم الخاصة في سعادة الدولة العلية ومجدها وقوتها وانا لارجو ان تتحقق هذه الرغبة لهم ولنا في دور مولانا السلطان محمد الخامس بهذا ان ثبت عدم تحققها في عصر السلطان الخلع اذ كل ما روي من خليفتنا الجديد الى اليوم يدل على محبة خالصة للامة وميل عظيم للاصلاح وتمسك بمبادئ الشورى والعدل جعله الله مبدءاً حياة جديدة للدولة وعز مؤكد للمسلمين

وحسب اخواننا في الاقطار النائية دليلاً موجهاً لسرورهم مؤكداً لا مالم في مستقبل دولة الخلافة هذا الانقلاب العظيم الذي قام به اخوانهم المسلمون في البلاد العثمانية ودعمه الجيش بقوة العظيمة. وأي دليل على ان هناك حياة عالية ونفوساً تراعى الى الرقي ستهض بالدولة الى منزلة تسر لما ان شاء الله قلوب الأمة الاسلامية اعظم من هذا الدليل لا سيما وان القائمين بهذا الانقلاب انما جددوا حكومة الشورى الاسلامية التي طوى صحتها الامراء الجبارون منذ آخر عهد الخلفاء الراشدين ولم تستطع امة من المسلمين استرداد هذا الحق المسلوب منها الى اليوم فاستطاع ذلك الثمانيون والله مع المصلحين رفیق العظم

﴿ الذكر وراثة النفسانية ﴾

لما اطلع السيد محمود شكرى اخندي الالوسي عالم العراق المصلح الشهير على ما كتبتاه في وراثة النفسانية استصحبه وفضله على جميع ما كتبه العلماء في ذلك وارسل اليه التصديقاتية وقال لها الشيخ هذان بن مسند النجدي نزل البصرة رحمة الله وكان من رجال اواسط القرن الثالث عشر في ابطال الوراثة التي يقول بها المتصوفة

أحل القواد اذا ما كنت ذاكره
تكن قى بسلاف الذكر قد سكره
الشيخ يدعو لاخلاء القواد من الـ
أغيار طاراً ليصفو الذكور للفقرا
فكيف يدعو الى تصوير صورته
في خاطره نور الله قد سفره
فاصل قوادك بالذكر اللذيذ وكن
ضمن عن الغير في اذكاره قفرا
لم يحصل قط شهود الله في خلده
إلا إذا لم يكن فيه سواه يرى
وان يكن من أناس من يشاهدتم
وما يذكركم ما أنوارهم نظرا
إذ صورة المصطفى صحت بها كتب
لكن أجدر لكن قمتي الأثرا
لو كانت من ديننا تصوير مشيخة
ان مال نحو اتباع غيرنا وجرى
لحسنا باتباع المصطفى شرفاً
فيا مريد الهدى استمسك بهرقة
وقل إذا سالك استبدك معتبرا
دع التوجه إلا للذي فطرا
فمالك لسبيل المصطفى ثبتت
ان الطريقة ان عرقها عمل
وبعد تخلي قاعل بتعليه
من سار الله قسى السر من كدر
واخرج عن النفس والاغيار تحفظ به
ولا تظن اشتغالاً بالعلوم شتى
فان لم يحمله من كل ما خاف
ينفون تحريف ذي الابطال عنهم
لا تحقر سالكا علما فمالكه
وان سما من مقام الصالحين ذرى
وارج الحوائج من مولاك لا بشر

لو كانت مستلما منه الذباب ولم
 فافزع الى انطاق المبود متصفا
 واجيد كأنك مولى العالمين ترى
 واحسن دوائس نفس ربما قلت
 والذكر ركن عظيم من طريقهم
 نجد في السير للرحمن مقتنيا
 وكل مؤنة أو مؤمن فله
 واغنى احقاراك للعاصي لمصبة
 ففكر ربك لا تأمن وكن رجلا
 لا ناظرا عملا لكن لرحمة من
 مملقا منك آمالا بذيل ندى
 فاذا سكره في خلوة أو جولة ترى
 وبالنواجد فاعضض شرع مرسله
 ما خالف الشرع مردود وقائله
 والدين اكله المولى فليس به
 ان الاطبا أساة الدين هم علما
 حامون حوزتها عن كل موهناك
 لا توقن نظرة يوما على عمل
 اخلاصهم عرف الرفاق زاد على
 لا مثل من حقروا اعمال غيرهم

يقدر الله اقتصادا لما قدرا
 في كل ما حدث ان جل اوصرا
 فان تكن لا ترى مولاك فهو يرى
 ففي الدوائس منها دقق النظرا
 وخيره ما عن المختار قد ارا
 آثار من فأت كل انطاق حين سرى
 حق عليك فأحب منها الأثر
 قرب عاصي تعدى ذنبه غفرا
 متمسكا أبدا من شره يبرى
 ككل الأنام اليه دائما فقرا
 من فضله الجم ذرات الودى غفرا
 عماله عند أملاك سموا ذكورا
 ودع أقاويل اقوام جوت هنرا
 بذارونا عن الهادي لناخرا
 قص فيكلمه من قصه ظهرا
 قد دققوا في معاني السنة النظرا
 مزين في طريق الله كل قوا
 ان رمت اخلاص اقوام بدوا غفرا
 ان لا يكون لاخلاص له نظرا
 واستفظوا كل فصل منهم صدرا

﴿ النساء والحجاب والتعليم ﴾

وردت اليها هذه القصيدة من بغداد في مبارزة الشيخ محمد بن الشيخ طاهر الحلي
 قصيدة الشيخ معروف الرصافي التي نشرناها في الجزء الثاني
 نعم مؤدب الخفريات بيت يقين به الى يوم المات

يَحْرِنُ كَوَاكِبَ فِي بَرُوجٍ وَلَا يَصْلُوهُ مَتَبَرِّجَاتُ
فَالَاكَ يَا ضُيُورَ فُظِّمْتَ شِعْرَا ثَرَّتْ بِهِ عَقُودُ الْيَنَاتِ
تَمْرَضُ فِي نِسَاءِ الْقَوْمِ قَدَمَا وَتَمْرَضُ عَنْ أَوَامِرِ صَادَعَاتِ
قَدْ قَالَ الْإِلَهُ وَتَرَنَ أَمْرَا يُؤَدِّبُ فِيهِ خَيْرَ الْأَمَاتِ
فَإِنْ قَهَمَ سِوَى الْمُغْنَى فَيَنْ وَإِنْ تَزَعَّمْ لَهُ نِسْمَا فَيَهَاتِ
نَشْدُوكَ هَلْ قَصِدْتَ بَذَايَا عَلَى حَسَنِ اقْتِدَارِ الْوَقَاتِ
أَوْ اسْتَنْبَطْتَ ذَا مَنَ فَعَلْ خَيْرَالَا سَاءَ الْعَالَمَاتِ الْعَالَمَاتِ
فَإِنْ تَكُ أَمْنَا فِي الْعِلْمِ بِحُرَا تَحُلْ لِنَاظِلِهَا الْمَشْكَلَاتِ
قَدْ كَانَ الْمَلِمْ خَيْرَ زَوْجٍ بِحَجَرَةٍ يَتَهَ لَا الْمُدْرَسَاتِ
وَقَدْ كَانَ الْأَوَّلَى سَأَلُوا عَلُمَا بَنِيهَا لَا الْبَيْدَ مِنَ الْعِدَاتِ
فَمَنْ تَفْدُو عَلَى الْقَسِيدِ كَمَا تَعْلَمُ ضَرْبَ عُدُودٍ أَوْ كِرَاتِ
وَتَأْتِيهَا الرِّجَالُ تَدَالٍ مِنْهَا فَتَوَقَّى فِي مَنَازِلِهَا وَتَقَاتِ
كَمَنْ أَخَذَتْ عَنِ الْخُتَارِ عَلَا وَعَلَّتْ الْبَنِينَ أَوْ الْبَنَاتِ
فَيَلْسَ لَا يَنْسَمُ فِي هَوَا وَلَا يَنْسَاغُ فِي مَاءِ فِرَاتِ
فَهَلْ هَذَا لَعَمْرُ أَيْكَ الْآ كَتَسْوِيَةِ الَّذِينَ مَعَ الْوَقَاتِ
وَمَا ذَكَرْتُ نَفْسَ فِيهَا الْكَ أَبْ قَوْلِ أَحَدَى الْعَالَمَاتِ
وَقَصَّانِ النِّسَاءِ حَسْبِي وَدِينَا صَحِيحٌ فِي مَسَانِيدِ الرِّوَا
أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو مَصِيئَتَا بَهْتِكَ الْمُؤْمِنَاتِ
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَفْضَحَ مِنْ طَرَفَا وَيَذْنِبِينَ الْجِلَابِ سَاتِرَاتِ
وَلَا يَذْنِبِينَ زَيْنَتَهُنَّ الْآ لَطْفُ لَيْسَ بِسَلْمِ الْهِنَاتِ
وَيَسْأَلُنِ الْمُتَسَامِعَ وَرَا حِجَابٍ وَيَلْقَيْنِ الرِّجَالَ مَهْجِبَاتِ
فَكَيْفَ يَلْبِقُ أَنْ تَلْقَى حِجَابَا وَتَبْرَزِ الْعِيُونَ الشَّائِخَاتِ
وَنَرْضَى أَنْ تُلَوِّحَ بِكَشْفِ وَجْهِه وَلَوْ يَنْ الْأَعْيَاءَ الْآبَاتِ
فَبَلَّكَ مَصِيئَةً يَا أُمُّ مِنْهَا نَكَادُ نَفْسَ بِالْمَاءِ الْفِرَاتِ

خطبة خطيبة مصرية على النساء

نشرت الجريدة سلسلة مقالات مفيدة في شؤون النساء والبيوت لكاتبة مصرية مسلمة لقيت
 لها بهذا القالب (باحة بالادية) ثم انها دعت بلسان الجريدة النساء الى سماع خطبة لها في شؤونهن
 مع الرجال فأجاب دعوتها مئات منهن فاجتمعن يوم جمعة في نادي حزب الامة وسمعن منها هذه الخطبة

أيها السيدات :

أحييت نحية أخت شاعرة بما تشعرون ، يوئى لها ما يؤلم مجموعكن ، وتجذل بما
 تجذلن به ، وأحيي فيكن كرم النفس لتفضلكن بتلبية الدعوة لسماع خطبتي . إن
 أطلب بها الا الاصلاح ما استطلت فإن أصبت كان ما أرجو وان أخطأت فإنا
 الا واحدة منكن والاسان يخطئ ويصيب فن رأيت في خطبتي رأياً غافلاً لما
 تعتقد أو أجت المناقشة في قطة ما فلتفضل ابداء ما يسن لها بعد انتهاء كلامي
 أيها السيدات : ليس اجتماعنا اليوم لمجرد التعارف أو لعرض مختلف الأزياء
 ومستحسن الزينات وانما هو اجتماع جدي أقصد به تقرير رأيي لشئمة . ولأبحث فيه
 عن عيوبنا فنصلحها . فقد عمت الشكوى منا وكثرت كذلك شكوانا من الرجال .
 فأبي الفريقين محق في دعواه ؟ وهل نكتفي من الاصلاح بمجرد التذمر والشكوى ؟
 لا أظن مريضاً طاوله أبنه فشواه ، يقول المثل العربي « لادخان بلا نار » ويقول
 الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر « ان الآراء التي تظهر لنا خطأ لا يمكن أن
 تكون خطأ محضاً بل لا بد ان يكون فيها نصيب من الصحة والصواب » اذن
 فنحن والرجال متساوون في صحة الدعاوي وبطلانها ، كلنا متظلمون وكلنا على حق
 مما نقول ، بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة وما سببها إلا قلة الوفاق بيننا
 وبينهم . فمهم يزون هذه الحالة لنقص في تربيتنا وعوج في طريقة تعليمنا ونحن
 نمزوها لفطرتهم وكبريائهم ، وهذا الاختلاف في إلقاء المسؤولية زادنا اختلافاً في
 العيش وأوسع هوة الجفاء بين الرجال والنساء في مصر وهو أمر لا ننظر اليه بعين

(المجلد الثاني عشر)

(٤٥)

(المترج ٥٠)

الارتياح وانما نأسف له وتوجس منه ، لم يخلق الله الرجل والمرأة ليقابضا ويتناقرا وانما خلقهما الله ليسكن أحدهما الى الآخر فيصير الكون إذ في اثلاثها بقاؤه ، ولو اقرد الرجال في بقعة من الأرض ، انزلت النساء إلى أخرى لاقرض الخربان وحت عليهما كلمة الفتاة

تدركن معنى قولي هذا من صعوبة الرد على هذا السؤال : أي الجنس أصح للبقاء في الدنيا النساء أم الرجال ؟ فإذا أجابت احدا كن : الرجال لانهم يقومون بشاق الاعمال من بناء واختراع وزرع وغيره . لعارضتها بقولي : ولأجل من تمجشم تلك الصعاب ولا نساء يسلسل متهن التسلسل لمار هذا الكون ؟ وإذا قلنا النساء لانهن مدبرات البيوت وأصبات النش ؟ قلنت ومن أين يأتي النش ؟ ولا أب له ؟ هذا قياس على نظام الطبيعة الحالي ولا توسع بالافتراضات والتهوهات فقد كان الله قادرا على خلق نظام آخر للتوالد وهو قادر على خلق مثله ولكننا لأن لم نسمع إلا بمثال واحد لهذا الشذوذ هو مثال سيدنا عيسى عليه السلام فالمرأة والرجل للكون كالخبز والماء للجسم أو الشمس والماء للزرع ولو استفاضت احدانا بالبن عن الماء فان اللبن بالتعطيل يحتوي الماء فالكتب السايوة كلها مجمعة على ان أصل البشر من آدم وحواء والقاتلون برأي دارون لم ينكروا ضرورة لزوم الذكر والأنثى للتوالد من الحيوانات الأولى التي زعموا انها اوتقت بالتدرج إلى مصاف الانسان ، كذلك الحال في كل جسم حي فام فان النباتات كلها فيها الذكورة والأنوثة والزهرة على لطافتها وصغر حجمها تحتوي شكلين مختلفين من العروق أحدهما لقاح الآخر ، كذلك جعلها الله لينتج منها الحب الذي فيه بقاء النوع وسلط عليه الريح تسفيه إلى الأرض فإذا ما جاده الفيث أو لقي ربا نبت ونما وصار شجراً عما رقع منه ، فنظام التوالد هذا مطرد في كل الأجسام الحية من حيوانات ونبات لا شك فيه البتة وإذا راجعنا احصائيات العالم كله وجدنا ان عدد الذكور والأنثى فيه يكاد يكون واحدا أو بفرق قليل جدا وهذا دليل على ان الله خلق رجلا لكل امرأة ، هذا بقطع النظر عن الحروب وغيرها مما قد يخل بهذا التوازن الطبيعي الدقيق ، إذن فمحاولة الاعتزال بين الرجال والنساء مستحيلة وعليه فلا فائدة من

هذه الفارات القلية الشعراء بيتا ويثبهم والا وفقى ان نسي للوافق جهدا ونزيل
سوء التفاهم والتعزب لتحل بدلهما الثقة والانصاف وتبحث أولا في قسط الخلاف
يقولون انا بعلتنا نراهم في أسفالم ونترك أعمالنا التي خلقنا الله لها . فليت
شعري ألم يكونوا هم البادئين بزاحتنا ، كانت المرأة في العهد السابق تقول الخيط
وتفسيخ ثيابا لما ولأولادها فاخترعوا آلة الغزل والنسج فأبطلوا عملها من هذا
القبيل ، كانت المرأة المتقدمة تغزل القمح ونهرسه وتطحنه على الرحى بيديها ثم
تنخله وتمجنه قهوي منه خبزها فاستنبطوا ما يسمونه (الطابونة) واستخدموا فيها
الرجال فأراحونا من ذلك العمل الكثير ولكنهم عملوا لنا عملا ثانيا ، كانت كل
امرأة من السالكت تخط لنفسها ولأفراد بيتها ففتنوا لنا آلة للخيالة يشتغل في
استخراج حديدتها وصانعها الرجال ثم جعلوا منهم خياطين يخيطنون لرجالنا ولأولادنا
فأدوا لنا بذلك عملا ثالثا ، كنا نكس حمرنا أو تكتسها الخادومات بمكاس من
القش فاستنبطوا آلة الكنس التي يكفي ان يلاحظها خادم صغير فتغطف الرياش
والأثاث ، كانت الفقيرات والخادومات يجلبن الماء ليوتهن وألبوت سادتهن فاخترع
الرجال القصب (المواشير) والحفريات لجلب الماء بلا تعب ، قبل ترى عاقلة الماء
يجري عند جارتها في أعلى طبقات منزلها وأسفله وتذهب لثلا من النهر وقد يكون
بيدا ؟ أو هل يعقل ان مدينة ترى خبز (الطابونة) نظيفا طريا لا تكلف له سوى
ثمنه تتركه لتغزل ونسج وقد تكون ضيقة البنية لا تحمل ثعب تجهيز القمح
وعجنه أو قفيرة لا تستطيع تأجير خدم له أو وحيدة لا مساعدة لها عليه ، أفطن الرجال
لو كانوا محلا لما فعلوا سوى ما فعلناه وما من امرأة تقوم بهذه الاعمال كلها الا
القرويات اللاتي لم يدخل قراهن التمدين ، بلى انهن يستعصن عن الرحي بوابود
الطهين ويصنعن عن الملء من البحر (بطلوبات) يضمنها داخل دورهن
ولست أريد من قولي هذا أن أذم الاختراعات المفيدة التي اخترعها الرجال
لقد كثيرا من أعمالنا أو لأقول إنها زائدة عن حاجتنا وانما كان هذا الشرح
ضروريا لبيان ان الرجال هم البادئون بالمزاخرة فاذا ما زاحناهم اليوم في بعض
أسفالم فإن الجزاء الحق من جنس العمل

على ان مسألة المراحة هذه ترجع للحرية الشخصية فريد راق له ان يكون طيبا وعمره اوتأى ان يكون تاجرا فهل يصبح ان نذهب للعطيب ونقول له لا تحترف هذه الصناعة بل كن تاجرا وهل يمكننا ان نجبر التاجر على ان يصير طيبا ؟ كلا . فكل له حرية فعل ما يشاء ولا ضرر ولا ضرار ؟ أو هل يجوز ان يمنع مهندس قديم من يحترف هذه المهنة من غيره لانه كان يكتسب ربحا بذا كله فجاء له هؤلاء المهندسون الجدد يفتسون ارباحه ؟ ولو جاز ذلك قوة لما صح ان يجوز شرعا وحرية ولما قامت من أجله الشحاء بين الرئيس روزفلت وشركات الاختكار ، فاذا كان التجرعون والصناع أبطالوا جزءا كبيرا من أعمالنا فهل تقتل الوقت بالكل أو نبحت عن حمل يشغلنا ؟ لا غرو اننا نفعل الثاني ، ولما كانت أشغال منزلا قليلة لا تشغل أكثر من نصف النهار فقد نختار ان تشغل النصف الآخر بما تمل اليه نفوسنا من طالب العلم وهو ما يريد ان يمننا عنه الرجال بحجة اننا نشاركهم في أعمالهم لا أريد بقولي هذا ان أحث السيدات على ترك الاشتغال بتدبير المنازل وتربية الأولاد إلى الانصراف لتعلم المحاماة والقضاء وإدارة القاطرات ، كلا ولكن اذا وجد منا من تريد الاشتغال بأحدى هذه المهن فإن الحرية الشخصية قضى بان لا يعارضها المعارضون ، يقولون إن الحمل والولادة مما يجبرنا على ترك الشغل ويتذرعون بذلك الى جعلها حجة علينا ولكن من النساء من لم تنزوج قط ومنهن الضحايا اللاتي لا يتناهن حمل ولا ولادة ومنهن من ماتت زوجها أو طلقها ولم تجد عائلا يقوم أودها ومنهن من يحتاج زوجها لموتها ، وقد لا يلقى بهؤلاء ان يحترفن الحرف الدنيئة بل ربما يلجأن الى ان يكن مملات أو طبيبات حائرات لا يجوزهن الرجال من الشهادات ، فهل من العدل ان يمنع مثل هؤلاء عن القيام بما يريته صالحا لأنفسهن قائما بمشائهن ؟ على ان الحمل والولادة إذا كانا مطلعين لنا عن العمل الخارجي فهما مملتان لنا عن الأعمال البيتية أيضا ، وأي رجل قوي لم يمرض ولم يقطع عن عمله أحيانا ؟

يقول لنا الرجال ويجزمون انكن خلقن للبيت ونحن خلقنا لطلب المعاش . فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله ؟ من أين لهم معرفة ذلك والجزم

به ولم يصدر به كتاب ؟ نعم ان الاقتصاد السياسي ليأمر بتوزيع الاعمال ولكن اشتغال أفراد قلائل منا بالعلوم لا يخل ذلك التوزيع وما أعلن أصل تقسيم العمل بين الرجال والنساء الاختياريا بمعنى أن آدم لو كان اختار الطبخ والفلس وحواء السعي وراء القوت لكان ذلك نظاما متبعا الآن ولما أمكن ان يحاجنا الرجال بأننا خلقنا الاعمال البيت فقط وهما نحن أولاء لانزال نرى بعض الاقوام كالبرابرة مثلا يخطط رجالهم الثياب لانفسهم ولا افراد يشهم ويتجشم نساؤهم مشقة الزرع والقلع حتى انهم ليقسطن النخل لجنى ثمارها . وهما نساء الفلاحين والصعايدة يساعدن رجالهن في حرق الارض وزرعها وبعضهم يقمن بأكثر أشغال الفلاحين كالتمسيد والدراس وحمل المحصولات وذق السنابل والبراعم (الكيزان) وسوق المواشي ورفع المياه بما يسمونه بالقفولة وغير ذلك من الاعمال التي ربما شاهدناها منكن من ذهبت الى الضياع (العزب) ورأت انهن يقدرن عليه تمام القدرة كأشد الرجال ونرى مع ذلك أولادهن أشداء وأصحاء .

فسألة اختصاص كل فريق بشغل مسألة اصطلاحية لا اجابوا فيها . وماضفتنا الآن عن مزاوله الاعمال الشاقة الا نتيجة قلة الممارسة لتلك الاعمال والا فان المرأة الاولى كانت تضارع الرجل شدة وبأساً . أليست المرأة القروية كاختها المدنية ؟ فلماذا تفوق الاولى الثانية في الصحة والقوة ؟ هل ترتبن في ان امرأة من المتوفية تصرع أعظم وجل من رجال الغورية لو صارعه ؟ فاذا قال لنا الرجال اننا خلقنا ضعفات قلنا لا وانما أنتم أضغتمونا بالانهج الذي اخترتم ان تسير فيه . حدثني سيدة عالمة انها في سياحتها بأمبركا رأت بينها هنودها الحر تحرك آذانهم من تلقاء نفسها انجاء الصوت الذي يرقونه كاذان الخيل والحبر . ذلك نتيجة استعمالها وقد توارثوه أيضا وهم في حاجة اليه لتسمع زئير السباع وعواء الوحوش التي ربما تهاجمهم في قلاوتهم كذلك نجد حواس الوحشين أقوى من حواسنا بكثير فهم يشمون رائحة الوحوش من بعيد أما نحن فلا ولم يكذب من قال ان الوظيفة تكون العضو . هو لا العميان يعتمدون كثيرا على حاسة السمع بعد فقد حاسة البصر فتقوى فيهم بالتدريج تلك الحاسة الى ان تبلغ غاية قد تعد من الخوارق عندنا فهل بعد ان استبعدنا الرجال قرونا طولا حتى خيم على عقولنا الصدا وعلى أجسامنا الضعف يصبح

ان يهتمونا بأننا خلقنا اضعف منهم اجساما وعقولا ؟ انهم لو انصفوا ولم يحزبوا
 لما عبرونا بأننا قليلات التبوع وأنه لم يسمع باحدانا غيرت قاعدة في الحساب
 والهندسة مثلا . ولتفضل أحدهم باختيارنا عما استنبطه من تلك القواعد ؟ او ليست
 قواعد الحساب هي بعينها من زمن اليونان الاول الى الآن ونظريات الهندسة لم
 تزل تلك التي كان يعرفها قدماء المصريين والرومان . نحن نفتخر لرجال الاختراع
 والاكتشاف بهظيم اعمالهم ولكني لو كنت ركب المركب مع خريستوف كولومب
 لما تذكر عليّ انا ايضا ان اكتشف اميركا . وحقيقة ان النساء لم يخترعن اختراعات
 عظيمة ولكن كان منهن التافيات في العلوم والسياسة والفنون الجميلة اي فيما سمح
 لمن بممارسته وبعضهن فتن الرجال في الفروسية والشجاعة كخولة بنت الأزور الكندي
 فقد عجب منها عمر بن الخطاب واعجب باستقلالها في قروح الشام حينما أرادت تخليص
 اخيها من اسر الروم ، وجان دارك التي قادت جيش الفرنسيين بعد انكساره امام
 الانكليز فشجعتهم على استمرار القتال واصلت محاربي وطنها حرباً عواناً . ولن
 أضرب مثلاً بالنساء اللاتي تولين الملك فأحسن سياسته ككاترينا ملكة روسيا
 وايزابلا ملكة اسبانيا واليزابت ملكة انكلترا وكيو باثره وشجرة الدر امرأة الملك
 الصالح وأم طوران شاه التي حكمت مصر فقد يقول معارضونا انه دبره لمن الوزراء
 وهم رجال على انه لو صح هذا اقول في عهد الدستوريين كالملكة فكتوريا مثلا
 أو وللمينا ملكة هولانده الحالية فلا يصح تطبيقه على أيام الحكم المطلق .

انا الآن في ابتداء اقيام بتعليم البنات فقول بعضهم بالاعتصار على هذا وذلك
 مشط اللمة ورجوع الى الوراء في حين انه لا خوف من مزاحمتنا لهم الآن لاننا لا
 نزال في الدور الاول من التعليم ولا نزال عادتنا الشرقية تثبتنا عن الاستمرار على
 الدرس الكثير فلينبؤوا بوظائفهم وما داموا يرون مقاعد مدرسة الحقوق والهندسة سفانة
 والطب والجامعة خالية منا فليقروا عيوننا ولينصوا بالا فان ما يتخوفون منه بعيد . واذا
 فرض واشتأقت احدانا لكلالة معلوماتها في احدي تلك المدارس فانا واثقة انها لن
 تقلد وظيفة أو تشتمل خارجاً وانما فضلها لاطفاء شوق النفس للعلم أو الشهرة . ولما فضلها .
 فاذا كنا لم نشتمل بالحماماة ولا بتقلد الوظائف الحكومية أفلا تشغلنا عن تربية النساء

الاقراءة كتاب أو خط جواب ؟ أظن ذلك مستحيلا . على أن الأم مها تطلعت
و بأي حرقه اشتغلت فلن ينسبها ذلك اطفالها أو يقفدها عاطفة الشفقة والأومة بل
بالعكس انها كلما تودرت أدركت مسؤوليتها . ألم ترين الفلاجات والجاهلات يفلن
يبكي طفل الواحدة منهن ساعات وهي تسمعه ولا تتحرك اليه . فهل ياترى كان شغل
هؤلاء أيضا تحضير القضايا او الاشتغال بالتحرير والقراءة

ولا يضطري أكثر من أن يزعم الرجال أنهم يشقون علينا . اننا لسنا محلا لإشفاقهم
وانما نحن اهل لاحترامهم فليستبدلوا هذا بذلك والاشفاق لا يأتى الا من سليم
لليل او من جليل لحقير فاي الصنفين يتبروننا ؟ تالله اننا لنأف ان نكون احد هذين
قال قائلهم لا تعلموا البنات من الحساب الا القواعد الاربع لانهن لن يجتحن
لاكثر منها . فمن أين له اننا لن نودع قودنا في مصرف أو نبيع وثيقة (كميالة) أو
يتاطلنا وكيل في قياس قطعة أرض ؟ انه اذا ادعى بذلك تفضيل الرجال على النساء
في علم التكن والرجح بالنيب أيضا قلنا لم تصح هذه الفراسة فقد أظهر الواقع غير
ذلك . أما ماذهب اليه من تفضيل لغة عن لغة في التعلم فذلك مالاأنهم لاني اعتبر
اللغات كلها نافعة ولو وجدت من يعلمني البربرية أو الصينية تعلمتها . اذا كان لا داب
اللغة فان الفارسية والالمانية والانكليزية وغيرها ملائى بذلك . أما تعليم تدير المنزل
وتربية الاطفال فيجب ان نشكر للدكتور نظمي اهتمامه بهما وحسه عليهما

آيتها السيدات : العلم منير للعقل على أي حال سواء عمل به أو لم يعمل فـ اذا
يضرنا اننا لا نشتغل بمسح الكرة الارضية ولا بالسباحة ولكن نعلم مواقع البلاد وأهملها .
ان الطيب يتعلم الجبر في قلدهته ولكنه لا يشتغل به في صناعته . كلنا نسمع بأخبار
السياسة والرجال يشتغلون بها ولكنهم لا يتحدثون أنفسهم بأن يولوا مكان ذلك الملك
المقول أو السلطان المعزول فهل نقول لهم اذا كنتم لن تملكوا في تلك الامم فلا يجوز
لكم ان تعرفوا سياستها وأخبارها . نسمع في هذه الايام ان جيش الدستور في تركيا
زحف من سلاينك الى الانستانة وان حصن اسكودار تأخر في التسليم ، ألا يحسن بنا
ان نعرف من (الجغرافيا) ما يهينوا فهم تلك الاخبار بعد مالاكنها أفواه الكبار
والصغار ؟ لو لم يكن للعلم لغة في ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واقفون انهم لن

يكونوا مهندسين ولا بحارة ولا ساتقي قاطرات . وهل تفضل السيدة التي تعرف ان تطبخ البطاطس وتنسق الازهار فقط أم التي تعرفها ايضاً ولكنها تلم متى يؤكل البطاطس وهل يوافق زوجها المريفى بالسكر او جسمها السمين الذي تريد تغييره وهل وجود امصص (قصاري) الزرع في حبيرتها ليلا صالح لرقيتها الضعيفتين أم مضربهما؟ فهذه تعرف تدبير المنزل وتلك تعلمه ولكن زيادة واحدة يعلم النبات يحفظ لها صحتها وصحة عيالها من التلف فصلا عما تشعر به من السرور الناشئ عن العلم ونحن نعلم ان قصص تربيتنا الاولى وتربية اخواننا الشبان لاشك نتيجة جهل امهاتنا فلم نعرف الداء ولا ندأوبه وقد قال الحديث الشريف « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ان المدارس مما اجتهدت في تثقيف عقول النشء وتهذيبها فان المنزل له تأثير خاص على الاطفال واذا شعر تلميذ أن امه عاتلة اولها فنعيب من علم فانه يسعى جده ليربها انه اهل طبها وتقديرها اياه فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم لتكون الصلة شديدة بينه وبينها . فتملنا الحالي ناقص يجب ان يزداد عليه لا ان ينقص منه

أما ما اشكل على الرجال من علة فسادنا فهو ما ينسبونه خطأ للتعليم وحتم ان ينسبوه للتربية . يرى كثيرون أن العلم يهذب ولكني لا أعتقد ذلك بل اصرح ان العلم والتربية منفصلان تمام الانفصال الا في علوم الدين فقط . ودليلي على ذلك ان كثيرين من المبرزين والمبرزات في العلوم لا خلق لهم . وان الكتاب الواحد قد يدرسه معلمان مختلفان في فرقتين كل على حدة فتعلم الفرقان الكتاب ولكن نجد اثر الهممة وخلو النفس في واحدة ولا نراه في اثنائية فهذا ناشئ من تأثير روح العلم في تلاميذه لا من العلم والا فلو كان من العلم لتساوت الفرقان لان الكتاب واحد والعلم لا يختلف .

يظن بعض الناس ان احسن التربية تهيل ايدي الزائرات وتكتيف اليدين خضوعاً ولكن ما ابعد هذا عن الحقيقة . التربية الحسنة هي التي تؤهل الشخص لان يدرك نفسه من سواء وما احزم من قال « ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه » . التربية الحسنة هي التي تمد الانسان من مغرره احترام الغير اذا استحق الاحترام حتي ولو كان عبواً . فالتعلم لم يفسد اخلاق الفتيات وانما هي التربية الناقصة . تلك التربية

في الحقيقة يجب ان تكون من اعمال البيت لا المدرسة ولا كانت يورتالم تبلغ الدرجة التي تؤهلها لاحسان تربية الاطفال فقد وجب علينا ان نضاعف مجهوداتنا لاصلاح شأن انفسنا أولاً ثم لاصلاح النشء ، ولا يتم ذلك في لحظة كما قد يتوهم ، ومن الظالم ان تلقي مسئولية الفساد كلها على المدارس فان المدارس لها تأثير في التربية ولكن ليس عليها كل الذنب ، بل العيب في الأسر

من عيوبنا نحن النساء اننا لا نكثر كثيراً بالنصح فإذا قامت سيدة تريد تقرير مبدأ أو إظهار حقيقة قال أكثرنا ما لها ولهذا أو ان كانت تغار فتعمل مثلاً وغير ذلك من الألفاظ

ومن عيوبنا السخرية والتهمك فكثير منا تنقد من تصادف وتعييب عليه لالبيب حقيقي يستدعي الانتقاد ولكن لولع بالانتقاد في ذاته فرما انتقدت في ساعة واحدة اثبتن على خصمتين متضادتين ولا يمكن ان يكون الشيء وقبحه متشداً فإذا رأيت امرأة سميت قالت انها (كابر ميل) وكيف نستطيع الحركة ، وان بصرت بأخرى رفيعة قالت انها كود الحديد تكسر يدها على ساقها ، وإذا وجدت سيدة قليلة الكلام قالت انها متكبرة وان سمعت أخرى تتكلم كثيراً عابت عليها وقالت انها تصنع الخلفة

ومن عيوبنا الصلف والاعتزاز ، كنت وأنا طفلة أحفظ قصيدة سمعتها ولكني كنت أخطئ فيها وألحن كثيراً غير عالة بالطبع ما كنت واقفة فيه من الخطأ وكانت زميلاتي الصغيرات لا يعرفن القصائد ولم يسمعن بها فكنت إذا قلها أمامهن عددتها غريبة عليهن ووستني بالذكاء فما لبثت ان اغتررت بقصيدتي وصرت أفتخر بها حتى إذا أقيمت ذات يوم أمام والدي أو أائي خطي وبين لي انها كانت مجموعة تنف من هنا ومن هناك لا ارتباط لأجزائها ولا قافية لها وأعطاني كتاباً فيه شعر فأدهشتني أكثر لأنني كنت أحسب أن لا شعر في الدنيا إلا تلك التنف التي كنت استظهرتها فإذا كان تركي ولم يمين لي خطأي فرما كنت استرسلت في الغرور ، والانسان مما بلغ من العلم فانه لا يزال يقبل الزيادة فيه ومما كبر فيها يعرف فانه

(الماراج ٥) (٤٦) (المجلد الثاني عشر)

لا يزال طفلا ازاء ما يبجل كالبحر نستعظم منه ما وأيت وما لم تره أعظم ، وكيف
أصلح خطئي إذا كنت لا أشعر به ولا أقبل نصيحة من يراه
يشكو الرجال من تبرجنا في الطرقات وحق لهم لاننا خرجنا فيه عن المألوف
والجائز ، نحن نزعم اننا نحتجب ولكننا ما بلقنا حجابا ولا بلقنا سفورا ، لا أريد ان
نرجع لحجاب جداتنا ذلك الذي يصح أن يسمى وأدا لا حجابا فقد كانت السيدة
تتقي عمرها بين حوايط منزلها لا تسير في الطريق إلا وهي محمولة على الاعناق
ولا أريد سفور الأوربيات واختلاطن بالرجال فانه مضر بنا ، ان نصف ازادنا
السفلي اليوم حرط (جونيه) لا يتفق مع كلمة حجاب ولا مع معناها ولا مع الحكمة
منه إما نصفه العلوي فهو كالسمر كلما تقدم قصر ، كان الحجاب الأول قطعة واحدة
تلف بها المرأة فلا يظهر من هيئتها شيء ثم طرأ عليه تكش بسيط ولكنه كان
واسعا يكفي لستر الجسم ثم تقننا فيه فصرنا نضييق وسطه ونقصر رأسه وأخيرا فصل
له كان وصار يلتصق بالظهور ولا يلبس الا مع المشد ويربط من أطرافه الى الوداء
حتى تظهر منه الأذن ونصف الرأس أو أكثره فبين الوردود والرياحين والاشربة
المزين بها الرأس ، أما البرقع فأشف من قلب الطفل ، ما الغرض من الإزار ؟
الغرض منه ستر الجسم والملابس والزينة اجتناب الزينة التي نهى الله عنها فهل
يتفق هذا مع المنزح الحالي وقد أصبح (فستانا) يظهر الزهدين والخصر والاعجاز
فضلا عن ان بعض السيدات اجتدان يلبسنه أروق و بياوأحر ، الأولى أن لانسبه
منزرا بل (فستانا بطرطور) فانه في الحقيقة كذلك ، وعندى أت الخروج بدونه
أحشم لانه على الأقل لا يسترعي النظر ، هل ان مسألة الحجاب قد اختلف فيها
الأئمة فاذا كان قنن بعضنا هذا يراد به التحيل على الخروج بلا ازار فليس علينا
فيه من حرج اذا كشفن وجوههن بشرط ستر الشعر والجسم وأرى ان أوفق لباس
للخارج هو تغطية الرأس بخمار وسدل رداء أشبه (بالباطو) المسمى (Cache pousive)
عند الفرنجة على الجسم الى الكعب ويكون طويل الكعبين الى المصمدين
وهذا اللباس مستعمل في الأستانة كما روت لي إحدى السيدات للخروج الى
الحلات القرية ، ولكن من يضمن لنا اننا لا نقصره وتضيقه حتى نمسكه (فستانا)

آخر؟ وحينئذ تضيق بنا حبل الإصلاح ، لو اتانا مميزات من صفونا على السفور ولو ان رجالنا مستمدون له لا قوروت بالسفور ان تهواه ولكن مجموع الأمة غير مستعدة له لان وان كان بعض نساؤنا العائلات لا يخشى من اختلاطهن بالرجال الا اننا يجب ان نحتفظ على غير العائلات أيضا لاننا سرعان ما نقاد وقل ان نبحت عن حقيقتنا فيه ، ألا تريد ان تيجان الماس أصلها الملكات والأميرات ، فأصبحت الآن يلبسها المغنيات والراقصات ، ولعل الشعراء يعدلون عن كتابتهم الملكات ياربة التاج فقد أصبحت تلك الكناية شاملة لسواهن ،

على ان قتنا هذا في المنزل الحالي هو في ذاته تقليد لأوروپيات ولكننا قتناهن في التبرج فان المرأة منهن تلبس أبسط ما عندها عند ما تكون في الطريق وتلبس ما شئت في البيت أو في السهرات ولكننا بخلاف ذلك نظل امام أزواجنا بجلباب بسيط جدا ثم اذا خرجت احدانا عمدت لأحسن ثيابها فلبسته وأهملت نفسها بالمصوغات وأفرغت عليها زجاجات الطور الطيب ، وبالثياب تتصر على ذلك بل تحيل من وجهها حائطا نقشه بالدهان، وتصبغه بمختلف الألوان، وتكسر في مشيتها كأنها الخيزران ، فتفنن المارة أو على الأقل يتظاهرون لما بانها فتدهم ، اني واقفة ان أغلب هؤلاء التبرجات يظن ما يفعلن وهن خاليات الذهن من سوء القصد ولكن من أين لرائي ان يدين حسن قنهن ومظهرهن لا يدل عليه ؟

حجابنا يجب أن لا يحرمانا من استنشاق الهواء النقي ولا من شراء ما يلزمنا إذا لم يقدر آخر على شرائه لنا ويجب أن لا يمنعنا عن تفهم العلم ولا ان يكون مساعدا على فساد صحتنا أو سببا في قتلها ، فإذا لم أجد في يفتي حذيقة واسعة أو رجة طلاقة الهواء وكنت فرغت من العمل وأحسست من نفسي بمل أو كسل فلم لا آخذ نصيبي من هواء الضواحي الشمس الذي خلقه الله للكل ولم يجبه في متاديق مكتوب عليها « خصوصي للرجال » ، وانما يجب ان نختار الاعتدال ، وان لا نخرج للزفة وحدنا اجتنابا للقبل والقال ، وان لا نعيشي الهوينا وان لا نلفف يمتة ويسرة ، واذا لم يكن أبي أو زوجي يحسن اختيار ما أشبهه من الملابس غير الموجود لها عينة يمكن جلبها للنزل فلم لا بأخذني ممة لا اختبار ما يلزمي أو يدعني أشتري ما أريد ؟

وإذا لم أجد من يحسن تعليمي إلا رجلاً فهل أختار الجهل أم السفور أمام ذلك الرجل مع اخوائي من التملكات ، على أنه ليس هناك ما يجبرني على السفور بل أنه يمكنني التمتع والاستفادة منه وهل نحن في أسوأ أحوالنا من السيدة نفيسة والسيدة سكينة رضي الله عنهما وقد كانتا يجتمعان بالعلماء والشعراء ؟ وإذا اضطررتي المرض لاستشارة طبيب لا يمكن إحدى النساء القيام بعمله فهل أترك نفسي والمرض وقد يكون خفيفاً فيفضل بالإهمال أم أستشفيه فيشفيني ؟

إن حبس المصرية السائلة قهر يطرأ وحرية الغربيين الآن أفرط ، ولا أجد أصح لأن نقبسي منه إلا حالة المرأة التركية الحاضرة قائما وسط بين الطرفين ولم تخرج عما يجبره الإسلام وهي مع ذلك مثل الجد والاحتشام ،

بلغني أن بعض كبارنا (أريد كبار الوفاة) يملكون بناتهم الرقص الافرنجبي والتثيل وهما أمران أحلاهما سر وأعداهما نظراً محقوتاً واستماتة في تقليد الغربيين ، لأن العادة يجب أن لا تفسر إلا إذا كانت مضرة والاماط الغربية لا يقبلها قوم يتعم إلا إذا رأوا ضرورتها وصلاحتها فأني صلاح لنا من محاصرة الرجال والنساء ورقصهم مما ؟ أو ظهور بناتنا أمام الرايين (المتفرجين) بصدور طارية يمثان أذوا الحب والمخلعة على (المرسخ) ؟ أن ذلك مناف للدين الإسلامي هادم للتفضيلة مدخل لفساد العادات بينما قلنا أن نضار به ما استطعنا ونظهر احتقارنا لمن قتل من المسلمات القليلات الذي إذا شجعتناهن بسكوتنا قاتلن لا يلين أن يدين التبرمة ، وعلى ذكر الحجاب والعادات أذكر كن بمسألة نحن منها السعادة ونكاد تندثر

في بيوتنا تلك هي مسألة الخطبة والزواج . يرى أكثر علماء الأمة أن لا بد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج وهو رأي شديد لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه يفعلون غيره وهو متبع عند جميع الأمم بأسرها والأمة المصرية أيضاً إلا في طبقة واحدة هي طبقة أهل المدن إذا اتلف العروسان عندنا فهو من محاسن الاتفاق (الصدق) . وكيف يمكن الجمع بين شخصين لم ير أحدهما الآخر ولم يختبره على أن يقضيا العمر معاً ؟ أن احدانا إذا اتفق ورأت عرضاً في إحدى زياراتها سيدة استقلت ويحيا قائما لا تصبر على مخالفتها فضلاً عن النظر إليها ونسرع

بالخلاص منها فكيف تصبر على مفض الحياء اذا استقلت ايضا بطها وهي لم يمكنها
 التصبر على قتل الفرية لحظة واحدة في غير بيتها ؟ يشتر قوم باتباع خطبة الفريين
 من وجوب معاشره الخطيبين زمانا ليسكن كلاهما من استطلاع طلع صاحبه ولكني اصرح
 باستهجان هذا العادة واعتقد انها مبنية على وهم لاعلى اساس متين . اذ من نتائج معاشره
 المتشابهين الالفه ومن الالفه الحب . واذا أحب الانسان شخصا لم ير عيوبه ولم
 يمكنه فحص أخلاقه فيزوج العروسان حينذاك على حب باطل وعلى غير هدى فلا
 يلبثان ان يتنازعا وقتلا ويحكما . اما الطريقة التي أود عرضها على مسامعكم هي ان
 يترادى العروسان ويتكلمتا بعد خطبة النساء المثبتة وقيل العقد ويجب ان لا تظهر
 العروس الامع أحد محارمها وتكون في أبسط لباسها . قد يفترض على هذا الاقتراح
 بأن اجتماعا واحدا أو اثنين أو أكثر قليلا لا تكفي بأن يقف الواحد على أخلاق
 الآخر ولكنها على أي حال كافية لأن يشهر الواحد باجتناب دم الآخر له أولا
 على ان من صدقت فراسته يمكنه تبيين الاخلاق من الميتين ومن الحركات والسكنات
 فيبين ان كان صاحبه متصفاً أو طائشا أو سكيئا وغير ذلك . أما معرفة ماضي العروسين
 وبقية أحوالهما فيجب ان يسأل عنها من المعارف والجيران وتخدم وغيرهم . وخوفاً
 من ان يتخذ الشبان فاسدو الاخلاق تلك الطريقة ذريعة لرؤية بنات الناس من
 غير قصد الزواج فيجب على الولي ان يحرى سلوك الخطاب ويدين الجلمن كلامه
 قبل السماح له بروية ابنته أو موكلته . وربما تستصعب قول هذه الفكرة والعمل بها
 ولكن كل شيء يخال لنا صعباً عند الابتداء فيه واذا مارسناه سهل وذل على اتنا اذا
 كنا نقصد بفساد طريقتنا القديمة ونألم منها ونهجم عن الاقدام على ما نراه مفيداً لنا
 مقلدا لحوادث الشتاء في زواجنا فسا أشبه يومنا بالامس وما أشد انما وما ابعدنا
 عن قول الشاعر

تأخرت أستبقي الحياء فلم أجد حياة لنفسي مثل ان أقدمها
 وما الفائدة من تعلمنا اذا كنا لا نستطيع تغيير عادة مضرة لاهي من الدين ولا
 من الحكمة وقد رأينا رأى المين سمادتنا المائيلة مزعجة تكاد تهبطها منصرص تلك
 المادة الهالكة وما مثلاً في ذلك الا كمثل رجل غرق واشرف على التلف فلما بصر

بقطعة خشب يمكنه انجاة الملقى بها أي لئلا يكون بها مسار فيجرح أصبعه فابتلت
اللبة وقد كان يمكنه النجاة لو لم قدر الخوف من المسار وما أدراه ان ظنه وتخوفه في
صلها وماذا فاني ان برانا خاطب بحجة اتنا ربما لا نفعية أو ليست مضرة وغيتنا
عنه أو رغبته هنا أخف بكثير من تفادنا على الزواج قبل الروية والانسان لا يفضل
في شراء دابة فكيف يفضل في اختيار قرين .

ان امتناعنا عن ان برانا الخاطبون صرف كثيراً منهم الى الاوريات فيتحمل
احدهم ان يتزوج من خادمة أو عاملة يعتقد انه سيبدأ معها على ان يهتم بنف الباشا
أو البك الحامية في (حلة البخت) ولعمري صديقائي الغريات على هذا القول فاني
لا أريد به اهانة لمن واتهم من يعرف قبلنا أن امرأة ذات حسب مرغوة في شأن
قومها لا تتركهم الى قبي من غير دينها وجنسها فضلاً عن ان كل بلاد لها مدينتها
انطاسة بها وقرير أحوال مدينتها لا يقتضي اننا نقيم مدينة الآخرين . فسي بالله
لوجاء البارون روتشيد أو المستر كارينجي الى ابنة كاتب عندنا مرتبة أو بمقدمات
شهر (الخطبة) لمارد بغير الخلية فاذا لم نصل على تدارك هذا التلخل في مجتمعنا لم نلت ان
يحتلنا نساء الغرب ايضاً فقم في احتلالين احتلال الرجال واحتلال النساء وثانيهما
شمرن أولها لان الاول اذا كان حصل على غير رضا فإن الثاني جلبناه بأيدينا
والنساء شديداً التلحق بالاقارب فلا يجد ان تترك كل زوجة منهن اخاهما واباهما
وابن خالتها وصاحبها حرماً فيسدون ما بقي لرجالنا من موارد الرزق فتخرج واباهم
من بلدنا يعني حين وان يشأ يذهبكم ويأت بخلق كثير) *

بعض رجالنا يفضلون هنا الاوريات لتديرهن حقيقة ان الفقيرة منهن ترتدي
لباس نظيف مرتب وتزين يفتها على قلة ائانه نظيفاً مرتباً ، وطعامها لا يبدأ متوعاً ،
وأولادها مودعين اصحاء ، ومع ذلك فقائتها قليلة . نرى كل يوم نساء ضابط الانكليز
ماشيات في الطرق لباسهن التيل الايض البسيط وأولادهن لا بين القمصات الجميلة
والاحذية البيضاء ومنظرهم يأخذ بالب لا يقاربهم في شكلهم عندنا الا أولاد
(الذوات) الذين يتقدمهم المريات (والدادات) أما سائر أطفالنا فهم في حالة برئ
(هـ) لعلها أرادت ان تتمثل بالآية « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

لها من الاهیال . ولكن هل من تزوج منهم مصریا تدبر له كما كانت تفعل لو كان زوجها أوریا ؟ كلا . والحس یؤید ما أقول . فان اغلب رجالنا الذین تزوجوا منهم یثنون ویصرخون من تبذیرهم واتباعن أهواءهن . فالمرأة الغریة تعتقد انھا من جنس أرقی من المصری فاذا تزوجت ظلت رئیسة له یعمل بإشارتها وحسبت انه ملزم بالصرف علی ما تشتهي وجلبه لها حتی ولو كان فی الصین ففی مدبرة مع الغریب مسرفة مع المصری وأذن ضاعت افضلیتها من هذا القبیل . و بعضهم یدعی انه یفضلها لانه یمکنها الخروج معه فی نزهه وروحاته وغدواته ولا أظن الرجل یحب أن ترابعه زوجته وتلزمه لزوم الظل فإنه داعية للمال علی أنه لو كان هذا الرأي صحیبا لما تأخرنا أكثرنا عن تنفیذه وأنا أول من قفله . ولا احد للمرأة الغریة التي قبل الزواج من مصری ما یفوقنا علینا إلا أمراً واحداً لا أراها تحسنه لانا لم نمارسه ولا أرید ان نمارسه ذلك انھا ماهرة فی اجتذاب القلوب وفی نصب الشباك للرجال فاذا صادت بمرکاتها وغنة صوته مصریاً فیلطم انھا دربت علی ذلك فی عشرين غریبا قبله . فهل یقبل وفیه غيرة الشرقیین وانتمهم أن تطعمه طیخا حقیقة لذیذا ولكنها انفضجت علی نار غیره وكرح فیه قلبه خلق کثیر ؟

و یفرض ان الزوجة الشرقیة الراقية قصت قلیلا عن اختها الغریة فلماذا لا یرشدها بعلمها الی مواضع خطئها بالرفق ویریها ما یحب وما لا یحب وان أحب شیء عند الزوجین المتحدین أن ینذل أحدهما وسعه لیرضی الآخر . فانصراف شباننا القلی المعلوم الحدیثة بأوروبا یجب أن یكون لخیر البلاد لاشرها فکما یعلمون لنفع انفسهم یجب ان یقرنوا ذلك النفع بنفع مواطنهم أیضاً والا فلو اتبع کل واحد یری عییا فی صاحبه طريقة هؤلاء الشبان لما كان لاحد خل « ومن ذا الذی رضی سجاياهم كلها » فواجبهم الوطنی یقضي علیهم بأن یدخلوا کل ما یرونه صالحا فی بلادهم مع الاستفتاء عن الأجنبی علی قدر الامکان فصانع الحریر الوطنی اذا رأى مامل أو با وسرعتها وجب أن یشتری الآلات اللازمة لسرعة انجاز العمل لا أن یدخل تلك الصناعة بعینها ویقضي علی صناعتها الجلیة فیکون قد اقتبس شکلا وأبطل آخر فممن اذا اتبعنا کل شیء غریب قضینا علی مدینتنا والامة التي لا مدینة لها ضعیفة هالكة لا محالة . فشبانا یدعون انهم

يأتون ببناء اور بالانهم وأوهن أرقى من نساء مصر اذن يجب ان يحضروا لنا تلاميذ اور بالانهم أرقى من تلاميذ مصر وعمال اور بالانهم أرقى من عمال مصر لان النظرية واحدة فاذا تكون الحال لو تم ذلك ؟ وهل اذا سافرت زوجة مصرية لأوربا ورأت الاطفال هناك أجمل بشرة واحلى منظرا من مثلهم في مصر أصبح ان تترك اولادها وتأتي بغيرهم من الغربيين أم تجتهد لتجميلهم وتقريرهم من الشكل الذي أعجبت به ؟ واذا كانت أحط فتاة غربية تتزوج مصرية يتبرأ منها أهلها أفترضى نحن عنها وقد شملت محل فتاة متاوصار زوجا مثالا لغيره من الشبان ؟ أنا أول من يعجب بنشاط المرأة الغربية وإقدامها وأول من يحترم من تستحق الاحترام منها ولكن يجب أن لا ينسبنا احترام الغير منعمة الوطن والمصلحة العامة فوق الاعجاب . وانا في كثير من أمورنا نسير وفق ما يراه الرجال فليرونا ما يحبون وكلنا مستمدات للسير بمقتضاه بشرط أن لا يكون ظمنا لنا ولا اجحافا بمحقوقنا .

يؤلمني ان درجة احترام الرجال لنا ليست بالدرجة التي نحب واذا بحثنا وجدنا اننا نحن اللاتي وضنا أنفسنا في هذا الموضع غير الحسن لان الانسان ينزله الناس في المنزلة التي يختارها هو لنفسه ويسير عليها كما قال زهير «ومن لم يكرم نفسه لا يكرم» لا يكرم المرأة نفسه بأن يقول معاذني وعنصرني أو البك والباشا على نفسه بعض الجلاء الذين تصلمهم رتب جديدة وانما لا يستبين بذاته فيمينها ويشعر عن نفسه بالضعف فيمينه الغير أيضا فهل نحن نضع أنفسنا في الموضع اللائق بها ؟ كلا . يحكي ان أحد الخلفاء بينما كان يروض نفسه في الطريق اذ سمع صوتا في خربة فأنجحه نحوه فوجد فيها زبالا يقول

وأكرم نفسي اتني ان أهنتها وحك لم تكرم على أحد يدي
فقال له وأي اكرام لنفسك وأنت تحمل التراب والافذار؟ قال نعم افضل ذلك
لا كفي نفسي مهانة السؤال من مثلك . ان مقتداتنا وأطفالنا كانت سببا عظيما في قلة احترام الرجل ايانا . أيتبر رجل عاقل امرأة تعتقد في السحر والشعوذة وكرامة الاموات وتحمل من الدلالات والبلايات بل ومن الشياطين عليها سلطانا ؟ أيتبر المرأة ولا حديث لها الا (فساتين) جارتها ومصوغات صاحبها وجواز فلاة وأخبار

علاوة ؟ هذا فضلا عما اطلع في ذهنه من أن المرأة أضعف منه وأقل ذكاء . ان
 "هناوتنا في هذه النقطة اعتراف بأن حالتنا مرضية قبل هي كذلك ؟ واذا لم تكن فإذا
 برقنا في أعين الرجال ؟ برقنا حسن الترية والتعلم الصحيح . فإذا حسنت تربيتنا
 وتعلمنا علما حقا لاقتشور بعض اللغات الأجنبية و (دوري ص فاسول) والعلم يشمل
 أيضا تدبير المنزل والصحة وتربية الاطفال . واذا تركنا الخلاعة في الطريق جانبنا واذا برهنا
 لازواجنا بحسن سلوكنا وقيامنا بواجباتنا حق القيام انا آدميون نعلم وان لنا قوسا
 لا نقل عن قوسهم فلا نسمح لهم بحال من الاحوال بايلاهم شعورنا أو بالاستهانة بنا .
 اذا فضلا كل ذلك فمن أين يجد الرجل العادل طريقا للاحتراز ؟ أما غير العادل فكان
 حريا بنا ان لا قبل الزواج منه .

برقنا أن نطرح الكسل أوضاً فإن عمل أكثرنا في المنزل هو القعود على (الكلية)
 كل البهار أو الخروج للزيارات كأن رد فعل القعود أدار لولب أرجلنا ونفخ في شرع
 حمرنا فلم تقو على ضبط جهاتنا . والتي تعرف اقراءة منا فقيم تقضي أوقات فراغها ؟
 في قراءة الروايات فقط فهلا قرأت قانون الصحة أو بعض الكتب المفيدة فتنتفع وتنعف ؟
 ان انهماكنا في الكسل أو الترف أدى الى ضعف اجسامنا وشحو بنا فيجب ان نبعث
 لنا عن عمل نزاوله في منازلنا . والمتأمل يرى لأول نظرة ان الطبقات العاملة هي الاقوى
 صحة والاكثر نشاطاً والانجب نسلا . ألا تزين الى اولاد الطبقة الوسطى والسفلى
 فانهم كلهم تقريباً أصحاء الجسم أقوى البنية أما اولاد (الذوات) فأكثرهم مرضى
 أو منهكاً يتثيرون لأقل العوارض مع ما يندل له آباءهم من الاعتناء بهم بمكس اولاد
 الطبقة الدنيا مثلاً فانهم في اهمال شديد من والدهم . العمل يخرج الفضلات الزائدة
 في الدم ويقوى الفضل ويمث على النشاط والطبقة أو الأمة العاملة يزداد نسلها فتعز
 بأبنائها وأن الأمة الألمانية لشاهد حسي على ما أقول فان التعداد يظهر ان النسل هناك
 يزداد بسرعة هائلة حتى ضاق ركب ألمانيا بأهلها فأخذوا ييخثون عن أراض يستمرونها
 ليصرفوا فيها الزائد من السكان والذين زاروا أوروبا أخبروا ان أهل تلك البلد يجدون
 نشطون رجالا ونساء بمكس المواقف نسبة فان زرفها الزائد كان سبباً في قلة نسلها فضلا عن

انصرف كثير من تلك الامة عن الزواج وقد يبح صوت الاقتصاديين والاجتماعيين في النداء على مواطنيهم بالاعتدال واتباع الطريق القويم
لاحظت وأنا في البداية ان بين نساء البدو ورجالهم كثيرا من الصباثر من بلنوا
الثانين والمائة وقد رأى معظمهم أربعة أعقاب من ذريته مع اني لم أرى في القاهرة
ولا في المدن الاخرى ما يشبه ذلك. ولا شك ان هذا نتيجة عيشتهم الطبيعية واعتدالهم
فانهم كلهم مبكرون في كل شيء : في الاستيقاظ وفي النوم وفي تناول الاغذية وكلهم
عاملون ولم أرى منهم امرأة واحدة حتى من نساء أغنيائهم تقضي النهار بالكسل كما
تقضي نحن فاذا كان الفلاسفة والاطباء يبحثون عن اكبر الحياة فانا قد اكتشفته : هو
العمل والاعتدال في المعيشة أو العيش الطبيعي. وامل في هذا القدر عن المرأة كفاية اليوم
بجي علينا ان نبين الطريق العملي الذي يجب أن نسير عليه ولو كان لي حق
اقتراح لاصدوت اللأمة الآتية :

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة
(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاولى
اجباريا في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلي علما وعملًا وقانون الصحفوتية الاطفال
والاسافات الوقية في الطب
(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكله وفن التعليم حتى
يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد
(المادة السادسة) تمويده البنات من صفرهن الصدق واجلد في العمل والصبر
وهو ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج اثنان قبل ان
يجمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاراك في الاستانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة المحافظة على مصلحة الوطن والاستثناء عن الغريب من الأشياء والناس بقدر الامكان)
(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشرونا هذا
(المنار) نرجي رأينا في هذه الخطبة الى الجزء السادس ولكن لانرجي التاء
على الخطبة التي كانت في هذا العصر أول مذكرة لنا بخطبات سلفنا من الصالحات
فن دونهن

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافعي ﴾

﴿

بجاء أحاديث الآحاد وهل هي من اصول الدين

قال الفاضل حفظه الله : الكلمة الراجعة يان أسباب ان أحاديث الآحاد لا تقيد
اليقين . ونحن قول هذه دعوى قد سبقه بها كثير ممن لم يمد غوره في طالب هذه
المسئلة وكان الأجدر بهؤلاء الباحثين ان يبحثوا عن جرى الانسان النظري الطبيعي
امو مفطور على الصدق والتصديق ام على الكذب والتكذيب ؟

ان من اذهن النظر وحققه وجرب الواقع ومحضه يرى ان الانسان مجبول على
قول الصدق ومفطور على تصديق كل ما سمع . هذه هي حالته الطبيعية لما نرى ان
الصغار الذين هم في حالة السذاجة وعلى الجري الفطري الطبيعي الذين لم تلمس
الموادث والطوارئ والاحوال المكتسبة لا يكادون يكذبون خبرا ولا يكذبون في
خبر . نعم قد نرى من بعضهم في بعض الاحيان ما يشوش هذا انطلق الطاهر
كالذهول والسيان ، لكننا اذا اعتينا هذه النكتة السوداء المكثرة لصفاء هذا
الجهر الطاهر المستقيم نرى ان ذلك مرض من الأمراض العارضة المختلفة باختلاف
أسبابها وباختلاف التأثير والقابل ، فالسيان باقسامه قد يظن بعض النامى انه

لازم ملجئ للبشر وليس الأمر كذلك — وإنما هو مرض أو شبه بالمرض —
 ويصح ان يقال ان كل ما انتقش في الحافظة لا يزول ويمسى بالكلية وإنما
 إذا صرفت همه الانسان وقصده الشواغل فهو يذهل عن بعض ما انتقش في
 حفظه فإذا استجمل وترك التفتيش عما في هذه الخزانة المحسنة والمميز
 ما يأخذ منها فربما وكبت له هذه الحركة الفكرية الخفيفة الغير المنتظمة صورة
 بدل صورة أو صورة مركبة مما في هذه الخزانة لما قدما — أولانه ضعف أخذه لما
 حين حفظها لضعف قصده ونحوه وحينئذ إذا أراد ان يتخبر عن ذلك وقع في
 خيرة الخلل . ودواء ذلك صدق القصد ابتداء واستمرارا وانتهاء أي وحيثما
 يريد ان يحدث بذلك . وذلك يكون بالمراجعة والمذاكرة مع من يشاركه في ذلك
 وعلى الأقل بالرجوع الى نحو كتاب دفعا للطواريء التي تتناوبه وتشوش استمرار
 شعوره بالحفظ . يوضح ذلك ان الانسان كثيراً ما يتذكر ما نسيه والوجدان
 شاهد ذلك . وكما ان الذهول يكون فيما حفظه الانسان كذلك يكون فيما يتقاه
 ويشاهده في الخارج والواقع . وانتقش الأشياء في الحفظ بمختلف قوة وضغط باختلاف
 الاستعداد والتوجه وقوة الاكتساب حين الأخذ . فظهر بذلك ان النسيان ليس
 بوصف ذاتي لكل انسان لا يفك عنه إذ لو كان كذلك لم نحفظ شيئاً لامتناع
 قيام الشيء الذاتي وتقبضه بمحل واحدة لقوة التي نحفظ بها ليست هي قوة النسيان
 ولا سببه وإنما النسيان ذهولنا عن تمييز ما حفظناه لسبب ما — مما قدماه — وإذا
 كان الصدق والتصديق هو أصل الفطرة فما يعارضه من نسيان وكذب قائما يكون
 لأسباب طواريء وعوارض لمن انصرف ومال عن مقتضى الفطرة الطبيعية وقد عرفت
 دواء النسيان ودواء الكذب الذي لا يضايقه دواء هو استشعار خوف الله المطلق
 على كل خفية . وعليه فلا يبعد ان تقول يمكن ان يكون مفعي على البشر زمان
 لا يعرفون فيه غير الصدق والتصديق لعدم أسبابه أو ضعفها . وعليه فما نراه من
 تصديق بعضهم بعضاً في جميع شؤونهم هو اثر بقاء ولذا نراه يستهجنون الكذب
 والكذابين حتى رسخت قبايحته وصارت من الضروريات واستحسنوا الصدق
 حتى صار من المستحسنات وبما قرره ان ثبت ان الاصل في أخبار الآحاد هو

إفادة العلم واليقين . الا ان فساد الأخلاق قد غير من ذلك كثيراً ممن خرج عن الفطرة وعن الدين . لكن لا يجب ان لا يبقى من ذلك شيء يفيد الصدق اذا كان الخبر والخبر من تهذيب فطرتهم وقوي تمسكهم بالدين مع استعمالهم لجميع الأدوية لئلا تلهو بمرض النيان فليتنامل الناظر

قول القائل « ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين » ان أراد ان بعضها لا تفيد ذلك لضعف حامله اما لانه عرف بالخلط والخبيل في أخباره أو لانه كان مظنة لذلك فهو صحيح في بعض الحالات لا في بعضها الآخر حيث يعلم انه يشارك الخبر في مفسدة الكذب وانه لا غرض له فيه أو انه يخاف عقاب الخبر ان كذب عليه ففي هذه الصورة قد يفيد خبر الواحد الفاسق الظن الراجح أو العلم لبعض الناس ولذلك لم يأمر الله برد خبره ولا قوله الا بعد التبين - وان أراد حضرته ان كل فرد فرد من أخبار الآحاد وأحاديثهم لا تفيد كل فرد فرد من الخبرين (بفتح الباء) العلم فلواقع والعقل يكذب هذه الدعوى . ولا عبرة بقول من قدمه بهذا الاطلاق كأنما من كان . تقول ذلك إثارة للحق والحقيقة غير طاعين في ذواتهم وفضلهم

انه مما قال من خلاف ما ذهبنا اليه ومهما جهد في التشكيك والتشويش مما يظن انه محقق وتديق فانه لا يستطيع ان يغير الفطرة التي لا يكاد ان يخرج عنها فرد من البشر مختاراً أو ملجأ وان من خالفنا فانه لا وجود لخلافه لا في الواقع ونفس الأمر ولا في الاعتقاد وخلافه لا يمتنع بأكثر من الوجود في القول والعبارة . لأن الانسان ملجأ بالضرورة في أكثر شئونه ان لم تقل في كلها الى من يعتمد عليه في التعاون ولا واسطة لذلك تقوم مقام الإيثار والتفاهم في الأمر والأخبار ولا كُن الانسان مدنيا بالطبع كان التصديق في الأرقام والتفاهم طبيعياً له . ولما كان الارتفاق والاجتماع البشري يشتمل على كثير من العلوم أكثرها ضروري له فن اشترط لهذه العلوم غير طرقها كان يحصل قوله ونتيجته انكار هذه العلوم وأهمها الذي من لازمه تفكيك هذا الاجتماع البشري وهو علوم هذا الارتفاق وهو غلط . ومنشأ هذا الغلط أخذ المتأخر قول من قدمه أصلاً ثابته بدون نقد

وتثبت فيه كما يقال ان العلم واحد لا يكون بعضه أقوى من بعض أو انه لا يقبل الزيادة والنقصان أو انه لا يتفاوت في جزئياته أي لا يتفاوت في من قام به من الأشخاص أو ان الطرق المؤدية اليه شرائطها واحدة وان مقدماتها لا تقبل احتمال التغير حتى يفرض المانع الذي لم يتحقق وجوده ونحن لا نقبل هذه الأقوال ونحوها على إطلاقها لكن بعد التفصيل والتشديد . فمن اشترط في علم المعلوم تحقق علته وسببه في نفس الأمر وصفاته ولوازمه كذلك وعدم الموانع كذلك فقد كلف نفسه مالا تطيقه وطمع فيما يكاد ان لا يكون للبشر فيه مطعم — والصبرة عندنا في ذلك اطمئنان النفس فان كان ذلك كسيفاً فلا بد من بذل الجهد في الدليل بحسب الاستطاعة . والحاصل ان المعلوم كثرة والطرق المؤدية اليها كذلك وهي مختلفة وطرقها كذلك ولكل شرائط لا يمكن التزامها في الأخرى فمعلوم الاجتناع والامتناع كالكلمات ومتعلقاتها وعلوم الشرائع والأديان وملحقاتها وكذلك علوم الآثار والتاريخ والعلب ونحو ذلك لا يمكن كل أحد ان يكتسبها بالعقل أو بالحواس مباشرة ودائماً فلا بد من الوساطة فتشترط فيها ان تكون بما تطمئن النفس اليها لا مطلقاً بل بعد بذل الجهد المستطاع — وبنا على ذلك فنسب بلفظه حديث ولم يقصر عادة ثم اطمأنت اليه نفسه فقد حصل له العلم واليقين ولا عبرة باحتمالات لم تشوش جزمه واطمئنان نفسه . المسلمون تطمئن أنفسهم إلى هذه الأحاديث المكتوبة عن انقضاء الضابطين والأئمة العارفين فهي تزيد أكرهم العلم

وقول الحضرة الفاضل ومن قال بقوله ما د ليكنم على ان احاديث الآحاد لا تفيدهم اليقين ؟ فاذا قل ان كل فرد من البشر يجوز منه وعليه الكذب والذهول والنسيان ، وكل من جاز عليه ذلك جاز ان ينسى انذبه ويكذب فيه ، واستحاج ان كل فرد فرد من البشر يجوز ان ينسى خبره او يكذب فيه . فاذا ترتب على ذلك كبري وهي وكل من كان كذلك فخره يحتمل ان يكون منسياً او محفوفاً وكذباً او صدقاً فالنتيجة ان كل فرد فرد من البشر يحتمل ان يكون خبره منسياً او محفوفاً وكذباً او صدقاً . هذا غاية ما يمكن ان يقولوه في الاستدلال وهو كما راه فييد ان خبر كل فرد فرد يحتمل الصدق والكذب . ونحن لا نسلم صحة الكبرى التي

اسس عليها واهل المتعلق لم يقولوا بذلك بل قالوا القضيه قول يصح ان يقال لقائل
انه صادق فيه أو كاذب . ولم تعرضوا لنسبة ذلك الى الخبر ففكر
وما ذكره الفاضل حفظه الله فاما ان يكون مراده انها لا تفيد اليقين في حد ذاتها
أهم من الواقع والذهن وإما ان يريد انها لا تفيد ذلك في أحدهما . وعلى كل تقدير
فهو ترجيح لأحد الاحتمالين بلا مرجح . لأن لادليله يفيد ولا ينتج الا انه يمكن ان
تفيد اليقين . يمكن ان لا تفيده كما ان صريحه أنه يحتمل ان تكون الاخبار صادقة
ويحتمل ان تكون كاذبة — فالاعتصار على أحد الاحتمالين منطلقة وهذا ان سلم
فاما يكون قبل الاختبار والنقص في المعينات الظاهرية — أما اذا نظر في ذلك
وفرضناها في الخارج فهي لا تكون الا صادقة أو كاذبة . فان قال مرادنا ان ما كان
معتبرا للصدق والكذب لا يفيدنا أحدهما اليقين بذاته فصح قولنا خبر الآحاد لا
يفيدنا اليقين كما انه لا يفيدنا قضيته . قلنا هذا لا يصح الا ببديهيوت وتسليم اشياء
كثيرة فثبت ان كل فرد فرد من الخبرين (فتح الباب) يجب ان يستثمر احتمال التسيان
والذهول والكذب وجوازه في كل اخبار الخبرين (بكسر الباب) . ودن القول
بوجوب ذلك ووجوده في الواقع كذلك خرط الفتاد — لجواز ان يكون فيهم من
لا يستثمر ذلك اصلا او يستثمرها لكنها تكون عنده ضيقة بحيث لا تنفعه عن
التصديق بخبر الآحاد لأن الواقع والمشهد ان أكثر الناس يجزم بخبر الآحاد
ويصدقون بها . وما ذلك الا لما ذكرناه وانه دليل على صحة ما قدمناه من ان من
فطرة الانسان وطبيعته الصدق والتصديق وان ما يمرض لذلك من احتمال التسيان
والكذب طواريء عارضة فادرة والتادرقل ان يلتفت اليه في اكثر أمور العامة
وأكثر الناس عامة .

وأبضا هذه الطواريء العارضة قد عرف الناس انها لا تكون الا لأسباب إما
اعراض للكاذب أو تعسير في الضبط والحفظ وما لم يحو احتمال وجودها لا تقوى
ان تكون مانعة للجزم والتصديق بالخبر الى غير ذلك . فان ابي الا المناقشة وقال
لا عبرة بالعوام اذا كان التحقيق عند المحققين ان هذه الاحتمالات عارضة ومانعة
عن التصديق باخبار الآحاد . قلنا يلزمك أولا ان كل ما يجزم به العوام من كل ما

ادركه كذلك ان لا يكون علمي حقهم، وثانيا انا لانعلم اتفاق المحققين على ما ذكرت بل اكثرهم يظنون كل خبر مما يوجد في المطالوج ما يستحق وهم يظنون ان بعض الخبرين صادقون وبعضهم كاذبون وكذلك اخبارهم . فان سلمنا ان بعضهم يقول ان خبر الآحاد يفيد الظن الراجح او انه لا يفيد العلم قائما يقول ان ذلك شأنه في حد ذاته لا بالنظر الى حال الخبرين والواقع في نفس الأمر . وان اراد بعضهم غير ذلك قوله عندنا ركيك ولا بد ان يكون فعله وعمله يكذب قوله ولا خير في قول يكذبه قل قائله

وقول ايضا انا لانعلم الصغرى التي استت عليها دليلك لا كلية ولا دائمة . يانه ان الكاذب لا يجب ان يكذب دائما ونحن يمكن ان نميز كذبه في بعض الأحيان واذا كان يجوز ان يعرف ما يحتمل ان يكون كذبا ومالا يحتمل لم تصح ان تصدق الصغرى كلية دائمة واذا كان يوجد كثير من الناس اهل كمال وفضائل لا يكذبون ونحن نعرفهم بسيماهم وبالتجربة الصحيحة بطال صدق الكذب في أخبار الآحاد كلية فالأخبار التي لا تؤخذ الا من مثل هؤلاء لا يصح ان يفرض فيها احتمال كذب الراوي فهي سادقة وسالمة عن ان يشوشها احتمال الكذب

أما احتمال الذمول والنسيان فقد قررنا انه إما ان يكون سببه مرض ظاهري وحادث ومن كان مصابا بمرض في حافظته لا بد وأن يكثر دهر له ونسيانه ومن كان كذلك حاله فهو يعرف لكل من عاشره وعالطه، وإما ان يكون سببه قصير في الحفظ والضغط وهذا يعرفه من قارته وصاحبه في الطلب والتلقي حين المذاكرة والمراجعة . وكل من عرف بما ذكرناه فحديثه مردود عند أهل الحديث الا ان الثاني قد يتقوى بالشواهد والقرائن في بعض الحالات فظهر انه مع قدوره طوره هذه العوارض يمكن ان يميز من تكون هذه الاحتمالات في أخباره ومن لا

وقول اذا صح ان يوجد في البشر من يجب ان يكون صادقا لثقاه وورعه وعذالته ولا نطق ان حضرة الدكتور ينكر وجود هؤلاء بالكلية فاذا سلم قتاله انه يمكن الاحتراز عن الذمول والنسيان بأشياء وطرق كثيرة . كالمراجعة والمذاكرة والكتابة والدرس والتدريس وكثرة الحاجة الى العمل . وهذه موافق للنسيان وممثلة

على الحفظ مع سلامة المحل وصدق القصد وهذه من الجربات الذي اتفق على تجربتها
كل الناس وشهدوا بصحتها فمن نازعنا في ذلك أزمناه ان يضمن في جميع الجربات بل
في المحسوسات بلازمات لا محيص له عنها ان شاء الله . فظهر ظهورا لا خبار عليه ان
قول المعارض الناضل حفظه الله ان كل فرد فرد من البشر الآحاد يجوز عليه الذهول
والنسيان في خبره لا يصح لادانما ولا كلية لافي الخبرين (بالكسر) ولا في الخبرين
(بالفتح) ولا في الخبر كذلك كما تقدم واذا بطل دليلهم ثبت ان بعض أخبار الآحاد
تفيد بعض الناس العلم وهو المراد

وقول ان من ذهب الى ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين أي العلم فقد خالف
البرهان وخالف ما اتفق عليه الناس في جميع شئونهم . ألا ترى اعتماد كل فرد منهم
واطمشانه الى خبر أبيه وأمه وزوجه وأخوانه وخلانته ، وأقربائه وأقربائه ، وأصدقائه
وجيرانه ، وغيرهم . وراهم برسلون أموالهم مع هؤلاء ومع الخدم والأعوان والأولاد
الصغار المميزين اعتمادا ووثوقا بأخبارهم لافرق بين المرسل والمرسل اليه يكون ذلك
مع الاطمشان الكامل والعلمانية لا توجد مع احتمال التقيض . ان التاجر ونحوه والمرابي
البخيل المقتر يعتمد على مثل ذلك في معاملاته ومراسلاته وفي مصدره ومورده من
أمواره وثروته التي هي عند بعضهم أعز عليه من نفسه فلولا حصول العلم الذي نطمئن
اليه نفسه لم يقدم على فعل ما فعل وترك ما ترك اعتمادا على أخبار لا يثق بها بل هي
تحتل الصدق والكذب ، ومثل من ذكرناهم جميع البشر في جميع شئونهم فاذا رأينا
من يشكك بالقول دون الفعل يبدى احتمالات قد تصدق على بعض الأخبار بعد
تصديقها فهل يصح ان نقول يجب ان تكون جميع الأخبار كذلك في الواقع تحتل
ذلك أو ان نقول انه لا يوجد من يصدق بأخبار الآحاد وتفيد اليقين وهل يجوز
لنا اعتماد قول هذا القائل لاسيما اذا كان قوله يخالفه فله؟ وهل يوجد فرد من البشر
سلم العقل لا يحصل له العلم ولا يعتمد على خبر الآحاد في جميع حالاته

نحن لانكر انه يكون في بعض أخبار الآحاد ما يفيد الظن بل بعضها لا تفيد
أكثر من الشك وبعضها قطع بكذبه الا اننا لا تكابر الواقع وقول ان كل فرد

فرد دائما لا يفيد العلم واليقين مطلقا لما عرفت انا ان قلنا بهذا القول فقد أسأنا الظن بأفراد الانسان كلهم حتي الأمراء والعلماء وثمن جزئنا بذلك فمع محالنا لنقل قانا لا يمكننا ان نعيش بينهم ببشرة طيبة .

ومن الأدلة على ما ذكرناه فوق ما تقدم ان الله أرسل أكثر رسله فردا فردا ولم يرسلهم دفعة الى الناس كجميع التواتر الذي يزعمه التواترية وما ذلك الا لأن خبر الآحاد الذي ذكرناه قد يفيد العلم

فان قيل ان الرسول موثوق بالمعجزة قلنا ان التأيد بالمعجزة انما يكون في بعض الاحيان . وأيضا ليست هي شرطا في الارسال لانها انما تكون اذا وجد الجاحد المكذب أو من حصل له الشك أو نحوه . أما على قول التواترية فذلك لا يصح ومن لازمه ان لا يحكموا بإيمان من آمن برسول من رسل الله عليهم السلام الا بعد ان يرى المعجزة أو غيره بها عدد التواتر ويتحقق انها معجزة لأن ماسوى ذلك لا يفيد العلم واليقين . ولكنه خلاف المعلوم بالضرورة من سيد الانبياء عليهم السلام وخلاف ما علمناه بالضرورة من تلقي البشر عنهم وتصديقهم والايمان بهم وبشرائعهم .

أفليس من المعلوم ان الرجل الواحد من البدو الاعراب وغيرهم كان يأتي الى رسول الله (ص) فيؤمن به ورسول الله (ص) يحكم بإيمانه واكثر أولئك وغالبهم لم يروا معجزة ولم يسألوا عنها غاية ان بعضهم له فراسة تدله على ان هذا الرجل (ص) صادق لا انه يدعو الى البر والعدل فبذلك حصل لا كثيرهم الايمان . وبعضهم حلف النبي (ص) واكتفى بذلك حيث اطمأنت اليه نفسه وأولئك أعلى المؤمنين بعد الانبياء ايمانا حتي انهم بذلوا أنفسهم ينتفون فضلا من الله ورضوانا ولكون كلمة الله هي العليا

ان من يشترط التواتر في افادة الاخبار العلم واليقين يلزمه ان يقول ان مثل هؤلاء السادات لا يصح ايمانهم وانهم لم يحصل لهم ايمان . فمن لا يقول ان حضرة الدكتور يقول ذلك ويلتزمه لا هو ولا من وافقه من العلماء الذين يقولون ان اخبار الاحاد تفيد الظن ولكننا نقول ان اختياره ذلك تبعاً لهم هفوة من لازمها ما ذكرناه وما استأنز المباطل فهو مثله ويجب الرجوع عنه

وقول أيضاً لو صح ما قلتم لم يصح ان يوصف احد من افراد البشر غير المصومين بأنه صادق لان المتكلم بغير الواقع في الاخبار لا يكون صادقاً وإقول بذلك يناقض ما دل عليه القرآن الكريم مثل قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) واخبر بأنه ينبغي الصادقين بصدقهم فوصفهم بالصدق وأنه ينتجهم بصدقهم الموجود ومدح الذي جاء بالصدق والذي صدق به وان الصدق ينفع يوم القيامة ومدح الصادقين والصادقات ودم وتوعد الذي يكذب بالصدق اذا جاء والذي يمرض عن الصدق . وبعض هذه الآيات هي وان كان سبب نزولها خاصا لكن في الدول الى الألفاظ العامة ما يؤيد ما قرر عند أهل الأصول — ان العبرة بمصوم القبط لا بخصوص السبب : فظاهر بذلك ان الصادق والصدق الذي هو العلم موجود وأما ما يؤيد قبول ذلك واتباعه وما ذكره الله مما قدمناه انما هو الصادق والصدق من الآحاد ولو كان العلم واليقين والصدق لا يحصل الا من اخبار الجموع المتواترة لم يصح ان يوصف الواحد والاثنين بل ولا السدالمين بصفة الصدق وهذا من البطالان عرفاً وعادة وقلاً وعظماً

لا ندري ما الصذر المقبول لمن سمع قوله تعالى « كونوا مع الصادقين » اذا رد خبر الصادق الذي قد عرف صدقه وأنه من الصادقين الدول ؟ فان قبل كيف نعرف انه صادق — وصدق الشخص في بعض الامور مما يصح ان يفتنى علينا ؟ قلت قدما الكلام في انه هل يمكن ان نعرف الكذب والكاذب ام لا وسيأتي مزيد كلام عليه اما كون الشخص ممن عرف بالصدق فذلك بين وهو لا يسمى صادقاً الا بعد ان يعرف بالتجربة ويتصف بالتموى — لان التصدق والايان قد اعتبر مرقها بالدلائل الظاهرة وذلك من باب الاستدلال بالآثار على المؤثر وبلازم الشيء على الشيء — كما قال تعالى « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار » الآية ونحن لا نعلم ما في القلوب لكن لما كان الايمان بالانبياء وشرائعهم من لوازمه اشياء ظاهرة يتبين ان لا يوجد بعضها الا بسبب الايمان ما ان يستدل بها على وجود الايمان فكان العلم بها علماً بالايمان

وقول أيضاً ان الله جل وعلا كما أمرنا بأن فصدق الصادقين لم أمرنا بصدق

الفاسق بمجرد سماعه بل أمرنا بالتين كما قال تعالى (ان جاءكم فاسق بيا فبينوا) الآية وفي ذلك من الحقائق الدقيقة والجليلة ما لا يقدر قدره الا من رزقه الله التهم في كتابه كما قال بعضهم كأنه تعالى يملأنا ويرشدنا الى قواعد هي من أصول العدل والضعف خلال الاجتماع والاتفاق وأعظم أسباب الظفر والسلامة بقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بيا فبينوا) هو أمر بالتأي والتبصر في خبر الفاسق صراحة والى مشاركة ومآله من بعض الوجوه اشارة وما ذلك الا لان الفاسق قد يصدق فلا يليق ان يحمل خبره بالكلية بل لابد من التنبه والحزامة والاستعداد فلا يبقى في خضلة وسباته واضرت بنا ولا نصدقه فيما يضر بمن أخبر عنهم لئلا نندم على ما فرط منا ولئلا نخسر مودة امران وانصار ونحرم والتين والتأي في نحو ما ذكرناه هو كالاقتصاد في الاخذ والسلامة منه ومن أمور الدروة والاقتصاد

قلت ولما كان الخبر لا يخلو اما ان يكون معتبرا في الرواية وهو الثقة الضابط أولا يكون كذلك وهو الفاسق في الاخبار والرواية وإما ان يكون بين بين وهو غير المعروف حاله فالتأي صرح بحكمه في هذه الآية ولما كان مفهوم حكم الفاسق يتناول الشيعين الذين ذكرناهما لم يوجب التين والتأي بل ترك ذلك الى عرفنا وما تلمن الى أنفسنا وهذه حكمة بالغة في تأسيس القواعد فهم من حكم واقعة شخصية معينة في القرآن . ومن جهة أخرى نحن اذا عرفنا حكم الفاسق فكأنه نبه به على حكم مقابله وهو الضابط الثقة العدل لانه قد انخرس في النظر والقول ان الشيء يغطي قبيض حكم مقابله وذلك مقتضى المقابل . ومفهوم الأمر بالتين اما التحي عنه كما عرفت وهو حكم المقابل وإما التنب الى عدمه وإما الأباحة وإما الارشاد الى ان حكم ذلك راجع الى العرف وما تلمن الى النفس كما قدمنا ذلك وعلى كل تقدير فمفهوم هذه الآية مخالف لما ذهب اليه حضرة الفاضل من أن أخبار الآحاد لا تنبذ اليقين أو انها قيد الظن المذموم وذلك ظاهر لا تطيل بتفصيل وجوهه نحن اشرنا الى الاحتجاج بعمل رسول الله (ص) وسائر الانبياء عليهم السلام في إرسال الآحاد للتبليغ عنهم وتلك حجة لا مناص لمن يشترط التواتر في ذلك عنها وحضرة الدكتور الفاضل لم يجب عن ذلك ولا عن غيره بجواب شاف قائما

قوله ان أولئك كانوا نوابا وولاء امور ولأم الرسول (ص) فليس الأمر كذلك بل فيهم من ليس كذلك . ولو سلم فليس طاعة ولاء الامور في الدينيات بآكد من طاعة العلماء . بل المعروف من دين الاسلام ان من لم يعلم شيئا فالواجب عليه ان يسأل أهل العلم لا فرق في ذلك بين امير ومأمور على انه قد دل القرآن الكريم على وجوب الدعوة الى دين الله وقد تواتر عن النبي (ص) الأمر بذلك وقد اجاز وامر بالتبليغ عنه اجازة عامة لكل أحد بشرط ان لا يكذب عليه وكل عالم هو في الحقيقة نائب في التبليغ عن النبي (ص) وطاعته فيما يبلغ عن الله وسوله (ص) واجبة أما قول الفاضل فوجوب طاعتهم انما هي لأنهم ولاء امور . فجوابه ان لم يكن محتاجا في وجوب الطاعة وانما البحث في التصديق بالخبر في امر ديني محض ومن المعروف شرعا انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق على انه قد اختلف المشركون في المراد من أولي الأمر في قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ففهم من قال هم الامراء ومنهم من قال هم العلماء

أما قوله ان الرسول يمكن أن يعلمه الله بالوحي فتدرك النظم في أقرب وقت الى آخره فقول هذا لا يمنع استدلالنا على وجوب العمل باخبار الآحاد « لأنه اذا وجب التصديق على المرسل اليهم او من بلغهم الحكم فاستدرك ذلك بالكذب والعزل ونحوه لا يضرنا في الاستدلال لأنه على كل تقدير قد وقع للمخبرين (بالفتح) العلم بخبر هؤلاء وعلى الأقل وجب عليهم العمل بذلك وهو المطلوب . وقول ايضا انه لو لم يبين بالوحي كذب هؤلاء كن مات النبي (ص) وهو على ولايته ياترى ماذا يفعل الناس ؟ اليس من لازم ذلك انك ألصقت بالدين تهمة شنيعة وهي وجوب طاعة الأمراء في كل شيء حتى الدينيات المحضة وهذا مما لم يوجهه لانفسهم الامراء المستبدون وانما يتدخلون في هذه الأمور بتوسط قواي الطوائف الفاحشة الاحرار ويألبشروا للمستبدين من رواج هذا المذهب ولتكتف بالتقية على مثل ذلك لتطوور فساده فان دعت حاجة عدنا بالتفصيل التام لهذا المقام ان شاء الله

وقول ايضا انه قد تواتر النقل الذي لم يشذ عنه فرد من الأمة الاسلامية ان الاصحاب الكرام (رض) قد احتجوا على من بعدهم وبعضهم على بعض بما رويوه

عن النبي (ص) قال كان الصل لا يجب بخبر الأحاد ولا يلزم التصديق به لم يسغ
 لأحد منهم الاستدلال والانتكار واليوم إلا إذا كان معه عدد كثير يريدون خبره
 بأن يكونوا مثله قد سمعوا ذلك عن رسول الله (ص) وحيث لم يكن ذلك لا من
 الخبر ولا الخبر (بالفتح) علم أن من اشترط التواتر في وجوب الصل بالأخبار قد خالف
 طريقهم التي درجوا ومضوا عليها وأمرهم الله ورسوله (ص) بسلكها في التبليغ ولو كان
 ما زعمه حضرة الدكتور الفاضل صحيحا لا نسد باب التبليغ عن الرسول (ص)
 قال حضرة الفاضل في الكلمة الرابعة أولا قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق
 ومظاهر بالصلاح إلى آخره . وأقول إن أراد أن ذلك يكون بكثرة أو أن الرواة
 المشهورين يمكن أن يكونوا كذلك فقولهم غير صحيح ولا يثبت إليه من أخذ من فن
 الرواة والحديث نصيبا . وإن أراد أن ذلك قد يكون شاذا ونادرا وإن أهل الحديث
 يعرفون ذلك فذلك مسلم وقد وجد من هذا حاله يشكك المسلمين في الرواية وغيرها
 وقد أخبر بذلك النبي (ص) لكن أهل الحديث قد عرفوا هؤلاء وكشفوا عن حالهم ومن
 كان بهذه الصفة هو مما بالغ في التستر فلا يمكنه أن يروج حديثه عليهم لأنه لم يعرف
 بعد القصة أن أحدا من أئمة الحديث اعتمد ووثق من بان أن حاله كذلك فمثل
 من هذا حاله إنما يعتمد إلى العوام حيث يكون بعيدا عن العارفين من أهل الحديث
 فحديثه لو وجد قائما يوجد فيما يتبعونه من الشواذ المناكير ونحوها التي إذا كتبوها
 يزدرون لها كتباً مخصوصة لئلا يفتري بها أحد من العامة في الصل بها أما في الرواية
 المعتبرة عندهم فمثل ذلك معروف تركه ومن عرف طريقة المحدثين في الأخذ والتحمل
 والاداء وشرائطهم في الرواية والرواة الذين يطلقون على ما روي الصحة والتحسين
 يعرف أنه لا يمكن الدخيل أن يدس فيه كذبا أو يروج فيه زورا ومن ذا الذي يمكنه
 أن يبغي كل عمره في التستر وكتان جميع أسرارهم حتى من أصدقائه وخلانهم الذين
 يمكن أن تقتل على أحدهم ساقطة من أمره . أنه لا يمكنه إرضاء الناس كلهم ليسروا
 عليه لاسيما أهل الرعي . على أنه إن كان لأحد الناس القدرة على ذلك فإن لأهل
 الحديث طرقا يعرف بها حال أمثال هؤلاء لأن من شرط الراوي الثقة أن يكون
 معروف الاسم والنسب والذي لا يعرف كذلك هو مجهول عندهم . وأما ما يرى من

ان بعض الرواة غير منسوب في بعض كتب الحديثين فذلك نادروهم لا يكتبون بذلك الا فيمن عرف عندهم حاله ومن تقيم ذلك عرفة

ولم طريق أخرى في معرفة المتستر المشار اليه وذلك بمعرفة بلده ومنشأه — وأخرى ان يكون ممن عرف بالطلب والأخذ عن أهل هذا الفن المشهورين قال بعضهم ادركت بالمدينة مائة كلم مأمون لا يؤخذ عنهم الحديث يقال انهم ليس من أهل — وأخرى وهي ان لا يكون ما يرويه مخالفا لما رواه المعروفون عن ذلك الشيخ — وأخرى وهي انه لا بد ان يكون الراوي ممن عرف بالفهم والمعرفة وكثرة السماع والمذاكرة — وأخرى وهي ما اذا كان لذلك الشيخ رواية فشرط ان لا يتفرد برواية شيء دونهم — وأخرى ان لا تكون في مروياته نكارة . أقول والمتأفق الذي يريد ان يشكك المسلمين ويشوش عليهم دينهم لا يسلم من وجود النكارة في حديثه لان ذلك غرضه الذي تظاهر بالصلاح والتقوى لأجله وان لم يفعل ذلك ففسده لم يد عليه بانه فظير ان ما يسمه أهل الحديث بالصحة وما يعتمدون عليه في الاحتجاج لا يصبح ان يوجد فيه ما يروي عن المناهقين ولا ما هو مكتوب لا أصل له — وفوق كل ذلك لطف الله وعفوه عن الخطي والنسيان « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا » وقد صح ان الله قال قد قبلت

اما تميز كون بعض الرواة قد يخطئ المراد اذا حدث بالمعنى فجوابه انهم رحمهم الله لم يهملوا ذلك بل اشترطوا لتحديث بالمعنى شروطا لا يمكن لأحد منهم ان يروي الحديث بالمعنى بدونها — فنها ان يكون ممن عرف بمعرفة معاني الحديث ذا اقتدار على اختيار الألفاظ العربية الصالحة لذلك فان قيل كيف نفر ان فعل الواجب المشروط . قلت لأنه ثقة ضابط من أهل الصدق والایمان فهو يتحرى الصواب تدينا وخوفا من الله تعالى فلا بد والحالة هذه ان يروي ما هذا حاله اما بالشك — أو انه اذا أوجس من نفسه قصورا في التعبير يصرح بان هذا قل بالمعنى كأن يقول أظن معناه كذا وحينئذ ينظر حال الراوي المذكور فان كان ممن عرف بالمعرفة مستكلا للشروط قبل حديثه والارد . وفوق كل ذلك نعرف خطأه ان اخطأ في التعبير بالمعنى بان ننظر في الأحاديث التي رواها عن شيخه غير هذا

الراوي قال وافق معناها معناه والا عد حديثه من الشواذ أو المناكير فلهذه طريقة فوق ما تقدم تشرط عندهم في من يحدث بالمعنى وبها يعرف خطأه اذا ضمنت معرفته المشروطة بعض الضعف وبذلك يكون مطمونا فان كثر ذلك منه تركوا . فلا خوف على الحديث من الكذب ونحوه وقد تاه الأئمة الكبار والحفاظ الأبرار وكتبوه بعد التحري وكال الفحص مطابعا لشرائطهم وبعضهم شراط أكثر من غيره وما ذكرناه هو المجمع عليه عندهم وهذه الكتب الذي كتبوها قد قلبها عنهم الأمة قلا عاما وأجمع أهل العلم بعد الفحص على أكثر الصحيح ووسموا كل حديث بسنته ويتوا حاله وقرروا البعيد لمن يريد به غاية السهولة وبما ذكرناه يندفع كل طعن يمكن ان يقال

قال وقد ينسى شيئا ما سمعوه وقع في النسيان بسبب ذلك بدون ان يشعر به . وقد قدمنا الكلام على مسألة النسيان . وقول اولاً ان الأئمة الحفاظ الثقات والبدول الاثبات لا يكاد مسلم يسيئ الظن بحيث يتهمهم باهمال ما سمعوه من حديث رسول الله (ص) بان يرضوه للذهول والنسيان لاننا نعلم ان من اعطى وتعهد ما سمعه بالذاكرة والمراجعة ونحوها كالكتابة فاذا حدث مع كمال الاحتياط والأمانة والتأني والتين لا يقبل العقل عدم شعوره بالنسيان البعيد التوقع ان وقع — علمنا ذلك بال تجربة الصحيحة المعتمدة التي اجمع عليها البشر كلهم كما قدمنا الكلام على ذلك ان من يقع له السهو في أمر ما فانا جازمون بانه لم يقع له ذلك الا بقصير وقع منه فليتهم نفسه . ولذا قلنا غير مرة ان الراوي الثقة ان وقع له سهو فليذكر المروي بالشك ما لم يتبين

ان من لم يكن بالحالة التي عرفت ليس هو عند أهل الحديث من الاثبات فعم لا يأخذون بحديثه ولا يصححونه ولا يقبلون مروياته — فما فرضه القاضل انما يكون في غير رواية الحديث الصحيح المحتج به فلا يراد ليس في محله . وليس رجال الحديث الصحيح الا مثل من قد جربته من خلائك الذين طالت صحبتك معهم حتي عرفتهم وعرفت صدقهم ونصحتهم . فاذا ارسلت أحدهم لآداء رسالة فقاها منك حتي حفظها ثم لم يزل يرددها على لسانه وقلبه فان كان له شريك فهو يتذاكر في ذلك

معه او يصفها في مكتوب عنده اقلا يكون مطمئنا بخبره منك من عرف حاله مثل معرفتك ؟ فاذا كان خبر مثل هذا مما تطمئن النفس اليه ، ولا قبل التشكيك فيه ، فابالك برجال ثقات ضابط علماء اقباه حفظوا حديث رسول الله (ص) وجملوه شغلهم لا يرحلون ولا يقيمون الا في خدمته وحفظه وتلقيته مما يشوبه قد اقبلوا لذلك ووقفوا انفسهم عليه بالكتابة والمراجعة والمذاكرة والدرس والتدريس والدعوة اليه والفصل به بآثارهم بآمره ، ويتهمون وينهون لنهيه ، صدقوا بخبره ، ووعظوا واتصلوا بسيره ، امتلأت قلوبهم رهبة وخوفا من مخالفته ، والكذب عليه (ص) مستعدين انه هو الدين ، الذي هو حق اليقين .

فان قيل هذا معروف ولكن الكتابة كانت عادة في زمن الصحابة . قلت ان كثيرا من الصحابة كان يكتب او يستكتب والبعض الآخر مع كتابهم في الحفظ والاحتياط زيادة عن غيرهم فالتفي يروى عنهم قليل بالنسبة الى المكثرين الذين يكتبون منهم والذين تبعمهم باحسان (رض) فذلك التقليل لا يمكن ان يحدثوا به مع الذهول بدون ان يشعروا بما فيه من الخلل والفساد وليس ما تراه من الاحاديث هو مرويا عن واحد منهم وانما هو مروى عن مجموعهم . اما ما قلناه الفاضل حفظه عن عمران بن حصين (رض) فهو لا يدل على مدعى الفاضل ونمايته ان صح ان يكون جرحا في من عناه على انه يحتمل التأويل لانه لم يبين الجرح ولا وجه جرح معين وعمران المذكور (رض) قد حدث عن رسول الله (ص) باحاديث كثيرة

قال ان حفظ الاحاديث اذا كانت طويلة - الى قوله - عسير جدا وخصوصا اذا اقيمت مرة واحدة . واقول لم يوجد حديث واحد من الاحاديث الصحاح طويل جدا مفرد حتى انه يندر ان يوجد فيها ما يقارب الفصل من سور القرآن في الطول والتي (ص) لم يلق عليهم هذه الاحاديث دفعة واحدة ولا الرواة يأخذونها عن المشايخ كذلك بل كان النبي (ص) يتعولم الموعظة وقارة قد يعيد لمعني ما حدثهم به في الايام الماضية فمن سمع ما كان قد سمعه تذكره وأتته ومن سمع حديثا حفظه هو أو غيره وكان (ص) يكرر الكلمة حتى يقولوا لية سكت وعادته المطردة انه كان يكرر الكلمة

ثلاثاً لحفظ عنه وهم رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون ويتذاكرون ما تعلموه منه (ص) وكانوا يجلسون لذلك في المسجد حلقاً وكان يتناوبون الحضور لاختلاطهم عنه (ص) وإذا غزا كان يأخذ من كل فرقة منهم طائفة ليخبروا أحوالهم إذا رجعوا إليهم . مع ذلك كله لم أذكر في العرب وأصقلمهم أذهانا وغير خاف ما امتاز به العرب من قوة اللفظ وصفاء الأذهان والذكاء المفرط حتى انهم كانوا يحفظون القصائد الطوال التي تنشر في المواسم مرة واحدة لأول وهلة فهل يستبعد أحد أن يحفظ الواحد من الصحابة (رض) الجملة القليلة من الأحاديث التي كان يلقاها عليهم الرسول (ص) متفرقة في أيام وسنين وأعوام كثيرة وهم بالعفة التي عرفت وهم مع ذلك لا يزالون يتذكرونها تارة من نفس قائلاً (ص) وتارة من أقرانهم وأخوانهم وأصحابهم للعمل والارشاد وغير ذلك كما تقدم . والأحاديث انما رويت عن مجموعهم (رض) على أن المكثرين منهم قد صحح انهم كانوا كتبوا واستكتبوا ما سمعوه وحفظوه عن رسول الله (ص) وبعضهم من بعض وكاتبهم لم تكن ككتاب يصف في هذا الزمان وإنما كانوا يكتبون ذلك وقصات كلما سمعوا شيئاً كبيره وبعضها أشبه بدفاتر التجار اليوم — فاعتراضات حضرة الفاضل الثاني والخامس والسادس هي في الحقيقة ليست بواردة على ما عندنا من أحاديث النبي (ص) وإنما هي واردة على أحاديث فرضية قلدها الفاضل في ذهنه وليس الحقيقة والواقع في الرواية عندنا إلا ما عرفناك فاقبه ولا تغفل هذه الاعتراضات هي أشبه شيء بما إذا رأى بعض الناس بناءً عظيماً كثارة وقال كيف نصبت هذه ومن الذي حملها فصبها دفعة واحدة، فإذا أخذ هذا العجب قائماً ذلك لعلمه ولو درى انها انما بنيت بالتدرج لم يكن كذلك كما قال إذا عرف السبب زال العجب هذا وإنه ليسوا من حضرة الفاضل حفظه الله إيراد مثل هذه المناظرات مع علمه بما ذكرناه ونحن لم نكن نظن انه بهذه المثابة وكذلك عجلته على ما ذكر من انه يريد ان يطبع رسالة فيما نحن بصدده قبل ان تتم المناظرة وبقين له الصواب من الخطأ فارجو من حضرته ان لا يطبع ذلك إلا بعد انتهاء المناظرة وبعد ان يتكلم مع شيخ الاسلام السيد محمد رشيد رضا لاجل ان يصلح ما شاء ان يصلحه — على ان الدين الحق لا يعلم انصارا والله المستعان (ها بقية)

أَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ

التقريظ والانتقاد

﴿ كتاب دلائل التوحيد ﴾

لقد من الله تعالى على دمشق الشام بالشيخ محمد جمال الدين القاسمي ليكون فيها واسطة من وسائط الاتصال، وحلقة من حلقات الاتصال، بين الماضي الذي قد تدهور فيه المسلمون من عدة قرون، وبين المستقبل الذي ينشده المتبصرون، ويسمى إليه المصلحون، فهو بصير في العلوم الإسلامية المتداولة في العصر، متطلع إلى ما يتجدد من المطبوعات العربية في كل عصر، مجيد في الانتقاء من رديئها والانتقاء من جيدها، حريص على الاستفادة منها والإفادة بها، وهو يدرس ويطلع، وينسخ ويصحح، ويصنف وينشر وآخر ما وصل إلينا من مؤلفاته المطبوعة كتاب (دلائل التوحيد) في الكلام ألفه في سنة ١٣٢٥ وطيح في سنة ١٣٢٦ وهو في أسلوبه ومباحثه، صدق لما قلناه آنفا في وصف مؤلفه، لم يقنعه فيه المتكلمين كالسنوسي وواضي الشروح والحواشي لقائده ومن حاكمهم من المتأخرين الذين صارت كتبهم كالنسيب بتلاتها، على علاقتها وعدم كثافتها، ولم يستقل بجميع مسائله بنفسه، ويحمله خلوها من كلام غيره، بل أورد فيه زيادة مما طالع في كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين كابن مسكويه والنصير الطوسي والفارابي وابن رشد والراغب والغزالي والعز بن عبد السلام وابن هزم وابن تيمية وابن القيم والقاضي عياض والماوردي وجمال الدين انطوارزمي والمرغني الجاني صاحب إرشاد الحق، والمتأخرين كالاستاذ الامام ولكنه لا يذكره باسمه ولا بهذا القالب الذي اشتهر به وإنما يشير إليه بكلمة «حكيم» أو حكيم من المتأخرين. وقد قل أيضا عن المنار ولم يسمه ولا ذكر اسم صاحبه بل يشير إليه ببعض الألقاب

كما فعل في الخامس بعد سوق الدليل العشرين . وما ذلك إلا لأب اسم الشيخ محمد حمده أو محمد رشيد رضا أو المسار كانت في زمن السلطان عبد الحميد تحرق الديار ، وتسوق إلى البوار ، أما مقاصد الكتاب بالأجمال فهي كما كتب المؤلف في طرته « الخطبة في فصل إقامة البراهين لتأييد أصول الدين ثم تهديدات في سرعة التوحيد وما يتقاضاه الأيمان من الايمان وفي تمثيل انحطاط الباطل لظهور آية الحق ، وفي ان النظر قانون الاستدلال وفي غير ذلك » ثم مطالب الكتاب وهي أربعة : المطلب الأول في الأدلة الواضحة على « وجود الله تعالى » وهي خمسة وعشرون دليلاً وفي طلبها فوائد حجة ، المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الإلهي كاستحالة اكساده ذات الخالق تعالى وبطلان الحلول والاتحاد وغيرها ، المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وإبطالهما جميعاً بالحجج القاطعة وفي مقالات من الطبيعيين قرب من الثلاثين ، المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات كآيات النبوة وأمثال الخوارق علماً وبيان المنه على العالمين بمئة خاتم النبيين وكون القرآن أعظم الخوارق وبيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف أخلاقه وشبهاته المريدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته ثم الخاتمة في فائدتين « اهـ »

وصفحات الكتاب مئتان بل تزيد ، ولم يتيسر لنا الا مطالعة القليل منه ، فسمي ان يكون منزلاً لتقليد المقلدين ، ومراقبة لاستقلال المستعدين ، وعن النسخة منه ثمانية قروش

﴿ العقائد الدينية . للناشئة الاسلامية ﴾

كتب وجيز للشيخ محمد عبد اللطيف حفصير من علماء دماط مله في هذا العام واهدانا نسخة منه ورغب اليها بيان رأينا فيه عند ما تسمح لنا الفرصة بمطالعة شيء منه فنقول إنا رأينا فيه شيئاً من المنى الذي أشرنا اليه في تقرير الكتاب الذي قبله من حيث عدم التزام أسلوب وترتيب العقائد المتداولة كسر الصفات العشرين (التي جعل السنوسي مدار عقيدته عليها) ونحو ذلك ولكنه على عدم التزام ذلك لم يخرج عنه بالمرّة . ولعل سهولة فيما استقل فيه فبداً دوقارب وجاء ببعض مسائل ودلائل

نظرة تلو على افهام الناشئين الذين وضعه لهم ولولا رجوعه في ذلك الى بعض الكتب المتداولة. لكان يسهل عليه ان يأتي بما هو اسهل منها وافصح أوليت اقتباسه من كتب المتقدمين كان كله كإقتباسه من رسالة التوحيد . وجهة القول انه من احسن ما كتب لتعليم المبتدئين وثمن النسخة منه قرش واحد وهو يطلب من المكتبة الصومية بدمياط فمضى ان ينال ما يستحقه من الراجح والانتشار

﴿ تحفة الانام . في مختصر تاريخ الاسلام ﴾

ألف هذا التاريخ في أواخر حياة الشيخ عبد الباسط الفخوري مفتي بيروت رحمه الله تعالى وهو يشتمل على مقدمة وحيزة في أصل العرب وجزيرتها وظهور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أربعة أبواب في الخلفاء الراشدين وفي الامويين والعباسيين والصليبيين . وفي الكلام على سلطنة محمود الثاني يذكر حادثة ابراهيم باشا المصري وغيرها من الحوادث الكبيرة ومسألة الوهاية كما يذكر في أخبار سلطنة عبد المجيد حرب القرم وحادثة لبنان . وهو مختصر ليس بي الايدي مثله ولا ما يقني عنه فمضى ان يتم نشره . ويباع في مصر بمكتبة المنار مجلداً تجليداً يروتيا بثمانية قروش مصرية . ومن أراد عدداً كثيراً منه فليطلبه من المكتبة الاهلية ببيروت وانا نقل هنا كلامه في الوهاية قال رحمه الله تعالى ما نصه :

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهاية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق وهم قوم كثير من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب (؟) وهو رجل ولد في الدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز طلب اولا العلم على مذهب ابي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان واخذ من علمائها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم ادته المصيبة الى الاجتهاد فأنشأ مذهبا مستقلا وقرره لتلاميذه وشاع أمره في «نجد» و«الاحساء» و«القطيف» و«عمان» و«بني عصب» من أرض «اليمن» ولم يزل أمرهم شائعا ومذهبهم متزايدا

وجاعهم تكثر الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة خرقاً من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفاً سراجهم وبدد شملهم واحرق ذكركم وقد توفي زعيمهم سمود سنة (١٢٢٩) فساد الأمن في طريق الخليج وهذه السنة حج محمد علي باشا فبدان لم يكن احد يتمكن من اداء هذه الفريضة وهلك رسالة من كلامهم تنقل على مذهبهم واعتقادهم :

اعلموا وحكم الله أن الحنيفية ملة ابراهيم أن فسد الله غفلنا له الدين وبذلك امر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة كما قال تعالى : (ما كانت للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) . فمن دعا غير الله طالباً منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضرر فقد اشرك في العبادة كما قال تعالى : (ومن اضل ممن يدعو من دون من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وإذا حشر الناس كانوا لم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطيع) ان تدعوهم لا يسمعون ادعائكم ولستمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا بينيتكم مثل خير) فاعبر تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال يارسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعماً أنه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الى أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله . أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو ايضاً مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وامرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك أي التشنيع عليهم بعمرة اربع قواعد ذكرها الله في كتابه

(أولها) ان يعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون ان الله هو خالق الرزاق المحيي المميت المدير لجميع الأمور والدليل على ذلك قوله تعالى : قل من يرزقكم

السما والأرض أمن تلك السم والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فيقولون الله قل أفلا تتقون « وقوله تعالى « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون » يقولون لله قل أفلا تدرون « قل من رب السموات السبع ورب المرش العظيم » يقولون الله افلا تتقون « قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » يقولون الله قل فأنى تسعرون « اذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الأمر فاعلم انهم بهذا اقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا

(القاعدة الثانية) إنهم يقولون ما نرجوهم إلا لطلب الشفاعة عند الله تريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم . وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نصيهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الثالثة) وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا » ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله . وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الرابعة) وهي انهم يخلصون لله في الشدائد ويتسبون ما يشركون والدليل عليه قوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله ، فإذا عرفت هذا فاعرف أن المشركين في زمان النبي أخف شركا من هؤلاء مشركي

زماننا لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد والرءاء والله أعلم بالصواب ، اهـ

وهذه الرسالة والقواعد التي أنسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لأن هذا هو الدين الذي جاء به النبي والا نباء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة ، واتباع قومه من بعده فأفراطوا وفرطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تقصير وتقصير ما عظمه الله وأمرنا بتظيمه وعيته وتوقيده وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم كما وان أكثر العوام من جهالة المسلمين قد نظلوا وأفراطوا وابتعدوا بدعاً تخالف المشروع في الدين القويم فعادوا يستمدون على الأولياء الأحياء منهم والأموال معتقدين ان لم التصرف وأبليسهم النعم والضرر ويخطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصراط المستقيم وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين الغالي والمقتصر) وهنا شيء لا بد لك من معرفته وهو أن الحب لله وفي الله والحب مع الله ينهما فرق من أهم الفروق وعنه تعلم جهل وخطأ الوعاية وشيخهم فإن الحب لله وفي الله هو من كمال الإيمان في الله والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه وقتلهم عليه النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والفرق بينهما أن الحب في الله والله تابع لما يجهه الله كعب الرسل والملائكة والأولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت القدس لأن الله يحبهم ويجب من يحبهم ويعظمهم ، والحب مع الله على نوعين نوع يمدح في أصل التوحيد وهو شرك كعبادة الأوثان والأصنام والانداد من المشركين لأنهم عظموا وأحبوا مع الله ما يفضيه الله ، والنوع الثاني يمدح في كمال الاخلاص والتوحيد ومحبة الله ولا يخرج عن الاسلام كحبة ما زينه الله للنفوس في النساء والبنين والذهب والفضة والخليل المسومة والامام والحرف فان محبتها طبيعة ومحبة شهوة كحبة الجائع للطعام والنظر للماء فان أحبها الله ليتوصل بها اليه واستغاثته على مرضاته وطاعته كانت من قسم الحب لله وفي الحديث «حبيب الى من دنياكم النساء والطيب» وان أحبها لموافقة طبيعته وشهوته وهواه كانت من المباحات لكن يقتصر من

كأن محبته لله والمحبة فيه وإن كان حبه لها مراده ومقصوده وقصدتها على ما يحبه الله ورضاه منه كان ظاهرا لنفسه متبعا لهواه فالأول محبة السائقين والثانية محبة المنتصدين والثالثة محبة الظالمين فتأمل ذلك وما فيه . فإنه معترك النفس الأمارة والمنطقية والله تعالى يوفقنا وإياك والسلام . اهـ ولم يذكر مثالا للحب مع الله وكأنه كفى بما عزاهته إلى أكثر عوام المسلمين من العلو في الصالحين وحبه لم كعب الله وهو عين ما ينكره الوهاية وما ظن أنهم كانوا يهتمون بذلك جميع أفراد المسلمين ، والا كانوا مجانين

❦ رسالة المحبوب . من باب الانتقاد على المنار ❦

أرسل النا بعض علماء تونس رسالة كان كتبها رجل اسمه السيد عمر المحبوب التونسي في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب التهدي في زمنه وطلب منا ان نين رأينا فيها ، تصفحناها هي وما ألقى بها في نحو من نصف ساعة فلم نجد فيها شيئا يزيد على ما تلوكة العامة في هذه المسائل وعلنا من الذيل الذي ألحق بها انها طبعت معه بعد الحادثة التي وقعت معنا بدمشق في آخر رمضان من السنة الماضية لتكون دنا علينا فيما شاع من أن سبب تلك الفتنة تأييدنا لمذهب الوهاية . فإرحنا لو تلاه الجلاء الساكن الضمراء الذين نهيبهم الأكاذيب إلى إظهار جهلهم وطاعة إفسالهم العدائية لمن هو لهم صديق غير عدو وإن كانوا لا يميزون

قد علم الخاص والعام ان حادثة الشام لم تكن مقاومة لمذهب الوهاية ولا انتصارا للسنة السنية وإنما كانت انتصارا للاستبداد على الدستور ، وإثارة للظلمات على النور ، وإن خطيبي قتها الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي قد حاولا مع رؤسائهم من مدبري تلك الفتنة إثارة فتنة اعظم منها باسم الاسلام اذ نشروا تلك الجمعية القسادية التي أطلق عليها (عمومها وخداما) اسم الجمعية المحمدية ، لذلك اختفيا عن الأنظار ، ووليا الأداة ، لانصر الله الدستور ، وخذل الضرور ، وأنشأت الدولة العلية بها كزعما للفتنة الذين كانوا يحرضون على الثورة ، ثم ظهر الخطيب فاستطاع ورفع أمره إلى الاستانة . ومعلوم ان صالحا التونسي من دعة ابي الهدى دجال عبد الحميد الذين كفى الله المسلمين شرهما (والعاقبة للمتقين) وانا ندعو صاحب الذيل الطويل لتلك الرسالة هو وجميع من على رأسه من

علاء تونس الى المناظرة جزا فيما يزعمون ان النار أخطأ فيه بأن يذكروا المسألة التي يزعمون انها خطأ والدليل من الكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس على ذلك مع التصريح بأسانهم ونحن نجيب عن اقوالهم ونجمل اهل العلم والفهم في المشرق والمغرب حكما يثبت ويثبتهم . وانما نشترط ان يصرحوا بأسانهم لتعلم قيمة الحق منهم والمعدل في الحال ، ويحفظ التاريخ ذلك لاعتقائهم في الاستقبال ،

على ان صاحب الذيل المشار اليه لم يذكر مسألة الاجتهاد من خطأ النار الا مسألة تطهارة العطر الا فرنجي والكحول وكذا ما سماه تحليل مقتولة المتق والمضروبة على الرأس ولبس القبة الافرنجية - المسائل الثلاث التي كانت موضوع فتوى الاستاذ الامام منذ سنين فان فرضنا ان ما كتبه النار فيها كان خطأ فليدلوها على كتاب من كتب الفقه او الحديث أو التفسير ليس فيه مسائل كثيرة متقدمة لخالفها للكتاب أو السنة أو لما رجحه العلماء الآخرون المخالفون لأولئك المؤلفين لها في اجتهادهم او فهمهم

اذا كان صالح التونسي وعبد القادر الخطيب الدمشقي قد تصديا لفئة بدمشق يباعث السياسة وهما يطعانانها باغیان غمطان فيحتمل ان يكون احمد جمال الدين صاحب ذيل هذه الرسالة حسن النية لشئ من العذر بجهله . وهل يرجح من مثله ان يفهم دقائق مباحث النار الاجتهادية وهو الى اليوم لم يفهم معنى العبادة بل اتبع فيها الشيخ المحبوب الذي لم يعرف كيف كان اساس دعوة الاسلام النهي عن عبادة غير الله تعالى الى عبادته وحده كما نينه قريما ؟ فكيف يتكلم في مثل شيخ الاسلام ابن تيمية الذي لم يسمح الزمان له بتظير اما رسالة الشيخ المحبوب فليس فيها شيء الا وقد سبق لنا تخريره في النار

ولا يفهم العامة وروساؤهم من أصحاب الماهم من اعادة القول في باب مواضع الخطأ فيها الا ان النار يتصور الوهاية ، على ذلك الشيخ الذي ينسب الى ما لا يفهمه من السنة السنية ، وما كان النار ليتصور لمذهب من المذاهب او يتصف بصفة الفئات . وانما يؤيد الكتاب والسنة ويحكمهما في اقوال المتقدمين والمتأخرين . وأما امثال هذا المعرض المسكين فان قصارى علمه ان يحفظ كلمات من بعض شيوخه المعاصرين او المؤلفين المتأخرين الذين ليس لا كثرهم من العلم الا نسخ كتب القدماء مع زيادات يستلزن ببعضها العامة وببعضها الآخر الملوك والامراء ،

يظهر ان الشيخ المحبوب كان ممن يعبر عنهم بالأدباء ، ولم يكن من العلماء ، فقد ظهر في رسالته تشبيهه في المعياء والشم ، وقصوده في مسائل الدين والعلم ، وهو لم يذكر في رسالته كلام خصمه ، فوازن بينهما وبين رده ، فنكتفي إذا بالإشارة إلى بعض خطاه وضعفه ، ليعلم انه لا يوتق بعلمه ، مع عدم تعرضه لخطأ خصمه وصوابه ، قال في (ص ٤) في رد انكار خصمه ما نقله العامة عند قبور الألباء والصالحين من الاستفاضة والتوسل والتعظيم « معاذ الله ان يعبد مسلم تلك المشاهد ، أو أن يأتي إليها معظما لها تعظيم العابد ، أو أن يخضع لها خضوع الجاهلية للاستصام » وان يعبدوا بركوع أو سجود أو صيام . » وقول ان هذا القول يدل على ان المحبوب لم يكن يعرف الواقع الذي عليه الجلم الخفير من العامة أو انه يعرفه ويقول غير ما يعلم ، وأنه لا يفهم معنى العبادة بل يتوهم انها عبارة عن الصلاة والصيام وسائر التكليف الشرعية فقط كما قال مقلده صاحب الذيل في (ص ١٩) في قوة رده : « وما دري (أي ابن عبد الوهاب) ان العبادة الشرعية هي التكليف التي اشتملت عليها الشريعة سواء كانت مقولة المعنى أو نصية » وقد جهل صاحب الذيل كصاحب الاصل ان أول شيء دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ان يعبد الله وحده وان لا يعبد سواه . دعا إلى ذلك قبل ان تشرع التكليف الصلية من الصلاة والزكاة والصيام فهل يصح ان يقال ان المراد بانتهي عن عبادة غير الله تعالى هو ان تكون التكليف التي تشرع بالتدريج خاصة بالله تعالى ؟ هل يصح ان يكون معنى العبادة شيئا لم يكن مبروقا ولا مشروعا ؟ يا حشرة على المسلمين ، الذين ابتلوا بأمثال هؤلاء الموقنين على ان أمثال هؤلاء الضمطاء يذنبون إذا جهلوا معنى العبادة لأن من كانوا يستطيعون تحديد الحقائق من العلماء عدوا معنى العبادة من البهيميات فلم يتوايهاه ولذلك لم يشهر عنهم قل في تحديده . وأما الأقوال المشهورة فيه عن القوم وغيرهم فليست حدودا بل لا يبلغ بعضها ان تكون رسوما تامة أو ناقصة وقد بينا ذلك مرات كثيرة ومنه ان أعظم مظاهر العبادة الدعاء وفي حديث البراء عند أحمد وابن أبي شيبة وأصحاب السنن « الدعاء هو العبادة » وفي رواية ضعيفة للترمذي من حديث أنس « الدعاء : مع العبادة » وهل يكابر أحد في دعاء الالوف والملايين من عامتها الموتى من

الصالحين إذا كان لا يتجمل من إنكار المحسوسات؛ ألا أنهم لا ينكرونه ولكنهم يؤثرونه لم بانهم لا يقصدون به العبادة وإنما يقصدون التوسل ١١ الفاظ يلوكرتها ولا يفهمونها ، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول «الدعاء هو العبادة» أي هو الفرد الأعظم من أفرادها ، والركن الأكل من أركانها ، كقوله «الحج عرفة» فتجويز دعاء غير الله كتجويز الصلاة لغير الله بدعوى عدم قصد العبادة وتسميتها توسلا أو ما يشاء أهل التأويل من الأسماء قال المحجوب (ص ٤) «وأما ما جئنا إليه وعولت في التفكير عليه ، من التوجه إلى الموتى ، وسؤالهم النصر على العدو ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها الأوب الأرحمين والسماوات ، إلى آخر ما ذكرته موقدا به نيران الفرقة والشقاق ، فقد أخطأت فيه خطأ مينا ، وابتغيت فيه غير الإسلام ديننا ، فإن التوسل بالخلق مشروع ، ووارد في السنة القوية ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشاع الخديث الشريف بذلك مقصود ، وأدله كثيرة محكمة ، تفنيق المارق عن استقصائها بكل البراع إذا كلف باحسانها ، » ثم ذكر أن استسقاء عمر بالعباس (رضي الله عنهما) وحديث طلب عمر الدعاء من أويس القرني ، ومسألة الشفاعة ، والرهاية لا ينكرون أن الاستسقاء ولا الدعاء ولا الشفاعة ، وتنب ابن نجيعة التي هي عندهم في هذا الباب مثبتة لهذه المسائل مينة لما أتم بيان وهم يحتجون بها على الذين يدعون أصحاب القبور فيقولون أن عمر والصحاب لم يدعوا العباس أن يسقهم النبيث كما يدعو جمهور عامتنا الاموات ان يقضوا لهم حاجاتهم . وإنما كان توسلهم بالعباس هو جطله أماما لم في الاستسقاء فصلى بهم ودعاهم آمنوا على دعائه ويقولون انه ورد فيه ان عمر رضي الله عنه قال « اللهم انا كنا نتوسل اليك ببنا وانا نتوسل اليك بهم نينا فاسقنا » وهذا دليل على ان الميت لا يتوسل به وان كان حيا عند الله تعالى . وأقول ان المسألة ليست من باب ما يسووه اليوم بالتوسل وهو ان يدعى غير الله تعالى ويطلب منه شيء ما وإنما هو استسقاء كما تقدم . ويحتجون به من وجه آخر وهو دعاء العباس الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وهو اللهم انه لم يزل بلا الاذنب ولم يكشف الابنوبة وهو نفس في ان كشف الضر لا يكون بسبب الاشخاص وإنما يكون بالتوبة الى الله والرجوع اليه وحده . وفي الحديث روايات لا تصح (لها بقية)

باب الاخبار والآراء

(جمعية الأعماد والترقي)

استحسن العقلاء في سورية ما كتبناه في الجزء الثالث من مجل ما يتقدمه الناس على هذه الجمعية وكتب البنا غير واحد يقول ان المتدين من أعضاء الجمعية أنفسهم استحسنوه وعدوه من النصح الخالص . وقد استنكره آخرون مع ما عهدوا من تأييدنا للجمعية في المناظرات والخطب زيادة عما يكتب في المنار . وقد يعذر المستنكر لذلك اذ لم يكن يصل ذلك الجزء الى سورية الا وقد ظهرت خفايا ثورة الاساتذة وعلم الناس انها دبرت في « يلدز » لمحو آية الدستور وإعادة استبداد عبد الحميد الى شرعما كان عليه ، وفر أعضاء الجمعية الى سلا نيك مستنصرين مستصرخين يفضون غيرة الموت قتلا وغيلة عن رؤسهم

فم اننا كتبنا ما كتبنا قبل ظهور تلك المكيدة ولنا قبل طبع الكراسة الاخيرة من ذلك الجزء عطنا يعض بواحد الفتة قاشرنا اليها ، هو صريح في الميل الى الجمعية والدعاء لها بالانتماء . ومع هذا كله ترى ان التعريف بما ينكر الناس عليها وما يقولون فيها ضروري لاسيما ممن يحمدها ولا ينكر فضلها

اننا لخصنا الكلمات التي يرجع اليها انتقاد المتقدمين من غير مواضعهم على كل ما يستقدونه وسكتنا عن بعض الجزئيات التنظيمية التي هي من قبيل تعيين بعض الاشخاص والأعمال المكررة . وهل تؤمن عاقبة اشخاص يعملون بقوة في مملكة واقعة في اشد الحرج وهم لا يسلطون ولا يتقدمون ؟ وقد كان الصعابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في بعض رأيه في السياسة والحرب حتى يرجع عنه ، فهل كانت الجمعية اجدر بالتدريس منه ؟

اننا قد صرحنا هناك بفضل الجمعية علينا في الانقلاب ولما ذلك الفضل لأفراد ربما كان العمل الآن في أيدي غيرهم ممن لم يكن لهم عمل قط في الانقلاب وقد دخل في الجمعية خلق كثير منهم من لا اخلاق لهم ولكنهم أصحاب دهاء أو حظ — على ما يقال — وقد ينحذب بعضهم للجنة العليا العاملة . كما ان الانجاء المركزية في

بعض البلاد فيها من عرف ومن لا يعرف من لا خلق لم ولا عرفان ولا إخلاص
 قبل يقول عاقل ان مصلحة الامة أو مصلحة الجمعية أن تعد الجمعية مقدسة في جميع أعمالها ؟
 وقد أبدناها أيضاً في ذلك المقال من حيث الحاجة الى بقائها وتأييد الجيش
 لها إذا حدث ما يخشى منه على الدستور مع اعتزاله للسياسة في عامة أحواله قبل
 فوق هذا التأييد من تأييد ؟ على انه تبين ان الجيش حام للدستور على كل حال
 انه وأيم الحق قد راعنا عندما عدنا من سورية الى مصر ما سمعناه من
 أحرار الترك وسائر الثنائين من الانكار على الجمعية في تصرفها وعلنا ان الانكار
 والاستياء في الاستانة أشد فحشاً ان ينتج ذلك مما لا تحمد عاقبته إذا لم تتداركه
 الجمعية ، فكان ذلك هو الباءث لنا على كتابة ما كتبنا وما كنا إلا ناصحين

* * *

(طعن المؤيد في الدولة العلية الدستورية)

ظهر المؤيد بمظهر الساخط المذقت للحكومة الدستورية في الدولة العلية وقد كادت
 تمضي السنة الاولى لها وهو يكتب عنها بقلمه وأقلام بعض محرريه ومكاتبيه شراباً يسمع
 وما يقرأ ، وشر ما يتخيل ويتصور ، وقد أروى بذلك بعض الأغوار من المصريين
 الخدوعين بما كانوا يقرنون في الجرائد من إطراء عبد الحميد ، ولكنه أسخط العقلاء
 ونحواس الامة المصرية حتى اتنا سمعنا بعض الكبراء الذين يعرف صاحب المؤيد
 صدقهم واستلالم يقول اني لم أر أحداً من الخواص يهتد المؤيد على خطه هذه
 وقد اختلف رأي أهل التحليل في سبب اختيار صاحب المؤيد لهذه الخطوة
 فقال بعضهم إنه قد أسخط في سنيه الأخيرة جمهور أهل بلاده من جميع
 الطبقات حتى الأزهرين وهو يعلم ان حسن الظن بعبد الحميد خان غالب فيهم
 فأنشأ يدافع عنه ويطعن في الحكومة الجديدة ليستميل بذلك الجمهور الساخط ومن
 هؤلاء من يقول ان الجمهور سخط على المؤيد لتذبذبه واتباعه لهو له دون مصلحة الامة
 ومنهم من يقول بل لا اعتداله في الكلام عن الحكومة والمحبتين وهذا هو الأقل
 ويقول آخرون ان سبب اختيار المؤيد لهذه الخطوة هو اتفاقه مع عزت باشا
 العبد وغيره من اعوان عبد الحميد على اسقاط الحكومة الدستورية وإعادة الحكم

الحجدي السابق ولما خلع عبد الحيد وأخرج من عاصمة السلطنة كان الأصرار على الاتصاف له من دعوى الثبات على الرأي

ومن الناس من يقول ان المواطأة بين عزت العابد وحزبه انما هي على تأسيس دولة عربية وخلافة جديدة . وقد تنصل المؤيد من هذا ولعن من يسمى اليه

ومتهم من يظن أن صاحب المؤيد يخدم بذلك انكثرا التي يجب ان تمحو نفوذ الدولة الدينية من مصر والهند وان جامعتها في أوروبا وان لهايدا في بحريك سطح مسلي

الهند على الحكومة العثمانية الجديدة ، وهذا إغراق في سوء الظن

ومتهم من يرى ان صاحب المؤيد لما كان يعلم ان جمعية الاتحاد والترقي تنفذ

انه من جواسيس الحكومة العلية وشيعة عزت العابد لاسيا بعد ان أظهر ضلعه

في أول العهد بالاهلاب وميله الى الماضي وانما لا بد ان تتخذة خصما وعدوا -

هاجها هي وحكومتها بقوة لها تخافه فتسمى الى اسمائه فلا يجرم من الكرامة

في الاستانة وسورية في كل مصيف

ومتهم من يرى انه لعله بما كان من فتك عبد الحيد خان بالدولة والامة اعتقد منذ

حدث الاهلاب أن الدولة لم يبق فيها رفق فتنبض بحكومة دستورية فاما ان يعود

عبد الحيد الى استبداده وإما ان يسقط الدولة بتدميره الماضي وكيدته الحاضر فصار

يكتب ما يكتب وهو يظن ان الايام مستهدفة بفشل الدولة وسقوط الدستور أو

ما هو أعظم من ذلك فيظهر بمظهر السياسي الخبير والمحج الثيور . ويظن أنه لا يبعد

ان يكون سمع من كبار الاجانب أو عنهم بنفسه أو بواسطة عزت العابد شيئا من

هذا المعنى لان الاجانب شعروا بالدسائس التي كان يدبرها عبد الحيد واعوانه

واعتمد الخيرون منهم ان قوة الدولة ستكون قسرين يتصادمان فيساقطان وقد

أعدوا لذلك عدته . ويحمد الله ان كذب هذا التشاؤم

لماذا تضاربت الظنون واختلفت الآراء في إنحاء المؤيد على الحكومة الدستورية

في الدولة العلية ؟ أليس لانه كان في زمن عبد الحيد يدافع عنها بالحق وبالباطل

فيخفي عيوبها ويحجل سيئاتها حسنا ؟ نعم ومن العجب ان يعكس الأمر الآن

فينجي عليها بالحق وبالباطل ويحجل حسنها سيئات

يقول انه يعتقد حقبة ما يكتب . و تقول لماذا لم يفتخر من الحق الا ما يصره
ويضر نشره ، ومتى كان السياسي سوف يصرها قروا العقائد كما هي مهارتب عليها أليس
عند هؤلاء الصديقين من الاسرار الباطنة ما لا يجوزون نشره ، لانهم يخشون ضرره ؟
يقول انه يعتقد بهذه الشدة النفع بأرجاع جمعية الاتحاد والترقي عن غرورها الذي
براه ضارا . تقول ولماذا يخفى عليه غروره في هذه الدعوى فيقول ان هذه الجمعية
تتغير جريده العريية لترجها وتعمل بضاعتها وهي لم تصل بما قام في وجهها من
الاحزاب والكتاب الذين هم أبلغ منه قايوا علم يمكن الاتقاد ولماذا خفي عنه الآن
عما كنت أعهده كغيري عذرا له في دفاعه عن الحكومة الجديدة وهو ان اظهار سيئات الدولة
وعيوبها يسقط منزلها من نفوس المصريين وغيرهم من قراء المؤيد فيكون ذلك
ضعفها على ضعف ؟ أليس إسقاط نفوذ الدولة الآن أشد ضررا من إسقاطها في
المصر الماضي عصر الظلم والتخريب والتدمير ؟ بل ان خطة المؤيد الجديدة يخشى
ضررها ولولا ان الجرائد التي تناقضها في القطر المصري نفسه أوسع منها انتشارا
لاضلت وأضررت الجمهور وما يرجوه صاحب المؤيد من التأثير في نفوس لجنة جمعية
الاتحاد والترقي لا يوازي هذا الضرر لو حصل على انه بطن الدولة لا الجمعية وحدها
ان خطته هذه قد سلبته أنفس حلية كانت له في أنفس المسلمين لاسيما سلمي الدولة العلية
الذين بهم لم سائر مسلمي الأرض وهي انه صاحب الجريدة لا سلامية العربية الكبرى
التي تدافع عن الخلافة والسلطنة وتؤيد نفوذها والآن ترى الجرائد الثمانية في عاصمة
الدولة ولولاياتها تنطق بلسان واحد صاعبة ان المؤيد عدو الدولة والخلافة عدو الدين
والملة وقد احرقه جواهر الناس في بلاد كثيرة حتى بلاد الحرمين ونادوا بإسقاطه
وما كان أغاه عن التصدي لهذه العاقبة التي لم تكن في حسبانته

فم ان صاحب المؤيد صار من هذه سنين على غير ما كنا نعتد به : صار لا يبالي برأي
احد ولا بنصحه ولا يحسب للعواقب حسابا ويرى ان الدنيا كلها اذا قامت عليه اليوم
فانه يسهل عليه ان يستميلها اليه غدا ، ولكننا رأينا هذه الشاة قد أضرت ولم تنفعه .
هنا هو رأينا ان كان قبله وهو يعلم اننا لا نقول الا ما نعتقد ونتمنى لو يقدر بافضل على استمالة
الدولة العلية والأمة الثمانية بما يكتبه بعد فيرجع عن اجتهاده ذلك الى ضده والله الموفق

هو في الحكمة من شاموس وقت الحكمة فتداني
غير كثيرا وما يسكر الا اولو الالباب

المعجم

١٣١٥

فيهم عبادي الذين يستمرون التزل فيهمون أحسنه
أولئك الذين عداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام معنى و « مناوا » كمنار الطريق

(مهر السبب سلف جادى الآخرة ١٣٢٧ — ١٧ يوليو (تموز) سنة ١٢٨٥ ١٩٠٩ م)

فَتَايَا الْمُبْتَائِنِ

فتحننا ههنا الباب لا حابة أسئلة الشكرين خاصة ، اذ لا يسع الناس طاعة ، ونشترمل على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر ماله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالأول ورعنا الله من انما خرا لسبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه ورعنا أحيانا غير مشترك لعل هذا ، ولما مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فاقلم نذكره ، كان لنا نادر صحيح لافعاله

(الهجرة وحكم مسلمي البوسنة فيها)

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في البوسنة *

بعد السلام عليكم يا فضيلة الأستاذ الأكرم ، والعلامة الفهامة المهام الواحد حجة الاسلام ، وامام أهل الحق وغفر الأثم ، العالم العامل الفاضل الكامل المحقق ، والبحر التحرير الفيلسوف الحكيم المدقق ، الأديب اللبيب ، فريدا العصر ، ووحيد الدهر ، سيدنا ومولانا ومرشدنا ، الشيخ محمد رشيد رضا ، عمره الله وحياه بأحسن الحياة ،
أقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وقره أعيننا رسوله الداعي الى سبيل الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المتدينين بهديده والذين اتبعوهم باحسان الى يوم الحشر والجزاء ،

أما بعد فقد أخبرني بعض المصاحين بان واحدا من علماء الاستانة قد اتفق ان أهق وعظا في جامع بمدينة عندنا ، فن جملته ان قال فيه بوجوب الهجرة علينا وعدم صحة التكاح ونحوه بعد ما ألحقت النساء وضمت (ولاية البوسنة وهرسك)

(ان السائل من المأين في حب النار وصاحبه فهو بطرنا بالألقاب والنعت التي نفضل من ذكرها وإنما نشرها عملا بما جرينا عليه اخبارنا من نشر الاسئلة بنصوصها كما جرى عليه علمونا من قبل الا من اذن لنا بتصحيح بعض اغلاطه اللفظية

إلى أملاكها وملكتها . وشدد أيضاً فقال إنهم صحة أركان الاسلام تحت حكمومتها مطلق الصلوة فالجمعة داخلية في ذلك ونحو الصيام والحج والزكاة ، فاضطرب منه أكثر من سمع ما قل اضطراباً شديداً ، فلنا منهم بان حقيقة الامر كما قال :

فيا سيدي ومولاي وقرّة عيني ويا ناصر الحق والسنة ، ويا قاع البدع الدينية الذليلة الشنيعة ، ويا كاشف الغمة عن هذه الامة المرحومة ، ويا مقتدي الامة ، وقُدوة الامة ، ويا رحمة الله لهذه الملة الحنيفة ، أرجو من حضرتكم ، ان تفضلوا بالجواب الواضح الشافي عن قول ذلك العالم ، على نحو ما اهتديتم بالكتاب والسنة السنية ، مع البراهين والأدلة الشرعية المرضية القوية ، كما هو دأب جنابكم على صفحات المنار المنيرة أدام الله ضياءه الى يوم الحشر والقرار ، وذاك في عمر سعادة صاحبه وعامله نحو ما عامل القويين من عباده المثقين ، وجزاهم نحو المجزي المحسنين من عباده المخلصين ، انه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، الداعي والمستدعي

قارئ المنار المنير وصديقكم المطيع الخالص وصديق أصدقاء المنار

المنير وصاحبه ومحبه وعدو عدوهم وبفهمهم العبد الضعيف التحيف

المقبر الحقير الي رحمة ربه العلي القدير تراب أقدام انصار الحق محمد

ز . ه . د . ، تارابار من طلبة المدرسة الفضية بمدينة تراونيك (بوسنة)

(ج) لاشك ان ذلك التركي قد اخطأ في جملة ما قاله والصواب انه لا تعجب

الهجرة وجوبا عينيا على من كان متعكفا من إقامة دينه آمنا من الفتنة فيه وهي الإكراه على تركه او المنع من إقامة شعائره والعمل به وهو نحو مما قاله عائشة فهي البخاري انها سألت عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر دينه الى الله ورسوله مخافة ان يتن فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام والمؤمن يصدر به حيث شاء » والأصل في المسألة آية « ٤٧ : ٤٨ » الذين توفاهم الملائكة « وستأتي ، وفيها أحاديث وآراء العلماء نذكر أهمها : فاصح ما ورد فيها حديث ابن عباس عند احمد والشيخين وأصحاب السنن الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استغفرتم فافروا » وروي مثله عن عائشة في الصحيحين وروي احمد والنسائي وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن عبدالله بن السمدي ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « لا تقطع الهجرة ما قوتل العدو » وهو يوافق حديث ابن عباس في وجوب الثغر على من استنفر للجهاد الشرعي وترك وطنه لأجل ذلك وهذا لا وجود له الآن

وأما حديث جرير بن عبد الله عند أبي داود والترمذي « أنا بري من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وتعليقه ذلك بقوله « لا تراءى ناراها » فقد صحح البخاري وأبو حاتم وعرجاه وغيرهم إرساله إلى قيس ابن أبي حازم وفي الاحتجاج بالمراسيل اختلاف المعروف في الأصول ورواه الطبراني موصولا . وهو لا ينطبق على أهل يوسنه لأنهم ليسوا بين أظهر المشركين . وقد كان للإسلام سياسة خاصة في مشركي العرب . وفي الباب حديث عن معاوية رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد اشترأ إليه في الجزء الماضي وهو أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تقطع الهجرة بقطع التوبة ولا تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » وهذا الحديث قال الخطابي « أسنده فيه مقال »

أما أقوال العلماء في أحكام هذه الأحاديث فنذكر منها ما أورده الشوكاني في شرح المنتقى في الجمع بينها قال : وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم هلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو ، انتهى قال الحافظ (ابن حجر) وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى من يؤذيه من الكفار فانهم كانوا يذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزلت « أن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » الآية . وهذه الآية باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقد ورد على الخروج منها . وقال الماوردي إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر قد صارت البلد به دار إسلام فالقامة فيها أفضل من الرحلة عنها لا يترجى من دخول غيره في الإسلام . ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في

دار الكفر . وقال الخطابي أيضا ان الهجرة افترضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة الى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع المواالات بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال (٨ : ٧٣) والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الاسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستجاب . وقال البغوي في شرح السنة بمقتل الجمع بطريق أخرى قوله « لا هجرة بعد الفتح » أي من مكة الى المدينة ، وقوله « لا تقطع » أي من دار الكفر في حق من أسلم الى دار الاسلام ، قال ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله « لا هجرة » أي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان بنية عدم الرجوع الى الوطن المهاجر منه الا بإذن ، فقوله « لا تقطع » أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الاغراب ونحوهم . وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الامام عبيد بن رافع بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي ان يفتن على دينه . ومفهومه انه لو قدر ان لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تقطع لا تقطع موجبا وأطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال السافظ وهو إطلاق مردود . وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلا هي القصد الى حيث كان . وقد حكى في البحر ان الهجرة عن دار الكفر واجبة اجماعا حيث حل على معصية فعل أو ترك أو طلبها الامام بقوته لسلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر وبعض الهادي الى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لانها دار اسلام والحق دار الاسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعم الرواية ولا لعم الدراية والفتية في تفاصيل الدور والاعذار المسروقة لترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها . اهـ

ما أورده الشوكاني وهو زبدة ما قبل في شرح الأحاديث من علمائه
أقول انك تجدهم قد اختلفوا في كل وجه من وجوه المسألة الا اثنين احدهما
عدم التمكن من اقامة الدين بالفتنة وهي حمل المسلم على الكفر أو مخالفة دينه في
فعل أو ترك أو الجهل ، وثانيهما الجهاد الديني أي المتعلق بحماية دعوة الاسلام وأمن
أهله على دينهم وحقيقتهم ففي هاتين الطائفتين يجب الهجرة بلا خلاف . أي على من
عجز عن إقامة دينه سواء كان واحداً أو جماعاً وعلى من احتجج إلى جهاده وكان فقهه مما يميز
المسلمين ويفيدهم في الدفاع المطلوب شرعاً . فأما هذا الوجه فنالين الظاهر انه لا يتحقق
في أهل بوسنة الآن فاقدم وما أظن ان الوجه الأول متحقق فيهم أيضاً وهم اعلم بأنفسهم
ويدخل في باب الوجه الأول الهجرة الى طلب العلم الواجب عند الحاجة الى
ذلك فان لم يهاجر من يتعلم ويعود ليعلم ثم جميع المسلمين الذين قدنوا هذا العلم في
وطنهم . وكذلك الهجرة من المكان الذي فشا فيه الفسق والمجاهرة بالمنكرات
وصارت التربة على التقوى والصلاح متعذرة فيه . وقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال :
تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها . واحتج بصنيع أبي الدرداء
في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالرب فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من
وزنها ، رواه أهل الصحيح . وقال مالك في موضع آخر اذا ظهر الباطل على الحق
كان الفساد في الأرض . وقال لا تنبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها غير الحق . اهـ
أقول وإنما يكون هذا من الأفراد الذين يتعذر عليهم إزالة المنكر فان وجد جمع
يقدروا على إزالة المنكر وجب ذلك عليه دون الهجرة

ومن قال انه لا يظهر له دخول هذا في الوجه الأول قلنا لك ان تسده
وجهاً آخر وهو ظاهر . ولا حاجة الى قياس الفسق على الكفر ليصح ما ذكر من الهجرة
من حيث يشقو الفسق ويتمذر الصلاح أو يتعسر الى حيث الصلاح والخير
وجملة القول ان المسلم يجب عليه ان يقوم بالحق والخير كما يرشده دينه فان عجز عن
ذلك في بلاد وجب ان يهاجر منها الى حيث يقدر عليه والا كان ظالماً لنفسه وقيل
له يوم الحساب اذا اعتذر باستضاف الكفار او الفساق له ومنعه من العمل بدينه ألم
تكن أرض الله واسعة قتهاجر فيها ؟

اما ما زعمه ذلك الواعظ التركي من عدم صحة النكاح وأركان الاسلام في بوسنه بعد إلحاقها بالنسافو باطل ، لا يصدر مثله الا من جاهل ، ولولا إباحة ما حرم الله على المسلمين من التقليد لما كان لهذا الجاهل من سبيل تشكيك أولئك المسلمين الذين سمعوا وعظه في عبادتهم وعقود زوجاتهم اذ الوعظ ببيان كتاب الله وسنة رسوله لا يأتي فيه شيء من هذه المزاعم والأباطيل . فتي تستنير بصائر جماهير المسلمين ويضمضون بحبل الله حتى اذا حاول ان يثبت بدينهم عايت طالبيه بما عنده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءهم بهديهما قابوه ، والاردوا ما جاء به ورفضوه ؟ ؟

لا فرق في العبادة والنكاح بين المسلم في دار الكفر والمسلم في دار الاسلام وإنما هنالك احكام تتعلق بالمعاملات السياسية والمدنية والحربية وأدخل بعضهم في السياسة صلاة الجمعة ، ومن البديهي ان المعجزة لم تكن حكما لازما في زمن كرمز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنصره والاخذ عنه ولما كان من اشتداد المشركين في ايداء المسلمين قبل فتح مكة ومع ذلك لم يرد في السنة من التشديد على من لم يهاجر شيء مما زعم هذا الواعظ الجاهل قد روى أحمد وروى أحمد وأصحاب السنن وغيرهم من حديث بريدة انه قال قال رسول الله (ص) « اذا هبت عذوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فإيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا فلهم ماله المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في القضية والقي شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلمهم الجزية فانهم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » الخ . واما ما قالوه في دار الكفر ودار الاسلام فلا حاجة الى بسطه هنا وقد سبق لنا بحث فيه من قبل فليراجعه من شاء .

﴿ خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان ﴾

(س ٢٦) من م. ا. هـ. في سنن ترمذ

سنن ترمذ في ٧ جمادى الأولى ٣٢٧

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار النيرة بمصر
قد أتى على المسلمين بهذه الاصقاع حين من الدهر وهم لا يسمعون الخطبة في
مساجدهم غير خطب ابن نباتة أو نحوها فتعودوا سماع فضائل الشهور ويأن قرب
الساعة والحث على ترك الدنيا إلى غير ذلك ولما كان الزمان في قلب دائم حصلت
الفرصة في الجمعة الماضية للفيروز الأديب الشاب المحبوب عباس بن محمد طه فأنشأ
خطبة تناسب الأحوال الحاضرة بهذه الجملات تمام المناسبة ثم رقي المنبر بالجامع الكبير
المسمى (مسجد سلطان) فخطب خطبة تؤثر في نفوس الفيروز بن وإن خطيب المسجد
لم يخطب في ذلك اليوم نظراً لما كان عليه من المدرثم طفق الجامدون بعد فراغ الصلاة
يشيعون أن الخطبة لا تليق أن تكون خطبة للجمعة لأن فيها تكفير المسلمين وذمهم
ومدح الكفار مع أن خطبة الجمعة دينية محضة وما في هذه الخطبة من أمور الدنيا وقبيح
أحوال المسلمين ورفع شأن الكافرين محل لنظر الدين ولذلك قال هؤلاء أنهم لا
يريدون أن يصار الجمعة في هذا الجامع إذا أعيدت تلك الخطبة حتى بالغ بعض الناس
في سب ذلك الخطيب وسمعت ذلك أنا والشيخ عبد القادر وغيره فقلنا أن كره
المؤمنين هذه الخطبة قد بلغ الناية وإنا قد اطلنا على الخطبة عند بعض معارفنا فقلت
منها عدة نسخ نسخة منها لتقديمها إلى مجلتكم النيرة وهذه هي الخطبة :

الحمد لله الذي جعل الجمعة من أسباب الاجتماع . قرأ فيه المواعظ التي تزيّن غشاء
الأسماع . فتأثر منها القلوب والطباع . وفتح بذلك أبواب الخير والاتقاع . أحمد
سبحانه وتعالى على جزييل الفضل والإحسان . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له المنان . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالبيان . اللهم صلى
وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وأوان . أما بعد فإعباد الله: إن

ما حل بنا من ضعف وهوان . وفساد في الاعمال وخسران . من سوء تربية في
الصغر تولد منه في الكبر فساد وطفیان . وتهاون بالصلاة وتجاهر بالعصيان وموت
شعور عند سماع أوامر ونواهي القرآن . وكثرت الخرافات والاهام . ادخلها الجاهلون
وصبغوها بصبغة دين الاسلام . ومعظم أهل زماننا هذا هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان . والمعصية في الاعمال والاديان . اعظم منها في الاموال والابدان . ونحن نعلم
كل ذلك علم اليقين . وأهلنا شئنا الدين . فوقنا في شدائد مراكمة . ونظرت الينا
الاجانب نظر تحقير وملاحة . وإن التباعد عن الاهتداء بهدي الشريعة الكريم . وعدم
التمسك بهروة الدين القويم . قد أدى بنا ذلك الى الاملال . والاضططاد وشرا المآل
وديننا يأمر بالتعاون والاتفاق . ونحن نسعى الى التنافر والافتراق . حتى ذهبت اعمالنا
ادراج الرياح . وضاعت اوقاتنا بين الجدل والمزاح . ولا تقدر على القيام بمهام الاعمال
ولا على متابعة الاشغال . فآلت امورنا الى اسوء الحال . وخابت الآمال . وانا لو
تحدثت كلماتنا . وصبرنا حزبا متعاونا . ساعيا في مصالح امورنا . في ديننا ودنيانا .
لكان اكبر الاعمال هتنا . ونجح نجاحا مينا ، واذا نظرنا الى حال الامة الغريرة ،
ذات السعادة والرفاهية ، وجدنا انها تدرجت على اصول الاسلام ، وبذلت الجهد
في التعاون والاتحاد والائتلاف ، كان اكبر المشروعات عندها من اسهل المكنتات ،
وان كان عندنا يعد الناس نجاحا من المستحيلات ، وهم يقنون الشركات ،
ويفشون الجمعيات ، ليعود ذلك على ابناء ملتهم بالنفع والفصائل ، ونحن نشي
الجمعيات للتلاوت بادران الخول والردائل ، ويعود ذلك علينا بضعف الديانة ، وتضييع
العناية ، كانت المواعظ عندهم داعية الى التقدم السريع ، وعندنا قد صارت سلما الى تأخرنا
الشلخ ، فياذوي البصار ، ابن البصر والاعتبار ، وما هذه الفعلة والافتقار ، قلت شعري
ما اعتذاركم بعد الانذار ، اما علمتم ان الله لم يخلق الدنيا عبثا ، بل جعلها دار سعي
واختبار ، يقبها بدار جزاء وقرار ، وجعل لنا القول ليعز بها بين النفع والاضرار ، وامرنا
بفعل الخيرات ونهانا عن الاوزار ، ومن اطاعه ادخل الجنة ومن عصاه ادخل النار ،
وليس لنا عليه بعد ذلك حجة ولا اعتذار ، عباد الله تعاونوا واقفوا ، واعتصموا بحبل

الله جميعاً ولا تفرقوا ، (الحديث) قال (ص) اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرك كأنك تموت غداً ، الى آخر الخطبة ، وما دعائي الى افادتكم بهذه الواقعة الا لنصرة الحق وحضرتكم أهل لذلك (المنار) وجاءنا سؤال آخر عن خطبة هناك الظاهر انها هذه بمبينا وهذا نصه

سنافورا ١٣ جماد الاول (٤) سنة ١٣٧٧

(ص ٢٧) من ص . ص .

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد وشيد رضا صاحب المنار بمصر

لا ينفي ان من طبيعة الانسان حب الفخر والشهرة ويوجه كل قوته الى الوصول اليه بأي وجه كان ولا يجوز بحاطره انه امام الملا من الاكابر كالذباة لولا ذلك لما تجرأ بعض الناس على تلاعب بعض أمور العبادة فقلب الخطبة على غير وجهتها اتي شرعت لاجلها فخطب على منبر اكبر الجوامع هنا خطبة تشعرون سماعها الابدان يكفر فيها المسلمين ويهيج اعمالهم ويستحسن اعمال الكافرين وذلك بمسمع من العباد والعلماء ظانين ان ذلك مما يوجب فخره ولا يدري ان الامر بالعكس وقد اقبى العلماء بمنع ان تخطب الجمعة مثل تلك الخطبة ولذلك جئتمكم بهذه الرقعة سائلاً عن رأيكم الصائب في ذلك

(ج) ان المصريين ليسجون من استنكار بعض مسلمي سنافورة لهذه الخطبة التي يسمون كل جمعة في مساجدهم ما هو اشد منها انكاراً الحال المسلمين وتركهم هداية دينهم وإضاعتهن لمصالح دنياهم وتقدم سائر الامم عليهم ، ومن ذلك عبارة يكررها في الخطبة الثانية الشيخ خالد القشبندي خطيب مسجد الست الشامية المشهور بالصالح وحسن الخطبة وهي « اتقوا الله فقد تقدم الاجانب وتأخرنا ، اتقوا الله فقد نشطوا وكسلنا » الخ وهو فهو مما قاله خطيب سنافورة فلماذا استنكره هناك ولم يستنكره هنا ؟ لا سبب لذلك الا أن العلماء والعوام هنا اعلم من هناك بالاسلام والمسلمين وما يحتاجون اليه وهذه هي الخطب التي يسمونها هنا الخطب المصرية ويرجون قائلتها ونفعا

وينتقدون الخطيب القديمة التي مضى عليها مدح للشهور والمواسم بالباطل ودم لدنيا وتزهد فيها على أن تلك الخطيب القديمة المشهورة في جميع البلاد الإسلامية لا تخلو من وصف المسلمين بترك الاسلام وإضاعة الكتاب والسنة والضرارة بالمعاصي والمنكرات وناهيك بتلك العبارة المشهورة التي حفظناها من الخطباء لأول عهدنا بالصلاة في صغرنا وهي «لم يبق من الاسلام الا اسمه، ولا من القرآن الا رسمه» ومهما أكرر المكثرون من الانكار على المسلمين ووصفهم بإضاعة الدين فهم لا يأتون بأبلغ من هذه العبارة ولا يكونون الا شارحين لها

ماذا ينتظر السائلون عن هذه الخطبة من المنار وهو الذي نه منذ سنته الأولى الى وجوب إصلاح الخطابة في المساجد الجامعة وترك تلك الخطيب المحشوة بالباطل المبتدعة لهم، وقد كتبت قبل إنشاء المنار فصلا طويلا في الخطابة أودعته كتابي «الحكمة الشرعية» فهل يفتظرون مني أن أجزئ تلك الخطيب السخيفة المألوفة وما فيها من الاحاديث الموضوعة وأنكر ما يجي به أذكاء الخطباء من المنهات التي تزلزل ذلك الجلود القديم؟ يظهر أن أنكر ما استنكروه من هذه الخطبة هو اقتباس الخطيب قوله تعالى «م الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان» يريد أن الذين تلبسوا بتلك المنكرات التي نهى عنها هم يوم إذا دخلت عليهم الخرافات والاهام وتلبسوا بها أقرب الى الكفر منهم الى الإيمان . وليس هذا تكفيرا صريحا ولا هو في قوم معينين بذواتهم وإنما هو في قوم يأتون ما نهى عنه الاسلام ويتركون ما أمر به فإذا يريدون أن يقول الواقع فيهم اخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي داود وابن أبي حاتم عن مقاتل أن الضعابة أخذوا في شيء من المزاح فانزل الله تعالى فيهم (١٦:٥٧) ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن المعروف عند أهل القرآن أن الفسق والظلم والكفر كثيرا ما ترد فيه على مورد واحد كما ينه في تفسير «٢: ٢٥٤» والكافرون هم الظالمون « وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال : ما كان بين اسلامنا وبين أن عاتينا الله بهذه الآية « ألم يأن » إلخ الا اربع سنين . وعنه قال لما نزلت هذه الآية أقبل بعضنا

على بعض : أي شيء أحدثنا أي شيء أضفنا ؟ فإذا كان رب العزة يحفظ أفضل المؤمنين من السابقين الأولين بمثل هذه الآية فهل يستنكر في مسلمي زماننا مثل تلك الخطيئة ؟ ما هذا الغرور الذي أصابنا ! نسي وطلب الشكر على إساءتنا ؛ وليراجع السائلون تفسير (٢ : ٢١٤) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم (ص ٣٠٢ - ٣١١) ولننظر واما هي النسبة بين أولئك المخاطبين بالآية عند نزولها وبين أهل عصرنا هذا وهم مخاطبون بها أيضا ، ومثلها كثير ننبه دائما في التفسير عليه ونحث مسلمي زماننا على وزن أنفسهم بميزان القرآن ثم سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة اصحابه عليهم الرضوان . ولو شئنا ان نعز ذلك بالأحاديث والآثار لعمنا ولكن المنصف يكفي بما ذكرناه ، والمغرور أو صاحب الهوى لا يقنعه شيء يخالف هواه ، أما اذا كان السائل الثاني يعني بما ذكره خطية غير التي أرسلنا السائل الأول منها وفيها تكفير للمسلمين صريح وتحسين لأعمال الكفار التي هي من كفرهم فلا مندوحة لنا عن إنكار ذلك بشدة . اما الاعمال التي ليست من كفرهم فيها الحسن والقيح قال تعالى في اليهود (٥ : ٦٦) منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

* * *

﴿ أم كلثوم بنت النجي (ص) ﴾

(ص ٢٨) من خليل وشدي افندي ملحق التلخيص بمكتب نابلس الاعدادي

الحمد لله وحده

حضرة الفيلسوف العظيم والأستاذ الحكيم الامام العلامة بحر فهامه سيدي
المرشد السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة (المنار) الاسلامي نور الله قلبه وأدام
مجده على مدى الدوران آمين

بعد اهداء ما يليق بحضرتكم من التحيات الزاكية أعرض لجنايبكم بأن شكرتموا
على هذا العاجز بفسر سوالي الآتي على صفحات مجلتكم « المنار » الأغر وسرد
جوابه بما يتراءى لكم ولحضرة فضيلتكم الشكر والمنة سلفا :

لا ينبغي على جنابكم أحوال تلامذة المدارس من جهة الباحة مع بعضهم البعض ،
فيوم من الايام اجتمعت أنا وبعض رفقائي للباحة وصرنا نتباحث الى ان وصل بحثنا
عن السؤال الآتي :

(١) ما هو أصل اسم بنت النبي (ص) الملقب به (أم كلثوم)

(٢) لأي سبب قُبت به (أم كلثوم)

وطال بنا الجدل في هذا الموضوع واتسمت أفكارنا الى آراء كثيرة وحيث
انه لم نوفق لمرقة السؤالين المرقومين أعلاه قررنا القرار بالتفسير من فضيلتكم
واخذ رأيكم في هذا الموضوع فكلفوا هذا الحاجز بالسؤال من جنابكم
ولأجل ذلك حررت لفضيلتكم هذا التحرير راجيا لإرشادنا في هذا البحث والله
الملم الى الحق والصواب ولكم الأجر والثواب والسلام على من اتبع الهدى ودين
الحق ودينهم

(ج) لا أدري كيف وجدتم ذلك المجال الواسع للخلاف واقسام الأفكار في هذه
المسألة وهي لا تتحمل عندنا خلافا فالعرب كانت تسمي أيمن وأم أيمن وسلمة وأم سلمة
والمعروف أن بنت النبي صلى الله عليه وسلم سميت أم كلثوم ابتداء ولم يكن كنية
كنيت بها بعد ان سميت باسم آخر وفي الصحايات كثيرات سمين بهذا الاسم .
وكلثوم من الكثرة وهي استدارة الوجه

﴿ عهد (موضوع) زعموا انه من النبي (ص) للنصاري ﴾

(س ٢٩) من أحد العلماء في حصص

ان مجلة (روضة المعارف) التي تصدر في بيروت أدرجت في عددها الثالث
عشر من هذه السنة صورة عهد للنبي صلى الله عليه وسلم تزعم أنه أملاه على سيدنا
معاوية رضي الله عنه لأهل الذمة ولدى البحث في كتب الحديث والسير والتاريخ
ما وجدت هذا العهد بهذا اللفظ الطويل الذي نقلته هذه المجلة ونقلته عنها جريدة
لسان الحال فأرجوكم ايها الفاضل ان تفيدني عن درجة هذا العهد من الصحة والحسن

وعمن خروجه منه المحدثين وفي أي كتاب هو وهل هذا اللفظ المقول كله مروية محفوظ عن أئمة هذا الشأن الموثوق بهم الذين يعملون على قتلهم فيكون حجة في العمل لقد رأيت في هذا العهد طولا كثيرا وألفاظا لا تشبه ألفاظ صاحب الرسالة في عهوده ورأيت بعض الصحابة المدرجة اسماءهم بصفة شهود كان قدماء قبل هذا التاريخ وبعضهم لم يكن اسلم فأرجو إيضاح الجواب على كل جملة ليكون الانسان على بصيرة لا زلت مرجعا لحل الاشكالات وتحقيق المسائل ولكن الجواب على صفحات مجلدكم ليطلع عليه القراء الكرام

(ج) قد اطلعتا في جملة روضة المعارف على هذا العهد الملق بالموضوع فناء اندفاع قومنا في تيار المجاملة الى هذا الحد الذي يتجهجم فيه على نشر هذه الأكاذيب الموضوعة على النبي (ص) على حين نحن في غنى عنها بما عندنا من الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف المعروفة

ان هذا العهد المكذوب لم يروه أحد من المحدثين ولا يحتاج من له ادنى شمة من علوم الدين الى اطلاع واسع ليعرف انه مصنوع موضوع فذلك واضح من عبارته في أغلاطها واسلوبه في ركاكته وما فيه من الاصطلاحات الحادثة ومن المبالغة والتكرار ومن مسائله التي توهم ان الاسلام وجد في الارض لأجل تعزيز النصرانية وخدمة أهلها والدفاع عنهم والخضوع والنذل لهم وإعانتهم على المعاصي والجنايات اذا ارتكبوها فان مما جاء فيه « وان جراحه من التصاري جريرة اوجني جنابة فعلى المسلمين نصره ومنه (أي حمايته) والذب عنه والفرم عن جريته » فهل يعقل من شم رائحة الاسلام ان النبي الذي يقول كما في صحيح البخاري « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » يأخذ العهد على أمته بأن ينصروا مرتكبي الجرائم والجنايات من التصاري ويحموهم ويدفعوا عنهم ؟ وهل يتفق هذا مع قوله تعالى في الآية التي أذن فيها للمسلمين بالجهاد والدفاع عن أنفسهم « ١: ٢٢ » الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وفي هذا العهد كثير من امثال هذه المسائل الباطلة بالاجماع التي لا يبيحها الاسلام لأحد بل يعد استباحتها كفرا وردة عن الاسلام

اما ما يدل على كذب هذا العهد مما يتوقف العلم به على الإلمام بالتاريخ فربما
يعذر ناشروه بجهلهم له ولكنهم لا يعمدون بجهل المسائل المعروفة من الدين بالضرورة
ثم ان هنا مسألة تاريخية تكاد تكون معروفة عند العامة وقد جعلها ناشرو هذا العهد
وهي مسألة التاريخ بالهجرة فيه « كتبه معاوية بن ابي سفيان بإملاء رسول الله يوم
الاثنين في ختام أربعة أشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة » فمن المشهور أن
هذا التاريخ قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب بمشاورة الصحابة (رض) ولم يقضه
التي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبو بكر (رض) وما ذكر محتلي العهد هذا التاريخ
الا يظهر كذبه علم التاريخ فالروى في صحيح البخاري ان معاوية اسلم في عام الفتح
أي في السنة التاسعة للهجرة فكيف كان يكتب للنبي في السنة الرابعة ثم ان ختام
الشهر الرابع للهجرة وهو شهر جادى الآخرة لم يكن يوم الاثنين وانما كان يوم الجمعة .
وذلك ان الهجرة كانت في شهر ربيع الأول ولما اراد الصحابة في عهد عمر التاريخ
بالهجرة جعلوه من أول السنة القمرية التي حدثت فيها فكان في ذلك زيادة شهرين
كما هو مشهور . ثم انه اكثر من الشهود اربعة أنواع الفطاحد هاواهرنما الائمة المحرقة والمصحفة
في ذكر هؤلاء الشهود اربعة أنواع الفطاحد هاواهرنما الائمة المحرقة والمصحفة
كالفضيل بن العباس صوابه الفضل وحسن بن ثابت صوابه حسان وابو درداء صوابه
الدرداء ويزيد بن ثابت صوابه يزيد . والثاني من لم يكن اسلم كماوية . والثالث من
كان قد مات او استشهد كحمزة . والرابع من لا وجود لهم في الصحابة كداود بن
جابر والعماسي ابو حنيفة واساف بن يزيد وكعب بن كعب . ولو استقصينا كل
ما في هذا العهد المكذوب من الخطأ لأقضي بنا ذلك الى تطويل نحن في غنى
عنه بهذا القول الوجيز

﴿ رسم المصحف ﴾

(س ٢٨) من صاحب الامضاء في قرآن (روسيا) في ٦ جادى الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الامام الفاضل السيد رشيد رضا حفظه الله ومفتى سائر المسلمين بمأومه الشريفة

اما بعد فان من المسائل التي تدور بيننا الآن مسألة رسم المصاحف المطبوعة في بلدة قرآن ، حيث ان العلماء صرحوا بأن رسم المصاحف يجب فيه الاتباع لرسم المصاحف التي كتبت بامر سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي رسم المصاحف القرآنية مخالفة كثيرة لرسم تلك المصاحف . فتشككت قرآن لجنة من العلماء والقراء لفحص رسم هذه المصاحف ونصوص العلماء فيه وتكلموا في وجوب الاتباع وعدمه فذهب كثير منهم الى انه ينبغي اتباع رسم المصاحف العثمانية وان الرسم سنة متبعة ، على ما نص عليه ابو عمرو الداني والشاطبي والجزري والسيوطي والزهري وغيرهم . وبعضهم قالوا انه لا يجب اتباع الرسم محتجين بقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حيث قال « اما الآن فلا يجوز كتابة المصاحف على المرسوم الاول خشية الاتباس وثلاثا يوقع في تغيير من الجمال » . ويحجب الفريق الاول عن هذا باب المواضع التي يتوهم فيها الاتباس يمكن التخلص منها بالنقطة والاشكال . ثم نقشوا المصاحف المطبوعة في الديار الاسلامية من الاسنة ومصر وهند وغيرها فوجدوا فيها ايضا مخالفة كثيرة لرسم المصاحف العثمانية ، فنادي ما سبب عدم اعتنائهم في هذا الباب ؟ أأهلوا في رسم كتابنا المقدس ، ام لا يقولون بازوم الاتباع . واذا كان الاتباع واجبا كما يقول به اكثر الائمة فما ينبغي ان نصنع لقرأ برواية حفص المروقة في بلادنا في مثل كلمة « آتآن » في سورة النمل آية ٣٦ فانه كتب في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها بغير ياء بعد النون والحال ان حفصا قرأه آتآني ياء مفتوحة بعد النون فكيف يكون زيادة ياء بعد النون في مثل هذه المواضع تخلصا من الاتباس والتلفيق في القراءة . وهل يجوز مخالفة الرسم لاجل الضرورة في مثل تلك الضرورة وما نصنع في الكلمات التي حذفت فيها الالفات في بعض المصاحف المطبوعة والمكتوبة القديمة مثل كلمة الاعلام والاحلام والاقلام والازلام والاولاد ، وتلك الكلمات كتبت في بعض المصاحف « الاعلم والاحلم والاقلم » بحذف الالف بعد اللام والحال ان قاعدة الخط العربي تقتضي اثبات الالف في مثلها : وليس فيها نص صريح من علماء الرسم في حق الحذف أو الاثبات . هل ينبغي فيها اتباع قاعدة رسم الخط العربي واثبات الالفات ام تقول « انهم كانوا يعتبرون الظهور وعدم الاتباس ولهذا كانوا

يحذفون الالفات فيماظهر المراد (منه) مثل الكلمات المذكورة» فحذف الالفات فيهن .
ورسم المصاحف المطبوعة هنا ليس على نسق واحد ، في بعضها تلك الكلمات
مكتوبة بألفات بعد اللام وفي بعضها بحذف الالفات . وان المصحف الذي يحفظ
في بلدة ترسيبورغ عاصمة الروسية في المكتبة الامبراطورية و يظن كونه واحدا من
مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه قد حذف فيه الالفات في مثل هذه المواضع .
والعلامة شهاب الدين المرجاني القزاني الذي افنى عمره في خدمة العلم وصنف كتابا
مفيدا في رسم المصحف وكان مأمورا بتصحيح المصاحف المطبوعة من جهة الحكومة
قد حذف الالفات قصدا في مثل هذه الكلمات . ولزيادة الاطمئنان ولكون
المسألة عامة مهمة ومتعلقة بموم اهل الاسلام اتفقنا على المراجعة الى (٩) جنابكم المحترم
بالاستفسار في تلك المسئلة رجاء ان تفضلوا بابداء ملاحظاتكم العالية في صفحات
النار . والسلام والا كرام

رئيس اللجنة المتشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قران
ملا صادق اليعاقولي القزاني

(ج) ان ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول فالذين
تلقوا القرآن عن جاء به من عند الله (ص) حفظوه وكتبوه وتلقاه عنهم الالف من
المؤمنين وتسلسل ذلك جيلا بعد جيل . وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم
في اتباع الصحابة في رسم المصحف وعدم تجويز كتابته بما استحدثت الناس من فن الرسم
وان كان أرقى مما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه صنعة رتقي بارتقاء المدينة
إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجعل أصلها .
فالاتباع في رسم المصحف يفيد من يدقّة واطمئنان في حفظه كما هو وبعد الشبهات ان
تحوّل حوله ، وفيه فائدة أخرى وهي حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الامة كما هو
نعم ان تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب
خاصة بمن يتلقاه عن القراء ، ولذلك أحدثوا فيه القبط والشكل وهي زيادة لا نغتنع
معرفة الاصل على ما كان عليه في عهد الصحابة . ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا
(المناج ٦) (٥٤) (المجلد الثاني عشر)

ولذلك اتفق الامام مالك بمجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المتداول كقول:
قال علم الدين السخاوي في شرحه لقبلة الشاطبي قال أشب رحمه الله سئل
مالك رضي الله عنه أرايت من استكتبته مصحفا ترى أن يكتب على ما أحدث
الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتابة الأولى . قال
مالك ولا يزال الانسان يسألني عن قطع القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف
فلا أرى أن ينقطع ولا يزداد في المصاحف ما لم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي
يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا . ثم قال « أشب » والذي ذهب
اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحال الأولى الى أن يعلمها الآخر وفي خلاف ذلك
تجيبيل الناس بأوليتهم . وقال أبو عمر الداني (في كتابه المسمى المحكم في النقط) عقيب
قول مالك هذا ولا يخالف لمالك في ذلك من علماء الامة اهـ

فالذي أراه هو العيوب أن تطبع المصاحف التي تتخذ لأجل التلاوة برسم
المصحف الامام الذي كتبه الصحابة عليهم الرضوان حفظا لهذا الأثر التاريخي العظيم الذي
هو أصل ديننا كما هو لكن مع النقط والشكل للضبط . ولو كان مثل الامة لا تكلمت به هذا
الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقصر ولا أسطول الا لان الجديد الذي هو شغلها
الشاغلة اليوم : واما الألواح والأجزاء وكذا المصاحف التي تطبع لأجل تعليم الصغار بها
في الكتابات فتطبع بالرسم المصطلح عليه اليوم من كل وجه تسهيلات للتعليم وفق كبر الصغير
وكان متما للقرآن بالرسم المشهور لا بقط إذا هو قرأ في المصاحف المطبوعة برسم الصحابة
مع زيادة النقط والشكل . وكذلك يكتب القرآن في اثناء كتب التفسير وغيرها
بالرسم الاصطلاحي ليقراء كل أحد على وجه العيوب . وبهذا انجمع بين حفظ أهم شيء
في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشغاب القارئ

اما ما احتج به العزيز عبد السلام على رأيه فليس بشيء لأن الاتباع إذا لم
يكن واجبا من الاصل فلا فرق بين الآن الذي قال فيه ما قال وبين ما قبله وما
بعده بل يكتب الناس القرآن في كل زمن بما يتعارفون عليه من الرسم وإذا كان
واجبا في الاصل وهو لا ينكره قترك الناس له لا يحمله حراما أو غير جائز لما ذكره
من الالتباس بل يزال هذا الالتباس على انه لا يسلم له

وأما ما طبعه المسلمون من المصاحف في الأستانة وقرآن ومصر وغيرها من البلاد غير متبين فيه رسم المصحف الإمام في كل الكلمات فسيبها التهاون والجمل والاعتماد على بعض المصاحف الخطية التي كتبت قبل عهد الطباعة فوسم فيها بالرسم المتاد الكلمات التي يظن انه يقع الاشتباه فيها إذا هم كتبوها كما كتبها الصحابة كلفظ «الكتاب» بالألف بعد التاء وهو في المصحف الإمام بغير ألف ليوافق في بعض الآيات قراءة الجمع فكتبوه بالألف . ولم أرمصها كتب أو طبع كله بالرسم المتاد ونحمد الله تعالى ان وفق بعض الناس الى طبع ألوف من المصاحف برسم الصحابة المتبع وأحسن المصاحف التي طبعت في أيامنا هذه ضبطاً وموافقة للمصحف الإمام المتبع هو المصحف المطبوع في مطبعة محمد أبي زيد بمصر سنة ١٣٠٨ إذ وقف على تصحيحه وضبطه الشيخ رضوان بن محمد الخليلي أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه . وقد وضع له مقدمة بين فيها ما يحتاج اليه في ذلك . فأنني أراه انه ينبغي للجنة القرآنية ان تراجع هذا المصحف فانها تجد فيه حل عقد المشكلات كلها ان شاء الله تعالى ككلمة الاقلام وأمثالها وهي بغير ألف وكلمته «أتاني» التي رسمت في المصحف الإمام «ان» فيرون ان هذا المصحف وضع فوق التون ياء صغيرة مفتوحة هي من قبيل الشكل لتوافق قراءة حفص فهي فيه هكذا «ان» . وجملة القول إننا نرى أن الصواب الذي ينبغي ان يتبع ولا يدل عنه هو أن تطبع الاجزاء والمصاحف التي يعلم فيها المبتدئون بالرسم الاصطلاحي لتسهيل التعليم وهو ما جرت عليه الجمعية الخيرية الاسلامية هنا باذن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فهي تطبع اجزاء القرآن كل جزء على حدة بالرسم الاصطلاحي وتوزعها على التلاميذ في مداوسها . واما سائر المصاحف فيتبع في طبعا رسم المصحف الإمام كالمصحف الذي ذكرناه آنفاً . واذا جرى المسلمون على هذا في الأستانة ومصر وقرآن والقريم وسائر البلاد الاسلامية فلا يمضي جيل أو جيلان الا وتقرض المصاحف التي طبع بعض كلماتها بالرسم الاصطلاحي وبعضها برسم الصحابة . ولا ضرر من وجودها الآن اذ هي مضبوطة بالشكل كثيرها فلا اشتباه والخطأ مأموران في جميع المصاحف والله الحمد

بحث

﴿ في خطبة العقيلة المصرية « باحة بالادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نرين رأيًا فيها في هذا الجزء، وكنا نريد أن نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد الطارئة فسامتنا الاختصار فكان مالا بد منه ان الخطبة تساهم بعبارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكني رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تكن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفعل الذين يكتبون الخطب قبل إقامتها ولا بد لذلك من سبب ينهض عندها

أودع في الخطبة من الحكم، ما هو جدير بأن يحفظ ويضرب به المثل، ولا تخلو من الملح والافاكية التي تستلح في الخطب، لا فيها من تجديد النشاط وذود الملل، ولم أر فيها على طولها شيئًا تمتعت لولم يكتب — وان نطق به — الكلمة واحدة في نساء الافرنج. ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف، أكثر من مسائلها المستمدة من الكتب، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فأنها دروس تكرر فتثبت مباحثها في الذهن

يشهد بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهية ككون الزوجين الذكور والأنثى خلقا للوراثة لا للباغضة وكون العالم لا يصر بدونهما، وكونهما سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كسألة تعليم احد الصنفين كل ما يتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات، ومسألة خلق النساء للبيوت والعمل فيها والرجال لكسب الماشي ومسألة الحجاب ويرى هؤلاء المتقدمون ان القسم الأول من الخطبة لو كان كالثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيرا وأفهم

وقول ان ماذ كرتة الخطيئة من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطافي نظرناو بعضه بملوا فهم كثيرات من حاضرات الخطبة، وانما نفسه أنه يحرك اذهانهم وينبه أفكارهم فتخرج به عقول بعضهم من مضيق ليس فيه الاصور الزينة والآثاا والرياش الى قضاء واسم فيه كل شيء، وفقى فكرت الواحدة متهم في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطيئة وقد يوافقه وذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

فتم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن المادات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالناية وقد أجادت الخطيئة وأفادت بما ألقته على المستمعات لها من النصائح والمباحث وذ كرتهم بما ينفل عنه اكثرهم من أمر الصلة بينهم وبين الرجال وما يجب ان تكون عليه . ولكنه فلما يزيد الرجال فائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابهم من الخوض فيه وهم ينتظرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء اكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن . وعسى أن تكثر الفوائد لكل منهما فيما يجود به الخطيئة من الخطاب والمقالات من بعد ، فان أول النيث قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

لقد قربت الخطيئة مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة الغربية . وما قالته أشبهه بكلام السياسيين الذين يراعون المصلحة فقط منه بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الحقيقة فقط أرادات أن ترفع من شأن صنفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان ترغب رجال وطنها في الوطنيات وتفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطايات في هذا المقام بما يناسبه ونرجو ان تعيد الكرة فتبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بحث الموثخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مقلدة لمن كتب من الرجال في هذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئاً ، بل من البحث في العادات والاختبار للأحوال ، لها تستطيع ان ترشدن الى ما يرقى حجاب جهلن ، فيجمله كبراقع وجوهن ، فيصرن ما بين الرجال وبينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم وبينهن .

إذا كانت المشاكلة في الأخلاق والعادات ، والمساهمة في الأهواء والرجبات ،
 مصاراً للسواوة بين النساء والرجال ، فلأندوحة لنا عن القول بمصا بأن السواد الأعظم من
 أهل هذه البلاد لا يزال ذكراً منهم وإنهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جماهير
 الرجال بما يقتصره نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتفتك ، فقدم من الرجال وفنكت
 النساء ، فصار جمهور المرقين في المجانة سواء ، ولذلك ترى الزواج لا يزال كثيراً
 وإذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى أن الرجال مهما فسدت أخلاقهم أدنى من
 النساء عقولاً وأفكاراً وأن المتعلمين والمهذبين منهم أكثر وإنه يوجد عدد كبير ممنوعاً عما بعد
 عام قد تغير رأيهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لا تحصل بمجرد
 دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الغاية الطبيعية الشرعية له وإنما هي عبارة عن
 حاسة زائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس
 وشعور الود والرحمة والاخلاص ما لم يكن يدرك حقيقة قبل الزواج وإنما يشعر كل واحد
 باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بأنه لا يزال إلا بالسكون الذي يكون بالزواج
 بعد إحكام عقد الزوجية (كما يثنا ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن)
 ولكن المرقين يعرفون من أركان ذلك وشروطه ومن قيمته ما لا يعرفه من دونهم
 يعلم هؤلاء المرقون في مراتب الإنسانية أن تلك الحياة التي تلهمها فطرتهم
 لا تتل إلا إذا اقترنوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة
 الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نساءنا ؟

إن الشاب من هؤلاء ليبحث السنين الطوال عن فتاة مهذبة الاخلاق ،
 ذكية الفؤاد ، وإن لم تكن ذات جمال بارع ، ولا رزق واسع ، بل منهم من يشترط
 عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطلبه ، على أي المراتب (أي للخطبة والزواج)
 كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق ، وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب
 فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصدمهم عن قبول خطبته عادة من اسخف
 العادات وإن كانوا يظنون أنهم لا يكادون لا يجدون صهرًا مثله ، ومنهم من يرد
 خطبته لأن الفتاة لا يصحبها زياً ثياباً

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

زواجه الاشقياء أعرف شابا من هؤلاء رغب عن الزواج زمانا طويلا عرض له فيه بعض رؤسائه الأغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسمى في الخروج من دائره رياستهم ، لتجلبه من العمل فيها مع رد رغبتهم ثم تناولت عليه الفطرة والنفقة ، فلم يردا من طاعتهما في طلب الزوجة ، فكان من رأيه أن يقرن بشاة متعلمة تكون دونه جمالا ، ومثله أو دونه مالا ، حتي لا ينجسها إلا لدلال عليه بجماله واطلاها عن معرفة قيمته ، والنسبة بالأقربان به ، وماذا كان ، بعد النظر بهذا القران

كان ان تلك الدمية عاملته بالصف والزهو ، وحاولت استمادته لهواها ، وألحت في ذلك الحاحا ، ولجت في عتو ونفور ، حتي عيل صبره ، ولم ينجح فيها وعظها ولا هجره ، ولم يلق من أهلها الا انصرا لها عليه ، ومغريها بسوء معاملته ، والتهم بصلاته بديانته ، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وأنا اقول له (٢٧-٢٨) اتق الله وامسك عليك زوجك . ١٩:٤ فان كرهتموهن فمسي ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ثم طلقها ولو شاء ان لا يطيها شيئا لفعل فانها راضية بأن تبرئه من حقها ولكنه أعطى الحق وزيادة لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصمين فاتي كنت واقفا على جميع وقائم القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء فأمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع اثبات على مطالبه الشرعية كستر الرأس والصدر والساعدين والخصدين في حضرة غير المحارم من الاقارب الذين اعتادوا زيارتهم امثالا للشرع لا اتباعا للظنة . ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيبا ان يجعل قدر أمثال هؤلاء الرجال ممر حرص زوجاتهم على تحبيب أنفسهن اليهم والاستمالة على ذلك بالزناهم والطلبات ، والبخور والتاجيس والذوات ، وهم يقولون لمن ، غير هذا أولى لكن ، وأدنى الى حظوتك ، قبل ان يفض عنايتك ، في تدير أمر بيتك ، لتكون العيشة فيها راضية ، والحياة ممكن هنية ، واعلم ان انحرافات التي يبر عنها البارونيات ، لاسلطان لها على نفوس العقلاء ، فاسماتنا بها كاسماتنا بالاسراف في الزينة مما يحجج أدواقا ، ونشتمز منه نفوسنا ، وأني لمن بهم هذا الكلام وتصديقه ؟ انهم لا يفهم منه الا انه احتقار لمن ، وميل عنهن الى غيرهن ،

ليس الفرض من هذا لإثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلان منهم

من لا يرى بها إلا عمولا في السحر من حانات الأربكة ومواخيرها الى بيتها فيلقى فيه كأنه ميت لا يحيى ولا يتحرك، إلا ان يقول هجرا أو يأتي نكرا، وانما الفرض منه بيان ان المهذين لا يكادون يجدون هذبات يعرفن قيمتهم وان خير النساء عفة وأدبا لفضلن في الغالب انجان الفاسقين من الرجال لتصميم إياهن بالتعزز والتعزز والتورن (١) على ان حفظن منهم بعد الزواج يكون في الأكردون حظ فواجر الاجنيات والوطنيات لانهم في الغالب من الدواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعن في العلوم ولا في مسألة مزاحمتن لهم في الاعمال فاذا كرهته الخطيئة في ذلك جاء قبل أو أنه وانما اكبر الخلاف في كون جمهور عظيم من المعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلا يجدونها ذلك قل الزوج في هذا الصنف وأكثر المتزوجون من أفراد الأغنياء من استخدام الأوريات ولذلك يتزوج بعض المتفرجين بهن حتى صار في مصر احتلالا لاجنبيات - كما قالت الخطيئة - أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشأهما في البيوت قالت ان الرجال يخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحقهم ان يخطوه بالتربية وقالت انه لاصلة بين التعليم والتربية الا في تعلم الدين . قد أحسنت في جعلها أمر التربية أهم من أمر التعلم ولكنها أفتأت علينا بما نسبته اليها فاننا نشكو من فساد التربية أكثر مما نشكو من فساد التعلم وقلته . وليس الانفصال بين التربية والتعليم بالمقدار الذي ادعته فان التعلم الصالح يمد التربية الصالحة ويغنيها وهي الاصل في الصلاح فيمكن ان يكون الاعي صالحا بحسن التربية ولكنه لا يبلغ مرتبة من ربي وتعلم . وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم يؤخذ بالتربية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجراً على العمل بها

إذا لا بد من تربية البنات وتعليمهن ليحسن ادارة بيوتهن ويكن قرة عين لأزواجهن في انفسهن وأولادهن (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

(١) تعزز الرجل وتطرس فتوق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا . ويقال أيضا

تطرس في الطعام إذا فتوق فيه . وتورن أكثر من التدخن والنعم

الجزية وتجنيد أهل الذمة

جرى الصلابة في قوتهم على جعل الجزية التي فرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وعدم تكليفهم منع أنفسهم وبلادهم أي حمايتها والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيراً وبيانا لمراد الكتاب العزيز منها . وكان العثمانيون سموها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العثماني تجنيد جميع العثمانيين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم التي هي بلاد جميع العثمانيين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم وههنا مسألتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور يخالف لما فيها إحداهما أنه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا من البلاد التي يقيمون فيها ما دام للمسلمين ولاية عليها . والثانية أن الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الأولى فيصح أن يقال فيها أننا لا نسلم أنه لا يجوز تجنيد أهل الذمة إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فإن المصلحة العامة هي الأصل والأساس للحكومة لا تترك لتغيرها وإنما يترك غيرها لما وقد سبق لنا تقرير هذا الأصل وإثباته غير مرة . على أننا إذا سلمنا جدلاً أنه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم وبلاذنا وبلادهم فلنا أن قول ابن أمر التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشتركنا نحن وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقروا ويضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا يناهض كون التجنيد بالإكراه وإن كره بعض رؤساء الدين المتحصنين منهم فإن هؤلاء الرؤساء ليسوا نواباً عن أهل دينهم في وضع القوانين

وأما المسألة الثانية فيذلك على الحق فيها هذه النصوص التي نقلها عن رسالة
 الشيخ شبلي النعماني العالم الشهير نشرت في أواخر السنة الأولى من المارحج فيها
 ما ذكرناه من كون الجزية جزاء الحماية والدفاع وأورد في الاستدلال على ذلك هذه
 النصوص المروية فقال :

ولمّاك تطالبني باثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية
 ما كانت تؤخذ من الذين إلا للقيام بحمايتهم والمدافعة عنهم وان الذين لو أدخلوا
 في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لضوا عن الجزية فان صدق ظني قاصغ الى الروايات
 التي تطيك التلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فنها) ما كتب خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأوغل فيها
 وهذا نصه : « هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا وقومه اني عاهدتكم على
 الجزية والمنة فلك الذمة والمنعة وما منعتكم (أي حمايتكم) فلنا الجزية والأفلا . كتب ستة ثني
 عشرة في صفر » (ومنها) ما كتب نواب العراق لاهل الذمة وهاك نصه « براءة لمن كان
 من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليه خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح
 خالد ما أقرتم بالجزية وكنتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء . »
 (ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لأمراء المسلمين وهذا نصه « انا قد أدينا الجزية التي
 عاهدنا عليها خالد على أن يمنعوننا وأيمروا النبي من المسلمين وغيرهم » (ومنها) المناوئة
 التي كانت بين المسلمين وبين يزيد جرد ملك فارس حينما وفدوا على يزيد جرد وعرضوا
 عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من
 جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد « وان اتهمتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم والا
 قاتلناكم » . (ومنها) المناوئة التي كانت بين حذيفة بن عاصم وبين رستم قائد الفرس
 وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص واندا على رستم في سنة أربع عشرة
 في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه « أو الجزاء ونمنعكم ان احتجمتم الى
 ذلك » فانظر الى هذا الروايات الموثوق بها كيف تآروا بها بين الجزية والمنعة وكيف
 صرح خالد في كتابه بأن لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا منعتكم ودفعنا عنكم وان عجزنا
 من ذلك فلا يجوز لنا أخذها

وهذه المقاولات والكتب مما ارتضاها عمر وجعل الصحابة فكان سبيل
المسائل المجمع عليها . قال الامام الشافعي وهو أحد الائمة الكبار أخذ « أي سواد
المراف » غزوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة
فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء . ولم المنعة وذلك هو السنة كذلك منع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا نظن أن شرط المنعة في الجزية إنما كان يقصد به مجرد تطيب نفوس
أهل الذمة واسكان غيظهم ولم يقع به العمل قط فان من أمر النظر في سير الصحابة
واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا
الا وقد عضوا عليها بالتواجد وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية
التي بدور رضى الكلام عليها - فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج
عن المكحول انه لا رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاوا
أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على اعدائهم فيست أهل كل مدينة
وسلمهم يخبرونهم بأن الروم قد جصوا جميعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة
الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن
خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتناصت الاخبار على ابي عبيدة فأشد
ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب أبو عبيدة الى كل وال من خلفه في المدن التي
صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج وكسب اليهم أن
يقولوا لهم إنما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من المجموع وانكم قد
اشتراطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن
لكم على الشرط وما كان يتنا وينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا
عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم
يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء بقي حتى لا يدعوا شيئا »

وقال العلامة البلاذري في كتابه فتوح البلدان - حدثني أبو جعفر الدمشقي
قل - حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين المجموع وبلغ
المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من

انخراج وقالوا « قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لو لايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والفسم ولندفع جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا والتواة لا يدخل عامل هرقل مدينته حمص الا أن تغلب ونجهد فألقوا الابواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا إن ظهروا الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد

وقال السلامة الأزدي في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة بن حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينفي لنا إذ لا نمنعهم ان يأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لأننا كرهنا أن تأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر الناس ان يرحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون « ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا إلينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجتبى منهم الذين كانوا آمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أمانا » ،

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشرطوا علينا المنعة أو شاركوا في الذب عن حريم الملك لا يطالبون بالجزية أصلا فعمدنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق عملهم فأنهم أولى الناس بالتنبه لفرض الشارع وأحقهم بأدراك سر الشريعة « والروايات في ذلك وان كانت حجة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير ينفي عن كثير (فمنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قوادعمر بن الخطاب لرزبان وأهل دهستان وهالك نصه بعينه « هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان حول ابن رزبان وأهل

دستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنمة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معوته عوضا عن جزائه ولم الايمان على انفسهم وأموالهم وولاهم وشرائعهم ولا يغير شي من ذلك شهد سواد بن قطبه وهند بن عمر ومالك بن عجرة وعتيبة بن النحاس وكتب في سنة ١٠٨ هـ « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه : « هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل ملها كلام الامان على انفسهم وأموالهم وولاهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشروهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اه (طبري صحيفة ٢٢٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقه عامل عمر بن الخطاب وبين شهر براز كتب به سراقه الى عمر فأجازته وحسنه وهلك نصه : « هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأمن من الايمان أعطاهم أما لا انفسهم وأموالهم ولهم ان لا يضاروا ولا يقتضوا وعلى أرمينية والأبواب الطراء منهم والتناء (١) ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أولم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عن أجاب الى ذلك ومن استبقى عنه منهم وقعد فليبه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم ، شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مرقن وشهد اه (طبري صحيفة ٢٦٦٥ و ٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجة من مدينة على جبل لكاهم عند مدمن الزاج فيما بين يامس و بوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في

(١) الطراء الغرباء الذين يطرون جمع طارئي والتاء المقيمون

استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموها مدينتهم وهما بالحق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يقبته المسلمون لهم ولم ينفهوا عليهم ثم ان أهل انطاكية قضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاهها بعد فتحها حبيب بن مسلم القهري ففرا الجرجومة فلم يقاتل أهلها ولكنهم بدوا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالخ في جبل الككام وان لا يؤخذوا بالجزية ، ثم ان الجراجمة مع انهم لم يوفروا وقضوا الصد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى ابى بعض الهال في عهد الواثق بالله الباسي ألزمهم جزية وموسمهم فرفضوا ذلك إلى الواثق فأمر بإسقاطها عنهم اهـ

(الملتحج) فقط الملتحج في هذه الكتب واليهود منها الحماية كما اشرفنا الى ذلك في رواية منها

التعصب الديني في أوربا

تهم أوربا أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بالفوق في التعصب الديني الذي يفضي الى إيذاء المخالف في الدين او المذهب وغطت حقوقه . وقد كتبنا في المجلد الأول من الملتحجات بينا فيها ان مبدع التعصب هو أوربا وابن الشرق عامة والمسلمين خاصة لا يباغون مد أوربا ولا صاعها ولا يردوها ولا متمرها في التعصب . وحسبك انها اكرهت جميع من كان فيها من الوثنيين نعم من المسلمين على النصرانية الا من هاجر وترك أرضه وماله من حيث بقيت جميع الأديان في الشرق لاسيما الممالك الاسلامية منه . ثم إنها سفكت من الدماء الفزيرة لاجل اختلاف في المذاهب النصرانية نفسها ما لم يعرف له نظير في الشرق . وقد اقبلت فيها طائفة الاجتماع بالعلوم والأعمال الدنيوية وسكروا الملهدون واعطت أكثر الحكومات الاوربية الحرية حقها في كل شيء ولم يقو ذلك كله على محور التعصب الديني لامن مثل روسية التي لا تزال حكومتها نفسها متمسكة فقط بل من مثل انكلترا الحرة في

الحرية . وقد قتل البنا البرقي والبريد في هذا العام ان الحكومة الانكليزية لم تمكن الكاثوليك من القيام بتأليدهم الدينية في عيد الفصح . وجاء البرقي في هذه الايام بأن تلاميذ المدارس البروتستانت والكاثوليك في ليفربول قد تشاجروا فيها تشاجرا ادى الى اقبال الحكومة خمسين مدرسة منها وان مهاتهم شاركهم في هذا الجهاد الديني . وقد نشر في جريدة الاخبار أحد الكتاب مقالة في ذلك فكتب هذا نصها :

﴿ التعصب الديني الانكليزي ﴾

« مل السار غير الكبير »

جاء في نابري من لندن انه أقفلت خمسون مدرسة في ليربول لوقوع مشاجرات بين أولاد البروتستانت والكاثوليك اشتركت أهلهم فيها فإذا فرضنا ان في كل مدرسة من هذه المدارس ١٠٠ تلميذ نصفهم منساولون والنصف متعصبون فيكون عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة — على أقل تقدير — ألفي تلميذ من صميم الناشئة الانكلوسا كيونية . أما أسلحتهم فأهلها « البوكس » الانكليزي وثانيها « الرفس » بالجزم الانكليزية وثالثها المضاربة بأدوات المدارس من ألواح الادرواز والبراجيل والمقاشط والمساطر وغيرها مما لا يخلو منها جعبة تلميذ ولا بد ان حضرات الأمهات المتدينات المتعبدات المتقيات من طائفة البروتستانت حملن مهن الى هذه المعركة ما وجدته امامهن من أحذية قديمة وأرجل كراسي بمقشات وزجاجات فارغة . كما حملت بعض الكاثوليكيات الاقنونات والصلبان تبركا وذخيرة لهذه الحرب الدينية المقدسة

ومع ان البنا البرقي لم يأتنا بتفصيل واف عن أسباب هذه الحركة الصبائية الملبة التعصبية فانه لا شبهة في انها نشأت إما عن فوار مذهبي أو عن جدال ديني احتدم بين هؤلاء الصغار فازدري به المدرسون لما هو مشهور عن أكثرهم من التباعد عن التدخل في كل أمر غير الفرض المدرسي

أما الأمهات المصونات فالراجح انهن أتبن لمساعدة أولادهن واتقاهن من خطر الملاكمة ثم رأين الحاجة داعية الى المداخلة الفعلية فتضاربن

ولم يكن الخطب جلالاً لما أقلت ٥٠ مدرسة دفعة واحدة حتى لا يعود التلاميذ الى الخاصة فالقاتلة . وربما كانت الودة داعية الى اشتغال تيران الحقد الديني بين غيرهم من تلاميذ المدارس التجهيزية فجامعة الذي يبلغ عدد طلبتها ٧٩٠ طالباً لان السكل مقسوم الى برونستانت وكاثوليك وما أثر في التلاميذ الضار يورث فيهم . وبذلك يصيد الانكليز أيام الحروب الدينية ويرهنون لنا على ان ذاك الرقي المدني الهائل وحفظ أعمارنا كسير وامتلاك المستعمرات التي لا تقب عنها شمس لم ينفع في تربية الاخلاق وان دعوى اللورد كرومر بأن بلاد الشرق عامة ومصر خاصة بهبط التعصب الديني دعوى يكذبها اليوم فصل أبناء لفربول الذين تجمعهم الجامعة الوطنية وتضمهم مدرسة واحدة ولم يحضر منهم أحد الى مصر لينتهي دروس التعصب من المسلمين والاقباط

واذا كان صغار الامة عنوان كبارها وصورة لآخلاقهم فلا مراء في ان هؤلاء الانكليز يحسمون لبعضهم من الاحقاد الدينية اتحالا مثقلة . لانت ترى بينهم القبية والمحرسة متشابهة وما تعلمونه مع شاي لبون ووسكي بوتانن هنا وهناك مساو تماماً لما يتقنه صغار لفربول الذين لم يكادوا يشون عن الطوق حتى عرفوا كيف يتعصب فريق منهم للوثير وفريق للقديس بطرس والفضل في ذلك راجع الى السيدات المذبات اللائي لا يكتفين بحقوقهن بل يطالبن بأن يكن مساويات للرجال في حق الانتخابات السياسية

ولا يقتصر التعصب على هؤلاء الانكليز من الامم التي نطقنا ارق منا طبايع وأفضل اخلاقاً بل يشترك فيها الفرنسي والايطالي والالمانى والروسي -- بنوع أخص -- فاذا درست أخلاق أحدهم تجد قطرة تعصبا دينيا جنسيا وان لم يكن متدينا وذلك بحكم المعاشرة والروابط الاجتماعية والبيئية

فالتعصب صفة من صفات الانسانية لم يقو السلم ولا التربية على استئصال شأقها من النفوس . وربما متاومات أبناؤنا واحفادنا قبل ان نصل إلى درجة ننسي فيها التعصب

(أحد المتعصبين)

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٥

بقية بحث احاديث الاحاد وكونها من اصول الدين

قال في الاعتراض الثالث من هذه الكلمة فكأنهم يشتون صحة الروايات بهذا الرجل ثم يشتون عدالة الرجال بالروايات مما لا يخفى على احد فساد ذلك — الى قوله — وربما ادانا ذلك الى التسلسل أو الدور في البرهان

واقول ان هذه مغالطة من الفاضل ايضا اذ لا يلزم ذلك الا هم الا اذا كان الممثل والجارح لغيره هو الممثل لنفسه اما اذا كان الممثل والجارح قد عرفت عدائه بالاجماع ونقل هذا الاجماع بالاجماع او بما يقاربه كالتواتر بل لو قلت عدائه باسناد آخر فلا فساد ولا يلزم شيء مما ذكره الفاضل

وقوله ان اكثر هذه الروايات مقتضبة الى آخره . فجوابه انهم (رح) يروون ما تفوه على نحو ما يسمعون فا كان له سبب ذكره وهو كثير انما قد يترك بعضهم ذلك لسبب ومناسبة حيث لم ير لذلك ضرورة . ولذلك تراه في موضع آخر يذ كر السبب والمناسبة وقل ان يهملوا ذلك . وانما ما كان يقيه عليهم (ص) بما يشبه التظيم والتشريع العام فلا يلزم ان يطلب له سبب واكثر الاحاديث وآيات الاحكام كذلك فلا محذور

أما قوله وقد ايدنا فيه الاستاذ الكبير العلامة المحقق صاحب المنار الاغرفقول فيه ان كان يعني ما كتبه شيخ الاسلام المذكور على اثر ما كتبه اخونا العلامة خاتمة المحققين وفاق بك المظم حفظهما الله . فنحن قد رأينا ذلك ولم نرفه تأييدا للحضرة

الدكتور الفاضل وغايته ان يكون رجع ان ما كتبه المجيبون لم يدفع الشبهة تمام على ان حضرة العلامة المحقق رفيق بك العظم حفظه الله انما ذكر تاريخ الكتابة عند العرب وبين بعض حالاتها في الاسلام وذلك في خطبة ألقاها وأخطب لا تحتل الاستقصاء في الاستدلال او ان يناص فيها وراء هو يصات المسائل .

وقول أيضا قد عرفت مما كتبه سابقا وما قدمناه حال الصحابة (رض) في الرواية عن رسول الله (ص) وانهم كيف يروون عنه (ص) وعرفت انه كيف كان بين لم وعرفت ان حفظهم لما روينا عنهم ليس بالمستبعد وأن الكثيرين منهم وغير الكثيرين قد كتبوا في حياته أو استكتبوا وهم لم يزالوا يكتبون بعد وفاته ما فات بعضهم عن البعض الآخر . والفاضل المذكور هو ان قدر ان ثبت كراهية بعضهم فهو لا يستطيع بين علة منصوبة لذلك غير ما ذكرناها عنهم في رسالتنا السابقة . وقلنا ان من كره ذلك فانما كره ان يكتب رأيه اما احاديث النبي (ص) فقد كتبها كثير منهم بما رأى وسمع منه (ص) ومنهم (رض) فلم ينكر (ص) ذلك ولا هم انكروا ذلك . ولم يثب بعضهم ما عند البعض الآخر بالاحراق وغايته ان بعضهم اتلف مکتوبات نفسه ورأى بهذا بخلاف فعلهم بالقرآن الذي كان عند بعضهم غير ما أجمعوا عليه . وبذلك يظهر ظهور الاغبار عليه ان كتابة الحديث لم تكن في مقتداهم مكروهة مطلقا وحاشاهم من ذلك — فقد كان الخلفاء الاربعة (رض) وغيرهم من كبار الصحابة (رض) اذا وقعت واقعة ووجدوا فيها حديثا عن رسول الله (ص) لا يبدلون به سواء بل يحكون مقتضاه ويحفظونه ويكتبونه في رسائلهم الى عمالهم فكتابة الحديث بالصفة التي ذكرناها كانت من عملهم وما أجمعوا عليه فعلا وتقديرا وغاية ما ثبت عن بعضهم انه كره كتابته في كتاب واحد لا يرجع الى سواء ويكون مربا كما كتب القرآن يعمل به الناس ويتركوا ما لم يكن فيه — على انهم قد عزموا على ذلك وكان ميل أكثرهم الى الفعل ومن كره ذلك فانما كرهه رجوعا بعد المواهة على الكتابة ومع ذلك هو لم يكرهها وتركها لأجل ان الحديث شرعية موقفة ولم يستدل على الترك بما يدل على انه فهم ان الأحاديث شرعية موقفة كما بينا ذلك في رسالتنا السابقة — وهم قد صرحوا بانهم لم يتركوا كتابة الحديث بالصفة

المذكورة الاخوف الاتباس بالمصنف وبعضهم لم يقل الاجردوا القرآن
فالأصل الذي بني عليه الفاضل الدكتور مذهبه انما هو احتمال من عنده
وقلن توهمه لم يسبقه الى تخيله أحد من اتباع محمد (ص) بل قولهم وعلمهم وأمرهم
يناقضه مناقضة النقيض لقيضه وما هذا حاله لا يصح فرضه — على انه لو لم يوجد
عنهم ما ينقضه فلا يصح ان يجعل مثل ما هذا حاله أصلاً لمخالفته نصوص القرآن —
بل لو لم يوجد في القرآن ما ينقضه فلا يصح كذلك لمخالفته ما يوجه النقل للرسل
صاوات الله وسلامه عليهم — ولو تفاضينا عن ذلك كله ففانيه ان يكون احتمالاً من
جملة احتمالات قاله غير مصوم خالف اجماع المسلمين والله جل شأنه قد ذم من
يتبع غير سبيلهم وتهده — فما رأيك باحتمال هذا حاله كيف يعول عليه أم كيف
يسوغ للنصفيين الاعتماد عليه والمفاضلة دونه وهو على كل تقدير ومعا فرض فاسد
مدفوع . فهذا بعض ما قوله في شبهة الفاضل في عدم كتابة الحديث وقد ذكرنا
بعض أدلته في رسالتنا السابقة والقام جدير بالاطالة ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن
يريد الله له الهداية

اما من بعد الصحابة من رجال الأسانيد والأئمة المحدثين الذين رواوا عن
الصحابة (رض) وروى عنهم من بعدهم من الائمة كذلك فهم الذين كتبوا
الأحاديث واجمعوا على كتابتها وكانوا كلهم رحمهم الله يكتبون وكان المحدثون (رح)
يكتبون كل مروياتهم عن الشيخ حين الدرس يكتب ذلك الطلبة كلهم ويقابلون
ويصححون على الشيخ أو من كتابه كل ذلك يكون بقاية الاحتياط مع كمال
الفحص والتدقيق عن كل راو وعن كل ما يحدث به

فان قيل اذا كان الامر كذلك لم لم تكن جميع الاحاديث بتل الجوع والتواتر
قلنا ان الاحاديث الصراح هي هكذا في نفس الامر ودليله تلقيهم ذلك
بالتقبل — وسبب كونها آحاداً انما هو لان أهل الكتب المعتبرة لا يثبتون الا ما يرويه
الاثبات الضابطون ومن سواهم لا يروون عنه لئلا يفتربه من لم يعرف حاله قائدا
لمن روى عنه — ولانهم يختارون الاختصار فانما ذلك كانوا يختارون في مصنفاتهم
الأمثل من الامانيد ويتركون ما سواه — ونحن قد قلنا انهم لم يختاروا طريقة

التواترية لكان كل حديث أو أكثر الأحاديث متواترة في أكثر الطبقات فليأمل الناظر . وإن أراد مصداق ما ذكرنا فيفرض أي حديث مما اتفقوا على صحته ثم ليجمع طرقه في كتبهم فلا نشك أنه حينئذ يوافقنا على ما قلناه - على أنه إن وجد في أثناء سنده فرد وأوفى ذلك الراوي لا بد وإن يكون من أجساع على حفظه واعتباره وقاله ووضبطه بالكتابة ورب رجل يضل رجلا فتفكر

قال حضرة الناضل في الكلمة الطامسة ما موعده ان المسلمين خالفوا القرآن بإيجابهم العمل بالأحاديث الى آخره - واستدل ببعض آيات في ذم الظن الذي أجبنا عنها في رسالتنا السابقة وزيادة على ذلك نقول قد قدمنا في هذه الجمللة المختصرة الادلة القطعية على ان أخبار الآحاد ليست مما تفيد الظن قط بل هي قيد اليقين أيضا - فلا بد للفاضل ان ينقض ذلك أولا بأدلة أصح مما سقناها ثم لا بد له من أدلة جديدة تدل على ان جميع أحاديث الآحاد الثقات الضابطين الذين تطبق عليهم شرائط أهل الحديث لا تفيد العمل ولو لبعض الناس - ثم لا بد له من دليل يدل على ان المراد بالظن في هذه الآيات ما يرى انه الظن الراجح - وبدون ذلك لا يصح ولا يتم له الاستدلال بهذه الآيات على رد العمل بالأحاديث - نحن لا نرى ان هذه الآيات مما تدل على ذم العمل بالأحاديث ومن أراد ذلك منها فقد حملها مالا يحمله - لان من فكر في هذه الآيات وامن النظر فيما اشتملت عليه مما ساء الله فلما فيها يراه لا عجالة انما هو مما يسميه الناس في زماننا هذا بالشك فالقرآن انما يذم ما يكون بموتبة الشك بل بموتبة الهم والحرص بقوله تعالى « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمانا من دونه من شيء » هو استدلال منهم بالشبهة والقضاء والقدر الذي لم يعرفوا سره ولا ماهو ولا آمنوا به على رد وانكار دين الله وشرعه وعلى تكذيب رسوله (ص) فكأنهم يقولون ان كل ما فعلناه هو حسن ودين مقبول عند الله حتى الفصب والسرقة وقتل النفس التي حرم الله الى غير ذلك مما يقوله اخوانهم الجبرية اليوم قبل يصبح هذا الاستدلال؟ وهل هو ظن راجح؟ وما المرجح؟ وهل أخجلوا

اتقوا الضالين مثل ما ذمه الله عن المشركين في هذه الآيات ؟ وما لم تتعد
 العلة ويعلم انتفاء المانع لا يصح القياس
 والفاضل حفظه الله كثيراً ما يستدل بهذه الآية ونحوها على رد ودم العمل
 بالأحاديث الصحاح في زعمه . وقد شبهه إلى الاستدلال بها على ذلك الخوارج .
 واستدل بها بعض العلماء على رد القياس المساوي والأولوي وبعضهم على رد وجوب
 الأخذ بالعمومات القرآنية مطلقاً أو الذي قد وقع فيها تخصيص أو احتمال وعلى رد
 الأخذ بالاستصحاب وعلى رد الاجتهاد بترجيح أحد الاحتمالين الراجح . واستدلوا
 على ذلك أظهر من استدلال الفاضل على ما نحن بسنده فليسلم بما هو أولى من
 استدلاله . فإن سلم لزمه القول بأن ما سوى المنصوص في القرآن ليس من الدين
 مطلقاً ولا يجوز العمل به . وعليه فلا ندرى ماذا يقول في الواقع التي لم ينص عليها
 القرآن . انه مما يريد ان يقول فيها فالحديث أولى من قوله ورأيه . واقرب إلى العلم
 واليقين منه . والا لزمه ان الدين ناقص غير كاف لفصل كل ما وقع
 وقول ان ما استدلل به هؤلاء المشركون قد ساء الله ظناً وذمهم عليه . وإذا
 كان الظن يطابق على الراجح من الاحتمالين وعلى المتردد بينهما على السواء وهو
 الشك وعلى ما هو دون ذلك كالوهم والحزر والحرص ونحوه فهو مشترك لفظي
 إنما يدل على ما يراد منه بقرينة على الراجح ولما كانت هذه المطايع متغايرة
 ومختلفة الحقائق فلا يصح ان يقاس هذا منها على ذاك الا اذا استكمل شروط القياس
 كاتحاد العلة وان لا يكون في المقيس او المقيس عليه وصف يصلح ان يناط به حكم
 غير الحكم الذي يراد ان يطرد فيها مع عدم المانع كذلك . ومن صحيح النظر فيها
 ذمته هذه الآية يرى انه لا يصح قياس الاحاديث الصحيحة عليه بوجه من الوجوه
 مطلقاً وكذلك العمومات والقياس والاستصحاب ونحوه كل ذلك لا تدل الآية على
 ذمه . وهذه لا تتعارض بل هي مرتبة واعلاها نص القرآن ثم نص الحديث وهذا
 الثاني مقدم على العموم مطلقاً وقيل على العموم الذي قد تطرق الاحتمال وليس
 شيء من هذه الاشياء من الظن المذموم حتى عند من يجعل كل ذلك من الظن
 لأن كل ما ذمه الله تعالى من الظن في غير هذه الآية من كتابه فاما هو شقيق

ذمه في هذه الآية ولئلا يدخل في ذلك الظن الراجح كالقياس وما ذكرناه بصدده ونحو ذلك ايضا قوله تعالى « ان بعض الظن اثم » أي بعض الظن الذي هو بمثابة ظن المشركين غير المستند الى حجة ترجحه فهو اثم لانه من ظن ضفاء العقول الذين ليس لديهم علم وبصيرة وانما هم يغرصون بالحزر والوهم الكاذب ومنه فهم الآية ان البعض الآخر أي كالظن الراجح ونحوه ليس كذلك وحينئذ يقول إما ان يجعل الظن مراتب لا يتناول حكم احداها الاخرى وذلك مثل ما قلنا سابقا أو يجعل كالتواطيء في افراده وهذا مع ضعفه فالظن الراجح مستثنى كما عرفت ايضا ، وإما ان يجعل كل ما هو نظير ومثيل ما ذمهم عليه هو الظن وكل ما كان مدوكة أقوى بما ذكره الله عن المشركين وذمهم عليه هو من العلم وعلى كل تقدير فاستدلال الفاضل الدكتور بهذه الآية ونحوها على ذم الفصل بالأحاديث الصحاح فاسد فاذمه الله عن المشركين في واد والأحاديث في واد آخر . وبما ذكرناه تتحل عقدة الاشكال التي كثيرا ما تورد مثل هذه المسائل فتأمل ذلك واشكر الله على افضاله

قال اخونا الفاضل وقد أقر الأستاذ الفاضل الشيخ الياضي بان الظن انما يذم اذا عارضنا به الامر القطعي . ثم رد علي بأنني ومن على مذهبي كثيرا ما اعارض نصوص القرآن الشريف الصريحة واخللناها لاجل الأحاديث الآحاد . الى قوله واليك بعض الأمثلة على ذلك .

وأقول في الجواب قد قدمنا الكلام على آية الوصية للوالدين والاقربين الوارثين . وهنا قول للاخ المكرم حفظه الله ان تجوز معارضة نص القرآن بالحديث الصحيح لم يقل احد من المسلمين به فيما اعلم والخير لا يقول به أيضا هذا الفصل (الثاني) ان من يجوز نسخ القرآن بالنسخة متواترة كانت او مشهورة او أحادية لا يلزمه ان يقول بوقوع ذلك فعلا (الثالث) ان من يجوز نسخ القرآن بالحديث الصحيح لم يعارض به نص القرآن وانما اذا صح حديث عن رسول الله (ص) متأخر عن نزول آية ولم يمكن التوفيق بينها فالمعارضة انما هي بين الحديث واستمر الحكم أي بقاءه او عمومته واطلاقه وقد اختلف في الاول كبار العلماء (روح) وقد قدمنا بعض الكلام على ذلك اما الثاني والثالث فقد قلنا بجوازهما ووقوعهما الجمهور لكن قال شيخنا

ابن القيم رحمه الله مع تجوز به النسخ بجميع اقسامه ما مئاه ان كل ما يظنه الناس معارضة بين السنة والقرآن فليس الامر كما يظنون بل لا بد ان تكون السنة مينة لاية من القرآن هي في الحقيقة ناسخة او مخصصة لما يظن منه ان السنة خصصته او قبضته وعلى كل تقدير فهل العلم كلهم متفقون هؤلاء وهؤلاء على انه لا يجوز احوال والفاء شيء مما صرح عن النبي (ص) بيان من جوز وقوع المعارضة ومن التمس لها موافقة من آيات الكتاب العزيز لان المرمى والمحل واحد

قال الاخ الفاضل حرموا اكل الحمر الالهية للحديث مع ان الله يقول « قل لا اجد فيها اوجي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية . ويقول « انما حرم عليكم الميتة والدم » الآية الخ واقول ان الحصر في هاتين الآيتين قد عارضته آيات أخرى في القرآن نفسه (هـ) واذا اخذنا المظهر المحرم اعم من لحم الحيوان فالعارض اكثر . وحيث ان يقال الحصر منسوخ او مخصوص بوقت نزولها وكلا التقديرين يخالف للذهب الفاضل لعدم تجوز النسخ أي وقوعه ، وقوله ان الخصوص بوقت دون وقت لا يكون في القرآن وانما يكون في الحديث لانه أي الحديث شريعة موقفة بزعمه وهو هنا لا يحصى له من التزام أحد الاحتمالين رضي ام ابى

ثم يقول اذا كان الحصر منسوخا أو مقيدا بيمين النزول فلا يكون الحديث المذكور معارضا لنص القرآن المحكم بلا خلاف واعا هو من باب الزيادة على ما في القرآن او ما سكت عنه ومن لا يجوز ذلك فتقوله غير مؤيد بحجة ولا بشبه حجة على أنا نقول ان الله حرم الخبائث والتلبيث في القرآن كما حرم الاتفاق منه فلم لا يجوز ان يكون لحم الحمر الالهية من ذلك والحديث مبين لما اجملت تلك الآيات وبذلك يندفع الاعتراض من اصله

قال الفاضل قالوا بحرمة الذهب والفضة والحريز للحديث التي رووها والقرآن يقول « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والهنالك من الرزق » الآية قلت وليس الامر كما اطلق وأهل الحق (رح) لم يحرموا الا الاكل والشرب في آية الذهب والفضة وعلى الرجال ليس الذهب في غير السلاح والحريز الخالص لتبر الضرورة

والآية ليست نصاً في تحليل ذلك بل لم يذكر فيها شيء من ذلك بخصوصه وكان سبب نزولها في زينة مخصوصة حرماً المشركون وهي سائر العورة فكانوا لا يجوزون بل يجرمون سترها عند الطواف وكانوا يجرمون بعض الرزق الطيب فأمر الله عباده المؤمنين أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وأن يأكلوا ويشربوا من الطيبات من الرزق ونهاهم عن الإسراف في الأمرين أي اللباس والأكل والشرب ورد على المشركين بأن قال لئيه (ص) قل لهم أي أسلمهم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فالآية لا يارضها الحديث لما عرفت أن ما أحل لنا من ذلك هو مقيد بعدم الإسراف وأيضاً قوله « من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » المراد بالزينة فيه الزينة التي أمرهم بأخذها عند كل مسجد وتلك معلومة لدى المخاطبين (رض) لم تكن هي ذهباً وفضة ولا حرياً ، على أن ماسوى الأكل والشرب في آية التقدين من كل استعمال لما ذكره جائز للنساء وهن ممن يدخلن في الخطاب وأيضاً كل ما يطلق عليه لفظ الزينة لا يمكن الدكتور أن يجوز له لكل أحد بلا قيد ولا نظنّه يجوز للرجال لبس النساء ولا المكس مطلقاً وإذا كان الأمر كذلك فكان الأولى به أن لا يعترض علينا بهذه الآية في الأحاديث لاسيما وقد عرفت أن آخر الآية إنما هو مبني على ما ذكره في أولها

أن من يارض الأحاديث ويحل كل ما يطلق عليه لفظ الزينة بهذه الآية قوله أشبه شيء بقوله من يجوز أكل وشرب وتناول واستعمال كل ما على الأرض وكل ما يخرج منها بقوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » الآية فكما أن هذا لا يصح فتحليل استعمال كل زينة بكل صفة لا يجوز مثله والآية لا تنزل عليه قال حرموا أن تتكح المرأة على عورتها وخاتمتها وخالفوا قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » إلى قوله بعد أن ذكر سائر المحرمات وليس من بينهن المرأة على عورتها أو خاتمتها . وأقول هذه الآية قد دنفن حولها الشواجر وأطلوا بما لا طائل منته وقد خالفوا إجماع من تقدم عليهم علماً وفضلاً وخالفوا نصوص رسول الله (ص) والذي (ص) قد حذر منهم وذمهم وقال أنهم يجرقون من الدين - استدلوا بعموم قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » وهو غير مراد على إطلاقه لوجود نصوص

القرآن بتحريم محرمات لم تذكر في هذه الآية كالمشركة وزواج الأمة لمن يقدر على زواج الحرة والزانية والملاعنة والمطلقة ثلاثاً حتى تنكح زوجاً غيره والعقد بالريبة قبل ان يطلق أنها ويدخل بها على خلاف في ذلك بين العلماء كما اختلفوا في المشار إليه في قوله « ما وراء ذلك » وقد اختلفت طرق أهل العلم في الرد عليهم . ونحن إذا ناقشناهم الحساب قلنا لم ان الله ذكر ما ذكر من المحرمات منها بها على ما لم يذكره عما أتحدث فيه علة التحريم — وليس المراد الحصر بالعد ، ولا اقامته مقام الرسم والحلد ، وبناء على ذلك قول ان الله لم يذكر الجدات ولا بنات الاولاد ولا أم المرضعة ولا بنات الأخت والأخ من الرضاة ولا سائر من يحرم من الرضاة فكما انه لم يصرح بذكر من ذكرناهن وهن محرمات غير داخلات في قوله « وأحل لكم ما وراء ذلك » فكذلك تحريم ان تنكح المرأة على عمها أو خالتها من كل امرأة لو فرضت ذكراً حُرمت على الأخرى لا يحل ان تنكح عليها — فقوله « وان تجمعوا بين الأختين » لا يأتي دخول الجمع بين أحدهما وبنات أختها وأخوها في المنع والنهي بل دخولها ظاهر لاهل العلم بالقرآن لاسيما وقد دل الحديث الصحيح أو المتواتر عند بعضهم على ذلك

ولو سلمنا بالمعارضة فهي ليست لنص الآية . وانما هي بين عمومها أو استمرار الحكم وتأنيده وهو ظني كما تقدم والحديث أقل حالاته ان يكون أرجح واذا وقعت المعارضة فالجمع بين الدليلين هو الواجب اذا أمكن والا لزم اهما أحدهما بلا موجب وهو لا يجوز . هذا على قول من يقول ان الاحاديث الصحاح انما تنفذ الظن اما على ما اعتدنا من انها قد تنفذنا العلم فالامر واضح ظاهر ولا قباحة فيه

قال الفاضل حفظه الله أوجبوا القتل مطلقاً على من ارتد عن الاسلام بالحديث والقرآن يقول « لا اكراه في الدين » فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقاً ليس بصحيح على إطلاقه — بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادة ومهادنة وبشرط ألجئ اليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات وهذا الاختلاف الذي قد يرى انه تسهيل في

بعض الاوقات والاحوال — انما يستفاد من الاحاديث والسنن لا من القرآن ومن
تفكر فيما اشتمل عليه صلح الحديبية من الاحكام عرف ذلك فلتكف بالإشارة اليه
أما ما ذكره حضرة الفاضل فهو ليس في حكم المرتد وانما الآية الاولى في
شأن الكفار من أهل الكتاب هل يجبرون على الاسلام أم لا وأما الآية الثانية فليس
فيها تجويز الكفر لهم ولا حكم الاكراه لهم منابل هو مسكوت عنه كله انما هو في
الكافر الاصلي فالأبراد ليس في محله .

ونحن نسأل حضرة الفاضل هل يقول بأقامة الحدود والتعزيرات على فعل
بعض الواجبات والفرائض الذي اجمع عليه المسلمون ودل عليه الكتاب والسنة كما
قال « تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك مما
يدل على ان المسلم يجبر على التدين والخضوع لاحكام الدين ؟ ام هو يقول
بعدم جواز اقامة الحدود ونحوها ؟ فان قال بالاول وهو قلنا به فقد وافقنا وتمض
اعتراضه بنفسه والا كان مخالفا وواقفا في أقبح مما عُلن وزعم ان غيره واقع فيه
(الها بقية)

الانقلاب العثماني الميسون

﴿ ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبدالحيد خان ﴾

أرسل الينا صديقنا الفيود مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة «وطن» الهندية
ما يأتي فنشره مع تصحيح قليل لبعض الالفاظ من جهة اللغة والنحو ونحييه عنه وهو
حضرة الصديق الفاضل :

استلمت كتابكم المصنوعي مع العدد الرابع من مجلة المنار وشكرت فضلكم وقد
وصلني في نفس ذلك البريد اعداد من جريدة اللواء ايضا خلاف المعبود وقد
نشرة هذه الجريدة كتابي في أحد اعدادها وردت عليه في العدد الآخر حسب
ما رأيت فاشكره على لطفه ايضا

وجناكم قلمون اني اظن حضرتكم محبا مخلصا للاسلام والمسلمين فلذلك اكلفكم في بعض الاحيان تكليفا ما - واطالع مقالاتكم وكل ما تسطرون في امر الاسلام والمسلمين بمنزلة العناية والتجليل بل واسى في اشاعته جهد طاقتي وحسب استطاعتي ليستفيد العالم الاسلامي المندى من آرائكم الحكيمة - وكذلك لا اشك في كون حضرة علي فهي كامل بك ايضا محبا لغيره لامة والوطن - ولكن اعذرني يا سيدي بأنني لا أرى بدا من ان أقول لكم كلمة صادقة - وهي انني كنت دائما لأرى رأيكم صحيحا في امر السلطان الخاوي وان ما كنتم في العدد الاخير من مجلة النار قد قرأته بكال الاسف والحيرة - ولكن في علم حضرتكم اني لا اظن عبد الحميد ملكا معصوما - بل أرى فيه من حيث انسان من التعصبات ومواقف الضعف البشري ما يجب ان يؤخذ عليها - ولا يخفى عليكم وعلى الذين طالعوا كتابنا تاريخ مشروع السكة الحجازية باقبي اول من كتب بالصرحة الثامنة في ذم عمال عبد الحميد وعدم كفايتهم حين لم تكن في استطاعة أي جريدة من جرائد مصر وسوريا ان تكتب في هذا الباب بمثل تلك الصراحة لاني كتبت ذلك في شهر يناير سنة ١٩٠٨ واطنكم غير تامين ما جريات مشروع السكة الحجازية فانه لا شاع اقراحي هذا اول مرة خالفه السلطان عبد الحميد اشد الخلاف وكتب جريدته الرسمية «المعلومات» ان هذا المشروع يكون اشد ضررا للدولة المالية ولكن يفر الله للمشيرين المرحومين شاكر باشا وعثمان باشا غازي فانها بعد ان تأثرا من مكتوباتي المتوالية ايدا المشروع حتى تأييده وكانت نتيجة ما كان

ان حضرتكم وحضرة محرر جريدة اللواء تقولان ان مخلصكم هذا (محرر جريدة وطن) ومسلمي الهند لا يملكون من الحالات الاصلية للدولة شيئا - فاقول بكل الادب ان قياسكما هذا ليس بصحيح فان سوء ادارة ولاية الحجاز والحالة السقيمة التي كانت لا حقة للجيش العثماني المربط في الولايات البعيدة - والمظالم التي كانت تجلبها يد الجاسوسية على البلاد والبلاد كانت حديث كل ناد من اندية القوم في الهند والسند وأفغانستان ولم يكن الفرق غير اننا كنا خيرين بذلك والعثمانيون هم واقصون تحت نير هذا الاستبداد عملا يذوق بعضهم من طعنها المروئناؤه من شدائد هذا المظالم

والأكلام — ونظن أن حضرتكم حتى العلم أن مسلي الهند لم يكونوا بوجه ما منعا عليهم من السلطان المخلوع ولا مرهوتين بهمة من الأمة التركية . أن الارتك أو الخليفة لم تقط ولا دورها واحدا في اعانة مسلي الهند حين ما ابتلوا بلاء أو اتابهم ثانية مع أن مسلي الهند لم يقصروا قط في مد يد الاعانة للعثمانيين — حتى أن محرر جريدة وطن غير كونه مقترحا لمشروع السكة الحجازية والبغدادية جمع لها من أموال الاعانة زهاء مليون قرش وأرسلها إلى اللجنة العليا في الأستانة ولم تستطع جريدة من جرائد العالم الإسلامي أن ترسل مثل هذا المال لاعانة ذلك المشروع العظيم من الأكتتاب العام وكذلك أرسلت في اعانة منكوي جزيرة أقيطش آلافا من الرويات — احسنا بالوجه لوجه الله — ما أردت أن أمن بها على احد ولا تشفع لي دولو ذهني باشا في حفرة السلطان بطلا امتياز (؟) متدسنتين وصدرت الأرادة باعطائي الوسام العثماني من الدرجة الرابعة كتبت إلى حفرة الباشا المشار إليه اتني لم أر من المناسب أن ارد عطائه كم مع اتني لا احسبه شيئا بمقابلة الاجر الذي يحصل لي من الله الكريم لأن تلك الصلة الدينية لا يمكن أن تفيدني فائدة ما . ولا يفوتكم أن هذا الامتياز لم يكن ليعتد به لأن الذين زاروا الأستانة الملية من الاجانب من أي صنف وطبقة كانوا تحصلوا على امتيازات اجل وافضل من ذلك الامتياز وغير ذلك فاني لم اكن اخدم هذا المشروع رغبة في صله

يظنون بأن السلطان عبد الحميد هو الباني والمحرك لفكرة اتحاد الاسلام ولكني أعلم حق العلم انه لم يسع قط لاشاعة هذه الفكرة في مسلي الهند ولا احد من اعوانه ولو كان كذلك لكان لا بد ان اكون اول من يعلم به وكيف كان من الممكن السعي في نشر افكار اتحاد الاسلام بين مسلي الهند حينما لم يكن قنصل الدولة الملية في قمر بمبي عالما باسماء الجرائد الاسلامية التي كانت مشغولة في جمع الاعانات للسكة الحجازية ايضا — واني اعلم وأكثر مسلي الهند مثلي في العلم بأن الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد إلى حد يجب أن نفتخر به حتى قلت بنفسني في تأليفي كتاب « تاريخ خاندان عثمانية » الصادر في سنة ١٨٩٧ ما مفوهه « لعل ارى بجانب الجامع الحميدي وحيدية خسته خانه وامثال ذلك من المشروعات

ترعة او سكة حديدية ايضا يفتخر بها العصر الحديدي الى الابدء ولعلكم تهيجون من سماع هذا الامر ان جريدتي « وطن » كانت بمنوعة الدخول في الاستانة و بعض الممالك المحروسة كجريدة « وطن » المصرية وان كانت جريدتي لا يكون فيها غير مدح عبد الحميد وتأييد الخلافة العثمانية شيئا — بل هي مخصوصة لذلك الامر ولكن مع ذلك كله اعتقد انا وجميع مسلمي الهند يوثق تام ان تركيا الفتاة او الامة العثمانية قد اوتكتبت خطأ جسيما في عزل عبد الحميد بل كفرت بنعمة الله تعالى وقد علمت من صاحبزاده عبد القوم عظيم الافغان ان الصدمة التي احس بها مسلمو أفغانستان والهند من عزل عبد الحميد كيف كانت شديدة عليهم وكل يوم يرد علي من الكتب من اقطار الهند مالا يستطيع نشره في الجريدة وفيها ما فيها من اظهار التألم والتأثر في النفس — وأخاف لو نشرت افكار النار واللواء في جريدتي أن تأتي غالبا بما هو عكس المقصود — واسمحوا لي ان اقول لكم بكل الاسف ان ما كتبتكم حضرتكم تعليقا على مقالتي أو في مكان آخر من مجلتكم هو خارج عن حد الاعتدال يشف عن ميلكم الى الاتحاديين ولذلك رموني وجميع مسلمي الهند بالجهل بأحوال الدولة العلية — ان حضرتكم أو حزب تركيا الفتاة أو الرجعيين من العثمانيين الذين يرومون عود عصر الاستبداد — كلكم من المناظرين او فريق من المتخاصمين لا تستطيعون ان تبدوا او تقيموا رأيا صحيحا واما نحن مفاشر المسلمين في الهند ففي وسعنا ان نقيم الرأي الصحيح لاننا لسنا من فريق ولا واسطة لنا بهم غير الاخوة الاسلامية والتماعى الادبي الذي هو روح الاسلام — وانكم مثل الجندي الذي يكافح ويناطح الاعداء في ميدان القتال لا يرى غير ما يكون حواله ولا يكون هم الاقتل مبارزه ونحن كالتفرجين من بعد نرى كل ما يجري بين الفريقين المتحاربين — وانكم من الذين آدامهم العصر الحديدي حتى اضطر وا لترك الاهل والوطن فلا بد انكم تسرون بزوال السبب الذي جر عليكم هذه البلاد وان يكن هو السبب البعيد والقریب غيره والا فله يمكن يلقى بمحضرتكم ان تصوبوا سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له (شيء من) الحول ولا الطول وهو الآن تحت مرحمة أعدائه الذين لا تشفى عنهم الا بشرب دمه

ان ما فعلوا به عبد الحميد هو ليس غير عزله من سرير السلطنة ولكن تروون مثا
من الملوك والخلفاء والقواد العظام الذين دالت دولتهم قد صار مصيرهم اسوء من
عبد الحميد : ايش مضى على نابوليون ؟ وما جرى على مدحت باشا ؟ قد قتل السلطان
عبد العزيز وعزل السلطان مراد بل الفاروق (رض) وذو النورين (رض) والامام
علي (رض) كلهم قازوا بالشهادة ان لم ينزلوا من دس الخلافة وأراد اقاتل لفتيال
معاوية (رض) وقتل الحسين (رض) مع رفقائه رضوان الله عليهم في اشد المصيبة
ولقد نجد التاريخ ملوأم انما هذه الحوادث الجسام فالتا ان نحصى مفهوم الآيات
القرآنية ببعد الحميد وحده بل يجب علينا ان نختار من مثل ذلك الخطاء

واعلموا ان ظنكم ووطن جريدة اللواء بان الانكليز في الهند يسمعون في إلقاء
بذور الشقاق بين مسلمي تلك الاقطار والهنانيين للقضاء على الاتحاد الاسلامي
والخلافة فأقول لكم بكل الاحترام ان ظنكم هذا ليس في محله بل أسأتم حيث
ظنتم هذا لأن الأمة الانكليزية أمة حرة عادلة عاقلة لا تتدخل أبداً في مثل
تلك الأمور . ان مسلمي الهند كانوا يجالون عبد الحميد لكونه سلطان المملكة
العثمانية وأجبهوا لأنه في رأيهم كان حافظ هذه السلطنة من المخاطر الجسيمة
لا غير فكان تبجيلهم له ومحبتهم منه لأجل خدماته الجليلة التي خدم بها السلطنة
والخلافة الاسلامية - وان كان تعطى الحكومة الدستورية السابقة فلا نه يحسبها
مضرة أشد الضرر في حق الدولة والملة

ان المسلمين الهنديين يعلمون بانه ليس من أحد في هذه الدنيا غير فان وباقي غير الله
الواحد اقهار : ان الحمير على بشارك ما صار سياخرب ألمانيا وعزل عمر بن الخطاب خالدا
(رض) عن القيادة العامة لجند المجاهدين لتلا محسبه المسلمون سبب الفتوحات وتروكو
الاتكال على الله تعالى وعلى شجاعتهم وقد هلك آلاف من الصحابة الكرام
يطاعون عمواس وقازوا بالشهادة في ميدان القتال ومع ذلك لم تقطع سلسلة الفتح
الاسلامي كذا لك عبد الحميد أيضا لم يكن ليعمر الى الأبد ان كان يموت فكان
لا بد من مشي الأمور كما كانت تمشي قبل أيامه وفي عصره ولكن مع كل هذه
المسلات لم تصور نحن معاشر المسلمين الهنديين عزله طاعة كبرى للدولة ؛ لأن في

آرائنا أن الدولة الطيلة قدت بهذا الامر إحدى يديها وعينها وصارت ذات يد واحدة وعين واحد فقط بعد ان كانت ذات يدين وعينين

نحن نقول ان عبد الحميد لما أخذ كل أمور المملكة فى قبضة يده قد أحسن نظرا الى الحالة الطارئة على البلاد فى تلك الأيام لانه لو كان القوم كلهم أو جزء قوي من أجزائهم يرى مثل رأي مدحت باشا لكان من المحال سقوط ذلك الرجل المصلح . ولا يذهب من خاطرهم ما فعله القواد العثمانيون المظالم فى حرب الروسية الاخيرة من أخذ الرشوة وكيف كان حال العمال فى ذلك العهد فكان كل تبعة الجور والاستبداد على الوزراء والولاة

هذا هو حلمي باشا الصدر الأعظم الحالي لما كان واليا فى اليمن أى شيء فعل فى تلك البلاد التسعة ؟ لذلك رأى السلطان عبد الحميد ان العاقبة فى ان يأخذ كل أمور المملكة فى يده ويقبض عليها بيد من حديد ومن الظاهر ان ترقية القوم الذين قد خيم الادبار بهجرانهم لا يكون ممكنا الا بالحكم المطلق

كان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا وكان حكم الصديق (رض) والفاروق (رض) أيضا كذلك

لا ننكر ان اجتماع الاختيارات فى يد رجل واحد أعني عبد الحميد قد صار فى آخر الامر موجبا للخراب أيضا لان الرجل الواحد لا يستطيع أبدا ان يحكم على بلاد واسعة الارحاء مترامية الاطراف وقد اندكت قواه بكثرة الأشغال فظهر عليه ضعف الكهولة والشيوخوخة حتى صارت أكثر الامور فى يد رجال الماين وهم يرمون كما يشاؤون ولكن نية عبد الحميد لم تكن سيئة قط لذلك لما رأى ان جزءا كبيرا من القوم صار أهلا للحكم الدستوري اعاده عليه وأعطاه حقه والظاهر ان هيئة الادارة التى تشكلت فى سنة ١٩٠٨ هي من أحسن ما يكون

ولا يسعكم إنكار ان المعلمين المتتوربين الآن فى بلاد العثمانية قليلون جدا والجزء الأعظم من تركية آسيا ملوء من المسلمين الذين يميلون الى بقاء اقدم على قدمه أكثر من الذين يرون الدستور حياة البلاد وخلص العباد من شرك الظلم والفساد ومحبوا القديم هم مقدرين اقتدار جلالة السلطان حق قدره ولا يفغون ان يكون السلطان مسلوب الاختيار

فإن بقاء السلطان عبد الحميد على سرير الملك وقيام مجلس المبعوثان على العمل
باصلاح الحكومة والبلاد هما الامران اللذان كانا يمثان الطائفة في نفوس الفريقين
وهذه الطريقة كان من الممكن ان يأخذ الدستور مجراه الطبيعي على سبيل التدرج
والترقي ولا تقع السلطنة في اخطار الحرب الاهلية والفتن الداخلية ومن الجانب
الآخر لا يكون بوسع الاعداء الخارجية ان يتلاعبوا مع الدولة العلية لظرفهم من
سياسة عبد الحميد ودهائه المشهور والمعروف ولكن الانقلاب الأخير (المشؤوم) قد
فتح الدور الجديد قبل أوانه وزالمت أركان حالة البلاد زلزالا شديدا

ان محمود شوكت باشا قد يستطيع ان يمدد كل جهال الاستانة وصوفائها ولكنه
لا يستطيع أبدا ان يمحو من الوجود الملايين من المسلمين القاطنين في بلاد العراق
وكرديستان وجزيرة العرب والاناضول وغيرها الذين هم من محبي الحالة القديمة
والحكم المطلق لا شك في أنهم ساحتون وصامتون الآن وسيستكون الى بقاء
الادارة العرفية والسيادة العسكرية ولكن متى وجدوا انفراجا من هذا الضغط ولو
قليل فلا بد من انفجار المادة المشتملة الكامنة الآن تحت هذا الضغط الشديد
(لا قدر الله)

انكم تقولون ان الخليفة والسلطان هو موجود وجالس على عرش السلطنة
ولكن حجتكم هذه غير نافعة لان جلالة السلطان محمد الخامس هو كالة صماء في
يد فريق ليس له وجهة خصوصية وقوة ذاتية . وقول بصارة أخرى ان يدا وعينا
واحدة من يدي وعيني الدولة تملان الآن واليد والعين الاخرين ممطلتان بل تريد
اليد العاملة والعين المستعملة في ذلك الوقت قطع اليد الأخرى وقمع العين الثانية
من جسم الدولة وصلاح الدولة منوط بانجاحها في العمل اعني كان من الواجب ان
يكون الفريقان من انصار عهد القديم والدور الجديد متحدين في ترقية شأن الدولة
وصلاح المملكة مثل اليمين واليمين ويكون الصدر أو الرأس عبد الحميد فيصلا
حسب اشارته وينجحان في أعمالهما

انكم تقولون ان الحركة الجديدة في الدولة العثمانية هي عين التوحيد والاسلام
ولكن التاريخ يقضي بخلاف ذلك . ان الفتيان من الأتراك (تركيا الفتاة) يتبعون

أراقداً فرنسا التي اسقطت الملك أولاً والعلماء الروحانيين ثانياً وقطعت علاقة ابيد باقية
تعالى أخيراً فصاروا بذلك من الماديين الدهريين . ان صبغة تطليم الاسلام لتجدون
في انكثرا البتة (كذا) ولعل تركيا الفتاة ان لم يكن بوسعها ان تتقلد انطلافاً
الراشدين فكان اللازم عليها قراءة تاريخ انكثرا . لا ريب انه قبل قرون من هذا
المهد قد فعل كرامول في انكثرا كما فعل شوكت الآن في الاساتنة ولكن ايش
صارت نتيجة ذلك الفعل القبيح غير اراقة الدماء اعواماً متوالية وأخيراً قد حلت
الملكية محلها وثبت ان محوها محال

تقولون ان عبد الحميد كان منيع جميع الشرور والمظالم ولكن ما تقولون في أمر
تركيا الفتاة والمشير شوكت باشا قاتلهم أنفسهم من الذين رباهم العهد الحميدي
الزاهر هل تسبونهم على تهمة مثل تلك النابتة النابتة ؟

هلم أقولاً للتنازي غتار باشا في ذم عبد الحميد وكأنكم ليس لكم علم بان عبد
الحميد كان واقفاً من مدة على سوء نية الرجل واميله العدائية نحوه ولكن لم يتعرض
قط لشأنه بل كان ينعم عليه ويكرمه كما كان يسعى في جلب التنازيرين عليه من
أوربا بالشفقة الابوية والعفو السلطاني أليس هذا سماحاً وكرامته لا يوجد له نظير الآن
ان جمعية الاتحاد والقائد شوكت باشا يستطيع ان يأمر عبد الحميد ورجال الدور
السابق ويعدم من يشاء من معانديه ، أفلم يكن يستطيع عبد الحميد ان يذل المختار في
زمان اقتداره ؟ ولكن التاريخ يشهد له بأجل بيان انه لم ينتقم من أحد لنفسه قط بل
كان يشدد ويلقى القبض على الذين يعدم أعداء الدولة والملة . ان مراد بك وغيرهم من
رهقائه يساقون الآن الى السجن المؤبد أو المشانق ومن الذي لا يعلم انهم كانوا من
أشد أعداء عبد الحميد فمما عنهم وطلبهم الى الاساتنة وأنهم عليهم وعلى كل حال
ان المسلمين الهنديين متألون ومتأسفون جداً من جراء هذا الانقلاب نظراً انه يضر
بالدولة والملة العثمانية ضرراً بليغاً ولكنهم اذا وجدوه مفيداً بحقها وثبت لهم ذلك
من كرايالي والايام فلا بد من أن ينعم به بالهم وتقر به أعينهم ويقولون « الخير
فيما وقع » ولا تهدأ في العالم الخارجي كله بأن « لا خير فيما وقع »

انكم تسبون قائم المسلمين المنديين الى دسائس الاجانب . وأكثرت القلاء
 يرون ان تركيا الفتاة مفرودة من جهة الأغباء في ارتكاب ذلك الخطأ الجسيم
 ان عبد الحميد لم يكن قط بانبا لتحريك اتحاد الاسلام ولكن قد وجدت هذه
 بالحركة في عصره بين المسلمين باموس الارتقاء البشري وأيقنت أوربا مثل يقينه
 بعدم تناهي كنوز يلدوزان الثلاثمائة مليون من المسلمين كلهم في قبضة عبد الحميد
 وكان ذلك اليقين كظن ثروة عبد الحميدية الغبرمتاهية (بزعمها) مباركاً في حق الدولة
 والأسف كل الأسف على ضياع هذه الاعتقادات بعزل عبد الحميد وبحريبات ثروته !!!
 ان اتهام عبد الحميد بالجبن كالصبق على السماء ينزل على وجه الرجل نفسه فقد
 قال له الوزراء حين قدوم جنود الروسية في سان استفانوس ان يهرب الى بروصة
 لكنه لم يتزعزع من مكانه ولم يرص بتريك دار الخلافة ولما طلب الروس الاسطول
 قال عبد الحميد اني أركب في السفائن وأدمرهم بيدي وأغرق بها ولكن لا أقبل ان
 أسلمها للعدو أبداً هل يمكن طمس الحقيقة التاريخية التي تظهر بذلك ثبات عبد الحميد
 وقوة جاشه عند وقوع الزلزال في القصر وقرعة الديناميت على بضعة أقدام من مركبه
 حيث لم يكثر ذلك الطود العظيم بهذه الحوادث ابداً !!! وأكبر من ذلك ان
 يتهمه فاضل مثلكم بمقر الخور (استغفر الله) لأن وجود الخرفي قصره من لوازم
 ضيافات الاورباويين الذين كثيراً ما كانوا يدعون كل يوم على مأدته ولاجل ذلك
 لم يكن بشترك عبد الحميد قط في الطعام معهم وتقول جريدة اللواء «ان انصار العهد
 القديم والرجلين يمدون الجرائد الخارجية بالمال ويأخذونها وسيلة لنشر افكارهم»
 — يمكن ان يكون في عصر جريدة مثل مقالته — ولكن لا يوجد في الهند عثمانى واحد يحض
 جرائدها ببذل المال على تنقيص تركيا الفتاة والحكومة الدستورية — ومع ذلك
 فرصيتا اللواء تقول كذلك وتظهر خطأها القياسي كالأقعة الحقيقية فيمكن لنا ان نستدل
 ببقية يافاتها بأنها قياسات لأصل لها —

ان جريدة المقطم وغيرها من الجرائد التركية لقد تجاوزن حد الأدب في ذم
 عبد الحميد ولم تكن تفعل واحدة منهم هكذا في عصره — ومن العجب ان أكثر
 جرائد العرب والشام وغيرها يتناولون مقالات المقطم في أنهر صحفين — وهن يلمن

ان آراء هذه الجريدة كانت دائما مخالفة للحقوق التركية والمصرية في معاملة مصر - وفرحها وسرورها بعزل عبد الحميد يكشف الغطاء عن نيتها ويظهر لنا جلياً انها ترى هذا العزل حسب مرادها -

ان كان عبد الحميد ليس له عون ولا نصير فلم يدمون الآلات المؤلفة من النفوس في الاستانة وسائر الجهات ؟ لاشك في انه فضل حقن الدماء ولم يرض ان يكون مثل شاه العجم . انه كان محباً للعلم وخادماً مخلصاً للوطن لاطالب الجاه - وكان يحب الحياة لكن لا التزم والاتذاذ بنعمات الدنيا الفانية بل لخدمة الوطن والملة وظنه ن حياته رحمة الهية لصالح العباد والبلاد -

ان خير ما كتب في ذلك الشأن هو قول رصيفتنا اللواء « ان عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة ليس قتله بل احياءه لانه خلص من متاعب الحكومة » ولكن أقول ان عزله وان يكن في حقه احياء فلا يكون في حق الدولة الامواتاً ونكالاً - لا يوجد رجل في جميع المملكة محنكاً مثله بل وأقل منه أيضاً في السياسة الخارجية لذلك أرى من الواجب على الامة ان تكرم مقامه وتستشير في الامور المتعلقة بالسياسة الخارجية ويكون العمل منوطاً بالاكثرية لاعلى اشارته

ولقد طال المقاتل رغم ارادتي الاختصار لذلك اختم رسالتي بتقديم فائق الاحترام لحضرتكم وأرجو منكم نشرها كاترون مناسباً والرد عليها سالكين مسلك الانصاف والحق وترك المجادلة بالباطل والسلام

وقد ارسلت نقولاً من ذلك الى بعض جرائد أخرى أيضاً عسى ان يتكرموا بنشره

كاتبه المخلص محمد انشاء الله

في ١٢ يونيو سنة ٩٠٩

محرر ومدير جريدة « وطن »

لاهور (بنجاب) الهند

﴿ جواب النار ﴾

مقدمات ومسايل حول القصد

(١) كان لنا ان لانشر رسالة صديقتنا هذه لانه لم ينشر مقالاتنا في الرد على رسالته

الأولى لأن القائده في نشر أمثال هذه المناظرات في الصحف هي بيان جميع ما يجب
بأنه لقراءتها في المسائل المتناظر فيها لاجل ان يكون حكم أولئك القراء صحيحا لبنائه
على العلم بالمقدمات التي يبنى عليها الحكم . ولكن صديقنا خشي من نشر ردنا عليه أن
يأتي بضد ما يراد منه كما قال فكأن قراء جريدته لا يرضون منها الا ان تكتب لهم
ما يوافق ميلهم وهو يوافقهم على ذلك وهي خطة فيها من التقصير الماحل لشرحه هنا .
أما نحن فأننا ننشر ما هو مخالف لرأينا ولمشرب جمهور قراء المنار لأنه ان كان حقا قبلناه ،
وان كان باطلا دحضناه ، وفي اعتقادنا ان الحق يدمن الباطل فاذا هو زاهق

(٢) لانسلم لرصيفنا وصديقنا المناظر لنا ما يدعيه من أن رأيه في عبد الحميد
والدولة هو رأي جميع مسلمي الهند فانه يتعذر عليه ان يعرف آراء أولئك الملايين
وهو لا يعرف أكثرهم ولا هم يعرفونه وانما قصارى ما يمكن ان يظن هو أن جمهور قراء
جريدته موافقون له في رأيه وميله وما هم الا عدد قليل في أولئك الملايين . وقد اعتاد
مثل هذه الدعوى بعض الجرائد المصرية وما زلنا نذكرها عليها . واننا نرى بعض
جرائد اخواننا مسلمي الهند تنشر من الرأي ضد ما ينشر صاحب « وطن » بل ترد
عليه فيما يكتبه كجريدة « وكيل » التي تصدر في (أم رنسر) وبقناعن مسلمي عليكده انهم
مسرورون واضون عن هذا الانقلاب الصنائي وناهيك بن هناك ، انهم أنور مسلمي
الهند عقولا وأرجاهم لخدمة العلم والملة

(٣) ان صديقنا المناظر احتج برأي عبد القيوم عظيم الافغان وان هذا الرجل الماقل
المنصف لم يفارقنا الا وهو مقتنع بأن تساؤم الكثيرين من مسلمي الهند والافغان
وخوفهم من عاقبة هذا الانقلاب انما سببه الجهل بالحقائق وان لبعض الجرائد تأثيرا
تأثيرا سيئا في ذلك وانه يجب السعي في إزالة هذا الجهل حتى انه اقترح إرسال وفد
تركي بجوب البلاد الهندية والافغانية لإزالة سوء الفهم والجهل بالحقيقة . وقد كان
هذا من المعقول في أول العهد بالانقلاب أما وقد طال العهد ونشرت الحقائق في
الجرائد فقد رأينا المنصفين من اخواننا مسلمي الهند مقتنعين بما ظهر لهم من الحق
ولذلك كان إصرار صديقنا صاحب جريدة « وطن » علي ما كان عليه غريبا
عندنا بصحب تأويله

(٤) قرأنا رسائله هذه قبل نشرها على بعض أهل الرأي والاستقلال من مسلمين وغير مسلمين فعجبوا واستغربوا وقالوا ما ذكره من إنكاره على إطلاقه وإجلال صديقا وتبرئته من سوء النية : انه لا يعقل ان تكون هذه كتابة عارف مخلص ... وليس في هؤلاء من هو من جمعية الاتحاد والترقي ولا من المتشربين لها بل هم ممن يعرفون لها وينكرون عليها .

حقاقه يصعب على العقل المجرد من الهوى ان يتصور ان إنسانا يعرف حقيقة حال الدولة العثمانية وحقيقة ما فعله عبد الحميد من الأفاعيل الضارة بها وبالأمة ثم يكتب كلمة في مدحه والدفاع عنه ويكون مخلصا محبا للمصلحة العامة ولذلك بنينا ردنا السابق على قاعدة جهل جرائد مسلمي الهند بمقاسد عبد الحميد ومضار حكمه اذ لا وجه يتضح لاتهمهم بسوء النية وعدم الإخلاص . ولكن صديقتنا ومناظرنا ينكر ذلك في رسائله هذه ويدعي انه هو وغيره من مسلمي الهند واقفون على جميع سياطات الحكم الحميدي وانهم اعلم بها وأقدر على الحكم فيها من العثمانيين الذين ذاقوها وتقلبوا فيها . وينفي دفاعه عن عبد الحميد ومدحه له على ادعاء حسنات له لا دليل عليها ولا يستطيع ان يزيد فيها على الدعاء والى والمدائح الشعرية كما يننا ذلك في ردنا الاول عليه وزاده يانا صديقتنا رفيق بك العظيم في مقالته التي نشرناها في الجزء الماضي وزيدته نحن يانا في هذا الجزء (٥) ان كتابة صديقتنا هذه الرسالة بعد اطلاعه على ما اطلع عليه من كلامنا وكلام غيرنا في الانقلاب لم نجد لها من تأويل مع ما نظن من اخلاصه الا ان جريانه على مدح عبد الحميد سنين طويلة جعل حسن اعتقاده فيه أمرا وجدانيا كدين المجاز لا يقبل بحثا ولا استدلالا يخالفه أرجو منه العفو والسماح عن ابداء رأي هذا فانا لم نر وجها آخر نفهم معنى إصراره وتناقضه وتهافته فيما يكتبه أولا وآخرا

(٦) إننا لانعتقد صدق ما يظنه بعض الناس هنا من ان الانكليز هم الذين أحدثوا في الهند فكرة سوء الظن بالدولة العثمانية في طونها الدستوري وان كنا نعتقد انهم يحبون ان تنتشر هذه الفكرة ليضعف تعلق المسلمين الديني بهذه الدولة وأن كل من يبطل ثقة المسلمين بالدولة العالية في البلاد التي للانكليز فيها نفوذ يكون خادما لهم في الواقع ونفس الامر وان لم يكافؤ ذلك ويعزوه به

(٧) اتانا لا نتفق أيضاً ان السلطان عبد الحميد هو الذي سعى في بث نفوذ الدولة الدينية في مسلمي الاقطار أو في دعوتهم الى التآخي والاتحاد مع سائر المسلمين . هو أقل وأصغر من ذلك فثله لا يسعى في عمل كبير كهذا . وانني موافق لصديقي المناظر في كون هذه الفكرة المنبثقة في المسلمين من روح التعارف والوحدة المنوية ليست الا أثر من آثار سنة التبرقي في البشر . وقد كان شيخنا الاستاذ الإمام يقول ان الحرب الروسية العثمانية هي مبدأ هذه الحركة والصوت المحدث لهذه العقيدة الاسلامية العامة . وقد كان هو وشيخه السيد جمال الدين يكتبان في أثناء تلك الحرب المقالات المنبهة والموقظة . وقد رأيا قبل ذلك ان انكثرا حاربت الافغان فلم يكن أحد من المسلمين في مصر والاستانة وغيرها يحفل بذلك

(٨) انني لا أنعجب من منع جريدة « وطن » الهندية من دخول البلاد العثمانية في عهد عبد الحميد وان كان لا يخفى ان ينتشر بدخولها من الافكار المألوفة للجهل العثمانيين بلقيها ، ولا منع جريدة « وطن » المصرية . ان صح انها أرسلت ومنعت على كونها قبلية لا يطعم صاحبها بنشرها في غير مصر . لان العاقل انما يعجب بما جاء على خلاف المهود ومثل هذا المنع هو المهود في أيام عبد الحميد لان سياسته كلها وما يتعلق منها بمنع الصحف والكسب خاصة هي سياسة جنون وهل يعجب العاقل من المجنون اذا آذى من يحسن اليه ؟ ؟

(٩) ان ما ذكره من سيئات عبد الحميد يناقض من وجوه ما ذكره في الرسالة الماضية التي نشرناها في الجزء الرابع التي ادعى فيها انه أصلح مالية الدولة ورفق عسكريتها ومعارفها وعمرد اختليتها بل يناقض بعض ما جزم به في رسائله هذه كإسائتي (١٠) اتنا يناله خطاه فيما أحرى به عبد الحميد من الاعمال التي نسبها اليه وكان يصل ضدها فلم يستطع ان ينفي شيئاً مما أثبتناه وهو مع ذلك يصبر على إطرانه ببيارات شمرية ودعوى ظفر بطلانها لكل أحد كدعواه انه منع الدستور لاعتقاده ان الأمة لم تكن أهلاً له ثم أهلاً له ومنحها إياه

(١١) لان سلم انه أول من كتب بالصرامة في ذم عمال عبد الحميد فان جرائد المشرق والمغرب قد فاقت بذم عماله و بذمه هو أيضاً قبل سنة ١٩٠٨ التي كتب

صديقنا فيها ولم يشذ عن ذلك الا الجرائد التي كانت تحت سيطرة ظله وجبروته أو
الستارة بماله لدحه أو الجاهلة بحال الدولة العثمانية أو التي لا يهتمها شأنها كبعض جرائد
أمريكا واسبانيا مثلاً (وعسى ان لا يعود صاحبنا الى دعوى مثل هذه الاولى التي
يسخر القلاء من اتحال بعض الجرائد المصرية مثلاً)

(١٢) ان ما ذكره عن جريدة معلومات غير صحيح فهي لم تكن جريدة رسمية
ولم يكتب ما كتب فيها عن مشروع سكة الحديد الذي كان اقترحه الكاتب بأمر
خفي أو ظاهر من السلطان عبدالحيد وإنما كان ذلك رأي محررها في ذلك الوقت وهو
صديقنا السيد عبدالحيد افندي الزهراوي الشهير وهو الذي حدثنا بذلك عن نفسه وإنما
ذكرنا هذا الأمر مع كونه ليس من موضوعنا الخاص لقرضين أحدهما كونه مثلاً
لعدم الثقة بمعلومات صديقنا صاحب وطن عن الدولة العلية وثانيهما معارضته في قوله
ان خطأ اللواء في بعض ما ذكره عن الهنود يقتضي عدم الثقة بكل ما يكتبه

(١٣) دعواه اننا نحن السياسيين والمؤرخين العثمانيين لانستطيع ان نحكم في
قضية الاقلاق العثماني حكماً صحيحاً لاننا من قبيل الخصم يحكم كل نفسه وأن مسلمي
الهند هم الذين يستعظمون ذلك — هي دعوى غير مسلمة لأن التشبيه في غير محله والافلا
انه لا ثقة بما كتب مؤرخو فرنسا وساستها عن ثورتهم وحكومتهم — ولان اخواننا
مسلمي الهند غير واقفين على حقائق الاحوال فيكون حكمهم فيها أجدر بالصحة

(١٤) اننا نعتقد اخلاص مسلمي الهند في حبهم للدولة ونعد صديقنا ومناظرنا
من أشدهم غيرة واخلاصاً بل نقول ان خطأه جاء من شدة غيرة

المقصد وفيه مسائل

(١) اعترف صاحبنا « بأن الوسائل الأصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد
في عهد عبد الحيد » الخ واعترف بأن أزمة المملكة يده « صار في آخر الأمر
موجباً للخراب » وهذا ما قاض لرسائله الاولى برمتها ولبعض مسائل رسالته هذه كما
أشرنا الى ذلك في التمهيد والمقدمات

(٢) ادعى مع ذلك الاعتراف ان عبد الحميد كان محسنا في إبطال الدستور الأول واستبداده بالحكم المطلق واستبدل على ذلك بدليلين أحدهما سوء حال الدولة وعدم استبدادها بالحكم الدستوري بدليل ما حصل من سقوط مدحت باشا المصلح ومن اخذ القواد العثمانيين الرشوة في الحرب الروسية وسوء حال الحال في ذلك العهد وعجز حلي باشا عن اصلاح اليمن . وثانيهما كون حكم الاسلام هو الحكم المطلق نجيبي عن دليله الأول من وجوب أحدهما إنما يصح كونه محسنا في ذلك لو كان عدل في حكمه المطلق وأصلح وهو لم يكن الا ظلوما مفسدا زادت الرشوة في زمنه أضعافا مضاعفة . وثانيهما انه كان يمكنه ان ينفذ الدستور مع الرجال المستعدين لذلك الذين وضعوه كمدحت باشا وإخوانه كما فعل ميكادو اليابان فيكون في أول الامر دستورا في الصورة وحكما بين المطلق والشوري في الحقيقة وبذلك يقوى استبداد الامة بسرعة . هذا ما قوله مؤخر في الدليل نفسه لأننا لانكر كون الامة العثمانية لم تكن في عهد مدحت باشا مستعدة للدستور بنفسها بل صرحنا بذلك مرارا في خطبنا ومقالاتنا المنشورة في المنار . أما الجزئيات التي أيد بها ذلك فهي مجال للبحث فان عبد الحميد اغتال مدحت باشا بالحيلة الخفية بعد ما قله من ولاية الى ولاية والامعة تفتن لكيد . وان حسين حلي باشا عجز عن اصلاح اليمن لان كل اصلاح مع استبداد عبد الحميد وخروقه كان محالا على ان حلي باشا كان حسن الادارة في اليمن لا ينكر أهلها ولا غيرهم ذلك

ونجيبي عن دليله الثاني بمنع زعمه ان حكومة الاسلام حكومة فردية مطلقة . وقد أساء جدا في قوله ان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما كان حكما مطلقا برأهم الله مما قال وانما ذلك هو حكم الشورى الكامل ، وحكم التقيد بالشرع في الظاهر والباطن ، وقد بينا ذلك في المنار غير مرة مؤيدا ببراهين الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الأربعة . فليراجع صاحبنا تفسير « وشاورهم في الامر » من المجلد الحادي عشر ومباحث الحكومة الاسلامية في المجلد الرابع وغيرهما من المجلدات وليستغفر الله تعالى مما قال

(٣) أذكر بعد زعمه ان حكومة الاسلام التي قام بها النبي (ص) والخلفاء

الراشدون كانت حكومة مطلقة زعمه اني قلت ان الحركة الجديدة في الدولة العلية هي عين التوحيد والاسلام وردده ذلك بزعمه ان فتیان الترك القائمين بهذه الحركة يتبعون خطوات فرنسا باسقاط الملك فضاء الدين ثم قطع العلاقات بين الناس وربهم واختيار مذهب الماديين الدهريين

وقول في جوابه ان زعمه هذا من سوء الظن المتعلق بمكونات الصدور ومخبات القلب للمستقبل . واذا كان صاحبنا ومناظرنا لا يعرف حقيقة الدولة الحاضرة وحال القائمين بها فكيف يعرف ما يخفى لها في القلب . بل كيف يمكنه أن يدعي الاستدلال بالحاضر على الغائب . ان الاحرار الذين بأيديهم حدثت الحركة هم النافعون من العثمانيين العرب (كاقواد محمود شوكت باشا وهادي باشا وعلي رضا باشا) والترك (كآنور بك من الضباط وغيره) والألبان (كنبازي بك من الضباط وغيره) ولم يعرف عن أحد منهم الكفر واتحال مذهب الماديين وكذلك النافعون من المبعوثين والاعيان لم يعرف عنهم ذلك الا ما نقل عن رضا نور مبعوث أدركه من ذلك القول الذي اعتذر عنه وهو لم ينقل على وجهه . ولم يعرف عنهم انهم يفضاون الحكومة الجمهورية على الملكية

نعم اني لأنكرانه يوجد في متفرنجي الترك . وكذا غيرهم من العثمانيين . كثير من الملاحدة فساد التربية في البلاد والتعليم في مداوس الحكومة ولا يبعدان يوجد منهم أفراد في مجلس المبعوثان وفي لجان جمعية الاتحاد والترقي ولكن يوجد في هؤلاء الملاحدة من هم أحرص على جعل الدولة إسلامية من جميع المنتظمين في التدبين لانهم يعرفون من فائدة ذلك مالا يعرفه المنتظمون . فالملاحدة العالي الذي يخشى من غلوه على شكل الحكومة الاسلامي قليل . واختلاف الآراء والاهواء في الحكومة طبيعي في كل أمة فقد كان في عصر الاسلام الأول من يميل الى جعل الحكومة حكومة أشرف كشعبة علي كرم الله وجهه ؛ ومن قال منا أمير ومنكم أمير ؛ ومن يميل الى الديمقراطية المعتدلة وهم الأكثر . ووجد في ذلك العصر الخوارج وناهيك بمذاهبهم في الحكومة

وقول من وجه آخر إذا كان ما ذكره عن فتیان الترك أو الصائفين ونابتهم المتعلمة صحيحا وكانوا هم الممدین لادارة المملكة بمقتضى طبيعة الحال ألا يكون من سوء ادارة عبد الحمید أنه لم يرب في ثلث قرن من يصلح لإدارة دولة إسلامية كدولته ؟

ان مناظرنا الصديق يحتاج علينا تلوّة بأن عبد الحمید رقی التربية والتعليم في الدولة حتى صارت اهلا للدستور فتكرم وتفضل بالانعام عليها به مختارا مسرورا ، وتارة يحتاج علينا بأن هؤلاء المعلمين ملاحدة لا ينتظر منهم الا الاتحاد والافساد ؟ وليست شعري ماذا يفيد بقاء عبد الحمید في الملك مع التعليم والتربية التي تنتج مثل هذه النتيجة ؟ أكانت كل رغبة مناظرنا وغرامه من التمتع بالحكم الاسلامي الحميدي هو ان يبقى لعبد الحمید استبداده الى ان يموت على فراشه ؟ أليس مظهر من عدل الله فيه بما يزيد الذين آمنوا إيمانا ؟

اما ما اشار اليه الصديق المناظر من استحصان الاعتبار بحال الانكيز والانتباس من سيرتهم وتاريخهم وكونهم أقرب الى الحكومة الاسلامية الصحيحة من غيرهم فهو مقارب لرأي اخيه وحبه هذا وقد نهت الى هذا في خطب وأقوال كثيرة وكتبته في المناظر ايضا في بعض المقالات ولعل الصديق رآه وسنمود اليه بالبيان الكافي ان شاء الله تعالى

(٤) يقول صديقنا ان المشير احمد مختار باشا الفايزي سي ، التيق وعدو للسلطان عبد الحمید أي فلا يحتاج بقوله فيه . ويقول لي « كأنكم ليس لكم علم بأن عبد الحمید كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل واميا له الهدائية بحوه »

وأقول أولا — كيف كان يعلم هو في الهند من العلاقة بين مختار وعبد الحمید مالا أعلمه وانا في مصر اسهر الليالي الطوال مع مختار باشا وتحدث في احوال الدولة بالحرية التامة وبذكري كثيرا من الاسرار وهو يعلم اني أمين عليها ، ومنها رأيه في السلطان ورأي السلطان فيه . وثانيا — لماذا يكون مثل احمد مختار باشا سي ، التيق لعبد الحمید وشديد العدواة له مع ما ذكر صديقنا المناظر من إنعامه عليه وإكرامه له ؟ هل يعقل ان يكون لذلك سبب الا اعتقاد هذا المشير الذي بذل في سبيل الدولة

دعه غير مرة أن عبد الحميد جان عليها وخرب لها وهو الذنب الذي لا يفرضه عند هذا الرجل العظيم الإنعام ولا الإكرام الشخصي . وثائقنا ليراجع صديقنا ص ٧٠٦ من مائة هذه السنة يجد فيها ان السلطان عبد الحميد كان يتهم مختار باشا بأنه يساعد جريدتي النار والقانون الاسامي لانهما أنشئتا لمقاومته نفسه . ولو شئت لذكرت له كثيرا من أمثال هذه الوقائع والحوادث والمكاتبات الرسمية السرية ليعلم انني اذا قلت فيه إنه لا يعرف حقيقة ما كان عليه عبد الحميد في دولته ورجالها قائما أقول عن علم واختيار لا يمكن لثله ان يصل الى ذرة منهما لان قصارى ما يصل اليه تنف متعاضدة في الجرائد

وما قيل في احمد مختار باشا يقال في محمود شوكت باشا وأمثاله من المشيرين وقواد الجيش وغيرهم من العقلاء الذين لم يصب أشخاصهم شر عبد الحميد وبقيته . فاذا كان مثلي في غيرته على الدولة والملة متبها عند الصديق (ساحبه الله) لأن بني عبد الحميد وحكومته أصابنا في أنفسنا وأموالنا وأهلينا فماذا يتهم هؤلاء ؟ على أنه لو فكر قليلا لعد اضطهاد الحكومة الحميدية لثلي من أسباب التعديل لامن أسباب الجرح ذلولا الصديق والاخلاص لسهل علي أن أكون مطوقا بذهب عبد الحميد دون سلاسل غضبه ولا يعقل ان يكون بين أمثالنا وبينه عداوات شخصية

(هـ) نرى آخر ما استقر عليه رأي صديقنا انه كان يجب إبقاء عبد الحميد على عرشه ومشاركة جماعة الدستور له واستعاقبهم بتجاوز به على إقامة الحكومة الجديدة ولكنهم لم يفعلوا ذلك إثارا للانتقام منه

وقول ان أكثر العقلاء من الأجانب والعثمانيين العارفين بالتاريخ يرون انه كان يجب قتله عند الاقلاب الأول وإراحة الأمة من شره وان جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدبر القوة غلبت العفو والسماع والرحمة على الشدة والانتقام ونظنت أنها تستطيع ان تنسخ سنة من سنن الاجتماع البشري فتحدث انقلابا في الحكم ، غير ما طلع بالدم ، وقد كنت أنا من حذر من التعدي على شخص السلطان ودعا الى الاستفادة من نجاحه في الامور الخارجية في أول مقالة كتبها بعد إعلان الدستور ولكن أبى الله ذلك فأبى عبد الحميد ان يعيش مع حكومة الشورى والدستور » يرضى

القتيل وليس يرضى القاتل ، فأخذ يكيد لها كما كاد لسابقتها ، فوقع في البئر التي حضرها ، أما أن لك أيها العاشق لعبد الحميد ان تعرف الحقيقة التي عرقها الأرض والسماء ولم يبق منفذ للشك فيها

(٦) يقول ان محبي الحكم المطلق من مسلمي العراق وكرستان وجزيرة العرب والاناطول سيبهون الى مقاومة الدستور بعد انقضاء مدة الاحكام العرفية . يعني ان من خطر الحكومة الدستورية على الدولة أنها مضادة لما عليه السواد الاعظم من المسلمين وستكون سببا للتوراث والفتن الداخلية

وقول ان البلاد التي ذكرها ان كانت جذيرة بدم فهم منافع الدستور لعموم الجمل فيها كما ينبت ذلك في الكلام على تفاوت البلاد العثمانية في الاستعداد والعلم فهي أيضا لا تنشق الحكم المطلق تفضيلا له على المفيد بحجة دينية أو عقلية وإنما يخشى من الفتن فيها لان الزعماء الذين كانوا يتحكمون فيها بالدماء والاعراض والاموال شعروا بأن ايديهم ستغل وسلطتهم ستزول فهم لاجل هذا أجبروا ويحبون مقاومة الحكومة الدستورية كلها وجدوا الى ذلك سبيلا ولكن الحكومة ستطهر البلاد من شرهم في مدة أقصر من المدة التي دنسها بهم عبد الحميد ان شاء الله تعالى

(٧) يقول اذا لم يكن لعبد الحميد أنصار محبون فمن هؤلاء الذين تشتمهم الحكومة العرفية كل يوم

وقول ان أعوان عبد الحميد على تخريبهم الملكية تعمير بيوتهم وإذلال أهلها لأجل تفجهم وتناظرهم لا يقتل ان يكونوا غير محبين له وللتمتع بنعيم ساطته فهم كأولئك الزعماء الذين ذكرناهم في المسألة السادسة

(٨) اني لأقول شيئا في طعنه بمولانا السلطان محمد الخامس الادعوتة الى التوبة والاستغفار من هذه المصيبة فان لم يجب الآن فانه سيجيب بعد زمن بعيد أو قريب يعلم فيه أن محمدا الخامس في بني عثمان كهمر بن عبد العزيز في بني أمية ، كما ان عبد الحميد ، شر من يزيد ، فسلطاننا الآن ليس آلة في يد أحد كما أن الشرع والدستور ليس آلة في يده يستعملها بهواه كذلك المأساة بالفي الذي أدال الله لنا منه .

ومن تناقض ان يطلب صاحبنا الجمع بين الدستور واستبداد السلطان واعجب من ذا ان يعد هذا من الاسلام

(٩) قال ان المقطم تجاوز الحد في ذم عبد الحميد وان جرائد بيروت تنقل عنه الخ وتقول ان المقطم كان دائما يعلم في عبد الحميد وحكمه ولكن يتحامي الطعن الشخصي الصريح الذي يخشى أن يعاقب عليه القانون المصري الذي يعد السلطان سلطانا له وبعد سقوطه زال هذا المانع . أما كونه كان « مخالفا للحقوق التركية والمصرية » وسبب النية فمطلب من صديقتنا المناظر الجمع بينه وبين ما مدح هوبه الانكليز من العدل وحسن النية واردة الخبر فانه لا يختلف اثنان في كون المقطم كان ولا يزال مؤيدا لسياسة الاحتلال لأن مذهبه في حسن نية الانكليز كذهب صاحبنا . وأما كون جرائد سورية لم تكن تدمر عبد الحميد في عهده فهذا من البهيميات التي لا حاجة الى الكلام فيها . على ان أكثر هذه الجرائد السورية جديدة حدثت بعد الدستور (١٠) قال انني اتهم عبد الحميد بشرب الخمر واستغفره الله من هذه التهمة بالنسبة عني وقال ان وجود الخمر في قصره كان لأجل ضيوفه الاوربيين « الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على المائدة » يريدان يبرئ كل من كان في القصر من الشرب واقول لصديقي ومناظري الفاضل انني اعجب لقلبه الشريف الذي يملأه الحب حتى لا يدع فيه مجالاً لشيء يراحمه وأتمنى لو افوز بدوام حبه وصدقه . ثم أؤكد له القول بأنني لم استدل على شرب عبد الحميد للخمر بما نقلت الجرائد من وجود طائفة من الخمر في بلدز كما فعل اللواء فائتي أعلم منذ سنين انه يشرب الخمر وان أكثر من في بلدز كان يشربها بلا نكير وانها هناك من المؤونة الضرورية . أعرف هذا من الققات الذين أكلوا فيها واخلطوا أهلها . وكثيراً ما كان يذكر في البرقيات الصومية والجرائد شرب عبد الحميد للخمر في سياق الكلام عن صحته ومرضه ومنها أنه في اوائل العهد بالانقلاب كان يتقذى بالروم المعقود . . .

(١١) قال ان عبد الحميد لم ينتقم لنفسه من مختار باشا وأمثاله من أحرار الترك لإيثاره الحلم والعفو

واقول انه لم يكن قادراً على ان يعامل مختار باشا بأكثر مما عامله به وصديقتنا

لا يعرف من معاملة له شئ قط ولا حاجة الى إعلامه به . وأما انتقامه من الاحرار فلم يذخر فيه وسما فقد قتل رئيسهم مدحت باشا وكثيرين غيره وسجن وفقى خلقا كثيرا . وعوالم المدينة كلها تعرف ذلك حتى ان الافرنج يلقبونه بالسفاح و بالسلطان الاحمر . ولا أحب أن أناقشه فيما ذكره من مدح أخلاقه فانها شرقيات لا يؤبه لها وما أحبت له ذلك التشبيه الذي ذكره عند الكلام في شجاعته لان ادبه في نفسي اعلى من ذلك . والذي عليه المحققون ان جمود عبد الحميد في موضعه يوم الزلزلة قد كان من شدة الخوف واضطراب الاعصاب . وما قاله في مسألة الاسطول كلام في الهواء لا عمل يستدل به . وليكن عبد الحميد شجاعا فإذا جنينا من شجاعته التي لم نرا احدا قال بها الا صاحب الوطن اوجبه الذي يضرب به المثل غير الخنظل والزقوم

(١٢) اعاد صاحبنا صدى قول المؤيد ان من ضرر الانقلاب الاخير اظهار كنوز «يلدز» ومخباتها اذ علم من ذلك أنها ليست كما يظن الأوروبيون وكان توهمهم ان فيها ما لا يحصى من الملايين قوة خفية للدولة تخففهم من الاقدام على مناوئتها فهي كتوهمهم تعلق جميع المسلمين به

وقول ان هذا القول لا يصدر عن سياسي عارف الا اذا أراد به الخلابة والمخادعة لفساده من وجوه (منها) ان الوهم اليين الواضح هو ما تخيله صاحبنا المؤيد ووطن من انه يمكن ان يوجد عشرات من الملايين من النقدا الذهبي لا يعرف مكانه الاوروبيون الذين يدبرون ثروة العالم . ومن الشواهد الصغيرة على ذلك ما ذكرته جرائد الاستانة من أن مدير البنك العماني فيها لاحظ ان عددا يؤبه له من قرايطسه لا يعود اليه في دورة التعامل فجزم بأنه في « يلدز » وهو ما وجد فيها (ومنها) انهم يعرفون موارد الدولة أكثر مما كانت تعرفها نظارة ماليها (ومنها) انهم كانوا يعلمون ان عبد الحميد يودع في كل سنة ما يزيد على نفقاته والمال الاحتياطي لها في بيوتهم المالية (البنوك) وهم يعرفون مقدار ما أودعه في تلك البيوت (ومنها) ان الاعتماد على الوهم في صيانة الدولة وحفظها مما لا ينجح اليه عاقل ، لأنه عرض زائل ، فان أفاد عبد الحميد مدة وجوده ، فهو لا يفيد ما بعد موته ، (ومنها) اننا ما رأينا آية ولا علامة لخوف دولة من الدول من ثروة عبد الحميد وخلافته عند حدوث الحوادث ،

ونزول الكواكب، وإنما كانوا يطلبون منه الأمر الشائن المذل له ولدوته فإذا راوغ وهددوه أجاب صاغراً، وخنق متضائلاً، ولم ينس أحد تهديد فرنسا له في مسألة الارصفة وانكساراً في مسألة العقبة وإيطاليا في مسألة البريد، وما كان يساورنا من الذل والمهانة من سياسته معهم. ثم إنهم انزعجوا في أيامه معظم الولايات الاوربية من الدولة حتى انه لو بقي سلطاناً سنة أخرى لذهبت الولايات المكسونة التي هي سياج العاصمة بلا نكير. فآثروا الله أيها المتصرون لذلك المدمر المحرّب فقد وضع الحق في ذلك لكل أحد

(١٣) بقي ما اتقده الصديق عليّ من إيراد آيات الإنذار من القرآن في المقالة التي كتبناها للعبارة بالاقلاق الاخير قال انه لم يكن يليق بي ان أصوب سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له شيء من الحول والعلول وإن ما جرى له ليس أمراً كبيراً بالنسبة الى ما جرى لغيره من الخلفاء والملوك والكبراء وذكر بعض من قتل وعزل من المتقدمين والمتأخرين

وأقول ان الصديق نفعا الله بمودته قد حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء أهمها ان الكلام في تلك المقالة ليس من باب إظهار الشجاعة بمقاومة عبد الحميد بعد ان صار مثلي ليس له سلطة ولا خطر في بالي ان عبد الحميد يقرأها أو يعلم بها وإنما هي تذكرة لقراء المناج بعواقب الظلم والإفساد والبغي والفرور بالقوة والقنّى والملك والسلطان، ومحاولة الفرد لإذلال الامة وقهرها لينها له التمتع بلذة السيادة ولو ازمها فيها: ولو قتل عبد الحميد غيلة كما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن العبارة التي شرحناها تامة في شأنه

ان صديقنا نظر في المسألة من الجهة الشخصية فعد سقوط سلطة عبد الحميد كقتل عمر وعثمان والحسين (رض) واسر نابليون وعزل بسمارك وقتل مدحت باشا. وما ابعد الفرق بين هذه الحوادث وأشد اختلاف وجوه العبارة فيها. لو صح ما رمي اليه لما كان لنا فائدة فيما ذكره الله تعالى من العبر في هلاك المفسدين والظالمين كفرعون وآله ومن عينهم ومن أبهم قصصهم من السابقين بل لكان ذكرها في كتاب الله تعالى من القور الذي يتنزه كلام الله عنه

قتل عمر لم يكن الا كونه فما خاب به سمعه ولا حبط عمله بل لا يزال يضرب المثل بسدله . وفي قتل عثمان من وجوه العبرة ما ليس في قتل عمر لان لينة بني أمية الطامعين أو جد في الأمة مقدمات الاستبداد ، وولد فيها جرائم الفساد ، فأتيج ذلك من الشر ما أتيج . وفي قتل الحسين عبرة أخرى من حيث إنه لم يعد للظالمين العدة الكافية بحسب سنن الله تعالى ولم يكن تأثير ظلمهم قد بلغ الحد الذي يوجب سقوط دولتهم . وأما نابليون فلم يكن الا مفسدا في الارض مفرى بسفك الدماء فالعبرة في خذلانه بعد من باب العبرة في خذلان عبد الحميد

والحاصل اننا نذكر صاحبنا بأن العبرة بالحوادث العامة غير مسألة الشامة بقتل الافراد أو عزلهم وذلك مما لا يخفى عن علمه وفهمه لولا انه متألم مما جرى لعبد الحميد تألما ملأ جوانحه لحسن اعتقاده بسياسة وهو مخبط ممدور في ذلك فعسى ان يكون قد استبان له الحق فصار من انصاره ، كما يليق بفضله وإخلاصه ،

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المنار ﴾

٢

وقد ادعى المحجوب ان الاحاديث التي تدل على جواز دعاء غير الله تعالى كما يفعله العوام كثيرة مشارعا ، مضممة تضيق المارق عن استقصائها ، ولم يأت منها بشيء قط فان أثر الاستسقاء ليس حديثا مرفوعا وطلب الدعاء من أويس ليس محلا للنزاع فان الدعاء يطلب من الاعلى للأدنى اذ لا خلاف في فضل عمر على أويس . وكل ما ورد في الشفاعة خاص بالدار الآخرة والوهابية يعترفون به كله ويفرقون بينه وبين الشفاعة التي انكرها الله تعالى على المشركين كما فرق ابن تيمية بينهما في كتبه المتداولة وقد بينا ذلك في التفسير وغيره مرات

قال المحجوب « واما ما جنحت اليه من عدم ما يبيّن على مشاهد الأولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العام والخاص ، فهي الداهية الدها ، والبلية العظمى »

من الظلم ، الذي أضللك الله فيه على علم » ثم انه بعد سرد جمل واسماع من هذا السباب أول الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر بقوله « ان محل ذلك الزجر » ومطلع ذلك القبر ، في البناء على مقابر المسلمين ، المعدة لدفن عاصمهم لا على النصارى ، لما فيه من الحرج على بقية المستحقين ، ونش عظام السابقين ، ثم جعل محل الإباحة كون البناء في ملك الباني وأنه لا حرج فيه ، ثم ذكر ان المسألة محل خلاف بين النظار وان هذا المنكر ليس متفقا عليه ١١١

أقول ما أفسد الدين في أمة من الأمم الا مثل هذا التحريف للنصوص عن يلبسون على الجهل لباس العلماء فتدبهم العامة على تحريفهم فتضل عن دينها وتضل هذه الفتاة الرديئة منعوا العلم بالكتاب والسنة زاهمين بهيولهم انه لا يفهم أحد بعد قرن كذا . ألا يكفي لمن له أدنى إلمام بالعريفة وان كان عاميا أن يضرب بتأويل المحجوب وتحريفه عرض الحائط اذا سمع الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك وقد ذكرناها مراراً ونشير هنا الى بعضها

فمنها حديث أنس في الصحيحين وغيرهما وحديث عائشة وابن عباس عند أحمد والشيخين وغيرهم وحديث أسامة عند أحمد في لمن أهل الكتاب لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة « يحذر ما صنعوا » أي يحذر النبي (ص) أمته من مثل ذلك وفي رواية لأحمد والشيخين والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الحديث . وفي رواية لابن سعد « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انما أكرم عن ذلك » والروايات في ذلك كثيرة وهي تدل في جملتها وتفصيلها على ان مدار النهي والحظر تعظيم قبور الصالحين وجعلها في مواضع العبادة كراهة أن يحدث ما حدث فينا حيث اتهم الجماهير منا سنن أولئك الذين لعنهم الرسول (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع فعظموا أصحاب القبور تسليما وصل الى عبادة إدماروا يخشعون ويضعون اليهم بالدعاء وطلب الحاجات ، اما ان العلماء لو كانوا يعظمون الأمة بهذه الاحاديث لما بنت على قبور الصالحين

القباب والمساجد وتعرضت لعنة الله ورسوله ولكن قصر الكثيرون من المطلقين على هذه الأحاديث ثم خلف من بعدهم خلف لا يعرفون الحديث ولا يفهمونه فصاروا يحرفون ما يسمعون ويؤولون للعوام والخواص ما يميلون حتى وصلنا إلى ما وصلنا اليه مع وجود الاحاديث بنصوصها وتفسير المحققين لها

أورد ابن حجر الفقيه جملة من هذه الأحاديث في بيان الكبرة ٩٣١-٩٨ من كتابه (الزواجر) وهي « اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أو ثنائوا الطواف بها واستلامها والصلاة اليها » ثم قال

« عد هذه السنة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث . ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منها واضح لأنه لمن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلواته شر الخلق عند الله يوم القيامة ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ما صنعوا » أي يحذر أمته بقوله لم ذلك من ان يصنعوا كصنع أولئك فلينعوا كما لعنوا . واتخاذ القبر مسجدا مناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله (أي قول ذلك الإمام الذي نقل ابن حجر قوله في كون هذه الأمور السنة من الكبائر) مكرر الا ان يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ اذا كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت اليه رواية « إذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا يحرم الصلاة الى قبور الانبياء والأولياء تبركا واعظاما ، فاشترطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علت . وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور أننا نلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ماذا لم يقصد به تعظيما أو تبركا بذئ القبر (١)

(١) أي ان وضع السراج والقنديل على القبر له حالان حال كراهة اذا كان القبر غير معظم ولم يوضع السراج عليه بقصد تعظيم وحال حرمة من الكبائر اذا كان قبر معظم كقبور الاولياء

(قال) « واما اتخاذها او ثانا فجاء النهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا قبوري وثنا بعد يدي » أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأنهم بالسجود له واثمونه (١) فان اراد ذلك الامام بقوله « واتخاذها او ثانا » هذا المعنى انجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان اراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤخذ فيه كبيرة فيه بعد . نعم قال بعض الخابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر تبركا بها عين الحادة لله ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا قالت أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد او بناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن ظان بالعلماء تجوز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن صاحبه وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها استست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك وامر صلى الله عليه وسلم بهدم قبور المشركة وتجب إزالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى »

(المنار) ذكرنا هنا ما قاله ابن حجر نقلا وتقيلا لأن ما جاء به أظهر من الاحاديث الشريفة بل ليعلم من لم يطلع عليه وعلى أمثاله من أقوال العلماء المدققين ان التحريف الذي جاء به ذلك المحجوب تنبو عنه النصوص النبوية الشريفة ويخالفه كلام العلماء المحققين في شرحها وان خصمه ما ضل في هذه المسألة - كما زعم - على علم ، ولكنه هو ضل على تحريف وجهل ، وهكذا كل كلامه منبئ ببجيلة أو تعمد التحريف . ولعل من طبع هذه الرسالة لو استشار كبار علماء تونس كالشيخ سالم أبي حاجب لا أشاروا عليه بهدم طبعها لانهم يرون من العار نسبتها الى واحد منهم

ثم ذكر المحجوب مسألة زيارة القبور فجاء فيها بما هو مشهور على السنة العامة وخصمه لا ينكر الرخصة في زيارة القبور ولكنه ينكر ان تزار لغير ما صرح به في الحديث من سبب الزيارة وهو العبرة وتذكر الآخرة وما غلط به الغزالي من مسألة

(١) اي كالبناء عنده والطواف به وتقبيله والتسبح به . وهو ما يفعله بقبور الصالحين

في المساجد والزوايا والقباب كل يوم .

الاستعداد لا يقوم حجة عليه لأنه لا يدخل في مفهوم الحديث بل يخالفه على أن الغزالي لا يبيح تعظيم القبور ودعاء من دفن فيها وغير ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك حرف حديث « لا تشد الرحال » فألحق به قيد نذر الصلاة فيها ولو جاز لنا أن نقيد الآيات والأحاديث بما لا يدل عليه عبارتها لما سلم لنا من ديننا شيء ومن جهله بالحديث أنه جعل غاية الاحتجاج وعمدة البراهين على زيارة قبر النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (كما في ص ١١) وأهون ما قال المحدثون في هذا الحديث أنه ضيف كما ترى في الجامع الصغير للسيوطي ، وكأن المحجوب قد حجب والعياذ بالله تعالى عن جميع كتب السنة حتى مثل الجامع الصغير

ثم احتج (في ص ١٢) ببناء سليمان لقبر الخليل عليها السلام وبعض روايات حديث المراجع أن جبريل أمر النبي (ص) أن ينزل عند قبر جده إبراهيم (ص) فيصلي ركعتين ففعل وزعم أن هذا حديث صححه المحدثون الثقات وهو كاذب في ذلك بل قال شيخ الإسلام في تفسير سورة الإخلاص أنه موضوع ولم يكن لأبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قبر مبني قبل الإسلام ولا في العصر الأول له . على أنه إذا صح لا يكون حجة على خلاف ما قلناه لأنه لا يمارض الأحاديث الصحيحة التي أشرنا إليها إذ لا يدل على أن القبر كان عليه مسجد ولا على أنه (ص) صلى إليه أو عليه معظما له بل به تصدق كلمة « عنده » بالصلاة في مكان هناك وإن بعد عن القبر . فان فرضنا أنه هذا الحديث يمارضها والجمع بينه وبينها متعذر وجب القول بنسخه دونها لأن أحاديث المراجع كانت في أول الإسلام وأحاديث النهي عن القبور كانت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنه كان يقولها قبل الموت بمخمس ليل وقول « اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ثم قال « اللهم اشهد » ٣ مرات كما في حديث كعب بن مالك عند الطبراني . وأنى للمحجوب أن يطلع على هذا ؟

وحرف أيضا النبي عن وضع السرج على القبور فقال (في ص ١٣) « بمجمله على تقدير صحته على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن انتفاع الزائر به (قال) وأما إذا كان القصد به انتفاع اللاتدين والمقيمين ، فهو جائز بلا منع » وهذا من التحكم في حديث الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم بالمهوى وقد علم مما مر عن ابن حجر فساد تحريفه . و بناؤه التحريف على فرض صحة الحديث من دلائل جهله بالرواية وحرف أيضا وأول النذور والذبايح لأصحاب القبور وزعم ان تلك النذور لا تفعل على انها من باب الديانات . و بطلان هذا بديهي لكل مخبر الا انه يجوز ان يكون لم يطلع على ما اطلع عليه غيره من تلك البدع فأطلق النفي كعادة أمثاله من الذين يكيلون جزافا

وحرف أيضا الأحاديث الواردة بطمس القبور وتسويتها زاعما ان المراد طمس ما كان من ذلك للجاهلية وانه لا بأس باتباع المسلمين لسنتهم بل زعم ان المسلمين انما يحفرون القبور تحت البناء وهذا لا دليل على منعه والجاهلية ينون على القبور (انظر ص ١٥) وهذه سخافة لا يكاد يرضاها لعقل عاقل فاذا كانت الأحاديث صريحة في منع تعظيم القبور بالبناء عليها فهل يقلل ان يكون هناك فرق بين تقدم بناء المسجد على القبر أو تأخره عنه ؟ على ان المسلمين يتعاون الامر من معا كما هو مشاهد في مصر وغيرها

اما صاحب الذيل لتلك الرسالة (أحمد جمال الدين) فهو أجهل من المحجوب واكثف حجبا فلا يستحق ان يقام له وزن فيرد عليه وبماذا يطالب من يرمي شيخ الاسلام ابن تيمية بالانحراف عن السنة وتحقير السلف وهو الذي امتاز على جميع علماء الاسلام بنصر السنة وخذل البدعة والدعوة الى اتباع السلف واظهار خطأ من خالفهم من المتكلمين والصوفية والفقهاء بالحجج والينات القلبية والعقلية ولولا هذا لما تكلم فيه أحد كما علم مما نشرناه من ترجمته في المجلد الماضي ، وان له رحمه الله كتابا في المسألة التي يعبرون عنها بالتوسل جمع فأوعى سيطبع ، ينشر قريبا ما يقول عباد القبور فيه

أرسل البناء هذا الكتاب لأجل طبعه ونحن نكتب هذا الرد على المحجوب فاختصرنا فيه لأن البيان المطول في مسألة التوسل التي هي أم هذه المسائل سيظهر في هذا الكتاب عن قريب ان شاء الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيداً وطنياً للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسمياً . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الأول مولانا محمد الخامس بذلك ، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة ان الاحتفال الاول فيها سيكون ذاهجة وفخامة لم يعهد لها نظيره ، يشترك فيه الاهالي مع الحكومة بحض أربحيتهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الجديد التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى انه كان يرسل مقدار الزينة من يلدز الى دور الكراء لعله انه لا يكاد يوجد فيهم من ترتاح نفسه الى إفاق شيء مما ملكته يده على ذلك وان كان مما ينهيه بجاء عبد الحميد من مال الامة أو مما باعه للاجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المنار في مقالة عنوانها (الشعوب والوجدان ، وشعائر الامم والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هنالك ان الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الامم بالمعنى الذي وضع الميد لاجله سواء كان دينياً أو اجتماعياً ومما قنانه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا الملوكهم أعياداً لإحياء الشعوب الوطني الذي يمثل رئيس الدولة في الملكية ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يتزوف بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك ان هذه الأعياد شعائر تبعث الشعوب بحب السلطان أو الامير في نفوس الذين يعتقدون

النفع فيه للدولة والأمة . فيتفخ بهذا المستبدون ، ويفخر به المفترون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

وقد مزجنا في هذين ما هو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والأمراء الفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدركنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بهدم الأبر من أوربا فينا ان الشرقيين لم يقيموا الشرقيين في ذلك وإنما يحتفلون بالملوك والأمراء لدوائهم لا لمعنى وطني عام . قلنا « والعوايب ان الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عهدوم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر ما هم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور قري بعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبئة عن الشعور بعظمة من احتفل لأجله وجه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور وإقامة الظلم في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد ممدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن ان الاحتفال لذكرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انشاز الشعور بعظمته في نفوس من لم يدركوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يطمون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعورا ببقته وبفضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون النقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب ان تقوية الشعور بعظمة الامراء والسلاطين في نفوس الأمة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فبقى ذليلة مهينة . و يقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور يقوي في الأمة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . وإذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشتركا معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك مما يحبه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمته بعظمته دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حينما كانوا ، وايضا حلوا ، وستكون عنايتهم بذلك على قدر فهمهم قيمة الدستور وشعورهم بهائنته

ألفنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ، والقيام بما يحسن من الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ، وما هم الا مثلنا عثمانيون ، «واذا قوبل الخالص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخالص ، وسيكون احتفالنا في حديقة الازبكية ، بكيفية لم يعهد لها نظير في الاعياد القومية ولا الرسمية ، تتجلى فيها الحديقة متلألئة بالانوار الكهر بائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانية ، وتألف فيها اصوات اشهر المطربين ، بنفحات احسن آلات الموبسطين ، وتعرض فيها الصور المتحركة البديعة ، لاسيما صور حوادث الأستانة الاخيرة ، وغير ذلك من أسباب الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهناك زينات خاصة بقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتشعل بهذه الاحتفالات عثمانية المصريين واخلصهم للدولة العلية كما تتجلى فيها جبههم للدستور ومعرفة قيمته يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الأعياد الوطنية والسياسة محظورة في الاسلام لأنه لم يأت الا بعيدين فقط هما عيد الفطر وعيد النحر فالزيادة عليها بدعة . وقد سمعنا هذا القول من أحد العلماء فقائنا له ان البدعة الدنيوية إنما هي فيما يصل على أنه من الدين فقولك هذا إنما يصدق على الموالد التي صفت بصيغة الدين دون هذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لاصفة للدين فيها . نعم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لمقصد ضار كتمظيم الملوكة الظالمين وتقوية سلطتهم دون ما وضع لمقصد نافع كتعزيز الأمة ورفعة شأنها

المتشكون الماطلون

بعض الماطلين في القلعة المصري مذخور بما أصابه من الصرة المالية وبعضهم يمتدح بها بغير حق ولكن ما بال أهل سنغافوره وجاوه وروسيا الذين كنا نعدهم أحسن المسلمين وقاء كادوا يكونون كأهل تونس مطلا وهضما

المسحاة

١٣١٥

فيهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

هو في المحكمات من يشاء من قول المحكمات قد بدأ وتي
خير أكيداً ويبدأ سكر الأول الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و ٥ منارا ٥ كنار الطريق

(مصر - الاثنين ٣٠ رجب ١٣٢٧ - ١٦ أغسطس (آب) سنة ١٣٨٥ ١٢٨٥ ١٩٠٩ م)

التعصب الديني عند الأفرنج

كتبنا في الجزء الماضي نبذة في التعصب الديني عند الأفرنج فيها ان هذا النوع من أوربا وآسيا وقيل ان ينشر الجزء ظهر في الجرائد الأفرنجية المصرية ما يوئد رأينا ويثبت أنشأت هذه الجرائد انه وقع خلاف في لجنة الاحتفال بعيد الدستور العثماني سببه الاختلاف في الدين وان صاحب المنار قل في اللجنة انه لا يقل ان يكون رئيسها نصرانيا . وطابق محررو تلك الصحف يشعرون على هذا التعصب الاسلامي الشرقي الذي تخيلوه فخالوه فشنوا عليه كدأهم وعادتهم وقياسهم على انفسهم ويقال ان بعض محرري تلك الصحف من السوريين وكأنهم لما تقوا لغات الأفرنج وآدابهم تفرنجوا فأخذوا منهم بعضاء التعصب يحررون به ناره كلما سمحت السوانح أو عنت البوارح ، وهاك ما قاله في ذلك جريدة (التوفل) قتلا عن عن ترجمة الاخبار لما «قلنا في عدد سالف ان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ارقأى انه يجب ان لا يرأس نصراني جمعية الاحتفال بالدستور العثماني . والشيخ رشيد هذا كان الى اليوم بعد حرا مريدا للدستور عدوا لحكم السلطان عبد الحميد وقد حارب الخليفة السابق بصفته مسلما باذلا جهده في سبيل تقويض حكمه المني على الظلم والاعتداء والنهب والسلب والتمكك بعباد الله وقد كان شديد اللمجة في كتاباته الى حد أنه ألزم أن يفر من تركيا ويلجأ الى القطار المصري

«والآن قد تغيرت الاحوال واعتقل عبد الحميد في سجنه الحالي في سالونيك محجوبا نظره عن الاشراف على ما يجري في البلاد وأصبح تحول بينه وبين الحياة وبين الطبيعة سبوف الحراس . فقد هذا الظالم الذي طرده العالم من بينهم قوته ولكن أولا هل سقط مع عبد الحميد كل ما كان قائما في أيامه ؟ اننا نشك في ذلك لانه اذا كان مثل الشيخ رشيد رضا يحمل بين المسلم والنصراني فارقا فاذا يفضل غيره ؟ أفلا يجوز ان نعتقد ان أحرار الأتراك ما كادوا يستولون على كرسي السلطة حتى تناسوا مطالبهم القديمة بأقامة العدل وتاليه الحرية

ان الشيخ وشيدا سيندم على ما جاهر به غير ان ندمه لا ينفي انه قال ما قال
 ولقد أصبح الآن يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في إخلاص اخوانهم المسلمين « اه
 (المئارج) لما اطلع اعضاء لجنة الاختال بعيد الدستور على هذه الكتابة كتبت
 اللجنة الى هذه الجريدة وسائر الجرائد التي ذكرت الخبر المخلق تكذيبا له . ونحن
 نزيد على هذا التكذيب كلمة نقولها لكاتب تلك البذة في جريدة النوفل وهي
 قلم إنه يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في إخلاص المسلمين لهم بعد
 ان قلت لهم صحفكم تلك الكلمة عن صاحب المئارج دون صحتها العربية وكان من
 مقتضى التساهل الذي تدعونه ان لا يصدقوها عنه لما يعلمون بالاختبار الطويل من تساهله
 وكتابته في الدعوة الى الوفاق اثنتي عشرة سنة حتى باسم الاسلام وصميه مع بعض
 اصدقائه المسلمين في تأليف جمعية سياسية سرية مؤلفة من جميع العناصر العثمانية لأجل
 جمع كلمتهم وتوحيد مصالحهم — او كان ينبغي لهم مع تصديقها ان يحملوها على غرض
 صحيح غير التمسب كأن يكون مراده — لو صح الخبر — ان جعل الرئيس من
 كبار المسلمين كأمراء البيت الخديوي مثلا يجعل للجنة من النفوذ والاحترام وقبول
 الدعوة الى الاكتاب مالا يرجي مثله لو كان الرئيس نصرانيا لانه ليس في نصارى
 العثمانيين من له مثل هذا النفوذ . هكذا شأن التساهل يروى ويثبت في الخبر الذي
 يثير الخلاف وينافي الائتلاف فان ايقن بصدقه التمس له مخرجا صحيحا
 فاذا كان النصارى يمدحون على رأيكم بعدم الثقة باخلاص أحد من المسلمين لخبر يحتمل
 الصدق والكذب والقرائن تدل على كذبه ويحتمل على تقدير صدقه ان يكون قبل
 لفرض صحيح لا للتمسب أفلا يمدح المسلمون بالأولى اذا كانوا يرون الرجل من علماء
 دينهم وسلالة نبينهم والدعاة الى الاصلاح الديني فيهم يقضي السنين الطوال وهو يدعوهم
 الى التسامح والائتلاف مع النصارى وغيرهم بالقول ويجعل نفسه قدوة في ذلك بالعمل
 ثم يرميه النصارى بالتمسب ويجعلونه حجة على عدم ثقتهم بأحد من المسلمين ؟؟
 بلى ولكن بحمد الله تعالى أن كان أهل الشرق من المسلمين والنصارى لم يصلوا الى هذا
 الحد من التمسب الذي يفتنه فيهم كتاب الأفرنج والمتفرنجين منهم ولذلك رأينا الفرنجيين
 قد هزموا بما كتب في تلك الجرائد الأفرنجية عن صاحب المئارج في تكذيب اللجنة له

الجنسيات العثمانية

﴿ واللاتان العربية والتركى ﴾

ان من شؤون مدينة هذا العصر المحافظة على أجناس الموجودات حسية كانت أو معنوية قبرى الثريين أمة هذه المدنية اذا رأوا نوعا من الحيوانات الارضية أو الجوية أو المائية أخذ في القصد حتى خيف من اقراضه حرموا صيدها ان كان مما يؤكل وقته ان كان مما لا يؤكل وان كان ضارا كما يحفظون على العاديات والا ثار القديمة جميعها ، وزاهم أيضا يرغبون في ققاء نمودج من الأديان والمذاهب الدينية وغير الدينية واللغات المستعملة وغير المستعملة حتى انهم أحيا بعض اللغات التي ماتت وبقي أثرها وجعلوا يتدارسونها ويقنأفون في معرفتها

ما كان لهذه المدنية أن تحافظ على أجناس الحيوان والجماد وتسمح باقراض بعض أجناس الناس (١) بل هي أشد محافظة على أجناس الناس ومقومات جنسيتهم من اللغة وغيرها واعتبر ذلك بالاجناس المكونة لمملكة النمسا (الامبراطورية) تلقه واضحا جليا ،

كان الجنس في العصور الماضية يقرض باقراض أفرادهم كلهم أو جلهم بالموتان والأوبئة أو بالحرب وما يعقب الغلب فيها من العبودية والنذل الذي يقلل النسل رويدا رويدا حتى لا يبقى منهم أحد أو يبقى منهم حثالة ممزقة في الأرض لا نسمي شعبا ولا تمد قبيلة ،

وهناك ضرب من ضروب اقراض الجنس يتحقق بأحلال رابطة الجنسية

(١) نستعمل لفظ الجنس والاجناس هنا بمعناه اللغوي والعرفي لا المنطقي فالمنطقي يسمى جنس الترك أو الروم مثلا صفا من نوع الانسان الذي هو من جنس الحيوان على ان الاجناس مراتب عند المناطق منها العالي والمتوسط والسافل فتدخل فيها الانواع والاصناف

وزوالها لا باقراض الاشخاص واقطاع الأنسال وهو أن يدخل الجنس في دين جنس آخر أو لفته فيمتزج به ويلبسه في تقاليده وعاداته حتى يذوب فيه وبصير من عناصره المكونة لذاته كما امتزجت الاجناس السوديه في الجنس العربي باللغة في جميع الافراد والدين في أكثرهم ونسبت جنسيتهم النسبيه وزالت جنسيتهم اللغويه وصاروا كلهم عربا

هذا النوع من زوال الجنس أو الجنسية هو من الترقى والكمال في الانسانية لان من القصد أو المرض الذي يعرض لها لان الانسان عالم اجتماعي فكما اتسع نطاق الاجتماع وقل التفرق والاقسام فيه زادت الانسانية كالأول ولهذا يرى حكماء الاجتماع ان متهى الكمال البشري في هذه الحياة ان يكون الناس كلهم أمه واحدة لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا وطن ولا دين ، ويستحيل ان يتحولوا الى هذا دقهة واحدة وانما يكون مثل هذا باندغام بعض الاجناس في بعض التدرج البطيء . وان الامم الكبرى التي تجتهد بنشر لغاتها وآدابها في ارجاء العالم تطمع كل واحدة منها في ان تكون لغتها هي لغة البشر كلهم في المستقبل البعيد لكي يكون لها الامامة وقاء التاريخ والذكر في الزمن المستقبل على ما يكون لها من سبق الى الاستفادة من توسيع دائرة جنسيتها في الحال . ولا ينافي هذا ما نشاهد عليه الانكليز — وهم أطمع الامم في هذه الغاية — من شدة محافظتهم على جنسيتهم وغلوهم في أثرهم لما عليه الانسان من الحرص والبخل بمميزاته وخصائصه سواء كانت شخصية أو قومية ، وان هذا البحث ليتسع لتفصيل ليس هذا المقال بموضعه وانما ذكرناه فيه تمهيدا لوقده لا مقصدا . وعندني ان الاسلام يربي الى هذه الجامعة العامة (١) ومن فروع هذا البحث اني لا مندوحة عن ذكرها في باب التهيد ان هذا النوع الكامي من زوال الجنسيات أو تحول بعضها الى بعض لا يكاد يرضى شعب من الشعوب بأن يكون هو المذغم في غيره لاجل تحقيقه فضلا عن ان يرضى بذلك ايثارا لقووات جنس آخر على قوميات جنسيته ، وسبب ذلك ما ذكرنا آفا من حرص الانسان على خصائصه ومميزاته وان كانت ضارة كغمض انثا اليد والعادات وانما لطر يقان

أحدهما القلب والقهرو طيبة المدينة الحاضرة تأبأبلا ذكرناه في فاتحة الكلام ، وثانيها النحاف والآنحاد في المصالح والمنافع بحيث يأخذ كل جنس من الآخر أمثلا ما عنده يمتضى سنة الانتخاب الطبيعي الى ان تغلب مقومات جنسية أحدهما في مجموعها على مقومات جنسية الآخر ويصيران جنسا واحدا وهو ما يطعم فيه بعض الفريسين في مستعمراتهم كفرنسا في الجزائر ، والشعوب العثمانية اخرج اليه ولين يكونوا امّة واحدة بدونه ينتج ما تقدم من المقدمات ان الدولة العثمانية لا تستطيع في هذا المصير ان تحمل رابطة جنس من الاجناس التي تتكون منها أمّتها بالقهرو الإكراه ، ولا بالغلبة والافتقار ، بل سبيلها اللاحب أن توثق بينها في المنافع والمرافق ، والمصالح والوظائف ، وتوحدها بجنسية الشريعة والقانون ، دون جنسية اللغة والدين ، حتى يمازج منها ما هو مستعد للزيج ، وينفذ مزاج وحدتها الجديدة من لا يقبل ذلك من الاجناس كما ينبذ مزاج الجسم المتصل ، ما عساه يدخل فيه من الاجسام الفرية

أعني بهذا التنبؤ واللييب فهم ما تقتضيه طبيعة الاجتماع من ذلك لان الدولة نفسها تنفي من بلادها الآن بعض الاجناس . ذلك ان الجنس الذي لا تقبل طبيعته الوحدة العثمانية التي ذكرناها (كجنس الروم فيما يظهر) لجذب جنسية أخرى هي أقوى منها في حقه يسئل اكثر أفرادها في بلادها بالهجرة أو سبب آخر ويتصلون بجنسهم الذي تربطهم به عدة روابط لكونه أقوى على جذبهم من الجنس الذي يرتبطون فيه برابطة واحدة

أما تنازع البقاء بين الجنسيات القوية في الشعوب العثمانية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي الى تغلب الامثلا فيسكون على أشده بين العربية والتركية لانها اللتان الحيتان للشعوب الكبارين في الأمّة والاولى منهما لغة الدين الذي يكفله منصب الخلافة والثانية لغة السلطة الرسمية وليس للغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا ان الاو من شعب صغير وعمره قريب بتدوين لغته وجعلها لغة علمية ولا يطعم أحد من عقلائه بنشر هذه اللغة في شعب آخر فهي لغة قاصرة محصورة غير قابلة لحياة النشر والامتداد لعدم الحاجة اليها عند غير أهلها واللغة التركية مزاجها ما فيهم أنفسهم فهي امك لا لستهم من لغتهم

وأما الألبان والأكراد فهم حتى اليوم لم يدنوا لغتهم وبجملها لغة علم ولا يعلمون في نشرها ونحويل أحد من الشعوب الأخرى إليها والتركية مزاجها لها في الشمين وكذا العربية لاسيا في بعض بلاد الأكراد كالسليمانية وغيرها . ثم ان الدين يجذبهم الى هذه والأداة تجذبهم الى تلك فزيادة عناية كل شعب من هذين الشمين بلغته ومحاولة إحياءها قليلا لما ذكرناه من طبيعة المدينة التركية لهذا الهد لا يفيده الا ألقالا متوقفة عن تحصيل العلوم ومجاعة غيره بالرقي فيها لأنه ان ترك العربية قصر في دينه الذي هو أعز شيء عليه وان ترك التركية قصر في عثمانيته وما يرتب عليها من الفوائد فلم يبق الا انه يضع بعض زمن التحصيل في دراسته لثقافته القومية ولا يرى العقلاء منهم يعلمون في تأسيس دولة لأنهم يعلمون انه لا فرق في ذلك بين شعبيهما وبين الشعب الارمني من حيث انه طمع في غير مطمع يضر الطامع ويضر الدولة فيقوى عليها الطامعون فيهما . ولضرر الشعب الصغير من ذلك أكبر من ضرر الأمة الكبيرة . على ان محاولة تمرير السلطنة محرم في الاسلام فالشعب الاسلامي الذي يشارك الجماعة يعني على دينه وعلى دنياه . فالتنازع الحقيقي في لغات الشعوب العثمانية إنما هو بين العربية والتركية

يرى بعض الترك القائلين في عصبية الجنس انه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة التركية وحدها لغة التعليم وتلزم جميع العثمانيين بتعلمها وتجعلها اللغة الرسمية في جميع معاملات الحكومة حتى التقاضي والمرافعة في المحاكم الى ان تحول العرب فن دونهم من العثمانيين الى الجنسية التركية . ويظنون ان هذا أمر ممكن حتى في عصر الدستور ، وما ظنهم هذا الا أنهم وغرور

ويرى بعض العرب بنزعة دينية وبعضهم بنزعة جنسية أنه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة العربية هي لغة العلم ثم تجعلها بعد انتشارها اللغة الرسمية لانها لغة الشعب الأكبر من الشعوب العثمانية ولغة الدين لجميع مسلميها ومسلمي سائر الآفاق الذين يرتبطون معها برابطة الخلافة ، ويؤمنون عما يناداه في القسم التمهدي من هذا المقال من شأن المحافظة على الجنسية لاسيا في شعب يرى لنفسه حق السيادة فان تنازل

عنها بالدستور فانه يصعب عليه أن يترك من مميزاته ما حفظ لنفسه الحق في استبقائه
 بنص القانون الاسامي وهي جعل لغته هي اللغة الرسمية للدولة
 ان غوائل اختلاف اللغة في الدولة لا تنكر وان فوائد توحيدها ووحدة الامة
 بها لا تمحل ، وان رجحان العربية في الدين والعلم والسياسة هو اوضح وأظهر ، فانها هي
 التي تتوفر الدواعي على تميمها لان الناطقين بها أكثر من الناطقين بغيرها ، ولارجاع
 القليل الى الكثير سهل من عكسه - ولأن لترك والكر دو الالابان باعنا نفسيا بعقدهم على نطقها
 وهو الحاجة الى فهم كلام ربهم (عز وجل) وحديث نبيهم (صلى الله عليه وسلم)
 وحكم سلفهم الصالح (رضي الله عنهم) وكتب أئمتهم في التفسير والحديث والفقه
 وغيرها من علوم الدين (رحمهم الله) والوقوف على تاريخ دينهم . ومن الجبل ان
 يقال انهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة لما سنيته في فرصة أخرى - ولأن جعلها اللغة
 الرسمية هو الذي يزيل خطر تفرق الاجناس فاذا اتفق عليها المسلمون الذين يشاركون فيها
 غيرهم من الملل في البلاد العربية لا يبقى للروم والارمن سبيل لطلب تعليم لغتهم
 في مدارس الدولة ولا يكون لتعليمهم لها في مدارسهم خاصة تأثير في اضعاف الوحدة
 - ولأنها لغة حضارة سابقة وعلوم وفنون - ولأنها اللغة المشتركة بين جميع المسلمين
 ولأنه يمكن ان توسع دائرة نفوذ الدولة بنشرها في الممالك الشرقية التي يكثر فيها
 المسلمون (كالصين وجاوه والهند) من غير نفقة توازي عشر معشار ما تنفقه الامم الغربية
 لنشر لغاتها وتوسيع دائرة نفوذها وتجارتها في الشرق - ولأن الدولة تأمن بذلك من
 قيام دولة عربية تدعي الخلافة وتنازعها النفوذ في العالم الاسلامي بنفسها او بمساعدة بعض
 دول أوربا - ولأن في ذلك تحقيقا لمقصد من مقاصد الاسلام المالية وهو محو العصبية
 الجنسية وتوسيع دائرة الاخوة الانسانية

هذه المرجحات لا تعزب عن علم اذكاء المفكرين من الترك ولو كان أمر
 الاقوام والشعوب مما يتبع فيه البرهان اذا ظهر لكان حل هذه المسألة من أهون
 الأمور ولكن الاقوام والجماعات تتبع الشهور والوجدان دون العقل والبرهان بل
 يقول الفيلسوف الاجتماعي جوستاف لبون انها لا تعقل ولا تطبق سماع الدليل فلا

مطمع إذا في رضاء الشعب التركي بحمل العربية لغة العلم والحكومة في الدولة كلها بما كان في ذلك من الفوائد وأمن الفوائد لا سيما في هذا العصر الذي اشتدت فيه العصبية الجنسية في أوروبا من عهد نابليون الى اليوم وصرت عدواها الى البلاد المجاورة لها

إذا كنا لا نجد سبيلا الى توحيد اللغة لاجتناء فوائده فكيف السبيل الى اتقاء غوائل التنازع بين اللغتين السائدتين، وما يقيم من تحريك عصبية الجفنين، الذي هو أشد الاخطار على الدولة في العهد الذي يجب الاتفاق فيه على تعزيزها وإعلاء شأنها والتأليف بين اجناسها وعناصرها جهد المستطاع ؟

يقول أ كثر الباحثين المستقلين من الاجانب والعثمانيين ان لحل هذا المشكل طريقا مبدئا ومثالا متبعا لا يحتاج منه الى النظر والاستدلال وهو ما عليه سلطة النمسا فيبني أن يكون العرب والترك في الدولة العثمانية كشعبين النمسا والمجر وان يكون سائر العناصر العثمانية كسائر العناصر في تلك الامبراطورية

أراني بهذا قد وصلت الى بحث لم أكن أرمي اليه وطرقت بابا لا غرض لي الآن بالدخول فيه ، باب البحث في المسألة التي يصبرون عنها بالمركية واللامركية التي هي موضوع اختلاف بين الحزبين السياسيين الطبيعيين فينا وهما حزب الاتحاديين وحزب الاحرار فلندع تنازعهما للزمان يبرم فيه حكمه ولنعد الى موضوع اللغتين فنعتم الكلام فيه برأيين احدهما نراه يرضي المفكرين ودعاة العلم والسياسة من العرب والآخر لأحد المفكرين والخبراء من الترك ولا ندرى ايرضهم أم لا

﴿ الرأي الأول ﴾ هو ان يكون تعليم كل من الشمين في المدارس الابتدائية الرسمية بلغته وان يكون تعلم اللغتين الزاميا في جميع مدارس الحكومة الثانوية والعالية وان يكون تعليم العلوم في بلاد العرب بالعربية وفي بلاد الترك بالتركية وان تكون جميع معاملات الحكومة كل ولاية من ولاياتها بلغتها ويكون في الولايات العربية قلم ترجمة لاجل مخاطبة العاصمة وتلقي الخطابات منها بالتركية - وأما سائر الاجناس فيعلمون العلوم بالتركية لان أكثرهم يعرفها الا من كان منهم في الولايات العربية فانه يكون تابعا لاهل ولايته فان لم يتيسر تنفيذ هذا الرأي في مدة هذا الدور الاول للمجلس الامة فالرجاء فيما بعده قوي اذا

كان الترك كما نلظر يحبون الوفاق . وقدينامن قبل حاجة الترك الى تعلم العربية في الجزء الثاني (راجع ص ١١١م ١٢)

(الرأي الثاني) وهو لمبيدالله افندي مبعوث أزمير أودعه في مقالات له في التعليم نشرها في جريدة « تصوير افكار » وترجمته بمض صحف بيروت ومصر وهذه خلاسته نقلها عن جريدة الاتحاد العثماني البيروتية قال :

أرى خبر حل لمشكلة لغة العلم هو ان يتخذ الاتراك التركية لساناً علمياً لهم وان تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية في قواعد الاقطار العربية مثل دمشق وأم القرى ودار السلام تسعى في انهاء علوم الحضارة العربية التي أخذت تنحط وتضمحل منذ اقرضت السلطنة العربية

وبذلك تنتشر العلوم والفنون بين الاتراك بلسانهم وتحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها الى التركية من جهة أخرى وينجو الاتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعمص الاعى التي لا يزالون ساقطين فيها الى اليوم . وان الحكومة لتقدر الخلافة حينئذ حق قدرها وتقوم باعلاء واجباتها . ولو ان الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثرت سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية ولتحول لسان جميع العناصر العثمانية كالروم والارمنووط والارمن وغيرهم بقوة العلم منذ ثلاثة قرون أو أربعة الى لسان الترك لسان المعارف والحضارة (١)

اضطرني الى استطراد هذه المسألة مع انها خارجة عن مبحث المدارس فأراه من لزوم تنبيه الأذهان الى ان من الممكن بل من الواجب اتخاذ تدابير لتالي سردها واني لست أرى واسطة أحسن من هذه تقطع ألسنة الذين أصبح دينهم في هذه الأيام الضرب على نفقات الخلافة

وإن منع دخول المؤيد وغيره من الأوراق المضرة الى الولايات العربية لافائدة له بل ربما زاد اتياه الناس الى مطالعته

(١) ان لسان الترك لم يكن لسان علوم وحضارة وانما كان يمكن تنفيذ ذلك وقتئذ بالعربية كما حاول السلطان سليم

ليس نشر العلم في الولايات العربية باللغة التركية من الممكن كما انه ليس بالمعقول بل بالعربية فقط يمكن اشاعة المعرفة وان من الواجب حماية اللغة التي تريد تعميم العلم بها بين أمة (العرب) وحماية الافاضل أيضا من أهلها. وان اصلاح مدارس القسطنطينية لا يمد حماية للغة العربية لان اصلاح هذه وتعليم العلم بها من أقرب طريق لا يكون الا بتأسيس مدارس علمية في القطر العراقي والقطر السوري والقطر الحجازي وانشاء مجامع علمية عربية هنالك اعضاءها من العرب وموظفون بصورة رسمية.

ومنى تم ذلك نبغ تلك الاقطار في القريب العاجل فحول العلم وارهط الفضل وزحف اليهم أصحاب المزايا في الشرق والغرب وفي مصر والسودان . فلا يخفى الزمن اليسير حتى تنتقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بكل فروعها وسوف تندم الخلافة العثمانية اذا لم تكن هي المتوسطة لهذا النقل والقائدة لهذه الحركة.

وفضلا عن ذلك فان دولة كاخلافة الاسلاميه وسلطنته كالسلطنة العثمانية تحكم بلاد العرب الذين لانزال نستشير بأنوار علمهم وفضلهم لا يمكنها الاكتفاء بالقسطنطينية وحدها مركزا علميا لهذا الملك الطويل العريض ، فان مكة عاصمة المسلمين اجمعين وبغداد دار الخلفاء ومنشأ العلوم الاسلاميه ودمشق عاصمة اخلافة الاموية وأكبر مدن السوربيين الذين نهضوا بمعارف مصر ومطبوعاتا وصحافتها في هذا العصر الاخير هذه المدن الثلاث يجب ان تكون مراكز عالية مهمه في هذه السلطنة وعندئذ يخلط الائمة البصريين والكوفيين القدماء بضم سنين ائمة واساندة عراقيون وسوريون وجهازيون يحملون دولتنا مدنية نصيرة للعلم واللغات حتى اذا ما امتد لسان الى اخلافة يسبقها العلم ام بمباراة الاتحاد

(المناظر) كنا نتمنى لو اطلعنا على رأيه في المدارس عامة . وانا اقتبس بعد هذا مقالة تاريخية في الموضوع من مجلة المقتبس الشهيرة فيها رأي ثالث في المسألة وهذا نصها

﴿ العربية والتركية ﴾

أصبحت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهويل الحروب والفتن ، ولما قامت الدولة العثمانية خمدت نيت لها

الاقطار المختلفة فظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تكن بها ولا يغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة أدوارها وأقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت أشبه بمسكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها ، وبعيد ان قامت الدولة تؤسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من المليات في الظاهر ومن الدولة في الباطن وأنشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشرق في الفرنسيين النباء على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأوروبية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كهف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف وأنوارها يستضيفون وذلك لغناها العظيم وتاريخها المجيد القديم بقي الأمل في نهوض العربية محصورا في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ومجد وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أمست في قنود ، وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وقطع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمحض على تأسيسها بضع سنين حتى أطلقت شعلتها بما أصاب سورية من بلاء المراقبة وما أصاب تونس من الاحتلال الفرنسي والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح العلم وينزع حياة النهضة القومية ، وقد أوشكت مصر ان تصاب بضمف لغتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جمل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من اجابة طلبها ،

اما هذه الديار فكان أول ما انصرفت اليه الوجوه (١) بعد إعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريد ان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليحجي منهم في المستقبل مزيج واحد وقوى وحدتهم السياسية ، وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم تشهد فيه ذكرا للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعلم العلوم بالتركية للذكور والأنث وللصغار والكبار والعرب والترك والروم والأرمن والبلغار والأرناؤود حتى ان المبادئ البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب ألفها أترك باللغة التركية ، فذكرك بعض الباحثين في

أحوال البلاد والعناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تبريك) العرب وغيرهم ، وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعلم خصوصا بسد ان رأينا أصغر الشعوب الأوربية تحافظ على لغتها الأصلية بحفظها على اعراضها وأموالها وأرواحها .

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم تراع حالة كل قطر ولغة أهله تسوء المأقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمره جنية بل يكون شأن البلاد العقم في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته هيئات ان يأتي منه عضو يضيع أمته وبلاده ، واذا فصلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدها الدستوري أظلم منها في عهدها الاستبدادي وتكون حكومة مصر أرفق بأهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فينتظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به بعد كبيرا ،

وبعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط للغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع المقاب في سبيلها مباشرة ولكن الفطلة الفظيعة التي ارتكبتها ولا يضرها لها التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الاقصى والأدنى ودولة الجراكسة في مصر والشام ودولة آل ساجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسية ودولة آل أيوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعتمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فكان الجراكسة والبربر والفرس والاكراد والأتراك يتحلون عن لغاتهم يختارون ولا يستعملون في الرسمية غير العربية لغة البيان والعلوم أما الترك فجروا على غير سنة الدول السالفة فلم يروا من المصاحبة تعلم لغة عامه المسلمين في مشارق الأرض ومقاربها واكتفوا بلغة مائقة بدوية ما برحوا يتوفرون منه قروفا على اصلاحها وهيئات ن تكون كما يحبون ،

يلما جاء السلطان سليم فاتح مصر والشام وكان على شيء من المعرفة بحسن

العربية كما يحسن الفارسية والتركية أحب ان يتلافى الفلظ الذي سارت عليه دولته وان يحمل اللغة العربية لغتها الرسمية أسرة الدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضعاف القول من أهل دولته وأرادوه على الدول عن رأيه مخافة ان تندثر لغتهم بل تخلصا من ان يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت دون آل عثمان وبسط أيديهم على الممالك الاسلامية المجاورة لهم واللغة العربية أعظم رابطة بين المسلمين ،

وقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لأن التركية مزيج من هاتين اللغتين وبدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأقن التركي ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في أوروبا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانها أصل لغات أوروبا وان كانتا بادئا أو كادتا ، ولكن مدارس أوروبا أخرجت كتابا بهذين اللغتين ولم تفهد من مدارس الحكومة العناية كتابا بالعربية أو الفارسية ، هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد أهل الارض بأعجاد أهلها وحضاراتهم ، ومن الغريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من أصل تركي على حين نبغ وينبغ من الفرس والاكراذ وغيرهم أناس يؤلفون بالعربية فتحسنهم عربا خلصا ، وانك لتقرأ المعجزة في كلام ابن كمال باشا كاتب جلبي وطاشكوبريلي وغيرهم من الأتراك الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين الاقراء في كلام الراغب الاصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء على منشاأهم الفارسي كانوا أئمة الانشاء العربي ،

إذا تعلم أبناءنا اليوم على الطريقة التركية لا يلبثون ان يجهثوا أثرًا كما يتقنون التركية كأرقى أبنائها وبذلك لا يخدمون أبناء لغتهم أدنى خدمة وقد رأينا معظم الذين تعلموا من أبناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية الصامية فضلا عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون المصطلحات التركية وبعض الالفاظ التركية ينههم يكلمونك بالعربية فكان شأنهم في هذا شأن أكر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون

مصرية تكاد تكون أقرب الى الأفريقية لما خالطها من الالفاظ الفرنسية والاسبانية والطليانية «

وقد رأى بعض القلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو ان يحصل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان يحصل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وذلك لا يقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون ولهم أفضل لغات سائر العناصر العثمانية ، والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العالمية ،

(١) تقرير

عن امتحان مدرسة المعلمين الناصرية

في العام الدراسي سنة ١٩٠٨ الداخل في سنة ١٩٠٩

صاحب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية حضرتني قبل كل شيء أقدم الى سماعتكم أكل الشكر والامتنان على ان جعلتموني موضع الثقة فاخترتموني لرئاسة امتحان هذه المدرسة التي هي في نظري من أهم المدارس وأفيدها لهذا القطر ولهذا قد دقت البحث واختبرت كل شيء في الامتحان بنفسى واني عارض ما علمته بالتفصيل

(١) رأيت ان وقت الامتحان الذي حدد لهذه المدرسة غير ملائم لحالتها

(١) ننشر هذا التقرير لما فيه من الفوائد الدقيقة المتعلقة بفن التعليم وحاله في مدرسة من أرق المدارس المصرية وأهمها عندنا بيان سوء أثر تسليم الأزهر في نفوس طلابه من حيث إدراك المسائل ومن حيث بيانها وهو ما شرحه صاحب التقرير الشيخ عبد الكريم سلمان الشهير المصطفى في المحكمة الشرعية العليا « في مسألة (ج) فمضى ان يكون فيه عبرة لمديري نظام الأزهر كما يجب له ونرضى

لانه قد زاحه قبله امتحان الشهادة الثانوية وشاركه في زمنه امتحان مدرسة الحقوق الخديوية ونشأ عن ذلك تعطيل في العمل لأن من انتقمهم النظارة للامتحان فيها كان أكثرهم مشتغلا بامتحان الشهادة وتلاوة أوراقه واضطرونا لتأجيل الامتحان في الترية العملية عن وقته المعين في الجدول وهو أول مايو سنة ١٩٠٩ إلى ما بعد ١٦ منه واجهد المتحزون أنفسهم في أول النهار وبعد الظهر حتى أمموا عملهم بمسقة عظيمة في أوقات هذا الحر الشديد

فلهذا ولقلة المال الذين يوثق بعملهم أرى ان يحمل موعد امتحان هذه المدرسة في الاعوام المقبلة من أول مايو كما وقع ذلك في بعض السنين
(ب) لاحظت ان كون الامتحان بنمر سرية قد أوجب زيادة العمل على المال واستدعى إيجاد عمال في حين الاحتياج الى عملهم في موضع آخر لتزاح الامتحانات في وقت واحد ولو كانت الفائدة من جعله سرىا توازي هذه الانماط وتلك المضايقة في إيجاد العمال لها ان الخطب ولكني وزنت النفع والضرب في ذلك فوجدت الثاني أكثر بكثير وغاية ما يقال في النفع ان كون الامتحان بالنمر السرية يحمل النظارة في اطمئنان من عدم وجود الغرض فيه إذ يقرأ المتحن ورقة لا يعرف كاتبها فيقدر لها درجتها بالضبط وهذا النفع وان كان يكون حقيقيا في بعض الأوقات ليس بمطلود لانه ليس كل متحن يعمل فيه الغرض وفضلا عن ذلك فقد يوجد شيء من الساهل مع الامتحان بالنمر السرية يقوم مقام الغرض أو يفوقه لأن المتحن كلما قرأ ورقة ووجدتها غير صالحة سأل عن النمرة التي يمكن ان يمر بها الطالب ولا يكون ساقطا فيعطىها الورقة وهو جازم بانه لا يستحقها لأجل ان ينجو الطالب من السقوط وذلك استعمالا للشبهة واذا أسأنا الظن قلنا ان المتحن تحت نظره أشخاص يجب ان يمرروا فيخاف ان يكون صاحب الورقة الساقطة منهم فيحرم الكل حتى يمر صاحبه بسلام وهذا أكبر في الضرر من استعمال الغرض لشخص مخصوص بالرجاء المتاد في هذه البلاد وبين أوراق الامتحان في كل علم أوراق منقطعة جداً وضع لها المتحزون الدرجات التي تقتضي مرور كاتبها
(المناهج ٧) (٦٥) (المجلد الثاني عشر)

تقط كنمرة (عشرين) فيما نمرته الحقيقة (٤٠) و (٢٥) فيما نمرته (٥٠) و (١٥) فيما نمرته (٣٠) وهكذا ولما كنتم ان تأخذوا نموذجاً من تلك الأوراق المكتوب عليها مثل هذه الفروع تجدوها على ما وصفناه وأيضاً فإن الامتحان بالنمر السرية في هذه المدرسة وهي من المدارس المخصوصة المالية تفرقة بينها وبين أختها مدرسة الحقوق الخديوية ولا فرق بينهما في الواقع ونفس الأمر فلم يكن الامتحان في الحقوق جهرياً وفي المظن سرياً على اننا لم نسمع بأن طالباً في الحقوق مع الامتحان الجهمي نجح للفرض ولا بأن طالباً تأخر بقصد الإضرار به

ولهذا فاني أرى ان يكون الامتحان في هذه المدرسة أيضاً جهرياً فيقل الشعب وتزول تلك الاضرار ويسهل وجود المال ويعرفون انهم موضع الثقة فيعملون على ما يزيدونها وانهم ليسوا موضعاً للريبة فيعتادون النزاهة والتخلي عن الفرض وهذا من حسن التربية واعلاء النفوس بمكان عظيم

(ج) لاحظت اثناء تأدية الامتحان الشفهي في علوم النحو والصرف والطبيعات وتكوين البلدان ما لا يكاد يصدق وذلك ان الشخص الواحد يكون شخصين متباينين الصفات والادراك في وقتين مختلفين امام ممتحنين في علمين وهذا وان كان وجد في قليل من الاشخاص ولكنه مما يستدعي النظر والالتفات والبحث عن الاسباب . رأيت بنفسى أحد الطلبة يؤدي الامتحان الشفهي امام الشيخ حمزة فتح الله فاذا سأل عن تطبيق قاعدة أو اعراب جملة أو تعيين محل اسم من الاعراب أو عن أصل الكلمة وما حاصرت اليه بعد القلب أو الابدال بحث عن الجواب في جوانب السماوات وشاسع الآفاق، فاذا نه الى ان الجواب قريب منه اعتراه ذهول حتي صار لا يدرك البديهي من القول، ورأيت بهينه وهو امام علي بك بهجت يؤدي الامتحان في تكوين البلدان فوجدته رجلاً ثابت الجنان منطلق اللسان يبرع بما يريد بقوة ولا يعتره انزعاج رأيت هذا في أكثر من واحد ومن اثنين واني أحقق بعد ان أطلت الأخذ والرد والبحث ان هذا الداء كان متصلاً في بعض أولئك الاشخاص من أصل التعليم لأن قاعدته في الأزهر كثرة الاحتمالات في العبارة الواحدة واستعمال المعلم للتشكيك والاكثر من الاعتراضات

اللطيفة وقد تعودوا ان لا يرضوا فكرهم على أحد سواهم فاذا سئل هذا المتعلم على هذه الطريقة سار في أمره فلا يدري أي الاحتمالات يذكر وأيها يكون موافقا لذوق السائل فيرتبك كما قدمناه واما العلوم الأخرى فانها خلو من هذه العلة الثقيلة لعل الاحتمالات والتشكيك فاذا سئل فيها قال ما يعلمه منها جازما بماقول والجزم في العلم هو قاعدة كل خير وهو الأساس المتين في نجاح التعليم

ولا يقال ان هذا الفرق بين هذا الطالب وهو امام الشيخ حمزة وبينه وهو امام بهجت بك جاء من عوارض أخرى مثل وجود من يباه به زائدا على من يمتحنه فإني كنت موجودا مع هذا الطالب امام الاثنين واذا قيل ان الفرق جاء من كيفية توجيه الأسئلة فإني كنت أبسط السؤال له وهو عند الشيخ حمزة بطريقة هي غاية في السهولة والوضوح وقد لاحظ حضرة الشيخ حمزة فتح الله هذا المعنى من بعض الطلبة فأشار اليه في تقريره المقدم إليّ منه حيث قال « لذلك لا أجد بدا من سرد نموذج مما طغى به من كثير منهم بئانه وبيانه وبراعه ولسانه مما لا تعقل نسبته لأمثالم الا لفرط ذهول استحكم فاما في الشفوي فكما سمعتم من البعض حتي عندتموه بمحصن الحياة في معترك الامتحان ولذا أقصر على ما خطه بنائهم في الأوراق التي صححناها » اهـ

ظهر ما تقدم ان السبب في هذا الموضوع انما هو في كيفية التعليم وفي بعض الكتب لا في شخص المتعلم - والنظارة مسؤولة عن اصلاح هذا السبب والطريقة التي اراها نافعة في هذا الباب هي انتقاء الطلاب حين الدخول انتقاء كاملا في نباهتهم ومعلوماتهم وسيرتهم وليس من الضروري ان توسع في العدد فبدلا عن ان نأخذ ستين منهم أو بعمون ناقصون نأخذ عشرين كاملين اذا تخرجوا تخرجوا رجالا ذوي قدرة على العمل وقدوة للمتعلمين في كمال الاخلاق - أما اذا تخرج من الستين خسرون وكان منهم ثلاثون ناقصين فقد أدخلنا في عداد المعلمين اشخاصا غير صالحين وكانت النتيجة مساواة الصالح بالطالح والخلط بين الضار والنافع وعندي ان يقال اننا لانخرج كل سنة الا عشرين كاملين خير من ان يقال اننا نخرج كل سنة طائفة كبيرة لا يمكنها في مجودها القيام بوظيفتها حق القيام على انه قد مضى وقت الاحتياج الى

الإكثار من المعلمين بقطع النظر عن الكامل والناقص وجاء الوقت الذي يجب فيه التقليل من المعلمين حتى تصادف الخبيرين منهم

ويمكن ان يجمع النظارة لجنة لتقرر مقدار الحاجة الى المعلمين في كل سنة وتقرر بناء على ذلك انتقاء الطلبة وشروط الدخول وارى ان يكون في اول ما تنظر اليه اللجنة ان الطالب لا يكون قد امضى زمنا طويلا في الازهر بين تلك الاحتمالات والشكوك (١) ولا بد حينئذ اي اذا قررت هذه القاعدة ان تطيل النظارة زمن وجودهم في المدرسة حتى يتغير وضعهم بالمرّة ويسبكوا سبكاً جديداً فيكون المتخرج منهم مفكراً مستقياً تربت فيه ملكة القيام بالنفس فيمكنه العمل بما تعلم وان يفيد المتعلمين ويثبت فيهم روح العلم الحقيقي وروح التربية الحقة فان الذي يقص المعلمين اليوم هو التفكير والاستنتاج فاذا اخذنا الطلبة من الآن فصاعداً ممن لم يمضوا مدة طويلة في الازهر وعرضنا عليهم تلك المدة في المدرسة وصلنا الى نتيجة حسنة قطعاً ونخرج من هذه المدرسة العدد الجيد لملئه وان كان قليلاً فهو خير من عدد كبير جله ممن لا يجيد العمل ولا يحسن التعليم

على ذكر هذا الذي تقدم اقول انني امتحنت طلاب السنة الرابعة من مدرسة الحقوق كما امتحنت مدرسة المعلمين فاذا مدرسة الحقوق في موضوعها متقدمة وفي طلابها جرأة على القول أمام اي ممنهون وبالطبع لم تكن لهم هذه الجرأة الا من اصل التعليم فلو اصبح التعليم في مدرسة المعلمين لوجد من متخرجيها من يفوق متخرجي الحقوق لأن في مدرسة المعلمين تتوفر العلوم العربية والمنطقية وكلها مما يوجب القوة في الحجة والطلاقة في اللسان والتوسع في البيان

(د) لاحظت ان بعض العلوم كآداب اللغة والتاريخ تهتم فيها كتابات الطلبة

(١) المنار : لما عرفت الشيخ عبد العزيز جاويز للامام سألني عن درجة تحصيله في أوربا ودار العلوم . قلت اني لم اقف على ذلك لقرب العهد بحضوره من أوربا ولم أعاشره قبلها كثيراً . فقال سلمه عن مدة اقامته في الازهر فان كان أقام زمناً طويلاً فيه فما أرى انه حصل شيئاً ترجى فائدته لأن طول الإقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به . وان كانت إقامته فيه قصيرة فهو عندي محل رحاء

عند الامتحان اتفاقا يكاد يكون تاما من كثير من الوجوه فقلت من ذلك انهم لا يعتمدون على قوة الكتابة والانشاء ولو كانوا كذلك لاختلفت المبارات فان المنشئ يمكنه ان يعبر عما علم في موضوع واحد بمبارات مختلفة الأسلوب وان كانت متفقة الموضوع وهذا العيب يكاد يكون عاما في المدارس التي امتحنها وان اختلف التلامذة في ذلك بعض الاختلاف ولاحظت أيضا في أمر التطبيق ما يصح ان أفت النظارة اليه ويقول حضرات المتحنيين كلم في الاعتذار عن بعض النقص الذي يوجد فيه ان علته انما هي تضيق الزمن وهذه تقاريرهم مجمعة على كثرة العلوم وقلة الزمان و بعضها يشير الى قلة الزمن المحدد للعلم بالنظر لموضوعه وقائده كعلوم العربية وعلوم الشريعة التي هي المقصود الاصيل من تأسيس هذه المدرسة . وكأنهم يرمون الى النظر في أمر البر وجرام ولزوم تصديده على مقتضى وضع المدرسة وما يناسبها من العلوم

اني بما قدمته في فقرة (ج) من الكلام في أمر الالتقاء للدخول وشروطه والاخذ بمن قل زمنهم في الازهر ونعويضهم زمنا في المدرسة أستغني عن الذهاب مع حضرات الاساتذة المتحنيين الى النظر في أمر البر وجرام فانه بعد ان يتقرو الامر على ما تقدم يستغنى موقعا عن التعديل فيه ومع ذلك فلورأت النظارة ان تنيط اللجنة التي تولف للفرض المتقدم بالنظر أيضا في تحديد العلوم على الوجوه المناسب لموضوع المدرسة ومدة الدراسة وعدد الدروس في كل علم وما يبقى من العلوم وما يحذف لكان ذلك خيرا ومفيدا للعلم والتعلم

يدخل في باب التطبيق وجودته صناعة الانشاء وحيث اني كنت ممتحنا فيه هذا العام أيضا فاني أقدم هذه الملاحظة بمثابة تقرير مني على انفراد في امتحان الانشاء رأيت السنة كلها وعدد طلابها (٥٦) فسا لم يحز ولا واحد منهم الدرجة العليا ولم ينل القريب منها إلا عدد قليل اما الباقيون فمنهم كثير أخذ نصف الدرجات المقررة وهذا فيه ما فيه على ما قلناه ومنهم من زاد عليه زيادات تردد بين (٢٦) و (٣٩) وقد قول لي الشيخ أحمد السكندري مدرس هذا الفن (وهو الذي كان يقرأ لي ما كتبوه) ان علته الفرقة كلها كانت عذري في طول السنة متوسطة لا عالية وقوله

هذا هو قول الطارف المارس ولا يؤخذ عليه انه هو المدرس لهذا الفن ود بما قاله حتي لا يلحقه قصصهم لأن الرجل معروف بالمثل والصدق في الاقوال واني موافق على قوله هذا وأقر ان هذه السنة في الانشاء أقل من سابقاتها ولا يمكنني ان انسب ضمتهم الى صموية موضوع الانشاء فاني سألتهم سواليا يكون كل منهم معه حرا في اختيار الموضوع الذي يجيد الكتابة فيه وكان عندهم من الوقت ساعتان ومضمون السؤال ان كل طالب يختار فضيلة من الفضائل ويبحث على التمثل بها قوما مخصوصين فكان مقتضى هذه الحرية ان نجيب كتابة كل منهم في غاية الاجادة ولا يكون هذا الا إذا كانوا يحسنون صناعة الانشاء

(هـ) يستخلص مما تقدم ان هذه المدرسة يجب ان يكون لها مقام مخصوص بين المدارس العالية لان الفرض منها كما هو ظاهر من نص المادة الأولى من قانونها هو تخرج معلمين مصريين للغة العربية وكل ما يدرس بها في المدارس التابعة لنظارة المعارف العمومية وهذا الفرض هو أعظم غرض تتوجه اليه فكرة من يريد اصلاح التعليم ولا فائدة أكبر من إيجاد هؤلاء المعلمين ايجادا حقيقيا وهو لا يكون الا باصلاح النظام الذي يتخرج بقتضاء أولئك المعلمون فانا في غاية الاحتياج الى كونهم من التوابغ لا ان يكونوا كثيرين فيجب انتقاء الطلاب وانتقاء الاساتذة لهم وإيجاد المناسبة بين علومها وزمانها وهذه المدرسة لا تقل في الاهمية عن أختها شقيقتها مدرسة القضاء الشرعي وزمان الدراسة في هذه الاخيرة هو تسع سنوات فليس من ضرر ان تجعل مدة الدراسة في مدرسة المعلمين ست سنوات وبهذا نصف إحدى الشقيقتين نوعا ان لم تتمكن من انصافها بالتام

(و) هذه الملاحظات لاتنافي انا نذكر لهذه المدرسة حسناتها السابقة من يوم نشأتها الى الآن وانما أفادت البلاد والتعليم واللغة العربية بما لا يحصى من الفوائد فاني شغوف بتقديم هذه المدرسة أكثر مما هي عليه وحصولها على درجة تجعلها في أعين القائمين بأمر التعليم في المقام الاول من الاعتبار ولا ننمنا هذه الملاحظات ايضا من ان نذكر المدرسة في هذه السنة بالنتيجة الحسنة التي حصلت عليها في هذا الامتحان الأخير وهي انه لم يسقط من السنة الرابعة سوى تسعة من (٥٦)

فيكون النجاح باعتبار (٨٤) في المائة قريبا وان سبب سقوطهم كان علم الرياضة فقط في سعة منهم وعلم الرياضة مع قص في بعض متوسطات المجموعات في الاثنين وان الساقطين في السنة الثالثة خمسة فقط والساقطين في الثانية ستة فقط ولم يسقط في السنة الأولى ولا واحد ولم يسقط في التحضيرية سوى واحد وقد ذكر حضرات المتحدين في تقاريرهم شهادات طيبة وذكروا معاذير فيما وجلوا من بعض التقصير ففسبوا ما يوجد منه لضيق الزمن في الغالب والامتحان في شيء قدر تركه زمانا طويلا وهذه ملخصات تقارير حضراتهم أذكرها بغاية الإيجاز مع ألفاظ النظر الى ما جاء في كل منها من التفصيل ولي أمل شديد في ان سعادة ناظر المعارف الذي عود المصلحة العمومية عنايته بها يميز هذه الملاحظات جانبا من الثغرات فتتجه المدرسة الى الكمال الأكمل المطلوب لها مني ومن أمثالي وفقه الله خير البلاد والعباد وهذه هي نموذجات التقارير

(تقرير حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله ممتحن النحو والصرف في السنة الرابعة تحريرا وشفها وتحريرا في علم المعاني وفي جميع علوم البلاغة الثانية والعروض والقافية للسنتين الثالثة والأولى) قال - د انهم احسنوا فيما عدا النحو والصرف كل الاحسان ولا اقم منهم الا وضع الهمزات على ألفاظ الوصل - وقال - انهم اجادوا في استحضار القواعد وجمع شئونها والتصير عنها بعبارة سلسلة والتمثيل بدون تعبد بما في الكتب واستحضار الشواهد ثم سرد نموذجها من هفواتهم في علم النحو والصرف ورسم الحروف واستنتج ان حالة الجميع حسنة وقال انه يعوزهم في علمي النحو والصرف زيادة الضاية بالتمرين الصلي واثى عليهم جميعا فيما يتعلق بعلوم البلاغة والعروض

(تقرير حضرة الشيخ النواميسي ممتحن السنة الرابعة في المنطق والسنة الثالثة في الفقه والاصول) قال : النتيجة في هذا العام حسنة وان كان يوجد تقصير من بعضهم في الاجابة خصوصا في علم الاصول فربما كان ذلك ناشئا من كثرة المواد التي تظهر انها عبء - الى آخر ما قاله ولفت النظر اليه (تقرير ذهني باشا ممتحن الرياضة والهيئة مع جناب المستر تويدي) قال : امتحنت

التلامذة في مسائل موازنة البروجرام ، وبين الناجحين في كل واحد من الحساب والجبر والمهندسة على حدته والناجحين في الكل على العموم ومدح الطلبة على سلوكهم في الامتحان والنتيجة هي ما قلنا سابقا من ان الساقطين في الرياضة تسعة

(تقرير حضرة الشيخ الطوخي في التوحيد والتفسير والحديث) قال : أتجاسر على الاستغاثات الى كثرة المقررات في العلوم بمجادول التدريس وصعوبة بعض الكتب المقررة لتدريس بعض علوم المجموعة الشرعية وعدم كفاية الزمن المحدود لتدريسها . ويظهر من بين السطور في تقريره ان الطلبة كانوا يهجزون عن النجاح لولا مجهوداتهم فأوجه نظر سعادتكم الى ما يريد به الشيخ الطوخي

(تقارير التربية العلمية والعملية) تشير الى ان الحال محتاج الى تحسين وطلب الشيخ شريف زيادة علم النفس في المدرسة حتى يكمل نظام التربية العملية وان لا اواقفه عليه لا اعتبارات كثيرة اهمها قلة عدد الراشخين في هذا العلم الذين ينتفع منهم فيه (تقرير علي بك بهجت في التاريخ والجغرافية) مدح التلامذة في انهم اقلعوا عن عادة الكتابة من المحفوظات ومدحهم على ما حصلوه ومدح اساتذتهم على ما علموه وأشار الى ان زميله يريد إلفات نظر المدرس الجغرافية الى العناية بالرسم (تقرير جعفر بك في الخط) قال ان الطلبة ينقصهم كثرة التمرين خارجا عن

النموذجات التي تمرنوا فيها

(تقرير ممتحن العلوم الطبيعية) قال ان اجابات الطلبة كانت جيدة في العلوم الطبيعية واحسن منها في الكيمياء فانهم لم يعرفوا ما هي الكهرباء الديناميكية واقترح تقحيح البرنامج الحالي وجعله ارقى مما هو عليه الآن

(تقرير ممتحن فن الرسم) قال ان (١٢ ونصف) تحصلوا على (٧٠) في المائة من الدرجة النهائية وقال ان عدد الفرق كان كثيرا بالنسبة لموضوع الرسم على تحفة التباشير وطلب تخصيص ساعتين في الاسبوع للرسم لان زمنه الحالي قليل

(تقرير معلم الجبراز) قال ان النتيجة مرضيه واثني على نشاط الطلبة وعلمهم بما

بقي عليهم من العالم

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لياضي ﴾

٦

بقية بحث احاديث الاحاد وكونها من اصول الدين

قال في الأحاديث ما خلاصته: انه لا يعتمد ان يكون بعضها موضوعا وان ما غلب على الظن ان يكون له أصل صحيح كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدل الاسلام - إلى قوله - وما جاء في القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم يأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ثم قال ونعى رسول الله (ص) المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كاهقرآن الشريف - إلى قوله - لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز وأقول ان ما كان موضوعا فقد بينه النقاد بدور العلم ونجوم الهدى (رح) ومن سلك الطرق المؤدية عرفه والصحيح قد بينوه على اختلاف مراتبه وهو كثير وشريعة الله ودينه هو ما في الكتاب والسنة النبوية - والعجب ان الدكتور الفاضل قد ذكر في رسالته هذه ان في الكتاب كثيرا من الاحكام الخاصة ثم هو ينكرها هاهنا ونحن نعلم ان فيه المخصوص والمقيد والمجمل والمبين . والأحاديث وان كان قد يوجد فيها بعض ذلك الا ان ما فيها من ذلك هو أقل مما في القرآن ونبيه (ص) عن تدوينها قد قلنا الكلام عليه والمسلمون قد أحسنوا التوفيق بين الاحاديث وآيات الكتاب وما اعترض به حضرته قد عرفت الجواب عنه

أما قوله واني لأعجب من أهل الحديث وقوله فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما يسمع أقوالا منسوبة الى الرسول (ص) ان يفني حياته في معرفة أحوال رجالها (المنازع ٧) (٦٦) (المجلد الثاني عشر)

والوقوف على أمورهم إلى قوله فأني حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد إلى آخره

وأقول الأمر أسير واسهل مما ظن الفاضل — فالتأهل للنظر قد سهل الله له الأمر بما قد صنفه العلماء من الأصول وما جمعه من الصحاح التي قد هذبت وقبضت وقربت واختصرت على أن الجهد والاجتهاد في تحصيلها هو من أفضل الطاعات وأولى ما انفقت له نفائس الأوقات « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » فسد الزمان وترك الأديان والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلكن منكم أمة يدعون إلى الخير . اما العوام فلا حرج عليهم ولا تضيق — وقد قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » — أي اسألوهم عن دين الله لآعن آرائهم الخالفة له فمن أجاب بغير ما شرعه الله أو بما يخالف ما شرعه فليس هو من أهل الذكر الذين أحال الله عبادته إلى سؤلهم بل هو من أهل الرأي المذموم ولا ندري ما مراد الفاضل بهذا والله المستعان

قال حضرة الفاضل حفظه الله في الكلمة السابعة من رسالته — السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخططة والطريقة المتبعة إلى أن قال وهناك فرق عظيم بين لفظ السنة ولفظ الأحاديث ويجب على كل باحث أن يدرس هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخطب — وقال اما تسمية الأحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين إلى أن قال — والسنة لا تكون لإعـمـلية — وأقول ان الله قد أمر باتباع رسوله (ص) ولا شك ان الاتباع يدل على امتثال أمره فيما قال (ص) ونحن لا ننكر ان الاتباع لـمـة يكون في الفعل أكثر منه في القول — أما كون ذلك هو العرف الشرعي فلا نسلمه وإذا كانت السنة هي الخططة والطريقة كما قال حضرته فلا شك ان الخططة يكون أصلها القول — والطريق والطريقة والسبيل مصانها واحد — وقد قال تعالى « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » والدعاء قول وقد سماه سبيلا — والفاووق الخليفة الثاني (رض) قال أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث ان يومها وتفتت منهم ان يردوها فاستبقوا الرأي — وفي رواية واستحووا حين يسألون ان يقولوا لا نسلم

فعارضوا برأيهم فإياكم وإياهم . وفي رواية أخرى إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أحيثهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا - قلت وهذه الآثار سواء كانت موقوفة حقيقة أو قد سمعها من رسول الله (ص) فانه رضي الله عنه قد سعى الاحاديث سلفا وبذلك يظهر ان تسميه الاحاديث سلفا ليس هو اصطلاح متأخر وقد روي وصح عن غيره نحو ذلك وهو كثير - على انا قول أيضا ان الله كما أمر باتباعه في سنته (ص) كذلك قد أمره و رغب وأكد بطاعته - والطاعة انما تكون في أمره القولي حقيقة وقد ذكرنا ذلك وما يقاربه وبضارعه بما لا مزيد عليه في رسالتنا السابقة

قال ولو كانت واجبة الاتباع لعلها الناس جميعا في عصره (ص) وجروا عليها في أعمالهم - وقال وهذا أدل دليل على انها لم تكن ديناعاما لجميع البشر الى آخره . وأقول لا يلزم ذلك لان جميعهم لم يعلوا القرآن أيضا ولم يجروا في فهمه على طريقة واحدة في كل مسألة مسألة واقعة واقعة وهذا الخليفة عمر (رض) من كبارهم قد خفي عليه أمر الصداق وهو موجود في القرآن فلما قرأت عليه الامراة قوله تعالى «وَأْتَيْتُم مِّن دُونِهَا قُلُوبًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا» قال «رجل أخطأ وامراة أصابت» . فاشتراط استوائهم في العلم والعمل واتفاقهم على جميع الاحكام شرط انمو لم يقل به أحد من المسلمين كلهم ولم يكن الحضرة المذكور حفظه الله فيه سلف لافي العمل ولا العلم بالقرآن ولا في السنة - واذا كان الامر في القرآن كما عرفت وقد امتاز بانه كلام الرب بلفظه وهم مأمورون بتبليغ لفظه للاعجاز ومتعبدون بتلاوته في الصلاة ونحوها والنبي (ص) كان يقرأ عليهم في الصلوات الجهرية ونحوها وهم كذلك - كل ذلك وهم لم يتفقوا على جميع احكامه ولا على العمل بجميعها كما عرفت فكيف يصح ان يشترط ذلك في الحديث وهو انما هو في المرتبة الثانية ؟ أفليس من الجائز ان يقول (ص) قولوا ويحدث بحديث أو يحكم بحكم فلا يسمعه ولا يحضره الا بعضهم فيخفى على الآخرين ؟ على ان بعض الاحاديث قد عمل بها وافق عليها أهل الحل والعقد منهم (رض) وقد حدثت أمور ووقائع فرجعوا فيها الى العمل بالحديث واذا صح عندهم الحديث فلم يكونوا يتأخرون عن العمل به - وأبضا أقول بلا مجازفة قل

ان يوجد حديث يصلح للاحتجاج به الا وقد عمل به منهم عدد - ومن لم يعمل به فنحن نعلم ونقطع بأنه لم يبلغه أو لم يصح عنده وذلك بدعي مدة عملهم فلا إيراد ولا شبهة فيما مل فيها قدمناه من الصحيح والله أعلم
فلاحاديث الصحيحة قد جري عليها العمل بلا انقطاع الى يومنا هذا - اما الخلاف في الدلالات والترجيح وتقديم بعض الأدلة على بعض في موارد الخلاف والتعارض فهو واقع في القرآن والحديث يعرف ذلك من خبره وعليه فلا يصلح ذلك دليلاً على ان الشرع موقت بزمان دون زمان وحال دون حال
ونحن قد قلنا في رسالتنا السابقة ان جميع الاحاديث المتفق على صحتها او التي صححها او احتج بها اهل الكتب المشهورة قد تلقها الأمة بالقبول فلا نفيها لكلام خوف الاطالة

قال الفاضل حفظه الله في الكلمة الثامنة من رسالته

(١) قال الامام احمد بن حنبل (رح) ما معناه ان الاحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها - واقول اولاً ان الدكتور الفاضل اذا أخذ هذه المقالة عن الامام احمد (رح) وضم إليها ان جميع السنن لا تقبل ولا يجب العمل بها فاذا بقي بين ايدي المسلمين من بيان الدين ومجملات القرآن . وعليه فلا يبقى الا العمل بالرأي وقد عرفت ما فيه - (أنستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) قلت والذين عرفوا الامام احمد واقواله انما حملوا قوله على انه لم يصح عنده في ذلك شيء مرفوع لأن عامة ما يروى انما هي المراسيل - وقد قال غيره من الأئمة ان حكم اكثر الموقوفات في ذلك الرضع وعدم عمله لا ينفي ان يكون هناك شيء كثير مرفوع لم يباينه - على انه قد نقل عنه في الاقنانه انه قال اي الامام احمد بمصر صحيفة في التفسير رواها علي ابن ابي طلحة لورجل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيراً

وما قاله الامام احمد (رح) لا يفيد الدكتور الفاضل شيئاً - وفرق بين ماذهب اليه الدكتور الفاضل ومايدل عليه قول الامام احمد رحمه الله أمين ولو أردنا ان نورد عن الامام ما قال في وجوب اتباع الاحاديث لاستدعى ذلك مجلداً كبيراً وكذلك

الامام الشافعي (رح) كلاهما على قبض مذهب الفاضل الدكتور - وقول الامام الشافعي (رح) في النسخ انما هو من نوع الكلام فيما اذا تمارضت الادلة
أما ما قل عن أهل الظاهر فليس كما قال ولم نر من قل عنهم عدم وجوب العمل بها كيف ومذهبهم انما اشتهر بالعمل بالقرآن والحديث فقط ولذا يقال لم أهل الظاهر - انما يقل عن بعضهم انه منع تخصيص الكتاب بالكتاب وهو مبني على اصطلاح متأخر اعتمدوه والحق خلافه - نعم قل عن امامهم داود (رح) ان المتواتر من السنة يمارض الكتاب ولا يخصص احدهما الآخر أي فهو يتوقف حتى يعلم التاريخ وحينئذ يكون ذلك عنده من مسائل النسخ لا التخصيص واما آحاد السنة الصراح فلا نعرف لم خلافا متقولا قلا موثقا انهم منعوا تخصيصها للقرآن - وبذلك تعرف ان قولهم انما هو مخالف ومناقض لمذهب الاخ الفاضل الدكتور حفظه الله

قال قال جمهور الاصوليين انها ظنية - واقول قد قدمنا الكلام على ذلك وان الحق غير ذلك على انهم مجمعون على وجوب اتباعها
قال وقال جمهور المسلمين انه لا يجوز الأخذ بها في العقائد - واقول كونهم الجمهور غير مسلم بل الجمهور من عهد رسول الله (ص) الى يومنا هذا على خلاف ذلك على انه لا يجب علينا ان نتمد وتدين باقوال الرجال الا اذا وافقت الصواب من السنة والكتاب
قال قال كثير من الائمة كالقاضي عياض انه لا يجب الأخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة - واقول قد سبقهم الى ذلك سيد المرسلين (ص) فيما صح عنه لكنه لا يدل على ما زعمه حضرة الفاضل ولا يؤيد مذهبه

قال وقال جميع المحدثين ان الموضوع منها كثير وتمييزه عسير جدا وفي بعض الاحوال مستحيل - قلت اما ان أحدا منهم قال ان تمييزه مستحيل فغير مسلم واما الكثرة فلا بأس وهم قد ميزوا ذلك وظهر امر الله
واما ما قل عن الامام ابي حنيفة فان صح ذلك كان بحسب اطلاعه لا انه في نفس الامر كذلك وامام الاحناف رحمه الله قد استفاد عنه وجوب تقديم الحديث الضعيف على الرأي فهو واتباعه الصادقون على قبض ما يذهب اليه الفاضل الدكتور

وما قل عن الامام مالك (رح) فليس مما نحن بصددده وانما هو من باب ترجيح احد الدليلين اذا تعارضا وهو لا يدل على ما ذهب الفاضل الدكتور حتى ولا من باب الاشارة ومذهب الامام مالك (رح) معروف في ايجاب العمل بالاحاديث الصحاح قال اجمع المسلمون على عدم تكفير من انكر أي حديث منها . قلت ان من أنكر ذلك لانه لم يصح لديه فالامر كذلك ونحن نقول بذلك وأما من ودما عرف ان النبي (ص) قاله بلا مسوغ فهو كافر برسالة محمد (ص)

وقوله ان تناقضها كثير الى آخره جوابه ان ذلك انما هو في نظر بعض الناس ودعوى الكثرة والاستحالة في التوفيق غير مسلم . وقوله قام الدليل الحسي الى آخره جوابه اننا لانسلم ذلك . وقوله لم يجمعها الصحابة الخ قدمنا الكلام عليه قال لم يلفوها الى الامم بالتواتر . أقول ذلك غير لازم وهو لا يضرنا والشئ لا يكون متواترا الا اذا تواتر بل قصدوا تواترنا بالاتفاق (كذا) قال انهم نهوا عن كتابتها وأحرقوا ما كتبوه منها . وأقول قدمنا الكلام على الكتابة وأما الاحراق فهو لم يكن لاحاديث النبي (ص) . وعلى المدعي البيان بما يعين ويدل على مراده

قال قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه . أقول ان صح ذلك فانما هو عن بعضهم وسببه كما قال خوف الفلظ على رسول الله (ص) فيقع المكثري الكذب على رسول الله (ص) على ان من قال انه كره ذلك هو نفسه قد حدث عن رسول الله (ص) بأحاديث كثيرة واذا كان مراده أن الذي كره ذلك عمر (رض) فقد روى عنه الجمل الفغير أحاديث كثيرة وقد قدمنا بعض قوله في الاحاديث وان غيره قطعه بيانه على ان كراهة الاكثر من التحديث لون وما ذهب اليه الدكتور الفاضل لون آخر فلا حجة له في ذلك فتأمل

قال كان افاضلهم أقل الناس حديثا الخ وأقول ذلك غير مسلم على ان التحديث القليل الذي يسلمه هو حجة عليه ينقض مذهبه ونحن نقول ان عدم الاكثر له أسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها .

قال من كان من الصحابة (رض) كثير الحديث ملوه وجزوه كما فعل عمر

(رض) بأبي هريرة (رض) وأقول أبو هريرة من الثقات ومن الصحابة الكرام - وكلام عمر له أسباب غير ما يريده الدكتور الفاضل وقد عرفت بعض كلام عمر (رض) « وهو من أكثر الصحابة أمراً باتباع الحديث والسنة وقد حدث عن رسول الله » ص » بأحاديث كثيرة

قال ان أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها . قلت بل قل اتفقوا على كثير من ذلك وهذا ان صح ان يقال فانما كان قبل ان تدون أما بعد ان صنف ودونت فقد اتفق الحفاظ والأئمة المتأخرون على قبول تصحيح ما وسم بالصحة في الكتب المشهورة وما بقي فيه بعض اختلاف فهو طفيف يمكن المنصف تمييزه

قال لم يمتن المسلمون بحفظها كما حفظوا القرآن أقول لا يلزم ذلك ولا يضرونهم لم تقل انه يلزم لها في الحفظ اللفظي ما يلزم ويجب للقرآن على انه قد اعتنى بحفظها كثير من الأئمة والقادة وأهل القرائح والوقادة الدائرون عن الدين كما أخبر بهم سيد المرسلين «ص» فجزاهم الله عن هذه الأمة خير الجزاء وورعهم الله ورضي عنهم وارضاهم آمين وصلى الله وسلم على رسوله الأمين الى يوم الدين

هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بقاية الاختصار وأنا ارجو حضرة شيخ الاسلام أن يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من قراء المنار ومن ينظره بين الاعتبار - وأنتمس من حضرته ان يصلح ما فيه من الخطا والزلل لأنني كتبت بسجلة بعد ان كنت أودت الاعراض عن الجواب ولكن ارضاء لله ورسوله «ص» ثم للإخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كبت ذلك اوتجالا وأنتمس من حضرة شيخ الاسلام أن يذكر ملخص رأيه وكذلك أنتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وايدبهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول ما يادرون الى حب الخلاف ولولا ضعف الشبهات فنسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله الى يوم الدين

قال ذلك بضمه وكتبه بقلمه

الحقير صالح بن علي بن ناصر البافني

(المنار) انا نشكر لصديقنا الاستاذ الياضي غيرته على السنة السنية وعنايته بالدفاع عنها في هذا الزمن الذي عاد الاسلام فيه غريبا كما بدا ونسأل الله تعالى ان يجعلنا وإياه من الغرباء الذين يظهرون السنن كما ورد في بعض روايات الحديث . ثم نشكر له حسن خلقه بنا ومنه أمره إيانا بإصلاح ما عساه يوجد في كلامه من خطأ وزلل وإطراؤه إيانا بالاقاب والنعمت التي لا نستحقها

اما رأينا في المسائل التي جرت المناظرة فيها بينه وبين صديقنا الدكتور محمد توفيق افندي صديقي فلا زرى ان نبحث في جزئياتها بالتفصيل لما في ذلك من التطويل الذي يمله القراء ويهسر على أكثرهم ضبطه وربطه بأصله ومن كان مستقلا الفهم غير مقلد في العلم قلما يوافق رأيه رأي واحد من المختلفين والمتناظرين في مثل هذه المسائل بل يرى أن كل واحد خطأ في بعض المسائل وأصاب في بعضها وهذا هو رأينا في جزئيات كلام صديقنا المتناظرين .

وأما المسائل الثلاث الكلية التي هي أقطاب هذه المناظرة — وهي مسألة النسخ ومسألة العمل بالأحاديث وإفادة أخبار الآحاد العلم أو الظن — فستقول فيها قولاً مختصراً مفيداً ان شاء الله تعالى ونرجو ان يكون ذلك في الجزء السابع

باب الانتقاد على المنار

﴿ ايضاح وانتقاد ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب الامضاء فنشرها ونجيب عنها وهي :

العلامة الفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

(١ — تحية وسلاماً) وبعد فيظهر ان المنار في جوابه على سؤالي الانتقادي المدرج في صحيفة (١٨٩ ج ٣٣ ١٢) لم يتمكن في معرفة قصدي من الانتقاد والسؤال وأنا بغاية الابهاز اعيد عليه تفصيل مقصدي وما اتقده عليه .

لا يخفى ان كل انسان يهيمه مستقبله وان شئت قل تهيمه الآخرة أكثر من

الدنيا ولا يمكننا ان ننجد واحدا مهما كان دينه يقول انه يريد لنفسه الشقاء اذا فهمنا هذا فالاستاذ يعلم ان جمهور المسلمين ومنهم المرحوم ابن تيمية الذي تنطق آراؤكم على آرائه يقولون ان الله تعالى قبل ان يوجد الخلق قد قسمهم قسمين . فريق للجنة وفريق للسعير وإن شئت قل فريق للناء وفريق للشقاء . أما هذه العلة المدهشة في مثل هذا التعميم فهي غير معروفة للنار أو لابن تيمية الذي يقول :

واصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الاله بجملة

ترك ذلك ونؤمن معكم بهذا التقسيم الذي عمل قبل وجود الخلق موقنا (وان كنا نفقد بفساده) وتأمل لما «٢» يثبته ذلك من النتائج في الحياة الحاضرة والعمل الانساني . . . هل الاسباب الدنيوية الموصلة الى النتائج الأخروية تعتبر علة لهذه النتائج ؟ ام النتائج الأخروية المفردة نفسها علة للاسباب الدنيوية ؟ . . . أقصد اذا كان رجل كتب له السعادة في الآخرة عند الخالق . . هل يوقه الله تعالى لاسباب السعادة في هذه الحياة حتى يفيله في الآخرة ما قد تخصص اليه «٢» من قبل ليكون كما هو «٢» سعيدا . . . أما جواب ابن تيمية وان شئت قل جوابكم ايضا ان العلة في ان يتوفى «٢» لاسباب السعادة هو كونه مكتوبا سعيدا من قبل أي ان النتيجة كانت علة للسبب وليس العكس كما يقول ابن تيمية

فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من أهل السعادة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة

ونختصر المعنى ان المكتوب سعيدا عند الله قبل ان يخلق يتأثر بطبيعته بأوامر الله فيقبضها ليكون كما لا بد أن يكون . . والمكتوب من قبل للشقاء «٢» لا تفيد المواعظ ولا الأوامر ولا التواهي بل يسير بطبيعته الى حيث يتوصل الى قسمته القديمة ايضا . اذا علم المنار كل ما تقدم ووافق عليه فانا من جهة أخرى اقول له لا يهمني الآن فرقة القدريّة ولا فرقة الجبرية الذين يقولون ان الانسان كالمريشة في الهباء كما اني لا انكر ان القرآن الحكيم امر بالعمل والنظر في الاسباب ونظام الكون الخ وكل الكلام الخالص الجليل الذي ذكره المنار في تفسير معنى القدر وما ذكره

في (٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) مسلم به بل القرآن ماهوا كثروا حكم وأمن (٢ - العقيدة) العقيدة من حيث هي إما تكون فاسدة ففسد... وإما ان تكون صحيحة فتتفع والقرآن الحكيم أول الكتب السماوية الذي طلب تحكيم العقل في كل عقيدة وفند كثيراً من المعتقدات الفاسدة . فكيف واني اعتقد جازماً ان تقسيم الخلق على الشكل السالف من أول المقائد الفاسدة بل المضرة المهلكة ايضاً . ولا يخاف المنار من ادعائي هذا بلا برهان . فاني اجيبه عند السؤال بشرط ان لا اتهمى القرآن والعقل . فلنترك ذلك ايضاً مؤقتاً

(٣ - اعتقاد المسلم في دينه) ماذا يعتمد المسلم في دينه من حيث كونه مسلماً آمن بالله وحده وباليوم الآخر ؟ لا شك انه افضل الاديان . بل ايد القرآن ان من لم يكن في بواطنه «؟» مخلصاً وخارجاً عن مبادئ الاسلام كانت له النار حتماً كالأية «ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» فصف اعتقاد المسلم هذا بأن له الجنة وحده وان غيره له النار للأسباب المتقدمة الى الاعتقاد السالف بأن الله تعالى قسم الناس قسمين قسم للجنة وقسم للنار بلا علة نجد منها «؟» ان المسلم هو الوحيد الذي كتب الله له الجنة من الازل وغيره له النار من الازل . وان المسلم موفق من الله بأعماله الى السنن التي تؤول به الى الجنة وغيره الى السنن التي تؤدي الى ضدها او الى الشقاء

(٤ - الكلام بحسب الواقع) ان بكلامي هذا للمنار اكمل بالأغلبية العظمى «؟؟» الظاهرة عند المسلمين وما عليه اجماع حال الامة الباطني الحقيقي . فان المتنورين النوار الذين يمكنهم ان يحولوا المعاني بسحر بيانهم وقوة عارضتهم لتحليل «؟» أي فرض عسر حله مثل صاحب المنار هم قليلون . وقد تواجد (؟) مثل الشيخ محمد عبده (رحمه الله) وصاحب المنار مثل الغزالي وابن خلدون ممن ملأوا الدنيا بفصاحتهم وقوة بيانهم مالا يطلب بعده المزيد . ولكن كل ذلك ما كان يفيد تقريباً . ولا قدم شيئاً للامة محسوساً ولا وضع الامة في صفها الحقيقي كما طلب الغزالي ويطلب صاحب المنار . ولم نزل ساقطة كما كانت تقريباً «؟» لو اردنا ان نعمل بينها وبين غيرها نسبة . وغرضي ان ترواوا لتأصل «؟» هذا الداء الذي هو اصل البلاء حتى يكون اصلاحكم المنشود

للأمة فعال مؤثر «٢» لا يزول . وليس كمن يكتب على الماء . لماذا ؟ . لانه اذا كانت الغاية النهائية التي يطلبها الانسان والتي هي نهاية آماله ثابتة لا تتغير ولا تبدل . فالواصفة ان حسنت او ساءت لا تنهم كثيرا ما دامت الغاية الابدية المعول عليها مقررّة ومعلومة .

(٥ - مثال عن حال تقسيم الناس في اعتقاد اغلب المسلمين) اسمع مني تكزما يا صاحب النار مثلا : رجلان وقفنا امام ادارة النار احدهما يسمى مسلما والثاني غير مسلم والاول اعلن «٢» من ادارة النار انها ستحملة الى حديقة الازكية ليشبع بما فيها من الجنات والمسرّات . والثاني اعلته انه سيكون خارجها محروما من كل شيء . ولكن اخبرتهما مما في آن واحد ان الطريق ما بين ادارة النار والحديقة معلوم بأنواع المسرات وهو لهما ما فن سار بقديمه وتأمل بعقله ولسن الكوز (٤) والظلمات الآلية الى ما في الطريق (٤) تنفع . وتنع أي نعم ومن وقف متظرا مركبة النار فليس له شيء مما في الطريق مطلقا ولا يجد في المركبة غير الحرمان ... غير انه على كل حال سيصل الى مركزه المدين . الاول سيكون داخل الحديقة والثاني خارجها بلا سبب وبلا جواب ان سأل

افتكر ان النار عرف مقصدي من هذا المثل فداخل الحديقة التي عدت «٢» للمسلم هي الجنة وخارجها لغير المسلم هي النار «٢» . والطريق الموصل الى الطرفين مشترك بين الاثنين ولما معا هي الحياة الدنيا الموجود فيها المسلم وبها معترك الحياة بين الجميع (٦ - المسالمون في تمدنهم وانحطاطهم) سار بعض الامم الاسلامية في الطريق على السنن الطبيعية من غير ان ينتظروا مركبة الآخرة ليحملوا عليها الى مقرهم فتحصلوا على كل شيء في الطريق ونالوا كل شيء بكدهم وعملهم كما كان الامر في صدر الاسلام فقدمت الامم الاسلامية وسادت في الارض فكانت سعيدة وسيدة في الدنيا غير سعادتها المضمونة لها في الآخرة حسب اعتقادها . ثم جاء قوم مسلمون آخرون منهم وقالوا مالنا ولكد الحياة . بل مالنا ولهذا المتاع القاني فلنترده ونقشف في الحياة ولا نبحث على أكثر من قوت يومنا فان يقين الايمان بالآخرة ودوام التعبد كاف . اسعادة الروح بحسن المال (ولا شك ان العقل الذي يجعل اساس العبادة

بالعقيدة من السهل عليه تجويز هذا الوهم) ولقد تابع القاعد وعدم الاهتمام بالحياة بين الأمم الإسلامية حتى لو سألت بعض المثقفين الذين تغلب أفكارهم بين أكثر الناس عن أفكار مثل صاحب المثار النيرة عن سبب تقدم الأمم الغير إسلامية الحالي والماضى . اجابوك هؤلاء لم الدنيا وهوها وزينتها والعبرة بالأواخر والحياة الأبدية وقالوا لك في آن واحدا اذا كانت توجد آيات قرآنية تدل على لزوم الأخذ بالاسباب والتأمل للتأنيج الطبيعية العالية والسنن الآلهية فان كثيرا من الآيات ما يدل على التشفى وترك الدنيا (١) وان كان صاحب المثار في ذلك تأويلا (٢) لا يهمهم سماعه لوجود عقيدة التقسيم المذكورة أو ما يسمونه (بالقسمة)

ومن جهة أخرى إذا تأملنا لعل تأخر المسلمين الدنيوي وانحطاطهم نجد ان الاسباب التي ارتكبوها عليها في طبيعتها فاسدة ولذا كان الانحطاط ملازما لها . ولكن العقل المؤسس على العقيدة والمؤيد حتما لضرورة (وجود الاسباب الدنيوية للعللة الاخروية) يحتم بوقوع « ١ » تلك الاسباب قبل وجودها لوجوب تأنيجها ولزوم وقوعها أيضا . فكان كلامي (في صحيفة ١٩١ ج ٣ م ١٢) عن العقل المؤسس على العقيدة ما يأتي : « وما دامت الاسباب التي هي حجة للتأنيج » مقدرة حتمية فالتأنيج (أي الدنيوية خلاف الاخروية أيضا) بالطبع تابعة لهذا الالتزام « ٢ » . وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس الا لتسيم رواية كلامية واذا كان هذا مبدأ المثار فلا يولم من الأمم الإسلامية الماضية وما كانت فيه من الانحطاط ولا داعي لاستخراج « ١ » تأنيج فلسفية أو عمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترفي والهرب من القديم . ولا عيب على حكومات الاستبداد ولا مانع من البقاء في الجهل الخ إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتغيير منها التثبيح ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط ونحوير القدر الإلهي (٣) التقاض على الاسباب (حسب وهمهم) بيد من حديد « وهناك إذا اعترفوا بذلك كانت العقيدة في التقسيم المذكور فاسدة ولا أصل لها » ويكون الحكم العقلي على كل ما يحدث جائزا فقط بحيث يمكن وقوع غيره بأسباب أخرى ولا يكون حتما مع الاسباب المذكورة التي وقع بها (٤)

(٧ - انتقاد المثار لكلامي) - لما أراد المثار ان ينتقد بعض كلامي المدرج

في السؤال وجدت انه لم يصب الفرض الذي أرمي اليه من حيث كون القرآن أو العقل والعلم يجوز امكان عدم وقوع حادث وقع فعلاً أم لا . . . اما أنا فقلت بالجواز وأقول به أيضا . . . اما النار فأجاب عن وقوع الفعل من حيث كونه وقع فعلاً فقط ولم يزد . . . قرئ في أول صحيفة (١٩٢ ج ٣ م ١٢) « أما قولكم في مسألة اصابة « ولي عهد ألمانيا » بذلك المرض لم تكن محتمة لمن الازل الخ قول ظاهر البطلان . . لان قضية مرضه جهتها الاطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يناقض الاطلاق وبعبارة عامية : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . . . هذا ما قاله النار والحقيقة اتي لم أقصد المسئلة بذاتها من حيث كونها مطلقة ووقعت فعلاً بل من حيث حكم العقل والقرآن والسنن الطبيعية في كل ما يحدث وذلك مثلاً يقال : فلان سرق قرطاً من الذهب وجازته الحكومة لجأته . . . هل كان يمكنه ان لا يسرق قبل (؟) أن تقع منه السرقة فعلاً . . . أما جوابي وجواب العلم والقرآن فتم كان يمكنه ان لا يسرق وكان في الامكان تبعا لذلك عدم مجازاته . . . أما جواب النار السالف في مسألة ولي العهد أشبه (؟) بقوله . . . نعم ما دامت وقعت السرقة فهو لا بد ان يسرق ولا بد ان يقع الجزاء . . . وهذا لا يعد جواباً عن المقصود . . . مع ان ما جواب به النار لم تنكره بل أيدناه في نفس السؤال لانه مفهوم وبديهي لا يحتاج لأن يقول عنه النار . . . ظاهر البطلان إذ قلنا كما قال النار في (صحيفة ١٩٠ سطر ١٩) ولكن مسألة اصابة ولي العهد بالمرض تخصصت له من الله تعالى بسبب جهله لتلك الاسباب ليس الا . . . وهي نفس الجملة التي قالها النار وهي : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . وعليه كان انتقاد النار لنوا وكان جوابه فقط دالاً على لزوم التمسك بالعقيدة بالقسمة ؟ وتخلصاً مما عداها

(٨ - سبب التهديد للإصلاح الاسلامي) - يا صاحب النار ان كنت تريد اصلاحاً فلا يجب ان يكون تقليدياً فان تطلب الفكر الحالي في لزوم الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية ونطبق ذلك بحسب اجتهادكم على القرآن لم يكن ولم ينتشر الا بسبب قبوله عند بعض المسلمين مما رأوه ورايتموه من تقدم الامم

الغربية التي اتبعت هذه السنن وصارت أحوالها أشرف وأحسن بالأجمال من حال المسلمين اليوم - وان الأخيرين «٤» من زمن بعيد آخذون في التخلي حتى صاروا الآن وراء جميع الأمم قريبا - وان المجهودات الكبيرة التي يؤديها أمثالكم كالشجرة البيضاء في الجسم الأسود بالنسبة لعدد الأمة الإسلامية في العالم (وحاشا ان يكون ذلك داعيا لتثييط همتكم فان الحق لا بد ان يسود مع طول الزمن) وان تلك المجهودات تصير كالمياه مع تأصل عقيدة التقسيم وان الفضل الذي يرجع اليه يقطر المسلمين الحالي راجع الى الضبط الذي يلاقونه من غيرهم لسيادتهم عليهم اسما أو فعلا لا الى الإصلاح الديني من حيث هو فانه لا يعتبر أصلا بل يساعد على انتشاره لفرض الانحلال من سوء الحال لوقوف العقيدة امام العقول بالمرصاد «٥»

(٩ - الفرق بين المسلم وغيره) اذا كنتم تقولون ان علماء اللاهوت بحثوا كثيرا في هذا الموضوع وانهم كالمسلمين الآن في بحر عميق وان ذلك من تواعيب البحث في العلم والارادة وان الغربيين المسيحيين والمسلمين مشتركين «٦» في هذا الاعتقاد . قلت لكم . ان الغربيين لم يتقدموا الا من بعد ان فكوا من أعناقهم وداسوا بأرجلهم على كل عقيدة تعبد عقولهم ونظامهم الفطري الطبيعي . فهم لذلك من حيث عقيدة التقسيم السالفة التي يتبناها المسلمون بوجودها «٧» بالفرض بينهم فهي «٨» ليست أصلا لعمالهم وإيمانهم ولا هي مرجع «٩» لمركز الاعتقاد في سعادتهم وسقائهم في الدنيا والآخرة كما هو ظاهر في جمهورهم بخلاف المسلمين فانها ان كانت دافعة لتقدمهم سنة واحدة فانها اخرتهم وتؤخرهم سنين لماذا ؟ لان المسلمين جعلوا الاعتقاد بالقسمة أصلا لتقدمهم وتأخرهم وهم هم أنفسهم لا يذكرون وجود السنن الالهية التي يجب السير عليها والتي لم يحصل الله تعالى نظام العالم بغيرها ولكنها فرعا ثانويا «١٠» ممن تركه كما حصل منهم من مثات من السنن الى الآن وهم معذورون لتسلطها على قلوبهم وكان صوت المصلحين بينهم كالنافخ «١١» في الرماد

ولكن الغربي بالنكس صار ينظر بالتجارب العلمية والعقلية ومقاومة «١٢» أكثر المعتقدات الدينية الباطلة حتى وصل الى ان عمله في هذه الحياة هو أصل سعادته وسقائه هنا وهناك وكل ما عدا ذلك من المباحث القديمة ثانويا «١٣» وصار يقدم نفسه وما له فداء

بارتياح لقائمة كل ما يهدم شيئا من السنن الالهية الطبيعية في العالم الواقعة للعقل والشعور الانساني وكان الاصل الاول الذي اتخذته لسعادته المحسوسة هو: «الحرية» (١٠ - الخوف من التقليد مع وجود الداء) ما ذكرناه الآن هو الداعي لان تقول للمنار في صحيفة (١٩٠ ج ١٢) (اذا كان المنار وابن نية والمسلمون جميعا) يعتقدون ان العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وان هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم «الديني» ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للأُم الحية التي لا تعرف شيئا من هذه العقيدة المتيدة لهم والعقول «من حيث كونها ليست أصلا لسعادتهم وشقايتهم لا من حيث جهلهم لها بالمرّة» فنزول منهم «أي همة المسلمين» اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرابية «مثل السيادة» الداعية لهذا التشبه لان الدين. «عند المسلمين وخصوصا الاعتقاد بالتقسيم» راسخ في الأذهان «كما هو ظاهر» من مبدأ وقى أثره تقليدي. اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ثم تشبعت النفوس تدريجيا بالمبادئ الطبيعية «والسنن الالهية المحقولة» التي تسير مع تقدم الامم الخ فهناك يكون الاصلاح من نفسه طيبيا لا يهدده ولا تقاومه عقيدة

(١١ - الاصلاح الطبيعي) غرضنا مما تقدم لزوم «؟» انكار هذا التقسيم الملازم لهذا الاعتقاد لان العقل والعلم لا يقبله ثم ثبوت «؟» ان الذي يسير على السنن الالهية فانه كما يكون بها في الدنيا سعيدا فهو في الآخرة أيضا والعكس «؟» وان نوم المسلمين مع اعتقادهم ما هو مكتوب لهم بالذات ومخصصا «؟» لهم أصله باطل محض - مع تأييد امكان تنوع الحوادث وانها أصلا «؟» لما هو مكتوب عند الله عامة على «؟» جميع الناس سواء وليس ما هو مكتوب لكل شخص ومخصص له بالذات عند الله أصلا لما ينتابها من الحوادث المذكورة - لان النتيجة (الذي هو التقسيم المذكور بالعقيدة) اذا كانت لازمة من الأزل كانت أصلا للسبب «؟» - والسبب عندها يتحتم ويكون واجبا وقوعه عقلا ويكون مدلوله في القتل بشكل اجباري «؟» وان كانت البداية تزيد عدمه أو مهما تنوع فهم الاجبار المذكور بشي من دلائل الاختيار وتعرف معناه وصفته «؟» كما عرف بذلك المنار في آخر صحيفة (١٩٩ ج ١٢ م ٣) فكما

ذلك لا يفيد ولا يؤثر - بل يكون من قبل مقاومة القوة بالقوة فكل منها يلاشى الآخر وان كان لكل منها تأثيرا «١» في نفسه ويجب أيضا ان يكون كل حادث ممكنا فقط قبل وقوعه «٢» مع ثبوت احتمال وقوع غيره ان وقع فيتبدل التقسيم المذكور تبعا لاتباع السنن المختلفة بالحرية لا تبعا لكون التقسيم هو الذي يوجب اتباع احدى السنن الممينة التي تلازمه وتتصلق به إلصاقا وبذلك تنقلب العقيدة الى أصلها الحق الطبيعي «٣» .

(١٢ - حل المسئلة) اذا كان المنار يتفضل بحل المسئلة على الوجه الذي ذكرنا أفاد الأمة كثيرا في أكبر دأءاتها (كذا) وما كان في نصائحها الفلسفية الصراية التي يذكرها تباعا كن بشد الحبل من طرف قدشده الأمة بقوة العقيدة المذكورة من الطرف الآخر - فهو لم يزل واقفا مع صرف كثير من المجهودات . بل ربما تدلت الامة لا سمح الله بالرغم عنه الى الوراء زيادة وكثير من المسلمين بل أغلبهم ما زال في الطرف المضاد الى الآن

اما اذا كان لابد للمنار من ان يصرح بلزوم عقيدة التقسيم المذكورة ويوافق ابن تيمية على مقاله فانا نقول له ان العقيدة المذكورة يمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرّة ولا يؤيدها شيء مطلقا لا العقل ولا العلم ولا الحقيقة بل انها باطلة - واذا سمح لي المنار انا العاجز بمحل على صفحاته الفراء فاني اعرض عليه ما يمكنه به حل هذه العقدة وخصوصا فيما يتعلق بالارادة والعلم وله انتقاده ما شاء فاذا حصل حل الحق طلبنا منه مطاوعتنا على تأييده والدود عنه كما هو مبدؤه لاني لا اريد الا اصلاح كالمنار ما استطعت وما توفيقي الا بالله العزيز الحكيم . ثم لي كلمة انتقادي على بعض ما اورده المنار في جوابه على سؤالي في صحيفة ١٨٩ ج ٣٣ ١٢ اجبتها لوقت آخر حتى أرى ما سيكون عما كتبناه الآن في المنار والسلام
سوا كن في ٤ يونيه سنة ١٩٠٩
كاتبه

احمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿جواب المنار﴾

سبق لنا تقرير كتاب المنتقد (أحمد أفندي بدوي) اشرفا فيه الى رأينا في المؤلف نفسه وهو انه مستعد للمباحث الفلسفية الدينية ولكنه لعدم تمكنه من درس الدين والتوسع في اللغة العربية التي شوقف فهمه على اقتانها يقول فيها ما لا يكاد يفهم . وكان لنا ان لا ننشر انتقاده هذا لأنه ليس على شرطنا اذ هو مبني على ما فهمه من قصيدة لابن تيمية وعلى حكمه بأنماواقون لابن تيمية فيه اوفي كل شيء — وكأنه أخذ ذلك من ثأنا عليه — ولكننا نشرناه عناية به وحفظاً لمثته الى التدقيق في المباحث التي يدفعه اليها استعدادده وقد صححنا بعض أغلاطه اللفظية البديهية وركنا الباقي على حاله الا أننا وضعا في جانب بعض الكلمات او الجمل علامة (؟) اشارة الى بعض تلك الأغلاط اللفظية والمضوية وقد تكون السلامة لمدة اغلاط في الجملة كما لا يخفى على الطوفين

ان كان يريد الانتقاد على في شيء رآه خطأ فكان عليه ان يقول ان ما ذكره المنار في صفحة كذا غير صحيح بدليل كذا والحق في المسألة هو كذا مع إقامة الدليل عليه . وان كان يريد تقرير حقيقة جهلها المسلمون وخطأ فيها مثل ابن تيمية وعجز عن بيان الصواب فيها مثل الفزالي والشيخ محمد عبده واهتدى هو الى معرفتها وأوتي القدرة على بيانها فكان الواجب عليه ان يجعل بهذا البيان حرصا على هداية هذه الامة وكراة لاستمرار ضلالها في أهم قواعد دينها ومدار سعادتها وشقاها ثم له بعد ذلك ان يبين وجوه خطأ اشهر شيوخ الاسلام فيها ان كان لا يرى أن ظهور الحق كاف لدحض الباطل . هذا هو المقول وأما مسلكه فلم له نقل وجها صحيحا

قرأنا مقاله المسلط ففهمنا بعضه من العبارة وبعضه من القرائن ومنه حمل فهمها بالمرء لان تركيها غير صحيح . وقد علمنا منه أنه لم يفهم ما كتبناه كله وانه يني الايرادات والاعتراضات على شيء في محه يعزوه تارة الى الدين وتارة الى بعض من كتبوا فيه حتى انه ينسب الى المنار ما يدهو المنار الى ضده حتى في الجواب عن اعتراضه الاول على عبارة

التفسير فهذا وما ذكرنا من ضعفه في الآلة هما سببان فيما ذكره من عدم فهمنا لقرضه من اقتضاه الأول وكذا الثاني، وهما السببان في عدم فهمه حول كلامنا السابق كله ولا ندري ماذا يكون نصيب كلامنا اللاحق من فهمه . ولو لا الضرورة لما صرحنا بهذا ولكن اردنا ان يعرفه ويذكر فيه لما سذكركه في آخر الرد

قد أحسن الكاتب في تقسيم كلامه الى مسائل متعددة بالأرقام كما فعلنا في جوابه الذي نشرناه في الجزء الثالث وانا نيين ما لا نرى بدا من بيانه في كل مسألة من كلامه مشيرين اليها بالأرقام ثم نقول كلمة مجملة في الموضوع

(١) قال ان جمهور المسلمين ومنهم ابن تيمية الذي تطبق آراؤه على آرائه يقولون ان الله تعالى قد قسم الخلق قبل إيجادهم قسمين « فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال انه يعتقد فساد هذا التقسيم أي بطلانه وعدم صحته ثم انه يدعي مع ذلك انه يستمدحله من القرآن والطم الصحيح !! وقول ان القرآن هو الذي نص على هذا التقسيم في سورة الشورى قال تعالى « ٤٢ : ٧ » وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا تنذر أم القرى ومن حولها وتنذروهم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » ولو شاء الله لجلهم أمة واحدة ولكن يدخل يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير » اما قولهم ان هذا التقسيم أزي فمناه انه ثابت في علم الله الأزلي لا معني له عندهم غير هذا فان كان ينكر التقسيم نفسه فذلك انكار للقرآن نفسه لا يصدور من مو من به وان كان ينكر أزلية علم الله تعالى به وبغيره فكيفه عند المسلمين معروف أيضا . وأما قوله ان صاحب المثار وابن تيمية لا يفهمان علة هذا التقسيم فلا نجيبه عنه لأننا لانحب أن نضيع وقتنا ووقت الناس في الجدل والدفاع الشخصي فليحكم على فهمنا وفهم ابن تيمية بما يشاء علم ذلك ام لم يعلمه

« ٢ » ليس في هذه المسألة الا تأكيد ما جاء في الأولى من جزمه بفساد

عقيدة التقسيم وكونها من العقائد الضارة أي بحسب فهمه لتأثيرها في المسلمين

« ٣ » اعتقاد المسلم ان دينه أفضل الأديان وان له الجنة ولنقره النار الخ فيه

تفصيل بيانه في التفسير مرادوا لجهل عامة المفورين له وهو ان الاسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين وأساسه اتباع المرسلين في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح

وان المسلم الموفق يختار في اتباعه نبيه والكافر المخذول يختار في عصيان نبيه
وان علم الله الأزلي لا ينافي هذا الاختيار لأنه سبق في علمه انه يكون كذلك وأنه
يختار فيه كما ينه في المسألة التاسعة من الفتوى الثانية عشرة وهي الجواب عن سؤال
المتقدم (ص ١٩٩ ج ٣)

«٤٤» الكلام بحسب الواقع لا يدخل فيه المستقبل فلا يقول أحد من المسلمين
العارفين بدينهم ان الغاية النهائية له أو يزيد من الناس هي كذا وانها لا تتغير ولا
تتبدل بل نقول ان الغاية مجهولة لنا وانها تكون على حسب أعمالنا الاختيارية « ان
خيرا فخير وإن شرا فشر » ولكنها معلومة لله تعالى فهو وحده يعلم تلك الغاية علما
لا تفسير فيه ولا تبديل ، وجهل أكثر المسلمين بدينهم ليس من المشكلات التي
لا تعلم ولا يعلم علاجها فملاج الجهل هو العلم الصحيح ومنه فهم الدين على وجهه
وهو ما ندعو اليه كما كان يدعو اليه الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وليس كلامنا
فيه كالتقش على الماء كما زعم بل هو كالنقش في الحجر انفتح به ألوف من الناس
وانفتحت في المدارس الدينية والرسومية وسيم بالتدريج بحسب سنة الله تعالى في
الأمر الاجتماعي »

«٥٥» ان المثال الذي ذكره في هذه المسألة قد فهمناه بالقرينة لخصف عبارته وهو
غير مطابق لاعتقاد المسلمين فهو لم يعرف اعتقاد المسلمين حق المعرفة ولم يحسن بيان ماعرفته
منه فان الدين الاسلامي لم يخاطب طائفة من الناس معينين بانهم سيكونون في الجنة
وطائفة أخرى بانهم سيكونون في النار وانما ناط دخول الجنة بأمر سمي مجرعا
الاسلام وناط دخول النار بأمر يبرع عنها غالبا بالشرك والكفر وبالظلم والفسق
ولما قفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب في ذلك أنزل الله تعالى (١٣٣: ٤)
ليس بأمانكم ولا أمانتي أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا ١٣٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) فقاط أمر الغاية النهائية بالعمل
لا بالانتساب الى دين كذا ونبي كذا ثم بين أن الاسلام هو روح الدين وصفوته
فقال (١٣٥) ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم

حنيفا) الآية، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قسبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا. وقالت النصارى مثل ذلك، قال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا أمركم فتعفن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا. فأمر الله تعالى «ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب» الآيات

فالأمر في الاسلام منوط بالعمل مع الايمان لا بجنسية الاسلام وغير الاسلام فما بال المتقدي يتزعزع المشكلات من جهالات العامة ويحمل عليها بعض عبارات العلماء وغير العلماء من غير تمحيص ويوردها على الدين او على العلماء الخططين او المصدين؟ ألا إن الداء هو جهل جماهير المسلمين بحقيقة دينهم والدواء هو التعليم الصحيح والبرية الصحيحة وهو الذي تدعو اليه

«٦» ما ذكره في المسألة السادسة غير جلي ولا مفهوم بالتفصيل من العبارة المطلقة. وما تفلسف فيه من الاسباب والنتائج لا يكاد يخطر في بال احد من المسلمين الا ان يكون بعض المولعين بالأبحاث النظرية الفلسفية في هذه المسائل وقليل ما هم ولا يحكم على الملايين بحال أفراد لا يوجد منهم واحد في كل مليون فهذه المسألة عندني من اللغو

(٧) ما قاله في جواب النار عن مسألة الحكم على الشيء قبل وقوعه وبعد وقوعه وحادثه مرض ولي عهد ألمانيا عبارته بمسئلة أيضا والظاهر منها انه لم يفهم ما قلناه فيها. وقد مثل لها مثلا رجلا سرق قرطا وجازته الحكومة هل كان يمكنه قبل ان تهم السرقة منه ان لا يسرق ام لا؟ زعم ان مقتضى كلام النار انه لم يكن يمكنه ان لا يسرق وان جوابه هو وجواب العلم والقرآن انه كان يمكنه ان لا يسرق. والحق في مثل هذه المسألة اننا اذا نظرنا الى طبيعة الرجل الذي سرق وطبيعة العمل الذي هو السرقة في المثال نرى ان العمل في ذاته من الممكنات وان الرجل كان متمكنا من فعله وتركه وان الترك هو الاصل فلا يقال انه لم يكن في إمكانه ان يترك واذا

فَظَرْنَا فِي ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَمَلَ وَقَعَ مِنَ الرَّجُلِ عَلَمًا أَنْ وَقَعَ السَّرِقَةُ مِنْهُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَدَلٌ بِاعْتِبَارِ الْأَمْكَانِ الْخَاصِّ بِطَبِيعَتِهِ كَمَا قَدَّمَ بَلْ بِاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ وَفَضْلِ الْأَمْرِ ، وَكَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَتَى وَقَعَ الشَّيْءُ عَلَمًا أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ مُتَمَّعًا بِوُقُوعِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى يَكُونُ دَائِمًا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ وَإِلَّا كَانَ جَهْلًا وَكَذَلِكَ مَحَالٌ . قَاذِمًا فِيهِمْ الْمُسْتَقْدَمُ فَفَهْمُهُ وَيَفْهَمُهُ جَمِيعُ الْمُقْلَدِ مِنْ كَوْنِ الْوَاقِعِ قَدْ اتَّهَى الْحُكْمَ فِيهِ وَإِنَّهُ لَا يُقَالُ فِيهِ نَفْسُهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ لَا يَقُمَ لِأَنَّ هَذَا تَنَاقُضٌ وَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ طَبِيعَةِ الْأَمْكَانِ وَصَرَفِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِ الْأَمْرِ قَدْ وَقَعَ بِالْفَعْلِ - إِذَا لَمْ يَفْهَمْ هَذِهِ الدَّقِيقَةُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْاعْتِبَارَيْنِ تَنَازَلْنَا لَهُ عَنْهَا فَانْهَازْنَا مَسْأَلَةَ عَقْلِيَّةَ مُحَضَّضَةٍ لَا يَتَرْتَبِ عَلَى الْخِلَافِ فِيهَا أَمْرٌ كَبِيرٌ .

« ٨ » قد تبسنا عند قراءة قول المتقدم « يا صاحب المنازع ان كنت تريد إصلاحاً فلا يجب أن يكون تقليدياً » فيالله العجب من شأن الإنسان أينما صاحب النار عن التقليد بعد أن حارب به وحارب أهله اثنتي عشرة سنة !! ومن الذي نهاه ؟ رجل يقرأ المنازع !! أما قوله أن الأخذ بالأسباب والعمل يمتنع في السنن الطبيعية وانطبق ذلك بحسب اجتهادنا على القرآن لم يكثر ولم ينشر عند بعض المسلمين إلا بسبب ما رأوه من تقديم الأمم الغربية إتباع هذه السنن وسبب ضغط أوروبا على الكثير منهم - فهو صحيح في الجملة ولا يضرننا أن تمدنا حوادث الزمان للعمل بما يرشدنا إليه القرآن وأن نفهم منه ما لم نكن نفهمه نحن ولا آباؤنا والأولون فإن كلام الله تعالى بمر لا تنفذ حكمه بل هي تفيض في كل عصر على المستعدين بما يناسبه (٤١: ٥٧) سربهم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم حتى يثبثين لم أنه الحق على أننا لا نسلم أن المتضمنين بذلك والمقتنعين به هم الواقفون على أحوال الغربيين دون غيرهم فالخلق أن الأمر ليس محصوراً فيهم ، ولا أنهم مقلدون فيه بل هم مستقلون ونوضح ذلك في الكلام عن المسألة التاسعة . وأما قوله أن « المجهودات » الكثيرة التي يؤدونها أمثالنا هي كالشجرة البيضاء في الجسم الأسود فهو غير صحيح وليس لئله أن يهكم في ذلك وهو لم يختبر شعوب المسلمين ولا ساح في بلادهم وليس له وسائط أخرى كافية لمعرفة سير الإصلاح فيهم فالخلق أن الإصلاح أوسع

انتشارا مما يظن فان كان لا يزال قليلا بالنسبة الى مجموع المسلمين فمؤه في كل مكان يبشر بمستقبل حسن « وصاحب الدار أدري » فزعمه ان تلك المساعي او الجهود تصير كالماء مع عقيدة التقسيم زعم باطل غير مبني على علم ولا تجربة بل التجربة قد أبطلته ،

« ٩٠ » ان ما ذكره من تلك الفريين للقيود التي تقيد عقولهم قد سبقه اليه المنار فصريح به مرات كثيرة حتي بالتصريح بلفظ كسر القيود ومن أصرحها ما كتبناه من المؤثر الاسلامي (ص ١٠٦٧٩ م ١٠) فلاحاجة بالاعادة قراءة المنار ودروسه علينا ، وما ذكره هو دأبل بدء من التحويل في مسألة ما سماه عقيدة التقسيم قد سبق آقا انه خطيء فيه لأنه في مخيلته أكبر مما هو في الواقع ونفس الأمر فما هذا الإصلاح والتكرار اللهم صبرا ، فبعد له القول - في مقابلة إعاداته - إن ما تجهله هو الأصل في سعادة الفريين من جعل العمل في هذه الحياة هو الموصول الى السعادة أو الى الشقاء في الدنيا والآخرة هو عين ما جاء به الاسلام والاسلام أستاذهم الأول فيه وعقيدة التقسيم التي تمثلت لك كالقول يقتال المسلمين لا تعارض هذا فان القرآن صرح بها جميعا ولكن تسربت الى دماء المسلمين من نزغات الجبرية وكسالى المتصوفة ما كان مع الجهل بمحقيقة دينهم سببا من أسباب كسلهم الذي نشكوا منه وشرحناه في المنار مرارا والثرية والتعليم الصحب كان إزالة ذلك بالتدريج - ومنه الشر في الصحف الدورية - وإن يزول بغير ذلك

« ٩٠ » ليس في هذه المسألة الا إعادة ما كرهه غير مرة من استعانة الجمع بين عقيدة التقسيم وبين العمل بالمبادئ الطبيعية والسنن الإلهية ، وزعمه ان كل ما يصله المسلمون من الاعمال الاستقلالية بدعوة المصلحين يكون مع هذه العقيدة تقليدا للفريين وانما يخرجون به من رقة التقليد اذا بحيث عقيدة التقسيم من ألواح نفوسهم مع ان التقليد في هذه الحالة يكون أظهر لأنه عاكسة للتقليد من كل وجه ، ورأيه هذا يشمر بأنه لا يفهم معنى التقليد أو يفهمه فهما خاصا به غير ما عليه جميع العلماء ، التقليد هو ان تأخذ برأي غيرك ونحاكيه من غير دليل قام عندك على ما تأخذه عنه أو تحاكيه فيه هو الصواب ، فاذا قام الدليل الشرعي والعقلي والتجريبي

عند المسلمين القائلين بعقيدة التقسيم على ان النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة إنما يتأتى بالعمل بمقتضى منن الله تعالى في خلقته وشريعته وعملوا بذلك لا يكونون مقلدين للأفريق بل مستقلين وان كان من جملة دلائلهم التجربة ان الأفريق نجسوا بذلك «١١» عبارة هذه المسألة أشد عساسة من سائر المسائل ليس فيما يفهم منها شيء جديد الا تفلسف وتفصيل قصد به ايضاح مراده فزاده خطأ ولو أنا حذفنا أمثال هذا لظن القارئون انه فانهم شيء كثير

«١٢» هي المقصد وذلك انه بعد تكرار ما تقدم في المسائل السابقة مراراً طالب المنار بأحد أمرين إما ان يحل المسألة على الوجه الذي ذكره هو وإما أن يصرح بموافقة ابن تيمية على اعتقاده في مسألة التقسيم وحينئذ يقول هولاء ان هذه العقيدة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرّة ولا يؤيدها العقل ولا العلم ولا الحقيقة وهو مستطد لبيان ذلك في المنار ان سمحت له

وأقول قد بينت هنا في كلامي على المسألة الأولى ان لهذه العقيدة أصلاً في القرآن وذكرت آية سورة الشورى الناطقة بها وسأذكر آيات أخرى ؤ ولست قادراً على تصور فهمه للمسألة ولا فهم وجه الاشكال الذي كانت به أقل أدواء المسلمين عنده فأحصل له ما أحكم من العقيد في خياله كما اتيتي لست مكلفاً تفصيل قول ابن تيمية فيها ولا سبق لي ان ذكرته وايدته وإما أنصفه بي تمهيداً لا يريد التفرد به من بيان فساد اعتقادي واعتقاده الذي هو اعتقاد جماهير المسلمين، ولا أنشره بعد الآن في المنار شيئاً مثل هذا الكلام الذي نشرته له لانه كلام معسلط مضطرب ربما يحدث للضعفاء اضطراباً في اعتقادهم وان لم يفهموه كله وإنما ننشر في المنار أحد شيئين : إماميان مسألة مما يحتاج اليه الناس ويستفيدون منه بشرط ان تكون عبارتها صحيحة نفهمها ويفهمها مثلاً السارفون بلفظنا العربية الفصيحة وإما انتقاد لمسألة معينة أو ردائها في المنار بشرط أن تذكر المسألة وموضعها ووجه الخطأ فيها والدليل عليه بعبارة فصيحة نفهم وما كتبه اخوانا المنتقد أولاً وثانياً ليس من هذا ولا ذاك وإنما نشرناه عناية به وتنشيطاً له ولكونه يمكن أن يكون وسيلة لمعرفة قيمة رأيه وبيان له

انه انتقد علينا أولاً في مسألة لم يقرأ كلامنا فيها كله والغالب انه لم يفهم كل

ماقرأه منه ، ثم انه جعل الانتقاد موجها الى كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية قرأه في قصيدة له يطلب على ظني انه لم يفهمها وانه لم يطلع على تفصيل مذهب شيخ الاسلام في المسألة فهو وتلميذه ابن القيم قد اطلالا في هذه المسائل والثاني منهما كتاب كبير فيها اسم « شفاء الغليل في القضاء والقدر والتعليل » على انه لم يبين ما فهمه من مذهب ابن تيمية ولا وجه خطأ الذي ادعاه ولا ما عنده من التحقيق في المسألة فلم يرضى احد من قراء الماراج ان تنشر فيه مثل هذا الكلام

انتي اكتب هذا وانا متالم لاضطراي الى مفاجأة رجل محب للعلم والفلسفة والاصلاح ببيان ما أرى من ضعفه بعد ان علمت انه لم يكتف بالاشارة الطفيفة الى ذلك من قبل وما سبب ذلك الإعجاب بما عنده فعسى ان يعتني بعد الآن باتقان اللغة العربية ليقدر على الفهم والافهام فرجما كان في فلسفته شيء نافع تستفيد الأمة من بيانه لها

فصل الخطاب في عقيدة القسمة

(١) صفوة القول في المسألة ان القرآن الحكيم بين ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد كما في سورة هود (١٠٥:١١) وانهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » كما في سورة الشورى (٧:٤٢) وانه بدأهم على هذا ويميدهم عليه كما قال في سورة الأعراف (٢٩:٧) كما بدأ كم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذه القسمة ثابتة في القرآن خلافا لما زعمه المنتقد من براءة القرآن منها وكونها مخالفة له . وكل من يؤمن بالآخرة يؤمن بذلك ولا ينافيه عقل ولا علم بعد اثبات حقيقة الآخرة بل هو مقول واسبابه مشاهدة في الدنيا بل قول انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم الرزق والجاه فعمل بعضهم فقيرا وبعضهم غنيا وبعضهم رفعا وبعضهم وضعفا كما قال (٣٧:٤٣) أهم قسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية ولكن قسمته تعالى لانا في ما وهبه للانسان من الاختيار والاستلال فان هذا داخل فيها

(٢) ينظر في هذه القسمة من ثلاث جهات العلم والفعل والحكمة أو العلة . فاما

علم الله تعالى فهو قديم قدمه أزلي بأزليته فالقسمة فيه قديمة أزلية أيضا .
 واما الفل فلما تحقق قسمة الجنة والنار بحسبه الا في الآخرة فهناك تكون القسمة قطعية
 ومثلها السعادة أو الشقاوة في الدنيا تتحقق لكل فرد في مدة وجوده في الدنيا لا في الأزل .
 وأما العلة والحكمة فطريق معرفتهما هي معرفة الشرع ومعرفة طبيعة الانسان نفسه في اعماله
 وصفاته وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها ما كتبناه بالابحاز في جواب المتقدم (ص ١٩٩ ج ٣)
 وقول الآن كلمة وجيزة ايضا وهي ان الله خلق الانسان وأعطاه نوعا من الاستقلال في
 أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه وما تكرر به الترية والمادة من الصفات
 في نفسه وبذلك يكون مصدرا لسعادتها أو لشقاؤها بميله فكل فرد من افراده يصل
 بنوع ما من الاستقلال والاختيار فيه ما يجعله في القسمة مع احد الفريقين وليس علم
 الله الأزلي بالقسمة ملزما له بالعمل لأن تعلق العلم بتعلق التكليف لا تعلق فعمل
 وإلزام على أنه يتعلق بالشئ وبملته .

واما القسمة بالفعل - وهي كون الناس سعداء وأشقياء في الواقع - فالضرورة لا تكون ملزمة
 ولا هجيرة له على العمل الذي يكون به من أحد الفريقين ولا سالة لحريته واستقلاله فيه
 لانها أي القسمة بالفعل هي المحل للعلم التي تكلم عنها وهل يكون الشئ علة لنفسه ومعلولا
 لها؟ هذا دور ظاهر - وقد بينا الدلائل العقلية والنقلية والوجودية على استقلال الانسان في
 الفكر والأرادة - وهما مصدر اعماله التي يكون بها في القيامة من أحد الفريقين - في عشرات
 أومئات من المواضع وفيها الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (ص ١٢٥ من طبعة المنار)
 (٣) ان الألوف الكثيرة من المسلمين لا يفكرون في هذه القسمة وقد تمر
 السنين ولا يتخطر في بال الواحد منهم ومنهم من يقرأ أو يسمع ما يخطر لها في باله
 فتمر فيه مر التسم فلا يجيل فيها قداح الفكر ومنهم عدد قليل يفكر فيها ويتفلسف
 بقدر استمداه . وما زعمه المتقدم كونها هي علة العمل لكسل المسلمين وتقصيرهم
 في أعمال الدنيا عن غيرهم من الامم فقير صحيح بل لذلك اسباب كثيرة كل منها
 علة مستقلة منها امشاج من مسائل القضاء والقدر والجبر والتوكل والزهد وقسمة
 الارزاق فهموها على غير وجهها وقد بينا ما فيها من الفساد والخطا في التفسير والتأوى
 (المار ج ٧) (٦٩) (المجلد الثاني عشر)

وغير ذلك من ابواب النار مرارا كثيرة منها بحث التوكل والاسباب في التفسير « ص ٨٠١ — ٨٠٨ م ١٩٨ » الذي يتنا فيه خطأ النزالي في التزويد في الدنيا .

وبيان خطأ الخطئين في فهم مسألة القسمة وحدها لا يكفي في الاصلاح بل لا بد من بيان الحق الصحيح في تلك الاشاج كلها . ثم ان هذا البيان ليس هو كل المطلوب وإنما هو بعضه او مقدمة له فانه ينشره المرة بعد المرة في صحف النار المنتشرة يثبت في نفوس الكثيرين ومنهم معلمو المدارس وهو لا يدركونه في تعليمهم واني أعرف أفرادا من أساتذة المدارس في مصر كانوا يستمدون على النار في تحضير بعض الدروس الدينية وكذلك المصنفون وكتاب الجرائد يدخلون ذلك في مكشوراتهم ولو مع عدم التنبيه لمصدرها ومثل هذه الوسائل تم كما عمت تلك العالم الباطلة من قبل

« ه » ان مسألة تطيل افعال الله تعالى فيها الاشاعة وقد أثبت ابن تيمية وابن القيم بالدلائل والبيانات العقلية والعقلية وأثبتا ان القضاء والقدر لا يتفان اختيار الانسان واستقلاله المنحرجين له من خلقه ولا وجوب العمل عليه لدنياء وآخرته فتعامل المتقدم على ابن تيمية وحده لا يأت قرأها له مع عدم اطلاعه على كتبه في العقائد من جملة غرائب ذكر ابن تيمية في غير موضع من كتبه الكثيرة في العقائد وغيرها ان مذهب سلف الأمة ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة ومشيئة واختيار وأن قدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطوائم والاسباب وأن ذلك كله ثابت شرعا وعقلا ، وأنكر على جمهور الاشعرية ما يقولونه في الكسب وقيل موافقة بعض أئمتهم على ما قال انه مذهب السلف وذكر منهم أبا اسحق الاسفرائيني وإمام الحرمين . فليراجع ذلك المتقدم ان شاء في كتبه أو في شرح عقيدة السفاريني

ان المتقدم ذكر الشبهة التي أوردتها على الاصلاح وهي عقيدة القسمة وكرزعمه بأن كل سعي فيه يكون باطلا ما لم تثبت للمسلمين بطلان هذه العقيدة . ونحن نذكر له الجواب في خاتمة الكلام بأن العقيدة ثابتة لا يمكن إبطالها وانه لا ضرر في اعتقادها وانما الضرر في فهمها على غير وجهها كفهم القدر على غير وجهه إذ يلزم من هذا انهم لوازم باطلة واننا ما زلنا نبين حقيقة هذه المسائل وبطلان لوازمها وذلك هو كل المطلوب فيها

خطبة في عيد الدستور

﴿ تلاها في الاحتفال العام بطرابلس الشام ﴾

« الشيخ اساميل أفندي الحافظ الشهير »

لم يمر على الأمة العثمانية يوم هو أوفر جلالاً ، وأكثر إقبالاً ، من مثل هذا اليوم
المجيد الذي أشرقت فيه كواكب سعادها ، في أفق مجدها ، باهرة الاضواء ،
ساطعة الأضواء ،

في مثل هذا اليوم هبت نسمة قدسية ، من أفق العناية الالهية ، زلزلت لها أعطاف
ابطال الحرية ، من جملة الاتحاد والترقي القادية المقدية ، فنهضوا لاسترداد المفقود ،
واصلاح الموجود ، بقلوب تمثل أقصى مراتب الحمية الملية ، وعزائم تناهض الدهر حزماً ،
وتغالب الايام ثباتاً ، فأقعدوا الأمة من برائن الظلم ، ووضعوا عنها أغلال الضلة والقمهر ،
وأطلقوا العقول من قيودها ، ونشروا الافكار من لحودها :

في مثل هذا اليوم شعر العثماني انه عضو عامل في أمة حية يسعد بسعادتها ويشقى
بشقائها ، فهب من سبات غفلته ، وشمر يداً في مصلحة أمته ، فرأى ان لا سبيل الى
سعادته الا بالاتحاد ، وان لا تحقق الاتحاد الا بالاخاء والمساواة ، فتآخت ملل الامة
وأديانها ، ونساوت شعوبها وعناصرها ، وتضامت أجزاؤها ، ونماست أعضاؤها ، واقبل
المسلم يهاتف المسيحي ، واليهودي يصافح الارمني ، والتركي يهدي أخاه العربي بنفسه ،
والكردي يدافع عن الابائي بمجته ، والكل موثق ان لا غنى له عن الآخر في حياته
الاجتماعية ، وسعادته القومية ، في شكل يسحر الالباب بهاؤه ، ويأخذ بالقلوب
بهجة ورواؤه ،

في مثل هذا اليوم تفجرت ينابيع حياة الامة فسرت في أجزائها المفرقة ، ودبت
في أعضائها الممزقة ، فاجلست أفرادها ، وتوحدت أعدادها ، وصدرت عنها أعمالها
باذنائها الكلية ، وحركتها الاختيارية ، فتوجهت متحدة نحو سعادتها الحقيقية متملصة

من ظلام الباطل الى نور الحق ، ناهضة من حضيض التأخر الى يقاع الترقى ، معثلة بأطيب ألحان الحرية ، آيات العدل والانسانية ، تحت لواء الاخاء والمساواة :

في مثل هذا اليوم أعلن القانون الاساسي نقضى للأمة نبيل حريتها ووهبها نعمة الاستقلال وخول الافرادها ان يكون لهم رأي مقبول في ادارة شؤون مجموعها وهي نعمة تعد أساسا مكينا لسعادة مستقبلها ، ورفق حقيقي تنهض اليه قتال ما قدر لها من الكمال ، وما استمدت له بفطرتها من مظاهر الإقبال

نعمة دلتنا الاستقراء وعلتنا التاريخ ان الامم التي تكون محرومة منها لا يكون لها اجتماع حقيقي ولا سعادة صحيحة ، وان ظفرت بالسبيل من ذلك فها هو الاصورة خيالية تظهر بمظاهر وهمية ، لأسباب توجد المصادقة والاتفاق ثم لا تلبث ان تذهب بذهاب أسبابها ، شأن الحوادث الناشئة عن أسباب موقته . نعمة قيضها الله لبعض الأمم فالت بها من العز والمنعة والمجد والعظمة ما شاهد آثاره ونسمع أخباره ، وحرما بعضها بقيت راسفة في قيود الجهل تأنية في يداء الفباوة لا برعى لها جانب ولا يحفظ لها حق ، فلا غرو ان تحتفل جميع الامة العثمانية بيومها السعيد احتفالا يتجل في أبهى مظاهر الزينة وأنها بحالي الفرح ، ولا غرو أن تشرب العقول لتعرف معنى هذه النعمة ونسبتها الى الهبة الاجتماعية :

اختلف فيها أنظار الباحثين ، وتنوعت منازع الناظرين ، فذهب بعضهم الى ان حرية الامة أو حكم نفسها بنفسها ليس هو حقا طبيعيا لها بل هو حالة اجتماعية يقتضيها طور من أطوار الامة وينبذها طور آخر وان الامم لا تستحقها الا اذا بلغت مرتبة مخصوصة من مراتب الاجتماع وانها قبل ان تصل في اجتماعها الى هذه المرتبة فلا حق لها نبيل حريتها ولا بالمطالبة بها كما انه ليس لحكامها ان يفوضوا لها شيئا من شؤون نفسها خشية ان تصرف تصرفا يفسد حالها و يوجب طرودها لخلل في ادارتها

وزعموا ان حالة الامة اذ ذاك كحالة الصبي قبل بلوغه فانه لا يجوز في نظر العقل السليم ان يطلق له التصرف في شؤون نفسه لئلا يفسد عليه أمره ويضطرب حاله ، وان ما هو الشئ بطبعه لا يتخلف عن ماهيته مع ان كبار من الجماعات البشرية عاشت أزمنة

متساوية وهي مملوك عليها أمرها، مستبد عليها في شؤونها، فكيف يكون حكم الامة نفسها بنفسها حقاً من حقوق الطبيعة ومميزاً من مميزات الطبيعة

وذهب أهل البصيرة منهم الى ان حكم الامة نفسها بنفسها حق طبيعي ثبت لما يوم صرح ان يطلق عليها لفظ أمة فهو وصف لازم لذاتها غير منفك عن ماهيتها وان من عمد الى سلبها هذا الحق فرداً كان أو جملة فهو كمن عمد الى سلب انسان حقه في استنشاق الهواء وتناول الغذاء ، أو كمن قيد إنساناً عن حركته الطبيعية التي بهم بها بارادته ويأشهرها بقدرته

واستدلوا على ذلك بأن العقول السليمة متفقة على ان كل فرد من بني الانسان هو بحسب فطرته حر مستقل في حركته وسكونه واقدامه وإحجامه وأخذه وتركه وان الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قد حكمت بأن له حقاً طبيعياً في ان يتصرف بشؤون نفسه كيفما شاعت إرادته ومال اليه اختياره وان الباحثين في تعريف ماهيات الأشياء وتحديد طبائنها قد عرفوا الانسان بأن الحيوان الناطق بطبعه المتحرك بإرادته

وان الأمة لما كانت عبارة عن جماعة أفراد مجتمعة بروابط من المصالح المشتركة والصفات الشاملة فقد وجب ان يثبت لمجموعهم من الحق ما ثبت للفرد الواحد منهم إذا كان العدوان على حرية شخص واحد يعد شذوذاً عن قواعد العدل وفسوقاً عن أوامر الله وخروجاً عن حدود الإنسانية وهو لم يعد ان يضر فرداً بصيئته لا يتوقف عليه سعادة ولا يناف به شقاء فما بال العدوان على حرية أمة كبيرة قد تكون مؤلفة من ملايين من مثل ذلك الفرد لا يعد شذوذاً عن منهج العدل ؟ بل كيف يعد ذلك من نتائج الصواب ؟ وحكمة أولي الالباب ، لعمري ليس هذا المذهب الا من وساوس المستبدن الذين لا يروق لهم الا الآثرة بحقوق الضعفاء ، والتلاعب بعقول الاغبياء ، وان الحكم على أمة مجتمعة بأنها غير جديرة ان تحكم نفسها بنفسها لا يعد من الصواب من الحكم على الرجل العاقل انه غير أهل للتصرف بشؤونه الخصوصية هل يبلغ الجهل والقصور بمجموع يستقل أفراده بشؤون أنفسهم ان يحجزوا جميعاً عن تدبير شؤون مجتمعتهم ؟

ان حد التميز والرشد في الأمة هو ان تكون بحيث يتبناها الاجتماع بأبسط مبادئها فأنها متى بلغت هذه المرتبة حكم لها بأنها بالغة رشدها قادرة على اداة نفسها وكل جمعية بشرية فهي بالغة هذه المزية لا محالة ضرورة أن الانسان خلق على أن يعيش مجتمعا فهو لا ينفك عن الاجتماع والأمة المجهزة لا تنفك ان تكون مستعدة للاستقلال بطبيعتها وانما تحول دون ذلك اطماع المستبدين احيانا فاذا اتفق لأمة أن صرفت همه المستبدين من رجالها عن البحث باستقلالها فقد قضى لها ان تباشر السير الى كمالها

لا يشترط في نيل الأمة حريتها واستحقاقها لذلك بطبيعتها ان تبلغ في اجتماعها مبلغ الامم الراقية كما لا يشترط في بلوغ الرجل رشده ان يكون كأصوب الرجال رأيا وأكلم رشداً لأن الرقي والرشد هلالان بالشكك فيكونان في بعض الاشخاص وفي بعض الأمم أرقى منها في غيرها ولا يوجب ذلك قصا بالمقصر عن درجة المتقدم يؤدي الى حرمانه من حقوقه الطبيعية

اذا نالت الأمة حقها في حكم نفسها افسح لافرادها مسرح الفكر ، واتسع لهم مجال العمل ، ودبت فيهم حياة جديدة شعروا بها ان لارادتهم وميولهم تأثيراً في رقي مجتمعتهم ، تعرفت بذلك نفوسهم عن الدنيا ونهضت الى معالي الامور وانصرفت من هنا الى الشهور بأن الفوز بالمصلحة الخاصة متوقف على تأييد المصلحة العامة قاندهموا بساقي محبة الذات الى التماس مصلحة افرادهم في ضمن مصلحة مجموعهم ومن ثم تخرج العقول من مضائق اختصاصها الى منفع الأمة وتنصرف الافكار عن البحث في الكليات فتتمرن على الاستنتاج الصحيح من الخدمات القينية فتستقيم الافكار وتصلح الاعمال عن الخلل

وتتبع ذلك صحة في العزائم ونهوض في الهمم ومساهمة الى الاعمال الشريفة وتنافس في احصاء المفيد منها للأمة . هكذا ينسئ للام ان ترتقي في مدارج اجتماعها مبتدئة بالفكر الصحيح ومتمثلة من ذلك الى الصالح لها الموافق لمصلحتها ثم تتدرج من هناك في مراتب الكمال مرتبة بعد مرتبة ومن أين للأمم التي ليس لها حظ من الحرية ان تنال هذه المزية ؟

إذا قررر هذا علم ان نيل هيئة اجتماعية لحريتها يعد ميأ لرقبها ومقدمة لتقدمها
او مرتبه أولى من مراتب كلها فإذا توقف نيل حريتها على بلوغها مرتبة القدرة التامة
على ارادة شئونها فقد كفناها ان تأثني النهاية في البداية ، وتصل في مبدأ سيرها الى
النهاية ، وهو باطل في نظر العقل ، ومحال بحكم الواقع
(يرد هنا نبوغ الأمة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين الى زمن المتكسّم ووقيا
وفيا من المستعبدن مثل يزيد وعبد الملك والمنصور والرشيد ونبوغها ايضا في دولة
نبي عثمان من زمن مؤسسها الى زمن السلطان سليمان القانوني والجواب عن هذه
يستغرق بحثا طويلا لا يتسع الوقت له الآن فترجعه لفرصة أخرى)

ومهما يكن الامر فلا راء في أن حرية الأمة هي مبدأ حياتها الاجتماعية وان
الناهضين في كل أمة لا يصلها الى هذا الحق هم صفوة رجالها ، والنواذر من ابطالها
بل هم القبيل الذين رآهم الا قدمون فحسبوا انهم يمتارون عن البشر فاقاموا لهم
التماثيل وشيدوا لهم الهياكل وافردوهم بالعظمة والكرامة حتى وضموهم بمصاف الالهة
فلا عجب ان تحتفل الأمة العثمانية اليوم بنيل حريتها وترنم بأيات الشاء لاولئك
الابطال العظام من جمعية الاتحاد والترقي فلتحيي الجمعية فليحيي السلطان الدستوري
فليحيي المنقذ الثاني للوطن محمود شوكت باشا فليحيي الجيش المنظر

* * *

عيد الدستور بمصر

اشدنا محمد حافظ افندي إبراهيم لنفسه في ليلة الاحتفال بهذا الموسم في حديقة

الازبكية بمصر هذه القصيدة

أجل هذه أعلامه ومواهبه	هنيئاً لم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئاً لم فالكون في يوم عيدهم	مشاركة وضاعة ومقاربه
رعى الله شعباً جمع العدل شله	وتت على عهد الرشاد رخائيه
تخالف في ظل الهلال إمامه	وحاضاه بعد الخلفاء ورايه
خذوا بيد الإصلاح والامر مقل	فاني أرى الإصلاح قد طرّ شاربه

وردوا على الملك الشاب الذي ذوى
فمن يطلب الدستور بالسوء بعد ما
اذا شوكت الفاروق قام منادياً
ثلاثة آساد بجانبها الردى
يسارعها صرف النون فتلتقي
روت قول بشار فتأوت وأقسمت
« اذا الملك الجبار صهر خده
وسار على أعقابها كل سامع
يصيح به « لاري » أو نلغ المنى
هنالك قاتل وانخذ ثم مربطاً
رجال من الايمان ملائ نفوسهم
صوالجه سر اقلنا وكراته
اذا ثار دكت اجبل وتمشمت
وثلك عروش واستقرت بمالك

• • •

فمن لم يشاهد يلدوا بعد ربهما
واسله احبائه لقضائه
وقلت الاقدار اظفار بطشه
فما شهد الدنيا نزول ولا رأى
ايح حاما وانطوى مجد ربهما
ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه
ولم يحص حصن ولم نرم دونه
ولم يحصه عن ابن الحق مخدع
أقام عليه مهلكا عند مهلك
نحماه حتى الوهم خوف اغتياله

وقد زال عنه الملك واندك جانبه
وفر ولم يخش المعرة كتابه
ودل على ما تجهل الجن حاجه
بلاء قضاء الله في من يحاربه
وقامت على البيت الحميدي نواده
ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
دنائره والامر بالامر حازبه
ولا تفق في الارض جم مساربه
بمر به روح الصبا فبوائبه
قلو مسه طيف لدارت لوالبه

وأسرف في حب الحياة فغافلها
فهي ككل قتل للنية مكن
وفي كل ركن صورة لو تكلمت
تأثيل ليها مأنيت وأقعدت
تملك في نومه وجلوسه
أظلم عليه ألف موت محجب
ساره أأضت عنه في يوم خطمه
وقد نزل المقدار بالأمر صادعا
وأخرج من يلبز رب يلبز
وأصبح في منقاه والجيش دونه
يتاديه صوت الحق ذق ما أدقهم
هم منحوك اليوم ما أنت مشر
ودع عنك ما أملت أن كنت حازما
مضي عهد الاستبداد وانك صرحه
* * *
لله يا تموز إنك بلم
نكم رعت جبارا وأرهقت ظالما
فدينك من شهر أغر محجل
تقابله الأعياد في الأرض كلما
ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه
وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله
يلعبون بالعرش الكريم وربه
لعمري أمير المؤمنين محمدا
ستملك أمواج البحار سفنه
مالكة محروسة وثوره
لجرحي الأمي والدمر قدو نوائيه
وانصفت مظلوما توالى مصائبه
أوائله ميمونة وعواقبه
تجلى هلال الشهر أو لاج حاجه
تتهز من وقع السرور جوائيه
تدفق في دار السلاح مواكبه
تطيف بهم الآلوه ومناقبه
خلافه فالعرش سجد كواكبه
كما ملكت شم الجبال ككائيه
وتأبى منهودة ومراكبه
(المجلد الثاني عشر) (٧٠) (المناجى ٧)

وأرسل إلينا اسماعيل بك عاصم المحامي المصري هذه القصيدة من الأمانة
عيد عز الدستور بالأمن أسفر نوره للأنام الله أكبر
آل عثمان حاكم اليوم يوم حليل القلب فيه بشرا وكبر
يوم عيد الحرية التي كم به نا زماناً بعدها تنصر
كل حرية بغير حاق لا براعي زمانها من نجر
ولهذا جاء الزناد ليحيى ها فكانت لعصره خير مظهر
يا أميرا المؤمنين وسلطا ن جميع الشعوب لافرق يذكر
كل هذي الأقوام ترجوك في ته مريض ماقت أنت بالعدل أقدر
انت أدري يا صاحب الملك بالما في قادرك بمزملك الملك نشكر

يارجال الوزارة الصيد هذا الوقت في هوله كيم المحشر
دققوا في الحساب بالقسط ترنا ح البرايا فظالما الظلم كقدر
فالملك المهور رأس وأتم منه اعضاؤه به تناثر
والعكرام التواب أورد الجـ م وماه الحياة منها تنجر

آل عثمان ان سلطاننا أعظم ملك بنوره تبصر
هو حامي الدستور حامي الرعايا حافظ الهدى للصالة أظهر
ففتانوا في حبه فهو بالأخ لاص منا وبالجنة أجدر

أيها الثابون عن هذه الأمة أتم لها العاد الأكبر
أتم عارفو البلاد وحاجا ت الأهالي وما به تنصر
أعين الناس نحوكم ناظرات فاطمروا للورى بأشرف منظر
لا تريد استرداد ما واه لكن حفظ ما عهدنا فلا تنقهر
ثلك قون مضى ونحن من الار هاق كانت أعضابنا تنقهر
ثلك قون ونحن في ظلمات بعضها فوق بعضها تنكر

فجلا تلکم الدياجي نور
أهذونا وكادت الروح تدنو
فسجدنا لربنا وشكرنا
يا لبوث الوغي ويا خير من أم
يا أسود الشرى ويا خير من قو
قد جلوت لنا عروساً فجلت
وهي حورية أضأت ودستو
فعليك السلام يا شوكت منى
انت ادركت ذي الخيانة فانقذه
وعلى الفرقدين اركى سلام
لا تقولوا قد راح مدحت عنا
فاتركوا ماضى وجدوا لما يا
واستغنوا بالحق دوماً ومبوء
خير ما ينفع الشعوب ثبات
فهبأ يا آل عثمان هذا
دام سلطاننا ونوابنا والجيش

من سنا قادة لجيش مظفر
للتراقي وصالح الموت زبحر
هو لاء الأبطال والحر يشكر
يا نفوساً كادت من الظلم قهر
م ملكا قد كاد أن يندمر
كتجلي بدر السماء وأزهر
رُبحفظ الحقوق في الملك بشر
يت حتى ظفرت والملك عمر
بطلي تركيا نيازي وأنور
كلکم مدحت اذا ما تدبر
تي مجزم النهى وعزم الفضل
ثانكم فالتجاح في ذاك اكبر
واتحاد بعزمه تتحرر
يوم عيد للناس عيد مكبر
والشعب في الهناء الأوفر

هذه عادة من النيل وافت
عادة زانها حلي المصاني
أقبلت في بشار أرختها
سنة ١٣٢٧

بساها ودلها تبختر
ومن اللفظ عقد دّر وجوهر
عيد عز الدستور بالأمن أسفر
٨٤ ٧٧ ٧٠١ ١٢٤ ٣٤١

ضاق هذا الجزء عن باب الفتاوى وفيه بيان معنى كون الدستور مواثيقاً للشرع
وغير ذلك من المسائل فأرجأناه الى الجزء الآتي

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْإِثْمِ

الهرج والقتل في أطنس

أُمرنا في آخر الجزء الثالث الى هذه الحوادث وكانت في بدايتها وقتلنا انه لا تمة
بإخبار شركاء روتران الترك هناك تصدوا لذيح الأورمن عدوانا . ثم ان الجرائد في الاستانة
وسورية ومصر جاءت بتفصيل لتلك الحوادث جاء في بعضها ان الأورمن كانت هي
المضرة لئار الفتنة وأن مبدأ ذلك تمثيل الأورمن قصة سياسية في أدنه يصفون فيها
ظلم الترك لهم وقيام ملك منهم يتقدم من ظلمهم ويقيم لهم دولة جديدة . ثم إنهم لم
يكتفوا بهذا بل طفقوا يستحضرون السلاح الجديد فتكرهم المسلمون إلى ان انفجر
البركان ، وقاض الطوفان ، واقتتل الفريقان ، وروي ان أول واقعة من وقائع
الاعتداء كانت من الأورمن . ومن الناس من لا يصلح هذه الروايات بل يرجح
ان المسلمين هم المعتدون ، ومنهم من يقول ويكتب غير ما يعتقد واللهوى سلطان
على القلب وعلى القلم واللسان . ومن رأينا ان يرجأ الحكم في الاسباب والمباني الى
ان يتم تحقيق الحكومة في ذلك وينشر روسيا

مهما كانت الاسباب والمباني ، وأيا ما كان المقدي والبادي ، فلا شك في
كون الفريقين قد عملا مالا يبيحه الدين الذي يتنسان اليه ، ولا يتفق مع مصلحة
الوطن الذي يقيمان فيه ، فقد هدمت الدور ، وأحرقت الاسواق ، وقتل النساء
والاطفال ، وحملت الامة عينا من العار ، ولحق الحكومة ما لحقها من الخسار ، وتأملت
الانسانية الفاضلة في جميع الأقطار

قد أكثر أهل الاهواء وافرط مقلدة التفرنج من القول بأن سبب ذلك هو
التعصب الديني ولو كان مازعوا لما كان الهرج بين الترك والأورمن دون سائر
المسلمين والنصارى فقد ثبت ان أبناء العرب هناك كانوا يحمون الأورمن ويواسونهم

وأن الأرممن لم يمتدوا على غير الترك والترك لم يمتدوا على غيرهم قالمسألة اذا أُر من آثار الاتحاد الجنسية ومن جعل بينها التصب الديني فهو ان لم يكن جاهلا متصب او منافق يتزلف للمتفرجين، وان ادعى انه من الأحرار او المسلمين، دعا بعض فضلاء العثمانيين الناس الى الاجتماع في حديقة الأزبكية لسماع الخطب والقائد في شكوى الانسانية من ذبح أبنائها بعضهم بعض والحث على مواساة المنكرين وإعانة اليتامى والأامل من الفريين — المسلمين والأومن — فلي الدعوة بجاهل أهل الخبر من جميع الطوائف ماعدا الأرممن. وخطب صاحب هذه المجلة — على انه كان مريضاً والحشر شديداً — خطبة أوتجالية بناها على بيان التفاوت العظيم بين الانسانية الراقية والانسانية السافلة التي يكون أصحابها شرا من الوحوش الضارية والحشرات السامة، وكون هذا الاجتماع احتجاجاً من أهل الاول على أهل الثانية وارشاداً وتعليماً. وينت فيما مشروعية البر والاحسان في الاسلام بجميع البشر مؤمنهم وكافهم بل بجميع الاحياء « في كل كبد حرى أجر » ورمى بعض الخطباء الى كون المسلمين هم المحتدين الباغين باسم الاسلام فرددت عليه بلطف وقالت ان المقام مقام استعطاف لا محاكمة ولا تاريخ وان التحقيق الرسمي سيظهر الحقيقة ان المسألة جنسية لا دينية ذلك ما كتبناه للجزء الماضي من المنار فلم يشع له ثم قرأنا في جريدة لسان الحال اليربونية المؤرخة في ١٥ الشهر (رجب) ملخص تقرير المجلس العربي فنحن نقشره بنفس هذه الجريدة وهو

﴿ تقرير المجلس العربي في أطنه ﴾

وضع المجلس العربي في أطنه تقريراً مفصلاً بحدوث أطنه ولكن جرائد دار السعادة العالية لم تقشر الا خلاصة منه وهو يذكر ان الحدوث التي جرت هناك انما يصعد تاريخها الى أيام بهري باشا الوالي الذي كان قبل جواد باشا فانه ظلم الناس ظملاً قاحشاً وأوقع بهم خسفاً وجوراً وهم لا يبدون ولا يصيدون بل كانوا كالموتى لا يتحركون ولا يشكون وكان رجال الوالي كشريرين وهم يتفنون من توسيع نطاق تلك الاختلالات ويمتنون الى الله ان تدوم لان أكثر تلك المظالم التي تشتمل منها

النفوس الالية كانت واقعة على الارمن وكان هؤلاء بها راضين صابرين حتى يمن الله بالفرج ولما ثقلت الوطأة وشعروا بشدة الشكيمة فضلوا الموت على الحياة ولكن الذين كانوا يملكون النفوس بأمل الانفصال في الاستقبال كانوا يسكنون روعهم ويحسونهم على الصبر وقد أتوا بكثيرين من هؤلاء المظلومين من انحاء الولاية وأقاموهم في مركز الولاية وقالوا ان هذا المركز يعتبر ثغرا بحريا وقد استعجلوا له كثير من الاسلحة لاسما بعد اعلان الدستور فانها كانت ترد اليهم من يبروت كميات عظيمة بالسفن والبواخر وكانت توزع عليهم في اطلته وضواحيها حتى زادوا طمعا بالانفصال عن الحكومة وبعد اعلان الدستور كان المسلمون يتقربون من جميع ابناء الطوائف ويظهرون لهم المودة والمسالمة ولكنهم ما كانوا يخفون احتقارهم للجمعيات الارمنية الموجودة في البلاد لا عقادهم بان اعضاها يسمون في الانفصال والاستقلال وقد زادهم ثقة بذلك كونهم رأوهم يقيمون الشعب والفروع لجمعياتهم في كل الجهات ولا تنكران الحكومة أظهرت ضعفا شديدا في كل الاحوال التي مرت بالبلاد فانها لم تسع في قمع الثمن ولا في اخراج المشاغب حتى انه بلغ مسامها ان الارمن يسعون سعيا متواصلا في الوصول الى الاستقلال الاداري وان رفاقهم في أوربا يكاتبونهم بذلك ولكن الحكومة لم تلتفت الى هذه المسألة واعتبرتها كأنها لم تكن

وقد اتصل بالحكومة ان الجمعيات الارمنية وزعت رسوما وجرائد وشارات مخصوصة على الارمن وجعلت لكل منهم علامة فارقة يعرف بها ومع ذلك فانها لم تهتم للامر ولا سعت في ايقاف تباؤه حتى ان المطران موشاخ الذي هرب كانت له يدسوداء في كل هذه الاعمال المفاخرة وما زال الامر يزداد استفحالا ونطاقا انطلاقا يزداد اتساعا بين المسلمين والارمن حتى صارت الحوادث تتوالى من مدة الى أخرى وكثيرا ما كانت تتفاقم وتتجسم حتى امتلأت القلوب بالاضغاث ووقع ما وقع بين الفريقين من أسباب القتال الذي قضى بذهاب الافس ووقائع الحرق والنهب وغيرها (١)

وكانت الحكومة تنظر الى هذه الاحوال بعين لا بخمارها ككل وفكر لا بعتريه

(١) حذفنا من هذا الموضع كلاما في (احسان فكري) صاحب جريدة اعتدال وما كان من ارتكابه ومكايده لواله وما في ذلك من ضعف الحكومة الماضية

وجل ولا حساب لشئ، وكان الخطيب يتفاهم ويتعاطف بين المسلمين والارمن وفي كل يوم يطلق الرصاص هنا وهناك من الفريقين والحكومة لا تكثر له حتى جنت بذلك جناية لا تقدر ولا قبضت على بعض المشايخين من الارمن توسط البعض في أمرهم فتركهم وشأنهم اما المسلمون فابقهم في الحبس فكثرت اذ ذلك الاشاعات ونرا كمت الخواف والترهات فراج السلاح رواجاً عظيماً وكان تجاره وابعته يندرون الفريقين قرب اشتباك القتال وان الواقعة ستكون عظيمة يتخللها مذابح هائلة حتى بلغ ما دخل اطله من الاسلحة بطريق يربوت واسكندرونه وموسين اكثر من ١٣ ألف بندقية عدا البنادق والمسدسات وغيرها مما لم يحيط به أحد. واتفق ان قتل رجل من الارمن مسلماً فتمتبه الحكومة ولكن الارمن خباؤه واخفوه عنها ولما اقروا به قالوا انهم لا يسلّمونه ما لم تقص الحكومة من مسلم ادعوا عليه بكونه كان قتل اومنيا وفي ١٣ نيسان اطلق رجل اسمه محمود طلقاً نارياً في محلة من البلدة قبضت عليه الضابطة ولكن اجتمع كثر من خصيائنه نفس من المسلمين واخذوه منها بحجة انها لم تقبض على الارمن الذين اطلقوا النار وليس ذلك فقط بل انهم اجتمعوا اثاني يوم مع رفاقهم وحضروا الى السراي والاتفاق مع مدير البوليس اطلقوا مسرّاح كل اخوانهم المحاييس ومنذ ذلك اليوم أخذ المسلمون يطوفون في المدينة شاكي السلاح ويبدون مظاهرات تدل على انهم لا يعبأون بالحكومة ولا يأتمرون بأمرها وفي اثناء ذلك قتل ارمني مسلماً فعارضه المسلمون فخرج الارمن عليهم متحسين شاكي السلاح حتى ملأوا الشوارع والطرق فاستدعت الحكومة رجال الرديف فحضروا وطاقوا في الاسواق بملابسهم المدنية فكانوا كسائر الاهالي لا فرق بينهم في اللباس فقام عليهم الارمن ولكنهم اشاعوا فيما بينهم ان الحكومة هدرت لهم دماء الارمن وروخصت لهم بالقتل بهم وعند ذلك هجموا على المستودعات العسكرية واخذوا الاسلحة وما يلزمهم من الذخيرة وقملوا ما فقلوه ما اوجب على اعضاء ديوان الحرب ان ينكروه وينذروا من اجله الدموع ولما سمى الوطيس أخذ رجال الحكومة يهزّون بانفسهم فهربوا وتواروا عن البان ثم سجن عدد كبير من الارمن ولما عقد الديوان الحربي حكم على ١٥ نفساً من الارمن والمسلمين بالاعدام

فاعدموا ويوجد الآن من ٧٠٠ الى ٨٠٠ نفس كلهم مجرمون مذنبون كالذين شقوا واذا أردنا محاكمة كل الذين دخلوا في هذه الحوادث كان هناك من ١٠ الى ١٥ ألف نفس واذا كان لا بد من عقاب كل الذين ارتكبوا المخالفات والجرائم كان لا بد من عقاب كل سكان الولاية

وقد طلب في ذلك التقرير العفو عن مرتكبي الجرائم والصفح عما مضى اه (المار) ذكر اللسان بعد هذا ان بطرك الارمن اعترض على هذا التقرير وزيف اكثر كلامه . وقد ذكر مثل هذا في بعض جرائد مصر . وانا نعلم أكثر من ذلك نعلم ان الارمن اجتمعوا في الكنيسة في الاسكندرية فشهيم البطرك على الثبات على طلب الاستقلال وقرروا هناك وفي كل مكان عدم مشاركة العثمانيين بالاحتفال بعيد الدستور ولا تزال جمعية الاستقلال الارمني العليا في الروسية مجدة في عملها وساسة الروس يعرفونها وسيكشف لهم الزمان ان اتحادهم بالعثمانيين خير لهم واهي

﴿ فتيد العلم والصحافة الشيخ حسين الجسر ﴾

نعت الناجزائد طرابلس الشام وبيروت عالم الديار السورية بل أحد أفراد علماء المسلمين في هذا العصر ، استاذنا الشيخ حسين افندي الجسر ، صاحب الرسالة الحميدية التي طار بها ذكره في الاقطار ، واشتهر اشتهاؤ الشمس في رابعة النهار ، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت أرجأنا ترجمته الى الجزء الثامن سائلين الله عز وجل ان يحسن عزاء أمجاله وعزاء الوطن عنه ، وان يتغمده برحمته ووضوائه ، آمين

﴿ الدستور في فارس ﴾

ثبت الشعب الفارسي في محاربة الاستبداد كما ثبت الشاه الجاهل محمد علي على رفض الدستور حتي نصر الله الحق على الباطل فدخل المجاهدون طهران فاتحين وخلصوا الشاه وجعلوا ولده وولي عهده مكانه وهو ابن إحدى عشرة ولذلك جعلوا له نائباً من كبار رجال الدولة

بقي الحجة من يقاسم من وقت الحجة فلهذا بقي
عندنا كثيرا وبالله المستعان

المجلد

١٣١٥

بقي الحجة من يقاسم من وقت الحجة فلهذا بقي
عندنا كثيرا وبالله المستعان

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « متارا » كتاب الطريق

(مصر - الثلاثاء سلخ شعبان ١٣٢٧ - ١٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م)

البلاغ المبين

« الذي بلغ من قبل المشيخة الاسلامية الى التواب والقضاة »
« والعلماء الراسخين والمشايخ الطوفين » ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه
أجمعين ، وبعد فلما قضت ارادة الله تعالى في الازل ان تصلح الارض لعمران
استخلف في مهابطها الانسان القادر على تدبير اموره الشخصية والاجتماعية ببقوله الذي
« المتار : نشر هذا البلاغ بالتركية والعربية والفارسية كما بلغنا ونشرنا هنانص
الترجمة العربية التي وودت من الاستانة وزدنا فيها عدد الآيات والسور فيما جاء
فيها من الآيات وخرجنا الاحاديث في الهامس

وهو اياه كما دل عليه قوله تعالى (٣٥: ٣٩) هو الذي جعلكم خلائف في الارض) الآية وجعل ما تحويه ارضه التي قله وسمائه التي تظله خاضعا لمنافعه كما قال جل من قائل (٤٥: ١٣) وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) الآية وجعله مكفلا لآله وعقل وارادة هما قوتان فعالتان يقدربهما ان يستعمل القوي الطبيعة لقضاء حاجاته وتحسين اعماله في حياته الدنيا ولكن اعماله مرتبطة باعمال غيره لا يستطيع ان يأتي بنظمها ما لم تحدد الآمال وتبادل المنافع فقد علم الله تعالى ان الانسان العوبة لهوى نفسه الأمانة لا يتخلص من اشراكه التي نصبت له بالسهل وان العقل الابتدائي قاصر عن استنباط الشرائع الكافية لسعادة البشر فارسل بفضله انبياء يوضحون له احكام المصالح العامة وقواعدها التي يمجز العقل الابتدائي وحده عن استنباطها ويعطونه ان السعادة كل كل السعادة في الايمان واتباع طريق العقل وقد تمت حجة الله البالغة وظهرت حكمة التكليف فالخاندون بعد ذلك عن المنهاج المستقيم الذي اضاءه لهم الهادي الامين مطرودون من رحمة ومبعدون عن دائرة الهدى كما وصفهم تعالى بقوله (٢: ٧١) صم بكم عمي فهم لا يعقلون) الآية نعم قد تمت حجة الله بخلقه العقول فينا وارساله الانبياء الهادين اليها فان ضلنا بعد ذلك كنا من الظالمين ومن هنا يعلم السر في اتفاق الائمة على ان اصلاح العالم ليس يوجب على الله (١) وتقريرهم ان نصب الامام واجب على الامة

ولما كانت المطالب الاجتماعية مما لا يكفلها الواحد المصين بل الجماعات كما دلت عليه صدور بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى (يا أيها الناس يا أيها الذين آمنوا) الآية فلا تصح الامامة التي هي من اهمها الا بالبيعة الشرعية العامة وبيعة الناس لرئيس حكومتهم بالطوع والرضا مشروط بصحتها بتمسك ذلك الرئيس بمجلى الله المتين واتباع شرائعه وقوانين عبادته المربعة مما يدل على ان كل أحد من المسلمين مكلف

(١) المنار : هذا ما عليه اهل السنة خلافا للمعتزلة وعدم وجوب الصلاح عليه تعاني لا ينافي كون افعله وشرعه صلاحا وخيرا وحكمة فالصلاح والاصلاح من لوازم افعله واحكامه وهي واجبة له لا عليه اذ لا سلطان فوق سلطانه

مراقبة ما يأتيه ومستول عن حكومته يجب عليه أن يشرأب الى استطلاع اعمال رجالها ويراقبهم حتى اذا رأى معروفاً قد غفلوا عنه ذكرهم به أو منكراً كاستعمال نفوذهم خلاف الشرائع الربانية ومنافع العباد نهى عنه وفق وصفه تعالى في قوله (١١٥:٣) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية وحديث نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » الحديث (١)

كان الخليفة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الصديق الأكبر باجماع الأمة وبعده باتفاقها على العمل بوصية الصديق هو الفاروق الأعظم وأحال الفاروق امر نصب الخليفة على الشورى فوقع اختيار أهل الشورى على ذي النورين عثمان رضي الله عنهم وبعد شهادته اتفق جمهور الصحابة في المدينة على استخلاف علي كرم الله وجهه فبايعوه وقد امتدت الفتوح الاسلامية في زمن هؤلاء الاربعة الموسومين لهطارة سيرتهم بالخلفاء الراشدين الى مشارق الارض ومغاربها ولكن الاغراض المتصادمة واختلاط الاقوام العربية بالطوائف الأعجمية بعدهم بدل الطوع والرضا في أمر البيعة بالكرك والجبر فلم تنتخب رؤساء الحكومة على النحو الذي أمرت به الشريعة المطهرة الا الشواذ منهم حتى ظهرت سلاطين آل عثمان

فلما ظهرت شجرة آل عثمان التي يصدق عليها قوله تعالى (١٤:٢٤) أصلها ثاب وفرعها في السماء) وجعلت هذه تهيئ في وارف ظلها عرش السلطنة والخلافة أفتنى سلاطينها في حكومتهم خطوات الخلفاء الراشدين ومشوا على آثارهم يهدمون صروح الظلم ويحسون ما انطمس من معالم الدين وكانوا والحق وضاح يستحبون الرضا فلم يكرهوا الناس على بيعتهم وقد أساءوا الى البلاد قضاة من العلماء ففرقوا بين القضاء والتنفيذ ورعوا مما هدد العلم حتى نبغ فيها عدد كبير من الاعلام وسعوا بإشاراتهم قضية الفتوى لفصل المصالح حسب مقتضيه الاحوال العصرية معطين بذلك قوى الحكومة الثلاثة على حكمي الشرع والعقل ليكون حلة القدرة التشريعية ناساً من أهل العلم والقوى المالكيين لمراقبة الحكومة

التي هي نتيجة هذا التألف المشروع الطبيعية وأحاطوا بالتنفيذ والاجراء على الوزراء والأجراء وحل الخصومات وفصلها بالحكم والقضاء على القضاة والتواب الفضلاء والمراقبة والأفتاء على المحتين من فطاحل العلماء المظهورين تقابلية الاستقلال في شجب الاجتهاد قهرت حكومتهم واستحكمت عرايا حتى اتفادت لها طوعا عناصر الأمة الثمانية الختلفة كافة هذا ما كانت عليه الحكومة الثمانية في عصورها النابرة ولكن الدهر قلبت فان وضع دولتنا الجبرافي وسعة بلادها وظهور المفسدين من الطوائف الجلالية وإطاع الدول المجاورة كلها أسباب ولدت في سني حكومتنا الأخيرة عمارات دامية واختلافات داخلية شاع من جرأها الفقر وعم الوهن فوق ما أوشت الاعراض الربائية المتعاقبة من قنور الزمن حتى انطلست ماهد العلم شيئا فشيئا وانطفأ سراج الوهاج وشاع مكانه الجهل الاسود والضللال الميين وكادت دولتنا تنقرض المرة بعد الأخرى لاسمح الله تيين بما قدماه من وجوب نصب الامام شرعا على الأمة وكون الخطاب الرباني عاما لكل الناس وكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مكلفا بهما كل أحد من المسلمين ان الأمة هي الحاكمة (١) وان صنوفها الموثقة لها متضامنة بالتسلسل بحيث يجب على كل صنف منها ان يرقب غيره من الصنوف واذا تكاسل صنف عن اداء وظيفته الخاصة به قومت الصنوف الأخر المهورج لانها هي المكلفة بما هو نتيجة الارتباط التسلسل الشرعية لذلك قال الشارع « لا طاعة للمخلوق عند مصيبة الخالق » (٢) وقال (اما الطاعة في المعروف) الحديث (٣) وبما يؤيد وجوب ذلك التضامن امره تعالى العام في قوله (٢٥:٨) « اتقوا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة » الآية وعليه فاذا أبدينا أقل غفلة عن الاتجار بأمره هذا اختل نظام الادارة وانطقت رواجها

(١) المنازع قد بين الاستاذ الامام هو المعني في تفسير قوله تعالى (١٥٤:٣) ولكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (أجل بيان فراجحه في المنازع وسياقي في هذا البلاغ التصريح به

(٢) رواه احمد والحاكم من حديث عمران بنلفظ لا طاعة للمخلوق في مصيبة الخالق

(٣) رواه الشيخان وابو داود والنسائي « بلفظ لا طاعة لأحد في مصيبة الله إنما

الطاعة في المعروف

ولا يستبطن أحد مما أوردناه ان لكل صنف من الناس أن يتدخل في مصالح الحكومة فذلك غير صحيح بل الواجب أن تكون الحكومة الدستورية التي ترأب أعمالها من قبل جماعة مصطفاه من عموم الأمة مصونة من كل يد تمتد للتدخل فيها اذا أمرت الناس وجب عليهم أن يلبوا فيحيوها بقولهم صمعا وأطعنا

ولما كانت الدولة العثمانية التي بنت قوانينها على أساس الشرع الرصين وركبت قوى حكومتها من سياسة التوفيق بين الحكمة الشرعية والعقلية لا يتطرق الى أصلها الزلزال بسهولة حافظت حتى في أزمنة الجهل المطبق على شكلها بفضل رجال من أهل العلم والتقوى راقبوها ولم يهاطأ ثومان خشية الله رؤسهم لسلطان الجارية الظالين فهي وان كانت في كل زمن معرضة للاضمحلال الذي نبهنا الله تعالى لاجتناب أسبابه بقوله (١٣ : ١١) ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الآية سبقي مدى الدهور مضمونة بالاستقامة التي هي جزء من الضمان الالهي حسب قوله تعالى (٦٠ : ٧٢) وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً (الآية

كان لمر الحق عهد الاستبداد المنصمة أيامه السود قد شوه وجهي الدولة الأصلي والفرعي مدة ثلث قرن حتى اقل من كل آفاقها العدل وانحل ما أبرمه الشرع واختل النظام وشاع الظلم والجور والفوضى وتفرقت قلوب الرعايا من الحكومة ونجم الشقاق والنفاق بين العناصر المختلفة واستحالت الاداء الاجانب أعداء يعملون للإيقاع بها ويضيقون عليها يريدون بذلك تمزيقها وكادت جامعتنا العثمانية تهوّر بسرعة في حنرة اضمحلالها . هنالك هبت من مكان حفظ الرحمن فئة هم الفرقة الناجية حزب الله الغالبون استقلوا في سبيل الحرية ووقفاً في وجوه الجارية الماندين يكبرون ويجاهدون وفي أيديهم راية (٧ : ٤٧) ان تنصروا الله ينصركم (الآية فاقهذوا بما أتوه من السعي الحمود ذكره المملكة من الخطر المحدث الذي كان يهددها والوطن من الخراب المموفكوا اغلال الحيف من أيدي (١) الأمة وكسروا قيود الاستبداد وسلاسلها من أرجلها وسروا فؤادها بإشارة قوله تعالى (١٠ : ٤٨) إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (الآية مثبتين بأعمالهم هذه التي سيحمدنها التاريخ وتفتي بنشاندنها

(١) المراجع : انما وضع الاغلال الاعناق ولعل التحريف من الترجمة أو سبق قلم

الاحقاد صدق حديث الخبر الصادق (لا تجتمع أمتي على الضلالة) (١) شكر الله
مسيهم والحمد لله على دين الاسلام ولم يكن عفو الامة العنانية المتبعة لحكم قوله تعالى
(٥:٥) عفا الله عما سلف) وقول نبيه الكريم «المفوز بكثرة الطغرة» (٢) عن طواغي الضياد
أولي الصنف السود ليضطهم في موافقهم بل جرأهم على ابداء ما افعلوا عليه من
الفطرة السيئة كلما وجدوا فرصة تساعدهم حتى تمكنوا بما يشوه من الدسائس وزينوه
من الخيل ان يوردوا الملكة في ورطة هي والمياد بالله أعظم من كل الورطات
القاهرة فكانوا مصداقاً لقوله تعالى (١٣١: ٣٣) ومن يضلل الله فإله من هاد) الآية ولكن
ابطال الحرية أولياء الله المضمين بكتاب الله المبين على نصر شريسته واحياء سنن
سيد رسله والحفاظة على قوانين عباده ثاروا كالأسود من مراتبهم يستصحبون في
زحفهم الشرعي الفيلقن المنصورين الثاني والثالث منجيين بسلاح الجهاد ومقدمين
أمام صدقهم أمراء الحماة يأبسون مقر الخلافة بسرعة محيرة حتى قهروا بسيف
بسالهم جماعة الفئة الباغية مقاومهم وردوا كيدهم في نهوهم وحفظوا بيضة الاسلام
من ان تعيث بها أيدي الأتخمين فاستحقوا بذلك ان يسموا بؤسسي الدولة ثانية
فما استحققت الفئة الباغية ان تلقى جزاءها حتى صح فيهم قوله تعالى (٣٣: ٥) إنما جزاء
الذين يمارون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو
تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) الآية وحينئذ اجتمعت
أساطين الامة الذين اصطفتهم عنها نوابا يترجون عن آملها وقوت آراؤهم الحرية
على ان يطلبوا الى المشيخة الاسلامية تذكيرهم بما ينطق به الشرع في مثل هذه
الاحوال قمع الفساد الساري في جسم الدولة فجمع شيخ الاسلام السالف علماء
الخاصة الاعلام واصدر باتفاق أصواتهم فتوى شرعية خلغ بها السلطان السابق

(١) المتأرجح : الحديث متداول بهذا اللفظ ولكن بتكرار لفظ ضلالة وقد رواه
أحمد والطبراني في الكبير بلفظ « سألتني ان لا تجتمع أمتي على ضلالة واعطانيها »
والحاشم بلفظ « لا تجتمع هذه الامة على ضلالة ويد الله مع الجماعة »
(٢) لا أعرف هذا الحديث ولا أذكر اني رويته ولا رأيته في كتاب ومولانا
شيخ الاسلام أوسع اطلاعا وأجود حفظا

واستخلف مكانه بالبيعة الصحيحة العامة جلالة السلطان الحاضر محمد خان انطاس
أيده الله تعالى فكانت البيعة المقبولة الشرعية التي قضت الأزمان الغابرة ان تكون
نسبا منسيا قد أوجدت بذلك مكانها ،

(٣٧٠ هـ) الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله (أما سيئات
العهد السابق التي يعجز القلم عن احصائها فهي معلومة لكل أحد نستقي عن
تفصيلها بحمد الله تعالى على زوالها واما عهد الدستور الجديد فهو عهد المحاسن
والارتقاء ذلك لانه احيا ركنا من أركان الشرع المبين كان الطائفون المتسيطرون
قد هدموه وهذا حسن ابتداء لنا فيه خير فال

ولا يخفى ان حصول الراحة والسعادة في الملك لا يتيسران الا باتباع الرعايا
للقوانين المرعية هنالك تمام والقوانين المرعية إذا لم توزع الحقوق والوظائف بين
سكنة المملكة على التساوي المطلق لا تضمن الراحة والسعادة المطلوبتين ولكن
القوانين الصلبة والادارية في دولتنا الصنانية مبنية والحمد لله على أساس الشرع
الرصين فالمساواة المطلوبة بين الرعية مكفولة اذا به لا يمدل عنها لاختلاف الدين
كيف والأخبار الماثورة تسطع كنور الهدى مصرحة بذلك في كتابا الدينية كقوله صلى
الله عليه وسلم (لهم مالنا وعليهم ما علينا) الحديث (١) وكل وظيفة في نظر الشرع مقابل

(١) المنار : ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة فيمن دعوا الى الاسلام فأجابوا منها
حديث بريدة المشهور فيمن أسلموا وهاجروا ان لهم مال المهاجرين وعليهم ما عليهم
وحديث سلمان في قتال الفرس عند ابن ابي شينة قال « فان أسلمتم فان لكم مثل
مالنا وعليكم مثل ما علينا » وفي كتاب الهداية وأصلها وشرحها من كتب الحنفية اجراء
ذلك على من قبل بالجزية قال : « فان بذلوا فلهم بالمسلمين وعليهم ما على المسلمين » لقول
علي رضي الله عنه انما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا واموالهم كأموالنا اه قال
في فتح القدير بعد ذكر قول علي كرم الله وجهه والاحاديث في هذا كثيرة بل هو
من الضروريات . ومعنى حديث علي رواه الشافعي في مسنده . وذكر سننه الى
أبي الجوزي . قال قال علي من كانت له ذمتنا قدمه كدمنا ودينه كديننا . قال
الكمال وضعف الدارقطني أبا الجوزي

حق فلا يجوز ان يحمل أحد وظيفة ويحرم من حقه لان ذلك ظلم محض يجب ان ينزه الله تعالى عنه وهل يتصور ان ينطق دين الله بحكم فيه أقل حيف؟ ألم تذكر كتب السير ان غر الرسل صلوات الله عليه قد استشار كثيرا ممن لم يكونوا مسلمين حتى ولا داخليين في دمة المسلمين واستعان بهم في حروبه وغزواته (١)

وقد نص الله تعالى في كتابه المبين بقوله (٣ : ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (الآية على وجوب مراقبة الحكومة من قبل متخذي الأمة كما قدمناه ولما كانت الطوائف غير المسلمة بعض عناصر الدولة كان اشراكم في هذه المراقبة موافقا للصالح المملكة وعليه فان مجلس المبعوثين اليوم أصبح مثال لمقتضى الشرع والمشرعية أوضح مثال (٢) للخلافة الكبرى الاسلامية لقد حصصهم لعمري الحق ووضع الصبح لذي عينين فما على الحكومة بند اليوم الا أن توزع الحقوق بالمساواة بين الرعايا وتقليد الوظائف كل من رأت فيه أهلية منهم ولا على الرعايا الا أن يحسنوا معايشة وطينتهم من سائر الطوائف وبراعوا حقوقهم من كل وجه كما يأمرهم به الدين وقد نطق الكتاب بنجاة الصالحاء من النصارى وشهد بعودتهم للمسلمين وهو قوله تعالى (٥ : ٨٣) ولتجدن أقربهم مودة (الآية (٣) وصرحت الكتب الفقية بلزوم صيانة دينهم وأرواحهم

(١) المنار: قد سئنا عن هذا وأجبنا عنه في هذا الجزء فراجع باب الفتاوى (٢) يوشك ان يكون الاصل « وأوضح مثال » فحرف في الطبع (٣) في الكلام إجمال والمفسرين في الآية قولان أحدهما انها فيمن أسلم من نصارى الحبشة وهم ناجون حتما فان أراد الشيخ هذا القول كانت قائده هنا ان حسن معاملة المسلمين لتبرهم من شأنها ان تفضي الى مثل هذه العاقبة الحمودة . والقول الثاني انها عامة في جميع النصارى وان كان سببها خاصا وقوله تعالى في الآية التي بعدها (٨٤) واذا سمعوا ما أُنزل الى الرسول (الآية مستأنف وهو الخاص بنصارى الحبشة وعلى هذا يكون مراده بنجاتهم هو نجاتهم من السيف والاعتداء والظلم ، ويوشك ان تكون عبارته التركية أظهر في مراده

وأموالهم من التعرض أفعد هذا يضطهدهم المضطهدون؟ كلا فان في ذلك خزيا في الدنيا ونكالا في الآخرة قال الله تعالى (٣٣: ٣١) قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (الآية وقال سيد الرسل المبعوث لإتمام مكارم الاخلاق « تخلقوا باخلاق الله » (١) الحديث ومن أخلاق الله تعالى العدل والإحسان الى خلقه كافة بدون استثناء فلا يجوز بعد ذلك معاملة المسلمين لوطيئهم من الامم السائرة بالفظاظة والغلظة لان في ذلك مخالفة صريحة لرضى الله وسنة رسوله الكريم والمحافظون داخلون في ذمرة الخاسرين الذين قال الله تعالى في حقهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية (٢) فمن نبه المسلمين على ان عقاب مثل أولئك المخالفين المعتدين مقرر عند الحكومة ونوصي الناس بحسن المعاشرة فيما بينهم واجتناب ما يلقى بهم الاشرار أولو النيات الفاسدة من دواهي التفرقة والخلاف شيخ الاسلام

كتبه الفقير سرى زاده

محمد صاحب عفى عنها

(تنبيه) اثبت توقيع الشيخ في النسخ المطبوعة منقولاً عن خطه بالزكوة خراف

(١) المنار : قد اشتهر على اللسان ان هذا حديث ولم أره في شيء من كتب السنة (٢) ظاهر هذه العبارة ان كل مسلم يعامل احدا من غير المسلمين بالغلظة والفظاظة يكون ممن نزلت فيهم هذه الآية ولذلك انكر الناس هذه العبارة لان الآية نزلت في البقرة الذين يزولون الامن بالقتل والنهب وقطع الطريق . ولا شك ان شيخ الاسلام ايد الله به الشرع المين لا يريد بعبارة أن من يعامل الذمي او المسلم بالغلظة والفظاظة يكون محاربا لله ورسوله ومفسدا في الارض ويعاقب بأحد العقوبات المذكورة في الآية الحكيمة وانما يريد أولئك الذين يقدمون على القتل والنهب واحراق الدور ومعاهد التجارة والعلم كما وقع في ادنه (اطله) ولعل الخلل جاء من الترجمة بالهرية والمراد ظاهر توثيد الحكم الشرعي المراد منه القرائن الحالية ويشير اليه ما ختم به الكلام من دسائس الاشرار أولي النيات الفاسدة

﴿ اعتبار المصلحين ﴾ بهذا البلاغ المبين ﴿

ان في هذا البلاغ من آيات العلم الصحيح ، وهداية الدين القيم ، والاعتصام بالكتاب والسنة دون التقليد الاعى ما تشرح له صدور المؤمنين ، وتشتد به عزائم المصلحين ، لصدوره من أرفع مقام في علماء الاسلام الرسميين
ما أضع الاسلام إلا ترك الكتاب العزيز والسنة السنية الى كتب جماعة من مقلدة المذاهب المختلفة تهد بها علماء الرسوم من القضاة والفنيين وغيرهم من اهوان الحكام الجاهلين القائلين وقيدوا بها الأمة حتى حل بها ما نظم وقد شرحناه مرارا وفصلنا القول فيه تفصيلا

لقد بعث الله في القرون الخالية علماء أصفياء يهددون لهذه الامة أمر دينها فكانوا فيها كأنبياء نبي إسرائيل منهم من اهتدى بدعوته النور والرهط والجماعة ومنهم من حال الاضطهاد وضعف الاستعداد دون الاهتداء به ، وكانت العامة المسكينة تنفر بمقاومة علماء الرسوم وساداتهم الحكام لأولئك المصلحين المجددين وتبهمهم في تضليلهم لأن الناس على دين ملوكهم ، حتى ان صوت شيخ الاسلام أحمد بن تيمية قد خفت في هذه الامة المسكينة وهو أندى أصوات المصلحين ، وكتبه خفيت فيهم عدة قرون وهي أقوى وأظهر حجة من سائر كتب المسلمين ،

هذا ما كان من الجهاد بين الحق والقوة ، وهكذا كان يبادي الكتاب والسنة كل من له بالحكام علاقة رسمية ، فللعلماء الرسميين نفوذ عظيم إذا أيدوا به الاصلاح ينتشر بسرعة عظيمة ولكن الحكام المستبدين لا يمكنهم من ذلك فالعالم الرسمي في الحكومة المستبدة لا يوثق بما يقول ولا بما يكتب إثناء ولا تصفياء ، بل اذا اشتد الاستبداد في بلاد كان له اقل ان لا يعتد بكلام أحد من علمائها وزعمائها في الامور العامة الا من كان مضطهدا من حكومتها . تقول هذا بصرف النظر عن تفكيك الدليل في الكلام لمن كان من أهله

طال الزمان على قوة الباطل وضعف الحق لأن أهل الحق منهم الاستبداد

من إظهار حقهم وإنما يطلب الحق الباطل إذا وجد ما يلا معارض ، ولهذا غلب الجود ودخل جماهير المشتغلين بالعلوم الدينية بجر الضب وطلب لهم المقام فيه حتى صاروا يفرون من قضاء الحنفية السعة المضنية بنور الكتاب والسنة ، فوصلوا الى ذلك الدرك الأسفل من الضلال الذي عبر عنه بعض شيوخ الأزهر في ملأ منهم فقال : من قال اتقي أعزل بالكتاب والسنة فهو زنديق

نحمد الله تعالى أنه لم يسلب جميع المشتغلين بعلوم الاسلام نور كتابه وسنة رسوله بل صدق رسوله بأنه لا يزال طائفة منهم قائمين على الحق حتى تقوم الساعة (١) ولكن حرية الامم بخروجها من رق الاستبداد هي التي تظهر علم هؤلاء وهدايتهم . فلما لاح شماع الحرية في مصر ظهر فيها المصلح العظيم الشيخ محمد عبده (رحمه الله تعالى) وكان صوته ضعيفا الى أن صار له صفة رسمية بقلده افتاء الديار المصرية فحينئذ علا صوته حتى صار شرق البلاد الاسلامية وغربها يلحجان بقلبه الذي اشتهر به «الاستاذ الامام» وتعلقت به آمال طلاب الاصلاح الاسلامي في كل مكان

ثم أشرقت شمس الحرية في المملكة العثمانية فظهر من أعلى مقام علمي فيها — وهو مقام مشيخة الاسلام — كلمتان كبيرتان في الاصلاح (احدهما) الفتوى بحكم السلطان عبد الحيد فاتهما فتوى بنيت على أساس من كتاب الله عز وجل ، لا على شفا جرف من آراء زيد أو عمرو ، فهي أقوى وأصح فتوى صدرت في هذا العصر ، كما ينأ ذلك من قبل ، وقد زادنا سرورا بها ماجاء في هذا البلاغ من جمع شيخ الاسلام الذي اصدها للعلماء الاعلام واستشارتهم في المسألة واصداره الفتوى باتفاقهم

(الكلمة الثانية) هذا البلاغ المين ، المتألق نوره بالانقباس من القرآن الحكيم ، والاستنباط منه ومن الحديث الشريف ، فقد قرت عيوننا بما رأينا فيه من الفهم الناقب ، وتطبيق الآيات والاحاديث على الوقائع والحوادث ، ناهيك باستنباط وجوب سيطرة الأمة على الحكومة من آية وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ايد به الحكومة الدستورية ، واستنباطه من آيات وأحاديث أخرى مشروعية الجمع بين

(١) إشارة الى حديث صحيح رواه الحاكم من حديث عمر وابن ماجه من

حديث أبي هريرة

الدين والعقل ، والاتضاع بما خلق الله في السموات والأرض ، ووجوب التضامن والتكافل العام في الأمة ، وبيان سنة الاجتماع في تغيير احوال الامم ، والتصریح بكون الحكم انما يجب طاعتهم في المعروف لافي المنكر والمحرم وغير ذلك من الاحكام والحكم ان شيخ الاسلام لم ينقل هذه المعاني من كتب التفسير قلا ، وانما فهمها من كتاب الله تعالى فيها ، وان فهمه (حفظه الله) للآيات من قبيل فهم الاستاذ الامام (رحمه الله) لها ، فهذا الاجمال موافق لما سبق تفصيله في المنار في التفسير وغير التفسير مرارا ، وهو لم يكن قبل هذا العام ممن يرون المنار ، وانما هو الاستقلال وعدم التقليد يتفق اصحابه في كل ما تتوفر الدواعي على العلم به

فتمحمد الله أن وجد فينا مثل هذا الامام الجليل وأن كان شيئا للاسلام في هذا العصر المثير ، ونسأل الله تعالى ان يفتنا وسائر المسلمين بعلومه وهديه ، ويوفق جميع العثمانيين بارشاده الى التعاون والاتفاق على ما به عمران البلاد وتميز الدولة آمين

﴿ فصل — أو — وصل ﴾ اتنا نذكر في هذا المقام للشيخ سليم البشري شيخ الازهر ورئيس لجنة الدعوة الى المؤتمر الاسلامي اجازته لقانون المؤتمر الذي فيه ان المباحث الدينية في المؤتمر تكون اجتهادية تبني على الكتاب والسنة والاجماع والقياس لا على نصوص المذاهب . نذكر له هذا ونثني عليه عودا على بدء . وننتصر بتقريره هذا وبالبلاغ الذي نشرناه في هذا الجزء — وهما من أكبر شيوخ الاسلام الرسميين في أكبر عواصم المسلمين — على الجامدين البلاء الذين كانوا ينكرون علينا من بضع سنين دهونا الى الاهتداء بالكتاب والسنة وجمع كلمة المسلمين عليها والله خير الناصرين

فَتَاوَا الْمُبْتَائِنِ

نحسنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً من اناس اخرين لسبب كثرة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك كمثل هذا . ولن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لانفاله

﴿ الدستور والحرية والدين الاسلامي ﴾

(س ٢٩ و ٣٠) من صاحب الامضاء في سواكن (السودان)

حضرة الاستاذ المرشد السيد محمد رشيد رضا دام فضله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد ألتجاني فبهي القاصر وذهنى القاصر لرفع هذه الأسئلة لجنابكم ملتبس حلها وشرحها شرحاً وافياً يفهمه الخالص والعام لان ظروف الاحوال تقتضي ذلك بالنسبة لما هو حاصل الآن في دار الخلافة الاسلامية صانها رب البرية . وهي :

الأول — ما هو الدستور وما حقيقته وهل هو موافق للدين الاسلامي تمام الموافقة . وما الدليل عليه من الكتاب والسنة ؟

الثاني — ما هي الحرية — القولية والفعلية — وما حقيقتهما وهل هي موافقة للشريعة الاسلامية وما الدليل عليها شرعاً وعقلاً ؟

وهل هي كما علق باذهان العامة بانها القوصوية التامة التي لا رادع لها كأن تذهب المرأة من بعلها وتفضل ما تشاء وهو لا يقدر على منعه . ويذهب الولد شاو جاً من طاعة الوالد ولا يقدر على تأديبه ومنعه من ارتكاب المخطوور أم هي بخلاف ذلك ؟ نرجو من حضرة الأستاذ إجابتنا على هذه جهات النار الأغر في أول عدد منه

لا زال خضيم علمه زاخراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه عبد القادر ملاقلندر البختاري

الدستور والدين الاسلامي

(ج) تنقسم الحكومة في عرف أهل المصير إلى قسمين أصليين حكومة مطلقة وتسمى شخصية واستبدادية وحكومة مقيدة أو دستورية ويعبر عنها الترك والفريس بالمشروطة أي المشروط فيها العمل بالدستور

فالحكومة الشخصية المطلقة هي التي يكون فيها حق التشريع والتنفيذ للحاكم العام والرئيس الأكبر الذي يقب بالملك أو السلطان أو غير ذلك من الألقاب فهو الذي يضع لبلاده من القوانين ما يشاء متى شاء وينسخ منها ما شاء متى شاء غير مقيد برأي أحد ولا مكلفا ان يستشير أحدا ، وهو الذي ينفذ الاحكام التي يحكم بها في بلاده باوادته أي تنفذ باسمه على ان له ان يوقف تنفيذ ما يشاء منها ويعفو عن من يشاء سواء كان الحكم من نوع القانوني الوضعي أو من نوع الديني الشرعي فهو فوق الشريعة والقانون لا يجوز محاكمته اذا خالفهما . ومثال هذه الحكومة ما كنا فيه قبل سنة وشهرين من حكم عبد الحميد فقد كان بما له من السلطة المطلقة يمنع من الاحكام الشرعية ما يشاء كمنعه شهادة التواتر والحكم بمقتضاها والحكم بالحجر على المجانين وتنفيذ احكام الاعدام الشرعية وغير ذلك كما كان يمنع من كتب الدين والعلم ما شاء ويصادر منها ما شاء بمحض الهوى والوسواس

فهذا النوع من الحكم يحرمه الدين الاسلامي بل تحكم الشريعة الاسلامية بكفر مستحله لأن من استعمل الحرام المجمع عليه المأموم من الدين بالضرورة كما يبطال الاحكام الشرعية ومصادرة الناس في أموالهم ودمائهم كان مرتدا واما الحكومة الأخرى أي المقيدة أو المشروطة أو الدستورية فهي التي يكون فيها الحاكم العام ومن دونه من الحكام والعمال مقيدين كلمهم بالدستور والدستور عبارة عن شريعة البلاد وقوانينها التي يضمنها أهل الرأي الذين تهدي اليهم الامة ذلك بالتشاور بينهم ليس للحاكم العام فيها ان يستبد بشيء بل عليه ان يقيد بالشريعة والقانون الذي رضيه وقرره أهل الشورى . فهذه الحكومة موافقة للدين الاسلامي في أساسها وأصلها هذا لأن احكام الاسلام قسمان احكام دينية جاء بها الوحي

وأحكام دنيوية جاء بعضها الوحي ارشادا وتعلما ووكل سائرهما الى أهل الشورى من أولي المكافاة والرأي الذين عبر عنهم القرآن العزيز بأولي الأمر فهم الذين يضعون برأيهم واجتهادهم ما تحتاج اليه الأمة لاقاءة المصالح ودرء المفسدات التي تختلف باختلاف الزمان والمكان . ودليل ذلك قوله تعالى في المؤمنين (٤٢ : ٣٨) وأمرهم شورى بينهم) وقوله عز وجل (٤ : ٨٣) واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردهه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقد ينما معنى هاتين الآيتين أكثر من مرة وليراجع السائل تفسير قوله تعالى (٣ : ١٦٠) وشاورهم في الأمر — ص ٧٢٦ م ١١) وعلى هذا جرى النبي (ص) في أمور الدنيا والخلفاء الراشدون من بعده

هذا هو معنى موافقة الدستور للشرع الاسلامي في اصوله وأساسه بالاجمال . واما التفصيل فهو موكل في دولتنا الآن الى أولي الأمر الذي انتخبته الأمة لوضع القوانين التي يطلق على مجملها فقط (الدستور) فاذا كانت مسائل هذه القوانين مطابقة للمصووص الثابتة وللأصول والقواعد الشرعية المستنبطة منها كالعدل ورفع المضار وجلب المنافع وغير ذلك من القواعد والاحكام كان الدستور موافقا للدين الاسلامي في جزئياته التفصيلية وان كان بعض تلك المسائل مخالفا لها يكون الدستور مخطئا فيما خالف فيه كما اخطأ كثير من الفقهاء في بعض الاحكام في كتبهم . ولأمة حينئذ ان تنبذ مجلس نوابها على ذلك ليتداركه اذا تبين له

ويردها هنا اعتراضان يتحدث بهما التامس أحدهما مستمد من التفسير وهوان اولي الامر الذين فرض كتاب الله تعالى اليهم استنباط الاحكام والقوانين يجب ان يكونوا من المسلمين ، ومجلس النواب الميثاني الذي يضع القوانين الدستورية مؤلف من المسلمين وغيرهم . والجواب عن هذا ان استشارة المسلمين لنيرهم ومشاركتهم في الرأي غير ممنوعة وقد تكون مطلوبة اذا كان ذلك من مصلحة الأمة لأن المصلحة هي الاصل في جميع الاحكام الدنيوية حتى قال بعض علمائنا انها تقدم على النص اذا عارضته كما قلناه عن الطوشي في المجلد التاسع (ص ٧٤٥) على ان المسلمين هم

الأكثر من في مجلس الأمة المكون من المبعوثين والاعيان وهم العارفون بمصالح
الامة ومتافعها فلا ينفذ الا ما قرروه

والاعتراض الثاني مستمد من أصول الفقه وهو ان الذين يستنبطون للسلمين ما يحتاجون
اليه من الاحكام غير المنصوصة في الكتاب والسنة يجب ان يكونوا من أهل الاجتهاد الذين
استوفوا شروطه التي ذكرها الاصوليون . وقد يجيب المشتغلون بالسياسة عن هذا بان
الاحكام الشرعية المحضة لا تعرض لها المجلس بل هي لا تزال تؤخذ من كتب الفقه بالتقليد
وانما يضع المجلس القوانين المتعلقة بأمور الدنيا كحماية الأموال وطرق إنفاقها ونظام
الحاكم وغيرها من مصالح الحكومة وهي لا تحتاج الى ما ذكره من الشروط للمجتهد .
ولكن هذا الجواب لا يقنع المتفقه فانهم يقولون ان جميع الأحكام المالية والسياسية
والجزرية والإدارية يجب ان تكون مستمدة من الشرع وموافقة له

واتي أجيب بجواب آخر وهو ان ما ذكره الاصوليون من شروط المجتهدين ليست
نصوصا تعبدنا الله تعالى بها فبما أوحاه الى نبيه وإنما هي آراء لأولئك الأصوليين .
وقد بينا الحق في ذلك وما يجب من الإصلاح من الأمور الدينية والدنيوية بالتفصيل
في مقالات محاورات المصلح والمقلد فليرجع اليها السائل ومن شاء في المجلد الثالث
والرابع من المآرج (١)

وقول هنا أيضا ان الله تعالى قد جعل لجماعة أولى الأمر من الامة أن
يستنبطوا برأيهم واجتهادهم من الاحكام ما تمس حاجتها اليه وأطلق ذلك فان كان
هناك أدلة تدل على انه يشترط فيهم ما قاله علماء أصول الفقه في المجتهدين فلتكن تلك
الشروط كالشروط التي اشترطوها في الخليفة وفي القاضي من حيث انه يجب تفصيلها
ويقدم من توفرت فيه على غيره ولكن لا تمطل الاحكام بقدها . فكما أجازوا
خليفة الخليفة من غير استيفاء جميع شروطه للضرورة وأجازوا ان يكون اقاضي غير
مجتهد للضرورة يجب ان يميزوا استنباط الاحكام المالية والسياسية والادارية
(١) جمعت تلك المقالات في كتاب مستقل ثمة خمسة قروش واجرة البريد

مضمونا قرش ونصف

والقضائية لمن لم تتوفر فيهم شروط المجتهد لأجل الضرورة إذ لا فرق بين هؤلاء المستشارين والمستنيطين وبين الحاكمين والمنفذين

لا بد للأمة في كل وقت من الحكم ولا بد أن يكون هؤلاء الحكماء مقيدين بالشورى ولا بد أن يكون أهل الشورى من أولي الرأي والمكانة لتثق بهم الأمة فليها في كل زمن أن تختار أمثل أهل القيام بذلك الركن الشرعي فإن لم يوجد في زمن ما من هم متصفون بصفات الكمال التي تدل عليها الدلائل الشرعية فعلى الأمة مع احتيار الأمثل للضرورة أن تمد أناساً منها بالتربية والتعليم للكمال المطلوب

يقول حجة الفقه انا نستقي بما استنبطه المجتهدون السابقون عن استنباط أحكام جديدة فيجب أن نعمل بما دون في كتب الحنفية أو غيرهم من فقهاء المذاهب الأربعة ولا نزيد على ذلك شيئاً وبجبههم الحكماء وغيرهم من العارفين بحال العصر (أولاً) ان مادون ونقل عن الأئمة الأربعة لم يكف الأمة في زمن ما ولذلك زاد عليه أتباعهم غير المجتهدين اضافة اضعافه حتى صار العمل بكتب هؤلاء المقلدين، وقد أكثر كتب الأئمة المجتهدين، وما عساه يوجد منها لا يقرأ ولا بقي به ولا يرجع اليه . واتباع المقلد وقليده باطل بحسب أصولكم، واعذاركم عن ذلك غير مسموعة (ثانياً) ان الزمان قد تغير وتغير العرف الذي بني عليه كثير من الأحكام وحدثت للدولة والأمة مصالح وحاجات كثيرة لم تكن في زمن الأئمة ولا زمن مدوني الفقه المنسوب إلى أصولهم ومذاهبهم في الاستنباط وصارت عرضة لمضار ومفاسد لم تكن في زمنهم فتعرف من كتبهم طرق درثها فاضطرونا إلى أحكام تناسب حال زمننا . وانا ما صرنا أضعف الأمم بعد ان كنا أقواها الا بصلهم جريتنا في دره المخاسد وجلب المصالح في هذه الأزمنة الأخيرة بحسبها

هذا وان أساس هذا الدستور هو ان تنتخب الأمة نواباً عنها يكونون هم أصحاب الشأن في الأحكام التي تناس بها فليها ان تختار أمثلهم وأعلمهم بالشرع احكامه ومقاصده، والرأي الراجح في مجلس الأمة للمسلمين كما قلنا آنفاً فاذا قرروا ما يخالف الشرع القطعي ولم تستبدل الأمة بهم من يموذيه كان الأثم عليها وعليهم ولم يكن الدستور مانعاً لها ولم من إقامة شرعهم ، واما في زمن الحكومة المطلقة فلم يكن لها

ان تقول ولا ان تعمل وان ضاع دينها كله وضاعت دنياها معه
وجملة القول ان الأمة يمكنها بهذا الدستور ان تحيي دينها ودنياها فان لم تفعل
كان الاتم عليها . فم انهما لا تستطيع ذلك إلا بالتدريج كما نشأ الاسلام وترقى
بالتدريج فكان شأنه إلى عهد صلح الحديبية سنة ست غير شأنه بعد فتح مكة سنة
ثمان فلا ينبغي ان ننسى هذا

الحرية والدين الاسلامي

الحرية تطلق على عدة معان بحسب الدف والاصطلاح ولعل ما سألون عنه هو
ما قرره القانون الاساسي الذي هو أصل الدستور وأساسه في المادتين ٩ و ١٠ والمراد
منهما انه ليس للحكومة — ولا لغيرها بالا ولى — ان تعتدي على أحد قول يقوله
أو عمل يصله أو تكلفه شيئاً من ذلك إلا ما يبيحه القانون لحفظ الحقوق العامة والخاصة
فمن كان في بلد حكومته دستورية يكون حراً غير مستعبد لحكومتها ولا لأصحاب
الثقود والجاه فيها آمنة على نفسه من الاعتداء ما دام يحافظ على القانون الذي يحظر
عليه الاعتداء في حريته على حرية غيره وحقوقه . فحياة الناس من التعدي عليهم موافق
لشريعة الاسلامية كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص لما علم ان
ولده ضرب غلاماً قبطياً « منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » فإذا
ادخل معنى في الحرية ترك بعض الحدود أو التعزيرات المجمع عليها كانت الحرية
حينئذ غير شرعية بجميع جزئيات معناها بل بعضها شرعي وبعضها غير شرعي وإن
كان سليماً وليس في القانون الاساسي تصريح بذلك ولكن قد يكون هذا القصص ما
يقصر فيه مجلس الأمة عند وضع قانون الجزاء والذنب عليه والأمة ان تعالبه به
اما ما علق بالاذهان من كون الحرية القانونية تبيح نشوز النساء عن رجالهن
وعقوق الاولاد لوالديهم فغير صحيح

(سؤال آخر) ورد علينا استفتاء آخر في المسألة من دمشق الشام يحلنا فيه
المائل على مقالة نشرها المقتبس فيها لم نطلع عليها فإذا كان في جوابنا مقنع له فيها
والا فليعد السؤال وليرسل معه المقالة التي سأل عن موضوعها

﴿ استشارة غير المسلمين والاستعانة بهم في الحرب ﴾

« ص ٣٦ » من صاحب الامضاء في بيروت

سيدي الاستاذ الشيخ محمد رشيد افندي رضا الحسيني منشي مجلة المنار المحترم
بعد التحيّة اليكم انه قد اطلعت في عدد « ٢٦٣ » من جريدة الاتحاد اللبناني
الاغر فرأيت في طليعته منشوراً لشيخ الاسلام كان من ضمنه هذه الجملة « وقد
استشار نينا في ظروف عديدة خطيرة اناسا لم يكونوا يدينون بالاسلام وطلب (ص)
في الحروب معاوتهم ومساعدتهم » فارجو ان تبينوا لنا من هم المشاورون ؟ وما
هي تلك الحوادث التي وقعت فيها الاستشارة كما ارجو بيان من هم الذين طلب
النبي (ص) معاوتهم ومساعدتهم في الحروب ؟ أخذنا للحكمة وبياناً لمن اتصل بنفسه
المصعب الذمير فظهر بذلك نفسه واتباعا للحق مولاي . خادم العلم الشريف
راغب قبّاني

(ج) خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف في اول الاسلام وطلب
من رؤساء أهلها حمايته من قريش ليلبغ دعوة ربه فردوه . وكان يخرج في المواسم
الى اسواق العرب يرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يلغ دعوة ربه فكان بعضهم
يرد داحسنا وبعضهم يرد ردا سيئا . ثم انه بعد ان قوي الاسلام استعان في الحديبية
بسميعة الخزاعي فالتجده عينا على المشركين وكان يومئذ مشركا ومن المعروف ان
قصة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وكان مع النبي (ص) من
المؤمنين الف وأربع مئة - وأرو خمس مئة - واستعان بصفوان بن امية يوم حنين .
واخذ في خيبر برأي عزال اليهودي فقطع مشرب القوم ليخرجوا من حصنهم لتناجزته
وفي مراسيل ابي داود عن الزهري أن النبي (ص) استعان بناس من اليهود
في خيبر فأسلمهم لهم وهو ضعيف . وفي حديث ذي خبَر (رض) عند احمد وابي
داود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستأخذون الروم صلحا
وتقرزون انتم وهم قوما من ورائكم » وكان النبي (ص) محالفا لخزاعة وكانت

قريش مخالفة لبرك فاعتدى بنو بكر على بني خزاعة وساعدتهم قريش بعد عهد الحديبية فانتقض عهدهم وحاربهم النبي (ص) باصحابه لأجل ذلك حتى فتح مكة عنوة ونزجت خزاعة معه على قريش

لكن ورد في حديث عائشة عند احمد ومسلم أن النبي (ص) خرج قبل بدر فلما كان بحجرة اليريرة ادركه رجل قد كانت تذكر منه جرأة ونجدة قال جئت لانبئك فاصيب منك ، فقال رسول الله (ص) « توأمن بالله ورسوله؟ » قال لا ، قال « فارجع فلن استعين بمشرك » ثم ذكرت انه عاد مرتين بعد ذلك فقال له مثل ما قال في المرة الاولى . وفي حديث خبيب بن عبد الرحمن عن ابيه عن جده انه استأذن النبي هو ورجل آخر من قومه في الفزوة معه فقال « أسلمتما؟ » قال لا فقال « إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين » رواه الشافعي واحمد والنسائي وغيرهم

ومن هنا جاء الخلاف بين العلماء في جواز الاستعانة وعدمه فقل الجواز عن الحنفية وعن الشافعي منع الاستعانة بهم على المسلمين وجواز الاستعانة بهم على ائمتهم اما الجمع بين الروايات المختلفة فقد قال الحافظ ابن حجر في التلخيص ان اقرب ما قيل فيه ان الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها قال وعليه نص الشافعي . وانت ترى ان جميع ما قلناه من روايات الاستعانة كان بعد غزوة بدر التي قال فيها لن استعين بمشرك والعدة في مثل هذه المسألة اتباع ما فيه المصلحة وهي تختلف باختلاف الاحوال واما استشارة النبي (ص) لغير المسلمين فلعل شيخ الاسلام نفعا الله بعلمه يريد بها ما كان في اول الاسلام من استشارته (ص) لعمه ابي طالب ومن استشارة المناقبين بعد الهجرة كاستشارة عبد الله ابن ابي في غزوة احد ومراجعتهم لحلفائه من اليهود في بعض المسائل المتصلة بالخلافة ان صح ان يسمى هذا استشارة . أما كونه (ص) كان اذا عرض امر يستشير فيه المشركين أو أهل الكتاب ليستين بمشاورتهم الرأي فهو مالا اعرفه ولا اظن ان شيخ الاسلام رحمه الله قد علمت مما تقدم في الكلام على الدستور انه لا مانع من المشاورة وان مصلحة الامة هي المحكمة في مثل هذه المسألة . ولا شك ان مصلحة دولنا في هذا العصر تقتضي ان نسمع جميع شعوبنا في المشاورة ونضع جميع القوانين لا تقوم المصلحة بدون ذلك ، هنا ، حدثنا في الجواز ان شاء الله

﴿ انصار البدع والتقاليد وكتبهم ﴾

(س ٣٧) من صاحب الامضاء في بتاوى (جاوه)

مولاي الاستاذ المصلح فضيلتو أفندم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت والمسنول منكم ايفاء لما التزمتم به من النصيح لله ولكتابه ولرسوله والمؤمنين ان تفيدونا عن أسئلتنا هذه فقد عرفنا منكم الصدق وقوة الحجة وقطع أئمة البدعة أدامكم الله وزادكم توفيقا : انما قد نبغت في هذه السنين وجال يدعون الى الكتاب والسنة ويؤثرون ما كان عليه السلف الصالح على كثير من المقلون عن المتأخرين وقد كثرت أصحابهم وعلت أصواتهم ونرى على أقوالهم جلالة الحق ومسحة الصدق ،

وقد غاظ أمرهم هذا أناسا عاشوا بترويج الرابطة والتوجه . وآخرين جدوا على ما قاله بعض مصنفى المتأخرين كابن حجر المكي فاتخذوهم أربابا من دون الله يحلون ما أحلوا ويحرمون ما حرموا ويقدمون أقوالهم على قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال كبار أصحابه ورجالاته التابعين بإحسان مع صحة النقل واتقاء المعارض ، وقد زعموا أن الواجب علينا هو الأخذ بما قاله أولئك المصنفون وانه لا يجوز لنا مخالفتهم ولا نسبة السهو والنقلة اليهم فضلا عن الغلط وان خلاف ما قالوه بدعة وضلالة وفسوق ومهما قويت صحته وكذا القائلون به من سلف الامة وخلفها وان شيخ الاسلام ابن تيمية كبير الفسقة وان من يسميه شيخ الاسلام فاسق أيضا بل حرموا الاستدلال من الكتاب والسنة مطلقا ، وقالوا لا يقرأها أحد إلا بغية التبرك أو نحو الاستسقاء والا فهو ضال مجرم !!!

والى سيدي نبذة طبعها مصنفها حديثا . عكف عليها عباده وفيها هز ولمز لا نسأل عنها ولكن نرجوكم عدم غض النظر عما فيها من التغير والتضليل واطلاق القيد وتعميم الغصاص وإيراد الأحاديث الموضوعة والتحكم في الدين والافتراء

على الله بالقول هذا حلال وهذا حرام بدون حجة ليكون ما تكتبونه زاجراً له ولا مثاله من الجاهل المتعصين ومنفذاً لمن يقع في جبالهم من العوام والسذج من المؤمنين ولتطمئنا ان قصده من الكتابة الرد لما جاء في المنار من نحو الفتيا في الفتاء ومن المدح لشيخ الاسلام ومن الانهاء على البدع والتقليد ثم ليعلمكم بعد من الرسالة فصولاً أخرى ولربما سكت عن الجواب لعدوه ولا عذر لجنايتكم ومع تلك الرسالة نموذج من فتاوي ذلك البعض في منع الترجمة للقرآن لم يأت على ما قاله فيها يبرهان فتروجكم بيان الحق في حكم الترجمة والتفصيل بين ما يترجم لبيان مصادره للاستدلال به على من لا يفهم العربية وما يترجم ليقراً به العاجز عن القراءة بالعربية وما يترجم ليكون كالتفسير وما يشترط لذلك وان تشيروا بمن كتبت ترجمة بيان آي القرآن في كتبه بالفارسية وغيرها كالغزالي واليهودي واليهودي وغيرهم ، ولكم منا جزيل الشكر ومن الله وافر الاجر والسلام

(سائل خائف يحب إظهار الحق ويخشى السجن)

٢٠٢

(المنازع) قد أرسل البنا صاحب هذا السؤال رسالتين مطبوعتين في جاوه مؤلفهما عثمان بن عبد الله بن عقيل المستشار الديني لحكومة هولندا في جاوه . احدهما في النهي عن ترجمة القرآن والثانية في مسائل المجتهدين والمقلدين والصوفية والاولياء والصحابه والنصيحة والحب والبغض في الله والورع وحفظ اللسان يكلفنا هذا السائل كما كلفنا غيره ان نقرأ هاتين الرسالتين ونبين ما فيها من الخطأ ومخالفة الشريعة كما كلفنا غيرهم من قبل مطالعة بعض كتب التبهاني والرد عليها . وان الكتب الحديثة وكذا القديمة المحشوة بالأباطيل والقول في دين الله بغير علم ككتب التبهاني وأمثاله أكثر من أن نحصى فهل يكلف مثل ان يقرأها ويبين ما فيها من الخطأ والباطل معها أكثر ذلك وتكرر ؟ ان هذا من تكليف ما لا يطاق فحسبنا ان نبين الحق في مسائل الدين ومنه يعلم ان كل ما خالفه باطل . وان أكثر المسائل التي نسل عنها من هاتين الرسالتين وكتب التبهاني قد بينا الحق فيها بالدلائل الواضحة فهل نكلف ان نعيد كل ما كتبناه كلما تكرر السؤال عنه ؟

على ان الرد على هؤلاء المقلدين المتهوكن مشكل لكثرة تناقضهم واضعة
البرهان عندهم كما قال الشاعر

أقلد وجددي فليبرهن مندي فما أضيع البرهان عند المقلد

فتراهم يحرمون الاهتداء بالكتاب والسنة والاستدلال بهما على المطالب ويدعون
أن الله تعالى ما كلفنا الا العمل باقوال بعض الفقهاء المتأخرين كابن حجر الميمني
والسبكي في دين عثمان بن عقیل مؤلف هاتين الرسالتين ثم انهم يستدلون بهذا ذلك
بالكتاب والسنة ويخالفون امامهم ومقلدهم فيما شرطه في هل الاحاديث بلة الاستدلال
بها - فقد ذكر ابن حجر في (ص ٣٢) من فتواه الحديثة انه لا يجوز لغير المحدث
رواية الاحاديث ونقلها بمجرد رؤيتها في الكتب بل لا بد من نقلها من كتب اهل
الحديث الذين يميزون بين الصحيح وغيره وابن عقیل هذا يقل في رسالته احاديث
من غير الكتب المعتمدة ولا يعزوها الى أحد من الحفاظ ولا الى كتبهم وفيها
الموضوع والواهي الذي لا يحتاج به والحرف وهو لا يعرف اصلها - ومن غرائب
التهافت انه عقد في رسالته فصلا للاحاديث الموضوعة وذكر انها أشد الاشياء خطراً
على الدين

ومن بعدهم عمدة وحجة في الدين الفزالي وقد شنع في الاحياء وما بعده من
كتبه على التقليد والفقهاء الذين أعلى من ابن حجر مرتبة فهل يأخذ برأيه في ذلك
وهو يحمي اتباع السلف ويأمر بهذا ذلك بالبدع التي تخالف سنتهم ويعتمد على أقوال
الخلف وأعمالهم التي لم تكن في زمنهم

كذلك تراه يعظم الصوفية ويأمر باتباعهم والصوفية كلهم يتبرعون من التقليد
ويقولون انهم لا يأخذون دينهم الا من عين الشريعة وهو كتاب الله وسنة رسوله
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد نقل في رسالته شيئاً من أقوالهم في ذلك ، ولهم في
ذلك ما هو أصرح مما نقله وأوضح . فبماذا نحتاج على مثل هذا المؤلف وهو ليس من
أهل الحجة والدليل لأن هؤلاء هم الذين يسميهم هو وأمثاله المجتهدين ويقولون
انهم قد اقرضوا ولا يأتي الله بمثلهم يقولون هذا اقتياتا على الله وعلى الوجود بما لا يعلمون؟؟
ومن غريب تناقضهم انهم على تبرؤهم من الاستدلال الذي هو الاجتهاد تراه

يحكون في المسائل والوقائع حكم المجتهدين بمحض الجهد والهوى فيقولون هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا إيمان ، وهذا العالم على هدى فيؤخذ بقوله وهذا على ضلال فيرد قوله ، فالأئمة المجتهدون لم يكونوا يجيزون لا أنفسهم ان يقولوا مثل هذا الا بدليل فكيف صار هؤلاء المتأخرون الجاهلون فوق الأئمة يقولون في دين الله تعالى بغير دليل حتى كأن الله تعالى أذن لهم ان يشرعوا للناس من الدين ما شاؤوا ان مناقشة هؤلاء عبث والرد عليهم قليل الجدوى في الغالب ولا يمنع إضلالهم للعامة التي تثق بهم لمواقفتهم لأهوائها في البدع والمعادات الخاكة عليها وانما السبيل الى ذلك ان يكثر العلماء الراسخون العارفون بدين الله تعالى ويقولون أمر التعليم والارشاد فن أراد ان يسمى في اقاذا المسلمين بما هم فيه من الجهل والبدع ويردهم الى أصل دينهم فليسع في هذا وهو ما يبتغي به بعض أصحاب الغيرة المصلحين اليوم وسيظهر أثره ان شاء الله تعالى عن قريب

على ان المؤمنين الذين يفسدون بمصنفاتهم ولا يصلحون قيمان : قسم طبع الله على قلوبهم وجدوا على ما اعتادوه وألفوه باسم الدين وصار لهم به حظ من المال والجاه حتى تودع منهم ووقع اليأس من رجوعهم الى الحق . وقسم آخر لا يزال على شيء من نور الفطرة وسلامة القلب فهو هؤلاء وان سدوا على أنفسهم باب الاستدلال لا يزالون محل رجاء فهم يعودون الى الحق اذا ظهر لهم نوره . فلهؤلاء أقول :

اننا ندعوكم الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى عليه وآله وسلم فان الله تعالى لم ينزل عليكم غير هذا القرآن ولم يرسل اليكم غير هذا الرسول (ص) وقد قال في كتابه انه أكل لكم دينكم فكل من زاد في الدين شيئا فهو غير مدعن لقوله تعالى (٣: ٦) اليوم أكملت لكم دينكم (ص) ولا قول نبيه (ص) في حديث أبي ثعلبة الذي حسنه النووي في الاربعين وصححه ابن الصلاح « ان الله فرض فرائض فلا تضيئوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » ندعوكم الى معرفة الكتاب والسنة والاهتداء بهما وان تستعينوا على فهمهما بما كتبه خدمتهما من أئمة الفقه والحديث والتفسير واللغة لانها كم عن الاستهداء

والاستماتة بكلام هؤلاء الأئمة بل ندعوك اليه ولكن لا تحصلوا كلام هؤلاء العلماء شرعا مقصودا لذاته وتركوا الاصل الذي كتبوا ما كتبوا لاجل خدمته وبيانه حتى يصير نسبنا منسيا فيصدق عليكم ما نناه القرآن على من قبلكم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم

أجمع سلف الأمة ومنهم الأئمة الأربعة على تحريم التقليد ونصوصهم في ذلك مشهورة ذكرنا كثيرا منها في (مخاورات المصلح والمقلد) ثم جاء المصنفون المقلدون فقالوا بوجوب التقليد العاجز عن الاجتهاد ولكنهم اجمعوا على انه لا يجوز تقليد المقلد وانما يجب تقليد الأئمة المجتهدين. ثم جاء المتأخرون يقولون بوجوب اتباع مثل ابن حجر وغيره من المقلدين فاذا كان قول مثل ابن حجر بوجوب التقليد ليس حجة عند أحد فهل يكون كلام مقلديه بما يعتقد به وهو كلام مقلد المقلد الذي لا يفهم الكتاب والسنة ولا يعرف كلام من يقول انهم هم الذين فهموها وينوها هم الأئمة المجتهدون؟؟ يدعي الشيخ عثمان بن عقيل وأمثاله في جاوه وحضرموت انهم متبعون للامام الشافعي رضي الله عنه ولكن الشافعي نص في كتبه على منع التقليد فكيف يكون المقلد متبعا له؟!؟

طبع في هذه الأيام كتاب الأئمة له مع رسالته في الاصول وطبع على هامشه مختصر صاحبه اسماعيل بن يحيى المزني فلينظروا كيف بدأ المزني مختصره بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معني قوله لأقر به على من أراده مع إعلاميه نبيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحيط فيه لنفسه وبالله التوفيق »

فالأئمة رضي الله عنهم ما تصدوا لبيان الكتاب والسنة ألا ليعينوا الناس على فهمها ولم يقصدوا أن يكون كلامهم شرعا يعمل به ويتروك الكتاب والسنة استفتاء به عنهما فهم مصلحون للكتاب والسنة لا شارعون فينبغي أن نستعين بكلامهم على الفهم ونفعل بما فهمنا

ذكر الشيخ عثمان في الفصل الثالث أن الأئمة أهل الاجتهاد المطلق مبنون للكتاب والسنة والعلماء أهل الاجتهاد في مذاهب الأئمة مبنون لكلام الأئمة

كالغزالي وأهل الترجيح والفتوى كابن حجر ميينون لكلام أهل الاجتهاد في المذهب ، فهو يعترف بأن أصل الدين وأساسه كتاب الله وأن السنة مبنية لما أجل فيه وأن الأئمة ميينون لسنة الخ ويرى هو وأمثاله ان الواجب على جميع المسلمين الآن اتباع أصحاب الطبقة الأخيرة من الميينين كابن حجر قلنا مع هؤلاء أسئلة : (١) ان علماء الأصول قالوا ان الوجوب هو حكم الله المقتضي للفعل اقتضاء جازما فمن أين أخذتم هذا الحكم الإلهي باتباع طبقة ابن حجر وهذه الطبقة لم توجد إلا بعد اقراض الأئمة الذين فهموا الكتاب والسنة والطبقة التي فهمت كلامهم ؟

(٢) ان بعض العلماء حصلوا الطبقات سنة والأخيرة التي يعتمد عليها هي طبقة الناقلين الذين لا يعتمد فهمهم ولا يبحثهم كما بينه ابن عابدين في رسم المقي فاذا أراد بعض العقلاء المستقلين من الافرنج ان يدخل في دينكم فكيف تهنونه بوجوب اتباع الطبقة الثالثة أو السادسة مع اقراركم بأنها لا تفهم أصل الدين وانما تفهم عبارات طبقة فوقها أو نقلها وتلك الطبقة لا تفهم أيضا بنفسها أصل الدين الخ ؟

(٣) اذا سلمنا لكم ما تقولون في هذه الدرجات من البيان وانكم أهل لان توجبوا على الامة حكما شرعيا لم يوجبه الله ولا رسوله ولا الصحابة والأئمة الذين فهموا كلامهما وهو إيجاب اتباع هذه الطبقة من مقلدي المقلدين فيما سمعوه يانا لبيان بيان أصل الدين أفلا يجب ان يكون بين هذه الطبقات من البيان وبين الأصل الميين اتصال يعلم منه أنه بيان له ويزداد الأصل اتصافا وجلاء ؟ أليس بهذا الاتصال يعقل أن يكون كلامهم يانا ولا يمكن أن يعقل ذلك بدونه ؟

(٤) هل يعقل أن يحتاج كلام الله الذي سماه يانا وتبياننا مع زيادة بيان الرسول (ص) له بأضاله وأقواله الى كل هذه الطبقات من الميينين ؟ ألا ينافي هذا الاحتياج كونه يانا وتبياننا وكون الدين قد كل قبل وفاة رسول الله (ص)

(٥) اذا رأينا في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة الثابتة عندنا حكما فهمناه وعقلناه ورأينا في كلام مثل ابن حجر ما يخالفه فهل يفرض الله علينا ان نترك كلامه وسنة رسوله الى كلام مثل ابن حجر لأنه ميين لكلام مثل السبكي الميين لكلام مثل الشافعي الميين للكتاب والسنة ؟ فنترك الأصل الصريح الواضح الى كلام يخالفه

بناء على انه مبين له في الدرجة الرابعة من البيان ؟؟ هل يقول عاقل أو مجنون ان بيان الشيء يكون بخلافه وقيضه . لو كان هذا السؤال مبنيا على شيء مفروض لصح أن يكون ناقضا لقاعدتهم فكيف وهو مبني على اساس ثابت وهو أن في كلام الفقهاء كثيرا من المسائل المخالفة لنصوص الدين لا سيما الاحاديث الصحيحة اخذوها من قواعدهم او من ترجيح حديث ضعيف على صحيح أو العمل به ابتداء فخطأوا وما كانوا معصومين . وقد اورد ابن القيم في (اعلام الموقعين) اكثر من سبعين شاهدا على ذلك قرا جمع فيه او في المجلد السادس من المنار . ومن هذه المخالفات ما هو للشافعية — وهو أقبلها — ومنها ما هو لغيرهم

وليس هذا بالامر بالتريب فان الائمة انفسهم كانوا يقولون القول ثم يظهر لم خطؤه فيرجعون عنه كما رجع الشافعي عن مذهبه القديم الى مذهبه الجديد وكما رجع علماء مذهبه الى بعض المسائل من مذهبه القديم فافتوا بها ترجيحاً لما على الجديد لظهور دلائل توثيقها وكما رجحوا بعض مسائل مخالفة للمذهب مطلقا كقول النووي في شرح صحيح مسلم ان الراجح من حيث الدليل ان نجاسة الخنزير كغيرها من النجاسات في الفضل وكقوى الغزالي بعدم تنجس الماء القليل الا بتغير اعداد وصفاته من النجاسة وكما صرح الامام مالك عند موته بأنه كان يرى الرأي في المسألة ثم يظهر له خطؤه فيه فيرجع عنه وبكى لاجل ذلك حين بلغه أن الناس اخذوا بقوله وقلده فيه وكما رجع بعض الصحابة عن خطأهم وهم اعظم من هؤلاء الائمة وأعلم كرجوع عمر (رض) في مسألة المهور الى قول المرأة التي ردت عليه وهو يخطب في المسجد . فكل أحد من العلماء عرضة للخطأ فيما يقوله لا غير معصوم فيه إما لنسيان الدليل كما نسي عمر قوله تعالى (وآتيتهم احداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا) فأراد أن يحدد المهر بمثل مهور بنات النبي (ص) واما لعدم علمه به لأنه لم يكن كل صحابي حافظا لكل القرآن ، وإما لعدم فهمه له كما اخطأ بعض الصحابة في فهم المراد من الخطيئ الايض والخطيئ الاسود وفي فهم كيفية تيمم الجنب ، وغيرهم أولى بمثل هذا الخطأ في الفهم

فاذا كان كل أحد من علماء الامة عرضة للخطأ فيما يقوله لما ذكرنا وما لم نذكر من الاسباب والشواهد فلا جرم ان كل من يأخذ بقوله من غير ان يعرف أصله من

الكتاب والسنة هو عرضة لهذا الخطأ ولهذا قال ابو حنيفة وغيره لا يجوز لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من ابن قلناه .

ونتيجة هذا كله أن كلام الأئمة يستعان به على فهم الكتاب والسنة ولا يترك الكتاب والسنة له بل يجعل فهمهما هو المقصود بالذات والعمدة في الاهتداء ولا يترك الامة تعلمهما والفقه فيهما قط ولا تهمل كلام أئمة العلماء والانتفاع بما فتح الله عليهم من الفهم فيهما مع البصيرة التي هي شأن المؤمنين

فطلب من هؤلاء المعارضين لنا في الدعوة الى الاهتداء بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم التي جرى عليها سلف الامة ان يهيئونا عن هذه الاسئلة .

أما طعن السيد عثمان بن عجيل في شيخ الاسلام ابن نية لأن مثل ابن حجر الميسي طعن فيه فنقول فيه كلمات تكفي لرجوعه عنه وتوبته ان كان قال ذلك عن سوء فهم لاعن سوء قصد كما نظن فيه ترجيحاً للخير على الشر وهي :

(١) إذا كنتم تهابون طعن العلماء بعضهم في بعض مطلقاً وتضلون كل من طعن فيه فانه لا يسلم لكم أحد من أئمتكم لا في الفقه كالشافعي ولا في الحديث كالبخاري ولا في الكلام كالأشعري ولا في التصوف كالشاذلي وابن عربي ولا من المتفتين كالغزالي كما هو مبين في كتب التاريخ والتراجم ونقله معتمدكم الشيرازي في أول كتاب اليواقيت والجواهر وغيره من كتبه وذكر التاج السبكي طائفة منه في طبقاته ومنها انهم طعنوا في والده التقي السبكي الذي هو عمدتكم في نخطبة ابن نية (٢) إذا كنتم تسلمون مصاً بأنه لا يجوز أن يضل كل من طعنوا فيه ولا أن يتبع كل طاعن في طعنه فإما ان تسكتوا عن الطعن في العلماء ولا تتحوضوا فيه وهو الاسلام أمثالكم وإما أن تبحثوا عن سبب الطعن وتحكموا فيه الدليل وأتم لا تدعون أهلية الحكم بين مثل ابن نية والتقي السبكي

(٣) إذا كنتم ترون أنفسكم أهلاً لهذه المحاكمة فلا يكون حكمكم عادلاً كما أمر الله من يحكم بين الناس ان يحكم بالعدل الا اذا اطلقتم على ما كتبه ابن نية في

المسائل التي أنكرها عليه السبكي وغيره من المعاصرين له (دع مانسبه اليه من بعدهم زورا وبهتانا) ورأينهم أدلتهم أطلقتم على كلام خصمه وأدلتهم . وأما الحكم على شخص بمجرد سماع كلام خصمه فهو ظلم بين كما هو بديهي

(٤) ان ما عراه ابن حجر الهيثمي إلى ابن تيمية من القول بان الرب تعالى محل للحوادث وان القرآن محدث وان العالم قديم بالنوع ومن القول بالجسمية والجهة وبان الرسول (ص) لا جاء له — كل ذلك مكذوب على ابن تيمية وكتبه الكثيرة مصرحة بخلاف ذلك ولم نر في كتب أحد من علماء الاسلام مثل ما رأينا في كتبه من الدلائل والبراهين على فني هذه الأباطيل وتفنيدها . فلما ان يكون ابن حجر قد سمع تلك المطاعن من بعض الكاذبين فصدقها — وهو المرجح عندنا — وإما ان يكون هو الذي اقتجر ذلك عليه وهو ما لا نلظه في مثله ، وإما ان يكون ذلك مدسوسا على ابن حجر وقد دس الفسدون كثيرا في الكتب كما يسن ذلك معتمدكم الشراني . ومهما كان سبب تلك المطاعن فهي لا قيمة لها مع استفاضة كتب الرجل بخلافها وقد طبع الكثير منها والله الحمد — ومنه رسالة التوسل والوسيلة التي قلنا منها نبذة في تفسير الجزء الماضي فيها إثبات الجاهلني (ص) ونقل في هذا الجزء نموذجا آخر منها — فليحكم ان تظلموا على هذه الكتب ان كنتم للحق تطلبون

(٥) ان كلام مثل ابن حجر في ابن تيمية معارض بكلام من هو أعلم منه بالرجال وبما قيل فيهم كسميته الحافظ ابن حجر المصقلاني وهو شيخ شيخه وأعلمهم بالرجال فانظروا ما ذا قل في ابن تيمية في كتابه طبقات الحافظ وغيره من كتبه . وبمثل قوله فيه وثأته عليه واعترافه له بمشيخة الاسلام قال واثني واعترف أكابر الحافظ في عصره وبعد عصره وشهدوا له بالاجتهاد المطلق

(٦) ان كتب ابن تيمية أكبر شهادة من كل أولئك العلماء على كون الرجل وصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق وقصارى ابن حجر انه في رتبة المرجحين في فقه الشافعية

فاين الثريا واين الثرى واين معاوية من علي

هذا مانسبه اليه السيد عثمان صاحب رسالة فصل الخطاب التي أرسلت إلنا حديثا

وقول انا نحسن الظن فيه وان جاءنا فيه مطاعن كثيرة من علماء بلاده قالوا فيها انه عون الطالبين ونصير المستبدن واتنا بما يقرب علينا من حسن الظن فيه نرى اذا تدبر كلامنا هذا رضىه واذعن له ان رآه حقا كما نرى ونعتقد وان رأى فيه شيئا باطلا بينه لنا بالدليل عملا بوجوب التصححة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفرق بيننا وبين المتكرين علينا انا لا نقول شيئا بغير دليل واتنا نصرح على رموس الاشهاد بأننا نرجع الى الحق اذا ظهر لنا دليله . وانهم يقولون بغير دليل واذا قامت عليهم الحجة أعرضوا وادبروا ، وولوا واستكبروا ، الا من كان منهم مخلصا في إنكاره فانه يرجع الى الحق اذا ظهر وكان الله للأولين غفورا

ثم نقول لصاحب السؤال ولأمثاله الذين يكلفوننا المرة بعد المرة الرد على الطاعنين في شيخ الاسلام ابن تيمية بالتفصيل عليكم بالكتاب الجديد الذي استعهي ذلك وطبع في هذا العام المسمى (غاية الأمان في الرد على النبهاني) وهو مجلدان كبيران لأحد علماء العراق الأعلام

هذا - وأما ترجمة القرآن فلنا فيها فتوى طويلة نشرت في المجلد الحادي عشر فتراجع فيه (ص ٢٦٨) فانها نفي عن قراءتنا للرسالة التي كتبها الشيخ عثمان ويان خطأها من صوابها

﴿ تنبيه للمستفتين ﴾

ان من أسباب اغفال بعض الاسئلة أو تأخيرها زمنا طويلا لا يجاب عنها وضع السائل إياها في ضمن خطاب يتكلم فيه عن أمور أخرى كالاشتراك في المناو أو طلب بعض الكتب . فأمثال هذه الخطابات نحفظ في أوراق حسابات المآر أو حساب المكتب ولا نجد في الغالب وقتا لتسخر السؤال منها . واما الاسئلة التي تكتب في ورقة مستقلة فانها نحفظ في ظرف وحدها ثم تعطى المطبعة عند ارادة الجواب عنها فلا نكلفنا ان ننسخها . فطلى المستفتين ان يكتبوا أسئلتهم في ورقة على حدة إذا أحبوا ان لا تغفل ولا تؤخر كثيرا

نموذج

﴿ من كتاب التوسل والوسيلة ﴾

لشيخ الاسلام ابن تيمية الذي طبع في هذه الايام. قال بعد بحث وتحقيق مانصه:

اذا عرف هذا فقد تبين ان لفظ الوسيلة والتوسل فيه اجمال واشتباه
يجب ان تُعرف معانيه ويمطلي كل ذي حق حقه فيعرف ماورد به الكتاب
والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعني ذلك
ويعرف ماأحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه فان كثيرا من اضطراب
الناس في هذا الباب هو بسبب ماوقع من الاجمال والاشتراك في
الالفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب،
فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة) وفي قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاه) أولئك الذين يدعون يبتغون
الي ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا) فالوسيلة التي أمر الله ان تبتغى اليه واخبر عن ملائكته
وانبيائه أنهم يبتغونها اليه هي مايتقرب به اليه من الواجبات والمستعبات
فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تناول كل واجب ومستحب
وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرما أو
مكروها أو مباحا فالواجب والمستحب هو ماشرعه الرسول فأمر به

أمر إيجاب أو استحباب ، وأصل ذلك الايمان بما جاء به الرسول فإجماع
الوسيلة التي أمر الله الخلق باتقانها هو التوسل اليه باتباع ما جاء به
الرسول لا وسيلة لأحد الى الله الا ذلك

والثاني لفظ الوسيلة في الاحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم «سلوا
الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن
أكون انا ذلك العبد فن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة»
وقوله «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابشعته مقامًا محمودًا الذي وعدته انك لا تخلف
البيعة حلت له الشفاعة» فهذه الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقد أمرنا
ان نسأل الله له هذه الوسيلة واخبرنا انها لا تكون الا لعبد من عباد الله
وهو يرجو أن يكون ذلك العبد وهذه الوسيلة أمرنا ان نسألها للرسول
واخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لان
الجزاء من جنس العمل فلما دعوا للنبي صلى الله عليه وسلم استحقوا أن
يدعوا هو لهم فان الشفاعة نوع من الدعاء كما قل انه من صلى عليه مرة
صلى الله عليه بها عشرة

واما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة
فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته . والتوسل به في عرف كثير من
المأخريين يراد به الاقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الانبياء
والصالحين ومن يمتقدون فيه الصلاح

وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسامحين ويراد به معنى

ثالث لم ترد به سنة «فاما المعنيان الاولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما هو أصل الايمان والاسلام وهو التوسل بالايمان به وبطاعته والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم فهذا جائز ان باجماع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم انا كنا اذا أجد بناتنا توسلنا اليك ببنيينا فتسقيننا واننا توسل اليك بهم ببنيينا فاستقنا أي بدعائه وشفاعته «وقوله تعالى (واقتنوا اليه الوسيلة) أي القرية اليه بطاعته وطاعة رسوله طاعته قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فهذا التوسل الاول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين

واما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر فانه توسل بدعائه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التوسل به الى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس فلما عدلوا عن التوسل به الى التوسل بالعباس علم ان ما يفضل في حياته قد تعذر بموته بخلاف التوسل الذي هو الايمان به والطاعة له فانه مشروع دائما

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة ممان أحدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الايمان الا به والثاني التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيمة يتوسلون بشفاعته والثالث التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الادعية المشهورة بينهم «وانما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سندك ذلك ان شاء الله تعالى وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ونهوا عنه حيث قالوا لا يطأل

بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة . وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة « قال بشر بن الوليد : حدثنا أبو يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك . وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف بمعاقد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشر الحرام . قال القدوري المسئلة بخلفه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا تجوز وفاقا « وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه من أن الله لا يستل بمخلوق له منيان أحدهما هو . وافق لسائر الاثمة الذين يمنعون أن يقسم أحد بالمخلوق فانه اذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى . وهذا بخلاف اقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل اذا ينشى والنهار اذا تجلى والشمس وضحاها والازاعات غرقا والصفاءات منها فان اقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته البرالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه اقسامه بخلاف المخلوق فان اقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من حلف بغير الله فقد اشرك » وقد صححه الترمذي وغيره . وفي لفظ « فقد كفر » وقد صححه الحاكم وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال « من كان حالفا فليحلف بالله » وقال « لا تحلفوا بآبائكم فان الله بهاكم ان تحلفوا بآبائكم » وفي الصحيحين عنه انه قال « من حلف باللات والعزى فليقل لا اله الا الله » وقد اتفق المسلمون على انه من حلف بالمخلوقات

المحترمة أو بما يتقدم هو حرته كالعرش والكعبة والمسجد الحرام
 والمسجد الأقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين
 والملوك وسيوف المجاهدين وتربب الأنبياء والصالحين وإيمان السدي
 وسراويل القوة وغير ذلك لا ينعقد بهينه ولا كفارة في الحلف بذلك
 والحلف بالخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة
 وأحمد القولين في مذهب الشافعي وأحمد وقد حكي إجماع الصحابة
 على ذلك . وقيل هي مكروهة كراهة تنزيه والأول أصح حتى
 قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر : لأن
 أحلف بالله كاذبا أحب إليّ أن أحلف بغير الله صادقا . وذلك لأن الحلف
 بغير الله شرك والشرك أعظم من الكذب . وإنما نurf النزاع في
 الحلف بالأنبياء فمن أحمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان
 أحدهما لا ينعقد اليمين به كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي
 والثانية ينعقد اليمين به واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي وأتباعه .
 وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصر أ كثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي
 صلى الله عليه وسلم خاصة وعدي ابن عقيل هذا الحكم إلى سائر الأنبياء .
 وإيجاب الكفارة بالحلف بخلق وإن كان نبيا قول ضعيف في الغاية
 يخالف الأصول والنصوص فالأقسام به على الله والسؤال به بمعنى الأقسام
 هو من هذا الجنس ،

(المنار) ثم حقق المصنف مسألة سؤال الله بما ليس سببا للإجابة كسؤاله بخلقه
 وسؤاله بما هو سبب شرعي للإجابة كالإيمان والطاعة . وقد أودعنا بمض كلامه
 في تفسير الجزء الماضي (السابع) ثم قال من فتوى أفناها بمصر مانعه :

فاما التوسل بذاته في حضوره أو مفقبيه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الانبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان ومن بحضرتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لما اجذبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس وكزيد ابن الاسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا الى البديل كالعباس وكزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال: عمر اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقيننا وانا نتوسل اليك بهم نبينا فاسقنا. فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تمدن ان يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن ان يأتوا الى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الالفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك بنبيك أو بجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس

وروي بعض الجهال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: اذا سأتم الله فأسأله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم، وهذا الحديث كذب ليس في شيء، من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع ان جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الانبياء والمرسلين وقد أخبرنا سبحانه عن موسى وعيسى عليهما السلام انهما وجيهان عند الله فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)

وقال تعالى (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بكلمة منه اسمع المسيح عيسى بن مريم وجيبا في الدنيا والآخرة ومن المقربين) فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم صاحب المقام المحمود الذي يبعثه به الاولون والآخرون، وصاحب الكور والحوض المورود الذي آتته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل ومن شرب منه شربة لم يظم بعدها أبداً، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو المزم نوح و ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويتقدم هو اليها، وهو صاحب اللواء آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل، وهو امام الانبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا ذو الجاه العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله

ولكن جاء المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاء المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً لقد احصاهم وعدم عدا) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى لهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيمضى بهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطالب والله تعالى لا شريك له كما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من

شرك وما له منهم من ظهور * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)
وقد استفاضت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى
عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك ونهى عن اتخاذ قبره عبدا
وذلك لان أول ما حدث الشرك في بني آدم كان في قوم نوح قال ابن
عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان نوحا أول رسول بعثه الله الى
أهل الارض وقد قال تعالى عن قومه انهم قالوا (لا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا
تَذَرُنَّ وُدَّآ وَلَا سِوَاعَا * وَلَا يَفُوتُ وَهْمُكُمْ وَأَسْرَأُ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا) قال
غير واحد من السلف هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا
على قبورهم فلما طال عليهم الامد عبدوهم . وقد ذكر البخاري في صحيحه
هذا عن ابن عباس وذكر ان هذه الآلهة صارت الى العرب وسمي قبائل
العرب الذين كانت فيهم هذه الاصنام

فلما علمت الصحابة رضوان الله عليهم ان النبي صلى الله عليه وسلم حسم مادة
الشرك بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد وان كان المصلّي يصلي لله عز وجل كما
نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ثلاثين يوما به المصلين للشمس وان كان المصلّي
انما يصلي لله تعالى وكان الذي يقصد الدعاء بالميت او عند قبره اقرب الى
الشرك من الذي لا يقصد الا الصلاة لله عز وجل لم يكونوا يفعلون ذلك
وكذلك علم الصحابة ان التوسل به انما هو التوسل بالايان به وطاعته
ومحبته وموالاته والتوسل بدعائه وشفاعته فلماذا لم يكونوا يتوسلون
بذاته مجردة عن هذا وهذا فلما لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئا

من ذلك ولا دعوا بطل هذه الادعية وهم اعلم منا^(١) واعلم بما يجب الله ورسوله واعلم بما امر الله به رسوله من الادعية وما هو اقرب الى الاجابة مما بلّ وسألوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم - دل عدولهم^(٢) عن التوسل بالافضل الى التوسل بالمفضل ان التوسل المشروع بالافضل لم يكن ممكنا الخ

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الدكتور شبلي افندي شميل ﴾

اطلعت في مجلة الهلال شهر حزيران سنة ١٩٠٩ على مقالة للدكتور المومنا اليه بحث بها بحثا فلسفيا يخال المطالم من أول وهلة ان الدكتور قصد به محاربة الاديان السماوية على الاطلاق بما توخاه من نفي انطلق واثبات النشوء وقد عجت بهسد اطالته لتأييد هذا المذهب الجديد من قوله : « لاهياء في الدين » وهذا مما يدل ان للدكتور ديننا فاهو دينه يا ترى ؟

سمى اخرا ان الدكتور المومنا اليه لاختد توقيع بعض الناس لانتخابه عضوا في مجلس الاعيان النماني بصفة انه عالم مسيحي والعلانية والمسيحية صفتان مرتبطتان بنواميس وقواعد توجب السلامة لكل بني البشر باعتبار ان لاسلم أصولا قضوي باحتاق الحق كما ان الدين قانون لمكارم الاخلاق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكنت أستغرب عدم تعيين المومنا اليه بهذا ذلك الانتخاب ولعل الذين رفضوا

- (١) يحتمل ان يكون ههنا شيء محذوف وهو ما يأتي نظيره في لاحق الكلام ويحتمل ان يكون المراد انهم أوسع علما منا على الاطلاق ثم عقد العقير على المطاف
- (٢) هذا جواب قوله فلما علمت الصحابة الخ

قبول تعيينه عضوا في المجلس الآف الذكر عرفوا ان الدكتور على مذهب دارون وانه ليس بمذهب معقول ولا مشروع ولا له اتباع في البلاد العثمانية ليكون نائباً عنهم لان أصحاب الاديان المعرونة هم المسلمون والنصارى واليهود .

كنت أقف مهزوتا كلما نظرت إلى مصوّر الانسان دأطلس رسوم هياكله على اختلاف أشكالها » وما احتوت عليه من تراكيه الكلية والجزئية الظاهرة والخفية التي لا تدون ولن تدون لانطواء كل شيء في العالم الكبير العظيم ضمن هذا الجرم الصغير وكنت أكرر تمجيد قدرة الخالق سبحانه كلما تأملت في الوعية والاوردة والادوات والمصانع وأسبجه وأقدسه لإعطائه كل شيء خلقه وهدايته إلى استعمال وظيفته وانشد قول الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في توجيه الخطاب إلى الانسان

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وأقول في نفسي ان الاعباء يلزم ان يكونوا أكثر الناس اعتقاداً بتوحيد الخالق سبحانه لوقوفهم على حقائق ودقائق ولطائف في تركيب الانسان لا يعرفها غيرهم كما انه لا رنا نسمع عن أساطين الاعباء انهم كلما اكتشفوا شيئا جديدا يقولون ان الطب لم يزل طفلا » وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

وبالنظر الى الدقائق واللطائف والرقائق المنطوية في العالم الانساني قل بعض علماء الصوفية » من عرف نفسه فقد عرف ربه »

واذا قلنا - وهو الواقع - ان الاعباء أكثر الناس علما بنظام العالم الانساني فهل يسلم العقل انهم ينسبون الى الطبيعة الجامدة غير المتصفة بالعلم والقدرة والارادة انها أوجدت هذا الانسان العاقل بالشئ » سبحانه هذا بهتان عظيم »

الكون موجب للحيرة أو هو بمعجابه محل للحيرة ولذلك قال بعض شيوخ علماء التصوف » المعجز عن درك الادراك إدراك »

واذا كانت علوم مدينة اور بالبواعث تقف تأدبا عن ايرادها قد احتوت على الاحاد فقد احتوت ايضا على علوم ذات فوائد عظيمة اجتماعية واخلاقية واقتصادية

وسياسية الى غير ذلك والشرق بحاجة اليها وخصوصا بدورنا الدستوري ذلك الدور السعيد الذي يقضي بتوحيد مشارب عناصر الوطن وتماسكهم لكي يستمدوا بالوطن ويسند بهم وذلك يستلزم ان ينقل الى الوطن من علوم مدينة اوربا ما يعود عليه وعلى امانه بالخير واسمى المطالب وخصوصا لجنة البحث عن احوال بلاد النمسا والمجر المشابهة من حيث تعدد العناصر للبلاد العثمانية و بيان البواعث التي قضت بوحدة تلك العناصر واقاها وقيامها شعبا واحدا يؤيد مصلحة الوطن ويعزز قوته

ألم يكن البحث بمثل ذلك خيرا واعم نفعامن تأييد مذهب داوون ذلك المذهب الذي قضاياه تخيلات افراضية صورها الوهم وقربها الاعتقاد بها وهي لا يمكن ان تحل في محل دين من الاديان مطلقا . نعم ان من يميل اليها يكون حجر عثرة في سبيل العفاف والاإنسانية والعدالة تأخذ بيد من مال معها الى الاهواء وتجسره على فك ارتباطه من قيود الدين الاديية فتسوء عاقبته ويتحمل صاحب هذه البدعة مثل وزير ذلك المسكين الذي مرق من الدين بالاغواء وزخرف القول الموه

ومن المؤكد ان الاعتقادات الفاسدة التي تناقض الدين فضلا عن انها تبعد الانسان عن خالقه فهي توجب شرورا تؤخر الوطن بأديياته ومادياته فترجو من أفاضل الشرقيين الذين وهبوا العلم أو تحصّلوا عليه بمجدهم ان يتحفوا الشرق بنور فوائد أوربا وحسناتها ويدعوننا من إلحاد الملحدين لأن الحسن في نفسه حسن وبوجب حسن الاحسنوة والسعي في نفسه سيئ ويوجب سوء العاقبة اجارنا الله من ذلك وان يينا الصدق في القول والاخلاص في العمل

بيروت عبد القادر قباني

(المنار) صاحب هذه الرسالة يعرفه كثير من قراء المنار ومنهم من لا يعرفه . هو شيخ وجمال الصحافة وكبيرهم عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون التي هاشت أكثر من ثلث قرن وأوقفت في العام الماضي وكانت مديراً للمعارف ببيروت الى ذلك العام . وقد جرى في دفاعه عن الدين في رسائله هذه على ما تمؤد فجزاه الله عن نفسه ودينه خيرا .

ولكنه جاء بشيء من المبالغة في الكلام عن مذهب داوون ومخالفته للدين

وافضائه الى الشرور حتى جوز ان يكون هو الذي منع جمل الدكتور شميل عضوا في مجلس الاعيان كما طلب الكثيرون من السوريين : . وعجيب من مثل القباي ان يخطئ هذا في باله ! وهل يظن انه لا يوجد في رجال المجلس العمومي من المبهوتين والاعيان من يقول بصحة رأي دارون في تباين الأنواع ؟ وهل كان الكاتب نفسه يمنع كتب دارون وكتب من على رأيه من المدارس وغير المدارس لو بقي مديرا المعارف بعد الدستور أو صار ناظرا للمعارف العمومية ؟

أؤكد لصديقي الكاتب ان مذهب دارون لا ينقض — ان صح وصار يقينا — قاعدة من قواعد الاسلام ، ولا يناقض آية من آيات القرآن ، وأعرف من الاطباء وغيرهم من يقولون بمثل قول دارون وهم مؤمنون بإيماننا صحيحا وسلمون إسلاما صادقا يحافظون على صلواتهم وسائر فرائضهم ويتركون الفواحش والاهم والبغي التي حرم الله تعالى عملا بدينهم . على ان هذا المذهب عظمي ليس من موضوع الدين في شيء .

ثم اتني أعلم ان الدكتور شميلا لم يكتب ما كتب ردا على صاحب مجلة الهلال الا إنكارا لبعض ما قاله في الاستدلال على صحة الدين من طريق العلم ولم يقصد بذلك التعرض لإبطال الدين نفسه ، أعني ان بحثه كان في الدليل لا في المدلول . وهو وان كان غير متدين لا يستجيز الكتابة في إبطال الدين والتغيير عنه بل انكر قولا وكتابة على جماعة من ايطاليا انشأوا مدرسة في الاسكندرية ظهورا فيها بمقاومة الدين . ولو كانت كتابته للهلال في الاعتراض على الدين لكننا ممن عني بالرد عليه لا فرق بين الدكتور شميل وبين الكثيرين من اهل بلادنا الذين يرون رأيه في الدين وأكثرهم من النصارى المعلمين (أي من النصارى جنسية لا اعتقادا) الا أنه هو يصرح برأيه لأن ظاهره وباطنه سواء لا اتفاق عنده ولا جبن ولا مصافاة . والذين يجادلون علمه واختاره لم يسعوا الى جملة عضوا في مجلس الاعيان للدفاع عن مذهب دارون فانهم يعلمون ان مجلس الاعيان لا يعرض عليه هذا المذهب ليدي رأيه فيه وانما أحبوا ان يكون في ذلك المجلس عضو عربي سوري هو من أوسع الصنائين

علما واختيارا ، وأشدّهم حرية واستقلالاً ، وحرصاً على عمران البلاد ، وارتقاء أهلها في العلوم والآداب ،

أما قول الكتائب الضوّر أن الاعلاء يلزم أن يكونوا أكثر الناس اعتقاداً بتوحيد الخالق فهو صحيح وهو يعني أنهم يجربون بأن يكونوا أشدّ اعتقاداً وأقوى توحيداً وما رى إلا أن المؤمنين منهم بالله تعالى موحدون لا شرك في إيمانهم ولا وثنية كما في إيمان أكثر الناس (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وليس للكتائب أن يعجب من حرمان بعضهم من الإيمان وهو قد صرح بأن الكون موجب العبادة أو هو بعجائبه محل الخيرة . والكلمة التي عزّاهّا في هذا المقام لمض شيخ الصوفية يمزونها إلى الصديقي الأكبر وهل يظن أن أحدًا من علماء الكون - الطب وغيره - الكافرين موقن في نغره ؟ كلاً إن هم إلحاحون ولكن الحائرين فريقان فريق نشأ على دين وترى عليه فضل لا بسأله ، وفريق نشأ وترى في مهد الحرية والاستقلال كلاً فرنج ومن تلا تلوههم فهم في حيرتهم هذه لا يلبسون لباس الدين

أما سبب فشو الكفر في هؤلاء الناس فهو أنهم يتعاملون العلوم الكونية باحسن الأساليب وأقرب الطرق إلى الأذهان ولا يتعلمون معها ديناً يتفق معها ويرون فيما عليه أهل الأديان كلها أباطيل يقضها العلم نقضاً ويهدمها هدماً . ولا يوجد الآن في الأرض دين يتفق مع العلم إلا دين الإسلام الذي هو دين القرآن لا دين جماهير المسدين الذين يمتسون أخيرات والحسنات ، ويدفعون الشرور والسيئات ، بالاستغاثة بالآلوف من الأموات ، والطواف بقبورهم والتمسح بما ينسب إليهم من قبر حجري أو خشبي ، وقصص من نحاس أو حديد ، وباب من الخشب ، وعمود من الرخام ، وشجرة من الأشجار ، وحجر من الأحجار ، وبئر من الآبار ، وجلد من النعال ، وخرقة من القماش ، — الذين يضيق دينهم عن قلنسوة أو كفة تلبس للوقاية من الشمس ، فما بالك بما لا يحصى من مكتشفات العلم وتأنج العقل !

فهل أيها الكتائب الضوّر تعاون على جهاد البدع والخرافات ، والتقاليد والعادات ، التي الصقت بهذا الدين فجعلته كغيره أو أشوه من غيره في نظر العالمين ، ونجّاهد أنصار هذه الضلالات من أرباب العلم ، الذين هم أضر على الدين من مذهب

دارون ، لعله يتيسر لنا اتقاذ الاسلام من هؤلاء الجاهلين واخراجهم من جحر الضب الذي وضعوه فيه ، ونبين لاهل العلوم والعرفان انه بريء من هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، واتخذوه هزوا ولعبا ، وانه هو الخيفة السمحة وهم المائلون المضيقون ، وانه فطرة الله التي فطر الناس عليها هم عن الفطرة ناكبون ، وانه موافق لمصالح البشر في كل زمان ومكان وهم لا يوافقون ، فاذا نجحنا في هذا فانا الضامن لك على الاطباء والكيماويين ، والطبيين والفلكيين ، والاجتماعيين والاشرافيين ، والقانونيين والسياسيين ، ان يفضلوه على جميع الاديان ، ويرجعوا جعله دين المدنية في هذا الزمان رأيتك هذا الدكتور شميل الذي ترد عليه ، انه يقول في كل نادوسامر ، وعلى مسمع من المؤمن والكافر ، انه لا يوجد دين اجتماعي إلا دين القرأت ، فهو بهذا القول يدعو إلى نصف الاسلام وهو النصف الديني منه ولكن يوجد فينا كثير من أصحاب العلم ينفر عنه بقسميه الديني والأخروي !!

واما ما أشار اليه الكاتب الفيور من حث امثال الدكتور شميل على وضع المؤلفات في الفنون والعلوم العصرية النافعة للامة في هذا العصر فهو أفضل ما ينبغي الحض عليه والترغيب فيه لتكون لمة البلاد غنية بعلمائها ، وسيكون هذا على قدر عناية الأمة والحكومة بالعلم والله الموفق وبه المستعان

﴿ المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت ﴾

(مقدمة رسالة) قد كان من سينات الحكومة الاستبدادية لاسما الحميدية منها ان يذل المسلمون لكل خسف يتألم حتى العبث بدينهم لأن السلطان عبد الحميد كان قد منع المسلمين من جميع أنواع الاجتماع ومن الحديث والكتابة فيما يتعلق بالأمور العامة ومن تقديم الشكاوى للحكومة في المظالم العمومية دينية كانت أو دنيوية فلم يكن للامة ان تقدم محضرا وانما كانت الشكاوى خاصة بالأفراد ! ولما سقطت سلطته لاستقى الله عهدا - كان مما شكاهه التلاميذ المسجون في المدرسة الكلية الامريكانية بيروت وشابهم عليه الرأي العام إلزام المدرسة بإياهم بتعلم الديانة النصرانية وحضور عبادتها في الكنيسة كما علم مما نشرناه في العام الماضي . وقد انتهى

الامر الآن بما يعلم ويعلم مقدار السخط منه من الكتاب الآتي :
 سيدي وحل الاسلام والمسلمين السيد رشيد افندي رضا حفظه الله
 عرقم بالتفصيل ما صار اليه أمر الاعتصاب الاسلامي في الكلية وكيف ان
 العمدة تلافت الخطر المحقق بها باعفاؤها التلامذة من حضور الكنيسة مؤقتا والآن
 وقد أوشكت السنة المدرسية ان تنتهي لم نسمع إلا والرئيس يستقدم التلامذة من
 مسلمين ويهود لفرفت طالبا منهم التوقيع على صك تعهدا منهم بالقيام بالواجبات
 الدينية في السنة المقبلة من دخول كنيسة ودرس تورا وتهييل حسب الشروح
 والتعاليم البروتستانتية التي يفر منها المسلم ويشك في صحتها كل من له مسكة
 من العقل واذا أنس من أحدهم رفضا أو ترددا يفتنه بصدقه قبوله في السنة الثانية
 حتى ولو لم يبق له إلا سنة أو سنتان لئيل الشهادة وقد وقع هذا فعلا مع أحد
 العثمانيين الاسرائيليين .

فإركن الاسلام المئين أطلب منك ان تحمل بقلبك وعملك وقاؤيك الحلة
 الشعواء على خطة الكلية ونظير الملاء سوء فيها وتهدد لهم الاضرار الناجمة عن
 تساهل المسلمين في أمور دينهم حتى لا يبقى عذر للأباء ولا حجة للابناء ، وإن الكلية
 لفي خوف من المسلمين ولا سيما إذا وجد من يحركهم تحريكاً لا تعمله القوة الكبر بائية
 لفسد ما بنوه من الاوهام منذ اثنتين وأربعين سنة

عرفتك فيما مضى تحض المسلمين على إيجاد مدرسة للاستعاضة عن الكلية قبل
 مناقشتها الحساب أو قبل الرغبة بها بإصلاح نظاماتها فنعهم الرأي وأهلك والنصيحة
 نصيحتك وقد عرف كل مسلم المالك من التقدم الراسخة وبعد النظر في الامور العقلية
 والقليلة ولكن باسيدي ما عسانا نفعل وقد دفع المسلمون الى الاعتصاب بتأثير من القوى
 الطبيعية وقوانينها التي سنها الله واهم تلك القواعد هي أن كثرة الضغوط تستوجب الانفجار
 فيامن اتخذك الكبير اخا والصغير اباً مد يد المساعدة الى مسلمي الكلية وحرض
 المصريين بمجرائهم اليومية ومجلانهم للاعتراض على الكلية فلقد عرفنا أن
 ليس للمدرسة من حجة تستند عليها ولقد أقر كاتب العمدة امامي بان المدرسة عثمانيّة
 تتبع كل أمر مصلحه الاستانة ، وذكرهم ان ما علينا إلا أن نصب الشكوى من جميع

الجهات واعلم أن كل ما تفعله الكلية لتأييد مركزها هو من باب السياسة وليس له غل من الحقيقة واعلم أن ليس كل كلام يصدر عن كاتب له تأثير ككلامك فكأنني بالاسد الآن وقد ثار من مريضه مدافعا عن الاشبال خيفة ان يصيبهم اذى من الاغرار ليظهر ان للاسلام صوى «ومتاراً» يستضاء بنوره اذا اشتد حالك الظلام فلا زلت للاسلام عضداً والمسلمين مرشداً

مقر بفصلك

يبروت

عبد القادر القندور

(المار) هذا الذي عملته المدرسة الآن هو الذي كنا نحسبه فان هؤلاء الافرنج أشد خلق الله تعصبا للدين وهم الذين تفخروا روح التعصب القديم في الشرق كما يتنا ذلك مراراً ولكنهم هم ومن ربوه على تعصبهم يشيعون في بلادنا أن الشرق هو مهد التعصب « رمتي بداؤها وانسلت » حتى راج تزييفهم هذا على الجمهور وزمان ولا يبعد ان يبدو كراهتلا كراههم إيانا على دينهم تعصبا منا وتساهلا منهم !!!
لنهم علوا ان الحكومة العثمانية الآن تمنعهم من اكرام غير النصراني على التعاليم والأعمال النصرانية ولا يمكنهم أن يعشوا بها كما كانوا يعيشون في زمن عبد الحميد فلدأوا الى هذه الحيلة التي ليس أمامهم سواها ولا يرجعون عنها بحجة الجبر اذ عليهم لأن بث دينهم هو الفرض الأول لهم من مدارسهم لاسيما في الشرق فلا يثنيهم عنه شيء الا ان يكون قوة الحكومة والحكومة لا تمنع الا الاكرام

فالرأي إما ترك التلاميذ المسلمين لهذه المدرسة ان كانوا يستغنون عنها بغيرها، وإما البقاء فيها مع تلافي ضرر التعاليم المخالفة لدينهم وجعل ذلك ذريعة الى منافع أخرى دينية ودنيوية أما الاستغناء عن المدرسة بمثلها أو خير منها فلا سبيل اليه اذ لا يوجد في بلادنا مثلاً في تعليمها وزيتها وأما الثاني فهو ميسور والذي نفيه اليه منه أمور (١) مطالعة الكتب الاسلامية التي تبين حقيقة الاسلام ككتب الاستاذ الامام وأفواله في التوحيد والتفسير والنسبة بين الاسلام والنصرانية وكتاب روح الاسلام للقاضي أمير علي (٢) مطالعة الكتب التي تعارض كتبهم التعليمية الدينية ككتاب اضرار تعليم التوراة والانجيل لأحد علماء الانكليز وهو يوجد بالمرية والانكليزية وغيره من الكتب الانكليزية التي يمكن ان يرشدكم اليها سليم افندي التنير (٣) المواظبة على

الصلوات الخمس لا سيما مع الجماعة اذا امكن وغير ذلك من الاعمال الاسلامية كالصيام في هذه الايام (٤) ما أمر الله به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر ومنه التواصي باعداد النفوس لمسابقة القوم الى مثل عملهم في الجمع بين العلم والدين وانشاء مثل هذه المدرسة في بيروت وغيرها من البلاد فان عملهم هذا مما يحمد

قد بينا فيما كتبناه عن مسألة هذه المدرسة في انعام الماضي ان المسلم لا يكون نصرانيا كما قال السيد جمال الدين وغيره من العارفين ، وقتنا هناك أيضا ان هذا التعصب من هؤلاء الافرنج لا سيما القائلين بأمر هذه المدرسة هو الذي يحجب الشهور الديني في نفوس غير النصارى من التلاميذ في هذه المدرسة فعمل رجال المدرسة يأتي بتقيض ما يريدون منه ويصدق فيه على المسلمين قوله تعالى (٢: ٢١٦) وعسى ان تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

ان المسلم البصير بدينه لا يمنع من النظر في كتب أي دين من الاديان ، ولا من سماعها ولكن علماء الاسلام متفقون على انه لا يجوز للمسلم ان يتلبس بعبادة أهل دين آخر ويمدون تلبسه بها الذي يكون به كأهلها لا يميزه الرائي عنهم من الردة فاذا ثبت عند القاضي ذلك في دعوى ارث مثلا فانه يحكم بأن من هذا شأنه لا يرث من أيه المسلم . وما أظن ان تعصب عدة المدرسة يصل الى هذا الحد فان هم وصلوا اليه ورفع الامر الى الحكومة فانها تمنعهم منه بلا شك سواء تهموا بالتلميذ به أم لا ، نعم ما كل ما يحكم به في الظاهر يوافق الباطن ، وما كل ما يسميه لنصارى صلاة دعاء ممنوع عندنا ولكن التشبه بهم فيما هو خاص بهم من أمر الدين ممنوع قطعا

﴿ علط فاحش يجب اصلاحه بالقلم ﴾

في السطر ٢٣ من صفحة ٥٧٨ وفي السطرين ٣ و ٤ من صفحة ٥٧٩ من مجلد النار الحادي عشر: ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ أي فضل خاص لا يشاركهم فيه غيرهم وهو عناية بهم وتوفيقهم ، وصوابه هكذا : ﴿ ان الله غفور حلیم ﴾ لا يجعل بتحريم المقاب ومن آياته مغفرته لهم وحلته بهم توفيقهم وفي السطر الاول من صفحة ٥٧٨ من الجزء الماضي: كلمة « السابع » وصوابها التاسع

المسحاة

١٣١٥

بقي الحكماء من يشاء من يؤمن بالحكمة هذا رأي
غير أكابر وعلماء كثر إلا أن الألباب

غير صادى الذين يستمعون القول فيؤمنون به
أو تلك الذين هداهم الله وأولئك هم أول الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق »

(مصر - الخميس ٣٠ رمضان ١٣٧٧ - ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٨م)

أبو حامد الغزالي *

٦

« رأيه في إثبات مذهب أهل الحق من المسلمين »

« وفي مذهب الباطنية أهل التلقيم »

(وفيه رأيه في آيات النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف)

(تمهيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين ديناً واحداً والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في الأصول والفروع ووقع المسلمون فيما نهاهم الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق إلى شيع متعددة كل شيع منها تقتل مذهباً ولم يضر المسلمين في دينهم ودنياهم شيء . كذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء ، كما شدد في النهي عن الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضيع كثيرة من المنار وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الأمة مذهب الباطنية الذين ذهبوا إلى ان للدين ظاهراً وباطناً وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وأنه لا يمكن ان يعرف

(*) ناه لما نشر في (س ٦٠١) من المجلد الحادي عشر

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الاصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكواكب المروءان وإنما يراد بهما غلان وفلان وجب تصديقه فلا يمارض شيء من تعطيه بمخالفة اللغة ولا العقل ولا النص ١١١

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر بمظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لبيانها ، والدرجة الأخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق المطلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب (تعالى الله عما يقولون) وقد ظهروا في أطوار وتسموا بأسماء أشهرها في زمن الفزالي الاماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشهير ، وآخر فرقهم المشهورة في زماننا هذا فرقة البابية أو البهائية من البابية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل الى غيرها من المذاهب شرها ، وسرى الى أهلها ضررها ، وكان أقرب الفرق الى الباطنية فرقة الشيعة لقولهم بصحة الاثمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم الرضوان والسلام) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالصديدين بمصر والباية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة يقول بكفرهم كثيرها كذلك يشبه مذهبهم بمذهب الصوفية الذين يقولون ان للقرآن ظاهرا وباطنا وان للدين أسراراً لا يفهمها الا الخواص ، ولكن فرقاً عظيماً بين الصوفية والباطنية فالقرآني الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى انه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفياً يقول ان للدين اسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل ان مقلدة المذاهب الاربعة في الفقه والمذهبيين الاشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت اليهم دعوة الباطنية الأولى فملاوها في القام فملاوا أئمتهم معصومين وان لم يسموهم معصومين فبدأ التقليد عند أكثرهم ان الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وانه لا يجوز رد شيء من

المذهب لما يظهر انه مخالف له من آية قرآنية وسنة نبوية ، بناء على ان امام المذهب وعلماء اعلم بالكتاب والسنة فالقول ما يقولونه وهو الدين الواجب اتباعه على كل أحد ، والفرق بينهم وبين الباطنية أن الباطنية تقول بامام واحد يقع في كل شيء من الأصول والفروع وهم يقولون بإمامين في العقائد هما الأشعري والمريدي وأربعة في فروع الأعمال كل من خلفهم يكون ضالاً خارجاً عن هداية الاسلام إما إلى الكفر أو البدعة وإما إلى الفسق ، بل اوجبوا اتباع من لا يحصي عددهم من علماء هذه المذاهب وان لم يسموهم كلهم أئمة فوئلاء مقلدة متفادرة وجاوه بقدمون أحمد بن حجر الهيثمي ويوجبون اتباعه ديناً في كل ما دونه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو إمامه «ولكل قوم ابن حجر»

إذا تم هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والتزعات التي سرت منه الى غيرهم من أهل المذاهب الاسلامية أو ما وافقه منها وان لم يكن بالسريان ، وأبطل التقليد مطلقاً كما أبطله كتاب الله وسلف الامة حتى أئمة الفقه الأربعة ومن اخذ عنهم ، وأثبت انه ليس في البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني منذ بعثه الى آخر الزمان

أحسن ما وصل اليانا من كتب أبي حامد في ابطال مذهب الباطنية ويسمى مذهب التعليم كتاب (القسطاس المستقيم) وهو يشرح فيه مناقرة دارت بينه وبين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأله بماذا يزن معرفته بالرأي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستنباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس ، لما فيه من التعارض والالتباس ، أم يميزان التعليم باتباع الامام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنهما بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تفضل الناس وهي طرق الوسوس والاهوام وسارب خطايا الناس في الفهم والعلم ، ثم شرح له المقصد الذي أشرنا اليه فقال

« القول في الاستفتاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلمه أمد عن امام معصوم آخر »
 « ويان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »
 « وأوفق منه وهو طريق المارقين »

قال (أي الباغي) : لقد أكلت الشفاء وكشفت الفطاء وأيتت باليد البيضاء لكن بنيت قصراً وهدمت مصراً فاني الى الآن كنت أتوقع ان أتعلم منك الوزن بالميزان واستقي بك وبالقُرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في مداخل الفلظ فقد آيست من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن لم اختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا لهذه الدقائق كما فطنت فلظل بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان أعول على الامام المعصوم حتى أخلص من هذه الدقائق

قلت : يا مسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما ان تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا فالضرورة يكون حاصلًا عند صاحبه قيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصلين في ذهنك التجريبي والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان غير حامل لأنه يقل عرفه بانتظام الأصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فانت ان أخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليدا للوالدين والزعماء لم تتميز عن اليهود والنصارى والجنوس فانهم كذلك فعلوا وان أخذته من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه فينبغي على زعمك ان لا تنق به

قال : صدقت فأين الطريق فلقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا قلت : هيهات راجع القرآن فلقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ولم يقل سافروا الى الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل

مشكلة سفرنا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك أن تعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتكررت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لوحسبت ما للبالغ عليك أولك عليه أو قسمت في مسألة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة وانخطأ فطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعا انك ما غلطت في دقة من دقاتها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فيتمهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانه ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلبل وحسب ولك قد غلطت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية (أي ليست بدئية معلومة بالضرورة)

فقال : لقد ساعدتني على ان اتعلم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكانك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فإبرهانتك ومعجزتك فان امامي اما أن يقيم معجزة واما ان يحتاج بالنص المتماثل من آياته اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجعل التعلم وقفا على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد نفى به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نفى به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي علي رضي الله عنه اماما فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسني . أما برهائي عليه فواضح من النص وبما نعتقد معجزة فان ثلاثة أنفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن . فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص علي الكسائي استاذ القرئين اذ نص علي استاذي واستاذي نص علي فكان الكسائي نص علي

وقال الثاني اني أقلب المصاحبة قلب المصاحبة ، وقال : الثالث برهاني اني أقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف قلت شعري أي هذه البراهين أوضح عندك وقبلك بأنها أشد تصديقا؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يحتاجني فيه ريب ، أما نص استاذة عليه ونص الكسائي على استاذة فيتصور ان تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسفار ، وأما قلب المصاحبة فلهذه فعل ذلك بحيلة وتليس وان لم يكن تليسا فنأيت انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذا أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وأفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيلزمك الايمان بامامي كما انك اذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضا في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القبر ولا قلب المصاحبة بمجردهما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب المصاحبة يكثر بخوار العجل ، فان التمارض في عالم الحس والشهادة كثير جدا لكنني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال الماد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتبينت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة كعرفتك اذا رايت رجلا عروبيا يتأخر في مسألة من مسائل الفقه وبحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فإنك لا تتأمر في انه فقيه وبقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقته لو قلب ألف عصا ثمانا لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتليس والطلسم وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن بينها وبين هذه الأشياء وكونها معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فأما ايمان

ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية فلا يكون كذلك
 فقال : فأنا أيضا اشتبه أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت
 أن ذلك لا يعرف إلا بأن توزن جميع المعارف الإلهية بهذا الميزان وما اتضح عندي
 أن جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فبم أعلم ذلك ؟
 قلت : هيئات لا أدعي أنني أزن بها المعارف الدينية فقط بل أزن بها العلوم
 الحسائية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضي فإني أميز
 حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو
 رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى : لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب
 والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأما معرفتك بقدركي على هذا فلا تحصل إلا بنص ولا قلب
 المصائبنا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك بنجربة وامتحانا فدعي الفروسية لا ينكشف
 صدقه حتى يركب فرسا وبركض ميدانا فسألتني عما شئت من العلوم الدينية لا كشف
 لك القطاء عن الحق فيه واحدا واحدا وأزنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم
 ضروري بأن الوزن صحيح وإن العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف .
 فقال : وهل يمكنك أن تعرف جميع الحقائق والمعارف الإلهية جميع الخلق
 قرفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيئات لا أقدر عليه وكان إمامك المصوم
 إلى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وأزال الإشكالات عن القلوب بل
 الأنبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قدروا عليه ؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري
 أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك »
 أفأدعي أن أردت قضاء الله الذي قضى به في الازل ؟ أو يقدر إمامك أن يدعي
 ذلك ؟ فإن كان يدعيه فلم ادخره إلى الآت والدنيا طالفة بالاختلافات ؟
 وليت شعري أرئيس الأمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات
 بين الخلق أو سبب تأسيس اختلافات لا تقطع أبدا الدهر ؟

« القول في طريق نجات الخلق من ثلاث الاختلافات »

فقال : كيف نجات الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصغوا إلى رفعت
 لا اختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغائهم فانهم لم يصغوا بأجمعهم

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصفون لى وكيف يجتمعون على الاصفاء وقد حكم عليهم في الارل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو الفصول الاثني عشر .

قَالَ : فلو اصفاو كيف كنت تفصل ؟ قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

قَالَ : فمن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البدئية وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص فاني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بهافترفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها ، والثانية خلوص باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فان المقلد لا يصفى والبليد وان أصفى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البلية وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطاب بل شفتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكايين في العلم مع قصور الفهم عنه فهو هؤلاء لا يختلفون ولكن يتخبرون بين الاثمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولا فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا علمت في رأس العلم » أي

الايان والتقوى والاستعداد للآخرة « اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائب » فأقول العامي ليس الخوض في الاختلافات من عسك فادرج فأياك أن تخوض فيه أو تصفى اليه قبلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فأياك ثم إياك أنت تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يلوي .

فان قال : لا بد من دين أعقده واعمل به لاصل به الى المضرة والناس مختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيها أما الأصول فليس عليك أن لا تعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يسر عن عباده صفاته وأسماءه فطبعك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كئله شيء الى جميع ما ورد في القرآن وافق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقدس مع فني الماثلة واعتقاد انه ليس كئله شيء وبعد هذا لا تلقت الى القليل والقال فانك غير مأور به ولا هو على حد طاقتك . فان أخذ يتحدلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكي لأعلم انه عالم بالذات أو يعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً إلا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم .

هذا ما أعظم به في الأصول وهو الخوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهو لاء أهل الخوالة على الكتاب

وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتقنت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب

الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة فإن فرغت من جميعها علمت طريق الخلاص من الخلاف . فإن هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جنلي وليس بعامي ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رقءاك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذ إشكال الخلاف بمختمهم ؟ هيئات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول قد اختلفت الأطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما افتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يعطيني وقع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود القوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل علي مسائل فاني لا أدري اتوضأ من اللبس والقيء والرعاف وانوي الصوم بالليل في رمضان أو بالتهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فإن كل من لا يوجبه يستحبه وأما الصوم بالليل في رمضان فإن من لا يوجبه يستحبه . فإن قال هو ذا يتقرب على الاحتياط ويمرض لي مسائل تدور بين النبي والاثبات وقال لا أدري أأقمت في الصبح ام لا وأجهر بالتسمية ام لا فأقول الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض اطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفك مثل ذلك الاجتهاد في امر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبه (١) فمن أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك اجر واحد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى « لعلهم الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي ابطله سابقا ولاحقا وانما هو امر بنوع من الاجتهاد لشخص لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره أولا ان يجتهد في نفسه ثم في الأئمة الذين اشتهر في أي اقوالهم في تلك المسائل ارجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصبوب ولا يكون ذلك الا بعد النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل متنسبا الى من رجح دليله

الله عليه وسلم لما ذ « بم تحمك » قال بكتاب الله قال « فان لم تجد » قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فان لم تجد » قال أجهدي رأيي . قال ذلك قبل ان أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذ وغيره كما قال الاعرابي اني هلكت واهلكت واقعت اهلي في نهار رمضان فقال « أعنت رقبة » ففهم ان التركي أو الهندي لو جامع أيضا لزمه الإعتاق وهذا لأن الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نطه في اثناء الصلاة لما انبأ جبريل أن عليه قدرا ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكلفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاء في سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يملكون صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم يظن بمحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد !

وايت شعري ماذا يقول رفاؤك في هذا ؟ يقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح ؟ قال لا شك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤممه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطأ أو صلى الى غير القبلة

قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذورا مأجورا فلا يبعد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات معذورا فالجهلون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فمناصبتهم مقاربة وليس لهم (المناج ٩) (٨٦) (المجلد الثاني عشر)

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلغا في الاجتهاد فحقهما ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف الا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من قبضه بعد كونه مظلونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوم بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا انصعب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادلهم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلبي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقم ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقبته الى تعليم الموازين فان لم يقم له بلادته واصواره على تعصبه وبلاجه وعناده عاجلته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخوارج والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يقعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم دون أهل الجدل واعني بأهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتمصّب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا لكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر « إن أكثر أهل الجنة البله وان عليين للنوي الاباب » (١) ويخرج من جملة

الفرق بين الذين يجادلون في آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزعم الله بالسلطان ما لا يزع القرآن وهو لا . ينبغي ان ينهوا من الجدل بالسيف واللسان كما فعل عمر رضي الله عنه
 برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدره وكأقال مالك
 رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء حق والايان به واجب
 والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة . وحسم بذلك باب الجدل وكذلك فصل السلف
 كلهم . وفي فتح باب الجدل ضرر عظيم على عباد الله تعالى
 فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور
 الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط
 لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير
 أعيان لانهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم فمعه الحكمة التي من أوتىها فقد
 أوتي خيرا كثيراً لانهاية له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن
 نورا لان النور ما يصر بنفسه ويصير به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق قوله «ولا
 رطب ولا يابس الا في كتاب مبين» فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن
 بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب
 الحكمة التي لا نهاية لها فهذا ادعو الخواص . ودعوت الدوام بالموعظة الحسنة بالاحالة
 على الكتاب والاقصاء على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدل
 بالمجادلة التي هي أحسن فن أبى أعرضت عن مخاطبته وكففت شره بآس السلطان
 والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعري الآن يارفتي بم يسال امامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أعلم
 العوام فيكفهم ما لا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج
 الجدل من أدمغة المجادلين بالحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم مع كثرة حاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار ؟ فما أعظم قدرة امامك إذ صار
 أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو يدعو أهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون
 قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل يقولون
 هو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق قاعله وفي العالم من غرائب السحر

والطلسمات ماتحير فيه العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجلة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون ومعجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوى على ذلك ؟ بل أهل البصيرة يريدون هم المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذه في قوله اني حاسب فهدى هي المعرفة القيمة التي بها يقع أولوالالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بشيئا البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم؟ وما الذي حل من اشكالات الدين؟ وماذا كشف عن غوامضه؟ قال الله تعالى «هذا خالق الله فأروني ماذا خالق الذين من دونه» قد سمعت الآن منهاجي في موازين العلوم فأروني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي يتعلمون منه؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أرني ما رأيته :

مايسدي بي رتسدي أوف خر ابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب لا امامك بعد الاستجابة على وجه الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقده حلا ولم تقده استجابته بل ربما زاد به طغيانا وجهلا

قال : قد طالعت صحيحتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف قلت: فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتوني الى التعليم فاستجيب فعملوني ما عندكم فقال: ما اراهم يزيدوني على هذا شيئا قلت: فأني قائل ايضا بالتعليم و بالامام و ببطالان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو اطلقت ترك التقليد تمام غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ماشرت الى كيفية انشباب العلوم كلها منه في كتاب

جواهر القرآن لكنني لست أدعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب
سوى القرآن فانه أستخرج جميع أسرار العلوم و برهاني على ذلك لساني وياني ،وعليك
إن شككت تحريبي وامتناعي ،أقتراني أولى بأن تعلمني من وفائلك أم لا ؟ اه المراد منه

باب المناظرة والبراسلة

﴿ النسخ وأخبار الآحاد ﴾

وعدنا في الجزء السابع بأن نبين رأينا في المناظرة التي دارت في المنارين الدكتور محمد توفيق افندي صدقي والشيخ صالح اليافعي ورجونا أن يكون ذلك في الجزء التاسع (وكتب « السابع » غلطا وصحناه في الجزء الثامن على انه غلط بديهي إذ هو في الجزء السابع) . وقد عرض لنا من كثرة المواد ومن الشواغل ما حال دون محقق الرجاء بالتفصيل الذي كنا نريده فرأينا ان نقول الآن كلمة مجملة ونرجي التفصيل المراد الى جزء آخر فتكون كلمتنا هذه كحكم المحكمة بدون ذكر الأسباب التي يسمونها الحثيات وكلمتنا الموعود بها كبيان حيثيات الحكم فنقول :

النسخ

قد سبق لنا القول بأن النسخ المصطلح عليه الذي هو محل النزاع لم يرد به نص في القرآن ولا في الحديث المرفوع يعلم منه ان آية كذا أو حديث كذا قد نسخ وبطل معناه أو ترك لفظه أو اللفظ والمعنى جميعا وما اورده اليافعي في تفسير « ما نسخ من آية » ليس نصا ولا ظاهرا فيها بل الظاهر ما قاله الاستاذ الامام وجرى عليه الدكتور صدقي ولكن الاستاذ كان يرى ان الظاهر في قوله تعالى (١٦ : ١٠٠) وإذا بدلنا آية مكان آية) في آيات القرآن خلافا لما قاله الدكتور فيها وهي ليست نصا قاطعا في هذا ولا ذاك . وقد ورد في كلام الصحابة والتابعين وأئمة الفقه ما يدل على ان للنسخ الاصطلاحي أصلا ولكنه كما قال اليافعي في بعض المواضع انه أعم من النسخ الذي عليه الأصوليون

وان نسخ حكم في الشريعة بحكم آخر هو كنسخ شريعة بشرية أخرى معقول المعنى موافق لحكمة التشريع في انطباقها على مصالح الناس التي تختلف

باختلاف الزمان والأحوال لا شبهة فيه على أصل الدين . وإن أكثر ما قاله العلماء في نسخ أحكام القرآن بديهي البطلان وما هو محل نظر منها قد جعله السيوطي عشرين وغيره سبعا والصواب أنه لا يوجد في القرآن آيتان لا يتفق معنى إحداها مع معنى الأخرى بحيث يقطع بالتعارض الذي لا يمكن التفصي منه إلا بحمل إحداها على النسخ المعروف عند الأصوليين . أما النسخ بالمعنى الذي يتم التخصيص والتقييد وبيان المحمل فهو واقع في القرآن وقول به

وأما نسخ التلاوة فلم تظهر لنا حكمته ولم يأت اليافعي ولا من قبله من العلماء الذين اطلعنا على أقوالهم بحكمة مقنعة لمن كان مستقلا في فهمه غير مقلد فيه لا سيما نسخ اللفظ مع بقاء حكمه

وأما الدليل على وقوع ذلك فهو بعض الروايات عن الصحابة وهي وإن صحح مثل البخاري أصانيدنا محل إشكال في متنها كأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرها منها نص علماء هذا الشأن على عدها مشكلات وعدم الانتهاء إلى حل معقول لما إلا الجزم بطل الرواة فيها كحديث شريك في المعراج عند البخاري وحديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذي رفعه مسلم وغيرها . وسنشير إلى غير هذين الحديثين مما هو مشكل في الصحيحين قريبا

أحاديث الآحاد والدين

إن كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير يتعلق بأمر الدين على أنه منه فهو حجة على من ثبت عنده يجب عليه الإذعان لما يدل عليه . ولا يقال إن شيئا منه خاص بوقت دون وقت أو قوم دون قوم أو شخص دون شخص من المكافين إلا بدليل يثبت ذلك . فإن عارض هذا الحديث بعد ثبوته آية من القرآن أو حديث آخر أو دليل حسي أو عقلي كان الحكم في ذلك لما تقتضيه قواعد التعادل والترجيح والجمع والتأويل وهي مروفة في مواضعها . وقد قال المحدثون إن من علامة كون الحديث موضوعا لمخالفة لنص القرآن والمسائل القطعية في الدين واليقينيات الحسية والعقلية ، هذا إذا كان الجيم بينه وبين القطعي أو التأويل متندرا

ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمة الفقه أن معرفة الدين تتوقف على الاطاعة بجميع ما رواه المحدثون من الأحاديث ولا بأكثرها ولم يكن الأئمة الأربعة الذين يشبههم أكثر المسلمين في الأحكام العملية مطلعين على ذلك كله لا سيما الامام ابو حنيفة الذي لم يرحل في طلب الحديث لقاء الرواة المنتشرين في بلاد الاسلام ولم يكن الحديث مدونا في الاسفار فيأخذه منها وهو مع ذلك معترف بامامته واجتهاده عند اتباعه وغيرهم من أهل السنة . فما جرى عليه سلف الأمة وخلفها هو أن من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الأحاديث لعدم ثبوتها عنده او لعدم العلم بها فهو معذور فالعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنة العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت من السنن وأحاديث الأحاد المختلف فيها رواية أو دلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا في الآخرة مقربا عند الله تعالى كما ترى بيان ذلك في ترجمة الامام الغزالي من هذا الجزء

أحاديث الأحاد تفيد اليقين أم الظن

ذكرت هذه المسألة أكثر من مرة في المنار وقد حققنا في تفسير قوله تعالى «١٧٣:٣» فزادهم إيماننا « أن للظن إطلاقين أحدهما اعتقاد أن هذا الشيء ثابت وأنه يحتمل احتمالا ضعيفا أن لا يكون ثابتا وهذا هو الظن الذي جاء في القرآن انه « لا يقيني من الحق شيئا » . ثانيهما اعتقاد أن هذا الشيء ثابت مع عدم ملاحظة الطرف المخالف ولكن من غير برهان على منع الطرف المخالف وهذا قد يسمى في اللغة والشرع يقينا وعلمًا ولكنه لا يسمى يقينا عند علماء المنطق والكلام والفلسفة لأنهم يطلقون اليقين على مرتبة اعلا من هذه المرتبة في العلم وهي ثبوت الشيء بالبرهان وثبوت امتناع مقابله . وراجع التفصيل في التفسير (ص ٨٩٨ م ١١)

فيعلم مما حققناه أن بعض أخبار الأحاد يفيد العلم واليقين لغة وشرعا وعادة وبعضها لا يفيد ذلك ولكن لا يفيد شيئا منها الصلح البرهاني واليقين المنطقي . والدكتور توفيق صدقي لا ينكر أن له من الاصحاب من لو أخبره بشيء

بصدقه ويطمن قلبه نظيره فلا يشك ولا يتردد فيه كما انه يصدق المؤذن في دخول وقت الصلاة والفطر في هذه الايام لا يشك فيه ولا يترث في العمل به . فهل هو في هذا عامل بالظن الذي ذمه القرآن ؟ لا لا . وقد صرح الاستاذ الامام في الدرس بأن الصحابة والتابعين كانوا موقنين بصدق الاحاديث التي عملوا بها عند ما سمعوها من رفقها الى النبي (ص) وانه لا يعقل ان يحدث مثل الصديق أحدا عن النبي (ص) ويتردد السامع في صدقه

ولا شك في ان كثيرا من الاحاديث المروية في دواوين المحدثين المشهورة تفيد هذا النوع من العلم واليقين . ولا يعقل ان يكون كل ما رواه المسلمون عن النبي (ص) غير موثوق به بل لا يعقل ان تكون أكثر روايات التاريخ التي اتفق عليها المؤرخون كاذبة ، فكيف يكون أكثر ما رواه المحدثون واتفقوا على تصحيحه كاذبا وهم أشد نحر يا وضبطا من المؤرخين . واحتمال خطأ بعض الرواة العدول ووقوع ذلك من بعضهم لا ينم الثقة بكل ما يروونه . كما ان مجرد تعديل المحدثين لهم لا يقتضي قبول كل ما رويوه بغير بحث ولا تمحيص

فالجامعان الصحيحان البخاري ومسلم هما أصح كتب الحديث متنا وسندا لشدة تحري الشيخين فيها (رضي الله عنها وجزاها خيرا) ومع هذا لم يتلقها المحدثون بالقبول تقليدا لها وثقة مجردة بها بل بحثوا وحصوا وجرحوا بعض رواياتها وبنوا غلط بعض متونها . كتقليط مسلم وغيره لرواية شريك عند البخاري في حديث المعراج ، وتقليطهم لمسلم في حديث خلق الله التربة يوم السبت (وتقدم ذكرهما) وفي حديث صلاة الكسوف ثلاث ركوعات وثلاث سجودات . وفي حديث طلب أبي سفيان بعد إسلامه أن يتزوج النبي (ص) أم حبيبة ويتخذ معاوية كتابا .

ومن دقق النظر في تاريخ رجال الصحيحين ورواية الشيخين عن المجروحين منهم يرى أكثرها في المتابعات التي يراد بها التقوية دون الأصول التي هي الصدة في الاحتجاج . ثم اذا دقق النظر فيما أنكره عليها مما صححه من الاحاديث يجد ان أقوالها في الغالب أرجح من أقوال المنازعين لها لا سيما البخاري فانه أدق المحدثين في التصحيح ولكنه ليس معصوما من الغلط والخطأ في الجرح والتعديل

وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدها والقليل منها يختلف فيه وما من امام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فاذا جاز رد الرواية التي صح سندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والأرض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كآل روايات في نسخ التلاوة) لا سيما لمن لم يجد لها تخریجا يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ردها الأستاذ الامام ولم يصحبه شيء مما قالوه في تأويلها لأن نفس النبي (ص) أعلى وأقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥ : ٨) وقال الظالمون ان تقبّلوا إلا رجلا مسحورا) وهو ما كذبهم الله فيه قوله بمده (٩) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلو فلا يستطيعون سيلا) .

ومثل هذا وذلك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألتا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لاننا لم نجد جوابا مقننا للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيا لا شبهة فيه . فاذا قلنا انها يصدق عليها مع ذلك انها ساجدة تحت العرش لانها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولان كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن -- ان لم تكن التحتية فيه حسية لان الجليات أمور نسبية لاحقية فهي معنوية -- إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب فحل ينطبق على السؤال والجواب انطابقا ظاهرا لأمراء فيه ؛ اللهم لا . ولكن هذا النوع من الحديث على ندوته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم والانبياء لا توقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم

يقول أئمة الدين انهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأييد النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه

اما الاحاديث الخافضة للقرآن في خبره او معناه او اي نوع من انواع المخالفة الحقيقية فلا يمكن ان تكون صحيحة في الواقع وان وثق المحدثون رجال اسانيدنا ولكن يجب التدقيق في ذلك قبل الحكم به فما رآه الدكتور محمد توفيق صدقي من أن تحريم الاكل والشرب في اواني القدين مخالف لآية اباحة الزينة والطيبات هو في غير محله فان النبي (ص) استنبط ذلك من قوله تعالى في الآية التي قبل آية الزينة (٣٩: ٧) كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المفسرفين) فالأكل والشرب في اواني القدين لسراف عظيم لا سيما بالنسبة الى المسلمين في ذلك الزمان

وكذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها أخذه صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين الاختين لان الأملة فيهما واحدة وكما أن تحريم الخمر التي كانت في زمن التنزيل يتضمن تحريم كل مسكر يستحدثه الناس الى يوم القيامة كذلك يتضمن تحريم الجمع بين الاختين تحريم ما في معناه كالجمع بين العممة و بنت أخيها بقوله تعالى (٤ : ٢٣) واحل لكم ما وراء ذلكم) لا يتناول الجمع بينهما على هذا فالحديث ليس مخالفا له . ولكن الجمهور يمدونه مخصصا للآية ونخصيص السنة للقرآن جائز وواقع فإن سماه بعضهم نسخا فلا تعارضه في التسمية ونحن موافقون له في المعنى

النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بقوله وفعله ويدخل في البيان التفصيل والتخصيص والتقييد ولكن لا يدخل فيه ابطال حكم من احكامه او قرض خبر من اخباره ولذلك كان التحقيق ان السنة لا تنسخ القرآن . ثم انه (ص) شارع بإذن الله ولذلك قال عند ما سئل عن بعض المسائل « لو قلت نعم لوجبت » ومن ذلك انه حرم ما بين لآبتي المدينة فجعلها كحرم مكة لا يجعل صيدها ولا يقطع شجرها ولا يحتل خلاها والحديث في الصحيحين وغيرهما وليس ناقضا لشيء من القرآن ولا مخالفا له . وما يدل على انه حرم المدينة من قبل نفسه أي بغير وحي خاص ان العباس قال له « إلا الإذخر » فقال « إلا الإذخر » فاستثنى الإذخر من قوله لا يحتل خلاها وهو نبات عطر ساجدهم الى قطعه بمجرد طلب العباس . ولكن هذا النوع من التشريع قليل جدا وهو

(المنار ج ١٢ م ٩١٢، الانقلاب العثماني - رد ثالث على صاحب جريدة وطن الهندية ٦٩٩)

مختلف فيه قيل ان الله اعطاه ذلك وقيل لا وليس هذا القول المجلد مما يتسع لتحقيق ذلك
هذا وان للاسلام اصولا ومقاصد لا بد لكل مسلم منها كالوحدانية و كان الايمان
وهي الايمان بالله وملائكته ورسوله وكتبه واليوم الآخر واقدر وهي اعتقادات ،
واركان الاسلام الخمسة ، وهي اعمال بدنية ، واركان الأدب التي تجمعيها كلمة التقوى
واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وكل ذلك مبين
في القرآن والسنة العملية . فهذا ما يجب على كل مسلم ان يعلمه ويعمل به

وأما الاحاديث التي لم يجر عليها عمل جماعة المسلمين والسواد الاعظم من أهل
الصدر الأول ولا كتبها الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا دعوا اليها وانما
انفرد بها بعض الذين صرفوا همهم الى جمع الروايات وحفظ الاخبار والآثار فبها
تفصيل ملخصه أنه لا يجب على كل مكلف البحث عنها ولكن في معرفتها مزيدي ومن
عرف شيئاً منها وصح عنده متاوسدا بلامعارض أقوى منه وجب عليه ان يقبله ويهتدي به
نكتفي بهذه العجالة الآن بل هي قد جاءت أطول مما كنا نبغي ومتى سمحت
الفرصة نفود الى بعض هذه المسائل بالبيان والتفصيل والى غيرها مما دار عليه كلام
المتأخرين ما لم يدر عليه مما يتعلق بالمقام ككراهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة
السؤال لثلاث تكاليف واستلزام ذلك لكراهة ان يعلم جميع الناس بما يجب به
بعض السائلين ويكلفوا العمل به كما كلف السائل ذلك لحاجته اليه ، أو عدم استلزامه .
وما جرى عليه الصحابة في السكوت على ما يعلمون من ذلك حتى يستأوا عنه وانفراد
الكثيرين منهم بالحديث الواحد وقلة ما رواه الجهم الفقير . ولا تضرب لذلك
موقداً مميئاً لتلانص من الوفاء به والله الموفق

الانقلاب العثماني الميسون

لاهور في ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٩ م

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم وفقنا بعلومكم آمين
أما بعد السلام والاحترام ، لا أستطيع ان أنفي بحق شكركم على ما أبدت

من اللطف في نشر مقالتي والرد عليهما ردا مسبها ، وسأشتر ترجمة ردكم هذا في جريدتي تماما ان شاء الله تعالى

ولا أكتب بعد ذلك في هذا الأمر شيئا بقصد استطلاع الآراء ، بل ترك للدهر يقضي كيف يشاء ، فانه خبر قاض ، ولكنني أرى بنفسني ان الذين هم اليوم اعداء لعبد الحميد مثل شوكت باشا والغازي مختار باشا وغيرهم يحسون عاجلا بضرورة رجوعهم إلى عبد الحميد — ان لم تأخذهم الحمية حمية الجاهلية وسلوكوا مسلك الانصاف والسداد —

وأما أمر التحاشي من نشر ردكم الأول فكنت على الصواب فيه لانه صدق ظني حين نشرته جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » ، فاستاءته العالم الاسلامي افندي أشد الاسقياء حتى اضطر محرر هذه الجريدة لتقديم الاستقالة من خدمته في أواخر شهر يونيو الخالي — وساءت سمعة مجلة المنار أيضا — فرأيت ان أدافع عن المجلة ونشرت ردكم في جريدتي مع جوابي الذي أرسلته اليكم بعد التعريب كما نشرتموه في العدد السادس من مجلة المنار الاغر — ولقد أثر ذلك الامر تأثيرا حسنا في تسكين نفوس المسلمين الهنديين واطفاء نائرة غيظهم على « المنار » ولكنني في علم حضرتكم ان الجرائد التي وافقت آراءكم من مائة جريدة إسلامية في الهند لا يربو عددها على اثنتين فقط — إحداها جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » والأخرى جريدة « وكيل » (أمرتسر) فالذي جرى للاولى ؟ هو ان النواب وقار الملك ناظر الكلية الإسلامية في علي كده طلب من المحرر ان يصلح آراءه ويكتب ردا لأقوال مجلة المنار — ولكنه أبى الرد واستقال من وظيفته — ورد أقواله حضرة النواب المشار اليه في الاعداد التالية من الجريدة واضطر الى التسليم بان عبد الحميد هو « عبد الحميد الاعظم » لا محالة — وقد ندمت جريدة « وكيل » أيضا من سلوكها ذلك المسلك الصعب المخالف للرأي العام لمسلمي الهند واعتذرت عما فرط منها —

وظنكم أن آراء جريدة « وطن » موافقة لقرائنها وهم عدد قليل في الملايين من مسلمي الهند فليس في محال لان شيوع هذه الجريدة في الاقطار الهندية

واشاعتها أكثر بكثير من جميع الجرائد الإسلامية الهندية ، فان جريدة علي كده
جميع اشاعتها خمسمائة في الاسبوع ، وجريدة « وکیل » اشاعتها ألف وخمسمائة —
وقبة الجرائد الإسلامية لا تزيد اشاعتها عن الالف البتة ولكن جريدة « وطن »
اشاعتها الآن خمسة آلاف وثلاثمائة في كل أسبوع — ولا ريب في ان قراءه
لا يكونون أقل من خمسين أو ستين ألف رجل من المسلمين — بل ربما يكونون
مائة ألف أو يزيدون — ولا ينبغي على حضرتكم ان جريدة « وطن » نجد
مشاركين معاونين لها في كل مكان فيه عدد ولو قليل من المسلمين الذين
يعلمون لسان « الأردو » مثل إفريقيا الجنوبية والشرقية — وأمريكا الشمالية
والجنوبية — وجزائر غرب الهند — والصين ، وأستراليا ، وزنجبار ، وتونس ،
وطرابلس الغرب ، ونايجيريا ، وملايا ، وسومترا ، وتركستان ، وعرب (؟) ، وبنقداد ،
وغیرها من البلاد النائية الاطراف من العالم الاسلامي فان جريدة « وطن » لتصل
الى كل هذه البلاد دائما وانكم تعلمون ان وظيفة الجريدة ليست هي هداية قرائها الى
جادة الصواب فقط بل انها يجب ان تكون مرآة ترى فيها آراء الامة والقراء جميعا
وتكون مظهرة لئلاهم (؟) — واني أقول بكل الثقة ان آراء جريدة « وطن » في هذه
المعاملة مطابقة لآراء قرائها وآراء الجمهور من المسلمين ولا عبرة للشواذ —

وأما قولكم بجہل مسلمی ہند بالحقائق في أول الأمر واقتناع منصفهم بعد ما ظهر
لهم من الحق بواسطة نشر الحقائق في الجرائد التركية والعربية حتى تتمتعون من
اصراي على ما كنت عليه فالمطلوب من حضرتكم إيمان النظر في مكاتبة مراسل
جريدة « باونير » الانكليزية (التي تصدر في بلدة إله آباد بالهند) مع محمود شوكت باشا
وقد أدرجت هذه المقالة بصددها الصادر في ۱۳ أغسطس سنة ۱۹۰۹ فاعترف
شوكت باشا بأنه ليس عنده الرجال الا كفء ذوو سطوة واقتدار حتى يقدر على
حفظ السلطنة من التورط في المهلك والخراب ،

واننا مسلمي الهند مع وقوفنا على كون المهدي الحميدي محفوف بالآخطار ومملوا
من السيئات ، لا نلقي تبعة هذه المقاسد على عبد الحميد وحده كما تلقون حضرتكم بل

نسبنا الى جمل الملة وخبرها ونعلم ان عبد الحميد سعى جهد طاقته في تخفيف ذلك
الجهل والخلو (١١١)

واني لا ادعي الاولية في كتابة ذم عبد الحميد وعماله على جميع جرائد العالم
بل قصدي انه ان اول من كتب بهذه الصراحة في الجرائد الاسلامية الهندية لا غير
وهذا صحيح لا ريب فيه وقلم ان الاختلاف في مشروع السكة الحجازية لم يكن
من جهة السلطان السابق فاني لا اسلمه لان عندي كتباً خصوصية من اصدقائي
في الاستانة وهم يكتبون ان الجرائد التركية حظرت عليهن الحكومة ذكر مشروع
سكة بغداد والحجاز وسبب نشر آرائي في جريدة المخابرات العربية هو قلة انتشارها
في المملكة العثمانية وان لم انس فاذكر ان الذي كتبوا منهم صديقتكم وصديقي السيد
عبد الحميد الزهراوي ايضا

والمؤرخون الذين يمحزون الى احد الطرفين لا يعد قولهم صحيحاً بل العبرة
بما قاله مؤرخة اولي الدراية في الازمنة التالية وكذلك الذين ليس لهم علاقة باحد من
الفرقتين المتخاصمين وانا كما تعلمون ليس لي واسطة بعبد الحميد ، ولا تبركا الفتاة
بل كل ما أقصده هو خير الدولة العلية وسلامتها حفظها الله ووقاها من جميع الآفات
والمهايكات آمين

وعجبت من احتجاجكم باعترافي ان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم
توجد في عهد عبد الحميد الخ « فاقول لكم بكل ادب ان فيلسوفاً مثلكم لا يلزم
ان يكون ناسياً للفرق بين الترقية وبين حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ومقصودي
هو ان عبد الحميد لا يجب ان تأخذه بجريرة اسلافه وتترك ما اصلحه هو ولا تشكروه
عليه فان العقل لا يسلم لاحد ان لا يكون فيه حسنة غير السيئات ولذلك لا ينخلو
عبد الحميد ايضا من حسنات ويشهد على حسناته ما كتبت جرائد مصر العربية وجرائد
اوربا في اكثر الاوقات في اعلمتهم من مدائحهم واصلاحات عصره بالصراحة التامة
والتاريخ يحفظ ذكرها

واما مدحت باشا فانه عزل من منصب الصدارة في سنة ١٨٢٢ ونفي ولكن
القوم لم يكتفوا حالته وبعد ذلك لما عين والياً على عدة ولايات فلم يكن سببه خوف

(الفارح ١٢٩٩) الشبهات على كون حكم النبي والراشدين من نوع المطلق ٧٠٣

عبد الحميد منه أو من جماعته بل رأى ذلك السلطان العظيم أن يستفيد من اهلية الرجل وكفائته في اصلاح شؤون المملكة — وما كان سبب العزل والنفي لمحض باشا الا لاقلة مواليه ومشاركه في حب الدستور (١)

انكرم علي قولي ان حكم النبي (ص) والصدديق والفاروق (رض) وغيرهم من الخلفاء الراشدين كان مطلقا وواجبم علي ان استغفر الله من هفوتي هذه فاعوذ بالله واستغفره من كل ذنب واتوب اليه وبعد ذلك اسألكم ان ضمير « هم » في قوله تعالى (وَشَاوْرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) هل رجمه جميع افراد الملة الاسلامية او بعض سراتها وذوي الرأي منها؟ ان كان المقصود منه ذوي الرأي من سادات القوم ووجهائهم فلم تنسون مجلس شورى الدولة الذي كان موجودا في عهد عبد الحميد الى آخر ايامه واعضاؤه من اهل الخبرة والجاه والسياسة وسرعة الامة ؟ وان كان الضمير راجعا الى كل فرد من افراد الامة فتى حصلت الاستشارة لجميعهم وكيف السبيل الى حصولها ايضا ؟

هل كان صلح موقع الحديبية في زمن النبي (ص) وقتال اهل الردة والمتنمين من اداء الصدقات وترخيف جيش أسامة (رض) وعدم مؤاخذه خالد بن الوليد (رض) من اعمال الصدديق (رض) كل هذه الامور بمشورة القوم وغير مناقض لآراء الجمهور من الصحابة (رض) ؟ ومتي اظهر المسلمون رضاهم من عزل خالد (رض) حينما عزله الفاروق (رض) لان الجمهور كانوا يحبونه ويفضلون ان يكون هو قائدا عليهم؟ — وان كانت هذه الامور بالاستشارة فالمرجو من كرمكم ان افيدوني باعلامها واذكروا لي اسماء الصحابة الذين استشيروا في تلك الامور وعلمت اطلاع عبد الحميد على النوايا المدينة للنازي مختار باشا اليه من نشر تقارير الجواسيس في جرائم الاستانة في هذه الايام . وظهر انه كان عالما بسوء نية الرجل وإنصافه عليه وكرامه كان بسبب امانته الطبعي وحسن سياسته في تأليف قلوب النافرين منه بواسطة المال والاكرام (١)

انكم تقولون اني عاشق لعبد الحميد . ولا اعرف الحقيقة التي عرقها الارض والسماء من انه كان السفاك المبيح للدماء وقاتل الابرياء وغيره ، فتقولكم هذا لا يستد

به من غير بينة . وان الجرائد التركية مع كونهم تجاوزن حد الأداب في ذم عبد الحميد لم تستطعن ان تثبتن شيئا حقيقيا من التهم الموجهة اليه في أمر افساد الدستور وشركته في الحركة الانجماية يوم ١٣ ابريل الماضي . غير الظنون والشكوك فان العاقل لا يعبأ بها . ومن الذي لا يعلم ان جرائد اوروبا لم تكن لتقتصر في اذاعة سيئات عبد الحميد ومظالمه لو وجدن اليه سبيلا . والحمد لله خابت آمالهم من هذا القليل ولم تستطع جريدة من جرائد أوروبا ان تكتب كلمة واحدة تدل دلالة صريحة على شركة عبد الحميد في الحادثة الانجماية ولكنكم تضربون على هذه النعمة عينا وتحاولون اقتاعي بمثل هذه الخزعبلات (١)

ومصيبي الكبيرة التي جنبها في زعمكم هي قولي الحق في شأن مولانا السلطان محمد خان الخامس ادام الله ملكه وسلطته « انه كآلة صماء في يد جماعة » ودعوتوني الى التوبة من هذه المصيبة ولكن ما يقولون في اشاعات جمعية الاتحاد والترقي واقوال شوكت باشا نفسه بانه لم يترك حول جلالة احداً من انصار عهد التقديم لا من ورجال المعية ولا من الخدم والحشم حتى لم يتركوا حوله من خدامه القداماء احدا . وقد قاله شوكت باشا في مكالته مع مراسل جريدة باونير المذكور سابقا في هذا المکتوب

وبالمجلة فاني اتعجب من شدتكم في أمر عبد الحميد وسبكم له مع كونكم من العلماء الاعلام وحكباء الاسلام . يفر الله زلكم هذه ويهديكم سبيل الرشاد لان السب والشتم ليس من شيم الكرام . والسلام
ولا ابني نشر مكتوبي هذا في المجلة ولا اكلفكم الرد عليه بغير رضاكم لاني علمت من الردين ما قد كفاني . واني عرضت عليكم بعض ما جال في خاطري عند قراءة ردكم . ونخت ان لو اكتب في جواب شيئا فيطول الكلام لذلك اكتفيت بعض الامور التي يجب اطلاع قرائكم عليه فان رأيتم من المناسب نشره نشرتموه والا فلا .
فاطلب منكم العفو من تكليفكم مرتين كاتبه المخلص

محمد انشاء الله محمدر ومدير جريدة « وطن »

بيلدة لا هور (بنجاب — الهند)

﴿ جواب المنار ﴾

ان هذه الرسالة تشر باخلاص صدقنا فيما كتبه أولا وآخرا في مسألة الانقلاب في الدولة لشهره بعض ردنا ووعده بنشر الباقي وهذا هو ظننا فيه الذي ينه في ردنا عليه من قبل خلافا للجرائد التركية والعربية التي جعلته من صنف (الاجتماعيين) الذين يقيمون الهوى في نصر عبد الحميد حبا في ماله ورتبه واوسمته . وقد اوسمته تلك الجرائد ذماتو يميها وتهكما وهي مخطئة في ذلك كما انه هو مخطئ في اجتهاده ، ولذلك لم ننوه بشيء مما كتبوا وان أثبت علينا الجرائد التركية فيه وارسل اليها بعضه من الاستانة معلما عليه بالجبر الا زرق . وتقول لا ولتلك الكتاب ان صاحب جريدة الوطن ربما كان اشد اخلاصا للدولة من اكثر الجرائد العثمانية التي تلعن اليوم الاستبداد وسلطانها ، وتطري الدستور واعوانه ، وسيرون ان شاء الله من محمد انشاء الله خير نصير للدولة الدستورية ، لا سيما بعد الاقتناع القريب بسوء عاقبة السياسة الحميدية ، ثم انا نحيب مناظرنا عن شبهاته في هذه الرسالة بما يأتي بالاختصار :

(١) ان قراء الجرائد في الهند معذورون في إساءة الظن في المنار لما كتب ما يخالف آراءهم واهواءهم وجرائدهم التي استمدوا منها تلك الآراء والاهواء في السياسة الحميدية . وقد علمت ان اكثر المستائين يظنون اننا كنا نمدح عبد الحميد وسياسته في عهده فلما خلع اقبلنا عليه دامين قادحين ، وظنهم هذا من الإثم ، والحكم علينا بغير علم ، ولذلك نظن ان قراء المنار لم يتهمونا بمثل ما اتهمنا به غيرهم لأنهم يعلمون اننا لم نكن نحسن الظن في السلطان عبد الحميد ببعض الشيء ، ونلتصم له بعض العذر الا في السنة الأولى من سني المنار لأن استبداده لم يكن قد بلغ غايته وقرب عهدنا اليوم منذ يبلادنا المحجوبة عنها الحقائق ، والمماوغة بالتفاق والمدح الكاذب ، وقد كان المنار بعد ذلك يتميز غيظا من سوء تلك الحال ، ويشكو منها بالاساليب المختلفة من الأقوال ، ومن أوضحها مقالة (حال المسلمين في العالمين) ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) وما يتبعها من المقالات التي نشرناها في المجلد التاسع ودعونا الى (المنار ج ٩) (٨٩) (المجلد الثاني عشر)

فيها علماء الاسلام في مصر والهند وتونس الى مطالبة السلطان عبد الحميد بالعدل والإصلاح ، ولولا اننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبد الحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سميها باسمها (الشورى العثمانية) وكنا نبرز الجريدة بمشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الآستانة والرومي والآنطول بنفقة من الجمعية لما رضىنا بذلك التتديد الاجمالي في المنار . وقد نوهنا بذلك في فائمة هذه السنة

ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبد الحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبناه في المنار بعد خلمه — وهو نفسه يعلم ذلك ولا يشك فيه — فليطلب منا بعض اعداد جريدة جمعيتنا يعلم اننا لسنا كأصحاب تلك الجرائد العثمانية التي كانت تسبج اسم عبد الحميد بكرة وأصلاً راضية أو كاذبة ثم صارت قلصته كذلك . ولو كان المنار كذلك الجرائد وصاحبه كأصحابها لما خربت الحكومة بيت أبيه ، ونكلت بأهله ومحبيه ، ولولا انه مخلص في جهاده الاستبداد الحميدي لما احتمل ذلك العذاب ، والبلاء في الاموال والأففس والأوقاف ، ورغب عن المطايا والرتب التي عرضت عليه ليكون من المادحين لعبد الحميد ، واننا ننشر في هذا الجزء ما نشرته الحكومة الحميدية في جريفة يبروت الرسمية من اتهامنا واتهام بعض اخوتنا وأصحابنا بالجناية والأمر بالقبض علينا احياء أو ميتين . ونرجو من صديقنا ان يترجمه وينشره مع هذا الرد في جريدته ليقراء من لا يعرف العربية من إخواننا مسلمي الهند

(٢) اننا نحب لظن صديقنا المناظر لنا بعد ان بينا له الحقائق ان مثل مختار باشا وشوكت باشا سيظهر لها على عداوتها لعبد الحميد ضرورة الرجوع اليه ١١ بالله العجب ! أظن صاحبنا أنه أعلم بعبد الحميد مني ومن على رأيها من خيال رجال الدولة حتى يظن لهم انهم هم المخطئون فيكون هو المصيب في غلوه في إطرء عبد الحميد ! ! أيسمح لي صديقي الفاضل ان أسمي هذا الظن غروراً مبيتاً مع احترامه وحفظ مقامه ؛ هل أعيد له القول البديهي انهم يعرفون جميع عجزه وبجوه الخفية والجلية وجميع أعماله السرية والجهرية وصديقنا لا يعرف منها الا بعض الظواهر التي برز أكثرها في غير صورته الحقيقية . وهل تكون حمية مختار باشا على عبد الحميد حمية جاهلية وهو أكبر قواد الدولة الذي بذل دمه مرات كثيرة في سبيلها ؟ وتكون حمية

صاحب جريدة الوطن هي الحمية الصادقة التي يثيرها الانصاف ؟ أي حفظ لختار
باشا من عداوة عبد الحميد ؟ ان مرتبه الآن لا يبلغ عشر مرتبه من عبد الحميد وان
ولده كان بمحابة عبد الحميد فريقا من الدرجة الاولى وقد أنزل بعد الدستور الى
رتبة أميرالاي ، ومختار باشاراض مسرور من خلع عبد الحميد ، أليس هذا برهانا
قاطعا على إخلاصه ؟ فالتنا أيها الصديق يبرهان مثله يثبت انك أشد إخلاصا
للدولة وأعلم بمصلحتها منه ؟ ما كان ينبغي لك ان تعيد مثل هذه الأقوال التي
لا يكاد يقل صدورها من عالم مخلص مثلك إلا بذلك التأويل الذي حملت عليه
كلامك من قبل وهو كون اعتقادك حسن حال عبد الحميد صار وجدانا لا يقبل
البحث كدين العجائز ، ومنك يرجى السماح والعفو

(٣) اذا كان قولك ذاك عجباً فاعجب منه استدلالك على كونك مصيبا
في اصرارك على رأيك في عبد الحميد وحكومة الدستور بقول شوكت باشا انه ليس
عنده من الرجال الاكفاء من يكفي لحفظ السلطنة !! ان هذا اكبر حجة لتاعليك
وأظهر مبطل لقولك ان عبد الحميد كان يسعى جهده طاقته في تخفيف الجهل والخرول
السائد في السلطنة . او كان حقا ما تقول لكانت مدة سلطته كافية لتصميم التربية
الملية والتعليم النافع وتخرج رجال لا عداد لهم يصلحون للنهوض بجميع أعباء السلطنة .
فان تلك قرن كاف لتربية ثلاث طبقات أو أجيال من الامة . ولكن عبد الحميد
كان والله مفسدا في المملكة عدوا للعلم والتربية نصبرا للجهل والضلالة . وان من
البراهين القاطعة على افساده وتخريره للدولة وإتيانه إياها من قواعد وأساسها ما
قامت به الحكومة الدستورية من تصفية الرتب العسكرية فقدتين به صدق ما كنا نلحظه
بالاجمال ونقوله بالاخصار من ترقية عبد الحميد للضباط والقواد بمحض ارادته محابة
لم نثلا يسخطوا على هدمه لسائر قواعد السلطنة . فالمسكوية التي احدثت الانقلاب
و يدها زمام الأمر هي التي اختارت إنزال الجيم النفير من قوادها وأمرائها وضباطها
عن مراتبهم غير على الدولة ومنعا لهذا الخلل الذي يقضي على الدولة اذا هي وقعت في
حرب مع دولة قوية منظمة . لقد خاف عبد الحميد والدولة عاجزة عن محاربة البلغار
التي هي قطعة منها ولكن حكومة الدستور أمكنها ان تتلافى الامر بسرعة حتى

استعدت للطوارئ في أقل من سنة وإن كان الإصلاح التام لما أفسده عبد الحميد لا يتم إلا بسنين ، وناهيك باصلاح الاسطول وتميزه وقد ظهر للوجود بعد خفائه يا سبطان الله ! البلاد بلادنا والمكتاتب والمدارس مدارسنا ومكتاتبنا بنيت بأموالنا وهي تحت مواقع ابصارنا والمعلمون والمتعلمون فيها اخوتنا وأولادنا ، ونحن الذين نقول ان عبد الحميد ابطال كثيرا منها وجعل بعضها تحت مراقبة الجواسيس ومنع منها بإشاراتهم بعض العلوم وبعض الكتب ثم بعض الآلات والمواد التي يترن فيها التلاميذ على الاعمال في العلوم الطبيعية ، كما منع أكثر الكتب النافعة في الدين والأدب والتاريخ والتربية وغير ذلك واحرقته حكومته ألوقا كثيرة من هذه الكتب وحملت الناس بضعفها وظلمها على احراق أكثر مما احرقته هي . وبعد هذا كله يقول صاحب جريدة الوطن ان السلطان عبد الحميد كان باذلا جهده في ازالة الجليل واصلاح حال الأمة بالعلم . ثم هو يعترف معنا بعد ذلك بأن الامة العثمانية ليس فيها (بعد هذا الجهد في تعليمها بزعمه) أناس قادرون على القيام بأعباء الحكومة ! ! كيف يفهم هذا وبم يفهم ؟ ؟ ؟

يعترف صاحب « وطن » بأنه هو وقومه واقفون على ما كان في العهد الحميدي من السيئات ولكنهم لا يلقون عليه التبعة وحده مثلنا كما يدعي بل يقولون إن سببها جهل الامة نعم ان جهل الأمة هو الذي مكن محالبه من مقاتلها ولذلك كان يكره ان تتعلم وينكل بكل من ينه افكارها والا فليدأونا على ذنب المنار حتى نقهي واهله ما نقوا منه ؟ اما عماله واعوانه على الافساد فانهم كانوا على شاكلة

ومن يربط الكلب المقور بياحه فككل بلاء الناس من رابط الكلب

ولماذا لا تحرق الكتب الآن ولا يحذف بعض المسائل من نسخها الطالبون كما حذفوا طائفة من كتاب المواقف الذي طبع في عهده بالاستانة ومن كتاب شرح المسيرة في العقائد الذي طبع في مصر فجاءت بعض نسخه كاملة صحبحة وهي ما يباع بمصر وسائر بلاد الدنيا ما عدا البلاد العثمانية وأما بقية النسخ التي ترسل إلى الاستانة وغيرها من الولايات العثمانية فقد حذف منها بعض المباحث لتلا يجعل وقودا للار

(٤) تنازل صديقتنا من دعوى ترقية عبد الحميد للسلطنة أو اجتياحه في ترقبها

في بعض كلامه (وان تناقض مع بعضه الآخر) وجعل حسنة العليا حفظ مركز السلطة وسد الخلل وقول ان هذه الدعوى ممنوعة أيضا فان سد الخلل إنما يكون قبل كل شيء باصلاح المالية فالدولة التي ليس عندها مال لا تقدر ان تدفع خطرا داخليا ولا خارجيا وهو قد دمر مالية الدولة تدميرا كما هو بديهي لا يقبل المراء .
ثم ان الركن الآخر لحفظ المركز هو العسكرية وقد قلنا آخفا انه اشتغل في آخر عهده بإفسادها وإن تصفية الرتب العسكرية أقوى برهان على ذلك . ثم ان كل ما كان يسهل عبد الحميد في المشكلات الخارجية هو الخيلة والمواربة والقسوف والرضية للدول بعد ذلك والغرض من هذا كله تأخير سقوط الدولة الى ما بعد موته ليبقى طول حياته متمتعا بنعيمها وان كان أكثره وهما مشوبا بالمنقصات التي لا قبل له بدفعها لأن وسواسه هي مآثرها ومعهدها . ولو طال العهد على تلك السياسة الخرقاء التي لم ينل منها بعض ما يريد الا باختلاف الدول وتنازعها لطربت المملكة قد تداخلت أوربا في ولايات مقدونية وكان ذلك مقدمة لسلخها من الدولة ولولا الدستور الذي أراحنا من سياسته لذهبت تلك الولايات وما ثبتت الاستانة بعدها إلا قليلا . واما مدح الجرائد له فكان بعضه بالتمنؤ وبعضه بسوء الفهم وبعضه بالاكرام (٥) قال انه لم يثبت ان عبد الحميد هو مدير الفتنة الأخيرة التي خلغ بها ، ومع هذا نصفه بسفك الدماء ، وقول ان هذا وصف قديم له معروف عند الافرنج الذين يسمونه السلطان الأحمر ، وان الحكومة الدستورية قررت عدم محاكمته ولذلك لم تظهر كل ظفر لها من دسائسه في الفتنة وغيرها

(٦) سمى صديقي ماعبت به عبد الحميد في سياسته وإدارته ، وما كتبت من وجه العبارة بخله ، سبا وشتما وقال انه ما كان يليق ذلك بمثلي . وهي غفلة من الصديق ، سبها الفلوف في حب عبد الحميد ، فان السب عبارة عن ألفاظ بذية توجه الى شخص لأجل تحقيره وإهانته فقط . وما ذكرناه في عبد الحميد لم يكن كذلك وإنما كان بيانا لحقيقة رجل آذى دولة عظيمة وأمة كبيرة وتنسبها لوجه العبارة في سقوطه فهو من قبيل ما في الكتاب والسنة من ذم فرعون وملأه والعبارة بهلاكهم ، ومن قبيل جرح المحدثين لرواة الحديث ، ومن قبيل ما أذن الله به من قول السوء لمن ظلم

بيان ظلم ظالمة وسوء عمله، وبعد الحميد لم يكن ظالماً لي ولا أهلي فقط بل كان ظالماً لنا
ولجميع الأمة ما عدا اعوانه على الظلم منها . هذا ما أقوله فيما يتفق بعبد الحميد وأثبت
له حسنة السكة الخجازية وحسنة عدم التعصب لجنسه وكراهته ان يقال ترك
وعرب، واما المسائل العامة التي أنكرها علينا صديقنا أو سأل عنها فهذا جوابها بالاجمال
الذي يسمه المقام نذكره تابعاً بالتعدد لما قبله

(٧) من البديهي ان الذين يجب استشارتهم في الامور العامة هم اهل الرأي
والمسكنة في الامة العارفون بمصالحها والمختبرون رأيهم عند جمهورها المبرر عنهم في القرآن
بأولي الامر لاجمع افراد الامة . ولم يكن مجلس شورى الدولة موجوداً في عهد عبد الحميد
لوظيفة المشاورة الشرعية ولا أعضاؤه من اهل المسكنة في الامة ولا من المعروفين
عندها وانما يعرفهم من كان ينه ويمنهم صلة جوار أو نسب أو عمل . ذلك مجلس
قديم العهد في الدولة وقد أفسده عبد الحميد كما أفسد غيره حتى جعله مستودعاً لمن
يسترضيهم ممن يخشى اشتغالهم بالسياسة وكان أكثرهم لا عمل لهم ولم يكونوا مرجعاً
له في الامور العامة ولا مستشارين على ان يكون رأيهم ممولاً به قطعاً بل كان المجلس
ولا يزال ثلاث دوائر احدها للملكة والثانية للتنظيمات والثالثة للمعاهدات يحاكم
فيها كبار الموظفين وكانت الاشارة من اقل رجال المايين او جواسيسه تكفي لإدانة
البريء والحكم عليه بأشد العقوبة وعفو السلطان فوق حكم هؤلاء كما انه فوق جميع
الحاكم الشرعية والنظامية أهذه هي الشورى المطلوبة في القرآن التي كان النبي صلى
الله عليه وسلم يعمل رأي رجالها وان خالف رأيه كافعل في غزوة أحد التي أنزل عليه فيها
(وشاورهم في الامر) ؟؟ ياسبحان الله لهذا الحد وصليم في الاتصاف لعبد الحميد ؟
(٨) ذكر صديقنا عدة شبه على قولنا ان حكومة الاسلام حكومة شورى مقيدة ؟
لا استبداد مطلقة ؟ وان خلفاء الراشدين ، لم يكونوا في احكامهم مستبدين ،
ونحجب عنها واحدة بعد أخرى :

(الشبهة الأولى) ان صلح الحديبية لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم برأي
الصحابه بل كانوا له كارهين في أول الامر وانما قبلوه تدبيراً لا اقتناعاً فائدته كاهو معروف
في السير مع انه وقع بعد غزوة أحد التي أمر فيها بالاستشارة . والجواب عنه من وجهين

(الوجه الأول) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل بعض الاعمال بأمر من الله تعالى فلا يستشير فيها أحداً إذ لا مجال لرأي أحد مع أمر الله تعالى ويجب ان يكون صلح الحديبية من هذا القليل والالزم مخالفة النبي (ص) لأمر الله تعالى لإياه بمشاورتهم وذلك غير جائز ، وقد يدل على ذلك قوله تعالى في الرد على كراهة الصحابة لذلك الصلح « فعمل ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قوياً » ونسبة ذلك فتحا مبينا في أول السورة أيضا ، ولم يعاتبه تعالى عليه كما عاتبه على أخذ الفداء من الأسرى بيد.

(الوجه الثاني) قيل ان المشاورة لم تكن واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم وان أمر الله بها للتدب فهو يفعله إذا لم يرغبه أرجح منه . ولا أراك تطيب نفسك للقول بأنه (ص) يخالف الأمر الإلهي وان كان للتدب كما تطيب نفسك للقول بأنه فعله بوحى إلهي كما تدل عليه سورة الفتح

﴿ الشبهة الثانية ﴾ بعض أعمال الصديق كقتاله لأهل الردة ومانعي الزكاة وافتاده لجيش أسامة ، وعدم مواخذة خالد بن الوليد على قتل مالك بن نويرة والتسري بزوجه . وانا نجيب عنها كلها جوابا عاما ثم نجيب عن كل منها بالتفصيل اما الاول فهو ان الحكومة المطلقة هي ما كان الامر فيها للحاكم العام في التشريع والتنفيذ والحكومة المقيدة هي ما كان الحاكم العام فيها مقيدا بشرعية ليس هو الواضع لها إما منزلة وإما موضوعة برأي الأمة ، وإما بعض احكامها منزل وبعضه موكل الى استنباط أولي الأمر من الأمة يضعونه بالمشاورة بينهم — كالشرعية الاسلامية — والتنفيذ في هذه الحكومة لا يحتاج فيه الى الاستشارة متى كان الحكم معروفا عند الحاكم . وكذلك كانت حكومة الراشدين : كانوا اذا وجدوا الحكم في كتاب الله حكموا به او في السنة كذلك فان لم يجدوا جمعوا أهل الرأي من الصحابة واستشاروهم كما روينا ذلك بالاسانيد المتصلة ووردنا بعض ذلك في المنازع قبل وعلى هذا تجري الحكومات الدستورية الآن في اوربا وغيرها : يحكم الحاكم بالقانون فلا يراجع مجلس النواب في كل قضية وإنما يرجعون اليه في المشكلات وما كان غير منصوص في القانون . وقد كان الحكم الشرعي في المسائل المذكورة معروفا

عند أبي بكر فجاز له ان ينفذها من غير استشارة بل وجب عليه ذلك في اعتقاده
 واما التفصيل فقد تأول في قتال ماني الزكاة حديث « امرت ان اقاتل الناس
 حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
 واموالهم الا بجهنم وحسابهم على الله » فانه جعل من حقها ان ماني الزكاة الهادمين
 لركن من اركان الاسلام يقاتلون عليه حتى يذبحوا له . وان الفقهاء صرحوا بان الذين
 يمعنون شيئا من شعائر الاسلام ولو مسنونا كالاذان يقاتلون عليه . فهو قد تصدى
 لقتال ماني الزكاة عملا بحكم مقرر عنده بالنص وبما راجعه عمر في ذلك وذكر الحديث
 قال له « ألم يقل الا بجهنم ؟ فالزكاة من حقها » الخ ما قال وهو مشهور فاقنع عمر
 بقوله . وهذه المراجعة تدل على انهم كانوا يعارضون الامام اذا تصدى لشيء لم يظهر
 لهم دليله الشرعي فيه او ظهر لهم مخالفته فيه للنص الشرعي

والناس يخطون في هذا المقام فيخطون بين محاربة المرتدين وهو بنو حنيفة
 اتباع مسيلة الكذاب الذي ادعى النبوة وبين ماني الزكاة وهم غيرهم فمحاربة
 بني حنيفة كانت باتفاق الصحابة لم يعرض لأحد فيها إشكال ومحاربة ماني الزكاة
 عرض فيها الاشكال لعرفاقته ابو بكر

الحديث الذي دار الكلام عليه بين الشيخين مروى في الصحيحين وقد اخرجاه
 بزيادة هي نص في فهم أبي بكر الذي رجح إليه عمر اذ قال « فوالله ما هو الا ان رأيت الله
 قد شرح صدر أبي بكر للقتال فصحت انه الحق » وهذه الزيادة هي « وقيموا الصلاة
 ويؤتوا الزكاة » فالخاصل ان أبا بكر عمل بما علم من حديث الرسول في المسألة وذلك
 بما لا يحتاج فيه الى الاستشارة وقد اقره الصحابة كلهم على ذلك بعدم مراجعة عمر واقناعه
 وإما لإنفاذ أبي بكر لجيش اسامة فهو ايضا تنفيذ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
 اشار عليه بعض الصحابة أن يرد الجيش فلم يفعل وقال « لأحل راية عقدها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم » فاحتج بأنه منفذ لأمر الرسول (ص) وكانت المصلحة
 فيما فعل . وبما يدل على انه لم يكن يرى ان له الحق في رد الجيش طلبه من أسامة
 ان يأذن لعمر في البقاء في المدينة ليتنعم المسلمون برأيه ولم يمكث عمر عنده بما له من
 السلطة العامة لأن سلطته في الامور المنصوصة لا تعدو تنفيذ النص الا ان يظهر له

في اتباع النض ما ينافي المصلحة العامة لأمور عرضت تقتضي ذلك فينبذ يستشير أولي الأمر في الصل بما فيه المصلحة كما فعل عمر في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد إذ كان على عهد النبي (ص) وأبي بكر (رض) بعد طلقة واحدة . فرأى عمر بعد مضي زمن من خلافته أكثر الناس من هذا الطلاق المخالف لسنة ومقصد الشريعة فاستشار الصحابة في إفادته عليهم عسى أن يتركوه وأنفذه برضاهم والحديث في الصحيح وتقدم الكلام عليه في التفسير وغير التفسير

وأما عدم مؤاخذه أبي بكر لخالد بن الوليد أي مقاصته على قتل مالك بن نويرة فهي لا تدل على أن حكومته كانت مطلقة استبدادية إذ ليس في الشريعة نص يوجب القصاص في مثل تلك الحادثة وهي القتل بالتأول في الحرب بل فيها ما يقتضي عدم القصاص قال خالد نفسه قتل طائفة من بني جذيمة متأولا فنضب النبي (ص) حتى قال « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » كما في الحديث الصحيح ولكنه لم يقتله ولم يوجب عليه دية . وكذلك قتل أسامة رجلا قال لا إله إلا الله فأنكر النبي (ص) عليه ذلك وقال « يا أسامة أقتله بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قالها ثلاث مرات كما في الصحيحين ولم يقتله به ولا أوجب عليه قودا ولا دية لأنه متأول . وما روي من أن عمر أشار عليه بقتله غابة ما يفيد كما قال ابن تيمية أن المسألة اجتهادية اختلف فيها اجتهاد الشيخين ولم يأت عمر بدليل يوجب على أبي بكر الرجوع إلى وأيه . والظاهر أن عدم الدية والقود خاص بما يكون من مثل هذا في أيام الحرب وأما من قتل ممصوما في أيام السلم متأولا فتأوله قد ينافي التصمد الذي يقتل به ولكنه لا يمنع إيجاب الدية ولا التزير بحبس أو غيره . ولمؤرخي الشيعة وغيرهم أقوال غير صحيحة في مسألة قتل خالد للمالك ومنها تسريه بوجه من غير اعتداد ولا استبراء وليس لهم في ذلك رواية يحتاج بمثلها شرعا ، على أن فقهاء الأمة مختلفون في اعتداد مثلها وليس هذا المقام مما ينسج للخوض في ذلك

﴿ الشبهة الثالثة ﴾ عزل الفاروق لخالد من قيادة الجيش في الشام . وتقول إن ذلك حقه وقد بلغه من الأخبار ما أراه أن المصلحة في ذلك . وهذا ما يفعله كل رئيس للساكر

اولاد الادارة في الحكومات الدستورية ولا يتبعون في اختيار القواد هوى الجند ورضاه قط بل كثيرا ما تقضي السياسة بابعاد القائد عن الجند الذي يشتهو يقتن به لئلا يحدته نفسه بالظروج به على الحكومة وتأسيس دولة جديدة . ويروى ما يدل على ان هذا هو السبب في عزل عمر له وهوانه لما سأله خالد عن ذلك قال خفت أن يهدك أهل الشام . ألم يكن السبب في سفك نابليون لدماء الملايين من البشر هو افتتان جنوده به حتى انهم عصوا بحكومتهم عند ما أمرتهم بمحاربته بسد رجوعه من جزيرة « ألبا » وكانوا عازمين على ذلك فلما اقبل عليهم بوجه ودهام الى قتله خروا امامه خاضعين وله متبعين ؟ ؟

(٩) ومن المسائل العامة التي غلط فيها صديقنا صاحب « وطن » ما ذكره في المؤرخين الذين يستد بأقوالهم والذين لا يعتمد بأقوالهم وتطبيقه ذلك على أقوالنا وأقواله في الانقلاب العثماني . والصواب ان المؤرخ الصادق الدليل يعتمد بروايته عما رواه واختبره بنفسه وأما ما يرويه عن غيره فالعبرة فيه بصحة السند ومتى كان الراوي عدلا قبل قوله ولو فيما يؤيد رأيه ومنهجه كما قبل المحدثون من أهل السنة رواية الدول من المتنزلة والخوارج والشيعية . ثم انه ليس ههنا فريقان مختلفان تمصب نحن لاحدهما على الآخر وإنما يظهر التمصب من صديقنا لأنه يفضل الحكومة الحميدية الاستبدادية التي سقطت على الحكومة الدستورية التي قامت ويطري عبد الحميد ويزم خلفه وأعرانه فهذا هو التحيز الى فئة . وقد اتهمته (بني غزته) وغيرهما من الجرائد التركية بأنه كان يرجو من عبد الحميد فوق ما ناله من وسام أو نوط وأنه وجد منه كتابة الى المايين يطلب فيها ان يدعى الى احتفال سكة حديد الحجاز ويعطى نفقة سفره الى الحجاز ، وهي مطالب في المال والجاه

أما نحن فاننا رأينا ظلم عبد الحميد في أنفسنا وبلادنا وأمتنا ودولتنا : رأينا المالية منهوبة ، والأرض مظلومة ، والأموال مضمومة ، والمعارف مضمومة ، والكتب ممنوعة ، والقضاء آله سياسية ، والإدارة مدبرة الأسفداد ، والعسكرية قد سرى اليها الوهن والفساد ، والاجانب يتعصون الأرض من اطرافها ، ويسري نفوذهم فيها ، فجاهدنا على قدر صبرنا وضميرنا ، وجاهدنا غيرنا من الاحرار كل على قدره ، حتى اذا اذن الله بسقوط تلك

الحكومة الجديدة الفسدة ، حمدناه وأظهرنا سرورنا بنصره ، وشكرنا العاملين على الانقلاب مع شكره ، عملاً بحديث « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ولكننا لم نقدر الحكومة الجديدة ولم تنصّب لها في عمل من الأعمال بل نرشدنا وننتقدنا على خطايها ومنه ما يرى خبره في هذا الجزء عن قرن الشام ، وعلى تقصيرها ومنه أنها لم تعد لنا شيئاً من حقوقنا التي سلبها الاستبداد منا . فلا نقول إننا بلغنا بها أعلى عليين ، وإنما نقول إنها عمل الرجاء وكنا بما قبلها يائسين . فهل من العدل أن نقول صدقنا أن كلامنا لا يعتمد به لا تامة حيزون متعصبون ، وإن كلامه هو الذي يعتمد به لأنه يشهد لنفسه أنه أوسع علماً وأشد إخلاصاً ؟ قلت من قبل أنني أحسن الظن فيه وأقول الآن إن ظني فيه لم يتغير وإن أصر على مدح عبد الحميد بعد البيان ، كما يحكم عليه الوجدان ، ولا أعد ما ذكرته الجرائد التركية قادحاً في إخلاصه ، ولكنني أوقن بأنه لا يعرف من حال الحكومة الجديدة عشر معشار ما أعرف أنا وأمثالي إذ ليس عنده إلا سميات قليلة يصدق بعضها ويكذب بعضها بحسب فكره ووجدانه ، وأما معلوماتنا فتدخل من أبواب اليقنيات الستة وهي كثيرة جداً . وإذا كانت الثبرة على الدولة والإخلاص لها تعذر الموازنة بينهما في أنفسهما فدلائلها فبنا أقوى من دلائلها عنده لا أننا نحملنا الأيذاء والبلاء في أنفسنا وأهلينا وأموالنا وآثرنا ذلك على الأموال والرتب والأوسمة ، فهل عنده شيء من مثل هذه الدلائل على حب الدولة والإخلاص لها وهما مما لا تنكرهما عليه ؟

(٩) احتج مناظرنا على كلمته الشيعة في مولانا وخليفتنا السلطان محمد الخامس أيده الله بروح منه بقول جمعية الاتحاد وشوكت باشا أنه لم يترك حوله أحد من أنصار المهد القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم !!!

أنني على كثرة ما انكرت على صاحبي من أقواله وآرائه وحججه في موضوع مناظرتنا لم أر أغرب من قوله هذا وما كان يخطر في بالي أن يقوله مثله وهو من أهل العلم والسياسة . إن مولانا السلطان محمد لم تكن له حاشية عظيمة من أهل السياسة الذين يعتمد عليهم فيقال إن إبعاد شوكت باشا أو غيره إياهم عنه واستبدال غيرهم بهم جعله غير قادر على التصرف حتى يصح أن نقول به تلك الكلمة المنكرة ، وإنما كان حوله جواسيس عبد الحميد اسمه من أهل السياسة ، بل من أهل الفساد والسعاية ، ولم يكن يثق بأحد

منهم ، وهو الآن يرى جميع الوكلاء وأركان الدولة ومن شاء من غيرهم ويكشفهم بما يريد وكذلك كان جميع السلاطين قبل عبد الحميد لا عمل لهم الا بواسطة حكومتهم ولم تكن حاشيتهم إلا حاشية خدمة ولكن عبد الحميد أسس حكومة المايين ليحارب بها الدولة والامة وقد فعل وظفر زمام كان عاقبة امره خسرا

﴿ قيل للرد يدخل في باب الاخبار والاراء ﴾

فما نشر في عدد ٨٦٦ من جريدة بيروت الرسمية التي صدرت في ٢٨ الحرم سنة ١٣٢٤ بالتركية والعربية في اتهمنا بالجنابة وجلبنا بالقوة احياء أو ميتين لمحكمة الجزاء بطرابلس كاهو معنى « اخذ وكرفت » وهو

(طرابلس شام بدايت محكمه سي جزا)

« دائره سندن »

مصره فرار والمنار هذيانامه سنده نشرات خائثانه وملعتكارانه به اجتناب اتمك ماده سندنطولاني مظنون وفرارده بولتان طرابلس شام سنجاغته تابع قلمون قريه سي اهالي سندن وهذيانامه مذكوره صاحب ومحررى محمد رشيد رضا ايله هذيانامه مذكوره به دخالت ونشرات ملعتكارانه به اشترك ايندكلى ادعاسيله مظنون ومرقوم رشيدك برادرى اولوب موقوف بولتان ابراهيم ادهم وبه مصره فرار وأرباب فسادہ التحاق ايدن ديكر برادرلى أحمد حمدي وحسين وصفي اياه طرابلس شاملى عبد القادر مفرينك حركات خائثانه وملعتكارانه لرندن طولاني أصول محاكمات جزائيه نك مواد مخصوصه سي احكامنه توفيقا طرابلس نام جنابت محكمه سنده محاكمه لرى اجرا قلمق اوزره جزا قانونامه هما به نك الى سندنجر ماده سي موجبنه بيروت ولايتى هيئت اتهاميه سنجه حنايتله اتهام يته قرار ويرلديكندن متهموف مرقومونك هر نره ده كور بوزار ايسه طوينة به محكمه مذكوره توقيفخانه سته تسليمارى لازم كله جكي بالجله ضابطه عدليه ، موزاريات معلومى اولوق اوزره اشبوأخذ وكرفت مذكرومك خلاصه سي بيروت وسى غزته سته درج واعلان اولمقه اوزره تنظيم اولندي .

(من دائرة جزاء محكمة البداية)

« في طرابلس الشام »

بما ان محمد رشيد رضا من أهالي قرية القلون التابعة لواء طرابلس الشام الفار إلى مصر وصاحب وعمر جريدة المسار الهداية والمظنون عليه بالتجسس على نشر مواد الخيانة والمصنة في الورقة المذكورة وكلا من أخيه ابراهيم أدهم الموقوف والمظنون عليه بأشراكه في تلك التشريرات اللعينة وأخويه أحمد حمدي وحسين وصفي وعبد القادر المغربي من أهالي طرابلس الشام الفارين الى مصر أيضا والمتحصنين بأرباب الفساد قد اتهمتهم الهيئة الاتهامية في ولاية بيروت بالجناية توفيقاً للمادة ٥٨ من قانون الجزاء الملبوني ليحاكوا في محكمة الجناية في طرابلس الشام توفيقاً لاحكام المواد المخصوصة من أصول المحاكمات الجزائية وذلك بالنظر لحركاتهم الجنائية اللعينة فعلى جميع مأموري ضابطة العدلية ان يلقوا القبض عليهم أينما وجدوا ويسلموهم لحل توقيف المحكمة المذكورة ولأجل ان يكون ذلك مطعوماً عند المأمورين المذكورين جرى تنظيم هذه المذكرة (اخذ وكرفت) لتشر خلاصتها في جريدة بيروت الرسمية .

﴿ الطبيب محمد اسماعيل الاجيري الهندي ﴾

زارنا في أوائل هذا الشهر المبارك هذا الطبيب فعلمنا منه انه جاء من القدس الشريف وانه جاء في العام الماضي مع أهله الحجاز فادوا القرى وأقاموا في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة عدة أشهر ثم سافروا الى القدس فأقاموا فيها مدة ثم عادوا منها في أواخر الشهر الماضي محرمين بالعمرة وسيمودون بعدها الى بمبي وهي موطنهم وبلد اناسيتهم . وقد كان هذا الطبيب يعالج جميع المرضى في البلاد المقدسة بنسب آجرة ابتغاء مرضاة الله تعالى وقد كتبوا له شهادات في الحرمين شتمها الجمل الغفير من العلماء والشرفاء وشيخهم وصدقت عليها الحكومة لاسما في المدينة المنورة فسنأل الله تعالى ان يجزيه خير الجزاء ويجمله قدوة صالحة للأطباء

وقد علمنا منه انه ماجاه القاهرة الا لاجل زيارتنا فشكله ذلك وقد سأله عن افكاره مسلمي الهند في الانقلاب النشاني وهل صرح ما قبل ان أكثرهم يدينون الغالي بالدولة الآن لمسلمي ظنهم في السلطان عبد الحميد الخاوع . فقال ان في الهند كذا مليوناً من المسلمين أكثرهم لا يعرف السياسة ولا يهمهم من امرها شيء قط ولكن الذين يقرؤن الجرائد وقليل ما هم يبنون رأي جرائدهم في ذلك

﴿ كتاب التوسل والوسيلة ﴾

طبما الآن في هذه الايام كتابا خاصا في مسألة التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام وهو الذي قلنا نمودجانه في الجزء الثامن ونفذة وجيزة منه في تفسير الجزء السابع ، طبما اكثره على نفقة السيد محمد حسين نصيف وكيل امانة مكة في جده وطائفة منه على نفقته ليكون سلاحا في أيدي أنصار السنة ، يفرون به ضلالة أهل البدعة ، وانا ندعو أولياء البدعة المتكرين على شيخ الاسلام (كاشيخ النبهاني) الى قراءته والرد عليه ان استطاعوا ويدعو جمهور الامة الذين يحبون السنة ولكن يخشون بعضهم الجاهلون ، ويكرهون البدعة ولكن يزنيها لأعينهم المبتدعون ، أن يقرأوا هذا الكتاب ويوازنوا بينه وبين ما اطعموا عليه من كتب المبتدعين ثم ليقيموا ما يرونه موافقا لكتاب ربهم عز وجل ، وسنة نبينهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيرة سلفهم الصالحين ، وأئمتهم المجتهدين ، بين شيخ الاسلام في كتابه هذا معنى الوسيلة في القرآن ومعنى التوسل في لغة الصحابة وعرفهم ومناه في عرف المتأخرين الذين ادخلوا فيه معنى البدعة ، وما هو مشروع منه وما هو مبتدع ، وما هو نافع وما هو ضار ، وحقق مسألة السؤال ومسألة الدعاء ، وما يشرع منها وما لا يشرع مع الدلائل من الكتاب والسنة وأقوال السلف وحكمة التشريع - وبين ما يشرع في زيارة القبور وما يمنع ، ومسألة الكرامات وشرطها وانحوائق التي يتخذ بها الناس فيمدونها كرامة وما هي كرامة . وتكلم عن الاحاديث الواردة في زيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام وفي النهي عن اتخاذها وعن اتخاذ عيدا وعن اتخاذ المساجد على القبور وحقق مسألة رواية الحديث الضعيف والعمل به في الفضائل والمناقب وتكلم عن الشفاعة والاستشفاع والاستغاثة والاستعانة بغير الله وبين ما يصح من ذلك وما لا يصح ،

ولما كان حديث الاعمى الذي استشفع بالنبي (ص) فشفع له ودعا الله ان يرد عليه بصره فاستجاب دعاءه هو الحديث الوحيد الذي صح سنده في هذا الباب تكلم عنه في عدة ورقات فجمع طرقه وبين جميع رواياته وما صح منها وما لم يصح وحقق ان الصحيح لا يدل الا على ما هو ثابت مشروع من التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله

عليه وسلم في حياته بطلب الدعاء منه وبين في هذا المقام وفي مواضع أخرى أن ما كان يطلب من النبي (ص) في حياته لا يطلب منه بعد موته وإن كان حياً عند الله تعالى في عالم الغيب كما أنه لا يطلب منه غير ذلك مما كان يطلب منه في حال حياته كاللجوء والاستسقاء والطم واستدل على ذلك بعدم طلب الصحابة ذلك عند قبره أو مع البمد عنه وبعدهم عن التوسل به في الاستسقاء إلى التوسل بالعباس وغيره وذكر مسألة الاستسقاء في عدة مواضع واجتهاد الصحابة وما انفرد به بعضهم وخالف الجمهور وكونه خطأ لا يؤخذ به

وتكلم عن مسائل الشياطين واضلالها للناس ونمطها لهم وخدمتها لهم واشتباه ذلك بالكرامات وكذا عن الاستسقاء والتوسل بهم والرقية والعزائم باسمهم وعن وسوستهم وإغوائهم وسلطانهم على غير المؤمنين

وان القاري ليجد في هذا الكتاب من دقائق التفسير ومعاني الاحاديث وأسرار التشريع ما لا يجده في غير كلام المؤلف من العلماء ويجزم بأن ما انفرد به من البيان والتحقيق فيها هو الحق

مثال ذلك كلامه في الدعاء والسؤال والخلف وكيفيةها والفرق بينها وحكمها وحكمة ما يجوز منها وما لا يجوز ومن ذلك معنى كون الدعاء عبادة فلا يدعى غير الله ، والسؤال بالخلق وسؤاله والسؤال بما هو سبب الاجابة كالرحم والعمل الذي يقتضي الاجابة والسؤال بما ليس كذلك كالأموال الاجنبية التي ليست اسباباً وكالدوات والاشخاص التي لا تدخل لها في السببية وسؤال الله بحق بعض خلقه وهل لأحد حق عليه أم لا ، وبجاه الانبياء وهل الجاه الذي منحه الله لبعضهم يكون سبباً لاجابة غيرهم اذا ذكره أم لا ، والفرق بين حفظنا وإقسامنا بالخلقوات وبين إقسامه تعالى بها في القرآن وذكر أنواع هذه الاقسام وحكمها الخ

وفي الكتاب تكرار لبعض المسائل يذكر المسألة ثم يبيدها بالناسية والمصنف يعتمد لذلك لعله أن هذه المسائل التي أخطأ فيها كثير من الناس حتى أدى بعضهم إلى الشرك الأصغر أو الأكبر لا تنجلي وتستقر في الأذهان الا بذلك

صفحات الكتاب مثنان وثمئة سبعة قروش صحيفة وأجرة البر يدقش صحيح

﴿ قن رمضان ، في دمشق الشام ﴾

يقول أحد الدمشقيين العارفين ان لاهل دمشق في كل رمضان فتنة يلهون بها إذا أوشك الشهر ان ينقضي فيغير فتنة خاص بحبو الفتى ثم يسمون في اثاره فتنة صغيرة أو كبيرة بقدر الامكان وتقول ان كبرى فتنهم الرضائية ثلاث متشابهة في ثلاث : في تدبير اكابر الخشوية المستبدين لها ، وفي جعل مبدأها الانتقام من بعض الاحرار طلاب الاصلاح ، وفي كون الناية منها التثكيل بجماعة معروفة ذنبها عند أولئك الاكابر انها تكره الاستبداد وأهله وتوجب الاصلاح وتعمل له (الفتنة الأولى) هي التي آثاروها على السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من بضم سين لانه ألف رسالته المشهورة (الفقه والتصوف) وكانوا يريدون قتله وقتل من أشرنا اليهم من محبي الاصلاح ولكن الحكومة الحميدية سبقت وعيتها المخلصه الى الانتقام منه واسره مشهور (الفتنة الثانية) هي التي آثاروها على كاتب هذه السطور في أواخر رمضان السنة الماضية وهي مشهورة ، وقد ضمت الحكومة الدستورية عن مداركتها بما برني مثري الفتى ، ولذلك نشروا بعدها جمية « ولقان » التي قامت على الدستور ولو نجحت تلك الجمعية في الاستانة لكانت دمشق اسنانة ثانية لها بتدبير اكابر المجرمين في الباطن وأصاغهم في الظاهر كالشيخ صالح المشرقي والشيخ عبد القادر الخطيب اللذين كانا يقولان اقتلوا هؤلاء الدستوريين أو الوهابية قاتلهم ٥٠ رجلا (الفتنة الثالثة) ما آثاروه في هذا العام على محمد افندي كرد علي صاحب جريدة المقتبس أولاً ثم على سائر أعدائهم الذين أشرنا اليهم ، وقد علمنا انهم ألفوا جمعية للانتقام من الاحرار والمصلحين وانهم بدأوا بصاحب المقتبس لانه شدد التنكير في جريدته على أعداء الدستور ومثري فتنة رمضان الماضي فتموه أولاً بمشايمة جمية « ولقان » على الدستور ففتشت الحكومة مطبعته وادارته ولم يثبت عليه في التحقيق شيء فقلعوا ان هذه التهمة لا تسم في مثله فاتهمه وسائر الاحرار ومحبي الاصلاح اللذين كانوا يضطهدونهم في زمن الاستبداد بالسعي الى « الخلافة الربية » وهي الكلمة التي كانوا هم واضرابهم ينتقمون بها ممن شأوا في العصر الحميدي

أما كرد علي فرجل كان وما زال يكره الاستبداد وقد أصابه شره فمر الى مصر وكان فيها يبدأ عن السياسة وأهلها وقد دعوا له أكثر من مرة للدخول في جمعية الثوري العثمانية فأبى وهو لا يخلو من غرارة وسذاجة فما هو والله بأهل للسياسة ولذلك يسقط من قلعه وينشر لغيره ما يمكن ان يبدد العدو شبهة على سوء قصده وما هو بالسوء القصد ، ومن ذلك انه كتب عن بلاغ شيخ الاسلام عبارة فيها من بعض الناس تشير بأن الدولة العثمانية ليست دولة خلافة فأخطأ بذلك واعترف بخطأه في اليوم الثاني واسكن الحكومة بادرت الى الحكم عليه بالحبس وبإبطال جريدته ومطبعته في ذلك مثري الفتى في كل زمن على سائر الاحرار فوشوا بهم وانهم هم المنموون الآن بخلافة الربية الوهمية هم أغلس المخلصين للدولة والملة في الشام ففهم أفضل العلماء كالليطار والقاسي وأشهر الاحرار كعبد الرحمن بنك اليوسف وكردي علي ومنهم جمية النهضة السورية وهم احداث لا يعرفون السياسة ، فإذا كانت حكومة الدستور تهين أمثال هؤلاء بأغراء الرجعيين مثري الفتى أغلا تكون الحكومة الحميدية خيراً منها وأعدل اذ كانت تعلم انهم أعداؤها ولم ينلهم منها الا المراتبة وتفتيش الكتب؟ اعتقلوا أيها الحكام وتبرمروا وأقموا الدستور بالقسط والا كانت المكافحة خطراً على الدولة والأمة وقد قال الرسول (ص) « اذا ابتغى الامير الربية في الناس أقسدهم » رواه أبو داود

المأثور

١٣١٥

فبشر مبادى الذين يستمعون القول فيقولون حسنة
اولئك الذين هم اول الابواب

في الحى الحكيم من يشاء من قولنا الحكمة فقد أدنى
غيرا كثيرا وماء صكر الا اول الابواب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر - الجمعة سلخ شوال ١٣٢٧ - ١٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩٨٥م ﴾

الصوفية والفقراء *

﴿ فتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴾

مسئلة عن الصوفية وانهم أقسام والفقراء أقسام فما صفة كل قسم وما يجب عليه ويستحب له ان يسلكه ؟

الجواب : الحمد لله أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد قل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري انه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري وتنازعوا في المعنى الذي أضيف اليه الصوفي فانه من اسماء النسب كالحقشي والمدني وأمثال ذلك قليل انه نسبة الى أهل الصفة وهو غلط لانه لو كان كذلك لقل صُفِّي وقيل نسبة الى الصنف المقدم بين يدي الله وهو أيضاً غلط فانه لو كان كذلك لقل صفوي وقيل نسبة الى الصفوة من خلق الله وهو غلط لانه لو كان كذلك لقل صفوي وقيل نسبة الى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب اليهم النسك وهذا وان كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضاً لان هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر الناس ولانه لو نسب الناسك الى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى ان يكون مضافاً الى قبيلة في الباطنية لاجود لها في الاسلام وقيل وهو المعروف انه نسبة الى ليس الصوف فانه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بين ديرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والمباداة

﴿ المنازع : تنشر هذه الفتوى ليعلم الذين يفلدون بن حجر وغيره في قولهم ان ابن تيمية كان ينكر على الصوفية حق هذا القول من باطله ومنها يعلمون ان الرجل يزد كل شيء بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح

والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الامصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية وقد روى ابو الشيخ الاصمعي بلسانه عن محمد بن سيرين انه بلغه ان قوما يفضلون لباس الصوف فقال ان قوما يتخيرون الصوف يقولون انهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدى بنينا أحب الينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاما يحو من هذا ولهذا غالب ما يحكي من المبالغة في هذا الباب انما هو من عبادة أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه في سماع القرآن ونحوه كقصه زرار بن اد في قاضي البصرة فانه قرأ في صلاة الفجر « فاذا قرئ في التاقور » فخرميتا وكقصه ابي جهمر الاعمى الذي قرأ عليه صالح المري فات وكذلك غيره ممن روي عنهم ماتوا باستماع قرائته وكان فيهم طوائف يصمقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة من هذا حاله فلا ظهر ذلك انكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت ابي بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم والمنكرون لهم مأخذاف منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعاً يذكر عن محمد بن سيرين انه قال ما بيننا وبين هؤلاء الذين يصمقون عند سماع القرآن ان يقرأ على أحدهم وهو على حائط فان خر فهو صادق ومنهم من أنكر ذلك لانه رآه بدعة مخالفا لما عرف من هدي الصحابة كما قل عن أسماء وابنها عبد الله والذي عليه جمهور العلماء ان الواحد من هؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وان كان حال الثابت أكل منه ولهذا لما سئل الامام أحمد عن هذا فقال قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان ففتني عليه ولو قدر أحد ان يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فا رأيت أعقل منه ونحو هذا وقد قل عن الشافعي انه أصابه ذلك وعلى بن الفضل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه لكن الاحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وحل القلوب ودموع العين واقشعار الجلود كما قال تعالى « اما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلى عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى بهم يتوكلون » وقال تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تاتين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال تعالى « اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبُكْيَا » وقال « واذا سمعوا ما نزل الى الرسول ترى أعينهم

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » وقال « ويخرون للاذقان يكون ويريدهم خشوعا » وقد ينم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرئين عليها والجفاء عن الدين ما هو مذموم وقد فعلوا ومنهم من يظن ان عالم هذا أكل الاحوال وأعمها وأعلاها وكلا طرفي هذه الامور ذميم

بل المراتب ثلاث احداها حال الظالم لنفسه الذي هو قاصي القلب لا يلين للسمع والذكر وهو هؤلاء فيهم شبه من اليهود قال الله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » وقال تعالى « ألم بأن الذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد قست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والثانية حال المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه فهذا الذي يصعق صعق موت أو صعق غشي فإن ذلك انما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله وقد يوجد مثل هذا فيمن يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بعقله . ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جنته وكذلك في غير . ولا يكون هذا الا لمن ورد عليه أمر ضعف نفسه عن دفعه بمنزلة ما يرد على البدن من الاسباب التي تمرضه أو تقتله أو كان أحدهم مضطوبا على ذلك فاذا كان لم يصدر منه تعريض ولا عدوان لم يكن فيه ذنب فيما أصابه فلا وجه للرية كما سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك وكذلك ما يرد على القلوب مما يسونه السكر والنشأ ونحو ذلك من الامور التي تغيب العقل بنير اختيار صاحبها فانه اذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فان السكران بلامميز وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فانه يحرم بلا نزاع بين المسلمين ومن استحل السكر من هذه الامور فهو كافر وقد يحصل بسبب حبة الصور وعشقمها كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدادة وفي إفاقة من به سكران

وهذا مذموم لأن سببه محظور وقد يحصل بسبب سماع الأصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضا مذموم فإنه ليس للرجل أن يسمع من الأصوات التي لم يؤثر سماعها ما يزيل عقله أذا إزالة العقل محرم ومتى أفضى إليه سبب غير شرعي كان محرما وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمر فيها نوع من الأيمان فهي مضمومة بما يحصل مما من زوال العقل ولم يأذن لنا الله أن تمنع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الأيمان ولا غيرها مما يوجب زوال عقولنا بخلاف من زال عقله بسبب مشروع أو بأمر صادقة لا حيلة له في دفعه وقد يحصل السكر بسبب لاقفل للسبب فيه كسماع لم يقصده بيسج قاطنه ويحرك ساكنه ونحو ذلك وهذا لا ملام عليه فيه وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور لأن القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالخمس عليه والجنون ونحوهما ومن زال عقله بالخرق فله هو مكلف حال زوال عقله؟ فيه قولان مشهوران وفي طلاق من هذه حاله نزاع مشهور ومن زال عقله بالبنج يلحق به كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي وأحمد وقيل يفرق بينه وبين الخمر لأن هذا يشتهي وهذا لا يشتهي ولهذا أوجب الحد في هذا دون هذا وهذا هو المنصوص عن أحمد ومذهب أبي حنيفة

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنوناً إما بسبب خلط يظلب عليه وإما بغير ذلك ومن هؤلاء عقلاء المجانين الذين يعدون في الناسك وقد يسمون الموهبين قال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم العلم وأسقطوا بغير ما فرض المسلب فهذه الأحوال التي يفترق بها الفسح أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان مجتهداً على ما فعله من الخير وما ناله من الأيمان معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الأسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله أو فعل ما يكرهه الله ولكن من لم يزل عقله مم أن حصل له من الأيمان ما حصل لهم أمثله وأكل منه فهو أفضل منهم (هـ) وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا صلى الله

عليه وسلم فإنه أسري به الى السماء وأراه الله ما أراه وأصبح كباث لم يتغير عليه حاله
فخاله أفضل من حال موسى صلى الله عليه وسلم الذي خر صقاً لما تجلى له الرب للجبيل وحال
موسى حال جليلة عليه فاضلة لكن حال محمد صلى الله عليه وسلم اكل واعلا وافضل .
والمتصور ان هذه الامور التي فيها زيادة في العبادة والاحوال خرجت من
البصرة وذلك لشدة الخوف فالت الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء
السليبي وامثالها امر عظيم ولا ريب ان حاطم اكل وافضل ممن لم يكن عنده من
خشية الله ما قابلهم او تفضل عليهم ومن خاف الله خوفاً مقصداً يدعو الى فعل
ما يحبه الله وترك ما يكره الله من غير هذه الزيادة فخاله اكل وافضل من خال هؤلاء
وهو حال الصحابة رضي الله عنهم وقد روي ان عطاء السليبي رضي الله عنه روي
بعد موته فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال قال لي يا عطاء أما استحييت مني أن تخافني
كل هذا أما بلغت اني غفور رحيم .

وكذلك ما يذكر عن امثال هؤلاء من الاحوال من الزهد والورع والعبادة وامثال ذلك
قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ماسنة الرسول أموراً
توجب ان يصير الناس طرفين قوم يذمون هؤلاء وينقصونهم وربما أسرفوا في ذلك
وقوم يفاون فيهم ويمجسون هذا الطريق من اكل الطرق وأعلاها والتحقيق انهم في
هذه العبادات والاحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من اهل الكوفة مجتهدين في
مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة
ما انكره جمهور الناس وخيار الناس من اهل الفقه والرأي في اولئك الكوفيين على طرفين
قوم يذمونهم ويسرفون في ذمهم وقوم يغفلون في تعظيمهم ويمجسونهم اعلم بالفقه من
غيرهم وربما فضاهم على الصحابة كما ان الغلاة في اولئك العباد قد يفضلونهم على
الصحابة وهذا باب يفترق فيه الناس

وانصواب لم يعلم ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى
الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وان افضل الطرق والسبل الى الله
ما كان عليه هو واصحابه ويعلم من ذلك ان على المؤمنين ان يتقوا الله بحسب اجتهادهم
ووسمهم كما قال الله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا

أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقال « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وان كثيرا من المؤمنين المتقين اولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والايمان ما حصل للصلابة فينقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بد ان يصدر منه خطأ اما في علومه واقواله واما في اعماله واحواله ويثابون على طاعتهم ويفرغ لهم خطاياهم فان الله تعالى قال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير — الى قوله — ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا » قال الله تعالى قد فعلت . فمن جعل طريق احد من العلماء والفقهاء أو طريق احد من العباد والنسك افضل من طريق الصلابة فهو مخطيء . ضال مبتدع ومن جعل كل مجتهد في طاعة اخطأ في بعض الامور مذموما معيائمتوتا فهو مخطيء . ضال مبتدع .

ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم ايضا مجتهدون يصيبون تارة ويخطئون تارة وكثير من الناس اذا علم من الرجل ما يحبه احب الرجل مطلقا واعرض عن سيئاته واذا علم منه ما يفيضه أبغضه مطلقا واعرض عن حسناته محاط (١) وحال من يقول بالحافظ (٢) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وهو ان المؤمن يستحق بوعده الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يمدح عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يبغض منه فهذا هذا .

واذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كلف فيها من يسلك طريق العبادة والزهد بما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال

ثم التصوف عندهم له حقائق واحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم الصوفي من صفات من السكندر وامثلا من الفكر واستوى

عنده الذهب والحرير، التصوف كمان الماني، وترك الدعاوي، وأشباه ذلك. وهم يسمون بالصوفي إلى معنى الصديق وأفضل أطلق بعد الأنبياء الصديقون كما قال الله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي لكن هو في الحقيقة أنواع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي جاهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة انهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكل صديقي زمانهم وإن الصديق في العصر الأول أكل. منهم والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وإن كان غيره في غير ذلك الصنف أكل منه وأفضل منه .

ولاجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا انهم مبتدعون خارجون عن السنة وتقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبصم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم أفضل أطلقوا كلهم بعد الأنبياء وكلا طرفي قصد الأمور ذمهم والصواب انهم يجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففهم السابق السابق المقرب بحسب اجتهاده وفهم المتقصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب ومن المنسيين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد اتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند الحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الرحمن

العلمي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .
فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتفرع وصارت الصوفية ثلاثة اصناف
صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسم فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم وأما
صوفية الارزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كأنطوانك فلا يشترط في هؤلاء أن
يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز وأكبر أهل الحقائق لا يقصدون بلوازم الخوانك
ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط أحدها العدالة الشرعية بحيث يؤثرون الفرائض
ويجتنبون المحارم والثاني التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب
الاقوات وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها والثالث أن لا يكون أحدهم
متمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للمال أو كان غير متعلق بالاخلاق الممودة
ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فانه لا يستحق ذلك . وأما صوفية الرسم فهم
المقتصرون على النسبة فهمهم في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك فهو لا في الصوفية
بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من اقوالهم واعمالهم بحيث
يظن الجاهل حقيقة أمره انه منهم وليس منهم

واما اسم الفقير فانه موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن
المراد به من الكتاب والسنة الفقير المعادل للفقير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (١)
والفقراء والفقراء انواع فنه المسوخ لاخذ الزكاة وضده الفنى المانع الحرام لاخذ الزكاة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحمل الصدقة لفنى ولا تهوي مكتسب » والفنى
الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وهو ملك النصاب
وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة ويباح له اخذ الزكاة خلافا لابي حنيفة والله
سبحانه قد ذكر الفقراء في مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين للزكاة في آية
والفقراء المستحقين للفنى في آية فقال في الأولى « ان تبدوا الصدقات فنعما هي
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » الى قوله — للفقراء المهاجرين الذين
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا » وقال في الثانية « ما افاء الله على

رسوله من اهل القرى - الآية الى قوله - للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم ينتفون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون »
وهؤلاء الفقراء قد يكون فيهم من هو افضل من افضل من كثير من
الاغنياء وقد يكون من الاغنياء من هو افضل من كثير منهم وقد تنازع الناس اما
افضل الفقير الصابر او الغني الشاكر والصحيح ان افضلها اتقاهما فان استويا في
التقوى استويا في الدرجة كما قد بيناه في غير هذا الموضع فان الفقراء يسبقون الاغنياء
الى الجنة لا حساب عليهم ثم الاغنياء يحاسبون فمن كانت حسناته ارجح من حسنات
فقير كانت درجته في الجنة اعلى وان تأخر عنه في الدخول ومن كانت حسناته دون
حسناته كانت درجته دونه لكن لا كان جنس الزهد في الفقر اغلب صار الفقير في
اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو من جنس التصوف فاذا قيل
هذا فيه فقر او ما فيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يراد به ما يرد باسم الصوفي من
المعارف والاحوال والاخلاق والآداب ونحو ذلك وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا
اما افضل الفقير او الصوفي فذهب طائفة الى ترجيح الصوفي كابني جعفر السهروردي
ونحوه وذهب طائفة الى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا
وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك واكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقق ان افضلها
اتقاهما فان كان الصوفي اتقى الله كان افضل منه وهو ان يكون يعمل بما يحبه الله
وأترك لما لا يحبه فهو افضل من الفقير وان كان الفقير يعمل بما يحبه الله وأترك لما
لا يحبه كان افضل منه فان استويا في فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا في
الدرجة ، واولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي احدهم فقيرا او صوفيا او فقيرا
او علما او تاجرا او جنديا او صائفا او اميرا او حاكما او غير ذلك
قال الله تعالى « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الذين آمنوا
وكانوا يتقون » وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تعالى « من عادى لي وليا فقد بارسى بالحجارة وما تفرق الي عبدي بمثل
ما تفرقت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببتني كنت
سعيه الذي يسع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

بها، فيبسم وبني يصروني يطش وبني يمشي ولئن سألتني لأعطيته ولئن استأذني لأعذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددتي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» وهذا الحديث قديين فيه أولياء الله المتقدين أصحاب اليمين المقرين والسابقين ، فالصنف الأول الذي قرأوا إلى الله بالفرائض والصنف الثاني الذي قرأوا إليه بالتواضع بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالتواضع حتى أحجبهم كما قال تعالى وهذان الصنفان قد ذكركم الله في غير موضع من كتابه كما قال « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » وكما قال الله تعالى « ان الأبرار لفي نعيم على الأبرار ان ينظرون » تعرف في وجوههم نضرة النعيم » يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » ومزاجه من نسيم عينا يشرب بها المقربون » قال ابن عباس يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً قال تعالى ان « الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا » عينا فيها تسمى سلسيلا » وقال تعالى « وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون » وقال تعالى « فاما ان كان من المقر بين فروج وريحان وجنة نعيم » واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين »

وهذا الجواب فيه جمل يحتاج الى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع والله اعلم

﴿ الشيعة والمسلمون ﴾

سألنا عن قولنا في الباية انهم ليسوا من الشيعة ولا من المسلمين ألا يفيد هذا القول ان الشيعة أيضاً ليسوا بمسلمين ؟ قلنا : لا بل هذا من باب المقابلة بين العام والخاص لما هو معلوم عند قراء النار وغيرهم من كون الشيعة مسلمين والقاعدة انه اذا قيل الخاص بالعام براد بالعام ما وراء الخاص فاذا قلت ان فلانا ليس بسوري ولا عثماني كان المراد بلفظ العثماني ما يشمل غير السوريين من العثمانيين ولا يدل على ان السوري ليس بعماني . فلما كانت الشيعة فرقة من المسلمين وثقيا ان تكون طائفة الباية منهم وان ظهرت فيهم كان لظان ان يظن ان الباية وبما خرجت من مذهب الشيعة بخلافته في المسائل التي كان بها مذهبا خاصا فقط وبقي على اصل عقائد الاسلام التي لا خلاف فيها بين الشيعة وغيرهم فبينما ان ذلك ايضا غير صحيح وانهم ليسوا من المسلمين مطلقا

مكة المكرمة (١)

﴿ والجرائد العربية ﴾

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ومرکزنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا بضاعة موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الأمم الإسلامية كلها نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا ننأثر من الذل الذي يلحق إخواننا في بخاري ؟ لماذا نفلل فاقدي الشعور امام المصائب التي تنزل بإخواننا في مراکش ؟ ألم يكنفنا أننا تسفلنا إلى درجة كدنا نضمحل فيها بالمثل بلفظ « لا بصير » و « ما بعيننا » ؟

ألم يكنف بائنا قد جعلنا تحت الأرض قيد الذل والأسر مئات الملايين من إخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟

هل نحن واقفون على الحالة السياسية والاضطعية الموجود فيها إخواننا المسلمون في أوستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز إدارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب ببدأ ؟ هل نحن على علم تام بمصائب متاخينا ومجاورينا الأيرانيين ؟ أو على المالم بذل القفقاسيين ؟ أو سفالة القرينيين ؟ أو سياسة الصريين ؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟

لنترك هؤلاء أيضا . هل نذرنا لاثاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البفار من الجول الخيم عليها منذ قرون ؟

أليس ذلك عارا علينا ؟ ان اهاننا لهذه الدرجة مما نأثر له عقول ذوي العقول ؟ أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الالهال ؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتكين ؟ لماذا وصلنا إلى هذه الدرجة من الخيرة ؟

* مقال محمد عالم انندي من كتاب الترك وعلمائهم نشر في مجلة « صراط مستقيم » التي تصدر في الاسنة وقد نشر مرزها في مجلة النمراس وخلصت جريدته بنيد وعينا أخضا

ان سكوتنا هذا يجعله الجاهلون على المسكنة المتصلة بفقرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألفاظ العدا من لسان الاوداء، لا من لسان الاعداء ، حتى أصبحنا عرضة لامثال هذه الأقوال اللثيمة : « أي شيء رقاہ المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن للمسلمين ان يرتقوا به ؟ »

هنا يتهاقت اخواننا وبنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان أوربا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب أوربا الدين وأي دين تحارب ! فيملقون بأشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يحجروا من الرزايا والكوارث ومخيلين ان الترقى الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول : بأي شيء ارتقى المسلمون ؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التقدم ؟ ؟ تالله ان البلاءه الموجودة عندنا هي من الفاقة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس و بغداد كانتا منبعاً للتقدم الأوروبي الحالي ، ومصدرا للعلم الحاضر ، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم ؟ فما هذا التناقض !

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتقدم حاجزا في طريق الترقى ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يقين منها بانها اساس متين للارتقاء ونظام مكيں للملاء

نعم نحن نفترف بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامة والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لاصبحوا سخريه لكن في هذه الحالة لا يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك إلا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية على وجوها ، بل خافوا الشرع ونبدوا الامور الإلهية وواء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سماحة الدين الاسلامي وتساهله مع العلم

والارتقاء استنادا على جهل بنيه هر أشبه بالاستدلال على حسن رجل أوقبه من خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا يجب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فاذا كان ثمة من كرب أو كارثة فلنجهد بإزالة كرب ، فاننا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ

والنصح ويطلعهم على الشؤون الاسلامية بصورة إيجابية ثم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعظم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع بعضهم ببعض مرة في العمر على الأقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرجال اليه فرضا وهناك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتعارفون ويتعرفون شؤون اخوانهم اتنين ومن المملكة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على السواء فاذا حجج الوالد فلا يسقط عن الوالد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزحجون ويقبّاحون فيما

يعود عليهم بالنفع ويفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسبرون عليها سعيًا وراء كل ما يرمون إليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الألوف بإمام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد جسمًا . الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين . الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في ملجئه هو نفس أمل المسلم في كشمير ويجعل ما يشعر به « أحمد » في القرآن يشعر به « محمد » في الترنفال أيها القوم ! أليس من الأسف أن تكون أوارم ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعد أداء الصلوات الخمس فضلا عن أداء فريضة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟ ؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على أنا وإن صلينا فانا نعد الذهاب إلى الحامع عملا لا لزوم له !

أيها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لانهم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستعداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكير به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقة ، كلنا نتمنى ان نرى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحكيمة منية الجانب مرهوبة الشيا ، لكن يا ترى لماذا لا تتدفع بالوسائل التي تقوي النصر الاصيلي للإسلام « وهو النصر العربي » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ؟ ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتثبيتها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق إلا بإنشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعمم

السان الفرنسي يعدد الاوربيون السان الرسمي العمومي بينهم ، والسان العربي يعدد المسلمون السان الرسمي الديني العمومي بينهم - اية بلدة أو مملكة إسلامية تعدد السان العربي غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعدد الكتاب العربي اجنيا ؟ - وعليه فأى شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد العربية عن القيام بادائه

انا وابيم الله لنأسف كل الاسف لاننا لم نتذرع حتى الآن بشي من هذا القليل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا تحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نفقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان فقدما ؟ انه يوجد لهذه الغاية الشريعة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن ان يتخذ مركزاً وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الفراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين أن يعرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئاً ؟ انا مع الاسف لم نعمل شيئاً حتى الآن لكن مادامت غايقتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخططة هي احسن وسيلة للوصول الى ما نري اليه

وأسفاه ! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجاء تراهم بسبب رزية جعلهم وسبب عدم وجود مرشد لهم يكتفون بواجبه بعضهم لبعض فقط فلا ينظرون الى البحث في احوالنا لا الديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشا كل وقالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه ؟ نعم ما الذي صنعناه نحن ؟ انا الى الآن لم تقدر ان تمدن ما حوالى مكة . بل انا نحن الى الآن لم تقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلمهم العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يبدون قتل المسلم الحجاج حلالاً مباحاً طعماً بسلب ثلاث أو خمس ليرات منه !

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يبدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركاً

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي يد ان الذي يجدي هو أن نجد ونجتهد لكي نجعله ماضيا وبعبارة أوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي
اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان نهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان
نوجه كل اهتمامنا الى مكة . . . لان . . . الوسائل التي تهض بالدولة العثمانية
وتجعلها في عداد الدول القوية التي تأتي ان تغلب انما تنالها بتلك الأرجاء
يجب علينا ان نجعل لتلك الأرجاء أهمية سياسية كاهية العاصمة نفسها لانها منبع
علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الأرجاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية
يجب ان تلقى الخطب الاجتماعية بتلك الأرجاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا
(المدارس) في تلك الأرجاء

يجب ان توزع من تلك الأرجاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم
يجب ان نجعل تلك الأرجاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه
رأى المالك الاسلامية ويعتقد بأنه اطلع على زيادة آمال الامة
يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشئون الاسلامية بأنه اذا رأى
مكة المكرمة اصبح واقفا على النموذج احوال الامة لدرجة كافية
يجب علينا ان نجعل هدايتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة .
يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس
وكل يوم نوجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات
فمكة وجهتنا في العبادات . اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز ديانتنا
اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي
هي المدنية الحقيقية الا بانحاء مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة

وبما يتخيل بعض الناس ان انحاء مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة يضر بالاستانة
نفسها ، لكن اظن أن المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على
وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم
(المنار ج ١٠) (٩٦) (المجلد الثاني عشر)

والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الارباب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام . وقبلة المسلمين في جميع ارجاء الارض وعليه فان مكة أنفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، واذا فكر أولياء الامور وأولو الشأن وارباب الاقلام منا بهذه النقطة الدقيقة فلاشك في انهم يميزون بالفوائد الكثيرة التي نالها

اليس الواجب ان تشمل تلك الارجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجربها امثال امماييل غصبرنسكي وغيره من الفيورين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة ؟ اليس من الواجب ان لا يحرم الحجاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل ايها القوم ! علينا بالعمل . يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة . يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

أيها القوم ! ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، والاييرانيين والافغانيين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والترك ، والاكراذ واللازيين ، والالبانيين ، والجرأكة ... كلهم قد ولوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة (الدعوة) لتصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم ! ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والافريقيين كلهم باذلون قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

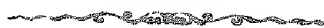
ايها القوم ! ان بقائه مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الامم اجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تقدر بوجه من الوجوه

ايها القوم ! لماذا التناقص ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة ويحفظهم متدينين ؟ ألسنا من بني الانسان ؟

ايها القوم ! يجب ان نزيل الاقذاء المفضية على صماخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الامم تتجدد وتجتهد لتكون في مركز يهدد كيان غيرها

ايها القوم ! اتنا نسمع الذبن يلقبون بلقب (لورد) او (موسيو) بأسفوت اوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ! فما هذا الذل ؟ وما هذا العار ؟ افلا

يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)
ايها المسلمون ! يجب ان تتهبوا فان القافلة قد شدت الرحال وغذت في المسير
والسلام على من اتبع الهدى اه
(المنار) طرقتا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي
في السنة الاولى من المنار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجهنا الخطاب في
ذلك الى مقام الخلافة في الاستانة لا لاننا كنا نرجو من ذلك المقام القيام بالاصلاح
المطروح فاننا كنا على قلة ما نعلم من سينتج الحكم الحميدي في ذلك العهد لم تكن
مقترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون
فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل
إصلاح ولكن يعوزنا الرجال المنفذون ، يعوزنا الرجال القادرون ، يعوزنا الرجال
الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لايجاد الرجال ؟ ؟



باب المناظرة والمراسلة

ايضاح وانتقاد

العلامة المفضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

(١٣ — السلام عليكم ورحمة الله) وبعد فقد اطلمت على جوابكم بالمنار (صحيفة ٥٣٧ ج ٧ م ١٢) واني اشكركم على كل حال وارجو ان تفسحوا للضعيف مجالاً في صدر حلمكم فان الكمال لله وحده وان خوفاً من التطويل مع رقة جسم المنار هو الذي جعلني اقصر عن زيادة الايضاح في أول الامر بل كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة تجعلني اختلس القليل من وقت راخلي لا اكتب ما ارى ذمتي تطالبني ببيانها اجمالاً مع اعترافي بالعجز وان كان فيما اكتب شيئاً من السلطة فازلت اقول « رب زدني علماً » حتى تتمكنوا من فهم قصدي الحسن واني باسم الله الاكبر ابتدئ في بيان المقصود فاقول :

(١٤ — القسمة في الآخرة) ذكرت في صحيفة ٥٤٤ ج ٧ م ١٢ ان الناس يتقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد وأنهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » فهذا لا يخالفكم فيه في شيء

(١٥ — مساواة الناس في بدء الخلقة) قلتم في صحيفة ٥٤٤ « وانه بدأهم على هذا وببيدهم عليه » ففهمت من ذلك ان الله تعالى بدأ خلق الناس قسمين شقياً وسعيداً وانه تعالى اخرجهم في هذه الحياة على هذه القسمة وانه سيبدهم في الآخرة على نفس هذه القسمة بلا تغيير ولا تبديل حيث ايدتم ذلك بقولكم « انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم » الخ . . . وهذا ما يخالفكم فيه ولا اوافقكم عليه من بعض الوجوه للاسباب الآتية :

اولا : خلق الله الناس في بدء خلقهم متساوين (٩) لفرض واحد فلاشقي بينهم ولا سعيدا ثم اخرجهم في الحياة الدنيا لعبادته كالآية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فخصر الفرض من الخلقة في العبادة وحدها يدل على تساوي أصل الناس في بدء النشأة

ثانيا : قال تعالى : « كان الناس امة واحدة » وهذا يدل صريحا على ان الناس كانوا كواحدا في بدء الخلقة لا يميز بين انسان وآخر ولا وجود لشتي بينهم ولا سعيد ثالثا : قال تعالى : « واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .. » فهذه الآية تدل على ان ذرية بني آدم بلا استثناء وهم في ظهور آباؤهم كانوا مطبوعين على تأليه انطلق وتوحيده بلا شرك فيدخل في ذلك بالطبع ذرية اليهودي والمجوسي والبوذي والبرهمي والمسيحي والمسلم والمادي والدهري والكافر والمؤمن مما اثبت توحيد الناس ومساواتهم في بدء الخلقة وقد ولدوا من بطون أمهاتهم بالبداية على هذه الطهارة فكيف تقولون انه بدأهم قسمين ويعيدهم عليها !

رابعا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة » والولادة على الفطرة كما لا يخفى عليكم هي الولادة على الاصل الطاهر الخالي من نزغات الشرك وخلافه فلا يوجد إذا في بدء الخلقة قسم

(١٦ — سير الناس على نظام ذو (٩) وجهين) لعلكم تتساءلون بهذا ذلك وتقولون إذا سلمنا بان الناس متساوون في بدأ الخلقة لا شقيا ولا سعيدا فكيف يقسمون في الآخرة اليها .. وكيف يتفق علم الله الأزلي الثابت على ذلك في الحياتين ؟

فأقول لكم إن الله تعالى أخرج الناس إلى الحياة الدنيا على الفطرة طاهرين وجعل لهم إرادته نظاما يسرون عليه بعد ان منحهم الاستقلال الذاتي والحرية غير ان هذا النظام ذو وجهين متضادين كما قال تعالى « وهديناه النجدين » أي الطريقين المتضادين : طريق الخسیر وطريق الشر في آن واحد ولما كانت الطبيعة الانسانية متركبة بكيفية ثلاثم الطريقين المذكورين غير انها لا يمكنها ان تسير الا في طريق واحد فقط منها ولو بالتناوب مرة هنا ومرة هناك تبعاً لحرية

الانسان واستقلاله كالأية « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » فكان ذلك داعيا لاقسامهم أنفسهم مع ان الله تعالى لم قسمهم من قبل ذلك . . فتجد واحدا يسير في طريق الخير دفعة واحدة وآخر في طريق الشر دفعة واحدة وثالث (١) يتنقل بين طريق الخير والشر مع العلم انهم جميعا في امكانهم أن يسيروا من طريق واحد دون ان يروا الثاني ولا يعلمون به فقسمهم في الاصل غير موجود بالمرّة ولكن النظام الموضوع امام حريتهم هو المقسوم فقط و فرق بين قسمة النظام وقسمة النفوس التي تسير بحريتها على أي شكل كان مما في هذا النظام المعطى لله من قبل خلق الناس أجمعين

(١٧ — علم الله الأزلي وسير الناس في الطريق) ربما يقولون بما ذكرته آتانا انه مادام الناس غير منقسمين من قبل سيرهم في احد الطريقين . وانهم يمكنهم جميعا ان يسيروا في طريق واحد من غير ان يروا الثاني ان علم الله تعالى الأزلي فيما يختص بسيرهم هذا غير ثابت من جهة الواقع منهم ونفس الامر وانه تعالى لا يعلم من من هؤلاء الناس سيكون في الطريق الايمن أو من منهم سيكون في الطريق الايسر ، وجوابي على ذلك : ان كل ما يحدث مهما كان من عمل الانسان الحركان معلوما لله اولا قبل وقوعه فعلا بصفة عامة لا تخصيص فيها ازيد من الناس وانه تعالى خلق الناس ليسيروا في أحد طريقين متضادين أو في كل منهما على التاب « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » مع كونه يراقبهم بنفسه كل المراقبة « أفئن هو قائم على كل نفس بما كسبت » فللمراقبة هي أساس العلم بالتخصيص بأحد الطريقين أو الاختار منهما في أي وقت بواسطة أي انسان بتام حريته . ومن هذه المراقبة يعلم الله تعالى في أول وهلة ما يخص كل فرد لنفسه من أحدهما . مع كونهما وكل ما فيها من أنواع الاعمال المختلفة معلومين لله تعالى من الازل كما مر . وكل هذا بالبداية لا يزيد علم الله تعالى شيئا ولا ينقصه شيئا وغاية ما في الامر ان الله تعالى خلق الناس في الاصل طاهرين وأخرجهم في هذه الحياة الدنيا لفرض هو : ليعلم منهم من يسير في الطريق الايمن بحريته ومن منهم يسير في الطريق الايسر ولذا كانت المراقبة لازمة كالأية « ان الله كان عليكم رقيبا » ويؤيد ذلك ما يأتي

أولاً : ماذا ذكره الله تعالى في الكتاب العزيز من أمر الفتنة أو الامتحان لاختبار كل من يؤمن به تعالى حتى يعلم منه اما الثبات نهائياً على الايمان أو الزعزعة عنه عند الامتحان أو الفتنة المذكورة كآية : «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» وقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » قاله تعالى بصريح في القرآن بنفسه بأنه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب في الايمان الا بعد ان يفتنه ويحجر به ويمتحنه ليعلم منه قوة الخبار للايمان والثبات عليه أو الزعزع عنه بمطلق حريته المنوطة له منه . أما قولكم ان ذلك علم انكشف فهو مردود لانه لا يوجد لله علم مكشوف لان المعلوم والموجود في علم الله سواء

ثانياً : قال تعالى عن الشيطان : « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة من هو في شك منها وراك على كل شيء حفيظ » أي انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة مما يحوّر (١) إرادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر بل هي وسوسة ضميعة » ان كيد الشيطان كان ضعيفاً » أمرها بسيط ولا تأثير منها ويمكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من المهام والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان الا لجعلها في ضمن الفتنة أو اللزوم المقرر في نظام الله ليعلم منها من يؤمن بالآخرة من هو في شك منها وان هذا العلم لا يكون الا بالمراقبة المذكورة . اذ بغير ذلك لا يكون معنى للمراقبة التي مدلولها التأمل لا انتظار وقوع فعل من شخص معلوم في احد (٢) جهتين متضادتين

ثالثاً : قال تعالى « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لروؤوف رحيم » فهو تعالى يصرح هنا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة بيت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . وهنا لا يتوهم القارئ ان الله تعالى كان يجعل شيئاً أو يعزب شيء عن علمه . كلا بل هو بكل شيء عليم لان الله تعالى كان يعلم أن ما خلفهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم بهما ان يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بمطلق حريتهم التي منحها لهم بلا أي مانع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بحسب الوضع الذي شكل

به الخلقة الانسانية كان يعلم عنهم في آن واحد انهم يمكنهم جميعا ان لا يقبوه (ص) بمطلق حر منهم وفي الوقت نفسه كان يعلم بالنتيجة التي سيجازيهم بها وتصيهم في الحياة الدنيا والآخرة ان لم يقبوه . ويعلم من قبل ايضا بالنتيجة التي سيجازيهم بها في الحياتين ان لم يقبوه . غير ان هذا العلم المطلوب ليس انكشاف الفعل الواقع المطابق وحده للعلم السابق دون غيره كما يقول المنار . كلا بل هو علم يتقبل ارادة كل منهم الى اي جهة يرغب السبر بحريته في احد الطريقين المتضادين للمؤمنين لله من قبل وهما مفتوحان معا في كل وقت امام كل انسان حتى يمد الله يده ذلك بجزاء ما اراد . وهذا العلم بالطبع لا يكون الا بالمراقبة كالآية « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت »
 رابعا : ان خلق الناس متساوين (١) في بدأ الخلقة وخروجهم الى الدنيا للتنافس في عبادة الخالق بحريتهم هو كل الحق الذي كان الغرض منه وجود العالم كالآية :
 « وما خلقتنا السموات والارض وما بينهما باطلا » وكالآية : « اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق » . . . فل يعرف المنار ما هو هذا الحق ؟
 هذا الحق هو منع المخلوقات ومنها الانسان « الحرية » الكاملة في عبادة الله والسبر في أحد الطريقين المتضادين متحملا نتائج احدهما او كل منهما بالتناوب على عاتقه بما وهبه الله من عقل وشعور والهام مع تمام الاستقلال في الارادة « وما تكسب كل نفس الا عليها »

فاذا كان الناس مقسومين كما قلتم من الاصل وفي الدنيا وانهم سيعودون على هذا التقسيم نفسه في الآخرة . . . فان الحياة الدنيا والخلق في الاصل والمبدأ يصيران بذلك عملا من الله باطلا كل البطلان لا علة ولا حكمة منه اصلا . . . بل يكون اشبه بتسخير القادر للعاجز ورهبة !ناس وتعذيب آخرين بالاستبداد والهوة دون غيرها مع ان الكل « انسان » ومن نفس واحدة يشع الواحد ويحس كما يشع الآخر وهذا لم يعمل ولن يعمل الرحمن الرحيم . ولا يشير اليه في كتابه الكريم وانما يشير الى ان الكل مكرمون « ولقد كرمنا بني آدم » ومخاطبون بالآية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا قسمة في اصل الخلقة ولا تقسيم الا في الآخرة فانها ستكون طبقا لما اكتسبناه بحريتنا من احد النجدين المتضادين « وهديناه النجدين » لا طبقا

للمقسوم المحترم « اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

خامسا : قال تعالى في بعض الآيات « ولا يعلم الله الذين آمنوا » فهذا العلم بالايان يدل على وقوعه في المستقبل دون الماضي . فهو لا يؤيد على الله الجبل او انه علم انكشاف للواقع دون غيره . كلا بل يدل على تنفيذ ما اراد الخالق ان يكون من نظام وضعه للانسان بصفته مخلوقا سيفعل الخير أو الشر في آن واحد . والمطلوب عليه هو قييد ما يختاره الانسان على نفسه من كل المعلوم لله أولا من كلا الطرفين . فإذا فعل انسان خيرا من بدء حياته الى مماته ووقع ذلك فعلا فقد كان هذا الواقع معلوما لله أولا بصفته معلوما لا بصفته واقعا لا محالة . ولكن بجانبه ايضا ان الله يعلم للشخص نفسه انه سيفعل الشر على نوع ما من بدء حياته الى مماته بصفته معلوما لا بصفته واقعا غير ان هذا الانسان اختار بجرته الأولى ترك بجرته الثانية فصار هذا الاخير من المعلوم لله غيبا لا يظهره للشخص ولا لاحد في العالم « عالم النيب فلا يظهر على غيبه احدا »

وبهذا وبغيره ثبت لكم ان الله تعالى لم يخص من الازل اناسا للايمان معلومين من قبل وجودهم وسينكشفون بالواقع . كلا بل كل موجود في الحياة امامه طريقان متضادان تحت حريته يراقبه الله تعالى حتى يعلم منه في اي جهة عزم نفسه الثابت عليها فكان تعلق العلم الالهي عن كل انسان دائما هو من جهتين متضادتين في آن واحد لا من جهة الواقع وحده كما قلتم . ولا كان الانسان لا يمكنه الجمع بينهما في وقت واحد فعلم الله تعالى المطلوب هو تخصيص أحدهما للانسان بارادته وحريته الذاتية . . . إذ ان هذا هو الفرض الوحيد من الخلقة

(١٨) — تعلق العلم الإلهي — علم الله بالواقع وبعضه في وقت واحد (قلتم في صحيفة (٥٤١ ج ٧ م ١٢) انه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع والا كان جهلا . . . وذلك محال »

أما أنا فأقول لكم ان علم الله تعالى يتعلق بوقوع الاشياء قبل حصولها في أحوال مخصوصة يريدنا الله تعالى بحق كالأية : « انما أمرنا لشيء ، إذا أردناه ان نقول له كن فيكون » ومثال ذلك وجود العالم قبل ان يوجد . . . ولكن بالنسبة للنظام الذي خلق الانسان عليه وأراد ان يسير بمقتضاه في هذه الحياة بصفة عامة فلما تلقى لوقوع الافعال الانسانية من قبل وقوعها غير أنها معلومة بشكلها التي وقعت عليه ان وقعت مثل ضدها تماما بالنسبة لمن وقعت منهم بالذات وان كان الضد الذي لم يقع صار في حيز العدم ولكنه ما زال معلوما لله تعالى في الغيب الذي لا ندركه ولا يريد الله ان ندركه لأن هذا التعلق الذي تقصدونه معناه تحديد ما وقع فعلاهما كان من أي عمل إنساني انه كان في العلم الالهي واقعا لا محالة قبل وقوعه دون غيره . . وهذا هو الخطأ المحض بل هذا هو اختلاف الذي بيني وبينكم في الغالب ومنه أي دتم عدم فهمكم لكثير مما ذكرت آخفا (وسأشرح فيما بعد ان هذه النقطة نفسها هي التي فرقت الامة الاسلامية احزابا وكانت أصلا لمقط الامة الاسلامية في أيامها المتأخرة المظلمة) إذ الحقيقة هي :

أولا إن الواقع كان معلوما لله تعالى مثل كثير من أنواعه واضداده بالنسبة لمن وقع منه الشيء نفسه في وقت واحد وغاية ما في الامر ان الواقع تخصص لفاعل الشيء من ضمن أنواع كثيرة كانت مفتوحة امام حريته لتنفيذ واحد منها في وقت واحد وان هذا التخصص هو الذي كان يراقبه الخالق ليعلمه (راجع ١٧) علم الله الازلي وسير الناس في الطريقين) لانه تعالى أراد ان يكون هكذا النظام الانساني في العالم كما قال تعالى « تلك الايام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فاذا كان علم الله تعالى معلوما من الازل عن يومن انه سيؤمن في وقت كذا قبل وقوعه ومن يكفر انه سيكفر في وقت كذا فالداعي لقوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » ؟ وأيضا — لماذا يتخذ منا شهداء أي شاهدين على من كفر به بحريته للمحاكمة في الآخرة ؟ اللهم الا لان الناس كلهم في نظر الله سواء . وانه تعالى فتح امام كل انسان طريقين متضادين فلا يعلم الله

تعالى أنه آمن إلا في حال إيمانه ولا يعلم الله تعالى أنه كفر إلا في حال كفره . وإن حكم الواقع عند الله في العلم هو حكم المدوم سواء بلا فرق وإن كان ذلك يصح عنه عقل الإنسان « ليس كمثل شيء »

ثانياً : عثرت في المكتبة الخديوية على رسالة في التوحيد بخط نسخ للامام أبي حنيفة رضي الله عنه (مجموعة نمرة ١٢٧ ن ع ٢٣٧٢) يقول فيها ما يأتي : « لم يجبر الله تعالى أحداً على الكفر ولا على الإيمان ولا خالفهم مؤمناً ولا كافراً ولكن خالفهم أشخاصاً والإيمان والكفر فعل العباد . يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً . فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأجبه من غير أن يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة اه » فافكر ان مدلول ذلك وان كان مجعلاً ولم اطلع على تفصيل له في كتاب آخر فهو يطابق في الغالب لتلك المبادئ التي أذكرها الآن وأؤيدها .

ثالثاً : ما يدل على ان علم الله تعالى بالنسبة للعمل الانساني لا يتعلق بالواقع وحده ، بل يعلم به وبضده في آن واحد بلا فرق - مخاطبة الله تعالى للكافرين يوم القيامة أو ذكر أحوالهم التي سيقولونها بأنفسهم بعد ان يصعروا كل شيء على حقيقة كالأية : « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » - فهذا يدل على ان الحال الذي كانوا فيه في الدنيا وقد كفروا بالله كان ممكناً لهم أن يؤمنوا فيه بدل الكفر بلا أي مانع حتى يكون الكفر بعيداً عنهم في العدم كما صار الإيمان الذي يمتنوا (٤) ان لو ودوا الى الحياة لا اعتنوه (٤) ، ولا يخفى ان ذكر الله تعالى امثال هذه الامثال لم يكن عبثاً ، بل لغرض ان نعلم أن علمه تعالى لم يكن معاقفاً بالكفر الذي كفروه فضلاً ويعدون لاجله في الآخرة ، لان معنى التعاقب يدل على ارادته الذاتية في لزوم الكفر منهم ولو باختيارهم الذي تفرضونه مع وجود هذا التعاقب ، مع ان الله تعالى يتبرأ من ذلك « ولا يرضى لعباده الكفر » ، وانما كان يعلم عنهم الإيمان كما يعلم عنهم الكفر في آن واحد بكيفية التضادة ثم استمر الله تعالى في مراقبته لهم حتى نلم منهم انهم اختاروا الكفر بهجرتهم

بدل الإيمان نهائيا فجازاهم بالنار حقا والرد الى الحياة الدنيا من الآخرة مستحيل لان هذه الحياة الدنيا حتى أيضا وان ما فعلوه فيها صار حقا حتى طمسوا أنفسهم عليه بحريتهم لا من أصل خلقهم الاولى كما ان النار في الآخرة هي الجزاء الوحيد « وما ربك بظلام لمبيد »

وابدا : ما هو أظهر من الآية السالفة قوله تعالى : « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنصل غير الذي كنا نصل » فان العمل الذي عملوه من الكفر والفساد صار واقعا في الدنيا حتى عندهم الله عنه في الآخرة وان هذا الواقع نفسه علموا عنه في الآخرة « فكشفنا عنك غطاك فبصرتك اليوم حديد » انهم كانوا قادرين على عمل غيره أو ضده في الوقت الذي عملوه فيه حتى كان يمكنهم ان يمحوا الذي عملوه في العدم والخذل مفعولا . وكل ذلك يؤخذ منه ان علم الله تعالى لم يكن مطلقا بما فعلوه وحده بل كان يعلمه تعالى كما يعلم بضده عنهم في آن واحد وبواقعة الله تعالى لهم علم ما اختاروه بتسامح حريتهم من الكفر فكان لهم الجزاء حقا بتعذيبهم في النار « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ولو أردنا ان نحصي كل الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرناه لاخذنا وقتا طويلا غير اني أذكر من أشهر هذه الآيات قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ومنها : « واتقوا بما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يقول يا ليتني قدمت لحياتي » ومنها قوله تعالى : « قال رب ارجعون ليملأ عمل صالحا فبما تركت » ومنها أيضا : « ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » ومن ذلك أيضا : « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وندع الهمس » الخ الخ

(١٩ - مثلا ان علم الله الازلي وعمل الانسان) أخشى ان يقولوا ان ما ذكرته معسلا (٩) يصعب فهمه فاحتياطا لزيادة الايضاح أذكر لكم مثالين :
الاول : افترض يا صاحب النار أنك أصبحت غنيا ومالكك الحبل « ستين »

الشهير الموجود بالموسكي بمصر وهذا المحل كان فيه من أنواع البضاعة ما يبلغ عنده الملون من الاصناف ثم وضعت هذه البضاعة في دواليب بترتيب منظم وكل صنف عليه نمرة مكتوبة . فالبضاعة المكتوب عليها نمر فردية من ١ و ٣ و ٥ الخ الى المليون مكتوب عليها أيضا انها بضاعة جيدة والمكتوب عليها نمر زوجية من ٢ و ٤ و ٦ الخ بضاعة رديئة . ثم أحضرت أربعة رجال من رجال ادارة المنار وقلت لأولهم ان لك في هذا المحل عشر نمر من ١ الى ١٠ والى الثاني من ١١ الى ٢٠ والى الثالث من ٢١ الى ٣٠ والى الرابع من ٣١ الى ٤٠ ثم دخل الأربعة رجال في المحل متسعين بجهريتهم وأخذ كل منهم نمرة المقررة له منكم من قبل . فبكذا يقولون أتم عن علم الله الأزلي بإزاء عمل الانسان في الدنيا حال وقوعه . فانكم قبل ان يأخذ الأول نمرة من ١ الى ١٠ كنتم تعلمون بذلك ولما أخذها صار الواقع منه مطابقا لما كنتم تعلمون من قبل . وحاشا ان يكون فعل الله مشابها لذلك

الثاني : قلب هذا المثال بشكل آخر مع ثبوت النمر التي تعلمها من أولها الى آخرها وثبوت الرجال أنفسهم وافرض انك أعلنت هؤلاء الأربعة بأن لكل منهم عشر نمر في كل النمر الموجودة بالمحل من غير ان تخصص لهم نمر محددة كما فعلت في المثال الاول بل اشترطت أن لكل منهم ان يقلب في المليون نمرة الموجودة ويأخذ عشرا منها كلها . فهل يمكنك بعد ان أدخلكم في هذا المحل على هذا الشرط ان تخبرني إن كنت تعلم ماهي العشر نمر التي سيأخذها الاول أو الثاني أو الثالث أو الرابع قبل ان يضع يده بالفعل على واحدة منها . الجواب : لا تعلم ذلك الا بعد ان يضع كل منهم يده على كل منها ؟ . ولكن هل ذلك غير شئ في النمر المعلومة لك كلها أو غير الرجال أو اقصر شيئا من معلوماتك بخصوصها ؟

الجواب كلا . فبكذا اقول عن الخلق سبحانه انه اخبرنا في هذه الحياة على مثل هذا الغرض وفتح للجميع طريقين متضادين فيهما من انواع الافعال ما يعجز عنه الحصر والكل يعرفها ويميزها العقل الانساني وكان هذا سر قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » ثم خاطب الجميع بقوله : « هو الذي خلق لكم ما في الارض

جميعا » فلا عين شقيا ولا قيد سعيدا وهو تعالى لذلك لا يعلم المؤمن الا في حال إيمانه ولا الكافر الا في حال كفره والكل امام الوهيته في الاصل « انسان » وهنا لا يقال ان الله تعالى جهل شيئا لان العلم المطلوب لله هو تخصيص المعلوم ازلا لمن يختاره عوضا عن تصميمه الذي كان عليه قبل هذا الاختيار وكان ذلك بناء على ارادة الله الذاتية في وضع الانسان على هذا النظام من الازل - وكل ذلك بالدهشة للتأمل المدقق لا يزيد علم الله شيئا ولم ينقصه ما دام الله تعالى قائما بالمراقبة ولذا كان الله من الازل الى الابد بكل شيء عليم (٤)

(٢٠) - ادوار انظمة الانسانية أمام العلم الالهي) يقسم الانسان الى ثلاثة ادوار امام العلم الالهي : الدور الاول ويتبدأ من بدء الكون الى وقت الولادة . وفيه جميع الناس سواء فلا شقي ولا سعيد

الدور الثاني : الحياة الدنيا وفيها كل انسان بين السعادة والشقاء فلا شقي ولا سعيدا الا عند الوفاة - والدور الثالث الاخرة وفيها الناس فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير »

فاذا فرضنا ان الاخرة تجسمت امامنا ونظرنا بالعين اشخاص كل فريق ووجدنا الشخص (ج) من فريق الجنة والشخص (س) من فريق السعير . فاقول ان كلامهما صار كذلك طبقا لما سير نفسه فيه بحريته في الحياة الدنيا وليس لكونه كان مكتوبا من الازل شقيا او سعيدا فلا يوجد في علم الله الازلي ان (ج) هذا سيكون بالذات والواقع سعيدا ليس الا ولا ان (س) هذا سيكون شقيا ليس الا وان العلم الازلي هو ان كلام (ج) و (س) شخص ظاهر مكرم لا شقاء له ولا مساعدة الا بعد ان يولد في الحياة الدنيا سيسير فيها بحريته على نظام ذو (٤) وجهين متضادين فيها السعادة والشقاء براقبه الله تعالى عند اختيار واحد منهما فيعلم له تعالى وقها من فعل (ج) انه سيكون في الاخرة سعيدا ومن فعل (س) بحريته انه سيكون في الاخرة شقيا وان الطريق الذي سار فيه (ج) في الدنيا وبه صار سعيدا في الاخرة كان مفتوحا في الوقت نفسه امام (س) أيضا وانه كان يمكنه ان يسير مع (ج) فيه جنبا الى جنب وان

يجتمع في الآخرة في الجنة . وبالعكس فإن الطريق الذي سار فيه (س) في الدنيا بهيرته وبه صار في الآخرة في السعير كان مفتوحا أيضا في الوقت نفسه أمام (ج) في الدنيا وإن الأخير كان يمكنه السير فيه مثل (س) وإن يكون معه جنبا إلى جنب حتى يجتمعا (٢) مما في السعير وكل ذلك لا يغير شيئا من علم الآله الأزلي

(٢١) — الله أول ملك دستوري في العالم . قال تعالى في الكتاب العزيز: «قل أعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس» فصرح تعالى في هذه الآية أنه ملك الناس والمسيهم . وهنا أسأل صاحب المثار ما هي نوع الحكومة التي يحكم الله تعالى بها النوع الانساني بصفته ملكا عليهم كما صرح في هذه الآية الكريمة . فإذا كانت نوع الحكومة الالهية مجهولة لصاحب المثار فاني اقول له انها هي الحكومة التي نعشقا وتتلذذ على وجودها الآن جميع الامم ويسفكون لاجلها دماءهم واموالهم للحصول عليها الا وهي «الحكومة الدستورية» فان الله تعالى يحكمنا بالدستور الأزلي لا بغيره وهو جل شأنه مع مطلق قسوته واوسم علمه لم يشأ أن يحكم الناس الأحكاما دستوريا عادلا لتعلم من ذلك ومما هو مسطور في القرآن الحكيم عن هذا الحكم ما نجهله اساسا في اعمالنا واحكامنا الدنيوية حتى يقام العدل ونحبي الامم على أساس رصين وكفى الانسان شرفا ان يكون هو الوحيد خليفة الله في الارض ليمثل في حكمه كعمل الله كالاية «إني جاعل في الارض خليفة»

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء والعالم بكل شيء علماتما كان هو وحده الذي اسس هذا الدستور دون غيره وهو الذي يرتاح لمداته كل مخلوق في الارض والسماء اوتياحا فاما لانه صدر هذا القانون بالرحمة وفيه «كتب على نفسه الرحمة» وكان الاساس الثاني لهذا الدستور هو منح المخلوقات «الحرية» الكاملة بعد وجودها في الدنيا لتعمل بها كل ما في وسعها «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» وانه تعالى لا يمس هذه الحرية في هذه الحياة مهما فعلت تلك المخلوقات من صالح او اساءة الا أن يمدحها بجزاء ما تفعل بالرغم عنها جزاء عادلا ليس الا طبقا لما في القانون المذكور الموافق لقلب الطبيعة الإنسانية «وما يحزنون الا ما كنتم تعملون» وبمقتضاء

صار « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » ولهذا تنزه عن الحكم الاستبدادي المجهول نظامه وتحلى بالكمال المطلق والعدل والرحمة لان كل ما يحدث في الارض والسماء كتب في هذا القانون « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نراها (اي نخلقها) ان ذلك على الله يسير » وبه يصيبن في الحياة الدنيا والآخرة بجزاء الخبير أو الشر طبقا لأعمالنا وما يناسبها من بنوده العادلة

فان فرضنا مثلا ان المادة ٣٥ من قانون ما في حكومة السودان ان من يسرق كذا بالطريقة كذا فانه يجازى بكذا وكذا . فطبقا هذه المادة تسري على جميع الناس الذين يشملهم هذا القانون بلا استثناء وما على الحكومة الا ان تراعيهم وتراقبهم حتى اذا وقع واحد منهم تركبا ذنبا تنطبق عليه هاته المادة تجازى (٩) بما فيها تماما . وهكذا نقول عن النظام الذي كتبه الخالق على الناس بصفته ملكا دستوريا عادلا عليهم فقد كتب قانونا لجازاتهم بالخير أو الشر في الحياتين بما لا يرتكبهم خطأ أو علمهم خيرا طبقا لبنوده العامة العادلة ولذا كان رقبيا على كل نفس لتنفيذه « ان الله كان عليكم رقبيا »

(٢٢ — الفرق بين فهمي وفهم صاحب النار في القسمة) صاحب النار يفهم من المثال الاخير السالف عن المادة ٣٥ من قانون الحكومة ان الشخص (ج) مثلا اذا ارتكب جناية السرقة بكيفية تنطبق عليها قال : ان الحكومة السودانية عند ما سنت قانونها كتبت فيه هذا الشخص وانه سيسرق في وقت كذا . وسيجازى بكذا قبل ان يحصل منه ذلك وقبل ان يقبض عليه بنين عديدة . ولما وقعت منه السرقة قال ان ما حصل فعلا منه كان مطابقا لعلم الحكومة لان الواقع دائما يكون مطابقا للعلم . ويمثل ذلك القسمة وعلم الله اما أنا فأقول يا صاحب النار ان علم الحكومة ليس كما تزعم ان علم الله تعالى وان كان يحيط بكل شيء ولكن ليس كما توهم لان الحقيقة هي غير ذلك . لان الحكومة كتبت في قانونها ما يناسب أخلاق كل الناس وأعمالها من غير ان تخصص عملا للشخص معلوم . وانها لا تعلم ان هذا السارق بالذات سيسرق

في هذا اليوم ولا تعلم انه سيأخذ هذا الجزء . لان ذلك ليس هو القانون المعلوم عند الحكومة . بل قانون الحكومة عام على الجميع وان أخلاق الناس تتقلب بين الخبيث والطيب بمرورها . وان القانون المذكور فيه كيفية السرقة وأنواعها التي يمكن ان تحصل منه كما تحصل من خلافه . وأمام ذلك الجزء على كل نوع منها وليس على الحكومة المراقبة الرعية لتنفيذ ما هو معلوم لها من قبل في بنود هذا القانون فاذا كان الشخص (ج) ارتكب جريمة السرقة وكانت تنطبق على المادة ٣٥ تجازي (٢) بمنطوقها ايضا والعكس اذا عمل عملا صالحا ذكرته الحكومة في القانون ايضا وكانت له مكافئة كافأته بها . وبديهي المطلع ان الفرق بين القاصدين كالفرق بين السماء والأرض أو هو كالفرق بين حكومة الدستور وحكومة الاستبداد . ولكن صاحب المناج يقول في (صحيفة ٥٤٣) «لست قادرا على تصور فهمه للسألة ولا فهم وجه الاشكال التي كانت به اقبل ادواء المسلمين عنده فاحل له ما أحكم من المقد في خياله » فاذا كان صاحب المناج الآن لم يفهم وجه الاشكال فليتصور الان الفرق بين المتألمين السالفين ولعلم ما ذكرناه وما سنذكره على هذا الاشكال على وجه الحق : فان الحق والباطل لا يجتمعان « ان الباطل كان زهوقا »

(٢٣ - لاقسمه معينة لشخص معين في الاول) يقول صاحب المناج صحيفة ٥٤٥ : أما علم الله تعالى فهو قديم بقدمه ازلي بأزليته - فاقسمه فيه ازلية ايضا وأقول: أما علم الله تعالى بكل ما كان وما سيكون فأمر بديهي مسلم به ولكن قسمه الاشخاص من أن هذا الشخص بالذات شقي في العلم الاولي وذاك بالذات سعيد أولا أمر لم يفعله الخالق ويترأ منه القرآن . نعم نظام الشقاء الانساني أو السعادة الانسانية معلوم لله تعالى أولا ولكن هذا النظام سينفذ على بني الانسان الذين أواد لهم الخالق أولا ان يكونوا خفافه في الارض بلا فرق بين انسان وآخر فيطبق الله هذا النظام العام على أعمالهم الحرة المألومة له من قبل ان يكونوا بصفة عامة فبعضهم سيكون بهذا النظام شقيا تبعا لحرية والبعض سيكون به سعيدا بمرته ايضا طبقا لبنوده المكتوبة قبل المآلين « وما ر بك بظلام للعبيد »

قال تعالى: «يأيتها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم» فهذه الآية الكريمة تؤيد ان خير الله تعالى المطلوب أعطاه لهؤلاء الأسرى متوقف على تغيير ما في قلوبهم وان المعلوم لله تعالى وقت نزول هذه الآية من قلوبهم هو عدم الخير أو ضعف الإيمان به أو الكفر فاذا غيروه بغيرتهم التي لا يحسها الخالق في هذه الحياة الى خير أو إيمان أصابهم الله تعالى بعد ذلك بغير احسن مما أخذ منهم وقت الحرب من مال أو أبناء وان علم الله تعالى بغير قلوبهم هذا متوقف على ارادتهم الحرة لانه هكذا أراد الله تعالى ان يكونوا بتمام الاستقلال في ارادتهم ليغيروا ما في قلوبهم كالآية «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وهذا دليل كاف على ان الله تعالى ينفذ جزاءه أو قسمته طبقا لارادته الحرة في اختيار نوع من الاعمال وليس طبقا لكونها هي والافعال كانت مقسومة في الازل بالذات حتى يكون الواقع مطابقا للعلم دون غيرهم كلابد الواقع وضد الواقع في العلم عند الله سواء وانما قال تعالى «وان عدتم عدنا» فان قول الله تعالى للكافرين «وان عدتم» دليل على عدم المانعة لهم من الله في الاعادة لفعل ما كانوا عليه من الفساد والكفر ثم قوله تعالى: «عدنا» أي عدنا بعد ذلك بالانتقام بما لا يستعملوه (٩) ان وقع منكم في نظير كفركم كما انتم بمثل ذلك قبلا فاذا كانت لهم قسمة من الازل معلومة ما كان هذا التسميم الين الذي يدل كما قلنا على عدم كتابة شيء مخصوص أو منح قسمة مخصوصة لأحد من الناس في الازل ويمثل ذلك قوله تعالى: «وان تعودوا فعد» وهذا يشبه بلا تمثيل الى اب شخصا من أفراد الحكومة ارتكب جريمة تناسب مادة (٩٥) مثالا من قانون العقوبات فكما يرتكب جريمة تناسب هذه المادة عاقبته الحكومة بمضمونها فاذا عاد وارتكب نفس الجريمة اعادت معاملته بالمادة نفسها وهكذا يقول الله تعالى: «وان تعودوا فعد» أي ان تعودوا لفعلكم الذي به تجاوزتم (٩) بمقتضى القانون الإلهي - فعد لمثل هذا الجزاء عليكم (٩) بالثاني - فأنتم أحرار فيما تفعلون - فبذلك وبغيره قلنا «ان الله تعالى أول ملك دستوري في العالم» لشحن القرآن الحكيم من أمثال هذه الآيات الواضحة كالآية: «فن

أظلم من أقرى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب «
 أي أن كل من يكذب على الله من نبي الإنسان يناله الجزاء المناسب لكذبه مما في
 الكتاب الذي هو قانون الله العادل ، وبالطبع يختلف الجزاء باختلاف درجة
 الكذب أو التكذيب وكل ذلك يدل على عدم قسمة النفوس في السلم الأزلي بل
 النظام هو المقسوم والله بكل شيء عليم

كاتبه

أحمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

الآن قد جاء هذا الكاتب الفلسفي بما لم يأت به من قبل ولا يفهم
 من سؤاله عن القضاء واقدر ولا من رسالته في إنكار عقيدة قسمة الخلق الى
 سعداء وأشقياء وهذا الشيء الجديد هو اعتقاده أن الله تعالى لا يعلم ما يكون من
 أعمال عباده إلا بعد وقوعها ، فلا أدري أكان على هذا الاعتقاد من قبل وكان
 هو الذي يريد من كلامه السابق فقصرت عبارته عن يانه أم حمله الخرص على
 الأتيان بشيء جديد في الدين على هذا المركب الصعب بعد أن سدونا في وجهه
 باب الاعتراض على عقيدة القدر وعقيدة القسمة ؟

لا أناقشه في كل ما اخطأ به في هذه الرسالة لئلا يتشعب الكلام ويطول بل
 أخص الكلام في مسألة العلم الإلهي بعد أن أبين له بالإيجاز قهرة لم يفهم مرادي
 منها وبنى على فهمه خلافا طفق يحتج رأيه فيه بالآيات وغير الآيات ، تلك الفقرة
 هي التي تكلم عنها في المسألة ١٥ وهي قولنا « وأنه بدأهم على هذا ويسد عليهم »
 ففهم من هذا أنني أعني بهذا أنه تعالى خلق كل فرد من أفراد البشر إما شقياً غير
 مستعد في فطرته لعمل الخير الذي يكون به سعيداً وإما سعيداً مطبوعاً على الخير في
 أصل فطرته لا يستطيع غيره هذا رأي يمكن لمن يقول به أن يستدل عليه بالمشاهدة

وبعض النصوص كما يمكن لمعارضه ان يستدل ولكنه لم يكن هو الذي عينه ذلك
الفقرة بل عينت بها حال جميع البشر (لا كل فرد منهم) في الحياة الدنيا من أولها
الى آخرها وحلهم في الحياة الآخرة وهما الحالان اللتان يعبر عنهما علماءنا بالمبدأ
والمعاد . وقد قال تعالى (٧ : ٣٠) كما بدأكم تعودون . فريها هدى وفريقا حق
عليهم الضلالة) فهذا ما أخيه وهو مشاهد في أمر الدنيا وأمر الآخرة مرتب على
أمر الدنيا فلا خلاف بيننا في هذا والله الخلد

ان الضابط أحمد أفندي بدوي النقاش يريد أن يثبت ان الانسان خلق حرا
مختارا مستقلا في أعماله تمام الاستقلال وانه مالك لا سبب سعادته وشقاؤه ملكا تاما
وان هذه الحرية والاستقلال والملك لا يعارضها شيء من سنن الفطرة وليس للمخالق
فيها فعل ولا لإرادته عليها سلطان ولا لعله بها تملق الا ان الله تعالى يعلم ما عمل
الانسان بعد وقوعه . وهذا مذهب لم يقل به فيما نعلم أحد من البشر المدين ولا غير
المدين . بل الذي عليه المحققون من فلاسفة هذا العصر أقرب الى مذهب الجبرية
من المدين كما بينا ذلك من قبل

إن العلم الإلهي يتعلق بالمعلومات تعلق انكشاف لا تعلق خلق وإيجاد وإلزام
وإجبار فهو لا يعارض مذهب صاحبنا الجديد أو فلسفته الغريبة فما الذي حمله على
إنكار علمه تعالى للغيب وتمحله لإثبات ذلك بالآيات الناطقة بابتلاء الله الناس
وتعليقه ذلك بقوله « لتعلم » وقوله « ليعلم » (هـ) وقد فسرنا أمثال هذه الآيات بما
يطابق الدلائل العقلية على إحاطة علم الله تعالى والآيات الكثيرة الناطقة بعلمه
للغيب ومنه أعمال البشر قبل وقوعها والآيات الكثيرة المبينة لبعض تلك الاعمال
قبل وقوعها

ورد وصفه تعالى بعلم الغيب والشهادة في الانعام والتوبة والاعد والمؤمنين والم
السجدة والحشر والتفان ، ووصف بعلم الغيب فقط في سور أخرى ، فبأي سلطان
يتحكم أحمد أفندي بدوي في علمه تعالى للغيب فيستثني منه أعمال الناس وهو تعالى

يقول (٢: ٢٥٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء (أي يعلم ما يكون أمامهم من مستقبل أمرهم وما كان من ماضيهم فهو محيط بكل شيء من أمرهم وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لأنه هو واهب العلم للإنسان وواهب كل شيء ينتج به ، وقال أيضا بعد ذكر خبر القيامة وهي من علم الغيب (٢٠: ١١٠) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) فهل أحاط أحد بنبوي به علما فحدد ما يتعلق به علمه وما لا يتعلق به ؟ ؟

ألم يخبر الله تعالى نبيه ببعض أقوال الناس وأعمالهم قبل وقوعها كقوله عز وجل (٢: ١٤٢) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم (وقد صدق الله فقالوا ذلك) وقوله (٦: ١٤٨) سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا (الآية) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨: ١١) سيقول لك المخلفون من الأعراب شعلتنا أمانا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم (وقد صدق الله فقالوا ذلك) ، وقوله (٤٨: ١٥) سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى معانم لنأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يعدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا ، بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ، وقد صدق الله عز وجل فقالوا ذلك وكانوا يريدون به ما أخبر تعالى أنهم يريدونه

ومن أخباره جل جلاله بأعمال الناس قبل وقوعها في الدنيا قوله وسبح كل شيء بحمده بعد الآية الأخيرة التي ذكرناها آفنا من سورة الفتح (قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقد كان ذلك — وقوله تعالى مبشرا في هذه السورة بفتح مكة وكان النبي (ص) رأى ذلك في منامه (٤٨: ٢٧) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون (الآية) وكان ذلك كما قال عز وجل وقوله (٣٠) ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبتهم سيفلون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوى العزيز * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (وقد

صدق خبر الله تعالى ووعدته في الموضمين فطلب الروم في بضع سنين وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله إياهم على المشركين كما هو مبین في محله . ويدخل في هذا الباب ما بشر الله به زكريا يحيى وما بشر به مريم وذكره من وصف ولدها وأعماله قبل ولادته ، ومن أخباره تعالى شأنه بأعمال الناس وأقوالهم في الآخرة قوله (٧ : ٣٨) قال ادخلوا في أم قد خلعت من قبلكم من الجن والإنس في النار ، كما دخلت أمة لنت اختها ، حتى إذا ذاركوها فيها جميعا قالت أولاهم لأخراهم ربنا هؤلاء أضلونا) إلى الآية ٥٠ منها وليتبرأ أحمد أفندي البدوي قوله تعالى بعد ذلك (٥١) ولقد جتاهم بكتاب فصلناه على علم ، ومن قبيل آيات سورة الأعراف في تهاور أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم آيات سورة الصافات كقوله (٣٧ : ٢٧) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الخ وهي في تخاصم أهل النار ، وقوله في حوار أهل الجنة بينهم ثم أطلعهم على أهل النار ومخاطبتهم إياهم (٥٠) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٥١ قال قائل منهم اني كان لي قرين ٥٢ يقول أنك لمن المصدقين) الخ الايات وفي سورة (ص) شيء من تخاصم أهل النار ، وفي سورة الحديد نبأ عما يكون من التهاور في الآخرة بين المنافقين والمؤمنين

أفنسيت ابها المنكر لمعلم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها هذه الايات كلها أم تجد لها تفسيراً برأيك تحرفها به عن مواضعها كما حرفت غيرها بسوء الفهم لا بسوء الفصد كما هو الظن فيك ، ولولا ما نشر فارساتك ، ولما طمعت في هدايتك ، فراجع نفسك ، واستغفر ربك ، ولا تغتر بعد رأيك ، واعلم ان هذه الزلة التي زلت لا تنق مع الايمان الصحيح الذي يمتد به المسلمون ، ومن فضل الله عليك ان كنت على هذا الشذوذ الفاحش مؤمناً بالقرآن متأولاً له وهذا هو محل الرجاء فيك ، والطمع في وجوعك الى الحق ، اذا كنت غير مفرور بنفسك

وهناك نوع آخر من أخباره تعالى عن مستقبل بعض الناس ، منه الاخبار بعدم ايمان اناس مخصوصين كان انبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم والحجة فيه مزدوجة فهو حجة على علمه تعالى بغيب الناس وحجة على ان من الناس من يحتم الله على قلبه فيفقد الاستعداد للايمان والحق والخير . ومن ذلك قوله تعالى (٢ : ٦) ان

الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم لا يؤمنون ٧ ختم الله على قلوبهم
الخ وقوله (١٨ : ٥٧ وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا)

ولو شئنا لانتقلنا من هنا الى موضوع تكثرفيه الآيات الناقضة لمذهبه في
الاستقلال التام والحرية المطلقة التامة للبشر في افعالهم كاستناد اعمالهم اليه تعالى
وقهيد مشيئتهم بمشيئته فتها : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير
الحق - ولكن كره الله انبئاتهم فبطهم وقبل اقتلوا مع القاعدين - يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا - فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم ، وما وميت اذ رميت ولكن الله
رمي - وأضل الله على علم - سنستلوجهم من حيث لا يعلمون ، وأملئ لهم ان كيدي
متين - وما نشاؤون الا ان يشاء الله - قل كل من عند الله - ولو شاء الله ما اقتلوا
ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة - ولو شاء الله لجمعهم على الهدى - ولو شاء ربك
لأمن من في الارض كلهم - ولو شاء الله لهداكم اجمعين - ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها - قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله - يريد الله ان لا
يجعل لهم حظا في الآخرة - ومن يرد الله فتنه فلن يملك له من الله شيئا - فمن
يرد الله ان يهديه بشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
- وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله -
ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء - والله لا يهدي القوم الظالمين -
والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وامثال ذلك كثير وما كنا نحجب ان نشير اليه في موضع لا ينسج لابطال ما
فيه الجبرية منه على اننا قد بينا ذلك في التفسير وفي مواضع اخرى لا يمكن لاحد
افندي بدوي ان يستغني عما ذهبنا اليه في تفسيرها وهو ان مشيئة الله تعالى واوداته
جارية على سنن حكيمة هو الذي وضعها لنظام العالم ومنها ان للانسان علما بما يفعل
وارادة ترجيح بعض الاعمال الممكنة المستطاعة له علي بعض واستقلالها في عمله
الاختياري اي الذي يجعله

وجلة القول ان الفرق بين اعتقادي وهو اعتقاد جميع المسلمين وبين اعتقاد احمد افندي بدوي اننا نحن نوؤمن بان الله تعالى عالم الغيب والشهادة يعلم ما يعمل عباده قبل ان يعملوه وبعد ان يعملوه لا يتقيد علمه بالزمان ، وانه يعلم ما سوف يجازي به جميع الناس في الآخرة كما يعلم جميع ما يصيبهم من البلاء في الدنيا قبل وقوعه وبمده بلا فرق ، وان الجزاء على الاعمال انما يكون بحسب تأثيرها في الارواح وتركيتها للنفوس او تدسينها لها كل ذلك مما يحيط به علمه وتنفذ فيه مشيئته بحسب علمه ، وان هذا كله لا ينافي ما منحه الله للناس من اختيار واستقلال بل هو مرتب عليه والمنحة وآثارها من فضله بمحض ارادته . واما احمد افندي بدوي فهو يعتقد ان الانسان خارج في افعاله عن محيط علم الله تعالى ومشيئته مستقل تام الاستقلال ليس لله عليه سلطان في افعاله وانه سبحانه وتعالى عما وصفه به كحكومة السودان في امر الجزاء وضع قوانين وهو لا يعلم من يعمل بها ومن لا يعمل وليكنهم بعد ان يعملوا يعلم على عملهم فيجازيهم عليه . . . هذا ما يريد ان يصالح به هذا الجندي دين المسلمين ، هذا هو التحقيق الذي فاق به الاولين والآخرين ، وما هو الا ضلال ميين ، فحسبي ان يرجع عنه ولو بعد حين

تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ غاية الاماني ، في الرد على النبهاني ﴾

كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الاسلام المكنى بأبي المعالي الحسيني السلاحي الشافعي . رد فيهما ما جاء به النبهاني من الجملات والقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وانصار السنة كشيوخ الاسلام ابن تيمية . بين المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها ، وأطال فيما لا بد من الاطالة فيه من تكذيب ما عزي الى ابن تيمية كذباً وبهتاناً من الاقوال الباطلة وما عزي اليه مما ظن الناقلون لجهلهم انه انفرد به وهو لم انفرد به وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله ، وجاء بالقول الصحيحة من كتبه وكذب غيره من العلماء التي تقند أقوال المعرضين الكاذبين والجاهلين تفنيداً ، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقاً

وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف ، وما انفرد به بعض المشاهير فانكره العلماء عليه كالانكار على الفزالي وابن العربي الحاتمي وغيرها

فصلي هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون لنا من الشرق والغرب يسألونا ان نرد على النبهاني وكذا من اغتروا بقوله وقوله وظنوا ان قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « انه لا يوثق بملء ولا ينقله » هو من قبيل السب . وحاش لله ما هو إلا ما نضجده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ورؤية ما فيها من الاحاديث الموضوعة والقول المكذوبة والاستهطاطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد ويمتدح بأنه ليس أهلاً له

وقد قرط هذا الكتاب طائفة من العلماء تقارب حنة فكانهم كلهم ردوا على
النبأتي ما جمعه كما طبل ليل . وقد طبع بحروف واضحة في مصر ولكن جاء فيه
كثير من غلط الطبع فجمع في جدول في آخره فينبغي لمن قرأه ان راجعه ويصحح
الكتاب عليه قبل القراءة . وهو يطلب من الشيخ أحمد رزق نشارع النصارى بمصر
وغته خمسة وعشرون قرشا

﴿ اعلام الموقعين . وحادي الارواح ﴾

سبق لنا التنويه بكتاب (اعلام الموقعين) والنقل عنه فأكثر قراء النار
يعرفون قيمته ويعلمون انه لم يؤلف مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل
الاجتهاد والتقليد والفتوى وما يتعلق بذلك كيان الرأي الصحيح والفساد والقياس
الصحيح والفساد ومسائل الحيل وغير ذلك من الفوائد التي لا يستغني عن معرفتها
عالم من علماء الاسلام .

واما « حادي الارواح إلى بلاد الافراح » فهو كتاب للامام أبي عبد الله
محمد بن القيم صاحب اعلام الموقعين جمع فيه ما ورد في الكتاب والسنة وآثار
السلف في الجنة مع بيان معانيها وما يتعلق بها بما عهد من قلم المصنف الجوال في
ميدان البيان ، بما يعجز عن مثله فرسان هذا الشأن ، وقد طبع الكتابان مما بحرف
جبل في مطبعة النيل بمصر في ثلاثة مجلدات

﴿ الاجوبة المرصية ﴾

« عما أورده كمال الدين بن أحمد عن المستدين بنبوت . نمة المغرب القليلة »

كتاب صفحته ٣٦ . وإذا كان يعد صغيرا في ورقاته فهو كبير في موضوعه بل
يقال بأدي الرأي انه أكبر من المسألة التي وضع لبناتها وهي سنية ركتين قبل
فرصة المغرب . وما يظن الذكي الذي لم يقرأه انه كثير من الكتب التي وضعت
ليبان شيء لا يتسمع القول فيه فأكثر واضموها من الاستطرادات والمباحث التي

ليست من الموضوع في شيء، لبرضي أحدهم هو، ويظهر فضله بتأليف كتاب كبير في مسألة صغيرة

وقد يظن من له حظ من علم الحديث ان هذا الكتاب لا حاجة الى مثله لان سنة المغرب القليلة ثابتة في الصحيحين ، فلا ينبغي ان يكتب فيها أكثر من سطرين ، حرصا على الوقت ان ينقضي اسرافا فيما لا فائدة فيه . واما المقلد فلا يزال أصح الحديث في المسألة أم لا لأنه يتبع ما وجد عليه آباءه وان كانوا لا يقولون شيئا ولا يهتمون

وهذا الظن أيضا لا يصح ولا يرتضيه صاحبه لنفسه إذا هو اطاع على كتاب الاجوبة المرضية ولو كان الامر كما يظن قبل قراءته لما اطاعت في تزييفه وتلفيقه الاذهان اليه

الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وفائدته فهو كالمول الصغير يهدم به البناء الكبير . هو يهدم لك تلك الشبهة الباطلة التي كبرت واتسعت حتى أحاطت بأذهان أكثر الناس وهم الذين يقولون إن علمائنا الذين سبقونا هم الذين أحاطوا بعلم ديننا فيجب ان نأخذه منهم لأن كتبهم المقدسة لا نتألا يمكن ان نفهمها كما فهموها . هذا ما كان يقوله المقلدون في كل دين حتى قاتله المسلمون الذين امتاز كتبهم المنزل بابطال التقليد وذم فاعليه : يقول اتباع كل مذهب منهم ان فقهاء مذهبنا هم اعرف الناس بكلام ديننا وسنة نبينا فاذا قلدناهم كنا متبعين للكتاب والسنة من غير ان ننظر فيهما ولا ان نفهم شيئا منهما بل يجوز لنا ذلك ويقول لهم اهل البصيرة بل عليكم ان تصيبوا حظا من النظر فيهما وان يكون اصل اهتمامكم بهما وان يكون كلام العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء عوناً لكم على ذلك فلا يسمعون «وما اضيع البرهان عند المقلد» وقد يزيد طالب العلم منهم جودا وتصبها ما يراه في بعض كتب مذهبه من الاستدلال وال ترجيح والرد على المخالفين الذين لم يطلع على ادلتهم فيظن ان ذلك هو التحقيق الذي ليس وراءه غاية فيثبه بذلك عجباً ولو رجع الى اصول تلك الدلائل وكلام اهل الشأن فيها لرأى ما لم يكن يرى وتغير حكمه على كثير منها وهذا كتاب الاجوبة المرضية يمثل لغاثره نموذجاً من ذلك

الكامل ابن الهمام أعلم الحنفية في عصره ولم يجي بعده مثله بل يقل وجود مثله
 فيمن تقدمه منهم حتى قيل انه وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وكتابه الفتح القدير
 هو امثل كتبهم المتداولة واقواها استدلالا وبحثا في الحديث ونجربا له ولكنه لما
 كان بحته واستدلالة لا اجل تأييد المذهب لا لأجل بيان الحق في نفسه سواء وافق
 مذهبهم ام وافق غيره من المذاهب كان كثير الغلط والخطا في الاستدلال فاذا
 فحص العالم المستقل ادله التي يرجح بها مذهبهم على مذهب الشافعي وغيره يرى
 الكثير منها خلافة وجدلا وكتاب الاجوبة المرضية يشرح لك ذلك في مسألة سنة
 المغرب القبلية فان الكامل عفا الله عنه يعارض الاحاديث المتفق عليها والمروية في
 احد الصحيحين وغيرها من كتب الصحاح بأثر عند ابي داود لم يرتق به الى مرتبة
 الصحة فيقول في ترجيحه اقوالا يتقضيها ما هو مقرر في علوم الحديث والاصول حتى
 انك لتمد من خطاه في العشرات

فكتاب الاجوبة المرضية على صفوه يبين لكل ذي بصيرة ان المسلمين لا
 يستفتون بكتب فقهاء المذاهب مهما جل مؤلفوها عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ
 في الحديث وعلومه ، وانهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى
 الله عليه وآله وسلم الا اذا جعلوا العلم بهما مقصودا لذاته في الاهتداء لا لتأييد مذهب
 على مذهب

اما مؤلفه فهو الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المتقطع في دمشق الشام للتأليف
 وتصحيح الكتب المفيدة والتدريس مع الاستقلال في الفهم والاخلاص في العمل
 والاعراض عن زينة الدنيا وما يرغب فيها علماء السوء من المال والجاه . ومع هذا
 كله يتهمه الخشوية والمفسدون في الارض بأنه مشغل بتأسيس مملكة عربية ويفرون
 به الحكومة الدستورية كما كانوا يفرون به الحكومة الحديدية فله ان يقول:

انا في امة تداركها الله (م) غريب كصالح في عمود

* * *

الحرية في الإسلام

أهـ الشيخ محمد الخضر أحد علماء تونس المدرسين في جامع الزيتونة الاعظم

منذ ثلاث سنين وشهور مسامرة في نادي جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية بتونس موضوعها الحرية والاسلام شرح فيها معنى الحرية والشورى والمساواة وقسم الحرية الى اقسام : حرية في الاموال وحرية في الاعراض وحرية في الدماء وحرية في الدين وحرية في خطاب الامراء ، وختمها بالكلام في آثار الاستبداد طبعت هذه المسامرة في هذا العام فبلشت صفحاتها ٦٤ صفحة وتفضل صاحبها باهدائها نسخة منها منذ اشهر وكتب عليها بخطه وقد ارجأنا تقريرها راجين ان نجد وقتا نطالعها فيه ولما نجده ، فرأينا ان ننوه بها الآن تنويعا اجماليا وسنقل في جزء آخر نموذجاً منها

ومن وجوه العبارة في هذه المسامرة ان علماء تونس الرسميين يخطبون في الاندية حتي في المسائل السياسية وحكم الاسلام فيها وبهذا يفضل علماء جامع الزيتونة علماء الجامع الازهر . ومنها ان الشيخ محمد الخضر كان في الوقت الذي ألقى فيه مسامرته قاضيا لمدينة بنزرت وهذا يدل على ان عمال الحكومة التونسية يتمتعون بحرية اوسع من حرية عمال الحكومة المصرية المتنوعين من الكتابة — بله الخطابة — في السياسة ولو من الوجهة الدينية . او ان فرنسا اوسع صدرا من انكثرتا في ذلك

﴿ شرح المعلقات للزوزني ﴾

المعلقات السبع لفحول شعراء العرب في الجاهلية مشهورة فوائدها لطلاب ملكة الشعر وأدب هذا اللسان معروفة ، وشرح الزوزني لها هو عمدة المتأدين في فهمها وقد طبع أكثر من مرة ولعل أحسن طباعته هي الطبعة الأخيرة مطبعة دار الكتب العربية بمصر فهي تفضل غيرها بما راضة المعلقات فيها على النسخة التي اعتمدها الشيخ محمد محمود الشقيطي امام اللغة والادب في هذا العصر (رحمه الله تعالى) وبأبيات الأبيات الزائدة على ما في شرح الزوزني كما وجد في نسخة الشقيطي وبضبط الأبيات بالشكل ، وبضم معلقتين آخرين اليها احداها للابنة الذبياني والثانية لأعشى بكر وائل وقصيدي النابغة الدائيتين الشهيرتين اللتين يصف في احدهما المتجردة

زوج النعمان بن المنذر ، ويمتد في الأخرى له مما بلغه من السعاية فيه ، ويطلب الكتاب من دار الكتب العربية الكبرى للحاج مصطفى الخطيب وأخوته بمصر

﴿ الوطن -- أو -- سلسلته ﴾

هي القصة التمثيلية الشهيرة لكاتب الترك وخطيبهم وأحد زعماء الأحرار السياسيين فيهم وإمام النهضة الحديثة في ترقية اللغة العثمانية وتكوينها ما تى كال بك (رح) وهو يمثل في هذه القصة حب الوطن بغالب العشق فيغلبه ، ويصور فيها الوجدان والوجد والشعور المتغلغل في أعماق النفس ، والهوى المستدر في زوايا القلب ، حتى تتكاد تكون هذه المعاني الروحية ، أشباحاً مريّة ، ولكنه يسرف في ذلك أحياناً فلا يراعي فيه ما شهد مثله الطابع وتعرف طعمه الأذواق فيقتبه الذهن إلى كونه خيالاً لا حقيقة ، وقد اشتهرت هذه القصة في أوربا حتى ترجمت باللغات الفرنسية والألمانية والروسية ، ولكنها كانت محجوراً عليها في عهد الحكومة الحميدية ، كسائر آثاره ، وثقلها ، وجميع ما يبني الأذهان من أمثالها ، حتى إذا ما جاء الدستور ، فأباح ما حرّمه الاستبداد من الآداب والعلوم ، بادر الأحرار العثمانيون إلى تمثيل هذه القصة بالتركية ، ثم مثلت في بيروت بعد ترجمتها بالعربية ، توجهها بالعربية انشيع عجي الدين الخطيب وأجدر بمثله ان يحسن ترجمة مثلاً ، ويجعل فرعها وارثاً لمحاسن أصلها ، وقد أودعها بعض الأناسيد والقصاصد من نظمه فزاد ذلك في مسناها وحجبها ، وطبعها سليم افندي هاشم وكمال افندي بكداش وهي تطلب من المكتبة الاهلية ببيروت ومكتبتي هندية والمليجي بمصر

﴿ المجلات والجرائد ﴾

(النبراس) مجلة أنشأها في بيروت صديقنا الشيخ مصطفى الغلاني وهي تبحث في المسائل الأدبية والسياسية وغير ذلك ومشربها دستوري لإصلاحها ومنشئها من تلاميذ الأستاذ الإمام كان على عهده مجاوراً في الأزهر يواظب على دروسه وهو عثماني غيرة وإخلاصاً وقد اشتهر اسمه في بيروت في أثناء إعلان

الدستور بما كان يقيمه من الخطب في المجامع . وهو مؤلف كتاب (الاسلام روح المدنية) الذي رد فيه على (لورد كرومر) وقد كان من جرأته في الحق أن طبعه في بيروت قبيل اعلان الدستور وفيه نقول من كلام الأستاذ الامام معزوايه بعضاً بالصريح وقول أخرى عن المنار (كما أمرنا الى ذلك في تقييده) ولولا ان جاء الدستور عقب طبعه لما سلم من الخطر والبلاء من الحكومة الحميدية عدوة العلم والدين . فحجة البراس جديرة بتعصيدي الصلاح ومساعدة النابتة الصالحة التي يرحي نجاحها نجاح البلاد . وقيمة الاشتراك فيها ٢٥ قرشاً لأهل القطر المصري وثمانية فرنكات لغيره من الاقطار ما عدا الولايات العثمانية فاقبلة لأهلها وبال مجيدي وربع

* * *

(المفيد) جريدة يومية سياسية أنشأها في بيروت صديقنا عبد الغني افندي العربي وهو من خبرة النابتة الحرة في بيروت مهذب الاخلاق ذكي الفؤاد شديد الفيرة على الدولة والملة قوي الاخلاص لها وحسبك انه كان على حدائه سنة من اعضاء جمعية الشورى العثمانية التي أسسها في القاهرة لمجاهدة استبداد الحكومة الحميدية وطلب الدستور . فانا لا أزكي عليه وعلى صاحب البراس أحداً من نابتة الديار السورية في الحرية والاخلاص للدستور والرغبة في ترقية الأمة بعد كوننا المشهورين كالسيد الزهراوي ورفيق بيك العظم وقد ظهرت مزايا جريدة المفيد لأهل الفهم في بيروت بصنعها في انتقاد الوالي قبلاً ادهم بك وغيره من رجال الحكومة ومقارعها لأصحاب النزعات الجبسية من الترك الذين يهضمون حقوق الأمة العربية وتنهبها اهالي البلاد العربية التي انشئت بسانهم الى ما به حياتهم ورفعة شأنهم ، من غير حقبة ولا مراعاة ولا مداراة ، وهي شديدة الانتقاد حتى كادت تكون غاية متطرفة فيه كجريدة المقبوس وإن الحرية التي لا تزال طفلة في مهد البلاد العثمانية لا تكاد تستطيع حمل اقبال الغلو في انتقاد الحكام فنصح لصديقنا والجديد ان لا يخرج عن محيط الاعتدال ، وان يوجه سهام تقفه دائماً الى الاعمال لا الى الغمال ،

ثم اذكره بان ينهي في تنبيه الأمة العربية وارشادها عممية الجنس التي ينهي

عنها الاسلام ، وتنافي مصلحة الدولة في هذه الأيام ، وان ثبت بئرها بعض الاغرار من الترك والاشرار من سائر الاقوام ، بل يجب احياء اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي الذي لا يفهم حق الفهم الا بها ، واللغة المشتركة بين جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، لا لغة النصر العربي وحده ، ولكن دعوتنا الى احيائها وقل جميع العلوم العصرية اليها ، كدعوة علماء الاسلام وانصاره من الترك الذين نرى من فئات اقلاتهم في جرائدهم ومجلاتهم ما لم نر لهرائدنا ومجلاتنا خيرا منه في الحث على احياء هذه اللغة الشريفة ، فارجع الى مجلة « صراط مستقيم » تجد هاهنا ذلك على هدى وعلى صراط مستقيم

ولا أنه صاحب « المفيد » عن الوقوف بالمرصاد لمن يزل عن هذا الصراط من الترك وغيرهم فيميز جنسيته ، وهو جاهل بأنه يضر بذلك قومه ودولته ، بل عليه ان يتبع عوارمهم ، ويقلم أظفارهم ، ويترجم ما يكتبون في ذلك ويحذرهم من منيبتهم ، وإغرائهم كل عنصر بتعزيز عصبته ،

وقيمة الاشتراك فيها اربعة دالات في بيروت ولبنة عثمانية في سائر الجهات

* * *

(الرقيب) جريدة تصدر في بغداد مرتين في كل أسبوع وتكتب بالعربية والتركية صاحبها ومديرها عبداللطيف افندي ثنيان (وكيل مجلة المنار) ويعجبنا منها ان أكثر ما يكتب فيها هو في انتقاد ما يتقدم على حكومة بغداد وعلى أهلها ومطالبة الفريقين بما يجب على كل منهما من الإصلاح . وفي يدنا الآن العدد ٥٠ منها الذي صدر في ٨ رمضان وهو مقتضب بترجمة ما كتبه النادي العسكري في بغداد للصدارة ونظارتها الحربية والداخلية عن الاختلاف واضمحلال الفيلق السادس . وسنشره في باب الاخبار . ويليهِ نقل ما روي عن طلعت بك فاضل الداخلية الجديد من اهتمامه بأمر الامن وراحة الاهالي وكتابته الى الولاة بذلك . والتعقيب على هذا الخبر بعلم ظهور اثر ولا ذكر له في ولاية بغداد ، والعدد كله على هذا المنهاج . قيمة الاشتراك فيها لمدة ستة بصدور فيها مئة عدد ٣٠ قرشا لاهل بغداد و٣٥ لسائر الولايات العثمانية و٧٠ رويات لاهل خليج فارس والهند و١١ فرنكا لسائر الممالك

باب الأخبار والآراء

﴿ الديار السورية ، في عهد الحكومة الدستورية ﴾

بيروت

جمل فاطم باشا الشهير واليا على بيروت بميدخله فخر الدستور وكانت الولاية لانزال سكري بخرمة الاقلاب ، وأهلها من استقار الحكومة والاقليات عليها في هياج واضطراب ، فكانت سياسته فيها كسياسته في عهد الاستبداد : سياسة مداراة للأهالي حتي كان نفوذ كثير من البحارة والجالين (الشياطين) في بيروت أقوى من نفوذه ، وجوارهم أعز من جواره ، بل ظهر للناس كافة انه أحوج الى حمايتهم منهم الى حمايته ، وقد وافينا بيروت في تلك الاثناء ورأينا منه هذا الضعف ، فقلطنا في الإشارة اليه بالنصح ، مبينين له ان الاهالي مهما ظهر من اعتصابهم ، واعتصامهم فيها ليس من شأنهم ، لا يقفون في وجه الحكومة اذا اخذت بالحزم ، وعنت بما هو أول واجب عليها من حفظ الأمن ، بل قلنا له ان الوالي يجب ان يكون في مثل هذا الطور الذي نحن فيه منفذا للدستور بضرب من الاستغلال يشبه الاستبداد حتي يكون الاهالي معه كمن ورد فيهم انهم يقادون الى الجنة بالسلاسل أي يلزمون الاعمال التي تهودهم اليها لزاما لا يحصى عنه . وقد أشرنا الى هذا فيما كتبناه عن رحلتنا في مجلد السنة الماضية

ولكن هذا النصح لم يؤثر في نفس الوالي لأنه جرى في الإدارة على ما تعود ولأنه كسائر كبار الحكام قد شعر بتهمل مسؤولية الدستور من حيث شرأ كثر الاهالي بضد ذلك وقلنوا ان الحكومة لم يبق لها عليهم من سيطرة ولا قوة فكان حفظ الأمن وإضعافه في بيروت في يد عصائب أولي القوة من عامة الاهالي الذين يطلق عليهم لفظ (الألبايات) ونحمد الله ان كانت حكومتهم على ما فيها من انطوخ حافظة للأمن العام ثم قل فاطم باشا الى دمشق الشام بعد اخراج شكري باشا منها - وسيعجب ذكركه - وبقي فيها الى الشهر المنصرم فأعيد الى بيروت وعسى ان تكون حاله فيها خيرا من حاله السابقة في بيروت ومن حاله في الشام وسنشير اليها

(المئارج ١٠) (١٠٠) (المجلد الثاني عشر)

ثم ولي ولاية بيروت أدهم بيك وهو رجل قلم وفكر ، لارجل ادارة وعمل ، بارد المزاج لا يبالي ان يعرف حال البلاد وأهلها ، ولا يهتم ما وقع فيها وانما يرى كل الواجب عليه ان ينظر في الاوراق التي تلقى اليه ، فيوقع عليها التوقيع الرسمي الذي كان يتعلمه ، اذ لم يكن من قبل يعلمه ، وقد بينا في المار من قبل اننا نصحناله بأن يعين نفوذ الحكومة الى نصابه ، ويوقف اقتيات عصابات العوام عند حذره ، ويعنى بحفظ الامن والحرية الشخصية ، وانه أجابنا بأن هذا لا يمكن ولا يتيسر الا بعد أن تصلىح حكومة الاستانة نظام الشرطة والشحنة (الضابطة والبوليس) وتنفذ في جميع الولايات ، ولم يكن يعقل معنى قولنا ان ذلك في استطاعة كل حاكم ، وانه لا يستغنى فيه الى اصلاح القوانين ولا تجديد النظام وإنما يحتاج فيه الى الحزم ومعرفة حال الاهالي ونفوذ الحاكم الحازم . وبيننا أيضا اننا نصحناله بمثل ذلك لتصرف طرابلس جواد بيك وانه كان يحجبنا بمثل ما أجابنا أدهم بيك الوالي لان كلا منهما من أصحاب النظر لامن أصحاب العمل ولكن المتصرف كان يحيل على الوالي كما يحيل الوالي على الاستانة . ظهر بعد ذلك صديق مافناه لما أولهم فقد ولي قيادة الشرطة ببيروت أمبرال لاي نجيب بيك فقل عصابات المقاتلين ومنع حمل السلاح وما كان من إطلاق الرصاص في الليل والنهار وقبض على من لم يفر ويفادر البلاد من المحكوم عليهم وأرهب جميع الاشقياء فصرف الاهالي مالم يكونوا يعرفون من سطوة الحكومة واحترامها ، وكان خبر عون له على هذا نافذ بيك رئيس الشحنة (مدير البوليس)

وولي متصرفية طرابلس الامير أمين ارسلان فعني في أول الامر بحفظ الامن فتيسر له مع سوء حال الشرطة والشحنة ما كان يراه سلفه متعسرا بل مستحيلا من منع إطلاق الرصاص والظهور بحمل السلاح وارهاب الاشقياء . وقبض على كثير من المحكوم عليهم منهم وإقامتهم في السجون ، ثم فترت همته في آخر العهد وقبل انه صار يقبل شفاعت بعض الوجهاء والمختسين الى بعض الجهات ولمه لا يدري انهم انصار الاشقياء وأعوان السفهاء وشركاء النصوص وسالبي الامن . وقد انتخب بهرنا عن متصرفية اللاذقية وولي مكانه آخر فقبل بعتير الالة والمتصرفون وروساء الشرطة والشحنة في سائر البلاد بفعل نجيب نافذ وأمين في حفظ الامن واحترام الحكومة ،

دمشق الشام

كان والي الشام عند اعلان الدستور شكري باشا ولهذه أضف ولاية الدولة عقلا وفيها وأسوأهم ادارة وأقلم حزبا ، تاهيت نسوة تصرفه في حادثة آخر رمضان من العام الماضي فقد كان فيها آلة في ايدي اعداء الدستور ومثيري الفتنة ابتغاء قلب الحكومة الدستورية ، وإعادة العبودية الحميدية ، وقد اشرنا الى ذلك في سياق وحشتنا السورية في منار العام الماضي فلا نعيده وقد عزل بتلك الحادثة شر عزلة

نم ولي الشام من بعده ناظم باشا فلم يأت فيها باصلاح جديد بل انتشرت في دمشق على عهده جمعية 'ولقان' الافسادية ، التي أطلقوا عليها اسم « الجمعية الحميدية » تمويها وخداعا لعوام المسلمين . نشرها مثيرو فتنة آخر رمضان كالشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي واعوانها من الوجهاء ، ولولم يصطلم محمود شوكت باشا بجيش الحرية تلك الفتنة في الاساتنة تلك السرعة التي أدهشت العالم لظهور الفتنة في دمشق الشام في أقبح مظاهرها وقام عشرات الألوف الذين دخلوا جمعية الافساد ينادون باطال الدستور واعادة الساطقة الحميدية ، باسم الشريعة الحميدية ، على حين لم ينفذ الاسلام سلطان من السلاطين كما خذله وأضعفه السلطان عبد الحميد لاسقى الله عهده ، ولا أرى المسلمين مثله بعده

حادثة رمضان الماضي في دمشق

أشرنا في الجزء الماضي الى هذه الحادثة المشؤمة وقد ظهرت بوادرها في آخر مدة ناظم باشا وشاع ان له يدا فيها وان ضلعه مع القاتنين الذين أثاروها ولهذا الاشاعة سئل عن ذلك في بيروت فأنكره وقال انه دافع عن كرد علي لما اتهم أولا بمشايمة جمعية (ولقان) وكتب الى الاساتنة ان كان كرد علي ارتجاعيا فانا ارتجاعى فكيف يتهمه بهذه الشهادة بالارتجاع ، وشاع أيضا ان حسين عوني بك مدير المعارف بالشام قدم لهذه الفتنة في الاساتنة تمهيدا قربها به من تصور الحكومة ، وان السبب في ذلك حملات المقيس الشديدة في الانتقاد عليه و بيان ما في ادارته من الخلل والتقصير . ويغلب على ظني انه لو بقي ناظم باشا في الشام لتلافى الفتنة ولأخذ من مخالفيها مثل الشيخ عبد الرزاق البطار والشيخ جمال القاسمي وعبد الرحمن بك اليوسف

لأنه يعرف من اخلاص هؤلاء للحكومة الدستورية ما لا يعرفه غيره ويعرف ما كان يكيده أكابر المجرمين ودعاة الفتنة من اتباع أبي المهدى وغيره للشيوخين البيطار والقاسمي في عهد الحكومة الحيدية وانهم يكيدون لها الآن بمثل ذلك ويريدون ان يمسوا الحكومة الدستورية كالحيدية آلة لنفوذهم والانتقام من يفضون من الاخيار والاحرار وعجبي الاصلاح . ناظم باشا يعرف هذا كله وهم منع أمثال هذه الفتن والشُرور في زمن الاستبداد وهو قادر الآن على مساعدة الأبرياء كالشيخين وعبد الرحمن اليوسف وان لم يكن واليا فقولهُ مقبول عند الوالي الذي خطفه وفي الاستانة أما كرد علي فقد اخطأ خطأ لا يبرئه منه أحد بل رأينا أصدق أصدقائه يلومونه فالحكومة أجدر بلومه على ما كتب وان كان بسوء فهم لا بسوء قصد ولكن ليس من العدل أن يجعل الرجل جانبا خارجا على الدولة هادما للقانون الأساسي الناطق بأن سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين

لو كان هذا الأمر مقصودا لصاحب المتبس كتبه ليدور اليه لا أسنده إلى بلاغ شيخ الاسلام ، الذي أرسل ليطالع عليه انطاص والطام ، وهو نفسه بتي لو يسبق جميع الجرائد السورية الى نشره في جريدته . فن البديهي الذي لا يلزم فيه عاقل منصف ان نشر تلك الفقرة قد كان زلة قلم ، لا زلة قلم ، وكثيرا ما نزل أقلام الكاتين لكلام الله وكلام رسوله ، وآية ذلك انهم إذا نبهوا أو قبحوا الى خطاهم يادرون الى إصلاحه وكذلك فعل كرد علي فأصلح في غده خطأ أمسه ، ونحن قد أصلحنا في الجزء الثامن من هذا المجلد خطأ في آية من كتاب الله وفي تفسيرها بطائفا وقم في مثار النام الماضي ، وكتاب الله أعظم من بلاغ شيخ الاسلام فلنماقنا حكومة الخلافة على ذلك الخطأ ؟ ؟ هل يرضى النبي عليه الصلاة والسلام أن نماق حكومة الخلافة الثانية عنه من بخطي في خبر معاقبة الجناة في شخصه وعمله ومورده ورزقه وهو القاتل « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . رواه الطبراني عن ثوبان (رض) بسند صحيح . أي الفريقين يكون طاعنا في كون الحكومة العثمانية حكومة خلافة ، أمن بخطي في خبر لا يؤاخذ الله ولا رسوله عليه ، ولا سيما بعد ان تاب ورجع عنه ، أم من يعاقب من منح الله ورسوله عقابه ؟ « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »

لقد قوت في دمشق الشام عيون اعداء الدستور الرجعيين ، وما زالت واجفة فيها قلوب الأحرار المصلحين ، فليتها الرجعيون في رمضان هذا العام بقية صاحب القميص ، كما هتؤا في رمضان العام الماضي بالقننة التي أثاروها على صاحب المنار ، وكما هتؤا في عام سابق بالقننة التي أوقعوا فيها السيد عبد الحميد الزهراوي ، ويقولوا ان شأؤا ان لكل حر عدنا في رمضان قننة ، واننا نعد لكل طالب للإصلاح محنة ، وإننا نحن الظافرون في عهد الدستور وعهد الاستبداد ، واننا نحن العائون بحكومة عبد الحميد وحكومة رشاد ، ونحن نقول ان العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وان الأعمال بالخواتم

وما الهنا عنكم بمشف قبا وطالما اشفى الهنا القبا
فاذا لم ينصف الوالي الجديد القوم فستنصفهم المحكة العرفية وان لم تنصفهم
المحكة العرفية فستنصفهم الخليفة محمد رشاد بنفسه ، ويكون حزب الحق هم الغالبين
وحزب الفساد والاستبداد هم الظالمين

مظالمنا في طرابلس الشام

نحن أقل الناس تعجبا بما أصاب كرد علي من الظلم لأننا من أوسمهم علميا بحظ بلادنا السورية القليل من الدستور لسوء حال الحكام وجريانهم على ما تعودوا من الاستبداد وجهل جمهور الأمة بطرق مراقبتهم ومطالبتهم بالعدل والنظم من كل هيئة حاكمة الى ما فوقها على ضعف هذه الهيئات كلها في هذا النوع من الحكم . وعلينا هذا بمضنه نظري مبني على قواعد علم الاجتماع والسياسة وبمضه اختياري بالاطلاع على أحوال الحكام والدخول في المحاكمات بأنفسنا :

ظلمنا في عهد الاستبداد ظلما يتنا لا يجهله أحد من حكام بلادنا ولا من الاهالي .
ظلمنا في أنفسنا وفي أموالنا وفي أوقافنا وسبب هذا الظلم هو ان أحدنا صاحب مجلة المنار ، وقد نشرنا في الجيز الماضي ما كتب في جريدة بيروت الرسمية من اتهام صاحب المنار هو واخوته بالجناية يعرف الاجنبي كما عرف الوطني سبب ظلمنا والاعتداء على حقوقنا . وقد حال الحول على الدستور ولم ترجع الحكومة الدستورية إلينا شيئا مما سلبته الحكومة الحميدية منا فضلا عما سلبه الاشقياء منهم برضاها بظلمها وعدم الاتصاف لنا من يعتدي علينا

توفي والدنا وجنود الاستبداد محيطة بدواه فكنت الحكومة الاستبدادية
بعض المهجمين على الحقوق مما كان في تصرفه من حصة الاموال الأميرية الموجهة
على أجدادنا من سلاطين آل عثمان الكرام المتسلسلة اليه من ذريتهم بغير توجيه
شرعي ولا نظامي ومن أوقف مسجدنا أيضا . وكنا كتبنا في النار ان نائب طرابلس
في ذلك العهد وجه ذلك عليه مخالفا لقانون نظام التوجيهات المصرح بأن ما كان
على الرجل من مثل هذه التولية يوجه بعد وفاته على أكبر أولاده . ثم تبين لنا انه
ليس هنالك توجيه صحيح وأقنا الدعوى في المحكمة الشرعية لان صاحب هذه
المجلة هو أكبر أخوته وأرشدهم وقد مرت السنة ونائب طرابلس يماطل في الدعوى
ويلوي ولا يفصل فيها على وضوح الحق وظهوره . ولماذا ؟ العلة يعرفها كل أحد :
على أنه قرر في أثناء الدعوى ان الحصة الموجهة من السلاطين على أجدادنا
لم توجه بعد والذي على أحد وانه رأى ان توجيهها موقتا على خصمي مع أخ لي
منافسة الى أن تنتهي الدعوى التي لا يريد انهاءها إلا إذا أنا أرضيته وما أنا بالذي يرضيه
فهم قرر هذا النائب (عبد المجيد افندي الجعفري) ان الحصة المذكورة (ونسب حصة
السبعة اقرار بطا والسبعة السهام) لم توجه بعد والذي على أحد واما ما دعوى فيها ان خصمي
(محمود حسن) اعتدى على هذه الحصة عدة سنين وأكلها بغير حق وهو يعلم اني صاحب الحق
فيها كما هو مقرر في قانون التوجيهات فكيف وجهها الى خصمي المقتصب ولم توجهها الي ؟
السبب في هذا هو أنه حاكم مستبد في حكومة يرى هو انها اقرب الى الفوضى
من الحكومة الاستبدادية الماضية فاذا كان لا يخاف من الله ولا من الحكومة العليا ان
تسأله عن ظلمه وتماقبه عليه فاذا يمنحه من تمكن الختلس لهذه الحصة زمانا ثم توجهها عليه
توجيهها موقتا بعد ثبوت اختلاسه اياها عدة سنين قبل هذا التوجيه الموقت . وبدا !!
ماذا يخاف عبد المجيد الجعفري بعد ان ثارت عليه طرابلس بقضيا وقضيضها
وهجم اللوف من أهلها على المحكمة لاخراجها منها أو الفتك به لسوء سيرته واشتهاره
بهضم الحقوق وانتهاك حرمة الشرع . وبعد أن اوسلت العشرات من الشكاوي عليه
بالبرق الى شيخه الاسلام ونظارة الداخلية وولاية بيروت ، وبعد ان أمر شيخ الاسلام
بمحاكمته في ولاية بيروت فكان من رأي المجلس الذي عقد لمحاكمته الصالح بينه

وبين خصمه بعد ان ظهر لم وجه اداته والحكم عليه ١١ ولماذا ؟ لانه رجل ذو عيال ؛
فهل تكون هذه القاعدة متبعة في حكومتنا وموضوعة عند امتنا ونكون معها امة
دستورية وحكومة دستورية ؟ لا لا . وهل يكون من ينجو من كل هذا في
عصر الدستور ماليا بسلب الحق من صاحبه واعطائه لغيره ؟

هذا الصلح او الالغاء عن حاكم يبحث بالشريعة ويضيق الحقوق فتعذر الحكومة
لانه ذو عيال مدعاة لافساد الصالح من الحكم فضلا عن استمرار الظلم على غلله
تزوج الجعفري على ام اولاده فتاة في الرابعة عشرة من سنها مجرد التمتع وهو في سن
السبب ليس في حليته شمرة سوداء . ولا يبعد ان يتزوج فتاتين أخريين ويفتح
اربع بيوت على قلة راتبه الشهري ، وهل يمنه قلة الراتب من ذلك والحكومة
الدستورية تبنيح له الاستبداد وهضم الحقوق والحكم بالباطل جهرا كما فعل ذلك علم
اليقين في قضيتنا وكما يلجج به الناس في بلادنا

استغفر الله ان الحكومة الدستورية لا تبنيح له ذلك بطبيعتها وشكلها ولكن
ليس عندنا رجال يقيمون هذه الحكومة على قواعدها ، على ان المحاكم الشرعية لم
يكن لها حظ من الدستور فلا الاحكام فيها تجري بالمشاورة كما في مصر ولا المشيخة
الاسلامية وائمة هذه المحاكم توجه اليها مفتشين يعقبون احكام النواب (القضاة)
فيقبل عليهم بالشرعية ولا هي تضع لهم كتابا كالجملة يلزمون الحكم بمسائله . فاذا طال
المهد على هذه الفوضى في المحاكم الشرعية سقطت قيمة الشرع من نفوس العامة
وبطلت قسما به فوجه عناية المشيخة الجليلة الى ذلك

﴿ حال الفيلق السادس في بغداد ﴾

جاء في جريدة الرقيب البغدادية ما نصه مع تصحيح قليل :

ذكرت رصيفتنا (بغداد) في عددها ٤٨ ان قد اجتمع في النادي العسكري
امراء وضباط الفيلق اجتماعا عموما وتذاكروا في أمر الفيلق السادس وانحطاطه وتدنيه
وكان من نتيجة مذاكرتهم ان بشروا بتأخراف الى الصدارة ونظارة الحربية والداخلية وقد
وقفت على صورته وأدرجته بنصه بالتركية فأقرنا درج ترجمته بالتركية وهذه هي :

« ان فيلقنا باعتبار الاعداد هو الفيلق السادس وهو الخاوس الوحيد لقسم مهم من أقسام الملك العثماني ولكنه لما توالى عليه من المصائب والزوايا في السنين المديدة نزل الى دوكة من السفالة والضعف . ولذلك لم ينزل الدواهي توالى على أفرادهِ حتى لو جمعت بلغت أعظم مبلغ يمكن تلفه في حرب دموية عظيمة بل أضاف ذلك . فهذه المصائب أوقعت في المخاطر وشوشت نظامه لتوجه فوق العادة .

فالיום فضلاً عن وجود الأفراد الاحتياطية يوجد ٢١ تابورا من الرديف أيضاً تحت السلاح ومع ذلك فالامن العام مختل بصورة لا يمكن ان تليق بالشرف العثماني ولا تقوم بشأنه وشوكة .

فالعراق اليوم بكل اطرافه بؤرة مصائب . والفيلق بجميع جهاته كل فرقة منه توجب الاسف الشديد لما هو فيه من الإزعاج وما هو متصور من زيادته شيئا فشيئا ولا سبب الا سوء الادارة . وقد ترك هذا الفيلق الذي لم ينزل في كل دقيقة بخطوة لماوية الاضمحلال منذ تأسيس الحكم الدستوري دون سائر الفيايق بلا قومندان ولا صاحب ولا رئيس أو كان حرب !

فالاتى به اليوم لا يوازي عشر ما كان عليه عندما افتتح نجد اوسكن تلك الفوائل بأجمعها . فلو وجد قومندان مقتدر فعال (لا كمن لا أثر له سوى كونه عبثا ثقيل على يده المال) لتمكن من إعادة شرفه وشوكة وسلطوته بهذه القوى المتفرقة الضعيفة .

فبناء على ذلك ان كان ثمة للحكومة العثمانية احتياج الى هذا الفيلق أو كان هذا الفيلق مضطربا من فيالق الحكومة الدستورية فيجب تعيين قومندان فعال مقتدر وكذا رئيس أو كان حرب وكذا امراء يكونون اهلا لقومانداية الصنف بأجمعها وارسالهم بالصورة السريعة فان في ذلك صونا له من الاضمحلال المحقق والتلف المحقق به .

إننا للأسف لعدم وجود مقتدر في هذا الفيلق للقيام بالوكالة لحين وصول من سيعين له فلا يقتضي العهد في الوكالة الى أحد من الموجودين قط وقد حذرنا ذلك خدمة لصالح هذا الفيلق في الحال والاستقبال وباسم هذه الخدمة طلبنا ذلك . »

(تصحيح) في « س ١١ و ١٢ ص ٧٥٥ » من هذا الجزء : ان الارباب يهربون من كس - والصواب : ويقون فيها كساً . الخ

بوتني الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي
شيئا كثيرا وما يدركه إلا أولو الألباب

المجلد

١٣١٥

فبشر جادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر الاثنين سلخ ذي القعدة ١٣٢٧ - ١٣ ديسبر (كانون الأول) ١٢٨٥ ١٩٠٩ م)

فَتَاوَى الْمَشَارِقِ

فتاوى هذا الباب لا حاجة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشر طاعته السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكره وعمله (وظائفه) وله بعد ذلك ان يرزق الى اسمه بالمرور ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالبارئ بما قد مناهنا سخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا اجتناب غير مشترك لكل هذا . ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صريح لافضاله

﴿ الصلاة بعد صلاة الجمعة ﴾

(س ٣٣) من صاحب التوقيع بالسودان

سيدي الفاضل صاحب المنار الاغر ، ففعلنا الله به آمين

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فلما كانت مجتكم الفراء هي المجلة الوحيدة الدينية الاسلامية التي اخذت على عاتقها خدمة الدين والامة واتباع منهج الحق والتي انتشر ذكرها في مشارق الارض ومغاربها حتى حازت ثمة انفاص والعام حياها الله وحفظكم لخدمة الملة والدين آمين - جتبا بالآتي :

نحن ياسيدي في بلدة حديثة العهد بالعمران يسكنها من المسلمين ما يبلغ ثلاثة آلاف نفس ما بين سوداني ومصري : بجداوي و يماضي وبعض من الهنود والمغاربة وليس فيها مرشد ديني الا قاضيا الشرعي السابق الذي ارشدنا المنار صاحبه وعرفنا كيف تقصده عند الشدائد والذي بسعيه وجدده وبما جمعه من المسلمين أسس زاوية من انشعب كأغلب ابنة البلدة وهي المسجد الوحيد الذي تقام فيه الجمعة والجماعة وما زال حفظه الله يمجيد ويمجتهد بإلقاء دروس الفقه والتوحيد على العامة حتى نور الله بصائرهم نوعا حتى رزنا بقله الى محكمة مركز سوا كن عقب نقل المديرية منها الى ددان (بلدتنا) وجاء قاضي محكمة المديرية فاملنا خبرا خصوصا واننا اكبر

سنا ومرتبة من سابقه ولما أقبلت أول جمعة بعد وصوله وحضر المصلون وأزف وقت الخطبة والصلاة وصعدوا في انتظار الامام ولم يتقدم أحد دعي فضيلة القاضي للخطبة فادعى انه لم يعمل الخابر في عمره ولم يعود الخطابة فخير فيمن يندبه فندب امام الاورطة المعسكرة هنا لينخطب ويصلي بالمسلمين بالنيابة عن فضيلته فأجاب المذكور وصلى وانه وان كان في لسانه عقدة وفي إلقائه بعض تعقيد غير انا حمدنا الله تعالى الذي لم يحرمنا ممن يقوم بالامامة والخطبة

صلى الامام الجمعة وعقبها بربع ركعات الظهر أو نقل (لأدري) فظن بعض المالكية ان صلاة الامام الظهر بعد الجمعة تبطل صلاة المالكية والمسجد واحد لا تقام الجمعة في غيره فسئل الامام عن ذلك فا كان جوابه الا ان افضل وحسب وكبر عليه ان يسأله احدا من العوام ويخطبه في صلاته (وما كان الاستفتاء) وتخلص بقوله: أنا ما باحدثني أجرة ومذهبي حنفي وماليش دعوه بذلك لاني ما حضرتوشي في الازهر والتي يصلي ودايه يصلي والا ما يصليشي عنه ماصلى !! رأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى رأيت ان كان على الهدى)

لم يكشف حضرة الامام بما أبداه من الاستياء من سؤال العامي الذي أراد ان يذكر فضله الذكري بل اعاد الكرة في الجمعة التالية وأظهر عظيم استيائه وجعل خطبته طعنا وذما وشما لمن يتجرأ على الطء ويسألهم ويخطبهم حيث قال بعد الحمدلة والاستغفار والتشهد مانصه :

« عباد الله : قال الله تعالى «ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها» الى عظيم . وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأهم الله مما قالوا وكان عند الله وجيبها» عباد الله: النبي أودى من قبلي من المنافقين ولي في رسول الله اسوة حسنة ! عباد الله : وسوس شيطان من شياطين الانس لبعض المصايين وما يمد هم الشيطان الاغوررا ان بخطتي في صلاتي أو ان صلاتي باطلة حيث صليت اربع ركعات فقلوا اني صليت الظهر واقسم بالله العظيم اني ما صليت الظهر ولا تنقلت وان صلاتكم صحيحة وصلاة الذين صلوا الظهر باطلة ولم أدر كيف يتعجبوا هو لا الشياطين على خططة علماء الله هم وكلاء الله في ارضه ١٩٠

عباد الله: قال الله تعالى «وكنذكلك جمانا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يسعون بضمهم الى بعض ذخرف القول غورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون»
 ولئن لم ينه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغربتكم بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا» عباد الله: اني خطب وما انتصبت الوظيفة من صاحبها وما خطبت الا بعد الاذن منه فاخترنا خطيب الذي يصحكم - هذا وان لم ينه المنافقون فسوف يخرجهم الله من هذه البلدة مدحورين خاسرين الدنيا والآخرة كما اخرج الذين من قبلهم عباد الله: ان شعبان قد مضى هل فيكم من قدم فيه شيئا يفهمه هل فيكم من عمل صالحا »

هذا هو ملخص الخطبة وآياتها وأفاظها والتي لم نخرج عن السبب الذي سألته ومن وافق عليه من (الشياطين) وبآيته ماسأل

انتهت الصلاة وقام المصابون وانصرفوا فنهض من قال بفساد الخطبة وعدم جواز الصلاة خلف هذا الامام وآخرون قالوا بفساد الخطبة فقط ولازال المرجع والمرج بين الناس مع اختلاف جنسياتهم وفيهم من عاهد نفسه بعدم الصلاة خلف هذا الامام فأغشونا وأفيدونا عن الصواب عن كل وما يتبع وعن صلاح الخطبة وفسادها وصلاة الظهر للامام بعد الجمعة أو التفرغ هل يفسدان صلاة المالكية مع نشر هذا السؤال برفته حتى لا يقال تجاوزوا الحق أو كتبوا غير الحقيقة والمسلمون يطالبون هذه الخدمة الدينية لله وللنفع العام ولكم منا الشكر ومن الله الاجر

ولما كان خير البر عاجله فترجمكم نشره بأول عدد وأنفسحواله صدركم الرحيب
 وصددو بحلتكم الفراء ودمت ياسيدي

ورحم الله الاستاذ الامام حيث يقول ان طول الاقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به لان من فكر حضرة الامام ان علم الجغرافيا وما فيه من تطلب الفصول والبروج والعلوم الحديثة الاخرى هو من الكفر الذي جلبه الشيخ محمد عبده .

الفقير محمد بهجت

بالكازك السودانية

(ج) ليس فيما ذكرتم من الخطبة ما يقتضي عدم صحتها أو عدم صحة صلاة

الجمعة المرتبطة بها . وصلاة الامام بعد الجمعة أربعا أو أكثر أو أقل لا يبطل صلاة الجمعة على نفسه ولا على المصلين من المالكية ولا غيرهم وما علمنا ان احداً من علماء المسلمين قال ان عملاً من الاعمال يصدر من رجل يبطل عبادة غيره أو عبادة نفسه الا الردة أي الكفر بعد الايمان فانها تحيط بالعمل وتبطل ثوابه . فأيها المسلمون لا تغفلوا في دينكم ولا تهولوا على الله الا لالحق . بذلك وصى الله من قبلكم وأعلمكم به لعلكم تتقون . نعم ان صلاة الظهر بعد الجمعة ليست مطلوبة عندكم في مذهب من المذاهب وان من لا يقول بسنية صلاة قبل الجمعة وبعدها كالمالكية ليس له ان يترضى بمذهبه على مذهب غيره ممن يقول بذلك ، والنظر في التعادل وال ترجيح بين أدلة المذاهب شيء آخر لكل أحد من المشتغلين بالعلم ان يبحث فيه بشرط ان لا يحمل سببا للتفرق بين المسلمين باختلاف الاجتهاد الذي لا مندوحة عنه . وعندني ان مذهب المالكية في هذه المسألة ارجح ولكنتي لا اعترض على غيرهم لخلافه اجتهداهم لا جهادهم واذا كان ما ذكرتم عن الخطيب منصوباً على غيره فانتني أعظه ان لا يعود الى مثله واذا كره بما يجب على الواعظ من الحلم والصبر وعدم الاتصاف لنفسه ولا سباً بمثل تلك الشدة التي هي من السب والشتم وفي حديث الصحيحين « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » وفي حديثهما ايضا « المسلم من سلم المسلمون من شر يده ولسانه » وفي رواية لغيرهما « من سلم الناس » الخ وليعتبر بعاقبة تلك الحدة فانها غيرت قلوب كثير من الناس وأطلقت ألسنتهم فيه ولو عاملهم بالحلم لجمع قلوبهم عليه فأقادم واستفاد من اقبالهم عليه وتعلمهم منه كثرة الاجر وحسن الذكر كما كان شأنهم مع القاضي السابق ولا شيء يبين على الحلم واللين وحسن السياسة وعدم الدعوى والاتصاف للنفس كالاخلاص وعسى ان يوجه قاضي المدبرية همته الى اصلاح ذات البين والنهاية بارشاد أهل هذا البلد وقراءة درس لهم في الحلال والحرام وآداب الدين وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ اطلاق لفظ مولانا على الناس ﴾

(س ٣٤) عن محمد علي افندي من موظفي كرك (يافا)

حضرة العالم العلامة السيد محمد وشيد رضا منشي المأج الآخر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أعرض آتي قد اطلعت على كتاب يدعى (صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان) قرأته قد فسر كلمة « مولى » بما معناه : ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا (مولانا فلان) فكل انسان قالما لانسان غيره يشرك بالله ا، قرأت هذا وأنا بين الشك واليقين في كلامه لآتي كثيرا ما أسمع هذه الكلمة يقولها الناس لأناس غيرهم فلم أر احدا يهديني للصواب سواكم فأنتيت برسالي هذه مستفتيا اياكم عن هذه الكلمة ودرجها مع الجواب بأول عدد يصدر من مجلتيكم الفراء ، فلا زلتم الملمحاً لحل المشكلات ، والوحيد في فك المضلات ، آمين .

(ج) لقد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي تقتضوه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ فاهرا فلفظ المولى ليس مشتقا من لفظ الجلالة الذي هو من مادة « وله » بل هو مشتق من مادة الولاية أو الولاء وقد بين الله تعالى في كتابه ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض وما كل ما أطلق على الله عز وجل من الاسماء يحرم اطلاقه على غيره كما هو معلوم من اطلاق لفظ « رؤف رحيم » على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن ومن تسمية المسامحين أبناءهم بالحكم والرشد وغير ذلك مما جاء في أسماء الله الحسنى . وقد استعمل المسلمون لفظ « المولى » من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا العهد وهو بمعنى السيد وشاع عندهم اطلاقه على المتوق فكانوا يقولون زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) وناقم مولى ابن عمر (رض) . ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء رضي الله عنها في أخيها صخر وان صخر المولانا وسيدنا وان صخرنا اذا نشئت لنحار

﴿ السماء والزرقة التي تراها فوقنا ﴾

(من ٣٥) من السيد محمد حسين نصيف (بجدة - الحجاز)

حضرة العلامة الفاضل ، والسيد الكامل ، من طار صيته حتى ملأ الاقطار ،
بأعلا المنار ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله وأدامه

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرجوكم حل هذه العقدة التي أبرمها
امامنا أحد طلبة العلم مدعياً ان الزرقة التي تراها فوقنا ليست بالسماء المرادة بقوله
تعالى « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » وانما
تلك الزرقة هي الجو محتجا علينا بالحديث « ما بين كل سماء خمس مئة عام » وان تلك
المسافة لا يدركها البصر عقلاً ، فهل السماء التي تراها فوقنا زرقاء هي السماء الحقيقية
المذكورة بالقرآن والحديث ؟ أم الجو كما زعم أفيدونا وارونا من بحر علمكم الزاخر
زادكم الله علماً وفيها والسلام

(ج) الحديث الذي أشار اليه طالب العلم لا يصح ولا يحتاج به لفظ السماء
قد أطلق في القرآن على عدة معان منها السقف في قوله تعالى من سورة الحج « فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع » الآية ومنها السحاب في عدة آيات وذلك ان هذا
اللفظ من السموات وهو المألوف فكل ما علاك وكان فوقك جاز لك أن تسميه سماء هذا
هو وضع اللغة التي نزل بها القرآن . فهذا الشيء الأزرق الذي نراه فوقنا في النهار
سماء ومجموع هذه النجوم اللامعة التي تراها فوقنا في الليل يسمى سماء وجهة العلوم
فوقك تسمى سماء . وبذلك ورد القرآن . وقد اختلف علماء الهيئة الفلكية في هذا
اللون الأزرق الذي في السماء وينسب اليه ما يشبهه من ألوان الثياب وغيرها فيقال
« سماوي » وفي لون البحر وليسوا على يقين مما يقولون فيه وهو على كل حال وكل قول
لون لا يقوم بنفسه وانما يقوم بجسم أو جوهر وما يقوم به اللون يسمى سماء وان كانت
الزرقة حادثة من الفصل بين النور والظلمة في هذه الجهة كما قال بعضهم . والقرآن لم
ينزله الله تعالى لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية كالفلك والنبات والحجران وإنما

تذكر فيه محاسن الخلوقات وعجائبها للتنبيه على حكمة الله في ابداعها ونظامها وعلمه الواسع وقدرته العظيمة وان السماء التي تنظر اليها في الليل والنهار ذات زينة بديعة وبناء عظيم لا تتفاوت في خلقها ولا فروج ولا شقوق فيها وهي من آياته سبحانه وتعالى الدالة على الوحيته . وما اكتشفه علماء الفلك من اسرار سماها لا يزيد المؤمن بالقرآن الا ايمانا وخشوعا وليس فيه شيء يقض كلمة منه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

﴿ دفع الزكاة للجمعيات الخيرية العمومية ﴾

(س ٣٦) من صاحب التوقيع في الاسكندرية

حضرة الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا نفعنا الله به آمين
السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد هل يجوز اعطاء كافة المال للجمعيات الخيرية كجمعية رعاية الاطفال وهي ليست خاصة بقراء المساكين المسلمين بل تقبل كل من يأتيها من قراء اليهود والنصارى وهل يجوز نقلها لمكتب الادارة اذا كان بيد اذن مسافة القصير كالمسافة من الاسكندرية الى مصر ونظرا لاهمية الجواب ارجو التكرم به بمطابح خصوصي وان لم يمكن فالرأي لكم ودمتم
كاتبه

محمد شرف بمصلحة عموم الفناوات

(ج) الزكاة المفروضة لها مصارف معينة وهي تؤخذ من أموال المسلمين لمصلحتهم فلا يجوز صرف شيء منها لغير المسلمين كما هو مفصل في كتب الفقه ومثله يعلم ان دفعها للجمعية رعاية الاطفال لا يسقط الفريضة عن الدافع بل يكون ما يدفع لها من صدقة التطوع وهي جائزة للمسلم وغير المسلم كما يفتا ذلك في تفسير قوله تعالى « ليس عليك هدام » فراجع في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم . واذا علمت ان دفع الزكاة لتلك الجمعية غير جائز بمعنى انه يسقط الزكاة المفروضة فقد استفتيت عن جواب السؤال الثاني وهو نقلها الى مكتب الجمعية من مكان يبعد عنها مسافة القصير أو كثر والله أعلم

﴿ العلم والائحاد ، أيهما المقدم ؟ ﴾

(س ٢٧) من صاحب التوقيع في متناودة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مايقول حضرة الامام السيد محمد رشيد رضا نفع الله به آمين
 في وجاين قال أحدهما : لا ائحاد بدون علم وقال الآخر بل لا علم بدون ائحاد
 فن يراه حضرة السيد المصيب ؟ وليتفضل بالجواب مبسوطا على صفحات النار
 لايرحمه تافمين للأمة كاشفين عنها كل غمة آمين
 السيد عبد الرحمن الكاف

(ج) بحال الكتابة في العلم والائحاد وعلاقة كل منهما بالآخر بحال واسع يمكن
 أن يكتب فيه مصنف كبير ولايجسن أن يكون ذلك في جواب سؤال مجمل كذا
 السؤال، و بيان ترجيح رأي على آخر وكلاهما غير ميين ، فها هو الائحاد المنفي جنسه
 بدون علم وما هو هذا العلم المنكر ؟ وما هو ذلك العلم المنفي جنسه بدون ذلك الائحاد
 المنكر ؟ هل المراد ائحاد ملائقة من أفراد الناس على عمل ما ؟ أم ائحاد ملوائف من الناس
 على تكوين ملك مشترك كالائحاد الجرمانى والامريكي ؟
 الائحاد عمل يتعلق بالجماعة أو الجماعات ولاعمل الامع العلم بكيفيته ، والعلم بمايناله
 الافراد بدون ائحاد مع غيرهم فهو المقدم دائما ولكل عمل علم خاص يكون مقدمة له
 ومنه الائحاد يقول من قدم العلم هو الصواب

العرب والترك (*)

١

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

التفاير بين الاخوة الانشاء ، والتنافس بين الجيران واغلطاء ، هما من الاخلاق الممودة بين الناس ، في جميع الشعوب والاجناس ، وكثيرا ما يفضي التفاير الى التنافر ، والتنافس الى التحاسد ، فاذا اقترن ذلك بالتقاطع والتدابير ، ولم يفض كل من المتنافسين بما في نفسه الى الآخر ، اشتعلت بينهما نار العداوة والبغضاء ، وان كان الخير لكل منهما في الموادة والوفاء ، وان ما يقع من الشقاق بين البشر بسوء الفهم ، اكثر مما يقع بسوء النية والقصد

تلك قوانين الاخلاق وسنن الاجتماع التي تسير عليها الافراد والاقوام ، فالعرب والترك هما الصنوان في شجرة الملة الخنيفية ، والاخوان الشقيقتان في الجامعة العثمانية ، والركنان الركينان لبناء الخلافة الاسلامية ، فالرابطة بينهما جديرة بأن تبقى دائما كما وصفها كمال بك نامق زعيم النهضة الادبية في الترك بقوله : « ان كان يطعم أحد في حلها فهو الشيطان ، وان كان يصد عليه احد فهو الله »

هذا ما كان ، وهذا ما يجب ان يكون الى ماشاء الله ، ولكن وجد شيطانان لا شيطان واحد يطمعان في حل الرابطة المتينة بين العنصرين اللذين امتزجا كامتزاج الاكسجين والادويجين في تكون الماء ، أو الاكسجين والنيتر وجين في تكون الهواء ، ذاك الشيطانان هما شيطان السياسة الاورية ، وشيطان الجبل في كثير من افراد

(*) مثال طويل كتبتاه في الاستانة ونشرته متفرقة مترجما بالتركية في جريدة « اقدام » الشهيرة وبالمرية في جريدة « كلمة الحق »

المنصرين ، ولكل واحد من هذين الشيطانين شر من شيطان الجن الذي ذكره كمال بك رحمه الله ، وسأين ذلك تبيينا

ان هذا الساجز كاتب هذا المقال ربما كان من أعلم الناس بهوامم هذه المسألة وخوافها وهزلها وجدها لا تأتي بجأت مصر منذ اثني عشرة سنة فكنت اشتغل فيها بالدعوة الى الاصلاح الاسلامي جهراً ، من حيث اشتغل بالسياسة العثمانية سراً ، وان مصر في هذا العصر ، هي رآة الشرق والغرب ، بما فيها من الحرية المطلقة ، والشعوب المختلفة ، والجرائد الحرة ، والاجتماعات المباحة ، فالقيم فيها يسهل عليه ان يعرف من احوال البلاد العثمانية وسياسة الدول فيها ما لا يعرفه أهل الاستانة ولا غيرهم من المقيمين في الولايات حتي في هذا العصر عصر الدستور ، فاذن تقول في عصر الاستبداد القريب : عصر الحجب على المطبوعات والنظم على الافواه ، والمنع من الاجتماع ، والرعب من ذكر بعض الاسماء والاقاب ، والقاب الشديد على فلتات اللسان ، وزلات الاقلام ؟؟؟

انني مازكت مصر وجئت الاستانة في هذا الوقت لأمتع النفس باستنشاق هوائها وعذوبة مائها ومناظر بوسفورها ، واتما جئت باحثاً ومختبراً أو ساعياً في الاصلاح ، فأنا أعرض ما عندي من المعرفة والاختبار والرأي ، على اولي الامر وأهل الحل والعقد ، بعضه بالمشافهة والمسارة ، وبعضه بالكتابة في الجرائد ، فان صادف آذاناً واعية واعينا بصيرة متأملة ، فذلك مأرجوه ، وان صدق ما قيل لي بمصر من ان اولي الامر وكذا أصحاب الصحف في الاستانة لا يبالون بقول أحد ولا برأيه - وما أظن ان الامر كما قيل - فحسبي انني أدبت الواجب علي وعملت بالنصيحة الواجبة لامة المسلمين وعامتهم كما ثبت في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

قصيت أكثر من اسبوع في هذه العاصمة لأقابل أحدا من اولي الامر ولا من أصحاب الجرائد واتما كان هي فيها محصورا في اكتشاف الآراء ، واستفراج مخبات النفوس ، ومكنونات الصدور ، في الامور العامة ، ومسألة سوء التفاهم بين الترك والعرب خاصة ، فرأيتني بعد ان وقفت على كثير من المسائل والآراء ، وما

فبها من الاغراض والاهاوء ، لم أزد علما بأصل المسألة وانما أضفت الى ما عسدي جزئيات جديدة من الحوادث والوقائع تؤيد الأمر الكلي ولا تنقص منه شيئاً فلامر الذي يجب التصريح به بالاجمال ، قبل بيان الاسباب والتأنيج بالتفصيل والذي يجب ان يعلم وان يعمل به ، هو أنه يوجد شيء من سوء التفاهم بين العنصرين تحشي عاقبته ان لم يتدارك في الحال ، وأن كبراء الدولة وقادة الافكار في العاصمة ليسوا على ينة منه وأستشهد على ذلك شهيدين قريين : أحدهما فتنة الشام في هذا العام ، وثانيهما ما نشر في جريدة «أقدام» من خبر اتحاد امراء جزير العرب لأجل تكوين دولة عربية ١

أما الاول الذي استدل به على ان حكومة العاصمة ليست على ينة من احوال الولايات العربية فهوان بعض الوشاة في دمشق الشام بلغوا هذه الحكومة بقرير من قاريرهم الي اعتادوها في زمن الحكومة الحميدية بأن أفراداً معينين يكونون دولة عربية وخلافة جديدة !! فبادرت الحكومة الدستورية الى التحقيق واستنهاق المتهمين بهذه الجناية جهراً ، وكانت الحكومة الحميدية تفعل ذلك في شأنهم وشأن أمثالهم سرا ، وهم أفضل علماء الشام وأخلص المخلصين من أحرارها للحكومة الدستورية ، هم الذين كانوا مضطهدين في الدور الماضي فلما جاء الدستور ظنوا ان زمن اضطهادهم قد مضى وجاء الزمن الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم ، ويعرف فيه المخلصين اخلاصهم ، وكانوا هم السابقين ، الى مقاومة الرجعيين ، أما ينزل نضائهم وعلوهم كالشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، وإما ينزل أموالهم ونفوذهم كبدا الرحمن بك يوسف ، والسبب في وقوع هذا الغلط عدم الوقوف على حقيقة الاحوال ودليل ذلك ان ناظر الداخلية لم يلبث ان أصدر أمراً حين علم بالحقيقة من مدة قريبة بترك التحقيق عن المتهمين بالباطل وجعل المسألة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولكن تلك الالهانة التي اصابها اولئك المخلصين بسبب ما ذكرنا من عنبر الحكومة قد تنسب الى سوء القصد ، أو نصف الثقة بالحكومة الدستورية — لولم يتداركها — وسنبحث في طريق معرفة الحكومة والجرائد في العاصمة لآحوال الولايات في نبذة أخرى من هذا المقال وأما الامر الثاني وهو ما استدل به على عدم معرفة الجرائد وقرائنها بأحوال

البلاد العربية فهو تصديق ما نشرته جريدة « أقدام » مترجما عن جريدة « الاتحاد الألماني » من اتحاد امراء العرب وشيوخهم في الجزيرة واهتمام الناس هنا بذلك وهذا ما جعلني على زيارة هذه الجريدة ومكاشفة مديرها الفاضل بحقيقة الامر في ذلك الخبر والاتفاق معه على كتابة مقال في بيان ما عندي من الصواب في هذه المسألة وفي المسألة الكبرى التي تعد هذه فروعها وهي مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك وما يجب من طرق تلافيه بعد معرفة أسبابه ، وقد شكرت للرصيف الكريم قبوله مني ما اكتب وزججه ونشره في جريدته

لمسألة اتفاق امراء الجزيرة أصل عريق من اوثق المصادر واصحها وهو ان شيخ لحج (ويلقب هناك بسلطان لحج) قد كتب كتابا الى بعض امراء العرب وشيوخهم كامام الزيدية في اليمن والشريف أمير مكة في الحجاز وغيرها وأرسله مع رسل من قبله يحملون بعض الهدايا وهي تتضمن الدعوة الى المذاكرة في الاتفاق على حفظ جزيرة العرب من العبث باستقلالها ومن قبل الدولة العلية ، ولكن لم يجبه أحد الى دعوته ولا حصل اتفاق بين اولئك الامراء ولا اتفاق على الاتحاد ، ولا ذلك من التيسر ولا شيخ لحج ممن يسم له اولئك الامراء قولا ، أو يحترمونه رأيا ، أو يعتقدون فيه اخلاصا ، بل هم يسيئون الظن فيه لما يثبته وبين انكسار من الولا ، وما يأخذ منها من السطاء ، علت بهذه المسألة من عدة اشهر ولم أنشرها في « المنار » ولا في غيره من الصحف لاعتقادي أنها لا ضرر فيها وانما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها ، لما رأيته بعد : ولكن لما كان علم الدولة بها واجبا ولا سيما ان كانت بدسياسة اجنبية بادرت الى اخبار بعض من يثق بي من كهراء الدولة بها في كتاب ارسلته اليه من مصر على انه يلقي ان امير مكة المكرمة اخبر حكومة العاصمة بها ايضا بعد ذلك سمع بعض التجار في عدن وغيرها بالخبر ولكن على غير وجهه فتناقلوه حتى وصل الى طرابلس الشام فلقته مكاتب جريدة « المؤيد » المصرية هناك وكبره و اضاف اليه ما جرت عادة مكاتب الجرائد بالتوسع في مثله وأرسله الى المؤيد ، وبعد ان نشره المؤيد بزم غير طويل نشرته جريدة « الاتحاد الألماني » فوصل الى الاستانة العلية في هذه الايام وكان له من سوء التأثير ما كان ونحمد الله

ان كانت الحكومة هنا اعرف بحقيقة هذا الامر من الجرائد اذ لولا ذلك لخشي ان تحشم الزخوف ، وتنفق الالوف ، وتسير الاسطول ، لدفع هذا الخطر الموهوم ، فان اتفاق اولئك الامراء لا يتلافى بمثل ما يتلافى به اتفاق الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وهما شيخان ضعيفان يقبلان في مركز فيلق من فيالق الدولة العلية !!
أكتفي بهذه النبذة اليوم وسأكشف الغطاء في النبذة الثانية عن اسباب سوء التفاهم واجعل هذا وذلك مقدمة لما أدعو اليه من الوحدة والاتفاق

٢

قلت ان العرب والترك يجب أن يكونا متحدين كالعنصرين المكونين للماء والهواء بحيث يكون الناظرون اليهما كالناظرين الى الماء يرون شيئا واحدا لا شيئين ، والشاعرون بمقاومتهم كالشاعرين بمقاومة الهواء وهو قوة واحدة لا قوتان منفصلتان ، وقلت ان شيطاني السياسة الاخنية والجهالة الداخلية ، يطعمان في حل رابطتهما القوية ، وتحليل وحدتهما الدينية الاجتماعية ، بحال العصبية الجنسية ، وانا نلين ذلك بشيء من التفصيل

سياسة أوربا في الاجتناس

وضعت في أوربا قاعدة من قواعد السياسة من عهد نابليون وهي وجوب استقلال كل جنس بنفسه ، فهذه القاعدة يعمل بها رجال السياسة الاستعمارية حيث توافق مصطلحهم فقط ، ويوجد من رجال الاجتماع من يقول بوجوب اطرافها لمصلحة البشر وان كان استقلال بعض الاجناس ينافي مصلحة جنس آخر سائد عليه او متعزز به

لهذه القاعدة فروع كثيرة تتعلق بالدولة العلية لاخير لها في شيء منها لانها مؤلفة من اجناس كثيرة لا قوة للدولة الا باتحادها كلها او جلها بالاخلاص فان شذ منها جنس صغير هو فيها كالكربون في الهواء لم يكن ذلك ضارا لها ضررا يعضف كيانها فان خور الهواء من الكربون لا يبطل كونه هواء وإن كان لا يخاف في الغالب منه . واني لا أبحث هنا في هذه الفروع وإنما أقول انه لا يفهم احد من الاجناس

العثمانية في سياسة الجنسية كما يفهم الترك العثمانيون لأن من مقتضاها أن يحصر استقلالهم في بلاد الأناضول التي هم فيها أكثر عددا ولا تسمح لهم أوروبا بالاتحاد بأهل تركستان ولا هم يقدرون على ذلك بالقوة ، فاتهام بعض العرب وغيرهم لسياسة الترك بأنهم يريدون استخدام قوة الدولة لتمييز جنسهم على سائر الاجناس العثمانية هو اتهام لم بالجهل بمصلحة الدولة وبمنفعة جنسهم فوق الجهل بما يحظره عليهم دينهم من عصبية الجنسية

سياسة أوروبا الجنسية في البلاد العربية

قلت ان القائلين بهذه السياسة في أوروبا فرقان : رجال الاستعمار الذين يستعملونها لمصلحتهم قدر مصلحتهم ، ورجال الاجتماع الذين يسعون لها سعيا على الإطلاق عملا بما يعتقدون من خير البشر . فالاولون يثبون في البلاد العربية العثمانية فكرة الاستقلال العربي مخادعة للعرب لمساعدتهم على الانفصال من جسم الدولة العليا ، وماذا تريد أوروبا بهذا ذلك ؟ تريد أن تضع هذه البلاد العربية تحت حمايتها أو تضيفها الى مستعمراتها وتقطع عليها طريق الاستقلال باسم الاستقلال ، وان لاوروبا من الدسائس والوساوس في اطاع البلاد العربية العثمانية بالاستقلال مالا تسمح لنا الحالة السياسية في الاساتنة الآن بشرحه وانما اشرنا اليه لنذكر اهل الحل والعقد ورجال الصحافة في هذه العاصمة بأن سوء الادارة في عصر الاستبداد كان هو المساعد لترويج تلك الدسائس ، وان حسن الادارة وحده لا يكفي في هذا العصر لقطع عرق الدسائس وخيبة مساعي اصحابها بل يجب أن يهتزن بالمساواة وتأييد الوحدة العثمانية بالعمل من الحكومة و باقوال الجرائد وفي مقدمتها جرائد العاصمة فان كلمة واحدة من جريدة تركية او من كاتب تركي تشعشع بتفضيل الترك على غيرهم تحبط عمل الف واحد من العرب في الدعوة الى الاتحاد والاتحاد

قد اشتهر امر المناظرة الطويلة التي دارت بين هذا العاجز وبين صاحب جريدة (وطن) التي تصدر في مدينة لاهور بالهند في الانقلاب العثماني الذي سميت ميمونا وصماه مناظري مشوفا ، وقد كان مما قاله في رده الاخير على اتني لم أعترف لعبدالحمد بحسنة واحدة وقد كانت جرائد الشرق والغرب طافحة بتعداد حسناته الكثيرة ،

فأجبه في ردي الأخير عليه الذي نشرته في جزء المثار الذي صدر في آخر رمضان الماضي : اتى أعترف لبدا الحيد بحسنيين سكة الحديد الحجازية ، وحلم التعصب للجنسية، اذ لم يكن يقال في زمنه ترك وعرب . وأزيد الآن على ما قلته هناك انه لو كانت تلك الادارة السومى مقرونة بالتعصب الجنسي للترك لانفصلت البلاد العربية من جسم الدولة ألبنة

هذا : وان في أوروبا من أهل السياسة من يساعد على فصل بلاد العرب من جسم الدولة العليا لأجل اضافة الدولة لا لطمع في شيء من تلك البلاد ، واتى قد دعيت منذ اعوام الى الدخول في جمعية اورياسة جمعية باوربا تدعو الى استقلال البلاد العربية وقيل لي ان جمعية كذا وجمعية كذا من الجمعيات التي تريد اضافة الترك في مقدونية وفي الاناضول وحملهم على تفريق القوة العسكرية ، تساعد هذه الجمعية العربية بالمال الكثير اذا دخل فيها بعض المشهورين من المسلمين ، ولا رفضت هذه الدعوة قبل لي اسمح لنا بكتابة شيء في ذلك فهاك او اسمع لنا أن نستخدم اسمك فلم اقبل بل كان ذلك مما قوى عزيمتي على القيام مع بعض اصدقائي العثمانيين بمصر بجمعية الشورى العثمانية التي ألقاها من جميع العناصر العثمانية للمطالبة بالامستور والاصلاح

واما رجال الاجتماع من الاوربيين الذين يميلون الى تكوين دولة عربية فكثيرون ، ومنهم المخلصون الذين لا يقصدون مساعدة الطامعين في البلاد العربية ولا اضافة الشعب التركي ، وقد يستغرب كثير من القارئ لهذا المقال الجزم بوجود هذا الصنف من الناس في أوروبا ، ألا فليعلم المستغربون اننا نقول هذا عن علم لآعن ظن وان الانسان ما زال مصدر الغرائب . وما وقتت عليه من ذلك ان بعض هؤلاء المخلصين في حب العرب قد عرف الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) ووثق باقتداره فرغب اليه أن يضم له نظاما لاستقلال جزيرة العرب وتكوين دولة عربية فيها ليسعى في تنفيذ ذلك . وقال له انه يوجد مال كثير ينذل في سبيل المشروع وانه هو يفتق من صندوقه مبلغ كذا من الوف الجنيهات . فأقنعه الاستاذ الامام بأن فصل العرب من الترك يضعف الفريقين ويضر الاسلام نفسه ،

فقال له ذلك الأوربي الفاضل اذا كان الامر كذلك فانا أعاهدك على ترك السعي له
 إن ما يظلمه العلماء المستشرقون من آثار العرب في العلم والمدنية والدين وما يطعمونه
 في كتبهم التي كانت نحت عليها عاكب النسيان هو مما يقوي ميل أولئك الاجتاعين
 الى مساعدة الاستقلال العربي اذا سمعت العرب اليه وطالبت به فأجب ان يعرف
 ذلك رجال السياسة والصحافة من الترك وان يملوا علم اليقين انه لم يوجد الى هذا
 اليوم سعي الى هذه التفرقة الضارة ولا ميل من أهل البلاد العربية ، وان العارفين
 منهم بهذه المنافذ يسعون في سدها ، وان الذين أظفروا الدعوة اليها في أوروبا انما هم
 أفراد من اصحاب المطامع الذين كانوا يبتغون المال والمناصب من عبد الحميد والتهو يش
 على الدستور ورجاله في أول العهد باعلانه، وان عزت العابد لا يقدر الآن على شيء ،
 وان كل ما يجب الآن محصور في ازالة سوء التفاهم بين العنصرين وهو ما سنبينه بعد

٣

إذا جنحت الترك للاعتصام والامتزاج بالعرب بما سأذكره من الوسائل فان
 العرب تكون أحنح لذلك لان الترك هم العنصر الاكبر في الدولة والسياسة، والقاعدة
 الطبيعية في الجاذبية ان الاكبر يجذب الاصغر، ولانهم أشد استمساكا بالجنسية فيعيشون
 ان يكونوا هم الذين يكونون عصبية العرب الحقيقية

فان قيل ان العرب هم أكبر العنصرين بكثرة عددهم وسعة أوضاعهم وموارد
 ثروتهم فهم الذين يجب ان يجذبوا الترك اليهم ، فالجواب ان هذا كان يكون صحيحا
 لو كان التنازع والتجاذب بين عامة العنصرين ونحمد الله انه لم يكن كذلك لان
 هذه العصبية اذا سرت في نفوس العامة فذهبوا لها ، وتوجهوا الى العمل بموجبها ، فإنه
 يتعسر أو يتعذر نزاعهم قلوبهم ، واستغرابها من أدمغتهم ، وإنما التنازع والتجاذب
 محصوران في طائفة من المتعلمين وهم رجال المناصب في الدولة وطلابها ، والمستفلون
 بالسياسة ، كأصحاب الجرائد وكتابها ، ومجموع الفريقين في الترك أكثر منهم في العرب
 وهو معنى قولنا ان الترك أكبر العنصرين في الدولة والسياسة ، وإن انحصار التجاذب
 بين اعقل المتعلمين في الفريقين هو الذي يطمع طلاب الوفاق ومحبي الإصلاح في

(المتأرجح ١١) (١٠٤) (المجلد الثاني عشر)

تاريخ التغاير بين العرب والترك

ان الطبيب لا يحسن معالجة المربض ويكون جديرا بالتعاج فيها الا اذا كان عارفا بتاريخه الصحي وبماطرأعليه من الامراض من قبل ، بل يجب ان يكون مع ذلك على علم بالخالل الصحية في آبائه وعشيرته ليعرف استعداد مزاجه وما عسى ان يكون قد سرى اليه بالوراثة ، وكذلك يجب ان يعرف الطبيب الاجتماعي تاريخ الامم والشعوب التي يتصدى لارشادها ومعالجة امراضها الاجتماعية ، واختلافها وعاداتها الطائفة والموروثة ، وهذا ما يدعوننا الى الاشارة الى ما لا بد من التذكير به من تاريخ التغاير بين هذين العنصرين اللذين يجب ان يتحدا دائما كتحداء عنصرى الهواء أو الماء كان للعرب مدنيت قديمة قد امتدت من بلادهم الى بلاد الكلدان والفرس من جهة الشرق والى مصر من جهة الغرب فتاريخ دوله الرعاة العربية في مصر معروف ويقول بعض المؤرخين انه كان لهم في تلك البلاد دولة اقدم منها ، وشريعة جمهوراني وهي اقدم الشرائع المعروفة من التاريخ شريعة عربية ، فجمهوراني العربي كان يدعى ملك السلام كما في العهد العتيق والعهد الجديد من اسفار أهل الكتاب وكان مهابرا لبراهيم الخليل عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، الا ان تلك المدينيات قد زالت كما زال غيرها من المدينيات القديمة — ولم يظهر شيء من آثارها الا في هذا العصر الذي عني فيه الاوربيون باستخراج الآثار القديمة من بطن الارض ، وسيجاورهم العثمانيون في ذلك وهم أحق بمعرفة تاريخ البلاد التي ورثوها ويوجب عليهم الدستور في هذا العصر عمارتها كما أوجب الاستبداد على سلفهم انها ان لم تقل تخريبها

ثم اتى على العرب حين من الدهر لم يكونوا فيه شيئا مذكورا في عالم المدنية حتى انبلج فيهم فجر الاسلام بمكة المكرمة وطلعت شمسها بالمدينة المنورة ثم امتد نوره الى سائر الأقطار ، واتسمت فتوحاته في الشرق والغرب ، واحيا العلوم التي كانت قد ماتت ، وجدد المدنية التي كانت قد عفت وطمست ، ولكن كان من تعالجه هو المصيبة الجنسية ، ولذلك كانت الدواوين التي دونها الخليفة الثاني للحكومة في بلاد الشام ثلاثة اربعة الى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان وزراء اعظم الخلفاء العباسيين

من الفرس ، وحاشية آخرين منهم وحرسهم وجندهم انخاص الممتاز من الترك . ثم حدثت في بلاد الخليفة العباسي سلاطين الطوائف فكان منهم الفارسي والتركي والكرد ، ولم يخطر في بال العرب ان هؤلاء غرباء عنهم ، وانه يجب تأليف عصبية عربية لترزع الملك منهم ، ذلك بأن الاسلام نزع عصبية الجفنس من قلوبهم بقول الله لهم في سورة الحجرات « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » فعلمهم ان الشعوب التي تختلف باختلاف الجنسية والقبائل المتفرقة باختلاف النسب يجب ان تتعارف فتألف ، لا ان تتناكر فتختلف ، وبذلك أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وصرح بأنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي الا بالتقوى ، ولذلك كانت العرب ولا تزال تفضل مثل ملكشاه الساجوق وصلاح الدين الايوبي الكردي على أكثر ملوك بني أمية . ولذا سهل على ملوك آل عثمان الاستيلاء على البلاد العربية ولم يخطر على بال الامة العربية أنه قد استولى عليها قوم ليسوا من جنسها ، اذ ليس لها ومعظمها على الاسلام جنسية في غير دينها ، ألم تر الى الشعب المصري العربي كيف يئن من نفوذ الانكليز وهم ليسوا بمالكين ، ويحن الى الترك وان كانوا الى آخر عهد عبد الحميد من الظالمين ، ومن الامور التي لا ينكرها مصري ولا تركي ان الانكليز قد اصلحوا من بعض الوجوه في مصر . ان الترك لم يصلحوا فيها شيئا ، ولا تزيد على ذلك لئلا نخرج الى ما ليس من غرضنا أو الى ما يوشك ان يضعف صوتنا فيه

يقول بعض المتفرجين منا ان عدم تعصب العرب لجنسهم كان ضارا بهم لانه أزال ملكهم ، وان الترك لو عملوا بهذه السياسة الاسلامية لكان شأنهم في ذلك كشأنهم ، ونقول ان هذا القول باطل وليس هذا المقام مما ينسح لبيان بطلانه بالحجة والبرهان ، وانما الغرض مما تقدم بيان ان العرب لا يكرهون سلطة الترك تعصبا لجنسهم ، وانما ينكرون منهم بعض الاخلاق والاعمال كما ينكر بعض أفرادهم وبعض جماعاتهم على بعض . هذا ما عليه مجموع الامة العربية لا جميع افرادها فاني لا أنكر انه قد سرف على كثير من المتعلمين الميل إلى التعصب الجنسي والاستقلال العربي وهو اعتصود من يحن هذا

ان الدولة التركية لم يكن لها في عصور قوتها نفوذ ولا سلطة ولا دواوين ولا
عما كم في داخلية البلاد العربية ولا مداوس تركية فهي لم تخرج بالعرب ولم تقسم
معهم بلحمة العدل والعلم واللغة فيكون الترك والعرب امة واحدة ، ولم تسبهم بالقوة
والجبروت والظلم العام ففسد بأسهم وتجهلهم امة ذليلة ، بل كانت الى ما قبل
« التنظيمات الخيرية » التي وضعت في عهد السلطان عبد المجيد (رحمه الله تعالى)
تكتفي بإرسال بعض عمالها الى بعض البلاد الكبيرة لاجل اخذ ما فرض على كل
جهة من المال للدولة ، ولكن البلاد المصرية قد ذاقتم من الظلم في عهد المماليك
ماصارت تعد به عصر محمد علي باشا وعصر احفاده عصر نور واصلاح ، على ما كان
فيه من ظلم وجور ، ومع هذا كله لم تتوجه نفوس المصريين الى طلب الاستقلال
التام عن الترك الا في عهد الثورة المرواية ، ثم لما كانت عاقبة الثورة هي احتلال
الاجانب لقطر المصري حدث للمصريين من التعلق بالدولة العلية ما هو معروف
وقد أشرنا اليه آنفا

بعد « التنظيمات الخيرية » تقلل عمال الحكومة من الترك في البلاد العربية
فلم يكن الناس يستنكرون سلطتهم ، أو يستنقون وطأتهم ، ولا كانوا يرون أنفسهم
أذلاء لموضوعهم لحاكم أجنبي عنهم بل كان السواد الاعظم وهم المسعون يعدون
التركي منهم لا نه مسلم وهم قلما يفكرون في مسألة الجنسية ، وأما غير المسلمين فلم يكن
عندهم فرق بين التركي المسلم والعربي المسلم فهم كالمسلمين كانوا لا يفكرون في
غير الرابطة الدينية ثم صار المسلمون منهم على الطريقة الاروية يدعون الى الرابطة
الوطنية على ان اكثر اهل بلادنا لا يفهمون من معنى الوطن الا موضع الإقامة حتي
ان كل بلد عندهم وطن وهذا هو المتبادر من المعنى اللغوي . ثم ان النصارى سبقوا
في كثير من البلاد العربية الى التقرب الى حكام الترك بتعلم التركية حتي صار كتاب
الدواوين كلهم أو جلهم منهم في أوائل العهد بالتنظيمات ثم قل عددهم فيها بعد ذلك
فهم ان جهل أهالي البلاد للغة التركية وجهل الحكام من الترك للغة العربية
كانا ولا يزالان من أسباب الجفاء وعدم الانس ، واشتهر الترك على رقة حاشيتهم
وعلو آدابهم بالكبر والغلظة على ان كثيرا منهم كان يتكبر لظنه ان التكبر يكون أدعى

الى المهابة والاجلال ولكن لم يكن يشعر بهذا إلا بعض أفراد الامة وهم رجال الحكومة من أهل البلاد فلم يكن له تأثير في الامة يوجب سرمان الكرامة للجنس ، وإنما كان يعرف بين الناس وصف الحاكم من حيث هو كما يقال هذا الوالي أهذا المتصرف عادل لا يأكل « الرشوة » وهذا الوالي أو المتصرف يأكل ويشرب ... وكثيرا ما كان الناس قبل هذه الايام يمدحون الترك كلهم لوجود حكم عادل منهم وقما كانوا يذمونهم كلهم لظلم الحاكم منهم على أن الظالمين كانوا بطبيعة الاستبداد أكثر من العاديين

وقد عرف بين الناس في الولايات العربية شيء آخر لا بد من ذكره وإن كان مرارا لنأخذ في هذه المسألة بمبحث الطيب الآسي وفي المثل العربي « من أكرم داءه قتل » ذلك الشيء هو أن الترك يفضون العرب . ويتناقل الناس في كثير من البلاد العربية كلاما سمعوه من بعض حكام الترك صريحا في هذا ولا أحب أن أطيل في بيانه وأولاً أنه مشهور لما ذكرته ليعرف اخواننا الترك من ولاية الامور وأصحاب الصحف فيكونوا معنا على بصيرة فيما نطلبه من خبر الامة بالاعتصام والوحدة يمكن أن يقال ان ماسم من تصریح بعض الترك بفض العرب هو من الجزئيات التي لا تنبأ أن تكون استقراء ناقصا فلحكم بها على الجنس كله حكم باطل ولا سيما اذا عرف لها سبب يوجد في صنف من افراد الجنس دون غيرهم . وقد علمت بعد البحث والتحري ان هذا الصنف الذي قد بدت البغضاء للعرب من افواه كثير من أفرادها هو صنف المتفرجين والضعفاء في الدين من الذين يتقل عليهم مزاحمة العرب لهم في خدمة الحكومة وفي التوسل اليها بالتعلم في المدارس الرسمية فإن بعض المتخرجين في هذه المدارس من أبناء العرب وبعض التلاميذ الذين لا يزالون فيها يذكرون من تعصب بعض المعلمين عليهم مالا محل لشرحه هنا . ومن المشهور عن كثير من الترك الصالحين وغير المتزاحمين معهم على أعمال الحكومة أنهم يحبون العرب جدا دينا حتى ان منهم من يتبرك بالعربي لانه عربي فالحقيقة المحصنة هي انه ليس بين الجنين عداوة ولا بغضاء فقول ان الاتحاد بينهما متعذر أو متعسر وإنما هو التغاير والتنافس في طلب المصائب والوظائف وفي

صفوف المدارس قد وصل مع الفلوالى التحاسد كما أشرفنا الى ذلك في فاتحة البتة الاولى ومثل هذا التنافس والتحاسد يقيم بين المتراجمين من أبناء الجنس الواحد فتلافيه سهل ان شاء الله

والخلاصة ان تاريخ العلاقة بين الترك والعرب لم يكن فيه شيء اكثر مما ذكرنا ولم يكن ذلك في الماضي مما يخطر على بال زعماء العرب السعي الى انفصالهم من الترك واستقلالهم بأنفسهم ولا ذكر هذا على لسان احد الا في عهد ولاية زعيم الحرية والاصلاح (مدحت باشا) على سورية ففي عهده شاع ان في البلاد حزبا كبيرا مؤلفا من وجهاء المسلمين والنصارى في بيروت والشام يسعى الى جعل القطر السوري مستقلا كالقطر المصري تحت سيادة الدولة العلية ويكون الخديو له مدحت باشا . وقيل ان بعض « الماسون » كانوا يسعون الى جعل الامير عبد القادر الجزائري هو الخديو لهذا القطر . وقد سمعت من والدي رحمه الله تعالى ان مدحت باشا على سعيه في اصلاح الدولة اعتقد ان اصلاح البلاد السورية وجعلها خيرا من البلاد المصرية لا يتأتى الا باستقلالها الاداري فكان يمد السبيل لذلك فشرع بالامر وسثم باشا متصرف لبنان فكاشف به الدولة فكان ذلك هو السبب في عزل مدحت من ولاية سورية . ولكن أخبرني بعض العارفين بدخائل السياسة في ذلك الوقت ان السلطان عبد الحميد هو الذي أوجد تلك الاشاعة في سورية ليتوسل بها الى اخراج مدحت من سورية لاجل الانتقام منه . ويقال ايضا ان لبعض الاجانب يدا في توجه قوم الناس في سورية الى هذه الفكرة . وقد حدثني بعض اصحابي الذين كانوا من عمال الحكومة في عهد مدحت باشا انه سأل عما يقال في هذه المسألة فقال له زعيم الاحرار ان هذه دسائس من الاجانب يريدون بها فصل سورية من الدولة ليستولوا عليها

مثل هذه الدسيسة لا يستغرب من سياسة « يلدر » التي كانت مبنية على المكايدة والخداع واخفاء الحقائق بألوان التمويه والتليس وهي التي لعبت بالثورة الهراية ذلك اللب المشوم ومكنت للانكليز في أرض مصر ثم أرادت أن ترضي سائر الدول القوية بتهديد السبيل لتمكنهم في سائر أرجاء الدولة في مقابلة مصر

فأعطت الالمانيين سكة حديد بغداد وقررت اعطاء الروسين مثلها على شواطئ البحر الاسود - وقد راجحت تلك الدسيسة الحديدية على اهالي سورية فشاغ بينهم ان مدحت باشا وهو المعروف بحب الاصلاح ما أراد انشاء دولة عربية الا بعد يأسه من قدرة قومه على سياسة الملك واقامة العدل وتشديد دعائم المدينة بما تقتضيه حال العصر ، فكان هذا اول فكر في التنفير من السلطة التركية سرى في بلاد عربية ، وقد نظمت فيه القصاصد البليغة المؤثرة كالتقصيدة السنية الشهيرة لليازجي ولكنه فكر لم يتلقه السواد الاعظم بالتسليم

ثم سكنت هذه الافكار بعد اخراج مدحت باشا من سورية عدة سنين حتى اذا ما اشتدت المظالم الحديدية في السنين الاخيرة وقويت فتنة اليمن وفتنة مكوكونية عاد بعض الناس الى الحديث فيها بمصر وأوربا فكان المشتغلون بالسياسة من ابناء العرب على ثلاثة آراء: بعضهم يرى السعي في أوربا لاستقلال البلاد العربية كأصحاب جريدة النهضة العربية في باريس ولم يكن لهم تأثير لعدم انضمام احد من المسلمين اليهم ولا تهاهم بانهم يريدون الاستغادة من السلطان عبد الحميد بالايهام الذي كان يروج في سوق سياسته أو وسواسه

وبعضهم رأى انه يجب اتحاد المسلمين مع اليهود والنصارى على العمل ووضع له قانونا جعل فيه من الامتياز لليهود ما كان ضامنا به أن يبدلوا المشروع الملايين من أموالهم ليعطى بعضها لعبد الحميد ورجاله ثمنا للملاد التي يراد استقلالها وكان يعتقد أن إرضاء « يلدز » بالمال متيسر أو مضمون وقد أطلقني صاحب هذا المشروع أنا وبعض أصدقائي على قانونه فلم نواقفه على السعي له مع علنا بما لليهود من اليد العاملة في كل انقلاب كبير في التاريخ ويؤيده ما حصل أخيرا من الانقلابات ...

والرأي الثالث هو ما عليه جمهور المشتغلين بالسياسة وهو انه يجب الاتحاد الدائم بين العرب والترك والمحافظة على كيان الدولة العلية بالسعي في اصلاحها وجعلها دولة دستورية ولاجله اسننا جمعية الشورى الصبانية من جميع العناصر كما اشرنا الى ذلك من قبل . فهذا ملخص تاريخ هذه المسألة قبل الانقلاب الاخير فاذا جرى بعده؟

(للمقال بقية)

أبو حامد الغزالي *

٧

﴿ رأيه في التوحيد والتوكل ﴾

« ويدخل فيه بيان وحدة الوجود والجبر والنسب »

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل

اعلم أن التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنظم الا بعلم وحال وعمل ، والتوكل كذلك ينظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل ، فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في أصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له ، والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك ، والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد . فن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الايمان الذي هو أصل التوكل ، اعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا تتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول : للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر ولننزل ذلك قريبا الى الافهام الضمنية بالجوز في قشرته

* نقلا عن كتاب احياء علوم الدين وهو تابع لما في « ٦٧١ » من الجزء التاسع

(المجلد الثاني عشر)

(١٠٥)

(المناج ١١)

العليا فان له قسرتين وله لب وللب دهن هو لب الالب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لا آله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين . والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه في عن رؤية نفسه والخلق

فالاول موحد بمجرد اللسان ويصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف واللسان ، والثاني موحد بمعنى انه متمدد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انفقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقيدته ولهذا العقدة حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب ونسعى كلاما والعارف بها يسمى متكلمها وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد ينحصر المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقده ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه الا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في ضمنية تافيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة ، والراهم موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة

السفلى والثالث كالب والرابع كالدهن المستخرج من اللب ، وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو من المذاق وان نظر الى باطنه فهو كره المنظر وان اتخذ خطيا أظفأ النار وأكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن ، وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الفزاة فاتهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينفع بها خطبا لكنها نارية القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانسراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى (فمن رد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وقوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وأكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عسيرة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد العقل مقصود عال السالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والانتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون : افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روجه وجسده واجرافه وعروقه وعظاه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى

واحد اذ قول انه انسان واحد فهو بالإضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امثاله وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهثار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والمتن في الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من انطالق والمخلوق اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات آخر سواء كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجمود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق قارة تدوم وقارة تطرا كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا انت ؟ فقال ادور في الاسفار لاصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع

فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبني عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث ، وأما الاول وهو النفاق فواضح ، وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه ، وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن يتكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل وجود من خلق وورق وعطاء ومنع

وحياة وموت وغنى وفقير إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم - فالمفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه قنيتك وعليه اتكالك فإنه الفاعل على الأفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحرك ذرة من ملكوت السموات والأرض

وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا انضاحاً ثم من المشاهدة بالبصر وإنما يصعدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتني به أن يهتد إلى قلبك شائبة الشرك لسببين أحدهما الالتفات إلى اختيارات الحيوانات والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتقادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى النسيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع النسيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمقائق الأمور ولذلك قال تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى البر إذا هم يشركون) قبل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا ومن أنكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا يحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالنجات العبد في النجاة إلى الريح يضاهي النجات من أخذت حوزة فكتب الملك توقيها بالفرعنة وتخلته فأخذ يشتغل بذكر الخبر والكاغذ والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما نجايت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا يحكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والخبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيث والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كنسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك أن الملك الموقم هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان

خائباً وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فانك في الملكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يمطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ؟ وبقول له ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكتاب بالقلم وهو المسخر له ؟ وعند هذا زل أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم الشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكتاب مسخراً مضطراً كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخراً وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط التلمذة مثلاً لو كانت تدب على الكاغد ترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلاً عن صاحب اليد فتلطت وظننت ان القلم هو المسود والبياض وذلك قصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حديقها فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهراً وراء الكل فوقف في الطريق على الكتاب وهو جهل محض

بل أر باب القلوب والمجاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها أنطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذائق تكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحار شريك فيه ولا قدر لما يشاك فيه البهائم وانما أريد به سمعاً يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل نصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وماذا نطقت وكيف سبحت وقرئت وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أر باب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت وإفشاء السر لو ثم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط

أميناً على أسرار الملك قدنوجي بخفاياه فنأدى بسرّه على ملأ من الخلق؟ ولوجاز افشاء كل سر لنا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال «إذا ذكر النجوم فامسكوا وإذا ذكر القدر فامسكوا وإذا ذكر أصحابي فامسكوا» ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار

فإذاً عن حكايات مناجاة ذرات الملك والمملوكات لقلوب أر باب المشاهدات مانان : أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكننا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم لمحيكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه وتزدد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفاً واصواتاً ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكافد وقدره أَسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقاً والآن قد ظهر عليه السواد! فلم سودت وجهك وما السبب فيه؟ فقال الكافد ما نصفتي في هذه المقالة فإني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الخبر فانه كان مجموعاً في الحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلاً وعدواناً فقال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما نصفتي فإني كنت في الحبرة وادعاً ساكناً عازماً على أن لا أبرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبدني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لاعليّ فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فإني كنت قصيراً نابتاعاً على شط الأنهار متزهاً بين خضرة الأشجار فجاءتني اليد بسكين فنحّت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنالبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الخبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيّني على قبة رأسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسوءائك وعتابك فزع عني وسل من قهري فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا لآلحم وعظم ودم وهل رأيت لها يظلم أوجسماً يتحرك بنفسه وإنما أنا مركب مسخر ركبي فارس يقال له القدرة والقوة فهي

التي تردني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزعجني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملهم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا اسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة أو ممدومة لانني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاني موكل أزعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سألت الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وأرهقتها اليه ارهاقاً لم يجد عنه مخلصاً ولا مناصاً فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذراً وأنت تلوم فاني ما انتهضت بنفسني ولكنني أنهضت وما انبعثت ولكنني نبشت بهكم قاهر وأمر حازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطراب فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكنني ادري اني في دعة وسكون مالم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل وأظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاماً بل لا يبقى لي منه مما جزم حكمه طاعة على المخالفة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتجبر في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استمرار وانتظار لحكمه فاذا انهزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة تقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً لهم ومعاتباً اياهم على استهائض

الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكنني أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقش في يياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انحططت بنفسي فكأن هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لأن الخط لا يكون الا بالقلم ففقد ذلك تمتع السائل ولم يقمه جواب وقال قد طال نعي في هذا الطريق وكثرت منازلتي ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني كنت أطلب نفسه بكثرة التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفوائد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست أفهمه فاني لا أعلم قلم الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالخير ولا سراجا الا من النار واني لا سمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج وانخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا ، أسمع جمجمة ولا أرى طحنا !

فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزاج وزادك قليل ومرتكب ضعيف واعلم ان الممالك في الطريق التي توجهت اليها كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتنع ما أنت فيه فا هذا بمشك فادرج عنه فكل ميسر للخلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فألق سمك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة ، والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفسيح والجبال الشاهقة والبحار المفرقة ولا أدري كيف نسلم فيها ، والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهاجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته

الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنعم فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف ، فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي وأول علم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام « لو ازداد يقينا لمشي على الهواء » لما قيل له انه كان يمشي على الماء

فقال السائل السائل قد تحيرت في امري واستشعر قايي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري اطيع قطع هذه المهامة التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحووي فان ظهر لك القلم الذي به انكتبت في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه (اقرأ) وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فقال السائل لقد فتحت بصري وحدقه فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابدت النجمة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلعه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلعه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورمم ولا جبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخشا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذنباً بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلعه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة

بالبصر فكأن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالثوراة وان فهمت
منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكأن منزها صرفا ومقدسا فخلا واطور
الطريق فانت بالواد المقدس طوى واستمع سر قلبك لما يوحى فملكك تجمد على النار
هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادي بما نودني به موسى اني انا ربك فلا سمع
السائل من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه غثث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل
قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما وآها بين النقص ولقد كان زيتها الذي في مشكاة
قلبه يكاد يضيء ولولم تمسه نار فلما نفخ فيه العلم بعمدته اشتعل زيتته فأصبح نوراً على
نور فقال له العلم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لملك تجمد على النار هدى
فتفتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب
ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف
المعلوم وكان له في كل قلب رأساً ولا رأس له ففهم منه العجب وقال نعم الرفيق العلم
غجزاه الله تعالى عني خبراً اذ الآن ظهر لي صدق ابائه عن اوصاف القلم فاني اراه
قلما لا قال اقلام

فعمد هذا ودع العلم وشكره وقال قد طالع مقامي عندي ومرادتي لك وانا
ازم على أن اسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فاسافر اليه وقال له ما بالك
ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من المعلوم ما تبحث به الارادات الى اشخاص
التدبر وصرفه الى المقدورات فقال او قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة
وسمعت من جواب القلم اذ سأله فأحالك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابي
مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم
على صورته قال نعم قال فسل عن شأني المقرب بين الملك فاني في قبضته وهو الذي
يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير
وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال : فمن بين الملك ؟ فقال القلم : أما سمعت قوله
تعالى (والسموات مطويات بيمينه) قال نعم والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي
يردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجايبه ما يزيد
على محائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي محلدات

كثيرة عشر عشر وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه القلم فقال جواني مثل ما سمعته من اليمين التي رأيته في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركا القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استعجز عنها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزني ويطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فغشيت هبة الحضرة فخر صفعا بضطرب في غشيته فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك ثبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بك من عقابك ورضاك من سخطك ومالي الا أن أسألك وانضرع اليك وأتبعك بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لا تني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فإ آتاك فخذ وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال سبحانك لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك فقال اني ان لم يكن لسان جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالهجوم بأبيهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول : السجود عن درك الادراك ادراك . فيكفيلك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالتنا

فصند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئله ومعاتباته وقال ليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكارى عليكم الا عن قصور وجهل ، الآن قد صح عندي عذرکم وانكشف لي ان المفرد بالملك والملوك والمزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره

وقد برته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس بالآخر والظاهر ليس بباطن؟ فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على الترتيب واحد بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائر الى اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقيم الاثناء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العالم كفيين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتمل في قلبه بالصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فكذلك كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه ينبغي على الايمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يبحده فما طريقه؟ فأقول أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا منهم فاني لأهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما تراه لا تثق به فقلنا نراه في المنام فإن قال وأنا من جملتهم فاني شك أيضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فترك أياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء.

هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يبعد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظر الى عينه التي يشاهدها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود قبيل الازالة والتقية اشتغلوا ببقية اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أورد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بغواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذيات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا

ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيداً إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبه والبلد يفسد بأمرين فيقال له على حد عقله: إله العالم واحد والمدير واحد اذ (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فيكون ذلك على ذوق مارآه في عالم الشهادة فيفرض اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاوره فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلاً فيه؟ فأقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل الكشف في إثارة الاحوال الآتية في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالباً ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه أو الى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقاها من استاذه أو من أبويه أو من أهل بلده

وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقيناً وان كان يزداد وضوحاً كما أن الذي يرى انساناً في وقت الاسفار لا يزداد يقيناً عند طلوع الشمس بأنه انسان ولكن يزداد وضوحاً في تفصيل خلقته وما مثال المكشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحرة لطول مشاهدتهم وفجر بنهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكثرثوا بقول فرعون (لا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف) بل (قالوا ان نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرننا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فان البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثمان فلما نظروا الى عجل السامري وسموا اخواره تغيروا وسمعوا قوله (هذا الهكم واله موسى) ونسوا (انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً) فكل من آمن بالنظر الى ثمان يكفر للاحقة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا نجد فيه اختلافاً وتضاداً أصلاً فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك

ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخراً؟ فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا منزلة القدم وموقع الفلظ ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافترقت الى مشيئة أخرى وتبطل الى غير نهاية واذا لم تكن اليه المشيئة فهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لاحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انحراف المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للمبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بحث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبوراً مختاراً؟ فأقول لو انكشف القطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذاً مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار؟ فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحاً وجيزاً يليق بما ذكر متطعلاً وقابلاً فان هذا الكتاب لم يقصد به العلم بالمعاملة ولكنني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال الانسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرئة والخنجرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات: قسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلاً طبعياً ونسبي نفسه فعلاً ارادياً ونسبي كتابته فعلاً اختيارياً والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مها وقف على وجه الماء أو تخطى منه السطح للهواء المحرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضرورياً والتنفس في معناه فان نسبة حركة الخنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجوداً وجد الانخراق بعده وليس انتقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بآلة طبق الاجبان اضطراباً ولو اراد أن يتحركاً مفتوحة لم يقدر مع أن تعويض الاجبان اضطراباً فعل ارادي ولكنه اذا تحمل صورة

الآية في مشاهدته بالادراك حدثت الإرادة بالتقيض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا وأما الثالث وهو الاختباري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وثارة يشاء وثارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه وبيانه أن الإرادة تبع للعلم الذي يحكم بأن الشيء موافق لك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه موافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بآية أو بدنتك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبث الإرادة بالعلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الاجتهاد بالدفع وحركة البد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبثقت الإرادة ههنا كما تنبث لدفع السيف واللسان فإذا انبثقت لفعل ما ظهر للعقل أنه خير سميت هذه الإرادة اختياراً مشقة من الخير أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه إلا أن التجربة في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا اقتصر إلى الروية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثقت بإشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبث الإرادة إلا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحز رقبة نفسه مثلاً لم يمكنه لضعف القدرة في اليد ولا لضعف السكين ولكن لقد الإرادة الداعية المشخصة للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقاً وقوله نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فإن العقل

هنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرالم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يقع بالسيف للقتل فانه يرمي بنفسه من السطح مثلا وان كان هلكا ولا ييالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فان كان يقع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهن من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبثق له داعية التنبه لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فاما هو محل ويجري لهذه الامور فاما ان يكون منه فكللا ولا . فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لانه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون العقل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وقيل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه لما كان فنا ثانيا واثموا فيه بكتاب الله تعالى فسوم كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسي اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تجميع وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه

فان قلت فهل قول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بمحدث شيء . لا من قدرة الله تعالى وان آيت ذلك فما معنى ترتيب البعض من هذا على البعض ؟ فاعلم أن القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حواله جميع ذلك على المعنى الذي يبرع به بالقدرة الازلية وهو

الأصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الأحداث ترتيب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت العامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكشفين بنور الحق والا فلا يتقدم مقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والزم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهاى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا وإلى هذا أشار قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقوله تعالى (وما خلقت السموات والارض وما بينهما إلا عبادي) ما خلقناها الا بالحق)

فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كاحداث وعلى هذا الترتيب الذي وجدنا تأخر متأخر الا لا نتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الإرادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهم ذلك عسير ولكننا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بأن تقدر انسانا ههنا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحديث لا يرفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له تقدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعقة بها ملاقة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظاوا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فر بما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يثبتر عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند

غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرفع للحدث عن اليدين وهو جيل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقى لها لا بغسل الوجه والماء لا يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلتترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو الخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم تقدر على ان تذكر من بحار التوحيد الاقطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف موته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما اعز حقيقته ولبد عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعني التوحيد أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان الصمد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون الصمد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم؟ فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجعلا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلا يقال قتل الجلال ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك الصمد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فعني كون الله تعالى فاعلا انه المختزع الموجد ومعنى كون الصمد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمسروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعاول بالعلة وارتباط المختزع بالمختزع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفا كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرة الصمد ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلاهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرةين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى

العباد ونسبها بهنما مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) ثم قال عز وجل (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال تعالى (أفرايتم ما تبحرون) أصاف اليها ثم قال تعالى (أأصابتنا الماء صباء ثم شققنا الأرض شقاء فأنبتنا فيها حبا وعنبا) وقال عز وجل (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) ثم قال تعالى (فنفخنا فيها من روحنا) وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى (قاتلوهم ينهبهم الله بأيديكم) فأضاف القتل اليهم والعذيب الى نفسه والعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وقال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين الثفي والاثبات ظاهر ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا إذ رميت المعنى الذي يكون الصد به راميا إذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى (الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) ثم قال (الرحمن علم القرآن) وقال (علمه البيان) وقال (ان علينا بيانه) وقال (أفرايتم ما تمنون) أأتهم تخلفونه أم نحن الخالقون) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام « انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب اذكر أم اثنى أسوي أم معوج ؟ فيقول الله تعالى ماشاء ويخلق الملك - وفي لفظ آخر - ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة »

وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أقسامه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون تخمين بمجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فيبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متافضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكيف من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكيف من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا

وربي لما عرفت ربي وهو معني قوله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الحي والميت ثم فرض الموت والحياة الى ملكين ففي انظر أن ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا يحيي الموتى فأوحى الله تعالى اليهما كوننا على عملكما وما مخرجنا من النعمان وأنا الميت والحي لا يموت ولا يحيي سواي فإذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا يتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله الثمرة «خذها لو لم تأتها لاتك» أضاف الاتيان اليه والى الثمرة ومعلوم ان الثمرة لاتأتي على الوجه الذي يأتي الانسان اليها وكذلك لما قال الثائب أتوب الى الله تعالى ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لاهله» فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه الى غيره فهو المتجاوز والمستعبر في كلامه ولتجاوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلال فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعه أبها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي يجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل» أي كل مالا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فإذا لاحق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس ككله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو السلق وما سواه باطل ولذلك قال سهل: يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان

فان قلت فقد ظهر لأن أن الكل جبر فامعني الثواب والعقاب والنضب والرضا وكيف غصبه على فعل نفسه؟ فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه في كتاب الشكر فلا تطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأيناه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا ينم هذا بالايمان

بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايان بالرحمة
وسبها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كإسائتي الابالقة
بالوكل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من أبواب
الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لقام التوكل
اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب
أن الله عز وجل لو خلق المخلوق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من
المعلم ما تحضله فوسمهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا متتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد
جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار
الملوكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر
والنفع والضرر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملوكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما
اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيها دبر الله سبحانه خلق
في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ولا أن يرفع منها
ذرة ولا أن يخفض منها ذرة ولا أن يدمر مرض او عيب او قصص او فقر او ضرر
عن يدي به ولا أن يزال صحة او كمال او غنى او نفع عن انعم به عليه بل كل ما خلق
الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا
فيها من تفاوت ولا فطور

وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز
وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق
صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي
وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكل ولو كان
واذخره مع القدرة ولم يفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل
ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الاوهية بل كان فقرا وضر في الدنيا فهو قصاص
في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل قصص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم
بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء
بالصحة ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكان غدا ابرواح الانس بأبرواح

البهائم وتسلطهم على ذبيحها ايس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل
فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء اهل
الايمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق
البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فتمتضي الجود
والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تأكلت إبقاء على الروح
عدل لانه فداء كامل ناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة
في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لاجوده فيه وحق لا لب فيه وهذا الآن بحر
آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد
فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلوا أن ذلك غامض لا يعقله الا العالمون
ووراء هذا البحر سر القدر الذي تبحر فيه الا كثرون ومنع من إفشاء سره
المكاشفون

والخالص ان الشر والخير مقضي به وقد كان ما قضي به واجب الحصول بعد سبق
المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر ، وحصوله
بقدر معلوم مستقر ، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولتقتصر
على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولترجع الى علم
المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

باب المراسلة والمناظرة

تعصب أوربا الديني والحج

﴿ نعييد لقالة من سنفاورة ﴾

أثبتنا في السنة الأولى من المنار أن الغلو في التعصب الديني ولد في أوربا ثم
أعدنا الكرة في هذا مرة بعد أخرى حتى في بعض أجزاء هذه السنة - ومن العجيب
أن نرى جرائدنا السياسية غافلة عن تنبيه أهل الشرق إلى هذا أو وجلة من ذلك
وأصحابها يرون ويسمعون ويقرأون كل يوم ما يؤيده حتى إن بعض الجرائد الانجليزية
التي تصدر في مصر تسميها آنا بعد أن من آيات تعصبها عجباً فهم على جهلهم بالاسلام
يعطون في أحكامه الحكيمة العادلة ويحرفون بجهل أو بسوء قصد بعض آيات القرآن
كافلت أكثر من واحدة منهم في الصيف الماضي بتحريف قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب) الآية إذ أولوها بأن الاسلام يوجب على المسلمين أن يقتلوا
كل من قوه من الكفار في كل مكان وكل وقت سواء كان محارباً لهم أم لا ، ولو
كان هذا معناه لما عاش أحد من الكفار في الممالك الاسلامية وقد كان المسلمون قادرين
على إبادة مخالفهم من الشرق الأدنى ومن بعض بلاد أوربا أيضاً ولكنهم كانوا
يعاملونهم بأفضل مما تعاملنا به أوربا اليوم في جوار وسنفاورة والهندوتونس والجزائر .
وانما الآية في كيفية القتال مع الكفار المحاربين فهي تأمرنا ان نجعل قتل عدونا في
الحرب منياً بالأثمان وان نكف عن القتل اذا اتحنا وظفرنا ونكفي عند ذلك بأسرهم
فكأنه يقول : اقتلوا في المعركة من يقاتلكم مادمتم خائفين على أنفسكم فاذا ظفرتهم فكفوا
عن القتل واسروا القتالين اسراءاً فليس هذا منتهى الرحمة ؟ بل وهو يقول بعد ذلك
في الاسرى من هذه السورة (فإما منا بعدوا إما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك

ولو يشاء الله لا تعصم منهم) فهل بعد هذا من رحمة وراقة في الحرب؟ وهل يعترض على تلك الآية الاكل غال في التعصب؟ وهو ما عليه الاوربيون وأفعالهم أدل على التعصب من أقوالهم

ان الانكليز لم تستقر أقدامهم بمصر الا وحاولوا أن يشتوا في مؤثر طلي كون الحجاز هو مهد الهبضة الوبائية وقد ضغطوا على الخديو توفيق باشا ليكره طبيبه سالم باشا سالم باقرار ذلك فأمره بأن يراقبهم فلم يفعل حتى أظهر توفيق باشا ماضيه لإرضاء لهم، ثم انهم لما باعوا البواخر المصرية لشركة انكليزية بمن لا يزيد على ثمن مافيها من الاثاث والماعون (الموليات) وان شئت قلت وهبوا البواخر وأوصفتها حلوا الحكومة على إلزام حجاج المصريين السفر في هذه البواخر دون غيرها وكانت الشركة تسمي معاملة الحجاج الذين يركبون باواخرها ولكن الظلم الذي يكون في مصر رئيس كالظلم الذي يكون في مثل جاوه أو سنغافوره بل يكون ظلما مفضوحا فيها وفي أوربا فلذلك ولا بذل من السعي في تحسين معاملة الشركة للحجاج اتفق لورد كرومر مع الحكومة المصرية على وضع نظام معتدل لنقل الحجاج المصريين في هذه البواخر، وكان انفع تلك المساعي ما قام به مستر ويلفرد بانث المستشرق الشهير وما كتبه في ذلك الى لورد كرومر وما نشر في الجرائد الانكليزية. فهذا التحسين لم يكن من رحمة لورد كرومر وواقته ولا من عدله وعدل حكومته ولكن كان امرا اضطراريا لا بد منه ولو كان ذلك من رحمة الحكومة أو عدلها لكان عاما في سنغافوره وفي كل بلاد لها سلطان عليها

هذا ما نقوله تمهيدا لرسالة جاءتنا من سنغافوره ورغب الينا ان ننشرها في عدة جرائد اذا أمكن وقد شدد الكاتب التكرير فيها على الاوربيين وسمى تعصبهم الحامل لهم على إهانة المسلمين وهضم حقوقهم تعصبا صليبيا يعني انه تعصب لأجل المسيحية نعم ان المسيحية تبرأ من مثل هذا العمل الذي يصفه صاحب الرسالة بل هي تبرأ من هؤلاء الافرنج عباد المال والقوة واعداء الضعفاء من غير أبناء جنسهم ولكن ماذا يعتقد وماذا يقول مثل هذا الكاتب الذي رأى بعينه واختبر بنفسه تضيق هولاندا

وانكثرا على الحجاج دون غيرهم وهو يعلم كما يعلم كل احد انه لا عذر لهم في ذلك؟
أليس يعد معذورا في كل ماقاله ؟ بلى وهذا نص رساله :

الحج

﴿ أوروبا والاسلام ﴾

ماذا تريد أوروبا من الاسلام وأهلها؟ انهم لم تنزل نهار بناحر باصلية كأشد ما يكون
من الحرب متحدة متناصرة من حيث نفري ولا نفري فانها لا تسنح لها فرصة الا
ووئبت على قطر فاقترست استقلاله والتهت ثروته واستعبدت أهلها ونشرت فيه
الجرائم الضارة المهلكة للعقول والابدان والاموال (الخمر والزنا والقمار) كل ذلك
باسم الانسانية وتأييد الحقوق وتأمين التجارة وحب الخير و... و... وما هو الا الكذب
والخداع والفرار والاحتيال ولقد راهبا ماترى من عطف المسلمين بعضهم على بعض
ذلك العطف الذي يوجب الاسلام ان يكون على أقوى ما يتصور ولكنه وبالاأسف
لا يوجد منه الآن الا اسم بدون معنى ومع ذلك لم يرق لدى أوروبا بالرحمة
فصاحت الصيحات المزعجة وسمته التعصب الديني ونسبت اليه ماشاءت ولوته بما
أجبت وصورته غولا يتلعن الانسانية ويهدد الهمجية ولقد نجح مسعاها فاضى الى
زورها من تربوا في أحضانها من شباننا ومن تخرج في مدارسها المحشورة بالرهبان
والقسوس وبالملاحدة فكانوا طليعة الاعداء وسلاحهم وحبالة يصطادون بها سفاح
العقول والجهال منا فلا حول ولا قوة الا بالله

كبر على أوروبا المتمدنة أن تكون للمسلمين ندوة عامة وهو الحج يلتقي فيه أهل
الغرب منهم بأهل الشرق وأهل الجنوب بأهل الشمال فقامت لمخاربه فقالت ان
الحجاز ينبوع الامراض ولوا نصغوا لعلوا - وما إخالهم جاهلين - ان المتمدن منذ ربع قرن
لم يفرقها الطاعون وهنك غ منذ ١٥ سنة كذلك وغيرها كثير فلماذا لا تنظر أوروبا الى
تلك الجهات وتهتم عليها الحجر (الكورتينات) بل تفرض عليها النظر ولكنهم في مقابل ذلك

تشدد على من يأتي الحجاز أو رجع منه كأنما هو ميكروب مجتمع سواء كانت الصحة هناك معتلة أو في أحسن حال حتى صار مفهوم لفظ الحج ملازماً لمفهوم الحجز الصحي والتطهير! إذ لا انفكاك عنه ولا سلامة منه مهما كانت صحة الحجاج جيدة سبحانه الله! لماذا كل هذه العناية ومزيد الرعاية من أساطين التمدن الرهاء؟ كلنا نعرف ونستقد أنها احتقاد وسخائم صليبية قلبت أسماؤها فنرى البسطاء وسرا عن أعين العمش وما كفاهم هذا حتى اجتمعوا فكادوا للإسلام وأهله وخصوا سفر الحج بقانون مخصوص: انرى الحامل على ذلك كثرة المحبة والشفقة على الحجاج واختصاصهم بمزيد العطف؟ هكذا قال أولئك السامة وادعوا

والدعاوي مالم يقيموا عليها بينات أنبأوها أديباء

لو كان مايقولونه مما يمكن ان يكون صدقاً لما خص أولئك الحجاج وحدهم بهذه النعمة وحرم منها جميع المسافرين في اقطار الارض كلها، انرى ساسة أوروبا هان عليهم جميع الناس واشفقوا على الحجاج فقط؟ زه زه!! اننا نسألم لماذا يكون الانسان حراً في سفره الى الاقطار الاربعة بل الى القطب الجنوبي أو الشمالي وبجاهل افريقية وغيرها بلا شرط ولا قيد حتى اذا ما قيل انه يريد الحج قيد بالسلاسل والاغلال، وسيق الى المحاجر واحتاج الى اجتياز عقبات، وتحمل صعوبات، أنرى ذلك رحمة وعدلاً؟ بئس بئس!! لو كان الحامل لهم على عملهم هذا هو الرحمة لكان المجاورون كالاغنام من الهند وجاوة للعمل في افريقية واستراليا في اعماق الارض أحق برحمتهم من الحجاج لانهم أكثر واسوأ حالاً منهم. قالوا ان كثيراً من الحجاج جهال مغفلون فهم عرضة للضياع، وقد صدقوا، وقالوا لانهم لذلك خصوهم بقانون مفرد غريب رحمة بهم وقد كذبوا، ولو كان الامر كذلك لكان الاحق بهذه الرحمة فلاحى روسيا والحبشان فلماذا لم يرحمهم ويحربوا هذه القوانين النحسة فيهم؟ مع ان انرى أوروبا تسوق الجيوش وتجهز الاساطيل اذا أصاب النصارى من غيرهم أذى بحق أو بغير حق ولا نراها ترحم المسلمين اللهم إلا في سفرهم الى الحج ولكن رحمة مقلوبة! فهل بلغ من استخفاف أوروبا ان ظننت اننا نصدقها في هذا؟ عجب عجب!!

هذه هولاندا، قتل أهل سمترا مثلاً منذ أكثر من اربعين سنة ولم يذبس احد

من وزراء أوروبا بيت شفة ! أترأهم لم يعلموا انه لم يبق من أربعة ملايين فيها الا نحو الربع : كلاته من المستحيل ان يعلم بذلك كل أهل الدنيا ويجهله وزراء الدول المتشددة الرحمة . بل الحقيقة ان أولئك المقتولين المضطهدين مسلمون والقائنين الظالمين لهم نصارى

قالوا ان الحجاز محل الاستبداد والتهب والظلم وقد علموا ان وجود ذلك مسقط لوجوب الحج أو مانع من دخول الحجاز وقد صدقوا ولكن ذلك كان في أيام الطاغية وانسب بأشأ وقد طار الاستبداد معه . وقالوا انهم لذلك احتاطوا للسافرا اليه . ولو دفعوا تلك الحواجز الآن ونسخوها لقلنا انهم صدقوا فكيف وقد كذبوا أنفسهم بأنفسهم بثباتهم على العدوان والتشديد مع سبق الاصرار على ذلك ! ولسان الحال أفصح من لسان المقال .

انهم بما سنوه من القوانين وأوجبه من الشروط قد جعلوا الحجيج من الاصناف المحكرة كالافيون والخمر فاخص بهم بعض الشركات القاسية تسوهمم الخسف وتهيب أموالهم فلقد كانت اجرة الذهاب من سنغافورة مثلا الى جدة يتراوح بين ١٧ و ٢٠ ريبالا وهو الآن ١١٠ ريبالات ذهابا وايابا ؛ ولو لم يقيدوه بالشروط المخصوصة لم يزد على ما كان ان لم ينقص لان المراكب التي تذهب من الصين الى أور بالآمد كثيرة وسطوحها فارغة وكذا كراتها ان لم تكن مراكب بريد ولا يكلفها أخذ الحجيج شيئا الا ساعات قليلة تنحرف بها عن سبيلها حين ادخالهم جدة فيكون جل ما تنكسه من الحاجاج أو كله رجحا . ولكن كيف وانسى وقد احتكر وافضل رحمة الرحاء من صليبيي أوروبا وصاروا من حقوق بعض الناس وبعض الشركات يورثونها من بعدهم !!! أفلا تكون هذه نخاسة من مخترعات القرن العشرين ؟ فهيننا مرينا للأقوياء ما استحلوا من ظلم الضعفاء ، اذ لا راح للمسلم الضعيف ولا معين ...

أما المراكب التي اختصت بأخذ الحاجاج من سنغافورة وجاوة فلا كرات فيها ولقد رأيت أراء هذه البلاد وأبناءهم يركبون ظهور تلك المراكب الوسخة بين الفحم والبنام مضطرين وقد اعتادوا صنوف النعم والرفاهة والنظافة فيمضون وبسة من وكثيرا ما يهلكون ، ويقاسون من العذاب والنكال ما يرهمهم عليه زبانية جهنم

ولا يرحمهم محبو الانسانية من الاوربيين ! وما هو ذنبهم ؟ هو ذنب عظيم ألا انه هو قصد الحج وذهابهم الى الحجاز وأوروبا لا يحب ذلك ، فهي تقاومهم وتحجزهم في تلك المراكب العفنة ثم تسوقهم الى المهاجر حيث تعري ابدانهم ويهانون ويتلف من أموالهم ما أبقته أيدي السراق والامطار والانواء . ولقد لقيت أحد كبار هذه الجهات بعد خروجه من الحجر فرأيت كاتما نشر بعد ما قبر ولو أراد أن يذهب بأحد مراكب البريد أو يركب من غير مراكب الشركة المتحركة للحجيج لأقامت الحكومة عليه وعلى الباخرة التي تقله الدعوى وحكم عليه وعليها بأشد أنواع العقوبات ورحمة وشفقة !!

لو فرضنا ان الحكومات الاوربية تحب ان تخدم الحجيج ، وانها تعتقد أنهم في منزلة القصار وعديمي الرشد لعلت معهم ما تصلحة لو أودت قتل قطع من البقر للذبح فانها تعلن ذلك الامر والشروط المرغوبة وتعطيه لمن يطلب أقل أجره عليه . ولو فعلت هذا لما كانت تبغ أجره الحاج الواحد ذهابا وايابا ٤٠ ريالاً فيكون لكل نفر من الحاج من ركاب السطح ٧٠ ريالاً وهي شي كبير بالنسبة لفقر الاهالي اذ الكثير منهم لا يقدر على توفير ذلك المبلغ في ثلاث سنين ولكنهم عندها اذل من البقر ومعاملتها تفصح بهذا وكان يجب عليها ان تحم على من منحهم قتل الحاج ارجاع اجرة العودة الى ورثة من مات ولكن الامر الآن بالعكس فأنا أكتب هذه الاسطر وأماي أحد الاهالي ويده ٢٥ ورقة مات أهلها وقد دفع أجره العودة كل واحد منهم ٥٥ ريالاً ولكن الشركة (الكبائية) أثبت ان تدفع له ذلك وأتفق مع احد المتسبين اليها أن يشتري منه تلك الاوراق بعشرين ريالاً فقط ثم أبى وقال بها لمن يريد العودة من جدة ومعلوم انها هناك تباع بثانيتين بالآلات أو نحو ذلك والحكومة تساعد الاوربي الظالم على الاهالي المساكين ، وذلك ايضا رحمة وحنان !!

فلم ان طرحها أمر تسفير الحجيج في المزداد كما قلنا مناف لحرية التجارة ولكن ذلك مع نفقه للمساكين أقل ثأماً من اثنا كمال الحرية الأشخاص يمنهم من السفر كما يشاؤون . فإذا جاز هذا جاز ذلك بالاولى قطعاً اما تقيدها حرية الحاج المساكين

وتركها لهم مربيون بين يدي أولئك النخاسين الغلاظ الأكاد فظلم من أشنع وأبشم أصناف الظلم فيما نعتقد

ويجب أن يستثنى من يركب الكرات من كل قيد كما هو الحال بالهند والصين ومن العجب أن يكون ركاب الدرجة الأولى والثانية وتدابير مستثنى من الحجز الصحي والتطهير مطلقا هنا وفي الهند والصين ولا يستثنون إن سافروا إلى الحجارة فإذا فعل التعصب الاعمي قاتل الله الأغراض

ومن الغريب أن مجلس المبعوثان المحترم لم ينس أحد من أعضائه بنت شقة في هذا الصدد وذلك أهال أو حين ولا قول لاجل أن يتحقق مسلمو الشرق ما قوله أعداء جمعية الاتحاد والترقي الموقرة من فضضا لكل ما يتعلق بالدين لينصموا عرى اتحاد المسلمين من كل جهة فأننا نتحقق كذب هذا القول بالنسبة لبقاء القوم وفضلاتهم وإذا كان فيهم زنادقة أو متفرجة أو نصارى جهال فأنني لأبجل عليهم بنصيحة يتحققون صدقها : وهي أن منفعتهم كبيرة جدا في تمسكهم بالاعتدال في كل حال وفي اجتلاب محبة المسلمين كلهم والسياسة توجب عليهم الاجتهاد في ذلك ولم فرنسا قدوة حيث طردت قسوس الجزويت من بلادها وحتمهم في الشرق فليظاهروا بذلك لنفعه المقطوع به ولا يكونوا السبب في خسارة الدولة أهم قوة يحسب لها عدوها ألف حساب وحساب فلماذا نستصرخ بأعضاء المبعوثان الكرام و باهل الجرائد وحمله الأقلام والملاء الاعلام ليقموا الحجة ولا يسكتوا عن المطالبة بالحق والإنصاف فإن انصار الحق كثيرون في أوربا وغيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل

ستاقورة (س . س . ي)

* * *

﴿ الشبهة وتعدد الزوجات ﴾

كتابي إلى مولاي الأستاذ الحكيم ، بعد السلام عليه ورحمة الله وبركاته ، كتاب معجب بماله من الأباذي البيضاء في إصلاح الأمة ورفع « منار » الإسلام

واشاد المسلمين الى الطريق الاقوم والصراط السوي ، بيد اني اعتقد انه لا بد للعواد أن يكتو ، وللصارم أن يذو ، فقد رأيت في الجزء الثامن من مناوكم (صفحة ٥٩٩) ما يشير بالنسبة الى الشيعة ما من براء ، وما نسبة ذلك اليهم الا محض وهم واقتراء ، وهي انهم يجوزون الزواج الدائم بأكثر من اربع لانهم أولوا الآية الكريمة بخلاف ظاهرها وفهموا منها ما لم يفهمه سائر المسلمين بل ادعين اجماعهم على ذلك مع ان اجماعهم على عدم حل الزوج بأكثر من اربع كما ستعلم . ولما قرأت ما كتبتوه عجبت اشد العجب لعلمي بعدم صحة ما نسب لهم قلت لعلي لم أطلع تمام الاطلاع على دخيلة الامر ففرضت ذلك على فريق من علماء الشيعة فاستنكروا ما عزي اليهم غاية الاستنكار ، وعجبوا كيف يصدر هذا الخطأ من فاضل نظير صاحب المنارة ، ثم استحضرت الكتب الفقهية التي عليها اعتماد الطائفة الشيعية ، لعلي أعثر لذلك على أثر ، أو أقف له على خبر ، فلم أجد ضالتي المشودة بل وجدت خلافها وما انا اقل لكم عباراتهم بالحرف الواحد لئلا صدق ما اقول وتكونوا على بينة من الامر وتزيلوا هذا الغشاء عن البصائر والابصار

قال في تذكرة الفقهاء لمولفها الحسن بن المطهر الحلبي المعروف بالعلامة وهو من اعظم علماء الشيعة واجلهم قدرا عاش في القرن السابع والثامن مانصه :

« مسألة : اجمع علماء الامصار في جميع الازمان والاقطار على أنه يجوز للحر المسلم أن يتزوج بالعقد الدائم اربع حرائر ولا يجوز له الزيادة عليهن لما روي عن غيلان بن مسلمة الثقفي أنه اسلم ويحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربا وفارق سائرهن ، واسلم نوفل بن معاوية فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربا وفارق الاخرى ، ورواية زوارة بن اعين ومحمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال لا يجمع مائة في خمس ، وفي الحسن عن جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام في رجل تزوج خمسا في عقد قال يخلي سبيل أربعين شاء ويمسك الأربع ، وحكي عن القاسم بن ابراهيم أنه أجاز العقد على تسع واليه ذهب القاسمية من الزيدية . قال الشيخ رحمه الله : هذه حكاية الفقهاء عنهم ولم أجد احدا من الزيدية يعترف بذلك بل انكروها اصلا واستدلوا بقوله تعالى (فانكحوا

ما طالب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو للجمع ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع والواو ليست للجمع بل للتخيير كما في قوله تعالى (أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ولم يرد به الجمع اذ لو كان المراد الجمع اقال تسعة ولم يكن للتطويل معنى قال الشيخ رحمه الله : لو كان المراد الجمع لجاز الجمع بين ثنائي عشرة لأن معنى قوله مثنى اثنين اثنين وكذلك قوله ثلاث معناه ثلاثا ثلاثا وقوله رباع معناه اربعا اربعا كما في قوله جاء الناس مثنى وموحدا أي اثنين اثنين وواحدا واحدا وهو باطل اجتماعا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مخصوصا بذلك فانه جمع بين اربع عشرة امرأة فثبت ما قلناه اهـ

وجاء في اللغة الدمشقية لمؤلفها محمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول وشارحا زين الدين المعروف بالشهيد الثاني وهما من اعظم علماء الشيعة عاش الاوّل في القرن الثامن والثاني في القرن الالف مانصه :

« السابعة لا يجوز لحر أن يجمع زيادة على اربع حرائر او حرتين وأمتين او ثلاث حرائر وامة بناء على جواز نكاح الامة بالعقد بدون الشرطين والا لم يجوز الزيادة على الواحدة لانقضاء الفت معها وقد قلّم من المصنف اختيار المنع ويعد فرض بقاء الحاجة الى الزائد عن الواحدة ولا فرق في الامة بين المؤمنة والمذبذبة والمكاتبه بسميها حيث لم تؤد شيئا وأم الولد ، ولا للعبد أن يجمع اكثر من اربع اماء أو حرتين أو حرة وأمتين ولا يباح له ثلاث اماء وحرة والحكم في الجميع اجماعي » اهـ

وكلا الكتّابين اللذين نقل عنهما مطبوعان في طهران عاصمة بلاد فارس وقال في مجمع البيان وهو التفسير المعتمد عند الشيعة في معنى الآية (فانكحوا ما طاب لكم) الخ وطريقته ان يذكر الآية أولا ثم القراءة فالحجة فالاعراب فالنزول فالعني وهذا من جملة ما ذكره في مصناها :

« وقوله مثنى وثلاث ورباع معناها اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا اربعا فلا يقال ان هذا يؤدي الى جواز نكاح التسع فان اثنين وثلاثة وأربعة تسعة لما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول

ولأن لهذا العدد لفظاً موضوعاً وهو تسم فالدول عنه الى مثنى وثلاث ورباع نوع من الي جل كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق عليه السلام لا يجل ماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة أرحام من الحرائر

ولو أردنا استقصاء كلام علماء الشيعة لضاق المقام وطال الكلام وأظن فيما أوردناه مقنناً ومنه تعلم أن إجماع الشيعة على عدم حل الزوج بأكثر من أربع في العقد الدائم وأزديك على هذا أتى رأيت في أثناء مراجعتي المكتبة الفقهية المأ كن أعده وهو استشكل لبعض علمائهم في الزيادة على أربع حتى في المتعة مع أن لا كثيرين منهم ذهبوا الى عدم الحل بها

ومن المعلوم لدى الأستاذ أن المصراعصر دليل وبرهان فلا يجهل بصاحب مجلة معتبرة أن يورد أمراً لم يسره بمسار التحقيق ثم يده من المسلمات البديهيات وعندى أن عدم الثبوت في هل الأخبار أوصل الأمة الإسلامية الى هذه الحالة وحصل كل فقرة تسي الظن بالأخرى وكل هذا راجع على ما أعتقد الى عدم مراجعة كتب الفرقه المنسوب إليها تلك المقالة التي تبرأ منها والاعتماد على كتب مناظرها فاني رأيت كثيراً ما ينسب علماء السنة الى الشيعة ما يتبرأون منه وما لم يوجد في كتبهم المعتبرة وكذلك يفضل علماء الشيعة وخذ لذلك مثلاً ما ينسبه أغلب المسلمين الى الوهابية من المقالات الشذوية والاعتقادات الفاسدة ولوراجعنا كتبهم لأفئدتهم يتبرأون منها ولم تكن علاقتهم بها الا كقول الشاعر

انما أنت من سليمى كواو الحقت في الهجاء ظلاً بهمر و

ولا اظنكم اعتمدتم فيما كتبتم الا على كتب أمثال ذلك (العالم الفيور) مع انكم لو امنتم النظر واعلمتم الفكر لافئتم أولئك بضيظون في بعض الامور خبط عشواء لانهم لا يعتمدون على المصادر الموثوقة بل يتكلمون على السماع وهو ما لا يجوز أن يتخذ حجة يتمسك بها كما فعل ذاك العالم الفيور في رسالته التي بحث بها اليكم عن أحوال العراق ونشرتوها في الجزء الاول من المجلد الحادي عشر وكل مطلع على أحوال العراق يهقه ضاحكاً من عدم الثبوت في اسانيدها والاغرب من ذلك تنذيلكم

(المجلد الثاني عشر)

(١٠٩)

(الملتاج ١١)

لها وقولكم ان مجتهدى الشيعة يبيحون لامراء العرب التمتع بعدة نساء بما يصادف هوى في فؤادهم مع ان اولئك الاعراب يأفون أشد الافة من المثة ولا يفعلونها قطعيًا وهي مع حطها عند الشيعة لا ترى عريًا يفعلها بل لا ترى عرية تقبل بها الا في النادر وربما كانت شائعة عند الفرس لا غير وهذا ما حمل بعض علماء الشيعة من العارفين بأحوال العراق على الرد على ذلك العالم الصبور في مجلتنا (العرفان) ولا كنت اعلم منكم الانصاف وأجلكم عن عدم التثبت ودعم ما تقولونه بالدليل مع ان مبدأكم المطالبة بالبرهان جئت بكتابي هذا كي تشروه على صفحات مجلتكم الحرة احقاقًا للحق وإعلاء لنار الصدق حتى اذا كان لكم دليل من كتب الشيعة على مدعائكم اتيتم به واني على يقين بأنه لا يوجد بتاتا وبقي امر آخر لا بد من استطلاع طلائعها واستجلاء حقيقته منكم وهو قولكم لا يبعد باجماع الشيعة لان المسلمين اجمعوا قبلهم فلم يري هذا من الغرابة بمكان لان الشيعة أقدم من بقية المذاهب المستحدثة في الاسلام كما يعلم ذلك كل من له مسكة من علم التاريخ واطلاع على نشأة القوم واني انبهكم قبل ختام الكلام الى ان كتب الشيعة أصبحت منشورة ومطبوعاً كثيراً في بلاد فارس والهند والحصول عليها متيسر فيمكنكم استجلاب شيء منها حتى اذا قلتم شيئاً عنهم يكون على ثقة وثبت والسلام . ٣٠ رمضان سنة ١٣٢٧ هـ . منشيء العرفان

احمد عارف الزين

(النار) أرسلت الي هذه الرسالة وأنا في سياحتي بالاستانة فأنا اعلى عليها بالابحاز وأنا جالس في احد المطاعم بعد الغداء وابدأ كلامي بالبراءة من التعصب للمذاهب ثم أقول :

أشكر للكاتب بيانه وأعلمه له يدا بمنها على النار اذا لأمحب ان يفسر فيه شيء من الخطأ ولا يقب ببيان الصواب ولكني أنكر عليه ما ذكره من الكلمات الجارحة التي اعتادها الذين ينكر بعضهم على بعض اتصارا لمذهب على مذهب والتشيع لقوم وإهانة آخرين كقوله « محض وهم واقتراء » فان الاقتراء تعمد الكذب ويعد جدا ان يكون الذين عزوا هذا القول الى الشيعة قد تعمدوا الكذب في نسبتهم اليهم بل لا يعقل أن يقع هذا من عاقل اذ لا فائدة فيه ولا هو من المسائل التي يرجح بها مذهب على

مذهب وانحطاً في فهم آيات القرآن جائز على كل أحد وقد وقع من بعض الصحابة وهم أهل اللسان وشهداء البيان ومن دونهم من أئمة الفقه وعلماء المذاهب المنسوبون الى السنة كثيراً ما ينحطون ، بعضهم مذهب بعض ، فقلهم مثل ذلك القول عن الشيعة لوجه لان يكون من الاقراء عليهم أو انتقاصهم لانهم شيعة بل لا بد ان يكون له أصل وان لم يكن هو المعتقد في مذهب الإمامية أو الزيدية ، ونسبة الاقوال الشاذة في المذهب الى أهل المذهب معهود وغاية ما يقال فيه ان أهل المخالف لا يستد به . وأنت تقول ان القاسم بن ابراهيم أجاز العقد على نسم واليه ذهبت القاسمية من الزيدية ، وهم من الشيعة في عرف أهل السنة ، ولا يعد ان يكون أولئك الناقول عن الشيعة ما ذكر قد سمعوا منهم أو قرأوا عنهم قولاً آخر من الاقوال الشاذة فظنوا انه هو المعتقد في المذهب ، وبكفي في بيان مثل هذا الخطأ ان يقال ان ما نقل عن الشيعة في مسألة كذا غير صحيح أو غير معتد عندهم والمعتقد هو كذا ولا حاجة الى مثل هذا التطويل والتهويل والتذكير بالانصاف والدليل

وأما القول بأنه لا يعتد بخلاف الشيعة في مسألة كذا لان المسلمين اجمعوا قبل ذلك عليها فلا يقض بدعوى ان مذهب الشيعة اقدم من بقية المذاهب لان المراد باجماع المسلمين قبلهم هو اجماع الصحابة لا اجماع أهل المذاهب المستحدثة أو القديمة ، وجميع المذاهب حادثة في الاسلام وقد كان الاسلام على أفضل ما كان عليه في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الصحابة والتابعين ولم يكن فيه مذاهب ، ثم حدثت المذاهب ففرقت كلمة المسلمين وما زادت الاسلام الا ضعفاً ووهناً ولا تبحث في قدم بعضها على بعض الا من باب التاريخ اذ لا علاقة لذلك بالحق والباطل وانحطاً والنصواب فكون مذهب المعتزلة سابقاً لمذهب الاشعرية لا يقتضي كونه أصح منه وكون مذهب الجهمية متأخراً عن مذهب الخوارج لا يستلزم ان يكون اقرب الى الصواب منه . ونحن نعترف بأن ذكرنا المذاهب أحياناً في تفسير القرآن مخالف لمشربنا وهو انما يقع منا سبوا فالقرآن فوق المذاهب كلها ونحن لا نلتزم في تفسيره مذهباً من المذاهب لان هذا من تفسيره بالرأي والهوى وهو منهي عنه . وأما ما نشرناه لذلك العالم السائح فهو من باب القلق والناقل عدل ثقة لا شك

عندنا في عدالته وقد يخطيء ويصدق بعض الروايات الباطلة فيقلها بحسن النية ولو جاءنا رد عليه لتشفاه اذ لاحظ لنا غير اتباع الحق والسلام

﴿ الصادق وميراث النبي (ص) ﴾ *

سيدي الدكتور مرجليوث

اليك ما وعدتك في جوابي عن تذكريك من الملاحظة على بعض ما جاء في انتقادك لكتاب بلاغات النساء الذي شرحته وطبعته

(١) جاء في انتقادك ان الكتاب لم يذكره ياقوت في مؤلفات ابن أبي طاهر وانه قد يكون هو كتاب المستطرفات

وأفيدك: ان بلاغات النساء هو الجزء الحادي عشر من كتاب المنظوم والمنثور لابن أبي طاهر أسماه باسم خاص به هو اسم بلاغات النساء الخ، وقد اخترت نشره بهذا الاسم لانه خير عنوان لشمولاته وادعى لإثبات النظر اليه فان غرضي من نشره هو مساعدة الحركة العاملة عندنا لترقية المرأة وترى عقب المقدمة التي وضعناها للكتاب اشارة الى ذلك فلتراجع هذا وان كتاب المنظوم والمنثور ذكره ياقوت في مؤلفات ابن أبي طاهر (راجع معجم الادباء)

(٢) ثم جاء في الانتقاد: ان اخراج ابن بكر لمطامعة من ميراث ابيها كان يقينا بتعريض عائشة التي لم تسامح عليا قط فيما كان له من اليد في حديث الافك !!
أقول: ان ابناء الحوادث لا تثبت الامن طريق النقل وهذه كتب التاريخ كلها خلو من ذكر ما حسبه يقينا ولم يشر اليه في واحد منها لا تصرحاً ولا تلميحاً ففردك بقول في حادثة مضى عليها ١٣ قرناً موضع نظراً!

ان الفكر لا يلجأ الى الاستنتاج العقلي لمعرفة السبب في حادثة تاريخية الا اذا

* كتاب لاحد افندي الاناني بحث به الى الدكتور مرجليوث المدرس بجامعة اكسبور دأعلى ما تعرض له بتقريظه كتاب بلاغات النساء من لسان الصادق (رض) بجرمان فحمة عليها السلام من ميراث ابيها (ص) اجابة لتعريض عائشة (رض) وقد سمع به انك لتشرع بمناجاة ما انتباه في التفسير من الافاضة في هذا الموضوع راجع (ص ٧٢٧ - ٧٢٨) من هذا العدد

خلت روايتها من ذكره على وجه صريح مقبول وليس ذلك في حادثتنا فان أبا بكر لم يخرج فاطمة من الميراث إلا أخذها بقول أيها صاحب الشريعة الإسلامية: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» وقد اقتضت فاطمة وأهلها وأشراف الأمة حينئذ بصحة هذا القول وأقروا العمل به وقبلوه

ان مثلك لا يند عنه معرفة قوة سلطة الدين علي متحليه في ابان نشأته كما كان ذلك في عهد تلك الحادثة حينئذ والحرب على فطرتهم البدوية وسذاجتهم الطبيعية فلا يمكن أن يلتزم مع ذلك ان يجنح أبو بكر الى هضم انسان حقّه بتحرّض محرض وأن يقره على ذلك الباطل اعيان الامة وان يخفى كل ذلك على رواة التاريخ فيمهلوه ان العيان يكذب ان الموجدّة الشخصية تكون سببا في ان يمنع الانسان غيره من حقّه فان كثيرا من المتعاملين يجني بعضهم على بعض ومع ذلك قتل أن يكون ذلك سببا للجساره على ان يهضم انسان حق آخر خصوصا اذا كان صريحا كما في مسألة الميراث في مثل تلك الظروف

ان عليا لم تكن له يد في حديث الافك واتما صدر عنه رأي في تخفيف وقصمه على محمد واليك مانسبته عائشة نفسها الى علي في هذا الشأن وقد قلته عن كتاب البخاري اصح كتب الرواة الاسلاميين بالاجماع قالت :

« ثم اصبحت فدعا رسول الله علي ابن ابي طالب واسامة بن زيد يستشبرهما في فواقي فأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والفساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعاها رسول الله فقال لها يا برة هل رأيت فيها شيئا يريك؟ » قالت برة لا والذي بعثك بالحق ما رأيت منها أمرا اغمصه عليها قط »

وقد طوي حديث الافك بأسبابه ونتائجه لما تحققت براءة عائشة حتى أن أبا بكر أعاد صدقته على « مسطح » أحد القائلين فيه وكان قطعها عنه أثناءه

إن عائشة لم يكن لها في حياة أبي بكر وعمر الى أواخر زمن عثمان دخل في شئون الامة العامة وبسبب أن يحصل منها تحرّض في مسألة الميراث يخفى خبره على رواة الاخبار حتى لا يذكره منهم ذا كرم ويجوز باطله على اعيان الامة في ذلك الحين حتى لا يجبر بالحق منهم جاهر

ان الميراث لم يكن راجعا الى علي حتى تندفع عائشة بدافع موجودتها منه
فتمرض أباهما عليه فيه بل الميراث ميراث فاطمة والعباس عم النبي وأزواج الرسول
ومنهن عائشة

جاء في تاريخ الطبري رواية عن عائشة نفسها :

« ان فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهما حينئذ يطلبان ارضه من فذك وسهمه من خير فقال لهما أبو بكر أما اني
سمعت رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، انما يأكل آل محمد من
هذا المال وانني والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعه »

لولم تقنع فاطمة والعباس بحجة أبي بكر أو لو أحسا بأن الدافع اليه حقد يرض
جوانحه عليه لا بت لهما انهما العربية وهما هما صفوة بني هاشم ، وعزتهما الاسلامية
وهما هما آل الرسول وبجانبهما علي وشيعته ... ان يستخذيا للباطل ولأثارا على أبي
بكر غارة شعواء لا قبل له بها

قد كان علي بنفس على أبي بكر منصب الخلافة ولكن منه دينه أن يتعرض
نظيفة سلك مسلك الحق ولو وجد علي في عمل أبي بكر منفذا يدخل عليه منه لما
وتى وقد أراده ابو سفيان رأس بني امية (راجع الطبري) على مناوأة أبي بكر
فاستعصم علي لعلم المسوخ وأي مسوخ كان أدعى من أن يجير ابو بكر على منع
فاطمة بنت رسول الله والعباس عم رسول الله ميراثهما بتحريض عائشة ؟

ان ابا بكر في حسن سياسته وقوة ايمانه اجل قدرا وارجح رأيا من أن يندفع
بالباطل لمنع آل الرسول حقهم الصريح وسيرته ترفع بقارنهما عن أن يظن به ذلك
خصوصا ان ابا بكر لما ولي الخلافة تخلف عن بيعته من تخلف وارتد عن الاسلام
من ارتد فكان إزاء نارين فارتأى بحكمته مداراة المتخلفين حتى سكنوا عنه وراجعوه
وعزم بحزمة حرب المرتدين حتي انصاعوا اليه فكيف مع هذه الظروف يجسر على
منع رؤس بني هاشم وآل الرسول حقهم بالباطل ؟ وبعيد جدا أن يغفلوا على حقهم
الصريح بقالب الباطل والفرص مع قدرتهم على المقاومة لو أرادوا ، وبعيد جدا أن
يقر العرب اجمع ابا بكر على باطل ارتكبه بدافع التحريض وهم الذين انكروا

على عثمان توليته بعض مناصب الدولة لاحداث قومه حتى قتله
لو أن حادثة الميراث غير معلومة السبب وكان لابد من تلمس العلة فيها لكان
خبر رأي يفتق مع طبيعة ذلك العصر وظروف هؤلاء الناس أن يقال : ان ابا بكر
اراد بتقرير ان النبي لا يورث توهين اعتماد علي في احقية بالخلافة على قرابته من
النبي لانه اذا كان النبي لا ترثه قرابته في عقار وهو ملك خصوصي فالحري او
بالأولى أن لا تتخذ قرابته وصلة للاحقية في امر عمومي

(٣) اما اسناد خطبة فاطمة فان ملاحظتك عليه صحيحة والصواب ان
(زيد) الذي سأله ابن ابي طاهر ليس هو زيد بن علي المتوفى سنة ١٢٢ بل هو
زيد حفيده كان معاصرا لابن ابي طاهر المتوفى سنة (٢٨٠) . وقد روى ابن ابي
طاهر عنه غير هذه الخطبة كما ورد في صفحة ١٦٢ من الكتاب ذاته اذ قال : حدثني
زيد بن علي بن حسين بن زيد العلوي . فزيد العلوي هذا هو المتوفى سنة ١٢٢ وهو
من اجداد زيد المعاصر لابن أبي طاهر

وعليه فيكون قد سقط من اسناد خطبة فاطمة ثلاثة رجال خطأ من النسخ
لنسخة الخطبة التي طبعت عنها هذا الكتاب

هذه ملاحظاتي اقدمها مع الثناء الجميل لك واعجابي الزائد بفضلك وأود
أن تنشرها في المجلة التي نشرت فيها تقريظ الكتاب حتى يطالع عليها قارئو التقریظ
فلا يهتوم ما جاء فيها من التصحيحات والملاحظات وارجو أن ترسل لي نسخة من
العدد الذي تنشر فيه وعلى كل حال احب أن تنفضل بإفادتي عن رأيك فيها فان
الحقيقة بنت البحث وهي ضاللتنا للنشودة جميعا .

❖ حركة الإصلاح في جاوة ❖

سيدي الامام ، الداعي الى سبيل السلام ، بدلتحية والسلام : قد وصلنا العدد
التاسع من المنار المنير وكله فوائد تهش لها افئدة المؤمنين ، وحبوة قاطعة لالسنه
الجامدين ، وقد انتعش بها قروم احبوا الهدى ، وغض بها آخرون اخلدوا الى زينة

الحياة الدنيا ، ولقد احسنتم كل الاحسان فيما اتقدتم به رسالي الفاضل السيد عثمان ونحن نوافقكم عليه حرفيا وانه لكان ذكرتم حري بأن تحسنوا به الظن لانه قد بلغ من الكبر غيا وله خدم مشهورة وماثر حسنة وان كانت له هفوات معدودة ومن ذا الذي رضي سبحانه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه واتي اكاد اجزم أنه سيرجع الى الصواب ويضيف بذلك لنفسه منقبة ان شاء الله ان لم يكن ادركه الخرف لانه في العقد التاسع من العمر ، نسأل الله أن يوفقنا ويايه واياكم لرضاه آمين

وكيف لا ارجو له الرجوع الى هدي الكتاب ونفذ تقديم آراء الرجال عليه وجده الادنى السيد عقيل بن عمر كان من المجتهدين الذين لا يحتجبون الناس دينهم فلقد عطل ابن سعود دروس المقلدين من الحرم الشريف لما استولى على مكة المكرمة ولكنه لم يتعرض لخلقة السيد عقيل المذكور بل كان علماء نجد يجتمعون فيها كما أنه منع جميع المفتين بمكة عن الافتاء ولكنه لم يمنع السيد عقيل لانه كان يقضي بما يظهر له من حكم الكتاب وصحيح السنة وهاهي فتاوى السيد عقيل وكتبه موجودة وهو شيخ مشايخ الملويين في علوم الشريعة والطريقة وطريقهم الاخذ بالكتاب والسنة ومن احق الناس بسلك طريق السيد عقيل حفيده السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل

ولقد ظهرت بشارت نفع دعوة المنار ودعائه ومن يدعو الى ما يدعو اليه بهذه الجهات فصار الناس يتأففون من حالتهم الحاضرة ويتنون مما اصابهم من الجهل وابتدأوا في تأليف جمعيات وجمع تقود لفتح مدارس اسلامية تعلم النابتة اللغة العربية والعلوم الدينية وطرفا مما ينفعهم في امورهم الدنيوية وبالفعل قد فتحت مدرسة في بتاوي وأخرى في فاليمباغ وثالثة في سورابايا ورابعة في قرسي استاذها الشاب الفيور الفاضل السيد محمد بن هاشم بن طاهر سبط الفاضل السيد عثمان ، وقد جعلوا لتلك المدارس نظاما وترتبا نومل مع الزمن أن يكون مرعاة الى بلوغ الكمال ، وقد امتسن منذ شهرين تلاميذ مدرسة قرسي للسنة الاولى فنجحوا نجاحا يكاد يعد من المعجزات بفضل اجتهاد وذكاء استاذها وحبل صبره ، فلا أعد منا ما ان قلت انها اعلم مدرسة في

هذه الجهات وان ستن في المئة من تلاميذها أعلم من آبائهم ولما عيى عليهم بهاء شهرها وان الهمة مبذولة من رجال النهضة في هذه البلدان في طلب مدربين من الخارج ليستفيدوا من تجاربهم ومعرفتهم بالنظام والترتيب

فم قد صنف حضرة السيد عثمان رسالة سماها جمع الفوائد ونشرها وصدر لكم منها مع هذا نسخة لا عذر لكم عن تصفحها وهي اقل من ١٢ صفحة واداءها (ورعا اكون مخطئا) سترقل هذه النهضة الشريفة ان لم تقض عليها في بعض البلدان الا لصاحبها من العيب والجاه وانى لا أشك في حسن نيته ولكني اقول انه لو ادان ان ينفع ففكر فسي أن تلاخطوا ما كتب ونشروا رأيكم فيه لتشعروا من صحة الادعاء وتكثروا بشرة الجامدين وتثبوا هذه النهضة قبل أن يجهز عليها اصحاب العارم وسير في من العاقولية اداكم الله نضا للعباد وشيلى في حلق اهل القماد

آمين آمين لا ارفى واحدة حتى اضيف اليها الف آتيا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته م . م . م بتاوي (جاوة)

المناج : ثني على القائمين بنشر التليم الطيب الثناء ونشهم على المضى في علمهم بدون مبالاة بأرباب النزغات والاهراء ، وسندكر رأينا في رسالة «جمع الفوائد» في الجزء الثاني عشر ان شاء الله تعالى

مدافعة صاحب جريدة (وطن) عن نفسه

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا ادام الله فضلكم ونضنا بعلومكم آمين أما بعد السلام والاحرام : أثنى عليكم ثناء جميلا لحسن فلك هذا العاجز ومطانة الرد على شبهاتي المديدة بالحسنى ، ودفع التهم الموجهة الي من جرائد الاستانة الاخنة بالظن والغير المبالية بالحقائق وأشكر فضلكم

ان اقوال جريدة «يني غزته» وغيرها في اتهامى بالطمع باحراز المال والجاه وتوقع الانعامات الحميدة - لا أبجد حاجة لتفنيدها ، وكل من يرجع الى وجدانه

(المناج ١١) (١١٠) (المجلد الثاني عشر)

الصحيح يرى بطلانها عيانا لان الدولة التي أجدتها محتاجة لاعانة المسلمين وكنت اجتهد جهد طاقتي في جمع الاعانات المالية لما حينا بعد آخر وآخذ من اهل البر من المسلمين من بضعة اعشار القرش الى القرش فصاعدا وأحفظها عندي ومتى اجتمع مبلغ من المال ارسله الى الاساتة ، - لا يعقل انسان اني كنت أومل من مثل تلك الدولة منفعة مالية لان ذلك الامل يجب أن يكون من الفتي لا من المعوز ! وعدا ذلك فاني لو كنت أنوي الفوز بالوسامات والانواط من الدولة العلية وكأنت بهذا الامر رجال المايين ، لما كنت أجد جسارة في ذم القابضين على زمام الاقتدار فيه ورجاله المشهورين مثل عزت « أفندي » المايندوغيرهم ومدح الحكومة الدستورية في تأليني « تاريخ السكة الحجازية » ؟

والحاصل اني لم اكتب قط الى المايين كتابا ، وأنى لمثلي أن يكتبه ويجد منه أدنا صاغية - ويشرف بالرد الجليل منه ، اللهم اني كتبت مرة الى سعادة السيد مصطفى ذهني باشا ناظر النافذة الاسبق لكونه مشرفا على ادارة السكة الشرفية حوالي موعد الاحتفال بافتتاح السكة الكريمة الى مدينة النبي (ص) - بأسماء بضعة من اكار الملة الاسلامية وأصحاب الجرائد لدعوتهم الى حضور الاحتفال رسميا ودعوة رجل أو رجلين من صحافيي الانكليز أيضا لذلك الغرض ولا أذكر الآن هل كان اسمي ايضا في تلك القائمة أم لا ، وكان ذلك الكتاب كشورة نافذة لجمع الاعانات للسكة الحجازية من مسلمي الهند وغيرها من الاقطار الاسلامية لان الكبراء والصحافيين الذين يدعون الى الاحتفال ويشتركون فيه لاشك في أنهم يصيرون بعد العودة من الاحتفال ساعين في بني قومهم بترويجهم وحشهم على اعانة ذلك المشروع الاسلامي العظيم وتستفيد الدولة بمحصل حبيب الخالص ايضا ولا أظن أنكم ترون في مشورتي هذه غير الاخلاص والحب الصادق لدولة اسلامية عظيمة ، وكثيرا ما كنت اقترح على سعادة الباشا المدوح ما أراه مفيدا من اسباب توفير الاعانة والاصلاحات الضرورية لهذه السكة المباركة

وأما أمر الوسام والتيشانات فأكرر قولي في ذلك الباب كما قلت لكم قبلا بأنني لم أومل قط حصولها بل لما أرسل الي سعادة مصطفى ذهني باشا التيشان العثماني من

الطبعة الرابعة كتبت الى سعادته « لو كنتم أخذتم رأيي في ذلك الباب قبل ارسال التيشان فلم أكن لأقبله ، وأما الآن وقد أرسلتموه الي فأرى رده من سوء الادب » وأرجو من كرمكم نشر كتابي هذا في « المنار » الاغر والقات وصيغاتي الجرائد التركية وبالأخص جريدة « بني غزته » إلى نشر كتابي الذي وجد في الماين والذي بنت هذه الجريدة قولها عليه بنصه مع الترجمة باللغة التركية لينصف العالم هل أنها صادقة أم لا ، والا فالواجب الصحافي والاسلامي يحتم عليها في قولها الغير الصادق باتهامي بما لست فاعله أبدا

والرجاء من غيرتمن الاسلامية قبول دعوتي هذه ليثبتن طهارة ذمتين بيرة البري من التهم الباطلة الموجبة اليه والا فلا أكون مخطئا في عني بحزب تركيا الفتاة انه يسيد عن الانصاف والحق كل البعد ولذلك ارسل نسخة من كتابي هذا الى رصيفتي المويد ايضا وارجو منها نشره

هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم ودمتم سالمين كاتبه المخلص
محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية
لاهور - بنجاب (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاح مجلس المبعوثان

كان يوم غرة ذي القعدة الحرام يوما مشهودا في الاستانة العلية ، تطالت اليه اعناق العثمانيين ، وحدهجت ابصار الشاهدين منهم له والقائمين ، اذ هو يوم من ايامهم المشهودة ، وعيد من اعيادهم المدودة ، ألا وهو افتتاح مجلس الامة الذي استردت به الامة حياتها ، وحفظت كيانها ، واصبح امرها بيدها

ولأن كان يوم إعلان الدستور هو العيد العام لجميع العمانيين، والحد الفارق بين عصر رقب العدل، وعصر سلطة الجائرين، - فخير بهذا اليوم أن يكون عيداً مثله عطياً، إذ به تحقق مباشرة الأمة القبض على أزمة الحكم عملاً، وذلك بسن القوانين السائدة، والتصديق على إفاذ الشروعات النافذة

قد كان يوم المبعوثان في العام الماضي محصوراً في تقرير طرق المحافظة على الدستور، والسعي في حل الحكومة على التنازل عن واسع سلطتها، لتكون في يد المجلس، وديناميكياتهم ويناضون، ويتحاجون ويتحاورون، إذ نجت تلك الفتنة المائلة، والبلية النازلة، التي كادت تذهب جذها في جميع أنحاء السلطنة، فاقضت على الدستور بقية زعزعة أركانه، وقض ببقائه، وصدت المجلس عن عمله، حالت دون تحقيق عمله، وكان من فضل الجيش وقائده العظيم محمد شوكت باشا استنقاذ تلك الفتنة من أصولها، والقضاء على السلطة الجائرة، فكانت بحمد الله مستعانة راتبة، وصيغة وبها عهد الجيد خاتمة

تلقى ذلك العام بخيره وشره، وقطعت قبل مغيب شمس السنة الفتنة، وأخذت نار الحنة، وقد هل هلال هذا الشهر وهو أول العام الثاني للمجلس - ونوابنا الكرام جالسون على مناعدهم، مترقبون طلعة سلطانهم وخليفتهم، ليمتدح مجلسهم، ثم ينصرفون بعد ذلك إلى ما هم محضوا له

هذا: ولم تكن تيسر شمس نهار افتتاح المجلس إلا وقد برزت العاصمة في لباس من الزينة يروق الأبصار ويسر البصائر، وما كان حقان الإعلام على الدور والقصور، والخوانيت، والفتاتق، إلا دون حقان القلوب وهزازات النفوس! ثم اقبل اللبنة بركة الجليل والنهار في مستوى شابه بحب طه أمراء الأسرة المالكة كالجموم حول القمر، وما بلغ القصر عصر بوزراء الدولة وقوادها وأقربين أمام باب القصر لاستقباله ابتلالاً وتعظيلاً

بعد أن جلس السلطنة وأخذ كل واحد سكانه - وكان المجلس حفيلاً بالوزراء والقواد والسفراء وحمله الأعلام - تاول مولانا السلطان خطابه للصدر الأعظم وأمره بقرائه فتلاه بصوت جهوري دوى له المجلس حتى وعاء كل سامع

عارف بالتركية ، وانه لخطاب حكيم ، واني أنشره على القراء مترجما ترجمة صحيحة
وهاؤم الترجمة :

﴿ خطاب السلطان ﴾

أيها الأعيان والمجوثان المحترمون

آحد الله جل جلاله الذي جعل جاري على أريكة السلطنة العثمانية في دور
الدستور السعيد ووقتي في السنة الأولى منه أن أحضر افتتاح الاجتماع الثاني للجلس
العمومي وأهني أعضاء جميعا بقدمهم المأنوس .

ان الشرع الشريف يأمر بالحكومة المقيدة الشورية عقلا وقلا ويهدا لنا
كطريق نجاه وسلامة فاذا دارنا مسيرنا في هذه السبيل وصلنا إلى الاتحاد والقوة
اللازمين حياتنا الاجتماعية والسياسية

إن من اكبر أماناتي المحافظة على الدستور وتأييد مبادئه وتطبيق قواعده
وسأستغل بمقتضى مقدرتي مع دعوتي مستعينا بمعونة الله وروحانية النبي صلى الله عليه
وسلم لتحقيق هذه الاماني الشريفة والوصول الى هذه الغاية المجيدة

ان امتناني كان عظيما جدا عند ما رأيت الاخاء عاماشاملا بين عموم أبناء الوطن
اثناء سياحتي في بورصة وأزميدو كنت سعيدا جدا باقترابي من افراد الامة الصادقة
ان الخدمة العسكرية التي تشمل اليوم جميع رعايانا بلا استثناء هي من نتائج ما أمر
به القانون الاساسي الذي يضمن لهم المساواة بالحقوق والواجبات واتي أعد وضع
هذه الخدمة العامة العلية لقوة الدولة وعظمتها موضع التنفيذ من أهم الحوادث التي
سينقلها تاريخ نهضتنا الوطنية لأن من طبائهم هذه الخدمة في الجيش بحكم عرى التأخي
الصحيح بين أبناء هذا الوطن

ان الرقي والانتظام اللذين أظهرهما أفراد جيوشنا اثناء المناورات البرية
والبحرية التي جرت لأول مرة في هذا العام يحملان على ان تقدمهم حق قدرهم وان
نصرف مساعينا لا يصال هذه القوى الى درجة الكمال اذ عليها يتوقف الذب عن
حوزة الوطن والمحافظة التامة على السلم العام

ان احوالنا الداخلية - والله الحمد - لا توجب القلق وان الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع لتصرفية الحديدة وفي متصرفية عسير من ولاية اليمن وفي قضائي بارزان ولوما من ولايتي الموصل وقوصه اخذت نزول بالتدابير الرشيدة التي اتخذتها الحكومة المنفذة حتى ان القبائل الثائرة جنحت للطاعة والسكون والآمال مقودة على انها لا تكرر فيما بعد ولا سيما متى تصمت المعارف وفهمت الاهالي عامة القواعد الدستورية فيجب علينا في الوقت نفسه أن نعمل باهتمام وسرعة في سبل إنهاض المعارف وترقية الاحوال الزراعية والصناعية والتجارية في ممالكنا الواسعة وكل عمل من شأنه ان يعود على العموم بالراحة والرفاه وعلى البلاد بالثروة والعمران

الاولان اكبر آمال في حصول التوازن المالي الذي هو أسس أساس الاصلاحات وستقدم ميزانية سنة ١٣٢٩ العمومية لمجلسكم فليحكم ان تدققوا فيها أصلا وفرا وإذا كان واضعها لم يتمكنوا من الوصول بها إلى هذا التوازن المنشود بالرغم مما أنفقوه من الحكمة والاقتصاد في وضع الحقوق المقررة اللازمة فانهم سيتوصلون بلا شك إلى سد عجز الميزانية العمومية المقبلة متى استوفيت الزيادة التي ستجني من الرسوم الجركية ووضعت الاحتكارات المنوي وضعها وتحسنت طرق جباية الاموال الاميرية وعندئذ تزداد الثقة المالية بنا وقد أثبتت أعمالنا المالية الاخيرة لنا ذلك

لقد أقمم الدستور باجتماعكم الاول على قواعد متينة لا تززع وأيدتم المنظمات الكفالة للامن والراحة في البلاد وستنظرون في اجتماعكم الثاني لوائح القوانين والنظم التي وضعها الحكومة المنفذة مجددا فيما يتعلق بحماية الملكية الاجتماعية والاقتصادية وتأييد النظام والراحة بهمة القانون، ومن هذه المشروعات التي تستحق الذكر نظام التجارة البرية والبحرية وحقوق الملكية ونظام قضاء المحاكم المتقبلين وادارة الولايات وقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول كافة ودية محضة وبما أننا نراها جميعا متحدة على السعي في سبيل المحافظة على السلم العام فلذلك ترى حكومتي من واجباتها أن تكون عنصرا شريفا ساعيا معها في سبيل تأييد السلم
انني مع بيان فائق امتناني من المساعي الوطنية التي صرفت من قبل هيئتيكما

في الاجتماع الاول أعلن لكما افتتاح جلساتكما اعتبارا من هذا اليوم باسقاط كفة الدعاء اليه تعالى أن يوفقكما ويسهل أعمالكما إلى ما فيه خير الدولة والامة انه سميع مجيب » اهـ

بعد ان أتم الصدر الأعظم قراءة الخطاب السلطاني هتف الحاضرون للسلطان « وصالحه السفراء » ثم غادر قصر التواب والقابو هاربة إلى طلعتة الفراء « والابصار شاخته إلى موكبه ذي الجلال والرواء » والألسنة متطقه بالهتاف له والدعاء « أدامه الله وإخلا في مطارف الصحة والهناء

وبعد فأن أعمال المبعوثان في هذا العام ستتناول شئوننا جهة توقف على انفاذها على وجهها حياة الامة وعزة السلطنة ، وهي النظر في القوانين المسنونة والنظامات الموضوعة لتأييد الحق وشمول الامن والمدل « ومن اعظم تلك الشئون وأكدها مشروع تعميم العلوم والمعارف بين طبقات الشعب ومشروع التجارة وإنشاء نظارة خاصة لها « والنظر في توسيع سلطة الولايات « وتهذيب قانون الجزاء (الجنائيات) وغير ذلك من الاعمال التي يجعل أعمال المجلس في هذا العام ايجابية « وقد كانت في العلم المنصرم سلبية

ولنا الرجاء بأن يقوم أعضاء المجلس بما اتدبوا له خبر قيام ، ولا سيما بعد أن عثرنا على نسق السير في المجلس ، وسمعوا كثيرا من الصيحات والانتقادات بحق وبغير حق والله المستعان
حسين وصفي رضا

﴿ خطاب رئيس المبعوثان ﴾

خطب احمد رضا بك رئيس المبعوثان اخوانه الاعضاء بعد انتخابه رئيسا خطبة حفيلة نورد منها هذه الكلمات الحكيمة :

ان أول واجب على النائب الشريف النفس بعد اجتماعنا تحت سقف قصر ذي شهرة بالتاريخ هو شكر جلالة مولانا السلطان الذي تفضل علينا بهذا القصر وولي

الامل انكم تنسوني عنكم في القيام بتأدية هذا الواجب ، ولا شك بأنكم تشتغلون بهدوء
وسكون ونظام لتخدموا الامة الخادمة التي تنتظرها منكم ولكم لا يفلتون هذا القصد
الا إذا حاذرتهم تجاوز حدود الاعتدال الى التطرف

والواجب ان تكون الشرائع والقوانين والمطالب مما تتطلبه حالة البلاد وينطبق
على تقاليد الامة واخلاقياتها حتى يسهل تنفيذها . فقبل ان نصوغ القوانين يجب ان
نعد معدات التنفيذ التي تسمح نفع تلك القوانين لكل عناصر الامة على حد المساواة
ولا بد للوزارة التي تتولى التنفيذ من المساعدة والعون داخلا وخارجا ا كبر
من مساعدة مجلس النواب لها بالاماني والتمني . والعون الاول هو بالاجدال ما يكون
من ناحية العاطفة الدينية قبل كل شيء ، ثم من آداب الامة ودرجة تعلما والنجاح
والمذنية يشبهان مركبة تدفعها قوة ذكرى العهد الماضي فاذا لم يكن وراء هذه المركبة روح
قوية تدفعها الى الامام وقوات ادييه وماديه تؤيد الدافع فما أنها تقف وامانها تنهقر
وبما ان اعمال المجلس وجهوداته لم تأت حتى الآن بالنتيجة التامة فهم يظنون
أن هذا المجلس لا نفع له ! وقد جسموا بعض الهفوات ومن عادة الشعب ان يعد الخبير
الذي لا يدركه أو الاعمال التي لا تعود عليه بالنفع المادي والاعمال الحسنة بنفسها اذا
هي مست مرافق الافراد - من الشر

وليس ذلك غريبا في فهم الشعوب للامور على هذا الوجه فان اصلاحات
التي تطلب كيان الامة اذا كانت فجائية قد تعود غالبا بالضرر على الافراد فالتاموس
الطبيعي حقيقي بأن يكون الاقلاب تدريجيا وعلى مهل فليس من الواجب علينا وحدها
الصل قط . بل من الواجب على كل عثماني ان يأخذ بيد اخيه العثماني للسعي وراء
نجاح الوطن متحاشيا البحث أو التنقيش عن سياآت اخيه ليعيبه بها

واذا كان قد الامور حقا ومنحة من الحرية فان من الفضيلة الشريفة للضامات
الحرية الطاهرة أن لا ترى الشيء من جهة السبب . وأن لا تثق بكل فكر يقال
دون تحقيق أقوال هذا ممر با عن أملي بأن تكون الروح التي أشرت الى فضائلها
هي الروح السائدة في هذا المجلس

يقول الحكيم من يشاء من يؤمن بالحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

المعجم

١٣١٥

يقهر عباده الذين يستحقون القول فينبهوا أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام سوى « منارا » كتاب الطريق

مصر الثلاثاء سلخ ذي الحجة ١٣٢٧ - ١١ يناير (كانون الآخر) ١٢٨٥ - ١٩١٥ م

فَتَاوَى الْمَنَارِ

قصصنا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس طاعة ، ونشر على السائل أن يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزى إلى اسمه بالمعروف إن شاء ، وإنا نذكر الأمثلة بالتدريج غالباً وربما قد مناهنا خيراً لسبب كعاجلة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لأغفاله

﴿ مدة حمل النساء شرعا وطبا ﴾

(من ٣٨) من صاحب الأمضاء في قصصه (بتونس)

الحمد لله وحده

(مشكلة واقعية)

حضرة العلامة فيلسوف الإسلام سيدي السيد محمد رشيد رضا الحسيني مدني
مجلة المنار دامت سعادته وتوات مسراته ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فن المعلوم أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وأقصاها خمس سنين عند مالك وأربعة عند الشافعي وسنتان عند أبي حنيفة القائلين بجواز رقاد الجنين في بطن أمه ثم يفيق في خلال هذه المدة المحدودة ، ويلحق بأبيه بعد إتمام الموجبات الشرعية . وروى مالك في الموطأ أن امرأة هلك عنها زوجها فاعتدت أربعة أشهر وعشراً ثم تزوجت حين حلت فحكيت عند زوجها أربعة أشهر ونصف شهر ثم ولدت ولداً تاماً فجاء زوجها إلى عمر بن الخطاب فذكر له ذلك ، فدعا عمر نسوة من نساء الجاهلية قداماً فسألن عن ذلك فقالت امرأة منهن أنا أخبرك عن هذه المرأة : هلك عنها زوجها حين حلت فأهرقت عليه الدماء فحشر ولدها في بطنها فلما أصابها زوجها الذي نكحها وأصاب الولد الماء تحرك الولد في بطنها وكبر

فصدقها عمر بن الخطاب وقرق بينهما . وقال عمر أما إنه لم يلغني عنكما الاخير وألحق
الولد بالاول اه وقال ابن سينا في الشفاء : يلغني من جهة من أتق به كل الفة ان امرأة
وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا نبتت أسنانه اه وعلى هذا جرى عمل الفقهاء
والمفسرين في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا الى ان ارتقى علم الطب والتشريح
واجلاء للبيان علم الطبيعة الذي انتفع بمواهبه وأسرارته بنو الانسان ورأوا ما كان
جواز مستحيلا واقعا لا غبار عليه . فقام من بين أطباء الافرنج عندنا جماعة حكموا بمنع
وقاد الجنين في بطن أمه ونسبوا الى من ادعت وقادها زناها واعتذروا لما عليه علماء
الاسلام في هذا الشأن بأن علم الطب لم تكشف أسرارته في الأزمنة العابقة انكشافها
في زماننا الحاضر . وهاهي (ذي) واقمة حال صورتها ان امرأة فارقتها زوجها منذ
أربعة أعوام برية الرحم والأآن ظهر به حمل نسبت له لفارقتها الذي ناكها فيه ، وزعمت
وقاده في هذه الأعوام واعترفت بعدم مسيس مفارقتها لها بعد الطلاق ، ونشرت معه
النازلة لدى المحكمة الشرعية من حيث حقوق الولد أو نفيه كما نشر معها النازلة لدى
المحكمة المدنية من حيث رميها بالحمل من زنا . وإن أدري يحكم لها ام عليها في المحكمتين
يبد أن النفوس على حيرتها تتطلع الى معرفة هذه الحقيقة الشرعية الطبية ولما كانت
لماكم العالمي قدم راسخة في العلوم الشرعية ولصديقكم النظامي سيدي محمد توفيق
صديقي معرفة عالية في علم الطب جتكم بهذا السؤال أتمس ادراجه قريبا على
صفحات المزار مع الجواب عنه بما يقنع النفوس ويرفع الالتباس ويزيح الاشكال
وربما كان نموذجا راجعا عند تعارض الادلة ، لا زلم ملجأ للسائلين ، وقودة
المسترشدين ، والسلام من معظم حضرتكم
حموده بوتيقي
رئيس مجلس عدلية قفصه (تونس)

(ج) اذا قلنا ان مسألة مدة الحمل دينية يجب العمل فيها بما جاء في الدين
من غير زيادة ولا نقصان فالواجب حينئذ أن نعمل بقوله تعالى في سورة الاحقاف
عن الانسان (٤٦ : ١٥) وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فاذا كانت مدة الحمل والفصال
ثلاثين شهرا وهي ستان ونصف فكيف نحمل مدة الحمل وحده عدة سنين من
ثنتين الى خمس وقول ذلك هو حكم شرعنا في المسألة ؟ فاذا كان المعلوم لكل

الناس ان مدة الحمل تسعة أشهر فمدة الرضاعة التي يكون الفصال بانتهاءها ٢١ شهراً هذا هو أقلها الذي لا بد منه شرعاً وأكثرها ستان كما في آية ٢٣٣ من سورة البقرة ولذلك قال فيها (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) وقد ذكرنا في تفسيرها قول بعض المفسرين انه يستبطن من مجموع الايتين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانها هي التي تبقى بعد طرح ٢٤ شهراً مدة الرضاعة التامة من ٣٠ شهراً مدة الحمل والفصال (راجع ص ٤٠٨ ج ٢ تفسير) فاذا عاش الولد الذي تلقىه امه بعد تمام ستة أشهر من حملها كالشهر السابع او الثامن فينبغي أن يكون حظه من الرضاعة أكثر من حظ من يولد لتسعة أشهر ليكون غذاؤه من اللبن عوضاً عما فاتته من الثدي بالدم في رحم امه فلا تقل مدة الحمل والفصال عن ثلاثين شهراً وهي حكمة ظاهرة فان زادت ثلاثة اشهر كان ذلك من تمام العناية بالولد . واذا جرينا على ذلك في جميع الاحكام الشرعية المتعلقة بالحمل نكون موافقين لاقوال اطباء هذا العصر واستقرائهم واختبارهم لان تحديد القرآن الحكيم لمدة الحمل والرضاعة لم يقصه من أقوالهم شي بل لا يزداد القرآن بازدياد علوم البشر الاقوة وظهورها واذا قلنا ان هذه مسألة دينية وما يتعلق منها بالمعاملات الشرعية لا يكفي فيه بظواهر الكتاب أو السنة وما يتبادر من معنى النصوص بل يجب أن يضم الى ذلك اختبار الناس وما يصلون اليه من معرفة الواقع بطريق الاستقراء والبحث ، قلنا حينئذ ان ما قاله العلماء الذين بحثوا في المسألة من قبل كالائمة الثلاثة الذين ذكرت أقوالهم في السؤال ليس نصاً دينياً يجب التمسك به وعدم اعتبار بحث غيرهم واستقرائهم بل يعمل اهل كل عصر بما يصل اليه علمهم واستقراؤهم ، وقد وقفنا على طريقة بحث الاوائل في مثل هذه المسألة وهو انهم كانوا يسألون المعاجز و يصدقونهم كما سأل عمر (رض) المعاجز الجاهليات في واقعة المرأة التي قتلت في السؤال عن الموطأ وكما كان الشافعي (رح) يسأل المعاجز عن مدة الحيض والطهر ومن الجائز أن يكذب بعضهم ويحجب بعضهم عن جهل ، وثقة بعض أئمة الفقه بما سمعه من معاجز زمانه لا يوجب أن يكون ذلك ديناً متبعا لكل من يعمل بفقهه وان ظهروا له استقراء أمم وعلم أصح

فهم ان مقاله الفقهاء غير محال عقلا ولا طبيا فاذا فرضنا ان ما قل اليهم من مكث الجنين في الرحم أربع سنين أو خمسا قد وقع شذوذا كما قل مثل ذلك الى ابن سينا فهل يصح ان يجعل قاعدة مطردة تبني عليها الأحكام الكثيرة لمجرد احتمال تصد ذلك الشذوذ الذي يسميه أهل هذا المصرفة طليعة كولادة حيوان أو إنسان برأسين ؟ أم القواعد تبني على الغالب المألوف . وما جاء على خلاف الأصل وخلاف الغالب لا يقاس عليه ؟

إذا نحن بنينا أحكام الحمل على ما صدقه بعض أولئك الفقهاء من أقوال النساء نكون قد خالفنا إطلاق القرآن وقيدناه بقيد لائحة لاحد من المتعلمين به في هذا العصر ، وخالفنا الثابت المطرد في مدة حمل المرأة وهي انها لا تكاد تبلغ سنة واحدة فضلا عن عدة سنين . وخالفنا القياس الفقهي على تقدير صدق أولئك المعاجزين أخبرين به الأئمة من ان ذلك قد وقع شذوذا فكيف اذا لم تصدقهم ، وخالفنا ما قرره أطباء هذا العصر من جمع الملل والنحل على سعة علمهم بالطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء (physiologie) واستعانهم في بحثهم واختبارهم بالآلات والجهيزات والمسابير والأشعة التي تخترق الجلد والدم فتجعل البدن شغافا يظهر ما في داخله ويرى بالعينين ، وعلى بناء علمهم على التجربة والاستقراء واستعانة بعضهم في ذلك ببعض على اختلاف الاقطار بسهولة المواصلة البريكية والبرقية ، وعلى كثرة النساء اللواتي على حرية القول وعدم الخجل من إظهار ما لم يكن يظهر أمثالهن في بلادهن أو غيرها من قبل وما لا يظهره غيرهن من سائر البلاد التي لا حرية فيها كحرية بلادهن

ثم اننا نكون مع هذه المخالفات ، اللواتي نحملها لتصديق أولئك النساء المتهمات قد تعرضنا لمفاسد كثيرة (منها) طعن الأجانب في شر يقناطنا بمبا على السلم والاختيار لاعلى التحامل والتعصب وذلك مغر عن الدخول في ديننا وما هم من ظهور حقيقته لمن لا يعرف منشأ هذه الأقوال عندنا (ومنها) تشكيك الكثير من المسلمين في حقيقة شريعتنا وكونها إلهية ، وأعني بالكثير جميع الذين يتعلمون الطب والدين يقولون على أقوال أطباء ، وخلاف هذا العصر وتطمئن قلوبهم بأقوالهم في مدة الحمل مع مخالفته لما يظنون انه هو الشريعة المقررة الثابتة بالكتاب والسنة (ومنها) إلقاء الأولاد بغير آبائهم

وهي مفصلة يترتب عليها مفاسد كثيرة في الارث والنكاح وغير ذلك
 (ومنها) انه يجزئ المرأة الفاجرة اذا طلقها زوجها أو مات عنها ان تدعي انها
 حامل منه وان الولد راقد في بطنها ويكون لديها وقت واسم تستبضع فيه ولدا من
 غيره بالزنا ثم تلحقه وتستولي على جميع ماله إن لم يكن له وارث آخراو على أكثره
 (ومنها) ان تصدق من يغيب زوجها عنها من سنة الى خمس سنين فيما تأتي به من
 ولد في هذه المدة انه منه ، والفقهاء في أمثال هذه المسألة كلام لا محل هناك كره ولا
 الإشارة اليه باحتراز أو غيره ، فمنهم من يقول ان هذه المرأة تصدق في الحاق ما تأتي
 به من ولد بزوجها الغائب وان كانت غيبته أطول من أكثر مدة الحمل مهما كانت
 المسافة بعيدة كأن تكون هي في تونس وهو في داخل بلاد الصين التي ليس فيها
 سكك حديدية وذلك الاحتمال ان تطوى له الأرض كرامة فيجبي من الصين الى
 تونس فيضامها ويعود الى مكانه في ليلة واحدة !! أكثر مثل هذا بعض الحنفية
 الذين قال بعضهم بأن مدعي طلي المسافة يكفر !

وإذا نحن نينا أحكام الحمل على الظاهر من اطلاق القرآن الحكيم المطابق للواقع
 المعروف عند كل الناس ولما يقرره الأطباء وقلنا إذا ثبت غير ذلك في حق بعض
 النساء يكون من الشاذ النادر الذي لا يبيّن عليه حكم فائنا نسلم من كل تلك المخالفات
 والمفاسد ولا نكون قد خرجنا عن هدي أئمتنا فانهم إنما كانوا يتبعون الدليل القوي اذا
 ظهر لهم ولكن التقليد المنسوي بين اليهم يفضلون العمل بما في هذه الكتب التي بين
 أيديهم مهما ترتب على ذلك فلا فائدة من مخاطبتهم بالدليل والله يقول الحق وهو
 يهدي السبيل ،

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ٣٩) من (وطي) في تلو سماوي . جنوب اسية (سمرا)

مولاي الاستاذ الحكيم .

نرى امراء واغنياء هذه البلاد الوطنيين منهم تتهاقنون تهافت الفراش على ادخال

أولادهم مدارس الحكومة لتعليمهم لغة أوربا . ولم يفكر وا يوما ان تعليم اللغة العربية من الامور المطلوبة شرعا لانها لغة القرآن . وان من المصلحين من يرى ان لا يرجع للاسلام الى مركزه الاول الا بعد تعميم هذه اللغة الشريفة بين أتباعه . واذا جئت تقول لهم ان الواجب الالهم على المسلمين القادرين إقامة مدارس عربية لتعليم أولادهم وأولاد الفقهاء المأجزين لغة القرآن قيل تعلم أي لغة كانت . قالوا ليس المطلوب شرعا هذا . وانما المطلوب هو تعلم الأولاد مايجب عليهم من مبادي الدين فقط . ١١

واستشهد بعضهم بدولة الخلافة الجديدة من انهم لم يحصل لهذه اللغة مقامها في بروجرام مدارسها واشتهر انها جعلت التركية إلزامية ثم بعض لغات أوربا كالانكليزية والفرنسية . ولو كانت دولة الخلافة مع وجود كثير من رجال الاصلاح الاسلامي في مجلسها ترى بعض مايراه رجال الاصلاح من ضرورة تعميم هذه اللغة بين المسلمين لكانت دولة الاسلام الكبرى هي القدوة للمسلمين في العمورة . فاذا تقول أيها الاستاذ في هؤلاء ؟ وهل توجد طريقة لاقتناعهم ؟ وهل عندكم علم باقرته الدولة العثمانية تجاه هذه اللغة الشريفة ؟ وهل صحيح من ان الدولة قررت جعل لغة حكاهم بلاد سورية والعرب تركية وألزمت المترافسين بذلك ؟ قادركونا بالخبر اليقين . نعم الله بوجودكم المسلمين . فتنح على أحر من الجمر والسلام .

(ج) انني أعقد منذ سنين كثيرة بعد طول البحث في حال المسلمين انهم لاحياة لهم الا بالاهتداء بالقرآن الحكيم سواء منهم من يؤثر الاستقلال في فهم الاسلام ومن يؤثر تقليد بعض الأئمة والعلماء . ذلك بأن هداية القرآن التي أنزل لاجلها ليست محصورة في الاحكام العملية التي أباح جمهور المسلمين من الخلف التقليديها بل هذه الاحكام أقلها وأدناها مرتبة فان فوقها آيات العقائد وصفات الله تعالى وسننه في خلقه وأسرار دينه ، والعبر بسيرة رسله في أممهم ، والآداب العالية ، والاخلاق الفاضلة ، وأصول الاجتماع البشري ، والسياسة ، والترغيب في رضوان الله تعالى في الدار الآخرة ، والترهيب من عقابه ، وغير ذلك من الحكم المؤثرة في النفوس ، المصلحة للقلوب ،

ولا يمكن ان يستغني المسلم عن القرآن بغيره في ذلك ، بل أقول ان تفسيره وترجمته لا يفيضان في ذلك عن تلاوته وتدبره لان لاسلوبه من التأثير في النفوس ماحير البلاء والعتلاء من المسلمين وغير المسلمين من المتقدمين والمتأخرين حتى قال فيه بعض المشركين في زمن التنزيل «ان هذا الاسحر يوشع» وقال بعض فلاسفة فرنسا المتأخرين «ان محمدا (ص) كان يقرأ القرآن في حال مؤثرة من الوله والخشوع فيجذب قلوب السامعين الى الايمان به جذبا خارقا للعادة أغناه عن جذبهم بالخوارق والآيات الكونية التي يأمثلها آمن الناس بالانبياء من قبله »

يجب على كل مسلم ان يأخذ عقيدته من القرآن أو ان تكون عقيدته مطابقة للقرآن ، ومن قال من المتكلمين ان مسائل الاعتقاد المتعلقة بالآيات مقدمة على مسائل الايمان بالوحي والرسول وما نزل اليهم من وحيهم فانما يراى اذ بهذا الترتيب ما يحتاج به على غير المتدين فمن كان لا يؤمن بوجود الله عز وجل لا يدعى أولا الى تطبيق عقيدته على القرآن أو أخذها منه فانه ليس له عقيدة ، ولما يبدأ في دعوته باثبات وجود الله وصفاته بالدلائل التي جاء بها القرآن والتي هدى اليها من حيث هي براهين لا من حيث هي وحي ، ويثني بالوحي مطلقا ويثبث بالرسول والقرآن ، ولا يراعى هذا الترتيب فيمن ينشأ على الاسلام بل يؤخذ بعقيدة القرآن من أول وهلة وقد ذهب جماهير المحققين من العلماء الى وجوب معرفة الدليل على العقيدة وامتناع التقليد فيها ، والايمان بالقرآن من أصول العقيدة ولا تكاد شيء منه كفر باجماع المسلمين ، فكيف يستغني مسلم عنهم عن معرفته ويعتمد نفسه من أهل النابل في اعتقاده ؟ ومن المعلوم في كتب العقائد أن إيمان المقلد يختلف في صحته بل قل السنوسي في الكبرى وبغيره الاجماع على عدم الاعتداد بإيمانه أي على كفره ، وبعضهم قال بصحة إيمانه اذا كان مطابقا للحق وكان هو جازما به ومن أكبر هؤلاء ابو حامد الغزالي وهو قد صرح في كتاب إلجام العوام عن علم الكلام بوجوب الايمان بصفات الله تعالى كما جاءت في القرآن وانه لا يجوز ترجمتها لان الترجمة لا يمكن أن تؤدي معنى الاصل تماما وفي الانحراف عن الاصل خطر الكفر لا خطأ المعصية فقط

انا قد أفينا في المنار من قبل بوجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم ، وقول

الغزالي هذا يؤيد قنوانا بل قال لنا أحد علماء الشافعية المدرسين في الأزهر أنه رأى نصاً للإمام الشافعي في ذلك وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وعلماءهم ومن بعدهم من الفاتحين الأمويين والعباسيين يدل على ذلك . فأنهم نشروا لغة الدين في جميع البلاد التي فتحوها مع بعدهم عن المعصية الجنسية وعدم التفاتهم إليها في معاملاتهم الاجتماعية والدولية . وجميع المجتهدين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين يجزمون بوجوب معرفة اللغة العربية لأن الاجتهاد يتوقف على ذلك كما هو مصرح به في كتب الأصول . وانا نذكر مسلمي جلاوة بالبيانات الآتية على وجوب تعلم العربية :

(١) ان القرآن هو آية الله الكبرى على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة والرسالة ، وطريق العلم الصحيح بكونه آية معجزة هو فهمه الذي يعرف به وجه إعجازه وكونه آية تشتمل على آيات كثيرة . وان جواهر علماء العقائد قد فروا ان أقوى وجوه الإعجاز فيه هي بلاغته وأسلوبه ، وهل يعرف هذا الا من يتقن العربية إيماناً ؟

(٢) ان الله قد أنزل القرآن هدى للمتقين ورحمة لقوم يؤمنون ولا يهتدي به

الا من يفهمه كما هو بديهي ولا يفهمه من لا يعرف العربية

(٣) ان الله تعالى قد حث على تدبر القرآن في آيات كثيرة « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأمل لهم » « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » ؟ ولا يمكن تدبره الا بفهم لنته

(٤) ان الله قد أوعد من يعرض عن القرآن بترك تدبره والاهتداء به أشد الوعيد كقوله « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » الخ الآيات ، ومن البديهي ان ترك تدبره والاهتداء به هو عين الاعراض عنه والهجر له الذي ينحسب ان يدخل صاحبه في زمرة من اشتكى منهم الرسول (ص) الى ربه عز وجل كما قال تعالى في سورة الفرقان « قال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وقد بالغ بعض علماء الحنفية في التوقي من الدخول في زمرة هؤلاء حتى قالوا انه يكره ان يواظب المرء على قراءة سورتي الم السجدة والانسان في صلاة فجر الجمعة لما في ذلك من هجر غيرهما من القرآن . فاذا قالوا في قراءة سورتين وردت

قراءتهما في السنة فإذا يقولون فيمن لاحظ له من فهم شيء من القرآن لعدم معرفة لفظه؟

(٥) ما تقدم شرحه في وجوب اخذ العقيدة من القرآن أو مطابقتها له على الأقل

(٦) ان الصلاة وهي عماد الدين المفروضة على كل مسلم ومسلمة لا تصح الا بقراءة

شيء من القرآن فيها وبأركان أخرى كالتكبير والتشهد كلها عربية والمقصود منها فهمها

لان فهمها هو الذي يؤثر في النفس ويذكرها بعبادة الله تعالى وعراقبته فتكون جديرة

بأن تنهاه عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الذي فرضها بقوله «ان الصلاة تمنى عن

الفحشاء والمنكر» وبأن تكون عوناً للصبر على مقاومة المصائب والنوائب كما قال تعالى

«واستعينوا بالصبر والصلاة» وبأن تحول بينه وبين الملح كما جاء في سورة الماعز

ومن لا يعرف العربية لا يستفيد من صلاته ذلك ومن لم تنه صلاته عن الفحشاء

والمنكر لم يزد من الله الا بعداً كما ورد

(٧) ان الخطب المشروعة في الاسلام من مفروضة ومسئونة كخطبة الجمعة

والعدين وعرفة كلها تؤدي باللغة العربية لغة الدين ، فمن لا يعرف العربية من

المسلمين لا يستفيد منها بل تكون هذه العبادة كسائر عباداته العربية رسوماً وتقاليد

صورية والاسلام أجل وأكبر من ذلك

(٨) ان الاسلام قد جاء بدعوة جميع البشر الى ترك الشقاق والعداوات الجنسية،

والدخول في السلم كافة ليكونوا أمة واحدة ويتآخروا في هذا الإصلاح فلا يتعصب

أحد لجنس على جنس كما ثبت في آيات واحاديث كثيرة ولا يتم هذا الارتباط

والآخي بين الداخلين في هذا السلم الا اذا كان لهم لغة واحدة يتعارفون بها وعمل

توجد لغة لهذا الجمع الكبير من الاخوة يتعارفون بها غير لغة الدين الذي يتعرفون

به الى دينهم عز وجل ويرجون رحمته ويخشون عذابه ؟؟

هذا ما نفع له الوقت القصير من البنات على وجوب تعلم المسلمين لغة دينهم

ككتبه في أحد الاندية العامة في القسطنطينية على عجل وقد قرب الوقت الذي اودعه

فيه بالبريد فاكثفي به لاشير الى شبهة ترد عليه وهي :

يشكر علينا ما تقدم بعض المتفرجين من المسلمين ، الذين غلبت في نفوسهم نزعة

الجنسية الجاهلية على نزعة الدين ، فهم يحاولون مقاومة ما يجدونه في العالم الاسلامي

من الشعور بخاطر التفريق والميل الى التعارف وإحياء ما اندوس من معالم الاسلام فيقول هؤلاء المنكرون إن الاسلام ليس له لغة فيمكن لكل جنس من الأجناس التي دخلت في الاسلام ان يترجم القرآن والأحاديث الى لغته ويستقي بها عن الأصل العربي وقد بينا في آثار من قبل ان ترجمة القرآن ترجمة تهوم مقام الأصل متفردة قلن القرآن معجزة تشتمل على معجزات كثيرة ولا يمكن ان تكون الترجمة كذلك . وان القرآن مؤثر بأسلوبه في القلوب ولا تكون الترجمة كذلك كما بينا ذلك بالإيجاز في أول هذه الفتوى وسنزيد ذلك بيانا في وقت آخر

واما زعم اولئك الجاويين أن دولة الخلافة الجديدة لم تجعل لهذه اللغة مقاما في بروجرام مدارسها الخ ما قالوه فهو زعم باطل وكذا نعتهم بـ «أطلنا» بعض الناس هنا على آخر بروجرام المدارس الاعدادية فرأينا فيه عدد الدروس العربية مساويا في بعض السنين للغة الارمن ولغة البلغار الاختياريتين، وقد اشرنا الى هذا في مقالنا « العرب والترك » الذي كتبناه ونشرناه في بعض جرائد العاصمة نصيحة لأولي الامر ثم راجعنا البروجرام كله فوجدنا ان دوروس العربية في النحو الصرف وحفظ بعض المشور والمنظوم قد قوت فيه قهرا . نعم ان ما هو مقرر غير كاف وان هذه البروجرامات والقوانين لا تنفذ كما يجب ولكن كان هذا من طبيعة الخلل الذي جرت عليه الدولة في دور الاستبداد الطويل العريض ورجوا ان يصلح الحال في دور الدستور وان كان يوجد في بعض رجال الحكومة الآن أفراد كثيرون متمصبون للجنسية التركية نصبا ضارا وهؤلاء هم الذين حاولوا جعل المرافعات في محاكم البلاد العربية بالتركية وترون بيان ذلك مفصلا في مقال « العرب والترك » من هذا الجزء، ونحن ساعون في تدارك ذلك والله الموفق

﴿ الزكاة في القراطيس المالية ﴾

(س ٤٠) من صاحب التوقيع الرزقي في (سبب برنو)

حكيم الاسلام والمسلمين ، سعد الملة والدين ، حضرة سيدي الأستاذ السيد

محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متفي بالله بعزير وجوده آمين
بعد اهدائكم عظيم تحيتي واحترامي جزاكم الله عنا جزاء موفورا وجعل سعيدكم
سعيًا مشكورًا على قنيتكم في حكم القراطيس المالية بوجوب الزكاة فيها . وهي التي
نصمت عليها وتضمنت بها غير اني أرجو من فضيلة سيدي الجواب عما سألت عنه
وهو : من أي طريق عدت هذه القراطيس من القود الذهبية ؟ واستملت حتى
أوفعه الى حضرة سيدي فوضحه لي أشكركم

وأرجو أيضا سيدي أن تنظروا الى أقوال القائلين في هذه القراطيس منهم
من قال أنها لا تجب فيها الزكاة الا زكاة التجارة وأنها كفائوس النحاس في عدم
وجوب زكاة المين فيها اه ومنهم من قال انها في حكم السندات تجب فيها الزكاة
على قدر الدرهم التي بها من فضة أو ذهب اه

فهل هذان القولان لها وجه صحيح أم لا ؟ فضلوا سيدي بزيادة الايضاح في
هذه المسألة حتى لا أعيد ذكرها بعد . ولكم من الله جزيل الاجر ومنى جميل
الحمد والشكر ملتبس الدعاء

م . ب .

(ج) ان هذه القراطيس لا يفرق بينها وبين نقد الذهب أحد من المالين
كما هو معروف للمتاملين بها وهناك اوراق أخرى تسمى سندات مالية تؤخذ في
مقابلة حصص معينة بالسهم من شركة مالية وهي أشبه بعروض التجارة لاف عنها
يزيد في السوق وينقص وتباع كذلك وتشترى ولكنها لا قيمة لها في ذاتها
وقد بقي بعض الفقهاء في المسائل المالية المستحدثة في هذا الزمن وهو على غير
هيئة من انواعها وعرف الناس فيها ومن كان عارفا منهم بذلك يقيس عرف
الحادث على ما يراه اشبه به في عرف سابق مما تكلم عنه الفقهاء فبعضهم يرجع في
ذلك جانب المعنى أو المقصد ومنهم من يرجع جانب اللفظ أو الصورة فن قال ان
القراطيس المالية التي تدعى « بنك نوت » ويطلق عليها بعض العرب لفظ « الانواط »
هي من عروض التجارة وجعل التعامل بها كبيع المرض بمثل أو بالنقد فقد بالغ في
الوقوف عند ظاهر الصورة ، فالعروض قيمها ذاتية وهذه لا قيمة لها في ذاتها ومن

قال انها في حكم السندات والسفاح داعى الصورة ايضا من جهة. والمعنى من أخرى ووجه قوله انها اوراق تؤخذ في مقابلة نقد ويسترجع مثل ذلك النقد باعادتها ، وفصل عن الفرق الكبير بينها وبين السندات بالمعنى الفقهي وهو ان السند يكون بدين على شخص معين وهذه القراطيس تروج في الاسواق المالية فيستعير بها من كل احد كالقدين بلا فرق . . .

هذان القولان يمتقان مع قولنا في غايته من حيث الزكاة إلا عند من يقول ان الدين لازكاة فيه قبل قبضه ويترب على الخلاف من المسائل المهمة ان جعل القراطيس المالية كالقدين يقتضي وقوع الربا فيها وهو ما يهزم به ومن قال إنها عروض تجارة منع الربا فيها وحينئذ يسهل على كل أحد أن يأكل الربا أضافا مضاعفة بهذه الأوراق التي لا فرق بينها وبين الذهب عند أحد من المالين ، وكذلك القول بانها في حكم السندات قد يكون موصلا لا كل الربا ولمنع الزكاة ولا حاجة الى تفصيل فننظر الى حقيقة المسألة في الواقع واحتاط لدينه اخذ بما قلناه والسلام

﴿ الاحاديث الموضوعة في كتاب الاحياء وروايتها ﴾

(ص ٤٩) ومنه أيضا

حضرة العلامة المفضل سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء متفني الله بعزيز وجوده آمين

بعد اهداء أركى السلام والتحيات العظام: تعجب بعض الافاضل بما ذكر في كتاب أسنى المطالب ونصه « اعلم ان كتاب الاحياء لسيدنا الغزالي مع جلالة قدره وعلمه مرقته ورسومه قدمه في العلم لا يعتمد عليه في الحديث لذكوره في كتابه المذكور جملة من الاحاديث الموضوعة » اهـ (ص ٢٦٨) فهل يتصور أن حجة الاسلام شهن كتابه الجليل بالموضوعات ؟ خصوصا وقد زينت مجلة المنار بترجمة صاحب ذلك الكتاب وقد قلمت : وانما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في

المنار — الى قولكم — ولعل ذلك يكون مشوقا لهم (أي طلاب العلوم والازهرين) الى مطالعة الاحياء وغيره من كتبه (٨٥١ — ١٥ ص ٥٩٥)

وعليه فبل يجوز لمن لا يتميز له الصحيح من الضيف أو نحوه رواية أو قراءة ما فيه من الاحاديث احتياطا أم لا ؟ تفضلا سيدي ببيان الحق لتلا نكون في ريب مما أتى به حجة الاسلام من أحاديث سيد الانام لا زلتم في اجلال واكرام (ج) ان مقاله صاحب كتاب أسنى المطالب حق وسند ك ذلك في ترجمته التي تشرها في المنار فان لها قيمة صالحة ، وان أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى لم يكن في أول امره برواية الحديث وحفظه وكذلك كان الكثيرون من الفقهاء والمتكلمين والصوفية ولا سيما في عصره وبعد عصره ، وانما غني بالحديث في آخر عمره . وقد جمع التاج السبكي في ترجمته هذه الاحاديث المطعون في روايتها في عدة صحائف من طبقات الشافعية الكبرى ووضع الحافظ العراقي كتابا خاصا في تخرج أحاديث الاحياء هو الذي اعتمد عليه الزبيدي في شرحه للاحياء وزاد عليه مباحث وفوائد واذا كان الامر كذلك فلا يجوز لغير العارف بالحديث المطلع على تخرج تلك الاحاديث ان يعتمد عليها في الاستدلال أو يجزم برفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما اسنده الغزالي الى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتبرة وهو يفعل ذلك كثيرا في مقام الاحتجاج والاستدلال بهزو الحديث الى الصحيحين أو كتب السنن ، واكثر ما فيه من الاحاديث الضعيفة والموضوعة قد ذكر في مقام الترغيب في العبادات والفضائل (كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان) أو الترهيب والتنفير عن المعاصي والردائل ، وهم يتساهلون في مثل هذا المقام بتأييد كلامهم بالروايات الضعيفة على ما في ذلك من الخلاف والتفصيل في شروط جوازه عند من أجازوه . وحاش للغزالي من تعمد ايراد الموضوعات وانما قل ما قلته منها من الكتب التي أحسن الظن بموثوقيتها كقوت القلوب لأبي طالب المكي فمظم الاخبار والآثار الضعيفة والمنكرة والموضوعة في كتاب الاحياء منقولة من ذلك الكتاب

العرب والترك (*)

٤

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قد انشق ليل الاستبداد عن صبح الدستور والعثمانيون الذين في بلادهم نيام يفتلون : بعضهم يرى احلاما مخيفة ، وبعضهم يرى احلاما سخيطة ، والذين في بلاد الحرية قيام يرقون : بعضهم يتطل بالآمال القوية ، وبعضهم يلهو بالاماني الضعيفة ، فاستيقظ بصوت مؤذنه النائمون ، وحمد غيب سُرَاهم المجدُّون ، وعاود الرجاء نفوس اليائسين ، وغادر العداء قلوب المتدابرين ، وواقبل المسلم بوجهه على النصراني ، والركي على الارمني ، وعانق الشيوخ القسوس ، وصافحت الشعوب الشعوب ، واذن مؤذن ينهم (عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام)

هكذا كان العثمانيون في نشوة من السرور العام ، الذي كاد يكون من اضغاث الاحلام ، او من خوارق العادات ، بعد انتهاء زمن المعجزات ، لتأليف الدستور بين الشعوب الكثيرة المختلفة في الاديان والمذاهب والمشارب والعادات واللغات والبقاع والتربية والتعليم ، وهي ضروب من الاختلاف لم تعهد في أمة ولا مملكة ، وبعضها كافٍ لاستمرار الاختلاف والافراق ، ومنع الاتحاد والامتاق ، وانهم لكفلك واذا نبأة من بعض الترك بمصر ، ونبأت من كتابهم بالاستانة ، قد اجفلت الواعيني الساكنين ، وروعت الاثمين المستبشرين ،

كتب أحد شبان الترك المقيمين في القطر المصري مقالات في جريدة الاهرام

(*) تابع لنا نشر في دس ٨١٨ ج ١١ ، من هذا المجلد

(المجلد الثاني عشر)

(١١٥)

(الناج ١٢)

يفخر فيها العرب بقومه وجنسه معبرا عنهم بالملّة المالكة، متبجحا زعمه أنهم هم وحدهم الذين أزالوا الحكومة الاستبدادية، وأدالوا منها الدستور والحرية، وأنهم هم وحدهم الذين لهم الحق بالتمتع بثمرات الدستور الكاملة، وليس للعرب ولا لغيرهم من الاجناس ان يطعموا في مساكنهم في مناصب الدولة وأعمالها لأن ولاياتهم مستعمرات أو مستملكات للترك ! فيجب ان يكون قصارى حظ العرب من الدستور ان يستريحوا من اعباء الظلم ويتذوقوا طعم العدل فيكونوا من الترك كأهل الجزائر من فرنسا أو أهل الهند من انكلترا !!

هذه المعاني العالية كانت تصيح سامع العرب أحيانا في عصر الاستبداد، وقلا كانت تكتب ولا سببا في مثل مصر التي هي أرقى من جميع الولايات التركية علما وعملا وثروة وحرية، وفيها الاقلام المرفهة، والالسنه الذلقة، والقلوب الجريئة، نعم كانت كتبت منذ بضع سنين في جريدة «ترك» التي كانت تصدر في القاهرة محررة بأقلام نفر من اذكاء الترك كهلي كال بك وجلال الدين بك عارف - أسرفت تلك الجريدة في الفخر بجنس الترك معبرة عنهم بالملّة المالكة وحققت العرب في سياق الكلام عن مرا كش ونصبت الميزان للترجيح بين الترك والعرب واختلفا العربية فجعلت العرب كلهم بمنزلة قبائل المغرب الاقصى وفاخرتهم بالترك في مدارسهم ودواوينهم وقصورهم وجيوشهم وملأت مواضعها بالفخر والتبجح ناسية ما يكتب فيها وفي غيرها من الجرائد الضمانية في البلاد الحرة في وصف مظالم خليفتهم عبد الحميد خان وافساده للمملكة وتخريبه للولايات التركية والمصرية والكردية والابانية والرومية ومنعه للعلم وعيشه حتى في الجبلش وفرا كتاب جريدة «ترك» وغيرهم من ظلمه الى مصر العربية. ولا أقول ان كاتب تلك التبجحات الفئة الباردة نسي عدل الخلفاء الراشدين وعلم الباسيين في الشرق والامويين في الغرب بل أقول انه عي عن البلاد التي اوى اليها والمدينة التي يطعم جريدته فيها وهو يرى العرب فيها أرقى من قومه علما وثروة ومدينة. ولكنني ذكرت تلك الجريدة يومئذ بخطأها في تحريك العصبية الجنسية التي أماتها الاسلام ووجوب اتحاد العرب والترك وضرر تفرقهم باختلاف الجنس. وبأن العرب اذا فخروا أي جنس بجنسهم فانهم يفخرونه ويبذونه :

هم الأولى ان فاحروا قال الملا بفي امرى فاحركم عنى الثرى
 هم الأولى جوهرهم اذا اعتزوا من جوهر منه النبي المصطفى
 وانما كتبت ذلك الرد في النار على جريدة ترك ثلاثين يوما السكوت عنها بالنادي
 في ذلك التبجح الذي يولد الأضعاف ويؤثر الاحقاد وبشر المصريين وغيرهم
 من الدولة العلية ، وفتح في المسلمين باب الشقاق باختلاف الجنسية ، ولكن كتاب
 تلك الجريدة صاحوا بعد ردي صيحة أخرى ثم خفت صوتهم لاني لم أشأ أن تستمر
 المناظرة في ذلك . ثم قام أحدهم جلال الدين بك عارف يوم احتفالا باعلان الدستور
 خطيبا فقال : اننا اليوم قد تازانا عن كلمة « ترك » وهي محبوبة لنا فكنا عثمانيون
 لافرق عندنا بين الترك والعرب والروم والارمن وغيرهم ، فصمقت الجماهير المختلفة
 لقوله هذا تصفيقا وكذلك قال غيره من سائر الخطباء العثمانيين ونادى لسان الحال
 والمقال الدستور يجب ماقبله كما ورد في الحديث الشريف « الاسلام يجب ماقبله »
 فلما انبرى ذلك الكاتب التركي بعد ذلك لكتابة ما ذكرنا تذكر الناس ما كان
 كتب من قبل وما كان يقال ، وأقبل العثمانيون بعضهم على بعض يساءلون : قال
 أكثر من واحد منهم ان القوم لا يتركون ما يافون وانهم سيستبدون بمجتمعين كما
 استبد آحادهم (كعب الحميد) منفردين ، وربما كان استبداد الجماعة أشد وأبقى من
 استبداد الواحد . وقال الاكثرون : إن هذا إلا شاب ضرور لا يزال جذعا في
 السياسة وان القرح والبرز من ساسة الترك المحنكين لا يقولون بقوله ، ولا يدنون
 برأيه ، ولكن لم يلبثوا ان سمعوا تلك النباآت الأخرى من جرائد العاصمة (الآستانة)
 ورأوا اعمالا من الحكومة الجديدة استدلو بها على التحامل على العرب وهضم حق
 العربية فغرت القلوب وساءت الظنون

قامت بعض جرائد الآستانة تضرب على نفمة التغاير بين الترك والعرب وتلفظ
 بتلك الكلمات المنفرة « ملة مالكة ، مستملكات ، استقلال العرب ، الخلافة العربية ،
 بنص العرب للترك ، فضل الترك على العرب ، عجز العرب عن تدوين لغتهم » ونشر
 الاسلام خارج جزيرتهم ، - الى غير ذلك من الكلم الدال على الجهل بالتاريخ أو
 تصد العتب به فيما يضر ولا ينفع . وكان من أشهر هذه المباحث التي حركت التغاير

وأحدثت التنافر، ما نشر في جريدة (أقدام) من اقتراح تقيّة اللغة التركية من الألفاظ العربية، وما أودعه بعض الكتاب في مقالات نشرت فيها عن السنوسية ومنها طعن بعض الجرائد في المصريين وفي الدمشقيين خاصة، وأهل هذين المصرين هم اعظم العرب حضارة وأوسعهم مدنية وفيهما السراة والآلة والعلماء والكتاب

رب قول يصدر عن حسن نية ويكون جديرا بأن يحترم وإن كان خطأ يحدث من الأثر السيء ما لم يكن يراد به، ويتفاهم ذلك بمقتضى الحال وطبيعة الزمان، وطريقة الأداء والتعبير، وكذلك كان حظ اقتراح صاحب (أقدام) بدعواه في تقيّة التركية من الألفاظ العربية - يقول هو إن هذا بحث في محض وإن الفرض منه الاستغناء عن الألفاظ العربية التي يوجد في التركية ما يفهم مقامها، ولكن لماذا طلب هذا المصلح اللغوي تطهير لفته من العربية دون الفارسية والفرنسية؟ وقل إن هذه فلسفة مبسرة كان يجب عدم الخوض فيها الآن وإن الكلام عندما ينقل من لغة إلى أخرى ويتحدث به الخاص والعام يعرض له التحريف والتبديل ويضم بحسب الحال القابلة لقدشاع في بلاد سورية ومصر وغيرها من البلاد أن بعض كتاب الترك يدعون قومهم إلى الابتعاد عن العرب حتى في ترك الألفاظ العربية المستعملة في لغتهم وأنهم يسبرون عن ذلك بلفظ التطهير كأنهم يرون اللغة العربية نجسة قد نذست بها التركية!! وانتقل بعض الناس من المألوم إلى اللازم فقالوا إن هذا الكلام يحدث طعنا في كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وإن هذه الدعوى قد تكون مقدمة لدعوة أخرى تترتب عليها إذا أجيبت وعمل بها وهي الدعوة إلى الارتداد عن دين الإسلام لأن أصله وأساسه من الكتاب العزيز والسنة السنية، وإنما هما باللغة العربية، والرسول الذي جاء به عربي (صلى الله عليه وسلم)

إلى هذا الحد البعيد وصل سوء تأثير ذلك الاقتراح التي نشره في هذا الوقت النحيف (أو النازك كما قول الترك) الذي يجرحه مر التسميم، ويدميه لس الحويز، وقد ردت بعض الجرائد العربية على هذا الرأي فعرفه الناس وعدوه ذنبا للترك ولم يعلم السواد الأعظم منهم أن من كتاب الترك أنفسهم من رد على مقترحه بأوسع مما رد به كتاب العرب

وقد سمع أيضا من جريدة طينين كلام في غصص العرب لم يكن كهلين الذباب

فيناسب اسم الجريدة بل كان كدوي المدافع وقصف العود لا شتار هذه الجريدة بأنها لسان جهة الاتحاد والترقي ومظهر سياستها ومكان الجمعية من سياسة الدولة معروف ولا سيما في أوائل العهد بالانقلاب — فهذا من الأسباب القولية في سوء التفاهم والتناحر بين الترك والعرب الذي نجم قرنه بعد الدستور فزول الآمال الجميلة وأساء تغيير الاحلام اللذيذة ، وقد سمع شيء منها من بعض رجال الحكومة الدستورية كهلن سليمان بك نظيف والي البصرة في الحزب الوطني المصري وهو في مصر اثناء دروده بها في سفره الى البصرة وقد اشتهر هذا لرد جريدة اللواء عليه ولكنه قال قولاً آخر شراً منه وأسوأ تأويلاً : قال في سياق الكلام على الفن التي تحدث في جزيرة العرب ما آله : ان الدولة مستعدة لسحق أولئك العرب بالقوة القاهرة فان عندها سبعة فيالق من الابطال !!! فهل يصح أن يقال مثل هذا القول بمصر أو بمصر مصر ؟ وهل تدرب الدولة الجند من ابناء الامة لاجل سحقها وتدميرها ؟ أم لاجل حمايتها وتعزيزها ؟ أما كان ينبغي له أن يقول ان أولئك العرب بان وغيرهم كانوا مرهقين بالظلم وسوء الادارة وسنبرهم العدل والنظام فنجعلهم بذلك يقانون في حب الدولة وطاعة الحكومة ؟؟

ومن أسباب سوء التفاهم ان كثيراً من احرار العرب الذين جاهدوا في سبيل الدستور حق الجهاد (ومنهم من هو معروف الاسم أو الشخص عند اكثر احرار الترك) وكثيرا من الفضلاء والكتاب الذين اظهروا الاحتفال بالدستور بخطبهم ومقالاتهم جاؤا الاستانة زائرين ومختبرين ، واكثرهم كانوا ممنوعين منها ومحرومين ، فلم يعبأ بهم احرار الترك ولا رأوا منهم عواطف الاخاء كما رأى الارمن مثلاً ، وأما الأسباب المتعلقة بالحكومة العاصمة فتها اسرافها في عزل ابناء العرب من وظائفهم حتى انها عزلت في وقت قصير زهاء بضعة عشر متصرفاً منهم ، ومنها بخلها بالوظائف على طلابها منهم وجودها بها على غيرهم من العناصر الاخرى ، ومنها تسهيلها بأمر تشريع يعتمد اضافة اللغة العربية كجعل المرافعات في محاكم الولايات العربية باللغة التركية مع علمها بأن الناس يجولونها في الغالب حتى وكلاء الدعاوي (المحامين) — وكجعل الكشوف (البيانامه) التي يقدمها التجار من ابناء العرب

في بلادهم الى ادارة المكس (الجرك) باللغة التركية أو الفرنسية مع تفسر ذلك أو
تعدوه عليهم واقتضائه نفقات كانوا في غنى عن بذلها — وكهدم قبول عراض
الشكوى بالعربية حتى في مجلس الامة مع ان المشتكين من الامة وهي ذات لغات
متعددة العربية منها مكانة خاصة من حيث هي لغة الدين الرسمي الذي يكفله
مقام الخلافة كما سنين ذلك بعد

ومنها ما يتعلق بنظارة المعاوف خاصة كالفاء الدروس العربية من المكتب
الملكي في العام الماضي (ولكنهم أعادوها في هذا العام) وكجعل العربية في المدارس
الاعدادية اختيارية كاللغة الارمنية واللغة الرومية وعدد دروسها كعدد دروسها مع
كون العربية اصلا من اصول اللغة الرسمية يحتاج اليها في اقلها أكثر ما يحتاج الى
اللغة اللاتينية لانها الفرنسية ، وكونها ينطق بها أكثر العناصر العثمانية عددا وأقلهم
لها معرفة ، وكونها لغة الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للدولة — وكارسال
النظارة خمسة وسبعين تلميذا من مكاتبها الى أوربا لتحصيل العلوم العالية ليس فيهم
غير اثنين من ابناء العرب — وكارسالها معلمين من الترك الى مدارس البلاد العربية
لأجل تعليم العربية نفسها وهم يجهلون — وكتعصب بعض المعلمين في المكاتب
العالية على ابناء العرب واسماهم ما يجرح عواطفهم حتى في الدروس
ومنها ما يتعلق بنظارة الحربية كاستحضارها الضباط ولا سيما اركان الحرب
منهم من الولايات العربية الى سلانيك والآنسة ثم تفرقهم في البلاد التركية —
وكأخراجها بعض التلاميذ العرب من المكتب الحربي حتى بصورة اداوية كأشيع
في مصر وغيرها . ولعل الشبهة أو الشبه المتعلقة بنظارة الحربية اضعف من الشبه
المتعلقة بغيرها ولا أرى شيطان التفرق بين الضميرين يقبل وسواسه فيها فالحرية
في دولتنا هي أرق ما فيها فنسأل الله تعالى لها ولسائر النظارات اكل التوفيق
وأتم النظام

ومنها ما يتعلق بمجلس الاعيان فقد كان ينتظر أن يكون فيه اعضاء من العرب
ولو بعدد ولايتهم ان لم تقل بحسب عدد نفوسهم ولكن ذلك لم يكن
ومنها ما يتعلق بمجلس المبعوثين وهو المظهر الاكمل للمساواة والاخاء ولكن

اخباره في السنة الماضية لم تكن تدل على ما نحب من توثيق الرابطة بين العرب والترك كسائر العناصر بل وجد العرب امورا متقدمة ، ووجوها متجبهة ، وسمعوا من بعض اخوانهم كلاما لا نحب أن يكتب ويطعم ونرجو أن يكون هذا العام خيرا من سابقه وأن يكون مجلسنا وسائر امورنا العامة في ارتقاء دائم بالاخاء الصحيح والمساواة مع الاخلاص بسعي الفضلاء محيي الوقاق من النصيرين وسائر العناصر تلك كليات من اسباب ما سميناه سوء التفاهم بين الترك والعرب وفي ضمن

تلك الكليات جزئيات كثيرة

لا أقول ان كل ما روي من ذلك صحيح المتن والسند ، ولا أقول ان ما صح منها كان بسوء النية وتعمد هضم حقوق العرب ، ولكنتي لا أستطيع أن أنكر قول من يقول انها في مجموعها تفيد التواتر المعنوي الدال على انه يوجد في رجال الدولة ورجال الصحافة التركية أناس يسيئون الظن بالعرب ولا يعطونهم حقوقهم ولا يعرفون قيمة اتحادهم بالترك واتحاد الترك بهم ، وانه تتوقف عليه حياة الدولة العثمانية وبقاؤها وان هذا الاتحاد يقتضيه طبيعة النصيرين الاجتماعية وان دار اختلافه والسلطنة هي الآلة التي يكون بها التركيب والتحليل ، وان الكيماويين الاجتماعيين الذين يحركون هذه الآلة هم رجال الحكومة ورجال الصحافة ، وانه يجب في هذا الدور - دور الانقلاب والتحول من الاستبداد الى الدستور - أن يؤخذ على أيدي المحالين بسوء القصد أو بسوء الفهم حتى لا ينقل عن العاصمة الا ما يدل على ارادة المزج والتركيب والاعتصام والتأليف . ولكن وجود هؤلاء الجاهلين بهذه الحقائق والمسيئين الى العرب بأقوالهم وأفعالهم لا ينافي كون النصير التركي أخا للنصير العربي ومحبا له كما يحبه هو ، ولذلك قلنا فيما سبق من نُبذ مقالنا هذا ان التفاهم والتناظر محصور بين المتزاحمين على اعمال الدولة ومناصبها وبين رجال الصحافة وحمله الاعلام وسأبين طريقة تداركه مع حفظ حرية الصحافة وتنفيذ قوانين الحكومة ولو بترجيح الترك في المناصب ترجيحا مقرونا بالحكمة والدوق

ان ما أشرت اليه من اسباب سوء التفاهم قد سرى في أكثر البلاد العربية ولا سيما أرقاها وهي المصرية والسورية بسرعة الكهرباء وكثر حديث الناس فيه

وخاضت فيه الجرائد ولها المذر وتبارت فيه اقلام الكتاب والشعراء فيجب تطاوله
 قبل أن يتم نشره فيصل الى سائر البلاد والبادي وقيل أن تضعف حجة امثلا من
 يحيى الرفاق والساحين في الاتحاد الذين اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في الاعتناء
 عن الحكومة ، وما كل عذر يقبل ولا سبيل الى ايصال الاعذار الى الملايين
 اذا قلنا ان الحكومة عزلت الجرم الصغير من عملها العرب لانها تظن انهم من
 صنائع أبي الهدي وعزت العابد يقال لنا ولماذا لم تعزل جميع رجال الدين السابق وهم
 صنائع عبد الحميد وبقية رجاله من الترك وقد ثبت بالبيان والبرهان انهم خربوا
 المملكة لان العمل كان في أيديهم ؟! وم سألنا وسأل غيرنا من الناس : ماذا ثبت على
 أبي الهدي وعزت العابد من الحياقات والأعمال المخربة للدولة ؟ أما أنا فلا أعرف لما
 ذنبا خاصا وراء تهمه عبد الحميد بهما وما نالها من مال وجاه الا أن الاول آذاني
 وآذى اهل بيتي بسعته او سعاقته والثاني اذا كان لم يوافق على ذلك فانه لم يمارض
 فيه ، فانا على عدم حمدي لاحد منهما وعدم دفاعي عنهما لا أرى من العدل عزل
 كل من نال عملا في الحكومة بجاهها ، وأعلم ان كثيرا من عزل من العرب لم يكن
 له صلة باحد منهما ، وان بعض المتممين اليهما لا يزالون في اعمالهم . وانما اعذر
 الحكومة بعض المذر بأن كثارها من عزل العرب وغيرهم كان من بعض الاضطراب
 الذي جاءت به طبيعة الاقلاب ، وقد آن أن أبين شيئا من ضرر التافه ، وطريقة
 ازالة سوء التفاهم ، وقطع عروق التقاطع والتدابير ، وهو موضوع البندين التاليين

٥

ما كاد ليل الاستبداد ينجلي بصبح الدستور ، وتقفى أيام الاحتفال بعيد في
 فرح وسرور ، الا وبادر كاتب هذا المقال الى زيارة القطر السوري زائرا ومختبرا
 للبلاد التي نشأ فيها وحجبه الظلم الحميدي عنها احدى عشرة سنة ، فطفت المعاهد
 وبلوت الافكار والسرائر ، فما رأيت فيما رأيت للزرعة الجنسية العربية حركة ، ولا
 سمعت فيما سمعت لها دعوة ، اللهم الا تلميذا داعية الجمعية العربية النماية ، منكمسا
 عن الاستانة المالية ، لم يفهم منه معنى التفرقة ، ولم تشد من الجمهور فيه الرغبة ، وكنت

مم هذا انفر الناس عن هذه الجمعية، وأنشأهم من تسميتها بالعربية، لئلا يفهم منها إخواننا الترك معنى المصيبة الجنسية. بل أقول طالبا السماح والعون من مؤسسيها أنني لم أكن أحسن الظن فيهم، ولا أبرهم من الأغراض الشخصية. دون الجنسية. في عملهم،

وكنيت أقول في خطبي ودروسي في البلاد انه يجب على كل بلد أو ولاية عثمانية أن تُعنى بترقية نفسها بالعلم والثروة، لتكون عضوا قويا بنية الأمة، وعددًا عظيمًا لتعزيز الدولة، لا لأجل أفراد أهلها بأنفسهم، أو اجتماعهم بأبناء جنسهم، (أي الجنسية اللغوية لا السياسية) فان الأمم المستقلة في أحكامها المختلفة في لغاتها ومذاهبها ومواقفها، يتحد بعضها ببعض ليقوى الجميع بالخلافة، فكيف تصعب الشعوب العثمانية نفسها وهي أمة واحدة. بالفرق والخلافة؟ نعم ان على العرب ان يحبوا لفهم، وان يطالبوا الدولة بمساعدتهم، لان لفهم في الدرجة العليا من الارتقاء، ولها في العلوم والآداب أفضل ثراث، وهي لغة الاسلام، التي يتدارسها المسلمون من جميع الشعوب والاقوام، فهي رابطة الاخاء والمودة المعنوية، بين الملايين المذبحين للديانة والخلافة الاسلامية، بترقية هذه اللغة خدمة للدولة الطيبة وترقية لها. فكنت أرى الجماهير يقبلون كلامي بقبول حسن وما كنت أرى أحدا يمارضني يوم الفصل بين الترك والعرب،

هذا ما كانت عليه البلاد في العام الماضي وكانت قد نجحت قرون الخلاف ولكن لم يشعر بها الجمهور فلا كثرت وكبرت كما يننا في النبعة الرابعة تنكر الناس في سورية ومصر وخاضت في المسألة الجرائد العربية حتى في أمريكا وتجاوزت فيها قرائح الشعراء وتجاوزت فيها الاصوات، حتى عمت البلاد والجهات، فاهتزت بذلك النعرة العربية اهتزازا شديدا، وصيغتها بعضهم بصيغة الدين فكان تأييدها عظيما، ومن الحائلي التي نظمها الشعراء وخطب بها الخطباء ونشرت في الجرائد المصرية: ان الترك جاوروا على لغة القرآن وعدوهما من النجاسات! فافطرت القلوب، وقاضت العيون، وضج البيت والحرم، وكاد الركن يتحطم، وشكا القهر المظم، وغضب الرب عز وجل،...

فهل تظن حكومتنا العليا ، وأصحاب الجرائد التركية في عاصمتنا ، ان هذه القارة الشمواء هبن أمرها خفيف وزرها ، مأمونة عواقبها ، اذا ألقي حبلا على غاربها ؟ كلا ان من عرف حقيقتها ، وتفكر في عواقبها ، يعلم ان الامر إذ ، والخطب جد ، وأنه يجب اخذه برؤيانه ، وتداركه في لبائنه ، قبل ان يستقر في نفوس العامة ، وتنتسج به الحاضرة والبادية

ان لهذا العاجز على ضعفه صوتا مسموعا في البلاد العربية ، وفي غيرها من البلاد الاسلامية ، وقد دافع بقدر طاقته ، عن الدستور والقائمين به ، حتى أزال كثيرا من شبهات المشتبهين ، ومكّن الثقة في نفوس الجماهير من المتزلزلين ، وهو على ذلك وعلى حرصه على الاتحاد والاعتصام بين جميع العناصر العثمانية لم يستطع ان يقف في مجرى التيار الذي حركه تلك الاقوال والافعال التي أشرنا اليها في نفوس العرب كما وقف في مجرى التيار الذي حركه خلع عبد الحيد في بلاد الهند وفي غيرها من البلاد ، بل رأيت ان هذا التيار قد تدفق من (الدرديبل) فلا بد من السعي الى قطعه من هناك ، فكان أحد باعثن بشائي على ترك عملي بمصر في مثل هذا الوقت ، وتيممي عاصمة الملك كما سبق القول ، (وأما الباعث الآخر فسأبينه في مقال آخر انشره في بعض الصحف التركية ان شاء الله تعالى)

أحمد الله ان كانت هذه الحركة محصورة في دائرة الخيرة على اللغة العربية والمزاوجة في الوظائف والمناصب ، وصفوف المدارس والمكاتب ، وأنها لم تعد الى مقام الخلافة ، ولا الى اساس الحكم والسلطة ، ولم يجر على لسان متقد ولا خطيب ولا من قلم كاتب ولا شاعر دعوة الى الانفصال من الترك ، أو الاستقلال في الحكم ، ولهذا كان التدارك سهلا ، وحسن التفاهم ميسورا ،

مارأيت خطأ بعيدا عن السياسة المثلى خارجا عن قواعد علم الاجتماع ، مثل خطأ رجال السياسة في الاستانة الذين يلغطون في الجرائد بكرد استقلال العرب والدولة العربية والخلافة العربية ، يتهمون العرب بطلب ذلك و يعدونه جهلا منهم لانه محال لتوقفه على المحال وهو اتفاق زعماء جزيرة العرب وشرفائها من جهة وعلى مساعدة أوربا

من جهة أخرى ، وما كان خطأ الحكومة في الاصفاء الى الواشي والتنصيق في مسألة الشام في هذا العام الا كخطأ الجرائد أو أشد

ذلك بأن هذه الاقوال والاعمال هي التي تشغل الافكار بما كانت خالية منه ، ويخشى ان توجه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ، وتعدها لما لم تكن مستعدة له ، ألم تر أن علماء التربية يجرمون ذكر الالفاظ التي تدل على الرذائل وتثير كوامن الشهوات لتلا يدعو الفكر فيها الى الاقدام عليها ، حتى ان بعض الاوربيين حذفوا من مطابع اللغة ولا سيما التي يراجع فيها التلاميذ مثل لفظ الخيانة والسرقة كما اجمعوا على حذف الفاظ الرفث ، وعلى هذه القاعدة جرى عبد الحميد في منع الجرائد من كثير من الالفاظ التي توجه النفوس الى ما يراه مخالفا لسياسته ، ولا يميز للحكومة الدستورية ان نحذو حذوه ولكن يجب عليها أن لا تكون هي المثيرة لتلك الافكار الضارة كما يجب مثل ذلك على الجرائد من غير ان يمنحها منه القانون . فهذا هو مدرك قولي في النبة الاولى من هذا المقال اني لم أذكر مسألة اقتراح شيخ لحج على امراء العرب في المنار ولا في غيره من المصحف « لا اعتقادي انه لا ضرر فيها وإنما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها » لما سأينيه بعد » وهذا بيانه :

ان عظمة الدولة العثمانية وعزتها وسائر ما يرجى لها في مستقبلها الدستوري توقف على العنصر العربي ، لا يتوقف على عنصر آخر من العناصر التي تطلب اتحادها كلها حتى التركي منها فان البلاد العربية المحضة أوسع من البلاد التركية المحضة مساحة وأعز ثروة وأحسن موقعا وأشرف بقعة من حيث هي مبط الوحى ومثابة الامم الاسلامية والنصرانية تهوي الى زيارتها من كل فج عميق . وأهلها أقدر على الزراعة والصناعة والتجارة فمن تجارهم في الصين والهند وجاوة واستراليا وأمر يكامن يملكون الملايين . وأما ذكاوتهم واستعدادهم العلم فهو اشهر من ان يوصف . وأما القوة الحربية فيمكن للدولة ان تجند منهم مليوناً أو أكثر من أشجع خلق الله وأصبرهم على القتال ناهيك بفرسان العرب وخيولهم اذا تدرى على الفنون العسكرية الحديثة ، وهل تكون الدولة بأمن من مطامع أوروبا في العراق اذا أصلحت أرض الجزيرة (بين

التبرين) الا بتجديد أولئك الاسود الذين يهابهم الموت ولا يهابونه، ولا يحتاج الدولة الى نفقة كبيرة في تجهيزهم عند الحاجة؟

إن قوام الدول وعظمتها في هذا العصر على مقدار ثروتها، وانما ثروتها مستمدة من الامة وان أرحى عناصر الامة العثمانية ثروتها هو العنصر العربي وان ما بين النهرين (دجلة والفرات) من بلادها هو أغصب البقاع تربة وأوفرها غلة حتى قال هيرودتس شيخ المؤرخين انها كانت توفى غلاتها مضاعفة من مئة ضعف الى مئتي ضعف ثم كانت بعدة هي بنوع ثروة الدولة العباسية، ولا يكون اشتغالها وحفظها للدولة في هذا العصر الا بالعرب وان شاركهم غيرهم في اصلاحها وثمرتها

مركز الدولة في أوروبا محفوف بالمشاكل والاضطرابات، مضطرب بالمطامع والغنم، ومركزها في الاناضول عرضة للغنم أيضا فليس في ولاياتها الهدأ من الولايات العربية الحضرية كيروت وفلسطين والشام وحلب، واما ما كان يجري في الولايات التي تغلب عليها البدوة كالعين فسيبه سوء الادارة وفساد السياسة التي كانت عليها الدولة الى آخر يوم من أيام الاستبداد ولما اتصلح الحكومة الدستورية من ذلك الفساد شيئا بل لم تق أسباب سوء التفاهم الذي نشر أسبابه في ظل الحرية بسرعة البرق، فعليها ان تدبر وتعلم علم اليقين انه لم يجر الى هذا اليوم شيء من السعي ولا من التدبير لانفصال العرب من الترك ولم يمل الى ذلك أحد من المشتغلين بالسياسة العامة من العرب وانه لا يوجد سبب من الاسباب يوجههم الى هذا الا هضم اخوانهم في العاصمة لحقوقهم وأهمها الثغالي عليهم بالجنسية التركية، والتقصير في حفظ لغتهم العربية،

سوء التفاهم محصور الآن في هذين الأمرين : تعالى التركي على العربي بمجنسه وإيثار نفسه عليه بأعمال الدولة ومكاتبها، والتقصير في نشر اللغة العربية، فأما الاول فاني أعذر الترك فيه من جهة وأعدل المتقصين منهم على غيرهم من جهة اخرى : أعذروهم من حيث ان المتعلمين منهم قد جبروا على اتخاذ اعمال الحكومة معاشا وموردا للرزق وهم قلة يحسنون عملا آخر كاجروا على حساب ذلك حقاخالصا لهم من دون سائر العثمانيين الذين اذا نالوا منه شيئا فاما يكون من إيثار الترك لهم

على انفسهم درءا لمنسدة اوجلبا لمصلحة ، فان كان الدستور قد ساوى بينهم وبين سائر العناصر في كل شيء فلا تسمى ان تطبيق الدستور على الامة ، يجب أن تراعى فيه الحكمة ، ومنها أن يكون بالتدريج ولا سيما فيما يتعلق بتغيير العرف والمعاملات المتبعة والعادات المألوفة ومن هذا الباب تلوم الحكومة في بعض المعاملات المخالفة للعرف التي يمكن تطبيقها على القانون اذا أسرعت فيها قبل اعداد الامة لها . فاذا نحن طالبنا الحكومة أن تجعل اعمال الحكومة مشتركة بين العناصر العثمانية على نسبة عدد كل عنصر منها نكون قد طلبنا الطفرة في التغيير وقطعنا على متعطي الترك اوسع ابواب الرزق التي أفوا الدخول فيها ، وجعلناهم دون سائر الشعوب العثمانية بعد أن كانوا فوقها من هذه الجهة التي هي اشرف الجهات في نظرهم ، فهل من الحكمة أن يكون أول حظهم من الدستور خسران اعظم شيء عندهم ؟ كلا اني أرى جميع عقلاء العرب يفهمون هذا وبقدرونه قدره وإنما ينكره ويتألم منه من هم مثل الترك في قصر همهم على خدمة الحكومة واتخاذ ذلك وسيلة للعيشة ، وهذه هي الجهة التي اعذل الحكومة على عدم مراعاتها وأطالبها بان تعدل في هؤلاء المتعطلين في سلكها والمرشحين انفسهم لذلك وان لا تشعر احدا منهم بان جنسه علة للتحامل عليه وقها بهم واقناعا لهم ولغيرهم بانها تنفذ الدستور بالعدل والمساواة بقدر الاستطاعة وتقاديا من سوء التفاهم في هذا الدور الخطر - دور التحول والاقبال

وليعلم الفريقان ان الحكومة الدستورية لا تكون موردا واسعا للرزق ولا ينبغي ان تطلب وظائفها لأجل المعيشة لان المرتبات الكبيرة فيها قليلة جدا ، وما عداها لا يكاد يصل الى درجة الكفاف ولا سيما مع نفقات الاسفار في هذه المملكة البعيدة الارحاء اذا بطلت الرشوة كما هو المتعار من الاصلاح في عهد الدستور وإنما كانت الحكومة بابا من ابواب الثروة ايام كان الحاكم مستبدا بها با مستفيحا لجميع ما تصل اليه يده من اموال الامة لا يخاف في ذلك دَرَكا ولا يخشى . واتي لاشفق على اخواننا من الترك وأخشى ان يكونوا في عهد الدستور وراء الروم والارمن المزاحين لهم في عقر دارهم وفي عاصمة الملك اذا لم ينزعوا من اذهان نايتهم فكرة الارتزاق من الحكومة . وقد كان المتعلمون من المصريين على رأي المتعلمين من الترك في ايام

الاستعداد المحض والظلم ، وفي اوائل العهد بالحرية والعدل ، ثم لما عبرت البلاد صرنا نرى بعض عمال الحكومة الذين ياخذون في كل شهر عدة الوف من القروش راتباً معيناً لا يتخلف قبضه عن اليوم الاول من الشهر يستقبلون راغبين عن خدمة الحكومة الى الاعمال الحرة التي هي اوفر كسبا واوسع باباً لتحصيل الثروة ، ونرى الذي يتقاضى من الحكومة في كل شهر ثمانية آلاف وعشرة آلاف قرش بمقتضاها اذا لم يكن له مورد آخر من الزراعة مثلاً

واما التصدير في نشر اللغة العربية فلا أرى للحكومة فيه عذراً معقولا فان قيل ان اللغة التركية هي اللغة الرسمية فما عذاها من اللغات يجب فيه المساواة فاذا رجحت الحكومة اللغة العربية على غيرها قام سائر العناصر يطالبونها بمساواة لغتهم لها ويمتنعوا مقصرة معهم غير عادلة فيهم ! فالجواب عنه يعلم بما أشرنا الى بعضه قبل من مزايا العربية وخصائصها التي يمكن للحكومة أن تحتاج بها على أي عنصر يطلب مساواة لغته بها في المكاتب الرسمية ونزيده ايضا بالتفصيل بخمسة أمور :

(١) ان العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهما اصل الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للمملكة الذي يجب على خليفة المسلمين أن ينشره ويحميه

(٢) ان السواد الاعظم من اهل المملكة مسلمون يحتاجون الى العربية في فهم دينهم وطاعة ربهم فيما حث عليه من تدبر القرآن وايس لهم جمعيات دينية تنشئ لهم المدارس كالتنصاري فالحكومة الوراثية لهم هي المطالبة بتعليمهم

(٣) ان الشريعة الاسلامية هي المذوع الذي تستمد منه الاحكام التي يحكم بها في الاحوال الشخصية والمدنية وتطبق عليها القوانين ومهظم كتبها التي عليها الاعتماد في ذلك والتي يرجع اليها عند المشكلات هي باللغة العربية فالدولة محتاجة في ذلك الى تعليم هذه اللغة

(٤) ان العنصر العثماني العربي هو اكبر العناصر وابعدها عن معرفة اللغة الرسمية للدولة ولا يتيسر تعميم هذه اللغة فيهم إلا بعد اتساع مالية الدولة بمشروعات من السنين . فاذا لم تعلم الحكومة اللغة العربية لمن تعلمهم في مكاتبها للوظائف كان

نتيجة ذلك ان اكثر عمال الدولة في اوسع ولاياتها لا يعرفون لغة الاهالي فيستعذر عليهم اقامة العدل والظلم . ولا يقال انهم يستعينون على ذلك بالترجمين لانها لا تعبد الذين يحسنون الترجمة في كل مكان وان وجدتهم كانت في حاجة الى نفقات كثيرة لهم لا تحتاج الى اكثر منها لتعليم العربية ولا مندوحة عن أحدهذين الامرين الا بابقاء الحكومة كما كانت في شرائط الاستبداد جميات نهب وسلب لا يهبها الا ملء الجيوب ، واما الروم والارمن وغيرهما من العناصر فاللغة الرسمية متشرة بينهم لا تحتاج الحكومة الى الترجمين الا في القليل من بلادهم وما ذلك بالامر الشاق ولا المتوقف على النفقات الكثيرة

(٥) ان اللغة العربية اصل من اصول اللغة التركية الرسمية يقرب أن يكون ثلث مفرداتها أو نصفها مستمدا منها ولا سيما المفردات في علوم الطب والشرع والنبات والحيوان ، فتعليم العربية في مكاتب الدولة يقوي تعليم اللغة الرسمية ويعدّها فالتركية أحوج الى العربية من اللغة الفرنسية الى اللغة اللاتينية وانا نرى الافرنج يعلمون اللغة اللاتينية التي لا يوجد عندهم شعب يتكلم بها لانها من اصول لغاتهم فأعارض الترك عن تعليم العربية على كونهم أحوج اليها من هذه الجهة وعلى ما لهم فيها من الفوائد الدينية والمدنية لا يظفر تعليلها الا بعمد اضعاف العربية وهذا شيء لا يرضى به جمهورهم وان نزع اليه بعض المتفرجين المتهصين ، الذين ليس لهم رأي ولا دين

٦

زبدة المقال وخاتمة

(١) إن الجواذب التي تجذب الترك الى العرب والعرب الى الترك وتمزج احدهما بالآخر فيكونان عنصرا واحدا قويا نافعا كالماء والهواء في كونه عملة للحياة والبقاء هي قوته جدا لانها جامعة بين الاخوة الدينية والمصالح المدنية والسياسية التي لا قوام للدولة بدونها

(٢) ان الحوادث السابقة واللاحقة أعدت المشتغلين بالسياسة والبحث في

الامور العامة والمتراجمين في المكاتب والمناصب الى شيء من سوء الفهم والارتباب والظنية قواها في نفوس بعض الترك شبهات أو هتتهم ان العرب يريدون الانفصال من الدولة الثمانية والاستقلال بأنفسهم ، وقواها في نفوس بعض العرب أقوال منكرة قالها وكتبها بعض المشهورين من الترك وأعمال مسنكرة من الحكومة لا يصح ان تعد أصلا واسعا في الدولة لأنها حدثت في عهد الانقلاب والفن التي اضطرت الدولة الى الاحكام العرفية مع تبدل الوزارات وعدم انتظام الاحزاب في مجلس المبعوثين الذي يرجع اليه الامر كله

(٣) انه يمكن ان تهض حجة قيمة على التباغض بين الترك والعرب اذا وقع الشقاق بين المبعوثين في مسألة تعليم اللغة العربية أو مسألة المساواة بين النصيرين المحتمة في القانون الاساسي ولكن هذا الشقاق ما وقع ولن يقع ان شاء الله تعالى . وقد حضرت مذاكرة بين فاضلين من المبعوثين أحدهما عربي والآخر تركي فقال هذا اتني أحب العرب أكثر من الترك لان الذي يحب الي الترك هو النزعة الجنسية الدنيوية وأما الذي يحب الي العرب فهو ديني الذي عليه مدار سعادي الأبدية ، - أو ما هذا مؤداه

(٤) ان الذين قد بدت البغضاء من أفواههم للعرب في معاهد السياسة والحكومة ومكاتب التعليم هم على قلنتهم ليسوا من النصير التركي باليقين وإنما أكثرهم أوشاب وأوزاع من عناصر شتى قد تركوا وأسلموا من زمن بعيد أو قريب لأجل مناصب الدولة فهم لاحظاً لهم من الحياة الافبها فلا عجب اذا أبغضوا كل من يزاحمهم عليها (٥) يجب على العقلاء السعي في إزالة سوء التفاهم وسد منافذه مهما كان سببه لئلا يتنكن في نفوس العامة فيتعذر نزعته وتسوء معيته .

ما به يكون التأليف بين النصيرين

يجب أن يتعاون على هذا التأليف الذي توقف عليه حياة الدولة كل من عقلاء الامة وعقلاء الحكومة ويجب ان تكون العاصمة هي البادئة بذلك صحافها وحكومتها العليا فأما الصحافة فيجب عليها أن تترك الخوض في مسألة الجنسية النسبية والفرعية ،

الى الجنسية السياسية المعبر عنها بالعثمانية، فتجمل هذه هجبرها بكرة وعشياً، وتجمل تلك نسياً منسياً، ولا تذكر لفظ الترك والعرب، ولا اسم غيرهما من العناصر الاخر، بكلمة تشعر بالترجيح أو التفضيل، أو عصبية المنصر والقييل، ولعمري ان أولئك الرجال الذين تبدلوا كلمة العثمانية « بكلمة تركية » فصاروا يقولون ويكتبون « لفة عثمانية ولايات عثمانية »، لم يطلعوا على السياسة رأياً، وأصبح في علم الاجتماع حكماً، من هؤلاء الذين يقرعون الاسماع كل يوم بكلمة « تركل تركل » (١) متوهمين انه يمكن تحويل العناصر العثمانية الى التركية، أو انهم يمكن ان يتحدثوا بشعوب التار الروسية وتركستان الصيفية، ومن الذين يريدون ازالة الالفاظ العربية عن هذه اللغة الرسمية، قال كمال بك زعيم النهضة الحديثة : انا اخترنا أحسن الكلم من أرقى اللغات الشرقية، وهي العربية والفارسية والتركية، فألفنا منها لفتنا العثمانية، فهذه اللغة هي لغة العثمانيين المشتركة، وليس للترك حق الاختصاص بها، الاثرة، كما ان العربية هي اللغة الاسلامية المشتركة بين العرب وبين الترك والفرس وأهل الهند والصين والملاو وغيرهم من المسلمين، فمن العثمانيين لا نسمح لاحد ان يصبث بفتنا العثمانية، ومن شاء ان يتعلم لغة تركستان فليتعلمها وهي غير لغتنا الرسمية، والأمة كلها تعال ببعوثها بصياتها وحفظها بسهولة نشرها وكون أكثر كتبنا ودفاترها بها.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام اقهاء عزو ذنب بعض الافراد الى الشعب أو المنصر على الاطلاق، فاذا رأينا بعض الترك أو العرب أو الاورمن - مثلاً - يعيب عنصراً آخر أو يدعو الى استغلال قومه في الجرائد أن تقسب الذنب اليه لا الى جميع قومه. وعلى هذه الطريقة جريتنا في مقالنا هذا فقد برأنا المنصر التركي الاسلامي من بعض العرب والتحامل عليهم وحصرنا ذلك في فئة من الترك المشتركين في الغالب لا الغلص.

كذلك يجب على الجرائد ان تتخول قراءها بالمقالات الداعية الى اتحاد العناصر العثمانية مع بيان فوائدها للجميع. واذا اهتمت جرائد الآستانه الى هذا الصراط

« ١ » كتب بعضهم في هذه الايام مقالة في جريدة صباح بهذا العنوان يحرك بهالعمة الجنسية

المستقيم تبعتها الجرائد السورية والمصرية وكان تأثير ذلك عظيماً واحكم على العكس بحكم الطرده وينبغي لاصحاب الجرائد التركية ان يضمنوا بالاطلاع على الجرائد العربية المنشورة ويترجموا المهم من مقالاتها في سياسة الدولة العلية وادارتهم ويعلقون عليها ما يرون فيه المصلحة للتأليف، وكذلك المهم من أخبارها فمن العار على جرائد العاصمة ان لا يذكر فيها شيء عن الولايات العربية، الا ما يكون من صياغة الشركات البرقية، أو الاخبار الرسمية، وكل من هذا وذاك رموز لا تعرف حقائق الاحوال، ولا تبني على مثلها الاحكام، ولو قامت هذه الجرائد بوظيفتها حتى القيام بجملة لها مراسلين في تلك الولايات فوق تتبع الجرائد العربية وترجمة أخبارها

وأما ما يجب على الحكومة فأهونه وأقر به أن تنصف الواقفين على أبوابها من العرب طلاب الوظائف - وقليل ما هم - فتساوي بينهم وبين اخوانهم الكثيرين من الترك وترقي بعضهم من رتبة القاءقام الى رتبة المتصرف ومن هذه الى رتبة الولاية، وأن تزيد أعضائهم في مجلس الاعيان - وأهمه وأعظمه ينحصر في امور:

(أحدها) قطع عروق العصبة الجنسية من مكاتب الحكومة واستئصال جذورها فاني اسمع كل يوم من أخبار هذه المكاتب ما يشعر بأن فيها كياويين معنوين يحملون عناصر الوحدة العثمانية ويفرقون بعضها من بعض حتى بلغ بعض المعلمين الجهل أو سوء القصد أن قال بعضهم في الدرس ان العرب كانوا يجهلون علم الفلك وان الترك هم الذين علموه ذلك وهم الذين بنوا لهم المراصد! وقال بعضهم إنهم كانوا يجهلون فن الإحصاء حتى علمهم الترك إياه في زمن المأمون! وقال بعضهم إنهم كانوا يجهلون الفلسفة وجل ما كتب بالعربية في الفلسفة فهو من الترك! انفصار بعض الطلاب من العرب يترجمون على فيلسوفهم المعري ويتشادون لاميته المشهورة: بل سمعت عن معلمي بعض المكاتب ما هو شر من ذلك وأضر وأدهى وأمر، فيجب على نظارة المعارف أن تختار لمكاتبها من المفتشين المنصفين المهذبن من يكشفها الحقيقة في ذلك وان تعنى أشد العناية بتطهير معاهد العلم من هذه الفسدة التي لا أرى شيئاً أضر على الدولة منها

فهو سهل تقرير كل حقيقة فيها فضيلة لفرد أو أفراد من عنصر من العناصر

مع تحامي اهانة غيره لا سيما اذا كانت تلك العناصر قد وحدت بينها جنسية أخرى أوسع من جنسية النسب واللغة كما جمع الاسلام العرب والفرس والترك وغيرهم فخطهم امة واحدة . فهل جهل أولئك الملعونون المارقون المخلون انهم يجنون بتلك النزعات على دولتهم الموثقة من عدة اجناس اكبرها وأعظمها عنصر العرب والترك فاذا هما انحلا فنحل والعاذ بالله ، ويجنون أيضا على ملتهم الاسلامية ، أم هم يرمون الى ذلك ؟ ؟ وكذلك يجب أن تنقبط سائر النظارات لمثل ذلك قلما يخلو شيء منها من افراد متعصبين الا باب المشيخة الاسلامية

(ثانيا) العناية بتعليم اللغة العربية في مكاتبها وفي المدارس الدينية في العاصمة وغيرها فان هذا برضي العرب عامة ويسر جميع المسلمين ولا يضر الترك ولا يضعف جنسيتهم كما انه لم يضر الفرس ولم يضعف جنسيتهم وهم اكثر عناية من الترك بهذه اللغة من حيث انها لغة الدين وليسوا بحاجة اليها لاجل الادارة والسياسة اذ ليس في ملكتهم ولايات عربية .

ألا ان من الحال في هذا العصر تحويل عنصر الى عنصر أصغر منه أو أكبر فالحرص على جنسيته النسبية او اللغوية في هذه الامة العثمانية يجب أن يكون امينا مطمئا عليها والظامع من الترك في تحويل أضف عنصر من العثمانيين الى العنصر التركي وادغامه فيه انما هو ظامع في الحال ، والمتوسل الى مطمئنه بتعظيم قومه وتحقير غيرهم ، والتعصب لهم على سواهم ، انما يطلب الشيء من ضده أو من تقيضه ، ولولا ان كلا من امتنا ودولتنا لا يقوى على مثل هذه التجارب الاجتماعية لما كنت شديد الخوف من هذه النزعة الجنسية فيها فان من يكون له ولد عزيز هو محل رجائه في ارث مجده وماله لا يسمح باختياره أن يجرب في جسمه الادوية التي تجعل عاقبتها ، بئس الادوية التي يترجح خطرها ، وسوف يعلم المجرمون انهم هم الخاسرون ، اذا ظلوا في طريقهم يهرعون ، وأخشى أن لا يظهر خطأهم الا حيث يبرز تلافيه وتداركه

(ثالثا) العناية بنشر العلوم والمعارف واسباب العمران في الولايات العربية كغيرها من الولايات من غير أدنى فرق يمكن أن يفسر بالتعصب الجنسي وأرى

أن تذكر الدولة من المدارس الصناعية والزراعية وتكتفي من المدارس التي تخرج فيها عمال الحكومة بقدر الحاجة

(رابعا) الاخلاص التام في تنفيذ القانون الاساسي . واققيام بهذا يجمع كل مايراد من اعطاء كل عنصر حقه فان لم تقبل الحكومة هذا فأنها تهيج عصبية جميع العناصر عليها حتى العرب الذين هم أشد ارتباطا بالترك واخلاصا لهم ممن سواهم وذلك هو البلاء المين

قد استخف الدستور اهل البلاد العربية قاموا يطرون الترك ويمنون الناس على تعظيم شأنهم والاتحاد بهم وتهاوتوا على جمعية الاتحاد والترقي في كل مكان حتى ان اهل لبنان أخذوا يتحدثون بالسمي الى الفاء امتيازهم بل كتب أدبؤهم كثيرا من المقالات في وجوب اتحادهم بسائر العثمانيين ، ومشاركهم في مجلس المبعوثين ، على ان بعض الاتحاديين قد شوهوا بعض تلك الاحتمالات بيد الدستور اذ نقوا فيها بشيء من سموم التمسب كذلك الضابط الذي خطب في حلب خطبة حتر بها العرب تحقيرا ، وشهر بهم تشهيرا ، ولكن أكثر الناس لم يهضمها حق الفهم ، ولو ألقاها في بيروت او الشام لكان مالا خيرا فيه

ظهرت أريحية العرب بسورية ومصر وغيرهم في مقاطعة النمسا في تجارتها وفي الاحتمالات بالدستور وقد ألقنا بمصر لجنة لاجل جمع الاعانات الكبيرة للاسطول النماني وضمت لذلك قانونا ليكون حجم المال عاما ولكن تلك النيات التمسبية التي سمعت من دار السلطنة أضغقت الهمم . فاذا طال المهمل على هذا التنافر فان خسارته المالية والمعنوية تكون اول بوادر شؤمه ونهوض بالله من أواخره

ويسرني أن أبشر العرب باتي وأيت من كبراء العاصمة ارباها الى حسن انصافهم وازالة اسباب التنافر ولا سيما من الصدر الاعظم حسين حلي باشا والعلماء الاعلام فأنصح لهم أن يكونوا عونا لآخوانهم على هذا الزمان كما نصحت للآخرين « إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

أسباب سقوط الدولة الأموية (*)

سادتي

وعدتكم يوم الخطبة الفراء التي خطبها فينا الأستاذ الخضري في ترجمة أبي مسلم الخراساني أن أقول كلمة ألم فيها بشيء من الأسباب التي دعت الى ضعف الدولة الأموية وتيسر قيام الدعوة العباسية وانتشارها في المملكة الأموية بواسطة أبي مسلم وأضرابه من رجال الدعوة ثم نجاحهم في الأمر وقلبهم الدولة الأموية وثلث عرشها وقيام الدولة العباسية مقامها

ولما همت بتبع التاريخ من اجل هذه الغاية عذرت الأستاذ الخضري لا كفتائه بأيراد سيرة أبي مسلم وما كان من انتشار الدعوة العباسية لانه لو أراد أن يطرُق هذا البحث ويتبسّط في مناجحه لاحتاج الى الوقوف أمامكم ساعات وانا بهذه كذلك ومع هذا فلا نكون وفينا هذا البحث حقّه من البيان لذا أئتمس من حضراتكم المعذرة فيما سأتلوه عليكم مختصرا في هذا الباب ولو اضمت وقتا ما في تهديد الكلام يبحث في الخلافة لارتباط هذا البحث بسقوط بني أمية وقيام دولة العباسيين

تمهيد

تعلّمون ايها السادة أن السلف اختلفوا في : هل الخلافة واجبة شرعا او عقلا ؟ والذين قالوا انها واجبة عقلا قالوا انها وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعمهم من الظالم و فصل بينهم في التنازع والتخاصم الى آخر ما قالوه وتعلّمون ان ما وجب بالعقل وجب بتحكيم العقل فيه ولما كان تعريف الخلافة

انها حمل الكافة على الشرع وانما تحمل الكافة على الشرع بمن تتوفر فيه شروط
الباقية لتولي امور الامة ايا كان من المسلمين فقد ترك الشارع صلى الله عليه وسلم
أمر الخلافة لرأي الامة تحكيم فيه ضمائرها وعقولها دون أن ينص على شخص
بمعيته

ومما يدلنا على أنه ليس هناك نص ديني من قبل الشارع على تخصيص الخلافة
بعلي او العباس وآلها أو غيرهم من المسلمين ان أبا بكر لما احتج على الانصار يوم
السقيفة لم يحتاج عليهم بخبر عن الرسول بل بالكفاءة والاستحقاق ورضا الامة فيمن
تختاره اميرا عليها حيث قال :

« يا معشر الانصار : انكم لا تذكرون فضلا الا واتم له اهل وان العرب
لا تعرف هذا الامر إلا قريش . هم اوسط العرب دارا ونسبا . قد رضيت لكم احد
هذين الرجلين » واخذ بيدي عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح . فكثر
اللفظ بين الانصار حتى بادر عمر بن الخطاب وقال : ابسط يدك ابايكم . فبسط
يده فسبقه بشير بن سعد من الانصار فبايعه وبايعه سائر الناس

ولو كان هناك نص على علي لمسافات ابا بكر وسائر الناس ولما قال الانصار
منا امير ومنكم امير وهم اول من نصر رسول الله في حياته فلا يعدلون عما امر
به بعد وفاته وعلي نفسه اعترف بصحة خلافة ابي بكر ولم ينازعه عليها باسم الدين اذ
خطب مرة فقال :

« لقد امر النبي ابا بكر أن يصلي بالناس وإني شاهد وما أنا بغائب وما بي مرض
فرضينا لدينانا ما رضي به النبي لدينا »

توفي ابو بكر فولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب ثم توفي عمر فصرفتها
الشورى الى عثمان وعلي معروف المكانة من الدين والقرابة من رسول الله فلم
يقل فريق منهم بصرفها اليه باسم الدين وكل ما قيل وكتب بعد ذلك من
المنامز التي غمرت بها الشورى أو غمرت بها ولاية أبي بكر وعمر ليست بصحيحة
وما جاء من اخبار الخلاف على الخلافة بين الصحابة لا يحمل على غير ما يقع عادة
من النزاع بين المتنافسين على الامارة في كل امة وجيل لكن صورته الامامية بعد

بالصورة التي توافق مذاهم السياسية والدينية حتى تمكنوا من صبغه بصيغة الدين والقول بوجود الامامة شرعا ليلي وآله وسوقها بعد ذلك في بنيه أو بني عمه العباس باسم الدين

عظم أيها السادة من هذه المقدمة ان الخلافة صارت الى ابي بكر ثم الى عمر ثم الى عثمان رضي الله عنهم ولم يتم بين العرب من أجلها أدنى نزاع باسم الدين بل كان العقل هو المحكم والمصلحة رائد جمهور العقلاء من الامة بقطع النظر عما اذا كان علي (رض) حقيقا بالخلافة فانه حقيق بها بلا شك ولا ريب وانما كانت هناك ظروف وأحوال اذا وصل اليها خبير بعضها فاننا نجعل بعضها الآخر بتاتا وقد راعى جمهور الصحابة تلك الظروف والاحوال مما شاة لسنة الطبيعة والعقل فقد مواعليه الثلاثة الكرام ولو كان للدين حكم باستخلاف علي لما عدلوا عنه الى العقل ومكاتبهم من الدين سامية شهد لهم بها القرآن الكريم والنبي العظيم

إذا فن أين دخلت السياسة في الدين فجعلت الخلافة حقا شرعا من حقوق آل البيت ؟ ومتي ظهر النزاع عليها باسم الدين وظهرت مقالة الامامية التي تلتها بدع كانت آفة المجتمع الاسلامي ومنها مسألة المهدوية التي عانى ويعاني المسلمون مضضا الى اليوم ؟ .. الجواب عن هذا يعرفه كل مطلع على التاريخ وكلكم مطلع عليه : دخلت السياسة في الدين وظهرت مقالة الامامية لما دخل الاعاج في الاسلام وظهر هذا الدين وأهله على الامم وذلك بعد مضي صدر من خلافة عثمان

وأول من قام بهذه الدعوة عبد الله بن سبأ واخوانه من الموالي وأبناء الملل الاخرى الذين دخلوا في الاسلام، وابن سبأ هذا هو من الذين أخرجهم علي (رض) لفلوهم فيه

تلك البذرة الصغيرة التي بذرها ابن سبأ واخوانه من جمعية الدعوة الصلوية انبت ذلك النبات العظيم الذي قوي فيما بعد على ما حوله فأكل دولة الامويين في المشرق أكلا بعد أن دخلها الضعف من جهات أخرى وهذا موضوع البحث وهما اذا

متكلم فيه

الموضوع

تولى عثمان (رض) الخلافة بانتخاب أهل الشورى وعمل فيها ستين لايقم المسلمون منه شيئا وانما اضطرب أمره في السنين الست التالية من خلافته حيث اتسعت دائرة الفتح وكثر الموالي اللاجئون الى المدينة من الاطراف ودخل في الاسلام أو تحت سلطته أقوام لم يكن لهم ما للعرب يومئذ من العصية والقوة والخلق الحرية العالية فخصوا لجيوش العرب طوعا أو كرها وكان استغراقهم في الحضارة جعل فاروقا عظيما بينهم وبين العرب الذين كانوا على جانب عظيم من سلامة الفطرة والخلق الثابتة المستقيمة فكان ذلك من الوسائل التي جعلت أولئك الاقوام يأتون العرب من جهة العقائد تارة والسياسة أخرى قالوا بينهم أول بذرة من بذار التفريق في الدين والسياسة بواسطة الدعاة منهم كهبدالله بن سبأ المذكور وحران بن سوادن والاول لم يترك مصرأ من الامصار الكبيرة كالشام ومصر والبصرة والمدينة الادخله لاجل بث الدعوة وزرع هذه البذار الجديدة في النفوس والارض البكر الصالحة سريعة الإنبات بالضرورة ولا سيما إن العرب محبون بطبعهم للتحزب ميلا مع المصيبات التي كانت تنازعهم في عصر الجاهلية فقبلوا الدعوة الى نصرة علي وأنه أحق بالخلافة دينا بشيء من القبول وأخذت تتمكن من نفوس بعضهم هذه المقالة الجديدة حتى أفضت الي اقسامهم الى حزبين ينحصر أحدهما لعلي والآخر لعثمان

قامت الفتنة من ثم على الوجه الذي عرفناه في التاريخ وانتهت بقتل عثمان (رض) وقيام علي ومعاوية يتنازعا ن امارة المؤمنين وانقسم يومئذ هذان الحزبان الى أحزاب أخرى سياسية ودينية كانت الغلبة فيها للقسم الذي شايع معاوية باسم القوة والعصية لا باسم الدين والشرعية لان الشرعية نفسها تحتاج في تنفيذها واستمرارها الى القوة كما تعلمون

لما تظاهر العرب من أجل النزاع على الخلافة بتلك الروح الدينية التي بها ينهم دعاة الفتنة ورأى فريق منهم ان عاقبة هذه الحرب الآكلة ربما أتت على

العرب ودينهم وملكهم من أجل الامارة أجمعوا رأيهم على الخروج عن جماعة المتقاتلين وألقوا لأنفسهم حزباً سياسياً برئاسة عبدالله بن وهب الراسبي غايته نفس الخلافة وطلبها من قريش نسفاً وإن يقام الامام من غير قريش على شرط أن يحكم برأيهم وعلى ما يشيرون به أو ينتهجون له من طرائق العدل والا عزل ونصب غيره والا فلا لزوم لامام أصلاً . ومعناه أن تكون الحكومة جمهورية بالضرورة واليكم ما قاله عن هذا الحزب صاحب الملل والنحل قال :

« انهم جوزوا أن تكون الامارة في غير قريش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثّلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماماً ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولاً بالقياس وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً وإن احتجج اليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبلياً أو قرشياً »

هذا رأيهم الذي أورده صاحب الملل والنحل ومنه تعلمون أن مبدأهم جمهوري بحت لا سيما في التشريع يظهر لنا ذلك كل الظهور من قوله : من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثّلوا له أي على ما سنوا وشرعوا له بالضرورة . وقوله : وكانوا أشد الناس قولاً بالقياس . وكلكم يعلم ما هو القياس بالنسبة لمن يريد التوسع في الاحكام بما يدور مع الزمان والحاجة . ولذا فقد جاز لنا أن نسمي هذا الحزب أول حزب جمهوري في مبادئه ومراميه ظهر في الاسلام . ولولم يجعل باستعمال السلاح لتأييد مبادئه وحمل الامة عليها بالقوة وانتظر ريثما تسام جماعة معاوية الحرب القاتعة من أجل الخلافة كما مشتها جماعة علي فكانت مبادئه هي السائدة الى ما شاء الله في الامة الاموية ولا تقطع النزاع على الخلافة منذ ذلك الحين

ولكن من الاسف أن ذلك الحزب لما عجل باستعمال القوة بهدموا حرّم الذي عقده في حروراء خارج الكوفة ودعوا من أجله بالحروية اضطرا أمير المؤمنين عليّ قتلهم وقائلهم في النهروان وكانوا نحو عشرة آلاف قتلهم جميعاً الا عشرة منهم أفلتوا من القتل وتفرقوا في البلاد وأخذوا يثيرون دعوتهم سرّاً فكان من ذلك ماذا؟

كان من ذلك ان انقلبوا الى جمعية سرية اقرت على الفتك بعلي ومعاوية وعمر بن العاص قائلة فلذبح البلاد منهم كما ذكر ذلك المؤرخون لتبقى امارة المؤمنين شاغرة للأمة من المتنازعين عليها من قريش وتختار الأمة اميرا عليها من شامت من عامة المسلمين أو خاصتهم كما هو من مقتضى مبادئهم التي مر ذكرها

انتدب لهذا الغرض ثلاثة منهم هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي للفتك بعلي، وعمر بن بكر التيمي لعمر بن العاص، والبرك بن عبد الله الصرمي لمعاوية. واتحدوا لسبع عشرة من رمضان فقتل ابن ملجم عليا ولم يتمكن الاثنان الآخران من معاوية وعمر و كما هو معروف في التاريخ

وكانت هذه الجمعية السرية ثانية جمعية تألفت في الاسلام بعد الجمعية السبئية التي تأسست في خلافة عثمان الدعوة الى علي كما تقدم في صدر البحث ومبادئهما متباينة بل متضادة كما تطون

بعد ذلك استصفي معاوية الخلافة لنفسه وأداهها عن آل علي باستئزال الحسن (رض) عنها وان يترك منازعته عليها فقم له الامر بهذا وجمع كلمة العرب عليه واستألم اليه فكانت له منهم عصبية كبيرة احتسى عنها بها وضرب ضيقها وقبض على زمام الخلافة بيد من حديد وحماها بلسان من سكر واستمال بدعائه بني هاشم والمهاجرين وابناء المهاجرين وجلة الصحابة تارة بالترغيب وتارة بالترهيب حتى ملك الستمهم وقاربهم فانفرط عقد الناس الا عن بني أمية واجتمعت كلمتهم على تأييد هذه الدولة ايما تأييد

لكن هل زالت تلك الروح التي بثها دعاة الامامية من الوجود؟ وهل امكن لمعاوية ومن خلفه أن يقتلوا ذلك الفرس الذي غرسه خصومهم بالامس؟ كلا ان تلك الروح باقية وذلك الفرس كان ينمو ليشمر ويأكل منه غارسوه من غير العرب ولو بعد قرن وما القرن من أعمال الدول والامم الا كيوم مما تهدون اغتصب الأمويون الخلافة اغتصبا والغاصب خائف كايقولون وهم اذا تدرعوا بالقوة والعصبية فخصومهم من بني هاشم متدرعون بالدين والمكانة الادبية التي لهم بين المسلمين والمواطف الدينية اذا تكونت ونمت واندفعت بأهلها تدك العروش

وتزلزل قوات الدول قاضط الامويون بعد معاوية الى طاردة بني هاشم والتكسر لهم وفعل يزيد فعلته الشقاء بآباء فاطمة فكان ذلك داعيا الى حذر بني هاشم وسكوتهم الى حين ونسرو شيعتهم وعلمهم في الخفاء الى أن قامت دولة بني مروان وألقت الخلافة الى عبد الملك فتولاها والفتنة مستمرة في الاطراف فانطوارج يزيدون نحو الخلافة، وشيعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بطلبون بدم الحسين، وعبد الله بن الزبير يتازع الامويين على الخلافة، وعمر بن سعيد الاشديق يريد ما لنفسه، فإذا يصنع خليفة يستقبل مثل هذه العواطف، وماذا تميش دولة قامت في بحر من الدم

لاجرم انها تلجأ الى أقصى ما عندها من القوة، وتستعمل متعوى القسوة، والقسوة تملأ الصدور حفيظة وتلجى الخصم الى استعمال أساليب الخذل والتجسيل على أخذ الخصم على غرة منه

ذلك مادعا عبد الملك الى استعمال متعوى القسوة في اخاد هذه الفتن وأجبا اخلافه الا قليلا منهم الى اتباع منهجه في معاملة الخوارجين عليهم واستعمال مثل لمهاج بن يوسف في الامصار الثابتة وإشتداد هؤلاء الحال على الناس حتى كان ذلك من جملة الاسباب التي أوغرت على الامويين الصدور وسهلت للدعوة الماشية سبيل الانتشار في الخفاء وصجبت على دولة بني أمية بالدمار

بلغ من قسوة عبد الملك وإظهاره الشدة في تهديد من يناوئه ان خطب بعد قتل الزبير عام خمس وسبعين خطبة قال فيها :

« أما بعد فليست الخليفة المستضعف (يعني هبيل) ولا الخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا الخليفة المأفون (يعني يزيد) الا ولين من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال الا واني لا ادوي ادواء هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قنائكم . تكفرونا أعمال المهاجرين ولا تعلمون مثل أعمالهم فلن تردادوا الا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم . هذا عمرو بن سعيد قرأته قرأته وموضعه موضعه قل برأسه هكذا قتلنا بأسافنا هكذا ألا وإنه حمل منكم كل شيء الا وثوبا على أمبرأوسه راية الا وإن الجماعة (أي القيد) التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد

عندي والله لا يفضل أحد فعله الا جعلتها في عقه، والله لا يأمرني أحد بقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عقه ١١١ » ثم نزل

ثم ان السيوطي أو هن سند هذه الخطبة بقوله : في اسنادها الكرهي وهو منهم بالكذب ، لكن من درس أخلاق عبد الملك بن مروان لا يستبعد عليه النفاق بهذه الخطبة اللهم الا الفترة الاخيرة فربما كانت مدسوسة عليه ومن أجلها شكك السيوطي في صحة الخطبة والا فان قسادة الطبع التي عرف بها عبد الملك لا يحتاج اثباتها الى كثير ايمان فان تطبعه بالقساوة اكسبه خلق الثبات والجلد حتى ما يصاب بالصائب اذا توالى عليه

ففي رواية لابن عساكر عن ابراهيم بن عدي قال : وأيت عبد الملك بن مروان وقد آتته امور اربعة في ليلة فما تنكر ولا تنبر : قتل عبيد الله بن زياد ، وقتل حيش بن دجلة بالحجاز ، وانقراض ما كان بينه وبين ملك الروم ، وخروج عمرو بن سعيد الى دمشق ، يعني مشاقا

ولكي ينهج ابنه الوليد في الشدة منهجه ولا تأخذه هواة في امر ملك او اغلالة اوصاه قبل وفاته بوصية قال فيها :

« يا وليد اتق الله فيمن أخفك فيه - الى أن قال - وانظر الحجاج فاكرمه فانه هو الذي وطأ لكم النار وهو سيفك يا وليد ويدك على من تاواك فلا تسمعن فيه قول احد وانت اليه اخرج منه اليك ، وادع الناس اذا امت الى البيعة فن قال برأسه هكذا قتل بسيفك هكذا ! »

على أن الوليد مع استعماله متعنى اليقظة في ولايته لم يسلك في الشدة مسلك ابيه بل عدل عنها الى الفتح والاحسان الى الناس وشغل المسلمين بالفتوح والعمران فشيدها المصانع والمستشفيات والمساجد الكبيرة كمسجد دمشق والمسجد الاقصى وكتب الى البلاد باصلاح الطرق وجعل لكل اعمى قائدا ولكل زمن خادما وأقام الفنادق فيما بين البلدان تسهيلا على ابناء السبيل وامر بحفر الآبار في الحجاز الى غير ذلك من الاعمال النافعة

والجلمة فقد كان عمرانيا محبا لرفي البلاد حتى كان الناس على عهده لا يشككون

بغير العمران ووجهه همه الى انتقاء العمال فولى خالد بن عبد الله القسري مكة وعمر
بن عبد العزيز المدينة وموسى بن نصير بلاد المغرب ففتح الاندلس كما هو معروف
وكثر النصح في زمنه ففتح قتيبة بن مسلم ما وراء النهر الى بخارى وسمرقند أي
التركستان ، وتجاوزها إلى بلاد التبت ففتح عاصمتها كاشغر ، واوغل مسلمة بن
عبد الملك من جهة ارمينيا في جبال القفقاس

وهكذا انتهت مدة خلافة الوليد على احسن حال رآها الامويون اذ استفحل
ملكهم وعلا شأنهم وشأن دولتهم واحبهم العرب حتى اذا ولي الخليفة سليمان بن
عبد الملك اراد قتيبة بن مسلم ان يخلع طاعته لاسباب لا محل لذكرها فلم يوافق
على ذلك عند خراسان ووقع بينه وبينهم خصام اخفى الى قتله فخرت الدولة
فاتحاً من اكبر الفاتحين في الاسلام وسار سليمان في الناس سيرة حسنة ايضا لم يجمل
للقائمين من دولته سيلا اليها وختم أعماله بأحسن عمل له وهو عهده بالخلافة الى عمر
بن عبد العزيز وكلهم يعرف من هو عمر بن عبد العزيز

الا ان سليمان غرس بيده غرس الدولة العباسية وقد سبقني الاستاذ الخطري
فذكر لكم في خطبته الماضية كيفية تسميم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
الذي كان الشيعة يدعون اليه وعهده بالامر بعده إلى محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس فلا لزوم للاعادة هنا

كان الامويون شديدي الخذر من آل علي كما ذكرنا وكان هؤلاء بعد نكبتهم
في خلافة يزيد قليلا الجراءة على الظهور لشدة العمال عليهم ومراقبتهم لحركاتهم وسكناتهم
ولان الخلفاء من بني امية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكائدهم ويحسنون
اليهم فلم ينزع أحد منهم الى الخروج عليهم لضعفهم الا يزيد بن علي فقد خرج في
خلافة هشام فقتل في الكوفة وقتل ابنه يحيى في خراسان أما تسميم أبي هاشم فقد
كان بامر سليمان بن عبد الملك لانه خاف جانبه لما رأى فيه من النجاسة والذكاء
وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الذين
بقوا منهم احياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا اطفالا لا يصلحون لقيادة الناس فالتفت
الشيعة حول محمد بن علي المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا ساقوا

الامامة في بني من بعده كما ساقها غيرهم الى بني فاطمة ايضا وانتقلت من قسم الى أبي هاشم الى بني العباس

لاجرم أن سليمان بن عبد الملك حتى على دولته يقتل أبي هاشم لأن آل علي كانوا لشدة ما عانوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيئي الخلق في الثوب على الخلقة الاموية والظهور لمنازعة الامويين عليها فتلقي العهد بها آل العباس وهم يصيدون عن سوء الظن والمراقبة لم يعانون مشاق الدعوة ولم يشوقوا طعم الاضطهاد فيخافوا الوقوع فيه . ولذا ماليت أن عهد الى محمد بن علي بالأمر حتى نهضوا بأعباء الدعوة بحماسة عظيمة وكان لأبراهيم بعد موت أخيه محمد ما كان مع أبي مسلم بشريفة أمر الزعامة اليه وقيام هذا بيت الدعوة أحسن قيام حتى استعمل أمرها وظهرت على خصوصها

أحسن الامويون بهذا انطهر السريع فبادروا أبراهيم الامام بالقتل فنهض أبو العباس الفسطاط بعد قتل أخيه إبراهيم وعاجل الامويين بالوثوب عليهم قبل أن يدب الفتل في أهله وشيمته مشهرا فرصة وقوع الشقاق بين الأخوة وأبناء الأهم من آل مروان وتلقى المملكة الاموية بنار الفتن وظفر بما أراد وقضى على دولة الامويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالأمس

على أن ظهر العباسيين على هذا الوجه وبهذه السرعة له بواعث واسباب أخرى كاختلال نظام الدولة وغيره أرى أن ألم بها على قدر ما يمكنني من الاختصار تسون أن الدولة تموت برجل ونحيا بآخر واث الرجال في الدول قليل والدولة الاموية لما فقدت رجالها فقدت جانبا عظيما من قوتها وأضي بأولئك الرجال الرجال المخلصين الذين يخدمون الدولة بتمهي الصداقة قطع النظر عما ينسب الى افراد منهم من القسوة قبحهم ونهم من اجل ذلك بالنظم اذ الرجال يصلطون بصيغة الدولة ويتشككون بشككها والدولة الاموية لما كانت دولة مغلقة لزم أن يسير عملها على سنها

من رجال الدولة الاموية المخلصين : مومي بن نصير ، والحجاج بن يوسف ومحمد بن عبدالله القسري ، ويزيد بن المهلب ، وقيس بن مسلم وأضرابهم ، ومن

خطأ الخلفاء الامويين انهم لم ينصفوا امثال هؤلاء الرجال فاحرجوا من اخرجوه منهم حتى اخرجوه قتلوه كخالد بن عبدالله وقتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء الظن او سوء التفاهم ومومني بن نصير الذي زج به في السجن في نظير فضحة الاندلس ومات اقبح ميتة فقدت الدولة بفقد هؤلاء الرجال وامثالهم جانبا لا يقدر من قوتها واخذت تنحط من ثم هينها أما الحاجاج فوكة في الحقيقة مبدأ افول فهم الدولة لانه كان يدها التي بها تضرب وعنها التي بها تقصر فانه بعد ان اخذ لم فتنة ابن الزبير كان واليا على الكوفة واليه ولاية خراسان وكلا المكانين عيش الفتنة ومنبع الدعوة الامامية ومع هذا فقد خسبطل البلاد وارهب يطلسه المتأزعين للدولة والتأزعين الى الشعب. وأحسن في انتقاء الرجال والقواد فاقصد ملك الامويين على عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقا والتركستان الصينية شمالا ولوروجد بعد من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه ويكون في مثل حزمه وعزمه لطلال هو الدولة الاموية بلا ريب

ولعل فواجح الرجال يكثرون في مبدأ نشوء الدولة وإن كانت هذه النظرية تحتاج الى تمحيص

وما ساعد أيضا على اختلال نظام الدولة الاموية تباعد أطراف المملكة بما صار اليهم من الفتح الى عهد هشام بن عبد الملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه قبلهم غير دولة الرومان

فما بين التبرين المعروف بالجزيرة وایران وقسم من الافغان والتركستان والتبت والقوقاس ولومنيا وشبه جزيرة العرب وسورية ومصر والمغرب والاندلس كل هذه الممالك دخلت في حوزتهم وأصبحت خاضعة لسلطانهم ووضع مثل هذا الملك المترامي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات لذلك العهد متدرجا ولا سيما على أمة حديثة عهد في سياسة الأمم. ولذا فقد كانت تكون الفتنة في طرف من أطراف المملكة بين الجنود والامراء المتأزعين على الولاية وتنتهي بقتل والي وقيلام غيره وربما انتهت بطلبة المشايخ أو التأزع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله

بالولاية عليها دولة وفصلها عن جسم الدولة والخليفة لا يعلم ذلك أولا تصل قدرته الى اخاد نار الفتنة في تلك البلاد الثانية

مثاله ما وقع في المغرب في خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومئة اذ تنازع عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع الفهري قاطم إفريقية مع حفظة بن صفوان والي إفريقية فكانت الغلبة للاول واستأثر بالسلطة على البلاد وقيت إفريقية مستقلة عن الخلافة الاموية حتى قيام الدولة العباسية

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف السحيقة ولا يخفى ماني هذا من الوهن وانحطاط على المملكة

ثم ان من الامور الثابتة في الاجماع ان الدول الحرية القائمة لا تزال في أفق مجدها مادامت على الخطوة وما دام الراعي والرعية مترقبين عن الانفاس في الترف والاستغراق في ملاذ الحضارة . قد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء داوا والا سكندر (أي البطالسة) والرومان حتى لقد قال موتسكيوف في تاريخه أسباب صعود الرومان وهبوطهم : ان دخول الرومان الى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان متسلطا على أهلها وملوكها من الرخاوة والترف »

والدولة الاموية اما هلكت في نفس تلك البيئة التي هلك بها الرومان من قبل ، وبعد أن حافظت على خشوتها الاولى الى خلافة هشام بدأت في خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك تنحط عن خشوتها التي عرفت بها واخذت خلفاء من ثم يميلون الى الترف والراحة والاستغراق في الملاذ تبعاً لاحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذا بالضرورة كان من الاسباب التي عجلت على دولتهم يضاف اليه اقتسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مضرية وبماية وتنازع رؤسائهم على الولاية في ابان استفحال الدعوة

مثاله ما وقع بين الحارث بن سريج والكرماني وبين هذا وقحطبة وبينهما وبين نصر بن سيار حتى ملئت نفوس العرب هذه الحبال وسئمت بمماوسة الحرب ورأوا أنفسهم تباع ضحايا لقمحطان وعدنان وترهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قريش حتى قال قائلهم :

تولت قریش لذة العيش واهت باكل فج من خراسان أغبراً
 فليت قریشاً اصبحوا ذات ليلة يعومون في لاج من البحر اخضر
 لاجرم أن الذي بث روح الشقاق بين العرب في خراسان انما هم أهل الدعوة
 الهاشمية من هاشميين وعباسيين والذي أنجح قصد أبي مسلم في نشر الدعوة العباسية
 وقلب الدعوة الأموية تواطؤ مكان البلاد الأصليين على قهر الأمويين وقتل عصبيتهم
 العربية وقد عرف ابراهيم الامام منازع الفرس وعلم ان دولته تقوم بغير العرب من
 الثاقفين منهم وان العرب شديدو العصبية للأمويين لاصطباغهم بالصبغة العربية المظلمة
 فكتب فيما كتب الى أبي مسلم أن لا يبقى في خراسان ان استطاع فجعل رجال الدعوة
 يضرّون العرب بعضهم بعض لان قسماً كبيراً منهم ممن هم من الأمويين كاتقدم
 في صدر الكلام قبل الدعوة وصار من الثاقمين بالعاملين على تشييد دعائهم اقتبداً واعتقاداً
 هكذا أتمرّ الفرس الديني الذي غرسه قبل ذلك بقرن ابن سبأ واضرا به من
 الموالي الثاقفين من الدولة السائدة واستحال على العرب في المشرق استبقاء السلطة
 خاصة لهم من دون الامم الاخرى المحكومة منهم وقد جرت سنة الوجود هذا المجري
 في كثير من الامم من قبل

قال مونتسكيو: اقتضت الحكمة الالهية أن يكون للممالك حدود طبيعية فمسكت
 بأعنة الملوك عن تجاوز هذه الحدود وتعدي بعضهم على بعض ولما تجاوز هذه الحدود
 الرومانيون أهلهم البرث أي قدماء الفرس وبددوا شملهم ولما تجاوزها البرث
 أنفسهم اضطروا لا أول أمرهم للرجوع الى أراضهم
 وأقول إن العرب أصيبوا بما أصيب به الرومان والبرث وطوائع الاجتماع تغدر
 أولئك الاقوام على ما فعلوه مع العرب وحسب العرب أن نشروا بينهم دين الاسلام
 فلا مؤاخذه ولا ملام ولا سباً أن الاسلام يرمي بطبيعته الى نحو الحدود والسياسة
 الجنسية بين الشعوب كما ترمي الى مثل هذا مبادئ جماعات السوبالست أو
 الاشتراكيين أو الاجتماعيّين لهذا العهد

ورب قائل يقول ان هذا الانقلاب أي انقلاب الدولة الأموية الى عباسية
 (المطروح ١٢) (١١٩) (المجلد الثاني عشر)

لم تكن نتيجته كلها كما يريد أولئك الاقوام المفلوبون للعرب إذ دولة الامويين عربية قرشية ودولة العباسيين كذلك

الجواب عن هذا يأتي من وجهين : الوجه الاول ان أم المشرق لذلك العهد قلما كانت تتلقى قيمة الحرية الكاملة لفئاتها في وجود زعماء الاجتماع الشرقي أو كما قال موشسكيو « ان أم آسيا لم يكن ميلهم الى الحرية كبل أم أوروبا اليوم - أي لهدم - ليصلهم على الخروج من الاسر والاستعباد وانما كان ميلهم الى تغيير الملك ولا جبر لهم على بقائه طويلا »

وسواء صحت هذه النظرية أو لم تصح فانه يجوز لنا تطبيقها على الام التي دخلت تحت حكم العرب لذلك العهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعا فلا فرق عند القوم وغيرهم أن يكون انطليقة أو الملك عربيا أو غير عربي مادام الملك آتلا الى قهر الدولة التي تقموا منها وما دام مصير أكبر السلطة اليهم بعد فل حدا للصيغة العربية التي كانت قائمة في دولة الامويين منسلطة بقوتها على كل شيء

وقد كان مآراده قيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية الا الاسم وهي مصطنعة بالصيغة الاصطناعية مشتبكة مع العناصر الاخرى بالنسب والصير مشاركة لهم بمصالح الدولة كما نعلمون

هذا الوجه الاول ، أما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لثل هذا الانقلاب ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي أن اصطباغ الدولة أو الامة السائدة بصيغة اهل البلاد يحيلها مع الزمن الى عنصر هذه الصيغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب من اصطباغوا بصيغة العرب بعد الفتح فاندمجوا فيهم ومن الشعوب من اصطباغ العرب بصيغتهم فاندمج هؤلاء فيهم وهذا ما وقع لسكان آسيا الوسطى بعد قيام الدولة العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية على اقاضها وهكذا رأينا دولة الفرس وغيرها من الدول الاسلامية دينا مختلفة جنسا قد عادت الى أصلها وهي قائمة الى الآن وتستبقى قائمة عزيزة الجانب منيرة الجانب الى الابد ان شاء الله

وهكذا نرى انطلاقة الاسلام التي سالت من اجلها أو باسمها تلك النداء العزيزة صارت الى غير العرب اليوم وفي دولة هي اعز دول الاسلام مكانا واجنوطا

يحفظ يضة اخلافة ولم يمنع الدين أن تكون اليها اخلافة كما لم يمنع أن تكون فيمن يقع عليه اختيار الامة ورضاها في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم والتاريخ يمد نفسه

هذا ما أمكنني ابراده من اسباب انحصار الدولة الاموية ثم انقراضها تلوته عليكم ايها السادة بوجه الاختصار لان الاستقصاء والتعقب وبسط كل الاسباب والتأريخ لا تقوم به خطبة لانه تاريخ دولة با كلها

أما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الاموية ويعزي اليه دمارها فبالغ فيه وما كان منه صحيحا فهو في نظري ثانوي بالنسبة للاسباب التي ذكرتها وتكاد تكون تأنيها طيعية وليس من دولة في الارض قائمة بالعدل المحض حتى الدول المقيدة تاهيك بالملقة

ومن قال إن دولة الامويين كانت ظلمة وان ظلمها هو الذي جر عليها الدمار فجاهل باحوال الاجتماع او متعصب لدولة اخرى ولوطواب بالدليل على أن الدول التي قامت دولة الامويين على انقاضها كالفرس والروم والقوط وغيرهم كانت اعدل منها لما استطاع اليه سبيلا

وللحقيقة ان الظلماء الامويين كانوا اشداء على خصوصهم دون سائر الناس وكانوا في منزلة من التاية بالرعية والاهتمام بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من الحكومات المطلقة وحسبك ان اشداهم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل وصيته لابنه الوليد حين الاحتضار بقوله : يا وليد اتق الله فيمن اخلفك فيهم والشواهد على مثل هذا كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلا فتوحها العظيمة التي سودت دين العرب ولسانهم على احسن اجزاء المصور الى اليوم وتلك الايام ندولها بين الناس

وبعد قلني لست في مقام الجرح او التمديد وانما انا باحث في التاريخ اقول ما تبادل الى فهمي وما بلغ اليه علمي من غير أن اقصد التمييز الى فئة دون اخرى او شخص دون آخر وكل ما بسطته لديكم لم ارد به غير الوجهة التاريخية فارجوكم الصنيع عما اذا كان زل لساني بخطأ معتوه ان الانسان محل الخطأ والفسيان والسلام عليكم

المطبوعات الجديدة

كانت كثرة مواد أجزاء المار في هذا العام تحول دون ذكر المطبوعات التي أهديت إليه ، وإن سنة المار في هذا الشأن عسى لا تتفق مع سنة الصحف الأخرى فالمار لا يبدي رأيه في المطبوعات إلا بعد تلاوتها وإذا لم يتسن له ذلك أشار إلى موضوعاتها بالجملة

ونحن اتبعنا لهذه السنة وحريا على هذا السنن نذكر الكتب المهداة بالاختصار ، والرجاء أننا نوفق لقراءة ما يستحق العناية والاعتبار ، فنكتب عنه في العام القابل للمار

الكتب

بلاغة الرب

يكاد يكون هذا الكتاب جديدا في موضوعه فلفقد محمد محمد كامل افندي حجاج من موظفي المحكمة المختلطة بمصر الى اختيار قطع ونقرا من أحسن كلام مشهوري رجال القلم في فرنسا كوجو (Hugo) ولامارتين (Lamartine) وراسين (Racine) وأضرابهم وترجمها بالمرية ترجمة ممتازة بالاسلوب البليغ مع المحافظة على الاصل جهود الطائفة فجاء ذلك كتابا شعريا في مثني صفحة مطبوعا طبعا متينا على ورق جيد وهو يطلب من مؤلفه ومن المكتبات المشهورة في مصر

تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين

هذا الكتاب فريد في بابه ، فريد في طبعه والعناية به ، جميل تصوره ورسومه جمع فيه مؤلفه شكري افندي صادق ناموس نادي الفنون الجميلة المصرية ما وعاء التاريخ لقدماء المصريين من العناية بالنقش والحفر والموسيقى واثبت فيه رسوم كثير من الآثار التي لم تقو عوادي الايام على محوها ، فحيدر بمشاق الفنون الجميلة اقتناء هذا الكتاب ، والتوفر على مطالعته . وهو يباع بمكتبة المعارف بالقاهرة وتبعته ١٥ قرشا

روح الاجتماع

مؤلفه الدكتور جوستاف لوبون من مشهورى علماء فرنسا ، وقد عني بترجمته العربية احمد قحى باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية المشهور بتأليفاته النافعة ، وحسن اختياره لترجمة الكتب المفيدة ، وهذا الكتاب يعد منها ، ومثل هذا الكتاب جدير بأن يرد له فصل خاص وهذا ما سقوم به في أحد اجزاء السنة القابلة للسار . وما رأيت فيما رأيت من المطبوعات العربية كتابا أتقن منه طبعا أو أجود ورقا فكان بذلك طابعه خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب خليقا بالشكر والثناء . وياع بمكتبة الشعب وإدارة المنار وثمة عشرون قرشا واجرة البريد قرشان

فك التقليد

كتاب في علم الصرف يقع في نصف ومثني صفحة مطبوع طبعا نظيفا مضبوط كله بالشكل وهو تأليف صديقنا جبر أفندي ضومط و بولس أفندي النولى من أساتذة كلية الأمريكان في بيروت المشهورين بمقدمتها للغة العربية والاول منها معروف عند قراء المنار بما ذكر له فيه من التأليفات المفيدة وقد تصفحنا صفحات من هذا الكتاب فوجدناه من أحكم كتب هذا الفن وضما وأجمعا مادة وأسهلها أسلوبا ، ونتمنى أن يتاح لنا قراءته فكتب فيه كلمة قد كا رغب اليها مؤلفاء القاضلان

كتاب الفوائد

هذا الكتاب « المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » من تأليفات الامام ابن قيم الجوزية وكفى بذلك نعيضا بمكانة الكتاب ودلالة على نفعه وقد طبعه محمد أفندي الخاليجي الكتبي وهو يطالب منه بشارع الخالوجي بمصر

الاسافات الطبية

كتاب يقع في ٢٧٠ صفحة بالقطع الصغير ، يصف فيه مؤلفه الادوية اللازمة للادواء الطارئة بأسلوب سهل ، ورسوم كثيرة تعين على الفهم ، وقد استهله بكلام في وظائف الاعضاء (physiologie) والتشريح وهو من خبرة الكتسب في هذا

الموضوع بل انه لا نظيره في بابہ ، وهذا النوع من الكتب من الضروريات لكل منزل فثنى على مؤلفه الدكتور محمد بك وشدي رئيس حكام محافظة مصر أطيح الشاء ، ونحث قراء الماوا على اقتنائه

زهرة الصبا

مجموع مقالات وقصائد لميد المرز افندي صبري من شبان مصر الاذكياء اكثرها في الوصف وبيان بعض وظائف الاعضاء وما يتأهبها من الاعراض ، والالام بذكر اسباب ذلك ، وصفحات الكتاب ٢٢١ بالقطع الصغير وهو يباع بخمسة قروش في سائر المكتبات

اثر حسن

هو مجموع تأيين وروا في الدكتور سليمان الطوري الحصى المتوفى من بضع سنين مع ترجمة حيلة له واثبات شهادات رجال الطب والحكومة بمحذقة ومكانته من الاطباء بجامعه رزق الله افندي نعمة الله عبود أحد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بمصر وهذا العمل من أسطع دلائل البر وأحسن الوسائل لتخليد الذكر



﴿ الدواوين الشعرية والقصص والرسائل ﴾

خسة دواوين العرب

عنيت المكتبة الأهلية في بيروت بطبع المأثور من شعر النابغة الذبياني وعروة ابن الورد والفردق وساتم الغنائي وعلقمة الفحل وجمعت شعرهم في كتاب واحد سمته خسة دواوين العرب

وكل واحد من هؤلاء غني بشهرته عن التريظ ، ولا سيما بعد أن طفحت كتب الادب - منذ اشتغل مؤلفوا العرب بوضعها - بذكرهم ، وتخليد مقدراتهم في شهرهم ، ومنهم مثل النابغة الذي فضل شعره كثير من أمة الادب على كل شعر قبل ، في كل زمن وجيل ، وهو زعيم سوق عكاظ الذي كان يجلس فيه من الشعراء مجلس الرئيس المتقدم والتعليم المحكم ، ومنهم مثل الفردق وهو من فحول الشعراء الاسلاميين الذي قيل فيه « لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب »

وديوان الثابتة أثبت في طبعه شرح البطليوسي المشهور فزاد ذلك في حسنه وكذلك ديوان عروة قد طبع بشرح ابن السكيت وكلا الشارحين من أئمة الأدب ويبيع الكتاب بثمانية قروش صحيحة بإدارة المنار وبالمكتبة الأهلية في بيروت وأجرة البريد قرش ونصف وثمن كل ديوان على حدة قرشان الا ديوان الفردوق والثابتة فثمان كل واحد منهما ثلاثة

بدايم الشعر في الحاسة والفخر

كتاب يقع في ٢٥٤ صفحة بالقطع الصغير لطامعه بشير أفندي رمضان من مشهوري أدباء بيروت وهو مجموع القصائد التي وقع عليها اختياره مما قبل في الحاسة والفخر من الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين وقد علق عليه الشيخ عبد الرحمن سلام حواشي حلل بها غريبه وأوضح مبهمه فجاء كتابا جديرا بالاقبال عليه من الادباء دالا على ذوق طامعه في الشعر وحسن اختياره للحاسة والفخر والمراء يعرف باختياره كما يعرف بنظيره وتاوه كما قال الشاعر

قد عرفك باختيارك اذا كان دليلا على السيب اختياره
وثمة ثمانية قروش صحيحة ويطلب من جميع المكتبات المشهورة

مناجاة السيب في النزل والسيب

هذا الكتاب هو صنو «بدايم الشعر» في حجمه وعدد صفحاته وكون جامع فاك هو جامع هذا الا ان هذا خاص بالسيب والنزل، واذا كان ذلك ممتازا بالبالغة والجزالة، فان هذا ممتاز بالركة والسلاسة ومن دلائل الاقبال عليه انه صار مطبوعا خمس مرات وهو يباع بخمسة قروش بسائر المكتبات

ديوان عبد الرحمن شكري

طبع عبد الرحمن أفندي شكري شعره في كتيب بلغت صفحاته البانين بالقطع الصغير وهو في امرئيه مختلفة أكثر مما في النزل والوصف وقد قال فيه حافظ أفندي ابراهيم مرقطاً:

شعيت بأن شعرك لا يملأى فزيت الشهادة باضرائي

كشف النعمة في مدح خير الامة

كان المرحوم محمود سامي باشا البار ودي أمير الشعراء في هذا العصر غير منازع، وأقهرهم على الثناء في مناحي الشعر غير مدافع، ولقد كان الادباء ومازالوا أسفين لجوامعهم من مآثور منقولوه وبدائع آياته، متمنين ان يمثل ديوانه للطبع ثم به الفائدة والنفع، ولقد طبع له في هذا العام قصيدته الميمية المشهورة « راجع (ص ٢٨٩م ٧) من المئارج » وهي تتضمن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذاعن سيرة ابن هشام، وانها لمن الشعر الذي لا يطاول بلاغة وجزالة، ولا يتحدى اسلوباً ومنهجي، وقد غني بصحيفها وحل غريبها الشيخ ياقوت المروسي « كاتب يد الناظم في سنية الاخيرة » والقصيدة تطلب من ادارة الجريدة بمصر وصفحتها ٤٨

مقالات النديم

انتخب « ابن مقصر » بضع مقالات من مجلة « الاساذ » التي كان يكتبها قعيد الصحافة المرحوم عبد الله النديم وطبعها في كتيب صغير والمقالات في أغراض شتى سياسية واجتماعية ولا بد ان يقبل على هذه المقالات عشاق أدب النديم

كلمة حول التنوير

رسالة ضمت بضع مقالات وقصيدتين للدكتور أيوب ثابت كان نشرها في جريدتي « الوطن » و « الثبات » البيروتيتين وقد جمعها منها صديقه نجيب افندي شوشاني والدكتور صاحب هذه المقالات معروف بتحري النفع والافاضة فيما يكتب

برنامج جمعية الاعمال الخيرية الاسلامية في بيروت

أصدرت هذه الجمعية النافعة برنامجاً أودعته مقاصدها ونظامها وأعمالها وذکر رئيسها وأعضائها والمتبرعين لها، وقد بلغ مجموع نفقات ماقامت به من الاعمال الخيرية ١٢٥٤٥ قرشاً و ٣٥ بارة في تسعة أشهر، وهذا المبلغ ائتمن على تطبيب المرضى ودفن الموتى واعطام المعدمين وتفسير المتكلمين وغير ذلك من صنائع البر والخير فنشكر رئيسها صديقنا الشيخ محيي الدين الخياط ولاعضائها الكرام فمحضهم لهذه الخدمة العظيمة جزاهم الله افضل مايجازي به الحسين

﴿ الجرائد ﴾

(لسان الشرق) — جريدة يومية أصدرها في مدينة حماء الشيخ احمد افندي الصابوني وهي من الجرائد الثلاث في سورية ، ولها عناية خاصة بالالفاظ الى تاريخ الشرق المجيد والحث على التربية والطعام ، وقبلة اشتراكها أربعة دالات في حماء وليرة عثمانية في الخارج فتتمنى لها النجاح والفلاح (الاصلاح) — جريدة اسبوعية المنشأ الشيخ كرامة يلدرم في سنغافورة ولم تصدر قبلها جريدة عربية هناك فيما نعلم ولذلك جعلها الادباء ميداناً تتسابق فيه قرائهم ولقد سررنا سروراً عظيماً بصدر هذه الجريدة العربية في تلك الاصفاع فسي أن يكسر مشرقها وينمي قارئوها (الحرية) — جريدة اسبوعية أنشأها في بيروت صديقنا داود افندي مجاصم ، وقد دلت أعدادها التي صدرت منها على انها حرية باسمها وما أقل الحريات بين الرصيفات ! ونحن نقول اننا عرفنا داود افندي حراً من صميم الاحرار في الزمن الذي كان كثير من احرار اليوم يتجسسون علينا أو ينفرون منا ! فلا غرو اذا أقبل على الكتابة فيها الادباء وتهاوت على حلالها القراء وقبلة اشتراكها ثانية فرنكات في الخارج

حسين وصفي رضا

(جم الثنائس) — لم يتسم هذا الجزء لابداء رأينا في هذه الرسالة وموعدها « ج ١٣ م ١٣ »

تصحیح — (س ٢٣ من ٧٤٠) كلمة « بالدخول فيهن » وهي زائدة يجب ترميجها

﴿ الفرق والخلاف بين المسلمين في سنغافورة ﴾

الحمد لله ، الى حضرة أخني العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قد قرأت بمناوكم الاغر في العدد الاخير المحرور آخر شعبان رسالة مصطنعة من بناوي يقول كاتبها في انائها انها نبعت في هذه الستين رجال يدعون الى الكتاب الى أن قال وقد غاظ أمرهم هذا ألباساً عاشوا بترويج الرابطة والتوجه وآخرين جدوا على مقاله بعض مصني التأخرين كابن حجر المكي فتخذوهم أرباباً من دون الله الى آخره . فيا أيها السيد رشيد اني سأخبرك بالحق والواقع ان ذلك السلام لا وجود له مطلقاً بهذه الديار والناس في جبل لا يسمون بمعني التقليد ولا الاجتهاد وانما ظهر واحد جاهل مبتدع فجعل يتدفع بذكر الكتاب واللمعة كتباً وما ذلك الا ليطعن على المصلحين . اني لا أعرف أحداً بهذه الديار يعرف الشيخ ابن تيمية وأولئك الذين يدعون بفضل ابن تيمية هم أول من يرمون بقوله عرض الحائط فيما اذا لم يوافق هواهم واني شارح في جمع رسالة اعتمدت فيها على ما يقوله ابن تيمية مما هم مجاهرون بأقوال لا يرضى ابن تيمية بها وهاتما الحك فمن ادعونا واعترفوا وسلموا لا أقول ابن تيمية وحفظه ونقله عرفنا ان سالتهم المشورة الحق والا فليكن ما يقولونه واستمع به . تأمل أيها الاخ أولئك الذين يدعون انهم يذوبون عن ابن تيمية ونحن نفتخر بجلالة ابن تيمية والذي اعتقد انهم جعلوا ذنبهم عن ابن تيمية ذريعة للظعن على من يذنب عن معاوية وكل منهما جدير بأن يذنب عنه ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه أولى بالذنب ان كانوا عبيداً للحق ونحن لا نرضى لهم أن يلتمسوا على صاحب النار فان السائل

(المجلد الثاني عصفى)

(١٢٠)

(المنازع ١٢)

أسير المسؤل ؟ » ليس هنا شيء مما يزعمونه الا الظن على معاوية وجواز لفته وسبه بل كفره ولم يرضوا بالشيخ ابن حجر الا لاجل كتابيه تطهير الجنان والصواعق المرفقة . هذا هو الحق الذي تدعين الله به وترفعه الى صاحب المنار لينصره على صفحات المناو اعلاء للحق وان لم يكن ما أقوله فليفضلوا وليدينوا ما هي المسائل التي اتخذنا فيها ابن حجر رؤيا سبحانه هذا جهنم عظيم وانه لا يجوز التلاعب بالدين والتشكيك بالمسلمين ليطعنوا على ابن حجر ولا ابن تيمية ولا غيرهم وبشكل ليسوا بمحصولين من الخطأ ولو عرف حقيقة منزى ذلك الكاتب أخونا السيد محمد رشيد لا أجابه مطلقا وأقوله ان يعرف ذلك وما أنا أشرح بأسى أسفل ما أكتبه لمرفقي بضاعتي . حسن بن علوي بن شهاب

(المار) جاءنا من هذا الكاتب رسالة أخرى في هذا الموضوع أيضا أسهب

فيها بما لا يخرج عن معنى رسالته هذه فاخترتا المختصرة . وبما صرح به في الأخرى انه لا غرض لمن كتبوا اليانا ما كتبوا الا الاحتجاج بقول المار على عدم الاعتماد على كلام ابن حجر لاجل كتابيه اللذين ذكرهما لا لاجل الاتصاف للكاتب والسنة قال « وقد أطلال صاحب المنار في الرد قلنا بأن الحرب قائمة على قدم وساق في المباحث العلمية العملية النافعة المفيدة وأضاعوا عليه وقته وان كان كلامه لا يخلو من فائدة » ثم قال « ان تطويله وتعريفه في محله ولكن أولئك يتخذونه حجة على لمن معاوية وسبه فقط فلا علم ولا بحث ولا خالد ولا بكر الا معاوية فقط » وطلب ان يبينوا مسألة غلط فيها ابن حجر فخالف الكتاب أو السنة وقلدوه فيها . فظهر انه من الذين يعرضون فيهم وطلب منا فصل النزاع في ذلك . وذكر ان الذي قوى الخوض في هذه المسألة كتاب النصائح الكافية لمن يؤول معاوية الذي ألفه ونشره صديقه وصديقنا السيد محمد بن عقيل

أما ما كتبناه في منار شعبان فلا وجه فيه للاحتجاج على لمن معاوية وهو يعلم انهم كانوا استفتونا في لمن معاوية فلم نقت بالجواز ولم نرض تلك الفتوى السيد محمد بن عقيل وربما كانت من أسباب تأليفه لذلك الكتاب الذي لم نفرغ قراءته لكثرة الاعمال والاسفار ، ونحن من أولياء علي عليه السلام والرضوان ، لا من أولياء معاوية وفتنه الباغية عليهم من الله ما يستحقون ، ولكننا لسنا بسبابين ولا لمازبين كما ورد في وصف المؤمنين وقد ذكرت في ترجمة الوالد رحمه الله تعالى من المجلد الثامن انه كان يقول « لا نحب معاوية ولا نسه » وكيف نحب من بنى على جدنا وخرج عليه وكان سببا في تلك الفتن التي كانت نكبة موداه في تاريخ عصر النور وهو القرن الاول لنور الاسلام ،

وبه تحول شكل الحكومة الاسلامية عن القاعدة التي وضعها لها الله تعالى في كتابه بقوله في المؤمنين (٣٧:٤٢) وأمرهم شورى بينهم) الى حكومة شخصية استبدادية جعلت مصالح الامة كالمال يرثه الاقرب فالاقرب الى المالك وان كرهت الامة كلها. فكان هذا أصل جميع مصائب الامة الاسلامية في دينها وديارها

وأما الذي انصح به الآن لآخواني المسلمين في سنغافورة وجاوة وحضر موت كما انصح به لسائر الناس: فهو ان لا يفرقوا ولا يتعادوا لاجل الاختلاف في هذه المسألة ولا في غيرها، وان يتأدب بعضهم مع بعض في الخطاب والكتاب، وان يملوا ان التفرق والتماضي أشد ضررا في الدين والدنيا من الخطأ الذي يفرقون ويتعادون لاجله، وان المخلص في بحثه عن الحق وبيانه له لا يبادي اخوانه الذين لم يظهر لهم مظهر له بل يضرهم ويرفق بهم وإنما يؤذي ويبادي صاحب الهوى، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره التفرق والخلاف أشد من كراهته لسائر المعاصي حتى انه كان يريد ان يرشد أصحابه الى شيء فيتركه اذا رآهم تماروا واختلقوا كما فعل يوم خرج ليعين لهم ليلة القدر، ويوم أراد أن يكتب لهم كتابا لا يضيئون بعده، والحديثان في صحيح البخاري، واني لا خشى أن تزيد الرسالة التي يؤلفها أخونا السيد حسن بن شهاب هذا الخلاف والشقاق لان الغرض منها هو الانحام والالزام وقد ذكر السيد حسن في هامش رسالته السيد عثمان بن عقيل واثني عليه بالدين والتقوى وحسن النية على كونه من المقلدين. وهذا ماأشرنا اليه في جزء شعبان فانتا شجعنا رايحة الاخلاص بما رأيناه من رسائله فرجنا حسن الظن فيه على ما كتب اليانمارا منذ سنين من الطعن فيه بكونه آله في يد الحكومة أو حساما تقابل به المسلمين من طريق الاسلام نفسه ولذلك لم ننشر شيئا من تلك المطاعن الكثيرة، ولكن لا يجوز لنا السكوت عنه اذا هو قوم دعوة الاصلاح وقرر المسلمين من النار ومن كتب ابن تيمية على الإطلاق، او كان يخطبنا أو يخطي ابن تيمية في مسألة أو مسائل معينة بأن يطلع على المسألة في كلامنا أو كلامه وعلى دليلها ثم يقرع الدليل بالدليل لاحترامنا قوله مطلقا فان رأيناه صوابا ادعنا له وان رأيناه خطأ بينا ذلك بالدليل مع الادب والثناء

رحلتي هذا العام الى القسطنطينية

(١)

رحلت في العام الماضي — وهو العام الاول للدستور — الى الديار السورية لصلوة الرحم التي قطعها الاستبداد عليّ احدى عشرة سنة، ولاختبار حال البلاد، وبمدامعات به فيها حكومة الاستبداد، وللوعظ والارشاد، والحث على الاتفاق والائحاد، وبيان مزايا الدستور وفوائده، وما يجب على الامة من العمل للتقدم في عهده، وقد نشرت في المنار ملخص تلك الخطب والدروس فحرفها قراؤه

ورحلت في هذا العام — وهو العام الثاني للدستور — الى القسطنطينية عاصمة الدولة لاسعى في امرين عظيمين أحدهما وهو أجلهما خدمة الدين الاسلامي ولجميع المسلمين وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هي حكومة الدستور القائم على أساس العدل والمساواة وانصيري الامة العثمانية الكيدين

اما الاول فهو انشاء معهد ديني علمي في العاصمة لتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالنزاهة آداب الاسلام العالية واخلاقه الفاضلة وعبادته المطهرة للارواح من الفرائض والنوافل كالقيام والصيام وكثرة ذكر الله عز وجل — والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامي الذي يكون وسيلة لسعادة الدنيا والآخرة كالتفسير والحديث والتوحيد وحكمة التشريع والاخلاق والسيرة النبوية الشريفة وتاريخ الاسلام وأصول الفقه وفروعه ووسائل ذلك من اللغة وفنونها وكالفنون الرياضية والطبيعية والصحية والاقتصادية التي هي وسائل عمران الدنيا وتقوية الملة والدولة

من منافع المههد الاسلامي تميز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها ينبوعا للاسلام وكعبة مضمونة لطلاب علومه وآدابه . ومنها تخرج العلماء الذين يتدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذي كان يدافع به الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) مثل (رنان) و(هانوتو) وما أشد الحاجة الى مثل هذا الدفاع في عهد الحرية

والدستور - ومنها تخرج الدعاة الى الخير والمرشدين للامة الذين يقومون بما فرضه الله تعالى على المسلمين من الدعوة والارشاد وحرمة عليهم من الفرق في مثل قوله عز وجل (٣:١٠٤) ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم القلة هم القلة ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وأقرب فوائد المرشدين اوسالهم الى البلا دالتي فشا فيها الجهل وكثرت المشاغب (كالتين والعراق والافاضل) للوعظ والارشاد الذي يفر عن الشرور والفتن ، والفواحش مظهر منها وما بطن ، ويرغب في البر والتعاون بين جميع أهل الوطن ، والاخلاص للدولة العلية في السر والعلن ، وتعليم أحكام الدين بأسلوب يكون في منتهى السهولة ، مع ميادي حفظ الصحة والثروة ، فهو لاء الوعاظ الذين يمكن تخرج طائفة منهم في مدة أربع سنين أو خمس سنين هم الذين يطهرون البلاد بتأثير الدين من اثورات والقتال ، ويوثقون بين جميع الطوائف والعناصر ، ويقامون بالتصرف في القلوب والسرائر ، ما يهجز عن بعضه من لا تأثير لهم الا في الظواهر ، كأصحاب الجرائد والحكام والعساكر ،

ليس الغرض الذي أسعى اليه أن تكون الحكومة الثمانية هي التي تقضي هذا المعيد الاسلامي فإن الحكومات تعجز عن مثل هذه الاعمال ، وان كانت قادرة على بذل المال واستخدام الرجال ، لان الحكماء رسميون فاعمالهم كلها رسوم لا يمس شي منها مواد القلوب ، ولان ما تقوم به الحكومة تدخل في السياسة والسياسة ما دخلت في شيء الا فسدته كما قال الاستاذ الامام وانما الغرض ان تقوم بهذا العمل جمعية من محبي الإصلاح العالم الصالحين ان تساعد الحكومة بما يمكن من الاوقاف الخيرية وبغير ذلك كاستئثار طلاب العلم من الخدمة العسكرية واتخاذ الوعاظ منهم بالمرتبات الشهرية عرصت هذا المشروع على رئيس حكومتنا الصذر الاعظم حسين حلمي باشا وعلى بعض أعضاء وزارته وعلى بعض الكبراء والعلماء هنا ، منهم محمود شوكت باشا وعلى بعض أعضاء مجلس لامة محمودي من الاعيان واليهوديين ، على انهم رجال جمعية الاتحاد وتبرقي فكلمة اعظم والاسباب به الاعتراف بقوائدهم مناهضة وشدة جاذبه وقال بعضهم اننا نعلم ان مثل من قبل وكذلك قالوا انهم كانوا في بعض

وسورية وقد وعدت بالمساعدة الممكنة من كثيرين وسأبين ذلك في وقته ان شاء الله تعالى
وأما الامر الثاني الذي سميت اليه فهو ازالة ما وقع أخيراً من سوء التفاهم بين
عنصري الدولة الاكبرين - العرب والترك - وقد شرحت هذا في مقال مطول
مؤلف من ست نبذ أو فصول نشرت في جريدة (إقدام) مترجمة بالتركية فصادفت
استحساناً عند فضلاء الترك . وسبب قراء المنار مجموعاتي الجزئين الاخيرين - ١١ و ١٢
المشهور عندنا عن سياسة الترك انهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة
عربية أو خلافة عربية في جزيرتهم وان هذا الخوف قديم فيهم ولكن أليس قد مرت
العرون ولم تظهر من زعمائهم الدعوة الى ذلك حتى في الازمنة الاخيرة التي كاد لأيس
من الدولة يستولى فيها عليهم ؟ بل ! فأني حجة لهم على استمرار هذا الخوف والحذر وبنا
الاعمال عليه وكثرة الكلام فيه ؟

يقول بعضهم ان هذا غير ممكن ولذلك لم يتشبها به ولم يحاولوا تنفيذه ونرد عليهم
بأن العرب اذا كانوا يعلمون ان هذا غير ممكن فكيف يريدونه والارادة لا تنطق
بالحال كما هو معلوم واذا كانوا لا يعلمونه فلماذا لم يسعوا اليه سعيه ؟
هذه وساوس وأوهام يجب أن لا تذكر ولا يبنى عليها قول ولا عمل في هذا
العصر لتلا بصير الوهم حقيقة . وان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معي
على وجوب تدارك ما قوي الآن من سوء التفاهم ولما جئت الاستانة رأيت كثيراً
من عقلاء الترك يميلون الى هذا ولكن العقلاء من الفريقين يرتابون في سياسة بعض
الزعماء في العاصمة :

بلغ من سوء ظن بعض سياسة الترك بالعرب ما أشرنا الى بعضه في المقالات
التي نشرناها هنا مترجمة بالتركية ولا سيما مسألة الشام . وهناك أمور كثيرة لم نكتب
فيها شيئاً كاهتمام الكثيرين بحجج الخديو ، وما يتعجب المصريون من ادخاله في باب
السياسة كحضور عزت العابد دعوة الشيخ علي يوسف اليوم الاربعين لابنته الجديدة ؟
و بلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لي اكثر من واحد من أذكائهم وأفضلهم
فيهم بمصر والاستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقي لا يقبلون
منهم تلك الاصلاحات حتى قدومها . ولا يعرفون الى قيمة الخلافة التي

فيها لانك عربي ... فلما رأيت من عناية بعض الوزراء ولا سيما رئيسهم الصدر الاعظم وعناية كبراء رجال الجمعية ما رأيت وسمعت من الوعود المؤكدة منهم ما سمعت ذكرت ذلك لبعض الظانين ظن سوء فقالوا ان الاعمال بالخواتيم وسترى هل أنت الخطي أم نحن المصيدون ، وإني لأرجو أن تخلص هذه الأوهام بما أنتظر من محاسن الاعمال ، وعلى الله الاتكال في تصديق الآمال

صاحب جريدة وطن الهندية وتفسير القرآن

جري ذكر صاحبنا (مولوي محمد إنشاء الله) صاحب جريدة (وطن) الهندية في بعض المجالس فرأيت القوم يسبون به الظن فذكرت لهم ما أعرف من فضله وغيرته على الاسلام ودولته وأهله ، حتى اتني ذكرت للصدر الاعظم وبعض الكبراء وأصحاب الجرائد انه لم يدفعه الى جمع تلك الاموال الكثيرة للسكة الحجازية إلا غيرته وان من دلائل غيرته الدينية انه كتب الي قبل الدستور كتابا قال فيه ان هذا التفسير الذي تنشرونه في المنار عموافع ما كتب للمسلمين وانه لا شيء يرشدهم الى ما يحبه مثل ما أقترح عليكم أن تتركوا كل عمل وتصفوا بهتمكم الى بامه وأنا أرتب على نفسي مساعدة مالية أقدمها لكم في كل شهر إلى أن يتم التفسير هذا معنى ما كتبه فأجبهت بأنني لا أقبل على خدمة الدين مالا من أحد وإني أجتهد في إتمام التفسير ما استطعت . فكتب إلي ثانيا يشكرني ذلك ويطلب الاشتراك بمئة نسخة من كل جزء ، يصدر من التفسير مجلد ويوزع على المساجد في البلاد العربية لأجل أن يرشد الخطباء والمدرسون الأمة به ، ويطلب أيضا أن يرسل اليه نسخة نسخ من كل جزء لأجل أن ينشرها في الهند ويبيعها لنا . وقد أرسل عدة حوالا ت مالية من ثم التفسير التي اشترك فيها

ذكرت منذ صدر الاعظم ولقد بهد فاعجبوا بفضل الرجل وغيرته وتبرعوا بتدبيره في شأن الانقلاب العثماني وسيرهم الايام اكثر من ثلاثة سنين فظهر للناس كلهم احلام حكيمة الدستورية له ولة العلية مع مخالفتها على الدين الذي يأنه مقام اختلافه الإسلامية على ما قرره القانون الاساسي

